مجلة الأزهر

٩٣

بسم الله الرحمن الرحیم

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

٩٣

المجلد التاسع والستون ـ القسم الأول

السنة ١٤١٧هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية

مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

جميع الحقوق محفوظة للأزهر الشريف

١٤٤٥هـ-٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

ع ٢٢٢٦ م
دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / علي أحمد الخطيب

مدير التحرير

علي عامر عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل غانم خفاجة

المراسلات / باسم مدير التحرير - الإدارة العامة للأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٥٩٩ - ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام

شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة العالمين وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

الهجرة وموقف عسير

وما كانت هجرة رسول الله ﷺ لتتم إلا بإذن من ربنا - عز وجل - فما كان هناك من أمور الدعوة ما يستدعي البقاء بمكة ، فحتى هذه اللحظات الأخيرة لوجوده - عليه الصلاة والسلام - لم يكن يومئذ من سوف يؤمن يومئذ إلا من قد امن ، وكان في قوله - تعالى - من سورة الصافات : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾

سورة الصافات

إشارة إلى أن الرسالة - في أهل مكة ، ومن أهل مكة - مرفوضة إلى حين .. فكان أن ارتحل - عليه الصلاة والسلام - غير مهاجر إلى الطائف ليدعو فيه إلى الإسلام . وحدث بالطائف ما يعرفه المسلمون ، فأخذ طريقه - عليه الصلاة والسلام إلى (نخلة) ليتوجه بعد ذلك إلى مكة .

المحرم ١٤١٧هـ - مايو/ يونيو ١٩٩٦م - الجزء الأول - السنة التاسعة والستون

فماذا كان من أمر مكة :

رأت مشيخة مكة فى ذهاب رسول الله ﷺ إلى الطائف فرصة للتخلص نهائياً منه ؛ فادعت **أنه إنما ذهب إلى الطائف ليستعين به على ضرب مكة . فأصدرت قراراً بعدم دخوله ﷺ مكة** مطلقا .

وهذا ما نعنيه بـ « الموقف العسير ». ذلك أن الله ــ تعالى ــ لم يأذن لرسوله ﷺ بالهجرة ويعنى ذلك أنه لابد له ــ عليه الصلاة والسلام ــ من العودة إلى مكة .

وهذا قرار مشيخة مكة بعدم دخوله ــ عليه الصلاة والسلام ــ فيها ..

وهنا تجلت حكمته ﷺ أمام هذا الموقف تلك الحكمة التى زوده المولى ــ عز وجل ــ بها على أعلى ما تكون ، سداداً وبصيرة ، فكان هذا الدرس الذى لا نظير له فى كل ما طالعنا من سياسات .

لم يصادم رسول الله ﷺ قرار مكة الجائر ؛ بل لم يعلن ــ عليه الصلاة والسلام ــ كذب هذا الادعاء ، فجعلها ــ عليه الصلاة والسلام ــ تطمئن بقرارها إلى حد بعيد .

لقد كان رسول الله ﷺ يعلم من فضائل العرب فضائل هى عندها فوق القانون لا يمسونها بسوء ــ وبخاصة فى البلد الحرام ، من هذه الفضائل « الجوار » فاتخذ رسول الله ﷺ من الجوار سياسة قلبت قرار مكة رأسا على عقب .

أرسل ــ عليه الصلاة والسلام ــ رسولًا إلى المُطْعِم بنِ عَدِىّ ــ يطلب جواره ، فقال المطعم لرسول رسول الله ﷺ نعم . وأخذ بنيه بأسلحتهم ، واندفع خارج مكة والتفوا حول رسول الله ﷺ ودخلوا به حتى فناء الكعبة حيث أعلن المطعم إجارته لرسول الله ﷺ فلم يعترض أحد .

وأقام ــ عليه الصلاة والسلام بمكة حتى أذن الله ــ تعالى ــ له فى الهجرة ، وأرجو أن أكون على صواب إذا قلت : إن آية الإذن هى قوله تعالى :

﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ﴾ سورة الذاريات

وهى آية نزلت بعد آية الصافات بفترة غير قصيرة ارتحل بعدها ــ عليه الصلاة والسلام ــ مهاجراً بصحبة الصديق ــ رضى الله عنه ــ

د. على أحمد الخطيب

(١) سُورَةُ الفَاتِحَةِ
مكية وآياتها سبع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

نزلت بعد المدثر

تفسير سورة الفاتحة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى

تقدم ـ فى العدد الماضى ـ الحديث عن منزلة الفاتحة من القرآن الكريم ، وآياتها ، وأسمائها ، وفضلها ، ثم تفسيراً للاستعاذة فالبسملة ، ويختم الإمام ـ هنا ـ تفسير السورة .

﴿ الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد ﴾ هو : الثناء باللسان على الجميل الصادر عن اختيار من نعمة أو غيرها .

﴿ رب العالمين ﴾ أى : مالكهم ، إذ الرب مصدر « رَبَّهُ يَرُبُّهُ » ، إذا تعاهده بالتربية حتى يبلغ به شيئاً فشيئاً درجة الكمال . وهو اسم من أسماء الله ـ تعالى ـ ولا يطلق على غيره إلا مقيداً ، فيقال : رب الدر ، ورب الضيعة أى : صاحبها ومالكها .

والعالمين : جمع عَالَم ، وهو كل موجود سوى الله ـ تعالى ـ

قال القرطبى : « وهو مأخوذ من العلم والعلامة ، لأنه يدل على موجده » وقيل : المراد بالعالمين أولو العلم من الإنس والجن والملائكة .

وقد افتتحت سورة الفاتحة بهذه الجملة الكريمة ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ لأنه ـ سبحانه ـ أول كل شيء وآخر كل شيء ، ولكي يعلمنا ـ سبحانه ـ أن نبدأ كتبنا وخطبنا بالحمد والثناء عليه ، حتى نبدأ ونحن في صلة بالله تكشف عن النفوس أغشيتها ، وتجلو عن القلوب أصداءها .

والمعنى ـ كما قال ابن جرير ـ الشكر خالصاً لله ـ جل ثناؤه ـ دون سائر ما يعبد من دونه ، ودون كل ما بَرَأ من خلقه بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد . ولا يحيط بعددها غيرُهُ أحد ، في تصحيح الآلات لطاعته ، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه ، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق ، وغذاهم به من نعيم العيش ، من غير استحقاق لهم عليه ، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه ، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم . لربنا الحمد على ذلك كله أولا وآخراً[1] .

فالآية الكريمة قد قررت بصراحة ووضوح ثبوت الثناء المطلق الذي لا يحد لله ـ تعالى ـ وأنه ليس لأحد أن ينازعه إياه ـ سبحانه ـ هو رب العالمين .

وجملة ﴿ **الحمد لله** ﴾ مفيدة لقصر الحمد عليه ـ سبحانه ـ نحو قولهم : « الكرم في العرب » . كما أن (أل) في « الحمد » للاستغراق . أى : أن جميع أجناس الحمد ثابتة لله رب العالمين .

وإنما كان الحمد مقصوراً في الحقيقة على الله ؛ لأن كل ما يستحق أن يقابل بالثناء ؛ فهو صادر عنه ومرجعه إليه ، إذ هو الخالق لكل شيء ، وما يقدم إلى بعض الناس من حمد جزاء إحسانهم ، **فهو** في الحقيقة حمد لله ، لأنه ـ سبحانه ـ هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه .

ولم تفتتح السورة بصيغة الأمر بأن يقال : احمدوا الله ، وإنما افتتحت بصيغة الخبر ﴿ **الحمد لله** ﴾ ، لأن الأمر يقتضي التكليف : والتكليف قد تنفر منه النفوس أحياناً ، فأراد ـ سبحانه ـ وهو يبادئهم بشرعة جديدة وتكاليف لم يعهدوها ، أن يؤنس نفوسهم ، ويؤلف قلوبهم ، فساق لهم الخطاب بصيغة الخبر ، ترفقا بهم ، حتى يديموا الإصغاء لما سيلقيه عليهم من تكاليف .

وقد تكلم بعض المفسرين عن الحكمة في ابتداء السورة الكريمة بقوله ـ تعالى ـ ﴿ **الحمد لله** ﴾ ، دون قوله ـ تعالى ـ : المدح لله ، أو : الشكر لله . فقال :

اعلم أن المدح أعم من الحمد ، والحمد أعم من الشكر . أما بيان أن المدح أعم من الحمد فلأن المدح يحصل للعاقل وغير العاقل ، ألا ترى أنه كما يحسن مدح الرجل العاقل على أنواع فضائله ، فكذلك قد يمدح اللؤلؤ لحسن شكله . أما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار على ما يصدر منه من الإنعام والإحسان ، فثبت أن المدح أعم من الحمد .

وأما بيان أن الحمد أعم من الشكر ، فلأن الحمد عبارة عن تعظيم الفاعل لأجل ما صدر عنه من الإنعام ، سواء أكان ذلك الإنعام واصلا إليك

(١) تفسير ابن جرير جـ ١ ص ١٣٥ طبعة دار المعارف .

أم إلى غيرك . وأما الشكر فهو عبارة عن تعظيمه لأجل إنعام وصل إليك ، فثبت بما ذكرنا أن المدح أعم من الحمد ، وأن الحمد أعم من الشكر .

إذا عرفت هذا فنقول : إنما لم يقل : المدح لله ، لأننا بينا أن المدح كما يحصل للفاعل المختار فقد يحصل لغيره . وأما الحمد فإنه لا يحصل إلا للفاعل المختار . فكان قوله « الحمد لله » تصريحاً بأن المؤثر فى وجود هذا العالم فاعل مختار خلقه بالقدرة والمشيئة ..

وإنما لم يقل : الشكر لله ، لأننا بينا أن الشكر عبارة عن تعظيمه بسبب إنعام صدر منه ووصل إليك ، وهذا يشعر بأن العبد إذا ذكر تعظيمه بسبب ما وصل إليه من النعمة . فحينئذ يكون المطلوب الأصلى له وصول النعمة إليه . وهذه درجة حقيرة . فأما إذا قال « الحمد لله » ، فهذا يدل على أن العبد حمده لأجل كونه مستحقاً للحمد لا لخصوص أنه ـ سبحانه ـ أوصل النعمة إليه ، فيكون الإخلاص أكمل ، واستغراق القلب فى مشاهدة نور الحق أتم ، وانقطاعه عما سوى الحق أقوى وأثبت[٢] .

وقد أجرى ـ سبحانه ـ على لفظ الجلالة نعت الربوبية للعالمين ، ليكون كالاستدلال على استحقاقه ـ تعالى ـ للحمد وحده ، وفى ذلك إشعار لعباده بأنهم مكرمون من ربهم ، إذ الأمر بغير توجيه فيه إيماء إلى إهمال عقولهم ، أما إذا كان موجهاً ومعللا فإنه يكون فيه إشعار لهم برعاية ناحية العقل فيهم ، وفى تلك الرعاية تشريف وتكريم لهم .

فكأنه ـ سبحانه ـ يقول لهم : اجعلوا حمدكم وثناءكم لى وحدى . لأنى أنا رب العالمين . وأنا الذى تعهدتكم برعايتى وعنايتى وتربيتى منذ تكوينكم من الطين حتى استويتم عقلاء مفكرين .

وقد أتبع ـ سبحانه ـ هذا الوصف وهو ﴿ رب العالمين ﴾ ، بوصف آخر هو ﴿ الرحمن الرحيم ﴾ لحكم سامية من أبرزها : أن وصفه ـ تعالى ـ ﴿ برب العالمين ﴾ أى : مالكهم ، قد يثير فى النفوس شيئاً من الخوف أو الرهبة ، فإن المربى قد يكون خشناً جباراً متعنتاً ، وذلك مما يخدش من جميل التربية ، وينقص من فضل التعهد ؛ لذا قرن ـ سبحانه ـ كونه مربياً ، بكونه الرحمن الرحيم ، لينفى بذلك هذا الاحتمال ، وليفهم عباده بأن ربوبيته لهم مصدرها عموم رحمته وشمول إحسانه ، فهم برحمته يوجدون ، وبرحمته يتصرفون ويرزقون ، وبرحمته يبعثون ويُسألون .

ولاشك أن فى هذا الإفهام تحريضاً لهم على حمده وعبادته بقلوب مطمئنة ، ونفوس مبتهجة ، ودعوة لهم إلى أن يقيموا حياتهم على الرحمة والإحسان ، لا على الجبروت والطغيان ، فالراحمون يرحمهم الرحمن .

﴿ مالك يوم الدين ﴾

بعد أن بين ـ سبحانه ـ لعباده موجبات حمده ، وأنه الجدير ـ وحده ـ بالحمد ، لأنه المربى الرحيم ، والمنعم الكريم ، أتبع ذلك ببيان أنه ـ سبحانه ـ ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

---

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٤ ص٣ طبعة المطبعة الشرقية سنة ١٣٣٤ هـ .

والمالك وصف من الملك – بكسر الميم – بمعنى : حيازة الشيء مع القدرة على التصرف فيه . واليوم فى العرف : ما يكون من طلوع الشمس إلى غروبها ، وليس هذا مراداً هنا ، وإنما المراد مطلق الزمن وهو يوم القيامة .

والدين : الجزاء والحساب ، يقال : دنته بما صنع ، أى : جازيته على صنيعه ، ومنه قولهم . كما تدين تدان . أى : كما تفعل تجازى ، وفى الحديث (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت) أى : حاسب نفسه .

والمعنى : أنه – تعالى – يتصرف فى أمور يوم الدين من حساب وثواب وعقاب ، تصرف المالك فيما يملك ، كما قال – تعالى –
﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾(٣) .

وهناك قراءة أخرى للآية وهى ﴿ **مَلِك يوم الدين** ﴾ من المُلك – بضم الميم – وعليها يكون المعنى : أنه – تعالى – هو المدبر لأمور يوم الدين ، وأن له على ذلك اليوم هيمنة الملوك وسيطرتهم ، فكل شيء فى ذلك اليوم يجرى بأمره ، وكل تصرف فيه ينفذ باسمه ، كما قال – تعالى – ﴿ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾(٤) .

قال الإمام ابن كثير : وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه ، لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين ، وذلك عام فى الدنيا والآخرة . وإنما أضيف إلى يوم الدين ، لأنه لا يدعى أحد هنالك شيئاً ، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه ، كما قال – تعالى –
﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾(٥) .

والمَـلِكُ فى الحقيقة هو الله ، قال – تعالى – ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾(٦) وفى الصحيحين عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ أنه قال : « يقبض الله الأرض ، ويطوى السماء بيمينه ثم يقول : أنا الملك أين ملوك الأرض ؟ أين الجبارون ، أين المتكبرون » .

ثم قال : وأما تسمية غيره فى الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾(٧) .

وفى هذه الأوصاف التى أجريت على الله تعالى ، من كونه ربا للعالمين وملكا للأمر كله يوم الجزاء ، بعد الدلالة على اختصاص الحمد به فى قوله : ﴿ **الحمد لله** ﴾ فى كل ذلك دليل على أن من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه ، بل لا يستحق ذلك على الحقيقة سواه ، فإن ترتب الحكم على الوصف مشعر بعليته له »(٨) .

والمتدبر لهذه الآية الكريمة يراها خير وسيلة لتربية الإنسان وغرس الإيمان العميق فى قلبه ، لأنه إذا آمن بأن هناك يوماً يظهر فيه إحسان المحسن وإساءة المسيء ، وأن زمام الحكم فى ذلك اليوم لله الواحد القهار ؛ فإنه فى هذه الحالة سيقوى عنده

(٣) آخر الانفطار .
(٤) غافر : ١٦ .
(٥) النبأ : ٣٨ .
(٦) الحشر : ٢٣ .
(٧) تفسير ابن كثير جـ١ ص٢٥ .
(٨) « فتح البيان جـ١ ص٢٩ » . الشيخ صديق حسن خان .

خلق المراقبة لخالقه ، ويجتهد فى السير على الطريق المستقيم .

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

كانت الآيات الثلاث التى تقدمت هذه الآية تقريراً للحقيقة فى جانب الربوبية وعظمتها وعموم سلطانها وسعة رحمتها تقريراً جمع أمور الدنيا والآخرة ، ثم جاءت هذه الآية لتقرر أن الذى يجدر بنا أن نعبده وأن نستعين به إنما هو الله الذى تجلت أوصافه ، ووضحت عظمته ، وثبتت هيمنته على هذا الكون .

ولفظ « إيا » ضمير منفصل ، و« الكاف » الملحقة به للخطاب .

والعبارة تفيد أن الطاعة البالغة حد النهاية فى الخضوع والخشوع والتعظيم ، والعبادة الصحيحة تتأتى للمسلم بتحقق أمرين : إخلاصها لله ، وموافقتها لما جاء به النبى ﷺ .

قال ابن جرير : « لأن العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة ، وأنها تسمى الطريق المذلل الذى وطئته الأقدام . وذللته السابلة معبداً »(٩) .

والاستعانة : طلب المعونة ، من أجل الاقتدار على الشيء والتمكن من فعله .

والمعنى : لك يا ربنا وحدك نخشع ونذل ونستكين ، فقد توليتنا برعايتك ، وغمرتنا برحمتك ، فنحن نخصك بطلب الإعانة على طاعتك وعلى أمورنا كلها ، ولا نتوجه بهذا الطلب إلى أحد سواك ، فأنت المستحق للعبادة ، وأنت القدير على كل شيء ، والعليم ببواطن الأمور وظواهرها ، لا تخفى عليك طوية ، ولا تتوارى عنك نية .

وقدم ـ سبحانه ـ المعبود على العبادة فقال : ﴿ إياك نعبد ﴾ ، لإفادة قصر العبادة عليه ، وهو ما يقتضيه التوحيد الخالص .

وقال : ﴿ نعبد ﴾ بنون الجماعة ولم يقل أعبد ، ليدل على أن العبادة أحسن ما تكون فى جماعة المؤمنين ، وللإشعار بأن المؤمنين المخلصين يكونون فى اتحادهم وإخائهم بحيث يقوم كل واحد منهم فى الحديث عن شئونهم الظاهرة وغير الظاهرة مقام جميعهم ، فهم كما قال النبى ﷺ : « المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم »(١٠)

وقدمت العبادة على الاستعانة ، لكون الأولى وسيلة إلى الثانية . وتقديم الوسائل سبب فى تحصيل المطالب ، وليدل على أنهم لا يستقلون بإقامة العبادات ، بل إن عون الله هو الذى يسر لهم أداءها .

ولم يذكر المستعان عليه من الأعمال ؛ ليشمل الطلب كل ما تتجه إليه نفس الإنسان من الأعمال الصالحة .

وجاءت الآية الكريمة بأسلوب الخطاب على طريقة الالتفات ، تلوينا لنظم الكلام من أسلوب إلى أسلوب . وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال :

« فإن قلت : لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب ؟

---

(٩) تفسير ابن جرير جـ١ ص ١٩١ .

(١٠) رواه الشيخان ، وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد .

قلت : هذا يسمى الالتفات فى علم البيان . وهو قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ، ومن الخطاب إلى الغيبة ، ومن الغيبة إلى التكلم ... وذلك على عادة العرب فى افتنانهم فى الكلام وتصرفهم فيه ؛ لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلـــوب ، كان ذلك أحسن تطريـــة لنشاط السامع ، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد : وقد تختص مواضعه بفوائد . ومما اختص به هذا الموضع : أنه لما ذكر الحقيق بالحمد ، وأجرى عليه تلك الصفات العظام ، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن ، حقيق بالثناء وغاية للخضوع والاستعانة فى المهمات ، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل : إياك يا من هذه صفاته نخصك بالعبادة والاستعانة ، ولا نعبد غيرك ولا نستعينه ... »[11] .

هذا ، وقد جاءت فى فضل هذه الآية الكريمة آثار متعددة ، ومن ذلك قول بعض العلماء : الفاتحة سر القرآن ، وسرها هذه الكلمة ﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ فالأول تبرؤ من الشرك ، والثانى تبرؤ من الحلول والقوة ، (مع) التفويض إلى الله »[12] .

ثم بين ــ سبحانه ــ أن أفضل شىء يطلبه العبد من ربه ، إنما هو هدايته إلى الطريق الذى يوصل إلى أسمى الغايات ، وأعظم المقـــاصد ، فقـــال ــ تعالى ــ :

﴿ **اهدنا الصراط المستقيم . صراط الذين أنعـــمت عليهم . غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

والهداية : هى الإرشاد والدلالة بلطف على ما يوصل إلى البغية .

وتسند الهداية إلى الله وإلى النبى وإلى القرآن ، وقد يراد منها الإيصال إلى ما فيه خير ، وهى بهذا المعنى لا تضاف إلى الله ــ تعالى .

قال أبو حيان فى (البحر) ما ملخصه : وقد تأتى بمعنى التبيين كما فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾[13] أى بينا لهم طريق الخير ، أو بمعنى الإلهام كما فى قوله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾[14]

قال المفسرون معناه : ألهم الحيوانات كلها إلى منافعها ، أو بمعنى الدعاء فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[15] أى : داع . والأصل فى (هدى) أن يصل إلى ثانى معموليه باللام كما فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[16] أو بإلى كما فى قولـــه ــ تعـــالى ــ ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ﴾[17] ثم يتسع فيه فيعدى إليه بنفسه ومنه : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾[18] .

والصراط : الجادة والطريق ، من (سَرط) الشىء إذا ابتلعه ، وسمى الطريق بذلك لأنه يبتلع المارين فيه ، وتبدل سينه صاداً على لغة قريش .

---

(11) تفسير الكشاف جـ ١ ص ١٣ طبعة بيروت .

(12) راجع تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣ طبعة بيروت .

(13) فصلت : ١٧ .

(14) سورة طه

(15) الرعد : ٧ .

(16) الإسراء : ٩ .

(17) الشورى : ٥٢ .

(18) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ٢٥ .

والمستقيم : المعتدل الذى لا اعوجاج فيه .

وأنعمت عليهم : النعمة لين العيش وخفضه ، ونعم الله كثيرة لا تحصى .

﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ الغضب : هيجان النفس وثورتها ، عند الميل إلى الانتقام ، وهو ضد الرضا . وإذا أسند إلى الله فُسِّرَ بمعنى : إرادة الانتقام ، أو بمعنى الانتقام نفسه .

والموافق لمذهب السلف أن يقال : هو صفة له ــ تعالى ــ لائقة بجلاله لا نعلم حقيقتها مجردة عن اللوازم البشرية ، وإنما نعرف أثرها وهو الانتقام من العصاة ، وإنزال العقوبة بهم .

والمعنى : اهدنا يا ربنا إلى طريقك المستقيم ، الذى يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة ، ويجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من خلقك ، وجنبنا ــ يا مولانا ــ طريق الذين غضبت عليهم من الأمم السابقة أو الأجيال اللاحقة بسبب سوء أعمالهم ، وطريق الذين هاموا فى الضلالات ، فانحرفوا عن القصد ، وحق عليهم العذاب .

وفى هذا الدعاء أسمى ألوان الأدب ؛ لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له ــ سبحانه ــ قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد ، وأنه هو رب العالمين ، والمتصرف فى أحوالهم يوم الدين .

قال الإمام ابن كثير : وهذا أكمل أحوال السائل . أن يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ لأنه أنجح للحاجة ، وأنجع للإجابة ، ولهذا أرشدنا الله إليه لأنه الأكمل(١٩) .

وقد تكلم المفسرون كلاماً كثيراً عن المراد بالصراط المستقيم الذى جعل الله طلب الهداية إليه فى هذه السورة أول دعوة عَلَّمَهَا لعباده . والذى نراه : أن أجمع الأقوال فى ذلك أن المراد بالصراط المستقيم : هو ما جاء به الإسلام من عقائد وآداب وأحكام ، توصل الناس متى اتبعوها إلى سعادة الدنيا والآخرة ، فإن طريق الإسلام هو الطريق الذى ختم الله به الرسالات السماوية ، وجعل القرآن دستوره الشامل ، ووكل إلى النبى ﷺ أمر تبليغه وبيانه .

وقد ورد فى الأحاديث النبوية ما يؤيد هذا القول ، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، عن النواس بن سمعان ، عن رسول الله ﷺ أنه قال :

« ضرب الله مثلا صراطا مستقيما ، وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخاة ، وعلى باب الصراط داع يقول : يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعا ولا تعوجوا ، وداع يدعو من فوق الصراط ، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب قال له : ويحك لا تفتحه ، فإنك إن تفتحه تلجه ، فالصراط الإسلام ، والسوران حدود الله ، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعى من فوق الصراط واعظ الله فى قلب كل مسلم » .

والمراد بقوله ــ تعالى : ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ أى : ثبتنا عليه ، واجعلنا من المداومين على السير فى سبيله ، فإن العبد مفتقر إلى الله فى كل

(١٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦ .

وقت لكى يثبته على الهداية ، ويزيده منها ، ويعينه عليها . وقد أمر سبحانه المؤمنين أن يقولوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ سورة آل عمران

وجملة ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ بدل من الصراط المستقيم .

ولم يقل : اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم مستغنياً عن ذكر الصراط المستقيم ، ليدل أن صراط هؤلاء المنعم عليهم هو الصراط المستقيم .

وقال : ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم** ﴾ ولم يقل صراط الأنبياء أو الصالحين ، ليدل على أن الدين فى ذاته نعمة عظيمة ، ويكفى للدلالة على عظمتها إسنادها إليه – تعالى – فى قوله : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ لأن المراد بالإنعام هنا – على الراجح – الإنعام الدينى . فالمنعم عليهم هم من عرفوا الحق فتمسكوا به ، وعرفوا الخير فعملوا به .

قال بعض العلماء : (وإنما اختار فى البيان أن يضيف الصراط إلى المنعم عليهم لمعنيين :

أولهما : هو إبراز نفسية المحب المخلص ، وأنه يكون شديد الاحتياط دقيق التحرى عن الطريق الموصل إلى ساحة الرضا فى ثقة تملأ نفسه ، وتفعم قلبه ، ولا يجد فى مثل هذا المقام ما يملأ نفسه ثقة إلا أن يبين الطريق ، بأنه الطريق الذى وصل – بالسير عليه من قبله – الأنبياء والصديقون والشهداء والصالحون .

وثانيهما : أن من خواطر المؤمل فى نعيم ربه أن يكون تمام أنسه فى رفقة من الناس صالحين ، وصحب منهم محسنين)[٢٠] .

وقوله – تعالى – ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ بدل من ﴿ **الذين أنعمت عليهم** ﴾ وأتى فى وصف الإنعام بالفعل المسند إلى الله – تعالى – فقال : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ وفى وصف الغضب باسم المفعول فقال : ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ وفى ذلك تعليم لأدب جميل ، وهو أن الإنسان يجمل به أن يسند أفعال الإحسان إلى الله ، ويتحامى أن يسند إليه أفعال العقاب والابتلاء ، وإن كان كل من الإحسان والعقاب صادراً منه ، ومن شواهد هذا قوله – تعالى – حكاية عن مؤمنى الجن ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾[٢١]

وحرف (لا) فى قوله ﴿ **ولا الضالين** ﴾ جىء به لتأكيد معنى النفى المستفاد من كلمة غير . والمراد بالمغضوب عليهم اليهود . وبالضالين النصارى . وقد ورد هذا التفسير عن النبى ﷺ فى حديث رواه الإمام أحمد فى (مسنده) وابن حبان فى (صحيحه) .

ومن المفسرين من قال بأن المراد بالمغضوب عليهم من فسدت إرادتهم حيث علموا الحق ولكنهم تركوه عناداً وجحوداً، وأن المراد بالضالين من فقدوا العلم فهم تائهون فى الضلالات دون أن يهتدوا إلى طريق قويم .

---

(٢٠) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة الأستاذ الشيخ حامد محيسن بمجلة الأزهر السنة ٢٢ العدد ١٣ ص ٨٨٥ .

(٢١) تفسير سورة الفاتحة لفضيلة الإمام الأكبر المرحوم محمد الخضر حسين بمجلة لواء الإسلام العدد الأول من السنة الأولى ص ١٠ والآية من سورة الجن/ ١٠ .

وقدم المغضوب عليهم على الضالين ، لأن معنى المغضوب عليهم كالضد لمعنى المنعم عليهم ، ولأن المقابلة بينهما أوضح منها بين المنعم عليهم والضالين ، فكان جديراً بأن يوضع فى مقابلته قبل الضالين .

قال العلماء : ويستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها (آمين) ومعناه : اللهم استجب ، وليس هذا اللفظ من القرآن بدليل أنه لم يثبت فى المصاحف والدليل على استحباب التأمين ما رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذى عن وائل بن حجر قال : سمعت النبى ﷺ قرأ ﴿ **غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ فقال : (آمين) مد بها صوته .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة ــ رضى الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر الله له ما تقدم من ذنبه » .

هذا ، وقد أفاض العلماء فى الحديث عما اشتملت عليه سورة الفاتحة من آداب وعقائد وعبادات وأحكام ، ومن ذلك قول ابن كثير .

(اشتملت هذه السورة الكريمة ، وهى سبع آيات ــ على حمد الله وتمجيده والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا ، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين ، وعلى إرشاد عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه والتبرى من حولهم وقوتهم ، إلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية ، وتنزيهه عن أن يكون له شريك أو نظير ، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم ، وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه ، واشتملت على الترغيب فى الأعمال الصالحة ليكونوا مع أهلها يوم القيامة ، والتحذير من مسالك الباطل لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة ، وهم المغضوب عليهم والضالون)[٢٢] .

وقال بعض العلماء : سورة الفاتحة مشتملة على أربعة أنواع من العلوم هى مناط الدين .

أحدها : علم الأصول وإليه الإشارة بقوله ﴿ **الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم** ﴾ ، ومعرفة النبوات وإليه الإشارة بقوله : ﴿ **أنعمت عليهم** ﴾ ومعرفة المعاد وإليه الإشارة بقوله ﴿ **مالك يوم الدين** ﴾ .

وثانيها : علم الفروع وأعظمه العبادات وإليه الإشارة بقوله ﴿ **إياك نعبد** ﴾ .

وثالثها : علم الأخلاق ، وإليه الإشارة بقوله ﴿ **وإياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ .

ورابعها : علم القصص والأخبار عن الأمم السابقة السعداء منهم والأشقياء ، وهو المراد بقوله ﴿ **صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين** ﴾ .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

---

(٢٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٠ .

مع سورة يس

بقلم أ. د
ابراهيم
خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ
فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ
أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى
هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾

المناسبة :

بعد أن بين الله ـ تعالى ـ أن حدوث البعث لاشك فيه ، ومايكون فى يوم القيامة من الجزاء العادل . بين هنا ما أعده للمحسنين ثم أعقبه فى الآيات التالية بما أعده للمسيئين ، ترغيبا فى العمل الصالح وترهيبا من سوء الأعمال .

وقوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ .. ﴾ الآيات من جملة ما سيقال لهم يومئذ ، زيادة لندامة الكفار وحسرتهم ، فإن الإخبار بحسن حال   إثر بيان سوء حالهم مما يزيدهم مساءة وحسرة وندامة ، وفى هذا زجر لهؤلاء الكفار عما هم

فيه ، ودعاء إلى الاقتداء بسيرة المؤمنين ، وإنما عبر عما سيحصل لهم بالجملة الإسمية قبل تحقيقها لتنزيل المترقب الوقوع منزلة الواقع للإيذان بغاية سرعة وقوعها . والمعنى الأصلى لـ « شغل » الشأن الذى يصد المرء ويشغله عما سواه من شئونه ، لكونه أهم عنده من كل شيء ، إما لكونه يوجب كمال الحسرة والبهجة ، أو كمال المساءة والغم ، والمراد به فى الآية مايكونون فيه من فنون الملاذ التى تلهيهم عما عداها بالكلية ، وجاء نكرة للإيذان بتعظيمه وارتفاعه عن رتبة البيان ، وتوحى هذه الكلمة « فى شغل » بأنهم يوم البعث يعجل دخولهم ودخول بعضهم إلى الجنة ، ووقوف الباقين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار ، وتوحى أيضا بأنهم بكلياتهم (مقبولون عند الله) مقبلون على الله ، وقد كانوا فى الدنيا فى أشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات ، فالمؤمنون الصالحون إذا نزلوا فى روضات الجنات يوم القيامة كانوا فى شغل عن غيرهم بما يتمتعون به من اللذات والنعيم المقيم والفوز العظيم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهم كذلك فى شغل عما فيه أهل النار من العذاب ، ومعنى « فاكهون » ناعمون متلذذون فى النعمة ، وقد أخذت « فاكهون » من الفكاهة . وتفسر بطيب العيش ، والفاكه : الطيب النفس الضحوك .

يخبر الله فى هذه الآية أن من يدخل الجنة يتمتع بنعيمها ولذاتها ، ويكون ذلك فى شغل عما سواه ، فرحا ضحوك السن هادىء النفس ، لا يرى شيئا يغمه أو ينغص عليه حبوره وسروره ، ولأن النفس لا يتم سرورها إلا بالقرين الملائم قال تعالى :

﴿ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾

وهذه الجملة استئناف مسوق لبيان كيفية شغلهم وتفكههم ، وتكميلها بما يزيدهم بهجة وسرورا من شركة أزواجهم ، وبيان أنهم فى أسعد حال وأهنأ بال ، يشاركهم أزواجهم فى ذلك كله .

وأما من فى النار من أقاربهم وإخوانهم فيكونون عنهم فى شغل ، ولايتألمون من أجل تعذيبهم ، ولايشتهون حضورهم ، وفى المراد بالأزواج . أقوال كثيرة منها أن يراد أزواجهم المؤمنات اللاتى كن لهم الدنيا ومنها أنهم اللاتى زوجهم الله ــ تعالى ــ إياهن من الحور العين . قال تعالى :

﴿ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴾

الآية الصافات ــ ٤٨

وقال تعالى :

﴿ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴾

الرحمن ــ آية ٧٢

ومنها أن المراد بهن ما يعم الصنفين ، ومن المؤمنات اللاتى متن ولم يتزوجن فى الدنيا ، فإن الله تعالى يزوجهن فى الجنة من شاء من عباده ، ويدخل فيهن المؤمنات اللاتى تزوجن فى الدنيا بأزواج ماتوا كفار فأدخلوا النار مخلدين فيها وأدخلن الجنة كامرأة فرعون . فقد جاء فى الأخبار أنها تكون زوجة نبينا ﷺ ، ومنها أن يراد بأزواجهم : أشكالهم فى الإحسان وأمثالهم فى الإيمان .

وظلال فى قوله : ﴿ فِى ظِلَـٰلٍ ﴾ جمع ظل ، وفسر الظل بالوقاية عن مظان الألم ، ولأهل الجنة

من ظل الله ما يقيهم من كل ما يسيئهم ، ويدخل فى معنى الظل العزة والمنعة ، ويدخل فيه السقوف والأشجار ، قال رسول الله ﷺ : « إن فى الجنة شجرة يسير الراكب (فيها) فى ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرأوا إن شئتم ﴿ **وظل ممدود** ﴾(١) ، وهى ظلال يجدون فيها برد الأكباد وغاية المراد ، كما كانوا يشعرون أكبادهم فى دار العمل بحر الصيام والصبر فى مرضاتنا على الآلام ، ويعرون أيديهم وقلوبهم من الأموال ببذل الصدقات فى سبيلنا على مر الليالى وكر الأيام ، ومن معانى الظلال أن الشمس لا تصبهم لعدمها فى الجنة . قال تعالى :

﴿ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ ﴾

الدهر

ولما كان التمتع لايكمل إلا مع العلو الذى يمكن من زيادة العلم الموجب لارتياح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد النظر قال تعالى :

﴿ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾

جمع أريكة وهى السرير المزين العالى الذى عليه الفرش داخل الحجال ، وهذا جزاء لما كانوا يقومون به فى الدنيا من لزوم المساجد وغض الأبصار والتواضع لأجلنا ، « متكئون » إشارة إلى الفراغ والقدرة ، لأن المريض لا يقدر على الاتكاء وإنما يكون مضطجعا أو مستلقيا وهذا جزاؤهم على ما تحملوه فى الدنيا من آلام الوقوف بين أيدينا فى الصلوات ومجاهدة نفوسهم على فعل الطاعات وترك السيئات .

﴿ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

الغرض من ذكر هاتين الجملتين بيـــان ما ينعمون به فى الجنة من المآكل والمشارب ، ويتلذذون به من الملاذ الجسمانية والروحانية بعد بيان مالهم فيها من مجالس الأنس ومحافل القدس ، تكميلا لبيان ما هم فيه من الشغل والبهجة ، والمعنى لهم فيها فاكهة كثيرة من كل أنواع الفواكه .

وتوحى هذه الجملة بأنه لاجوع فى الجنة وأن الأكل فيها ليس لدفع الجوع ، وجملة (ولهم مايدعون) تحمل معانى كثيرة . منها أن دعاءهم مستجاب ، وليس بلازم أن يتقدم منهم الدعاء والطلب . فكل ما يخطر ببالهم يجدونه أمامهم . يعنى أن كل ما يصح أن يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب ، وعلى هذا فـ (يدعون) مأخوذ من الدعاء ، ويجوز أن يراد من الادعاء هنا . الطلب والإجابة ، وذلك لأن الطلب من الله فيه لذة . فيحصل لهم لذتان لذة الطلب ، ولذة الإجابة ، ومنها أن معنى « يدعون » يتمنون من قولهم : ادع على ما شئت أى تمن على فإنك تعطاه ، ومنها أن تكون بمعنى الدعوى ، ومعناه أنهم كانوا فى الدنيا يدعون أن لهم الله وهو مولاهـم ، وأن الكافرين لامولى لهم . فقال الله فى الجنة ما يدعون به الدنيا فكأن الله يقول : لكم أيها المؤمنون غدا ما تدعونه اليوم .

﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

هذه الجملة بيان لأكمل النعيم وأفضله ، فلا نعيم فوقه بل كل نعيم فى الجنة دونه ، وهذا السلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم أى يسلم عليهم من جهته تعالى بلا واسطة تعظيما لهم .

---

(١) رواه الشيخان . البخارى فى كتاب التـــفسير من صحيحه .. سورة « الواقعة » باب قوله « وظل ممدود » ، ومسلم فى كتاب الجنة وصفة نعيمها باب . إن فى الجنة شجرة .. إلى آخر الحديث « اللؤلؤ والمرجان فيما أتفق عليه الشيخان ٢/٤٢٩ .

وقال تعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ ﴾ الأحزاب ٤٤ ، وعن جابر – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : بينا أهل الجنة فى نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم ، فإذا الرب قد أشرق عليهم من فوقهم فقال : السلام عليكم يا أهل الجنة ، وذلك قول الله تعالى : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ ﴾ . قال : فينظر إليهم فلا يلتفتون إلى شىء من النعيم ماداموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم ويبقى بركته عليهم فى ديارهم[٢] ويستفاد من هذا الحديث أن الله يسلم عليهم وأنهم يرونه رأى العين قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة ٢٢ – ٢٣ ، وقال ﷺ « إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر لاتضامون فى رؤيته » ، ومع تحية الله لهم تسلم عليهم الملائكة قال – تعالى : ﴿ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴾ الرعد ٢٣ – ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ الزمر ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴾

هذه الجملة معطوفة على الجملة السابقة المسوقة لبيان أصحاب الجنة من عطف القصة على القصة ، ويجوز أن تكون مقولا لقول محذوف تقديره ويقال : امتازوا ، وهذا القول معطوف على القول المقدر العامل فى (قولا) من قوله : ﴿ سَلَامٌ قَوْلًا ﴾ .

يخبر الله – تعالى – عن حال الكفار يوم القيامة بتميزهم عن المؤمنين فى موقفهم . أى يقال للمجرمين الكافرين فى الآخرة تميزوا فى موقفكم عن المؤمنين وانفصلوا عنهم كما قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ . يونس – ٢٨

ومعنى زيلنا بينهم : ميزنا بينهم . فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ۝ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾ الروم – ١٤ – ١٦

وتحت هذا التميز معان كثيرة كلها مرادة .

أحدهما : امتازوا فى أنفسكم ، وتفرقوا بسبب ما يحصل لكم من الحسرة والندامة ، فالمجرم يرى منزلة المؤمن ورفعته ، ونزول دركته هو وضعته فيتحسر . فيقال لهم « امتازوا اليوم » إذ لا دواء لألمكم ولا شفاء لسقمكم .

الثانى : امتازوا عن المؤمنين وتفرقوا وادخلوا مساكنكم من النار فلم يبق لكم اجتماع بهم .

الثالث : امتازوا بعضكم عن بعض : اليهود فرقة ، والنصارى فرقة ، والمجوس فرقة ، والصابئون فرقة ، وعبدة الأوثان فرقة ، والماديون فرقة ، والملحدون فرقة .. وهكذا على خلاف ما للمؤمنين من الاجتماع بالإخوان ، وقد ذكر هذا الاجتماع فى قوله تعالى : ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ **فيكون لأهل النار فوق عذابهم فى جهنم عذاب الفرقة وهو أشد العذاب** .

(٢) أخرجه ابن ماجة فى المقدمة من سننه ٦٦/١ حديث رقم ١٨٤ ، وذكره السيوطى فى الجامع الكبير .

الرابع : امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم فمالكم اليوم حميم ولا شفيع قال ـ تعالى :

﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴾ .

غافر ١٨

الخامس : أن الله ـ تعالى ـ يقول : ﴿ **امتازوا** ﴾ فيظهر عليهم سيما يعرفون بها كما

قال ـ تعالى :

﴿ يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾

الرحمن ـ ٤١

فيتميزون بسيماهم ويظهر على جباههم أو فى وجوههم .

وإنما وصفهم بالإجرام لاعتدائهم على الحق وظلمهم وجناياتهم على أنفسهم حين تنكروا لعقولهم وأطاعوا شهواتهم .

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

مناسبة هذه الآية : أن الله ـ تعالى ـ لما ذكر حال المؤمنين والمجرمين . كان لقائل أن يقول : إن الإنسان كان ظلوما جهولا . والجهل من الأعذار . فقال الله تعالى . يكون الجهل من الأعذار عند عدم الإنذار ، وقد سبق الإنذار على السنة الرسل ، وقد عهدنا إليكم وتلونا عليكم ما ينبغى أن تفعلوه وما لا ينبغى .

وقوله : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ .. الآية من جملة ما يقال هم بطريق التوبيخ والتقريع والتبكيت والإلزام والمعنى الأصلى للعهد : أنه الوصية والتقدم بأمر فيه خير ومنفعة ، والمراد به فى الآية ما كان منه ـ تعالى ـ على ألسنة الرسل ـ عليهم السلام ـ من الأوامر والنواهى التى من جملتها قوله تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ ﴾

الأعراف ـ الآية ٢٧

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ ﴾

البقرة ـ ١٦٨

وغيرهما من الآيات الواردة فى هذا المعنى ، وهى كثيرة . وفى تعيين هذا العهد وجوه :

الأول : أنه العهد الذى كان مع أبينا آدم ـ عليه السلام ـ بقوله ـ تعالى :

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾

طه ـ ١١٥

الثانى : أنه هو الذى كان مع ذرية آدم بقوله ـ تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾

الأعراف ـ ١٧٢

الثالث : أن ذلك كان مع كل قوم على لسان رسول . قال تعالى :

﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة البقرة

وقال تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ الأنبياء ـ ٢٥

ومعنى قوله ﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ﴾ لا تطيعوه ولا تنقادوا له . لأن عبادته هى طاعته فيما يوسوس به إليهم ويزينه لهم ، وعبر عنها بالعبادة لزيادة التحذير والتنفير منها ، ويجوز أن يراد بها عبادة غير الله تعالى ، وإضافتها إلى الشيطان . لأنه الآمر بها المزين لها .

وقوله : ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ تعليل لوجوب الانتهاء ، وإنما كانت عداوة الشيطان ظاهرة بينه لما كان بينة وبين أبيكم « آدم » من إخراجكم من الجنة التى هى أشرف المنازل ، ولأمره إياكم بما ينغص الدنيا من التخالف والخصام ، ولتزيينه للقانى الذى لا يرغب فيه عاقل ، وفى معنى هذه الجملة قوله تعالى :

﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝٦ ﴾ . فاطر

﴿ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ۝٦١ ﴾ .

هذه الجملة معطوفة على (أن لا تعبدوا الشيطان) ، وقدم النهى عن عبادة الشيطان على الأمر بعبادة الرحمن من قبيل تقديم التخلية على التحلية ، والإشارة فى « هذا صراط » .. تعود على عبادته المأخوذة من قوله « وأن اعبدونى » .:. وهى التوحيد والإسلام ، وجملة « هذا صراط مستقيم » مستأنفة مبينة لمقتضى العهد بعبادته ـ تعالى ، وتنكير « صراط » للمبالغة فى التعظيم . أى : هذا صراط بليغ فى استقامته ، وعبادة الشيطان طريق معوج ضيق غاية الضيق والعوج .

ومعنى قوله ـ تعالى : ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ ﴾ وما بعدها : قد أوصيتكم وأمرتكم وتقدمت إليكم على لسان الرسل ـ يا بنى آدم ، ونصبت لكم الأدلة ومنحتكم العقول ألا تطيعوا الشيطان فيما يوسوس به إليكم من معصيتى ومخالفة أمرى ، فإن الشيطان ظاهر العداوة لكم من أبيكم « آدم » ـ عليه السلام ـ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فأخلصوا لى العبادة وخصونى بها فإنها المنهج القويم الموصل إلى جنات نعيم .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ـ إن أصحاب الجنة يتمتعون فيها متعة مادية وليست روحية فقط ، فهم فى شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصى فى النار وما هم فيه من أليم العذاب ، وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم .

٢ ـ يتمتع أهل الجنة بنعيمها هم وأزواجهم تحت ستور تظللهم على الأرائك متكئون .

٣ ـ لهم أنواع من الفاكهة لا تعدو ولا تحصى ولهم كل ما يتمنون ويشتهون فمهما طلبوا وجدوا من جميع أصناف الملاذ .

٤ ـ ولهم أكمل الأشياء وآخرها الذى لا شئ فوقه وهو السلام من الله رب العالمين الرحمن الرحيم . إما بواسطة الملائكة أو بغير واسطة مبالغة فى تعظيمهم وذلك أقصى ما يتمنونه .

٥ ـ إن سياسة العزل للمجرمين ستطبق فى الآخرة بنحو تام وشامل فيميز المجرمون عن المؤمنين تحقيراً لهم وإعداداً لسوقهم إلى نار جهنم ، وذلك حين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة فيقال لهم : اخرجوا من جملتهم .

٦ ـ يعاقب الكفار قبل أن يعاقبوا فيقال لهم: **ألم أعهد إليكم ألا تعبدوا الشيطان ، وأن تعبدونى فإن عبادتى دين قويم.**

قبس من أنوار النبوة

من رحمة رسول الله ﷺ بأمته

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

ورد عن عون بن أبى جُحَيْفَةَ عن أبيه «أن رسول الله ﷺ آخى بين سلمان وأبى الدرداء ، قال : فجاء سلمان يزور أبا الدرداء ؛ فرأى أم الدرداء مُتَبَذِّلَةً ـ رثة الثياب ـ فقال : ما شأنك ؟ إن أخاك ليست له حاجة فى الدنيا . فلما جاء أبو الدرداء ، رحب به سلمان ، وقرب إليه طعاما ، فقال له سلمان : أطعم . قال : إنى صائم ، قال : أقسمت عليك إلا طعمت ؛ فإنى ما أنا بآكل حتى تأكل ، قال : فأكل معه وبات عنده ؛ فلما كان من الليل ، قام أبو الدرداء فحبسه سلمان ، ثم قال : يا أبا الدرداء ، إن لربك عليك حقا ، ولأهلك عليك حقا ، ولجسدك عليك حقا ، أعط كل ذى حق حقه ، صم وأفطر ، وقم ونم ، وأت أهلك .

فلما كان عند الصبح قال : قم الآن ؛ فقاما فصليا ثم خرجا إلى الصلاة ؛ فلما صلى النبى ﷺ قام إليه أبو الدرداء فأخبره بما قال سلمان . فقال له رسول الله ﷺ مثل ما قال سلمان وفى البخارى : فقال النبى ﷺ : « صدق سلمان » رواه البخارى ، والترمذى وأبو نعيم والدارقطنى واللفظ لابن حبان .

البيان :

إن الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة للعالمين ، سماه ربه الرءوف الرحيم ، جعل الترابط بين المسلمين ، ورحمة بعضهم بعضا ، وإرشاد بعضهم لبعض من أفضل القربات ، ورفع عون الناس بعضهم لبعض إلى الذروة بين الأعمال الصالحة . وفى ذلك يقول ﷺ : « لأن أمشى مع أخ فى حاجة ، أحب إلىَّ من أن أعتكف فى مسجدى هذا شهرا .. » ويبين أن أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس .

« كان عبد الله بن عباس – رضى الله عنه – معتكفا فى مسجد رسول الله ﷺ ، فأتاه رجل فسلم عليه ثم جلس ، فقال له ابن عباس : يا فلان أراك مكتئبا حزينا قال : نعم يا ابن عم رسول الله ﷺ . لفلان علىَّ حق ولاء – دين – وحرمة صاحب هذا القبر ما أقدر عليه قال ابن عباس : أفلا أكلمه فيك ؟ قال : إن أحببت . قال : فافتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ؛ فقال له الرجل : أنسيت ما كنت فيه ، قال : لا ، ولكنى سمعت صاحب هذا القبر ، والعهد به قريب – فدمعت عيناه – وهو يقول : من مشى فى حاجة أخيه ، وبلغ فيها كان خيرا له من اعكاف عشر سنين . ومن اعتكف يوما ابتغاء وجه الله – تعالى – جعل الله بينه وبين الناس ثلاثة خنادق أبعد مما بين الخافقين » رواه البيهقى

لقد آثر ابن عباس أن يدع اعتكافه ، مع أنه عبادة رفيعة الدرجة عند الله لما فيه من استغراق فى الصلاة والصيام والذكر . ثم هو فى مسجد رسول الله ﷺ حيث يضاعف الأجر ألف مرة فوق المساجد الأخرى . ومع ذلك ، فإن فقه ابن عباس الذى تعلمه من رسول الله ﷺ جعله يدع ذلك ليقدم خدمة إلى مسلم .

إن هدى الإسلام يتجلى واضحا فى منهجه ﷺ حيث يجعل مشاكل الناس والسعى فى إيجاد حلول لها ، كالعبادة التى يتقرب بها إلى الرب جل شأنه .

روى البخارى ، بسنده – عن عبد الله بن عمرو ، قال : انكحنى أبى امرأة ذات حسب فكان يتعاهد كنته ؛ فيسألها عن بعلها ؛ فتقول : نعم الرجل . لم يطأ لنا فراشا ، ولم يفتش لنا كفنا – سترا – منذ أتيناه . فلما طال ذلك عليه ذكر للنبى ﷺ فقال : « ألقنى به » ، فلقيته بعد فقال : « كيف تصوم ؟ » قال كل يوم . قال : « كيف تختم ؟ » قال : كل ليلة . قال : « صم كل شهر ثلاثة » . وأقرأ القرآن فى كل شهر . قال : قلت : إنى أطيق أكثر من ذلك قال : أفطر يومين وصم يوما ، قلت : أطيق أكثر من ذلك . قال : صم أفضل الصوم صوم داود . صيام يوم وإفطار يوم . واقرأ فى كل سبع ليال مرة » .

فليتنى قبلت رخصة رسول الله ﷺ وذلك أنى كبرت وضعفت .

وفى رواية ابن حبان قال عبد الله : ولأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول الله ﷺ كان أحب إلىَّ من أهلى ومالى » .

فقد علمه الرسول أن أحب العمل إلى الله أدومُهُ ـ وإن قل ـ حتى لا يمل ولا يسأم ، ولكنه شدد على نفسه .

وفى حديث عثمان بن مظعون ـ رضى الله عنه ـ ذلك العابد المتبتل ، الذى همَّ ذات يوم أن يخصى نفسه ليتخلص من نداء الغريزة الجنسية .

وذات يوم رأى الرسول ﷺ إحدى النساء فى هيئة رثة فيسأل النبى عن أمرها ؛ فتقول أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ إنها زوجة عثمان بن مظعون ، وإنها تشكو حالها ، فزوجها مشغول عنها بالعبادة يصوم نهاره ، ويقوم ليله .

فذهب رسول الله ﷺ إلى حيث لقى ابن مظعون ، وقال له : « أما لك بى أسوة .... » قال الصحابى : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، وما ذاك ..؟ « إنى لأفعل ، قال الرسول : لا تفعل ... « إن لجسدك عليك حقا ... وإن لأهلك عليك حقا ... » ، وامتثل الصحابى نصح رسول الله .. وأدى حق أهله وفى صباح اليوم التالى ذهبت زوجة عثمان بن مظعون إلى بيت النبى فى هيئة نضرة فيراها النسوة فى زينة وبهاء . ويقلن لها .. ما هذا يا زوج ابن مظعون . فتقول : وهى تضحك : أصابنا ما أصاب الناس .

وفى حديثنا : يرى سلمان الفارسى الذى آخى الرسول بينه وبين أبى الدرداء زوجة أخيه فى هيئة رثة فيسأل عن أمرها ، فتقول : إن أخاك ليست له حاجة إلى الدنيا .

فكان منه النصيحة العملية لأخيه ـ رضى الله عنهما ، وهى نصيحة أقرها رسول الله ﷺ ، بل قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فيما روى البخارى : صدق سلمان .

وفى الحديث : نصح المسلم لأخيه المسلم ، وتنبيهه إذا غفل .

وفضل قيام آخر الليل .

وجواز النهى عن المستحبات إذا خشى أن يفضى ذلك إلى السآمة والملل .

وفيه جواز الفطر من صوم التطوع .

وتلك نبذة من تعاليم الإسلام السمحة ، لا عَنَتَ فيها ولا إرهاق . إن الدين يسر . فسددوا وقاربوا وأبشرو .

فضل الزراعة والزرّاع

فضيلة الدكتور / محمود سالم الخطيب

عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ كان يوما يحدث وعنده رجل من أهل البادية أن رجلا من أهل الجنة استأذن ربه فى الزرع ، فقال له ألست فيما شئت ؟ قال بلى ، ولكنى أحب أن أزرع ، قال فبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده فكان أمثال الجبال فيقول الله ـ تعالى ـ دونك يا بن آدم فإنه لا يشبعك شىء ، فقال الأعرابى والله لا نجده إلا قرشيا أو أنصاريا ، فإنهم أصحاب زرع ، وأما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك النبى ﷺ رواه البخارى.

● أستأذن : أى طلب وسأل ربه الزرع.

● فبذر : أى ألقى البذر فى الأرض.

● فبادر : أى أسرع.

● الطرف : بفتح الطاء وسكون الراء امتداد لحظ الإنسان إلى أقصى ما يراه ، ويطلق على حركة الجفن.

● الحصد : أى الجذ والقطع.

● لا يشبعك شىء : وصف لعدم القناعة وطلب الزيادة.

ترجمة راوى الحديث

أبوهريرة هو : عبدالرحمن بن عامر بن طريف بن عتاب ، وهو دوسى من اليمن ، وفى اسمه خلاف كبير ، قيل : شهرته بكنيته حتى نسى الناس اسمه ، وقال كان اسمى فى الجاهلية عبدشمس فسمانى رسول الله ـ ﷺ ـ عبدالرحمن .

وقد أجمع أهل الحديث أنه أكثر الصحابة حديثا ، ولكنه ـ رضى الله عنه ـ لم ينفرد بحديث وفى ذلك أبلغ الرد عن من نال منه ، روى عنه كثير من الصحابة والتابعين ، ومنهم : ابن عمر وابن عباس ـ رضى الله عنهم ـ وغيرهما ، ومن التابعين : مروان بن الحكم وسعيد بن المسيب

وغيرهما ـ رضى الله عن الجميع .

وقال البخارى : روى عن أبى هريرة ثمانمائة من أهل العلم ، وكان هو وأهل بيته يقسمون الليل للعبادة ، وأخرج البغوى عن أبى هريرة أنه لمَّا حضرته الوفاة بكى ، فسئل فقال « من قلة الزاد وشدة المفازة » وكانت وفاته بالعتيق قريبا من المدينة المنورة ، وحمل إلى المدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين هجرية ـ رضى الله عنه .

المعنى العام للحديث

حرص النبى ﷺ أن يذكر لأصحابه بعض أخبار أهل الجنة حتى تكمل الموعظة وتتم الفائدة ، وينتفعون بعمل الخير ويجتنبون الشر ، ومما ذكره النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ من أخبار أهل الجنة هذا الحديث الذى نحن بصدده ، ومعناه أن رجلا من أهل الجنة أستأذن ربه فى الزرع فقال له : إن شأنك فيما أنت فيه ، فإنك تزرع ، فأذن الله له وقال له دونك فازرع ، فبذر فبادر الطرف فما كان بين البذر والحصد والتكوير والتكويم[1] إلا لمح البصر ـ شأن كل عمل فى الجنة ـ فيقول الله ـ تعالى ـ له : تمتع يا بن آدم.

فضل الزراعة

قال الحافظ ابن حجر : جاء لفظ الرجل لأنه الأغلب ، فيشمل : المرأة كذلك ، لأن الإسلام قد سوى بينهما فى كل أمر يمكن المساواة فيه ، وكما يقول علماء الأصول : كل خطاب للذكور فإنه يشمل النساء ولا يخرجن من هذا الخطاب إلا بمخصص ، والحديث يبين فضل الزراعة وفضل الزراع ، وأن كل ما يخرجونه من هذا العمل يكون على سبيل الصدقة فهو صدقة متقبلة .

عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة »[2] والتقييد بالمسلم جرى على الغالب ، لأن الذى يمتثل لأوامر الله ورسوله فى الغالب إنما هو المسلم .

ولا مانع من أن يكون الثواب شاملا للمسلم وغيره ، فقد وردت رواية أخرى صحيحة « ما من رجل » واتفق العلماء على أن الكافر يثاب على أعماله فى الدنيا بكثرة المال والولد وأما فى الأخرة فيثاب بتخفيف عذاب غير الكفر[3] .

كذلك من الأعمال التى يجرى ثوابها بعد موت بن آدم : غرسا غرسه ، فصدقته جارية قال ﷺ : « إذا مات بن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له أو علم ينتفع به من بعده »[4] رواه مسلم وعدد منها : الزرع ، ولذلك حث النبى ـ ﷺ ـ على هذا العمل حتى عند قيام الساعة .

---

(١) التكوير والتكويم : أى الجمع والمراد أنه لما بذر لم يكن كل وذلك وبين استواء الزرع ونجاز أمره من القلع والحصد والتذرية والجمع إلا قدر لمح البصر .

(٢) رواه البخارى .

(٣) راجع شرح القسطلانى فى ذلك .

(٤) رواه مسلم .

قال ﷺ : « إذا قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة(٥) فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل(٦)

ثواب للمالك والمستأجر

وكذلك يستحق هذا الثواب من كان مستأجرا للأرض ، وأما الأحاديث التى وردت عن نهى تأجير الأرض مثل قوله ﷺ عن جابر – رضى الله عنه – « من كانت له أرض فليزرعها فإن لم يستطع أن يزرعها وعجز عنها فليمنحها أخاه المسلم ولا يكْريها(٧) » .

فالنهى عن الإجارة إما للكراهة وإما لما يخرج من ثمر الأرض فإذا أجرها له بمال ، صح ذلك لورود الأحاديث فيها ، استشكل بعضهم هذا الحديث مع وصف الله – تعالى – لأهل الجنة فى قوله – تعالى :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾ ١١٨ سورة طه

وأجيب بأن نفى الشبع أعم من الجوع لثبوت الواسطة وهى الكفاية ، وأكل أهل الجنة لا عن جوع فيها أصلا ، لنفى الله – تعالى – عنهم ذلك ، واختلف فى الشبع ، والمختار : أن لا شبع لأنه لو كان فيها لمنع طلب الأكل المستلذ ، وإنما أراد الله – تعالى – بقوله « لا يشبعك شيء ذم ترك القناعة بما كان وطلب الزيادة عليه(٩)

وتأسيساً على ما تقدم يستفاد من الحديث أن كل ما اشتهى فى الجنة من أمور الدنيا ممكن فيها ، ووصف الناس بغالب عاداتهم ، وإن النفوس جبلت على الاستكثار من الخير .

وفق الله المسلمين للتمسك بكتابه وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – .

---

(٥) فسيلة : أى الشتلة من النخيل .
(٦) رواه أحمد .
(٧) يكريها : أى يؤجرها .
(٨) رواه النسائى
(٩) فتح البارى .

الإمام يحيى بن معين

عرض وتقديم الأستاذ/ أحمد تقى الدين

علم الحديث من أشرف العلوم ، وأعظمها منزلة ، وحين ظهر من بعض الرواة الخلل فى ضبطه بادر فريق من الحفاظ الأمناء منهم من ذوى الفهم والفطنة لدراسة الحديث سندا ومتنا ، فتتبعوا أحوال الرجال ، وقارنوا بين ما يروونه من أخبار للوقوف على ما قد يطرأ على نقلهم من خلل أو اختلاف ، خاصة بعد ظهور الفتن وتعدد أهل النحل ، بحيث لم يعد هناك مجال لحسن الظن ، وتقبل الأحاديث ، دون معرفة بالطريق الذى نقلت عنه ، فكان الهدف والغاية : معرفة رواة الحديث ، فإن كانوا أهل ثقة قُبل منهم ، وإن كانوا ممن لا يُعْرَف أو لا يوثق بنقله رد حديثه ولم يقبل .

لذا قام نفر من المحدثين بمهمة النقد والتصدى له ، والتفرغ له حتى عرفوا به ، ومن هؤلاء الإمام يحيى بن معين .

حياته وسيرته :

هو الإمام يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام بن عبدالرحمن المُرِّى الغطفانى .

كانت ولادته فى بغداد فى آخر خلافة أبى جعفر المنصور فى آخر سنة ثمان وخمسين ومائة ، وتوفى سنة ثلاث وثلاثين ومائتين لتسع أو لسبع بقين من ذى القعدة عن سبع وخمسين عاما ؛ وكانت وفاته بالمدينة المنورة عندما كان فى طريقه لأداء فريضة الحج .

أما والده فهو معين بن عوف بن زياد ، من نبلاء الكتاب ، عمل كاتبا لعبدالله بن مالك والى طبرستان والرى وما حولهما ، ثم صار على خراج الرى ، وهذه المناصب تركت له ثروة كبيرة آلت إلى ابنه يحى .

° اعتمدنا فى اعداد هذا المقال على بحث علمى منشور لفضيلة الدكتور أحمد محمد نور سيف بعنوان : (يحيى بن معين وكتابه التاريخ) ويقع فى أربعة أجزاء من القطع الكبير ، حصل به فضيلته على درجة الدكتوراه فى علوم الحديث من كلية أصول الدين ـ جامعة الأزهر فى الخامس من شوال ١٣٩٦هـ/٢٩ من ديسمبر ١٩٧٦م وصدرت طبعتـــــه الأولى عام ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة بمكة المكرمة ، وطبعت بمطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.

وتعتبر كلمتنا هذه تعريفا بهذا الكتاب القيم الذى لا يستغنى عنه طالب « علم الحديث الشريف » .

ورغم الثروة والجاه كان يحيى بن معين زاهدا متقللا ، مؤثرا إنفاق تلك الثروة فى طلب الحديث وجمع السنن ، وكان يرى فى المال وسيلة قد تكون سبب سعادة المرء أو شقائه .

ومع زهده وتقشفه لم يعزف عن نهج الحياة فقد كان ذا زوج وولد .

عاصر يحيى بن معين فترة تنازعت اقطارها مدرستان بارزتان فى اتجاههما الفقهى : مدرسة المدينة ، ومدرسة الكوفة .

ولكل من المدرستين ملامح تميزت بها عن الأخرى ويمثل كلا من المدرستين أئمة مجتهدون ، قد تختلف وجهات نظرهم أحيانا ، لكن ينتظم مسيرتهم اتجاه معين نابع من تأثرهم بمشيختهم الأولى ، ورضى كل من الفريقين بمشيخته . وطريقة تفكيرها واجتهادها .

وإلى جانب هاتين المدرستين ، توجد مدرسة أخرى غلب عليها الحديث ، فتميزت به ، وإن كانت مع هذا الاتجاه متأثرة بآثار الصحابة والتابعين التى تنتمى إليها إحدى المدرستين ، مما يقرب وجهات النظر بين رجال كل مدرسة ، وإن كانوا رجال رأى أو أثر .

وقد يغلب على أفراد فى إحدى المدرستين النزوع إلى الأخرى .

ولصلة يحيى المبكرة بشيوخ الكوفة ـ ثم البصرة ـ فقد تأثر باتجاه فقهائها ومحدثيها ، وكان شديد الاعجاب بسفيان الثورى ، وثيق الصلة بوكيع ، وأبى نُعَيْم ، ويحيى بن سعيد القطان ، وابن مهدى ، وعبدالله بن المبارك ، وكل منهم ينهج مذهبا يغاير الآخر .

وعلى الرغم منشدة إعجاب يحيى بالثورى ، ومن نظرته المنصفة لأبى حنيفة وأمثاله من الفقهاء كالحسن بن حىّ ، وغيره ، فلم يلتزم بمذهب من تلك المذاهب . وإنما كان ينهج منهج أهل الحديث .

وكان فى اجتهاده يقف إلى جانب المدنيين ، وتارة يوافق الكوفيين ، وتارة يتفق مع المدنيين ، وتارة يختار رأيا يباينهما فيه ، وقد يجنح تارة أخرى عن مذهبه فى مسائل تخالف منهج المحدثين .

وكان يفتى فى المسائل التى يُسأل عنها ، ويذكر دليله فيها استدلال مجتهد فإذا جاء الخلاف ، ذكر أن هذا مذهب مالك ، وذاك مذهب أبى حنيفة .

عقيدته .

ولد يحيى بن معين بعد أن مضى على تأسيس الدولة العباسية ربع قرن تقريبا ، وأصبحت الكوفة مركزا للشيعة وكانت الشام موئلا للناصبة أعداء علىًّ وشيعته كما كانت البصرة موالية لهم ، وإلى جانب هؤلاء وأولئك طوائف أخرى منهم الخوارج الذين لم يستقر لهم رأى ، كما ظهر القول بالقدر والجبر ، والقول بالإرجاء ؛ والتجهم ، وكان لكل فرقة أنصار ينافحون عن مذاهبهم .

كما أذكى العهد الجديد النزعات والنحل التى كانت فى دور التكوين بالروافد الغريبة التى غزت ديار الإسلام من الثقافات الهندية والفارسية واليونانية ، كذلك وجدت المعتزلة تربة خصبة للنمو والظهور حتى استطاعت أخيرا أن تثب إلى مكان السلطة والتحكم فى رقاب الأمة .

وقد احتك يحيى بن معين بأتباع هذه الطوائف

فى بغداد ، وغيرها من الأمصار التى رحل إليها ، وخصوصا الكوفة والبصرة ، وخَبَرَ ما عندها وما تنتحله وما تدعو إليه .

وقد عصمه الله كما عصم كثيرا غيره من النقاد والمحدثين من هذه النحل المختلفة ، فاختار منهج السلف ولزوم الجماعة ومذهب السنة ، منهج القصد والاعتدال .

ومع ذلك فقد جافى هذه الفرق ، وأعلن رأيه فى مختلف المناسبات فيها ، وصاغ ذلك فى عدد من النصوص ، ففى موقفه من الشيعة والناصبة فى الإمامة يقول : « خير هذه الأمة ـ بعد نبيها ـ أبوبكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم على ، هذا قولنا ، وهذا مذهبنا » .

المحنة

عاصر الإمام يحيى بن معين محنةالقول بخلق القرآن ، تلك الفتنة التى اصطلى بنارها العلماء وتباينت منها مواقفهم ، بين الوقوف فى وجه السلطة ، والثبات على الحق ، وبين الخوف من وعيدها وإرهابها وتهديدها بالإيذاء والقتل ، وبين الانسياق فى تيارها ، إما جهلا ، وإما سعيا وراء مغنم .

وكما تباينت مواقف العلماء والمحدثين والفقهاء ن التهديد والوعيد تباينت كذلك مواقف السلطة منهم ، فقد اكتفت بالتهديد بالنسبة لفريق منهم ، وبالحرمان من الجرايات بالنسبة لفريق آخر ، وبالحبس والتعذيب لآخرين ، وقتلت البعض منهم ، وتجاهلت البعض الآخر .

وأخذت السلطة سبعة من المحدثين والفقهاء فى عنف وخشونة وحملتهم من بغداد إلى الخليفة المأمون بالرقة لامتحانهم ، وتعمد بذلك إرهابهم ، وتخويفهم ومن هؤلاء السبعة : يحيى بن معين ، وتحقق لديهم أنهم قادمون على عذاب ونكال ، وأنهم بين أمرين لا مفر منهما ، إما التمنع وعدم الاستجابة ، وبذلك قد يتعرضون لأمور لا يطيقونها ونكال لا يقوون عليه ، وإما أن يعلنوا موافقتهم فينجوا من هذا البلاء ، وهم مقيمون على ما يعتقدون ، ولهم فى ذلك مندوحة ، بأنهملم يستجيبوا إلا تحت الإكراه والإرغام .

﴿ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ١٠٦

ولعل يحيى بن معين ظل يشعر دائما بالندم على تلك الاستجابة فكان يقرر فى مجلسه دائما ما يريد أن يُكفِّر به عن تلك الكلمة التى قالها خوفا وخشية (القرآن كلام الله وليس بمخلوق) .

حيـــاته العلميـــة

توجه يحيى منذ صباه إلى علم الحديث وتدوينه والسهر عليه ، وكان يقول : « إنى لأحدث بالحديث ، فأسهر له مخافة أن أكون قد أخطأت فيه . » .

وكان منهجه فى طلب الحديث وحرصه عليه قوله : « حكم من يطلب الحديث ألا يفارق محبرته ومقلمته وألا يُحضِّر شيئا[1] يسمعه فيكتبه[2] .

وكان يكره الانتخاب ويذمه ويقول :

(١) أى لا يعتمد على ذاكرته .

(٢) أى يكتب الحديث فور سماعه .

« صاحب الانتخاب يندم »[3] ولذا كان يكتب على الوجه[4] لئلا يسقط عليه حديث .

ولا شك أن هذه الرغبة ، وهذا الحرص قد عادا عليه بثروة هائلة من الأحاديث ، لم تعرف عند غيره .

شـــيوخه

أما شيوخه ومن تأثر به منهم .. فهم :

ـ أبو كامل المظفر بن مدرك الخراسانى (توفى سنة ٢٠٧ هـ) ، الحافظ ، نزيل بغداد ، روى عن حماد بن سلمة ، وأبى خيثمة وغيرهم .

ـ أبوسلمة الخزاعى ، منصور بن سلمة (توفى سنة ٢١٠ هـ) الحافظ البغدادى ، روى عن عبدالله بن عمر العمرى ، ويعقوب بن عبدالله العمى ، ومالك ، وسليمان بن بلال .. وغيرهم .

ـ أبوسهل ، الهيثم بن جميل (توفى سنة ٢١٣ هـ) الحافظ البغدادى نزيل انطاكية ، روى عن جرير بن حازم ، وزهير بن معاوية ، وحماد بن سلمة ، ومالك ، والليث ، وغيرهم .

وهذه هى المشيخة الأولى التى تلقى عنها وتدرب على يديها والتى كان لها أثر كبير فى نبوغه ، وتوجيهه هذه الوجهة فى تلقى الحديث والتصدى لدراسته ونقد رجاله .

وإلى جانب هؤلاء مشيخة أخرى ، كانت لها مكانة فى الأمصار ، عرفت بسعة علمها وعلو مكانتها ، وتصدر البعض منها لدراسة أحوال الرجال ونقدهم ، وجمعت إلى ذلك الإمامة فى الزهد والتقوى والورع ، ومن أبرز هؤلاء :

سفيان بن عيينة ، وكيع بن الجراح ، وعبدالله بن المبارك ، وهشيم بن بشير ، ويحيى بن سعيد القطانى ، وعبدالرحمن بن مهدى ، وعبدالرزاق بن همام ، وهشام بن يوسف ، وعبدالأعلى بن مسهر ، وعبدالله بن نمير .

تلامـذته

وقد أخذ عن يحيى بن معين أقرانه وتلاميذه من أئمة النقد وكبار المحدثين ، وغيرهم من التلاميد الذين عنوا بالبحث عن أحوال الرجال ، والوقوف على علل الأحاديث وغير ذلك من علوم الحديث إلى جانب تلقى الحديث وأخذه .

ومن النقاد وكبار المحدثين الذين أخذوا عنه :

أحمد بن حنبل ، أبوخيثمة زهير بن حرب ، عبدالله بن محمد المسندى ، داود بن رشيد ، هناد بن السرى التميمى .

ومن أقرانه

محمد بن إسماعيل البخارى ، مسلم بن الحجاج ، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستانى ، إبراهيم بن يعقوب الجوزجانى ، أحمد بن إبراهيم الدورقى ، محمد بن سعد كاتب الواقدى ، محمد بن هارون الفلاس ، محمد بن يحيى الذهلى ، يعقوب بن شيبْة السدوسى ، أبوزُرْعة الرازى ، أبوزُرْعة الدمشقى ، وخلائق لا يحصون .

(٣) بمعنى أنه يجب على راوى الحديث ألا ينتخب ـ أى لا يختار ـ من الروايات التى سمعها .

(٤) أى يكتب على وجه واحد من الورقة حتى لا يضيع منه ما يكتبه على الوجه الآخر .

رحــلاته

كان ليحيى بن معين ولع بالرحلة منذ الصغر طلبا للحديث وجمع السنن وقد حج ماشيا وهو فى الرابعة والعشرين ، وزار البصرة ، واليمن وأخذ عن شيوخها وزار الرى وأخذ من شيوخها ، وزار مصر ومكث بها سنتين وأشهرا ، ثم مر بالشام وزار حمصا .

وهكذا اتسعت رحلاته تجاه الشرق والغرب والشمال والجنوب من ديار الإسلام فى تلك الحقبة ، وجمع ثروة عظيمة من الآثار ، ونقب عن أحوال الرواة فى تلك الأصقاع بدراسة مروياتهم من جهة ، وآراء فقهاءهم فيهم من جهة أخرى ، ولذا عد من النقاد الذين تكلموا فى سائر الرواة .

عنـايته بالحـديث

ولقد كتب من الحديث وجمع من الأصول شيئا كثيرا ، بحيث أصبح الإكثار من الأحاديث عنه رغبة ملحة ، يقول : « أشتهى أن أقع على شيخ عنده بيت ملىء كتبا ، أكتب عنه وحدى . » .

ولا غرابة فى كثرة هذه الأحاديث وتعدادها ، فإن المهمة التى تصدى لها يحيى فى الأحاديث تقضى بجمع أكبر عدد ممكن من طرق الأحاديث لدراستها دراسة وافية ، وكان منهجه فى هذا الجمع : « إذا كتبت فَقَمِشْ ، وإذا حدثت ففتش » ، ولذلك كان يعطى حكما سليما على على ما فى الأحاديث من علة أو خلل أو زيادة ، أو غير ذلك من اختلاف فى المتن أو الإسناد ، وكان لا يصدر الحكم إلا بعد دراسة وتمحيص ، سبقهما تدوين وجمع وإكثار منهم ، حتى تتكامل جوانب المقارنة والاستنتاج .

ولذا كان يحيى بن معين يكتب الحديث نيفا وخمسين مرة وعلى هذا المنهج كانت تنبنى المعرفة عند يحيى بالرجال .

الـكذابون

ولم يقتصر على أحاديث الثقات والمحتملين فى الرواية ، بل اتسعت دائرته حتى شملت الإكثار عن الكذابين ، ولم يكن الإكثار عن الكذابين عنده لذاته ، وإنما لتوقعات المستقبل أيضا ، وما يمكن أن يقدم عليه الكذابون أو يفكر فيه الختلقون ، حيث لم يكن نشاطهم قاصرا على الاختراع والابتداع ، بل ذهبوا فى ذلك شوطا أبعد ، فصاروا ينتحلون ويتسترون بذلك ، ويُعِمَّون ويلبسون فلا يكشف ألاعيبهم إلا الخبير بالرواة وما يروون من أحاديث ، وما يُعْرَفُون به من طرق ، فلا يمكن لأى منتحل أو كذاب أن يندس فى صفوفهم أو يغرب فتنطلى أحاديثه على الناس ، وكان يحيى يقول : « كتبنا عن الكذابين ، وسجرنا به التنور ، وأخرجنا به خبزا نضيجا » .

وكان نتيجة ذلك الجمع والتتبع أن التقت خيوط الأسانيد عن الأمصار المختلفة فى يديه وشهد له العلماء بأنه ورث تلك الثروة الهائلة فصار المنتهى إليه فى علم الحديث وفى رواية عن أبى القاسم بن سلام : « .. أعلمهم بصحيحه وسقيمه ابن معين » .

ولكى تتحقق الفائدة من تلك المادة الكثيرة

•• أى اجمع .

أهتم يحيى بتصنيفها وتنظيمها .

والتصنيف : جمع حديث الرجل وتبويبه على مسانيد(*) ، أو على أبواب .

مؤلفاته

لم يباشر يحيى بن معين تأليف كتب فى مادة النقد بالمعنى المتعارف عليه ، فقد أغناه تلاميذه عن تلك المهمة ، حيث دونوا عنه كل ما تلقوه منه من معارف ، ومعظمها فى « ميدان الجرح والتعديل » ، و« علل الأحاديث » وما يتعلق بهما ، ولقد كانت مجالسة تغص بطالبى هذا الفن وكثروا كثرة لم تعرف عند غيره ، ونقل الرواة عنه روايات مختلفة اختلفت قلة وكثرة وتنوعت واختلفت مستوياتهم بحسب طريقة كل راو منهم وهى :

ـ التاريخ : لأبى الفضل العباس بن حاتم الدورى .

ـ معرفة الرجال : لأحمد بن القاسم بن محرز .

ـ سؤالات ابن الجنيد : لإبراهيم بن عبدالله الجنيد الْخُتَّلِى .

ـ التاريخ فى تجريح الرواة وتعديلهم : لعثمان بن سعيد الدارمى .

وفى الحديث :

ـ جزء فيه حديث الصوفى عن يحيى بن معين .

ـ جزء فيه حديث المروزى عن يحيى بن معين .

ـ جزء فيه حديث الشيبانى عنه .

ولعل ذلك . راجع إلى أنه كان يتقلل من التحديث ، وعدم عقد الحلقات المعروفة عند المحدثين الآخرين للإملاء والتحديث والعرض ، فكانت مجالسه لا يقصدها فى الغالب إلا نوع من طلاب الحديث ممن كان له ولع بتتبع قضايا النقد وتدوين مسائله .

مكانته العلمية

شهد العلماء والنقاد ليحيى بالفضل والتقدم وأحلوه فى نفوسهم المحلة الرفيعة ، ودانوا له بالسبق والمعرفة ، ولهذه الإمامة والتقدم كانوا يجلونه أعظم إجلال ، ولقد وجد أقرانه وتلاميذه فى ملازمته علما ومغنما وحجة ومرجعا عند الاختلاف .

ولقد أرعبت تلك المكانة قلوب الرواة وأورثت نفوسهم الخيفة والتوجس والحذر من وقوع الخطأ ، والتعرض بذلك لوصمة لا تزول آثارها مدى الحياة بل وتبقى سبة الدهر .

مصادره فى النقد ومنهجه ومصطلحاته

كان يحيى يشير إلى المصدر الأول أحيانا عن شيوخه المباشرين أو من فوقهم ؛ فيأخذ عن شيوخه من النقاد نقدهم ، وقد يستدرك عليهم فيه .

وللنقد عند يحيى بن معين مقدمات وفرضيات يقوم عليها وهى فى مجموعها تشكل مبادىء

(*) مسانيد ، جمع مسند : ويعنى أن يذكر المصنف أحاديث الراوى جميعها فى جلد واحد أو كتاب واحد فأما الأبواب فتهتم بالجمع تبعا لتسمية الباب ؛ فباب الوضوء لجمع أحاديث الوضوء ، وكذا باب الصلاة .. الخ .

أساسية لابد لكل ناقد من مراعاتها .

وتمثلت الأمور الأساسية التى يقوم عليها نقده فى :

أولا : أن المحدث والراوى إنسان معرض للوقوع فى الخطأ والنسيان والغفلة ، ولا لوم عليه فى ذلك ، بل هى طبيعة البشر التى فطر عليها . ولذا يقرر يحيى هذا المبدأ « من لم يخطىء فى الحديث فهو كذاب » .

ثانيا : أن هذا الخطأ يعالج ويتدارك ، مالم يصاحبه العناد والإصرار ، وإلا كان عرضة للنقد والتجريح ، ويقرر ذلك فى مبدأ آخر : « من لم يكن سمحا فى الحديث كان كذابا ، قيل له : وكيف يكون سمحا ؟ قال : إذا شك فى الحديث تركه » .

ثالثا : وكما يتحتم عليه ترك ما شك فيه ، كذلك يتحتم عليه مراجعة نفسه إذا نبه إلى خطئه ، فلا يكابر ولا يعاند ، وإلا وقع تحت طائلة الذم والتقريع .

وإذا ما أخل الرواة بهذه الأمور تعرضوا لما يكرهون ، ولذا حذرهم يحيى من الغفلة والتساهل ، ونبههم إلى أن يكونوا على حذر شديد من النقاد الذين لا ينجو منهم إلا اليقظ المتحفظ ولذا كان يحيى واضحا فى نهجه نزيها فى حكمه ، واثقا بنقده .

وكان يتحاشى النقد المباشر للضعفاء الذين بينه وبينهم شحناء ، ويكتفى بنقل كلام الآخرين فيهم ، ومع ذلك فلم يسلم من النقد ، ووصفه بأنه متعنت فى نقده ، وأنه كان يتكلم فى الناس فى حين أن كلام يحيى بن معين فى نقد الرجال لا يخلو منه كتاب فى الجرح والتعديل ، بل لا تخلو منه صفحة ، وهو من القلائل الذين يندر ألا يَرِدَ لهم نقد فى ترجمة راوٍ من الرواة ، ولو كان هذا المنطق مستقيما - أى وصفه بالتعنت والكلام فى الناس - لكان حرمان الانتفاع من آثاره أولى ما يكون فى هذا الميدان الذى تصدى له وبرز فيه ، وانتقد عليه بسببه .

وقد عرف يحيى بصرامته فى النقد ، وعدم مبالاته بمن ينكشف له حاله ولو كان من أقرب الناس إليه .

مراتب الرواة عند ابن معين

وللرواة عند يحيى بن معين مراتب ثلاث :

المرتبة الأولى : مرتبة الثقات الذين يحتج بحديثهم ، وتقبل روايتهم ، ويعمل بها ، وهى أعلى المراتب .

وترد فيها العبارات التالية :

- ثَبْت	- ثقة ، لم يذكره إلا بخير
- ثقة مأمون	- لم يذكره إلا بخير
- ثقة	- صدوق - رجل صدق
- ليس به بأس ، ثقة	- شيخ صدوق
- ليس به بأس	

● ● ●

المرتبة الثانية : من تقبل روايتهم على ضعف فيهم ، فيكتب حديثهم ، ولا يحتج به ، ولكن ينظر ويعتبر :

وترد فيها العبارات التالية :

- ثقة ، ليس بحجة	- ليس بالقوى ، ولكن يكتب

ـ صدوق، ليس بحجة	ـ ليس بالقوى، لم يقو أمره
ـ ليس بحجة	ـ شيخ
ـ ليس يحتج بحديثه	ـ شويخ ليس به بأس
ـ صالح الحديث	ـ ثقة، يحدث بمناكير
ـ فى حديثه ضعف	ـ ليس له فيه كبير رأى
ـ ليس حديثه بذاك، وهو صالح	ـ ليس بمتروك
ـ ليس بذاك	ضعيف

● ● ●

المرتبة الثالثة : من يرد حديثهم ولا يكتب، وهؤلاء ممن عرفوا بالكذب تخرصا وعمدا ـ أو توهما وغفلة، فيترك حديثهم.

وترد فى هذه المرتبة العبارات التالية :

ـ ليس بشىء	ـ لا يكتب حديثه، ولا كرامة
ـ ليس بثقة	ـ لا يحل لاحد أن يكتب عنه
ـ لا يساوى شيئا	ـ كذاب ـ يكذب
ـ لا يساوى فلسا	ـ كذاب ليس بشىء
ـ ليس بثقة ولا مأمون	ـ كذاب خبيث
ـ لا يكتب عنه	ـ ليس بثقة يسرق الحديث
ـ متروك الحديث	ـ يضع الحديث

وهناك ظاهرة قد تبدو غريبة عند يحيى بن معين وهى الاختلاف فى الحكم على الراوى الواحد، ولكن المتتبع لدراسة **يحيى** بن معين للرواية يتضح له أن هذا الاختلاف ظاهرة طبيعية، إذ هى خالصة لما يتوصل إليه الناقد من أدلة للحكم على الرواة، فقد يحكم على الراوى بحكم ثم تتكشف له أمور تجعله يغير رأيه فيه.

وبقدر ما يستطيع الرواة من تستر، يطول عناء الناقد فى معرفة حقيقة أمرهم، فقد لا ينكشف أمر البعض منهم إلا بعد ممارسة طويلة، ولذا اختلف الرواة عن يحيى فى نُقُولِ النقد عنه ؛ بل قد تتعدد النقول المختلفة عند الرواة الواحد عنه، كما يلاحظ أحيانا اتفاق البغداديين فى نقول عن يحيى يخالفهم فيها غيرهم.

وهكذا ..

نذر يحيى بن معين ـ رحمه الله ـ حياته للدفاع عن ركن عظيم من أركان الشريعة، والمصدر الثانى لمقومات الملة الإسلامية، وقد متعه الله بعمر طويل بلغ خمسا وسبعين عاما قضى الكثير منه فى خدمة دينه، دائم التنقل والترحال بحثا عن السنة تدوينا لها ودراسة وتمحيصا، وتتبعا لأحوال ناقليها حتى إنه قيل عند المناداة على شهود جنازته (من أراد أن يشهد جنازة المأمون على حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليشهد).

رحم الله يحيى بن معين ﴿ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾.

سورة النساء

الإمام الراحل .. وآماله العلمية

للأستاذ الدكتور / على جمعة(*)

رحل عنا إمام من أئمة المسلمين ، وبقية من السلف الصالحين ، وعالم من فحول العلماء العاملين الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق ، وكان رحمه الله تعالى رجلاً والرجال قليل ، وفقيها من الطراز الأول واسع الاطلاع ، قوى الحجة ، صافى الذهن ، **علمنا كيف يكون التفكر والتدبر ، وكيف يتعامل الفقيه مع الواقع ، وكيف يستفيد من علوم وخبرات الآخرين ، وكيف يتم البحث الجماعى عن المسائل الشائكة وكيف نقضى على الخلاف والاختلاف** .

ولقد أشار الدكتور على الخطيب فى افتتاحية عدد ذى القعدة ١٤١٦ هـ إلى بعض آمال الشيخ الإمام قبل رحيله ، وأشار إلى اسمى باعتبارى كنت حاضراً لتلك الجلسة المباركة التى ذكر فيها الشيخ الإمام ــ رحمه الله ــ عزمه على عقد مؤتمر علمى موسع لمجمع البحوث الإسلامية يكون موضوعه تلك القدرات التى تحتاج إلى تحديد دقيق يُتَّفَقُ عليه ، جمعاً لكلمة المسلمين فى الداخل والخارج ، من مثل كيفية تحديد اتجاه القبلة ، وتحديد مواقيت الصلاة ، ورؤية الهلال ومقدار الصاع والمد والدرهم والدينار والميل وغيرها من المقاييس والمكاييل والموازين .

(*) أستاذ أصول الفقه المساعد جامعة الأزهر

ومعلوم أن هذه المواضيع وتحديدها بالطرق المتداولة حديثا وبالمقاييس الجارى التعامل بها بين الناس فى عصرنا الحاضر قد حددت فى القرن الماضى ، خاصة فى عهد (الخديو إسماعيل) وشارك فيها العائدون من البعثات العلمية إلى أوروبا الذين أرسلهم محمد على باشا والى مصر من أمثال محمود باشا الفلكى ومصطفى باشا الفلكى وغيرهم ، ثم ساهم جمع كبير من علماء النميات (وهو علم تاريخ العملات النقدية والأنواط ونحوها) ساهموا فى محاولة تحديد مقادير تلك المقدرات ، واشترك معهم عدد من المستشرقين وكثرت المؤلفات فى ذلك حتى حصرنا منها نحو مائة وخمسين مرجعاً ، بل صدرت قوانين فى أواخر القرن الماضى لتحديد الدرهم والدينار ثم نُسِيَت ، وعلى الرغم من كل هذا المجهود الضخم الا أن الكلمة الأخيرة فى كل هذه الموضوعات لم تتمّ بعد ،

وكان فضيلة الإمام الراحل فى منصبه الفريد كإمام للأزهر وللمسلمين وفى وعيه الفقهى المرهف الدقيق وفى تشوفه لجمع كلمة المسلمين على كلمة سواء يأمل فى عمل ذلك المؤتمر العالمى الذى يلتزم المسلمون بمقرراته بعد استقرارهم على رأى واحد من كل ما كتب ومن كل مجهود سابق .

ولقد كلفنى فضيلته مع أخى الأستاذ الدكتور على الليثى أستاذ الفقه بكلية الشريعة ، وأخى الدكتور فرحات عبد العاطى أستاذ الفقه بكلية الشريعة أيضاً بعمل بحث موسع عن المكاييل والمقاييس والموازين فأتممنا البحث وحددنا كل الالفاظ الواردة فى الفقه الإسلامى ، وكان الغرض من هذا هو صدوره فى صورة كتاب يسلم لطلاب الأزهر فى المعاهد الأزهرية ليستطيع الطالب معرفة معانى تلك الألفاظ بالطرق الحديثة ، ولقد حصرنا أكثر من خمسة وخمسين لفظا ، وذكرنا مقاديرها (بالنظام المترى) المعمول به الآن ، ثم اتبعنا ذلك بالأحكام الفقهية التى وردت بها تلك الألفاظ ، وهى محاولة فى طريق الأمل المنشود لتوحيد الكلمة وتحقيق المراد . ولقد سلمنا هذا الناتج النهائى لفضيلة الإمام ـ رحمه الله ـ فأقره وكان يزمع عرضه على مجمع البحوث لاقراره ثم تقريره .

ولقد بدأ مجمع البحوث كذلك فى دراسة مسألة القبلة وكيفية تحديد اتجاهها واستمع للخبراء والعلماء وهو بصدد إصدار شىء حول ذلك .

أما مواقيت الصلاة فايضاً هناك أبحاث مستفيضة علمية وشرعية حول الموضوع موجودة فى مجمع البحوث والمأمول الآن أن يرتب لمثل ذلك المؤتمر تحت ظلال الأزهر الشريف ومجمع البحوث الإسلامية تلبية لرغبة من رغبات الراحل الكريم ونفعاً للعلم وخيراً للأمة ، عسى الله أن يعلى درجته فى الصالحين وأن يلحقنا به على خير آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

مكة : بلد البيت الحرام

بقلم الأستاذ / السيد أحمد أبوالفضل عوض الله

اشتقاق اسم مكة فى الروايات المختلفة :

اختلف الإخباريون فى كلمة مكة ، وذهبوا فى ذلك مذاهب شتى ، وفيما يلى نعرض مصدر اشتقاق كلمة مكة فى الروايات المختلفة :

كلمة مكة :

١ ـ قال أبو بكر بن الأنبارى : «سميت مكة لأنها تَمُكُّ الجبارين أى تذهب نخوتهم»[١] .

٢ ـ ويقال : إنما سميت مكة « لازدحام الناس بها من قولهم : « قد امْتَكَّ الفصيل ضرْع أمه إذا مصّه مصًا شديدا» ، ويرد ياقوت على هذا التفسير بقوله : « فغلط فى التأويل لا يشبه مصّ الفصيل الناقة بازدحام الناس ، وإنما هما قولان »[٢] .

٣ ـ قال الشرق بن القطامى : « إنما سميت مكة لأن العرب فى الجاهلية كانت تقول : لا يتم حجنا حتى نأتى مكان الكعبة فنمكّ فيه ؛ أى نصفِّر صفير المكّاء حول الكعبة ، وكانوا يصرخون ويصفقون بأيديهم إذا كانوا بها ، والمكّاء : بتشديد الكاف : طائر يأوى الرياض قال أعرابى ورد الحضر فرأى مكّاء يصيح فحَنَّ إلى بلاده فقال :

ألاَ أيها المُكاَّءُ مالك ههنا

ألاءَ ولا شيحٌ فأين تبيضُ

فاصعدْ إلى أرض المكاكى واجتنب

قرى الشام لا تصبح وأنت مريضُ »

(١) ياقوت : معجم البلدان ، مادة مكة ، مجلد (٥) ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

(٢) نفس المصدر .

ويعلق ياقوت على هذا الرأى بقولــه : «والمكَاء ، بتخفيف الكاف والمد : الصفير ، فكأنهم كانوا يحكون صوت المكّاء ، ولو كان الصفير هو الغرض لم يكن مخففا»(٣) .

٤ ــ وقال قوم : « سميت مكة لأنها بين جبلين مرتفعين عليها ، وهى فى هبطة بمنزلة المكوك(٤) ، والمكوك عربى أو معرب ، قد تكلمت به العرب ، وجاء فى أشعار الفصحاء ، قال الأعشى :

والمكاكى والصحاف من الفِـ
ـضّة والضامرات تحت الرجال »

٥ ــ ويذهب أهل اللغة إلى أنها سميت مكـة لقولهم : « سميت مكة لأنها عُبّدت الناس فيها فيأتونها من جميع الأطراف من قولهم : امتكّ الفصيل أخلاف الناقة إذا جذب جميع ما فيها جذباً شديداً فلم يبق فيها شيئاً »(٥) . ولما كانت مكة مكانا للعبادة فقد امتكّت النّاس ، أى جذبتهم من جميع الأطراف .

٦ ــ ويرى ياقوت إنها سميت مكة من :
(أ) ملكّ الثدى ، أى مصه لقلة مائها ، لأنهم كانوا يمتكون الماء ، أى يستخرجونه .
(ب) وقيل : إنها تمكّ الذنوب ، أى تذهب بها كما يمك الفصيل ضرع أمه فلا يُبقى فيه شيئاً .
(ج) وقيل : سميت مكة لأنها تمك من ظَلَم أى تنقصه ، وينشد قول بعضهم :

يامكةُ الفاجرَ مكى مكًّا ،
ولا تمكىّ مَذْحِجاً وعَكّا

٧ ــ وجاء ذكر مدينة مكة فى جغرافية بطليموس تحت اسم (ماكورابا Macoraba(٦)) ومعناه مقدس أو حرم ، مما يستفاد منه أن مكة كانت فى أول عهدها مقاماً دينيا وأنها كانت مركزا للعبادة قبل البعثة النبوية بزمن طويل ، ويبدو أن هذا الاسم له علاقة بالبيت العتيق الذى كان سرّ شهرتها كعاصمة دينية فى الجاهلية ؛ فكلمة (ماكورابا) قريبة من مكرب التى عرفت عند العرب ، وتعبر عن لقب كان يحمله الكهنة فى سبأ قبل أن يتحولوا إلى ملوك ، ومن المرجع أنها تعنى «المقرب إلى الله» لأنها مدينة مقدسة .

ويذكر بروكلمان أن مكة مشتقة من مكرب أو مقرب العربية الجنوبية ومعناه : الهيكل(٧) ، بينما يذكر آخرون أنها قد تكون مشتقة من ملكّ فى البابلية بمعنى البيت(٨) . وورد فى القرآن الكريم اسم آخر لمكة هو : بكة ، فذكرت بكة فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ

آل عمران ٩٦ ، ٩٧

---

(٣) المصدر السابق .
(٤) نفس المصدر .
(٥) ياقوت : معجم البلدان ، مادة مكة ، مجلد (٥) ، ص ١٨٢
(٦) جواد على : تاريخ العــرب قبــل الإسلام ، ج٤ ص ١٨٨
Lammens, La Mecque a, a Veille del Hegire, P. 22 .
(٧) بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ١ ، ص ٣٣ ــ بمكة حتى تاريخ العرب ص ١٢٤ .
(٨) جرجى زيدان : العرب قبل الإسلام ، ص ٢٧٥ .
(٩) القرآن الكريم ، سورة آل عمران .

وذكر ياقوت رواية أخرى عن مغيرة بن إبراهيم جاء فيها : أن بكة هو موضع البيت ، ومكة هو موضع القرية[١٠] ، وقيل إنما سميت بكة لأن الأقدام تبكّ بعضها بعضا امام البيت . ونقل ياقوت عن يحيى بن أبى أنيسة : أن بكة موضع البيت ومكة هو الحرم كله . وعن زيد بن أسلم : أن بكة الكعبة والمسجد ، ومكة ذو طوى وهو بطن الوادى[١١] ، الذى ذكره الله تعالى فى قوله :

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾[١٢]

ويرى بعضهم : أن بكة هى نفس مكة ، أبدلت فيها الميم باء على عادة أهل الجنوب ، ويعتقد الدكتور جواد على أن بكة ليست سوى لهجة من لهجات القبائل التى تبدل الميم باء[١٣] .

وذكر الاخباريون لمكة أسماء أخرى غير بكة منها : النساسة ، والناسة ، والباسة لأنها تبسّ أى تحطم الملحدين ، وقيل تخرجهم . وسميت أيضاً : «بأم رحم» «وأم القرى» .. ووردت بهذا الاسم فى قوله تعالى :

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾[١٤] .

وسميت أيضاً : معاد ، والحاطمة لأنها تحطم من استخف بها . وسميت البيت العتيق لأنه عُتق من الجبابرة[١٥] . وسميت أيضاً الحرم ، وصلاح ، والبلد الأمين ، والعرش ، والقادس ، لأنها تقدس أى تطهر من الذنوب . والمقدسة ، وكوثى باسم بقعة كانت منزل بنى عبد الدار . وسماها الله تعالى : البلد الأمين فى قوله تعالى :

﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[١٦]

والبيت العتيق فى قوله تعالى :

﴿ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[١٧] .

والبلد فى قوله تعالى :

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾[١٨]

وسمىّ الله تعالى الكعبة البيت المحرم فى قول تعالى :

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ ﴾[١٩] .

وسماها الله أيضاً البيت الحرام فى قوله تعالى .

(١٠) الأزرق : أخبار مكة ، ج ١ ، ص ١٨٨ ــ ياقوت : معجم البلدان ، مجلد ٥ ، ص ١٨٢ .
(١١) ياقوت : نفس المرجع .
(١٢) القرآن الكريم : سورة الفتح (٤٨) ، آية ٢٤ .
(١٣) جواد على : ج ٤ ، ص ١٨٩ .
(١٤) القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، آية ٩٢ .
(١٥) الأزرق : ج ١ ، ص ١٨٩ .
(١٦) القرآن الكريم ، سورة التين ، آية ١ .
(١٧) سورة الحج ، آية ٢٩ .
(١٨) سورة البلد : اية ١ ــ ٢ .
(١٩) سورة إبراهيم : آية ٣٧ .

﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾[٢٠] .

ونستفيد من جميع التسميات التى أطلقت على مكة أنها كانت فى أول أمرها مقاماً دينيا أسسه إبراهيم ، ولهذا لا نستبعد أن يكون اسم مكة كان يعرف باسم مكرب أى مقدس ، ثم تحول إلى مكة[٢١] .

تاريخ مكة :

وتاريخ مكة الحقيقى يبدأ أيام قصى بن كلاب بن مرة القرشى ، الذى تولى أمر مكة حوالى منتصف القرن الخامس الميلادى ، أما ما قبل ذلك فليس لدينا ما نعتمد عليه فى إثباته أو نفيه غير روايات الإخباريين ، وهم إسلاميون أو مخضرمون ، والمدة بعيدة بينهم وبين هذه العهود ، بخلاف الأمر فى فى حال قصى وقبيلة قريش التى استقرت فى مكة ونهضت بها وجعلت منها مدينة ذات مركز اقتصادى ودينى وأدبى ممتاز ، وأصبحت فى عهدها تتمتع بتوجيه عربى عام فى أواخر القرن السادس وأوائل السابع حين ظهر الإسلام . وبين قصى وظهور الإسلام مدة لا تزيد عن مائة وخمسين سنة ، وهى مدة كانت حال قريش فيها متصلة فى مكة ، ولا يمكن أن ننسى فيها الأحداث وبخاصة إذا قدّرنا ما للذاكرة العربية من قوة ، وما لقيمة التمسك بالنسب ولحمة الدم من سلطان يجعل الناس يحتفظون بذكر آبائهم والأحداث التى ارتبطت بهم ، وقد يعطون ذلك بعض المبالغة ، ولكنا على أى حال نستطيع من مختلف الروايات أن نصور الوضع تصويراً نقرب به كثيرا من الحقيقة إن لم نصل إليها .

قريش :

ولعله من المفيد أن نلقى الضوء على اسم قريش : قبل المضى فى سرد تاريخ مكة . ولم يصل الباحثون لرأى حاسم فيما يتصل باسم قريش ، وللطبرى نص طويل [٢٢] يفهم منه أنه ليس اسم شخص بل إسم سمكة ربما كانت (طوطم[*]) قريش ، أو صفة أطلقت على بعض زعمائها الأولين مثل النضر بن كنانة ، وقد أجمل الطبرى ذلك فى قوله : « سُمِّيت قريش قريشاً بقريش بن بدر بن يخلد بن الحارث بن يخلد بن النضر بن كنانة ، وبه سميت قريش قريشاً ، لأن عير بنى النضر كانت إذا قدمت قالت العرب : قد جاءت عير قريش ، قالوا : وكان قريش هذا دليل بنى النضر فى أسفارهم وصاحب ميرتهم ، وكان له ابن يسمى بدراً .

وقال ابن الكلبى : إنما قريش جماع نسب ليس بأب ولا أم ولا حاضن ولا حاضنة .

وقال آخرون : إنما سمى بنو النضر بن كنانة قريشاً ، لأن النضر بن كنانة خرج يوما على نادى قومه فقال بعضهم لبعض : انظروا النضر كأنه جمل قريش .

---

(٢٠) سورة المائدة : آية ٩٧ .

(٢١) د . السيد عبد العزيز سالم : دراسات فى تاريخ العرب ، ج ١ ، عصر ما قبل الإسلام ، ص ٤٩٤ .

وقيل : إنما سميت قريش قريشاً بدابّة تكون فى البحر تدعى القِرْش ، فشبه بنو النضر بن كنانة بها ، لأنها أعظم دواب البحر قوة .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان يقرش عن حاجة الناس فيسدها بماله ، والقرش فيما زعموا التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيسدونها بما يبلغهم .

وقيل : إن النضر بن كنانة كان اسمه قريشاً .

وقيل : بل لم تزل بنو النضر بن كنانة يدعون بنى النضر حتى جمعهم قصىّ بن كلاب فقيل لهم قريش من أجل أن التجمّع هو التقرش ، فقالت العرب : تقرشت بنو النضر أى تجمعوا .

أو قيل : إنما قيل قريش من أجل أنها تقرشت عن الغارات .

وعن محمد بن سعد : سميت قريش قريشاً من اجتمعت إلى الحرم من تفرقها فذلك التجمع التقرش ، قال عبد الملك : ما سمعت هذا ولكن سمعت أن قُصياً كان يقال له القرشى ولم يُسَمَّ قرشى قبله .

وفى لسان العرب ، يقول ابن منظور(٢٣) : « وقريش دابة فى البحر لا تَدَعُ دابة إلا أكلتها ، فجميع الدواب تخافها . وقريش قبيلة سيدنا رسول الله ﷺ أبوهم النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى دون ولد كنانة ومن فوقه .

وفى حديث ابن عباس – فى ذكر قريش – قال : هى دابة تسكن البحرَ تأكل دوابه ، قال الشاعر :

وقريش هى التى تسكن البحـ
رَ بها سُمِّيت قريشُ قريشا

وقيل : سميت بذلك لتقرشها : أى تجمعها إلى مكة من حواليها بعد تفرقها فى البلاد حين غلب عليها قصى بن كلاب ، وبه سُمِّى قصى مُجَمِّعاً .

وقيل سميت بقريش بن مخلد بن غالب بن فهر كان صاحب عيرهم فكانوا يقولون : قَدِمت عِيرُ قريش وخرجت عِير قريش .

وقيل : سميت بذلك لَتَجْرِها وتكسّبها وضربها فى البلاد تبتغى الرزق .

وقيل سميت بذلك ، لأنهم كانوا أهل تجارة ولم يكونوا أصحاب ضَرْع وزرع من قولهم : فلان يتقرّش المال أى يجمعه ، قال سيبويه : ومما غلب على الحى قريش ، قال : وإنْ جَعَلْتَ قريشاً اسم قبيلة فعربى ، قال عَيرىّ بن الرقاع يمدح الوليد بن عبد الملك :

غَلَبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً
وكفَى قريشَ المعضلات وسادها
وإذا نَشَرْتَ له الثناءَ وَجَدْتَهُ
وَرِثَ المكارِمَ طُرْفَها وتِلاَدَها

وكان يقال لقُصَى بن كلاب القرشى ، ولم يُسَمَّ قرشى قبله ، فحاز قصى شرف مكة وأنشأ فيها دار النـــدوة ، وفيها كانت قريش تقضى أمورها . ولما جمع قصىُ قريشاً بمكة سمى مجمعاً ، وفى ذلك يقول حذافة بن غانم الجمحى يمدحه :

أبوهم قُصَىُّ كان يُدْعى مجمعاً
به جَمَّعَ اللهُ القبائِلَ من فهر

(٢٢) الطبرى : ج ٢ ، ص ١٨٧ – ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ، ص ١٠ – مصعب الزبيرى : نسب قريش ، ص ١٢ – ابن دريد : الاشتقاق ، ص ١٨ – أبو الفرج الأصبهانى : الأغانى ، ج ١ ، ص ١٢ – الأزرق : ج ١ ، ص ٦١ .

هُمْ نزلوها والمياه قليلة
وليس بها إلا كهول بنى عمر

ويقال من أجل تجمع قريش إلى قصى سميت قريش قريشاً ، قال أبـو الوليـد : وأنشدنى عبد العزيز بن إسماعيل الحلبى فى التقرش وهو الاجتماع :

أيجدى كثحنا للطعان إذا
اقترش القنا وتقعقع الحجف

ولبعضهم :

قوارش بالرماح كأن فيها
شواطن تنتزعن به انتزاعا

الكعبة : بيت الله الحرام[٢٤]

وجد فى بلاد العرب بيوت عرفت ببيوت الأوثان والأصنام ، أو البيوت الحرم يقصدها الحجيج فى مواسم معلومة تشترك فيها القبائل من سكان البقاع العربية ، وكان من أشهر هذه البيوت فى الجزيرة العربية بيت الأقيصر ، وبيت ذى الخُلَصَة ، وبيت صنعاء ، وبيت رضاء ، وبيت نجران . لكن بيت الله الحرام بمكة قد احتل مكانة لم تتح لغيره من بيوت الأصنام الأخرى فى سائر أنحاء الجزيرة العربية ، لأن مكة كانت ملتقى طرق القوافل بين الجنوب والشمال والشرق والغرب ، وكانت محطة لازمة لمن يحمل التجارة من الشمال إلى الجنوب ، وكانت القبائل تلوذ بمثابة مطروقة تتردد عليها . وقد رَغَّب القبائل فيها أن مكة لم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل ، فليست فى مكة دولة كدولة التبابعة فى اليمن ، أو مملكة المناذرة فى الحيرة ، أو الغساسنة فى الشام ، وليس من وراء أصحاب الرياسة فيها سلطان كسلطان دولة الروم أو الفرس أو الحبشة وراء الإمارات المتفرقة على الشواطىء ، أو بين بوادى الصحراء ، فهى مثابة عبادة وتجارة ، وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه ، فلم تكن قيصرية ولا كسروية ولا نجاشية ، وإنما كانت مكة عربية لجميع العرب ، ولهذا اجتمعت لها الخصائص التى كانت لازمة لمن يقصدونها ، ويجدون فيها من يبادلهم ويبادلونه بحكم المنفعة المتبادلة .

والكعبة قديمة سابقة لأسفار العهد القديم فى التوراة ، وقد توارث العرب أن أول من رفع قواعدها هو إبراهيم وابنه إسماعيل – على نبينا وعليهما أفضل الصلاة والسلام – يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾[٢٥]

ويقول تعالى :

(*) طوطم من الطوطمية : عبادة بدائية يعتقد معتنقوها من الناس أنهم شيئا معينا – حيوانا مثلاً – من أصل واحد فيتخذونه رمزا معبودا لهم ، ولهم طوطم عام ، وآخر فردى لكل إنسان فى القبيلة – راجع للدكتور على عبد الواحد وافى (الطوطمية) دار المعارف – مصر .

(٢٣) أنظر : أخبار مكة ، للأزرقى ، ج ١ ، ص ٣٣ وما بعدها – معجم البلدان : لياقوت (مادة كعبة) ج ٨ ، ص ٤٦٣ وما بعدها .

(٢٤) سورة آل عمران : آية ٩٦ .

(٢٥) سورة الحج : آية ٢٦ .

﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾(٢٦) .

ويقول تعالى :

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾

من هذه الآيات نفهم أن المنطقة كانت معروفة ، حتى هيأ الله لإبراهيم أن يرفع قواعد البيت ، وقد ذكرت المصادر القديمة مكة كما تحدثت عن البيت الذى تعظمه العرب وهو الكعبة .

والكعبة : تجمع على كعبات ، وهو البيت المربع ، وقيل المرتفع ، قال الأسود بن يعفر فى بعض الروايات :

أهل الخَوَرْنَق والسدير وبارق
والبيت ذى الكَعَبات من سنداد

قال ابن عباس : لما كان العرش على الماء قبل أن يخلق الله السموات والأرض ، بعث ريحاً فصفقت الماء فأبرزت عن خَشْفه(٢٧) فى موضع البيت كأنها قبّة فدحا الأرض من تحتها ، فمادت ، فأوْتَدها بالجبال . وقد جاء فى الأخبار أن : أول ما خلق الله فى الأرض مكان الكعبة ثم دحا الأرض من تحتها ، فهى سُرَّةُ الأرض ، ووسط الدنيا ، وأُمّ القرى ، أولها الكعبة وبكة حول مكة وحول مكة الحرم وحول الحرم الدنيا .

وأما صفة البيت الحرام :

فهو فى وسط المسجد الحرام مربع الشكل ، بابه مرتفع عن الأرض نحو قامة ، عليه مصراعان ملبسان بصفائح الفضة قدْ طَليَت بالذهب(*) مقابلاً للمشرق ، وطول المسجد الحرام ثلثمائة ذراع وسبعون ذراعاً ، وعرضه ثلثمائة وخمسة عشر ذراعاً ، وطول الكعبة أربعة وعشرون ذراعاً وشبر ، وعرضها ثلاثة وعشرون ذراعاً وشبر ، وذرع دور الحجر خمسة وعشرون ذراعاً ، والحجر من قبل الشام فيه يقلب الميزاب قد أُلبِسَت حيطانه بالرخام مع أرضه ارتفاعها حَقْوٌ ويسمونه الحطيم ، والطواف من ورائه ، ولا تجوز صلاة الفرض بداخله ، والحجر الأسود على الركن الشرقى عند الباب على لسان الزاوية فى مقدار رأس الإنسان ، ينحنى إليه من قَبَّله يسيرا .

سميت الكعبة لأنها مكعبة على خلق الكعب ، وقيل التكعب : التربيع ، وكل بناء مربع كعبة ، وقيل : سميت لارتفاع بنائها ، وكل بناء مرتفع فهو كعبة ، ومنه كَعَبَ ثدى الجارية إذا علا فى صدرها وارتفع .

ولما فرغ إبراهيم من البناء أتاه جبرائيل ، عليه السلام ، فقال له : طُفْ . فطاف هو وإسماعيل سبعاً يستلمان الأركان ، فلما أكملا صلّيا خلف المقام ركعتين ، وقام معه جبرائيل وأراه المناسك كلها : الصَّفا والمروة ، ومِنًى ومزدلفة ، فلما دخل مِنىً وهبط من العقبة مثل له إبليس عند جمرة العقبة ، فقال له جبرائيل : إرمه ، فرماه بسبع حصبات ، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة الوسطى ، فقال له جبرائيل : أرمه ، فرماه بسبع حصبات ، فغاب عنه ثم برز له عند الجمرة السفلى ، فقال له جبرائيل : إرمه ، فرماه بسبع

(٢٦) الخَشفة : واحده الخشف ، تنبت فى البحر نباتا

(*) هى الآن بالذهب الخالص بباب الكعبة .

حصبات مثل حصى الخذف ، ثم مضى وجبرائل معه يعلمه المناسك حتى انتهى إلى عرفات ، فقال له : أعَرَفْت مناسكك ؟ فقال له إبراهيم : نعم ، فسميت عرفات لذلك ، ثم أمره أن يؤذن فى الناس بالحج ، فقال : ياربّ وما يبلغ صوتى ؛ فقال الله ـ عز وجل : أذِّن وعلىَّ البلاغ ، فعلا على المقام ، فأشرف به حتى صار أعلى الجبال وأشرفها ، وجمعت له الأرض يومئذ سهلها وجبلها وبرها وبحرها وجِنّها وإنْسها حتى أسمعهم جميعا وقال : ياأيها الناس : كُتبَ عليكم الحج إلى بيت الله الحرام فأجيبوا ربكم ، فمن أجابه ولبَّاه فلابد له من أن يحج ، ومن لم يجبه لا سبيل له إلى ذلك .

وخصائص الكعبة كثيرة وفضائلها لا تحصى ، وليست أمة فى الأرض إلا وهم يعظمون ذلك البيت ويعترفون بقدمه وفضله وأنه من بناء إبراهيم .

والصابئون يعتبرونه بيت عبادتهم لا يفخرون إلا به ولا يتعبدون إلا بفضله .

كساء الكعبة :

بقيت الكعبة على ما هى عليه غير مسقفة فكان أول من كساها تُبَّع لما أتى به مالك بن العجلان إلى يثرب وقتل اليهود ، فمّر بمكة فأُخبر بفضلها وشرفها فكساها الخصف ؛ وهى حصُر من خوص النخل ، ثم رأى فى المنام أن أكسها أحسن من هذا ، فكساها الأنطاع(*) ، فرأى فى المنام أن اكْسُها أحسن من ذلك فكساها المعافر والوصائل ، والمعافر : ثياب يمانية تنسب إلى قبيلة من همدان يقال لهم المعافر ، اسم الثياب والقبيلة والموضع الذى تعمل فيه واحد ، وربما قيل لها المعافرية ، وثوب معافرى يتصرف فى النسبة ولا يتصرف فى المفرد ، لأنه على زنة الجمع ثالثهُ ألف ونسب إلى الجمع ، لأنه صار بمنزلة المفرد سمى به مفرد ، وكان أول من حلىَّ البيت عبد المطلب لما حفر بئر زمزم وأصاب فيه من دَفْن جُرْهم غزالين من ذهب فضربهما فى باب الكعبة ، فلما قام الإسلام كساها عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ القباطى ، ثم كساها الحَجَّاج الديباج الخسروانى ، ويقال : يزيد بن معاوية .

بقيت على هيئتها من عمارة إبراهيم ، عليه السلام ، إلى أن بلغ نبينا ، ﷺ ، خمساً وثلاثين سنة من عمره ، فجاء سيل عظيم فهدمها وكان فى جوفها بئرٌ تحرز فيها أموالها وما يهدى إليها من النذور والقربان فسرق رجل يقال له دُوَيْك ما كان فيها أو بعضه فقطعت قريشُ يدَه واجتمعوا وتشاوروا وأجمعوا على عمارتها ، وكان البحر رَمَى بسفينة بجدَّة فتحطمت فأخذوا خشبها فاستعانوا به على عمارتها ، وكان بمكة رجل قبطىّ نجار فسوَّى لهم ذلك وبنوها ثمانية عشر ذراعاً ، فلما انتهوا إلى موضع الركن اختصموا وأراد كل قوم أن يكونوا هم الذين يضعونه فى موضعه ، وتفاقم الأمر بينهم حتى تواعدوا للقتال ، ثم تحاجزوا وتناصفوا على أن يجعلوا بينهم أول طالع يطلع من باب المسجد يقضى ، فخرج عليهم النبى ﷺ ، فاحتكموا إليه فقال : هلمّوا ثوباً ، فأتى به فوضع الركن فيه ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية

(*) الأنطاع ـ جمع نطْع : بساط من الجلد .

من الثوب ثم ليرفعوا ، حتى إذا رفعوه إلى موضعه أخذ النبى ﷺ الحجر بيده الشريفة فوضعه فى الركن ، فرضوا بذلك وانتهوا عن الشرور ، ورفعوا بابها عن الأرض مخافة السيل وأن لا يدخل فيها إلا من أحبوه ، وبقوا على ذلك إلى أيام عبد الله بن الزبير فحدّثته عائشة ـ رضى الله عنها ـ فقالت : « سألت النبى ﷺ ، عن الحجر أمن البيت هو ؟ قال : نعم ، قالت : قلت فما بالهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال : إن قومك قصّرت بهم النفقة ، قلت : فما شأن بابه مرتفعاً ؟ قال : فعل ذلك قومك ليُدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا ، ولولا قومك حديثو عهد فى الإسلام فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الحِجْر فى البيت وأن ألزق بابه بالأرض » ، فأدخل ابن الزبير عشرة مشايخ من الصحابة حتى سمعوا ذلك منها ثم أمر بهدم الكعبة فاجتمع إليه الناس وأبَوْا ذلك فأبى إلا هدمها ، فخرج الناس إلى فرسخ خوفاً من نزول عذاب وعظم ذلك عليهم ولم يجر إلا الخير . وذكر ابن القاضى عن مجاهد قال : لما أراد ابن الزبير أن يهدم الكعبة ويبنيها قال للناس : اهدموا فأبَوْا وخافوا أن ينزل العذاب عليهم ، قال مجاهد : فخرجنا إلى مِنىً فأقمنا بها ثلاثاً ننتظر العذاب ، وارتقى ابن الزبير على جدار الكعبة هو بنفسه فهدم البيت ، فلما رأوْا أنه لم يصبه شىء اجترأوا على هدمه وبناها على ما حكت عائشة ، وتراجع الناس ، فلما قدم الحجّاجُ تحرّم ابن الزبير بالكعبة فأمر بوضع المنجنيق على أبى قبيس وقال : ارموا الزيادة التى ابتدعها هذا المتكلف ، فرموا موضع الحطيم ، فلما قُتل ابن الزبير وملك الحجّاج ردَّ الحائط كما كان قديماً وأخذ بقية الأحجار فسدَّ منها الباب الغربى ورصف بقيتها فى البيت حتى لا تضيع ، فهى إلى الآن على ذلك . وقال تُبَّع لما كسى البيت :

وأقمنا به من الشهر عشراً
وجعلنـا لبابـــه إقليـــدا
وخرجنـــا منـــه نؤم
سهيلًا قد رفعنا لواءنا المعقود

ويقال إن أول من كساه الديباج يزيد بن معاوية ، ويقال عبد الله بن الزبير ، ويقال : عبد الملك بن مروان ، وأول من خلّق الكعبة عبد الله بن الزبير ، وقال ابن جريج : معاوية أول من طيّب الكعبة بالخلوق والمجمر وإحراق الزيت بقناديل المسجد من بيت مال المسلمين .

وقال مجاهد فى قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾

قال : يثوبون إليه ويرجعون ولا يقضون منه وطراً ، وفى قوله تعالى :

﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ ﴾ **قال : لو قال : أفئدة الناس ، لازدحمت فارس والروم عليه .**

مراحل تطور تجديد وتوسعه المسجد الحرام(٢٧)

ـ أول توسعة للمسجد الحرام فى عهد عمر بن الخطاب عام ١٧ هـ :

ذكر ابن جرير الطبرى ، وابن الأثير الجوزى فى تاريخهما أن زيادة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

(٢٧) ملف صحيفة (الجزيرة) الأسبوعى ، ص ٤ ، العدد ٢٨١٣ ، السبت الموافق ٢٦ جمادى الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٢ إبريل ١٩٨٠ م (صحيفة الجزيرة يومية تصدر فى الرياض ـ السعودية) .

ـ رضى الله عنه ـ وعمارته للمسجد كانت عقب السيل العظيم سنة سبع عشرة من الهجرة[٢٨] .

توسعة عثمان بن عفان فى عام ٢٦ هـ :

ففى عام ٢٦ من الهجرة وُسّع المسجد الحرام بهدم الدور المحيطة بعد تعويض أصحابها وإضافة مساحتها إلى المسجد الحرام ، وجُدِّد المسجد تجديدا شاملا ، وأدخلت الأروقة المسقوفة للمصلين لأول مرة ، وكانت التوسعة على شكل مربع تقريبا بأركان مشطوفة .

ـ توسعة عبد الله بن الزبير ـ ١٧ رجب سنة ٦٤ هـ :

بعد المعارك التى احتدمت بين يزيد بن معاوية وعبدالله بن الزبير ، اشتعلت النيران بالكعبة ، وبعد انتهاء الحصار الذى تعرضت له مكة ، بادر ابن الزبير بإزالة الأحجار التى ألقيت فى الكعبة ، ثم أمر بهدم البناء الذى لم يبق من أصله إلا القليل ، وكان الحجر الأسود قد كُسِرَ إلى ثلاثة أجزاء ، فضم ابن الزبير أجزاءه داخل إطار من الفضة وأودعه فى مكانه من البيت ، ثم أعاد بناء الكعبة على أساس إبراهيم فازداد طولها من ١٨ إلى ٢٧ ذراعاً ، وقد ركّب ابن الزبير بابين طولهما أحد عشر ذراعاً ، أحدهما فى الجانب الشرقى لدخول الكعبة والآخر فى الجانب الغربى للخروج منها ، وقد طُيّبت الجدران من الداخل والخارج بالمِسْك وكُسِيَت الكعبة بقماش قبطى من الحرير (قباطى) .. ومن الأحجار الزائدة المتبقية أنشىء حول الكعبة مسارٌ دائرى عرضة عشرة أذرع ، وقد وُسّعَ الجدار الذى كان يحيط بالحرم ورممت الجدران الموجودة واستخدمت الأروقة التى سقفت بالخشب .

ـ توسعة الحجّاج بن يوسف عام ٧٤ هـ :

هدم الحجّاج كل البناء الذى أقامه ابن الزبير ، وأعاد بناء الكعبة منقصاً طولها سبعة أذرع ، وقسّم وجه المبنى إلى ثلاثة أقسام أفقية : كان القسم السفلى يشتمل على الباب ، أما العلوى فكان يحتوى على أربع نوافذ من المرمر فهى جوانبها الثلاثة من بناء عبد الله بن الزبير والجانب الرابع الشامى بناء الحجّاج .

ـ توسعة الوليد بن عبد الملك عام ٩١ هـ :

رمم الوليد بن عبد الملك الكعبة بعد سيل جارف أصابها ، ووسّع رقعة المسجد ، وجدّد البناء ، وأقام سقفاً على أعمدة بكمرات من خشب الساج المزخرف ، كما أدخل الفسيفساء الزجاجى والبواكى الرخامية والميازيب المموهة بالذهب ، وفتحات الشرفات ، وكان الوليد هو أول من استعمل الأعمدة التى جلبت من مصر وسوريا فى بناء المسجد .

ـ توسعة أبى جعفر المنصور فى محرم سنة ١٣٠ هـ :

أسهم أبو جعفر المنصور فى توسعة المسجد من جانبيه الشمالى والغربى بزيادة توازى ضعف الزيادات السابقة ، وزخرف المسجد بالفسيفساء والذهب ، وزينه بأنواع النقوش ورخم الحجر .

ـ توسعة محمد المهدى العباسى (١٦١ ، ١٦٤ هـ) :

قام المهدى بتوسعة المسجد مرتين

---

(٢٨) تاريخ القطبى ، المسمى «كتاب الإعلام بيت الله الحرام» ، تأليف : قطب الدين الحنفى المتوفى سنة ٩٨٨ هـ ـ مكة عام ١٣٧٠ هـ ، ص ٧٧ .

متلاحقتين : أولاهما عام ١٦١ هـ حينما أمر بتوسعة الجانبين الشمالى والشرق ، ولكن بهذه الزيادة لم تبق الكعبة فى الوسط فأصدر المهدى أمره فى عام ١٦٤ هـ بتوسعة الجانب الجنوبى ، وقد وقف هو بنفسه على جبل أبى قبيس ليتأكد من أن الكعبة قد أصبحت فى وسط الفناء ، كما أقام ثلاثة صفوف من الأعمدة من الرخام والحجر وسقّفها بخشب السّاج ، كما أضاف أربعة مبانٍ صغيرة خشبية للصلاة لأتباع كل مذهب . ولكن العمل الذى قام به المهدى لم يكتمل فى حياته لكنه تم عام ١٦٧ هـ فى عهد حكم ابنه موسى الهادى .. وظلت عمارة المهدى بلا تغيير مدة ستة قرون .

من ٢٢٢ هـ إلى ٤٨٦ هـ :

استعملت فى الأروقة أعمدة من الحجر الأصفر من سامراء بالعراق ، وقد طُلِيَ مقام إبراهيم بالذهب ووضع تحت سقيفة من الذهب والخشب . وقد وضع الرخام الأخضر لتغطية سقف الكعبة .

– وفى عام ٢٨٤ هـ :

أدخل المعتضد العباسى جزءاً من دار الندوة فى المسجد ، وبعد ذلك ضم الجزء الباقى من الدار إلى المسجد وسمى باب الزيادة .

– وفى عام ٣٠٦ هـ :

أضاف المقتدر العباسى إلى المسجد جزءاً سمى باب إبراهيم ، وبذلك اتسع المسجد الحرام إلى المساحة التى ظل يشغلها حتى عام ١٣٧٥ هـ ، ولمدة ستمائة عام ، ظلت الكعبة والمسجد الحرام على هذه الحالة حتى العهد العثمانى .

– من ٨٠٢ – ٨٠٧ هـ :

احترق الجانب الغربى من المسجد بأكمله ، حيث احترق أكثر من مائة عمود من الرخام وكذلك السقف ، وقد أصلح الأمير بيسق الظاهرى ما وقع من أضرار .

– من عام ٩٧٩ هـ .. فصاعداً :

قام السلطان سليم العثمانى بتجديد المسجد الحرام تجديدا كاملاً ، وقد عهد إلى المهندس المعمارى التركى سنان بهذا العمل ، فغيرت أعمدة الأروقة التى كانت تحتوى ٨٩٢ عموداً بأعمدة من الرخام والحجر . وبالجملة فإن ٥٠٠ قبة بنيت على الطراز العثمانى .

– بداية مشروع الملك عبد العزيز :

ظلت الكعبة والمسجد الحرام على ما هى عليه فترة أربعمائة عام ، حتى بدأ العمل عام ١٣٧٥ هـ فى مشروع الملك عبد العزيز إلى أن تمّ فى عام ١٣٩٥ هـ ، ثم توالت التوسعات فى عهد جلالة الملك سعود ، وجلالة الملك فهد بن عبد العزيز حيث أنفقت السعودية (٧٠ مليار ريال) خلال السنوات العشر الأخيرة فقط على المدينتين المقدستين : مكة المكرمة والمدينة المنورة ، بما فى ذلك توسعة الحرمين الشريفين ، حيث أصبحت التوسعة الحالية بالنسبة للحرم الملكى (٣٥٦) ألف متر مربع لتستوعب مليوناً من المصلين .

فى فضل مكة وشرفها[٣٠] :

لما خرج رسول الله ﷺ من مكة وقف على الحَزْورة وقال : « إنى لأعلم أنك أحب البلاد

(٢٩) انظر : ياقوت ، معجم البلدان ، مجلد (٥) ، ص ١٨٣ – ١٨٥ .

إلىّ ، وأنك أحبّ أرض الله إلى الله ، ولولا أن المشركين أخرجونى منك ما خرجت » .

وقــالت عائشة ـ رضى الله عنها : « لولا الهجرة لسكنْت مكة ، فإنى لم أرَ السماء بمكان أقرب إلى الأرض منها بمكة ، ولم يطمئن قلبى ببلد قط ما أطمأن بمكة ، ولم أرَ القمر بمكان أحسن منه بمكة » .

وقال ابن أم مكتوم وهو آخذ بزمام ناقة رسول الله ﷺ ، وهو يطوف :

ياحَبَّذا مكة من وادى
أرض بها أهلى وعُوَّادى
أرض بها ترسخ أوتادى
أرض بها أمشى بلا هادى

ولما قدم الرسول ﷺ ، المدينة هو وأبو بكر وبلال ، فكان أبو بكر إذا أخذته الحمَّى يقول :

كُلُ امرىءِ مُصَبَّحُ فى أهله
والموت أدنى من شراكِ نعلَهِ

وكان بلال إذا انقشعت عنه رفع عقيرته وقال :

ألاَ ليتِ شِعْرى هَلْ أبيتنَّ ليلةً
بِفَخٍّ وعندى إذْخِرٌ وجليل ؟
وهَلْ أرِدَنْ يوماً مياهَ مَجنَّةٍ
وهلْ يَبْدُوَن لى شامةٌ وطفيلُ ؟

ووقف رسول الله ﷺ ، عام الفتح على جمرة العقبة وقال : « والله إنكَ لخير أرض الله ، وإنك لأحبّ أرض الله إلىَّ ، ولم لم أُخرَجُ ما خَرجْتُ ، إنها لم تحلَّ لأحد كان قبلى ، ولا تحلّ لأحد كان بعدى ، وما أُحِلت لى إلاّ ساعة من نهار ثم هى حرام لا يعضد شجرها ، ولا يختش خلالها ، ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد » فقال رجل : يارسول الله إلاّ الإذخِر فإنه لبيوتنا وقبورنا ، فقال : ﷺ ، إلاّ الإذخر .

وقال ﷺ : « من صبر على حرِّ مكة ساعة تباعدت عنه جهنم مسيرة مائة عام وتقرّبت منه الجنة مائة عام ، ووجد على حجر فيها كتاب فيه : أنا الله ربّ بكة الحرام وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وخففتها بسَبعة أملاك حُنَفاء لا تزال أخشابها مبارك لأهلها فى الحمأ والماء ، ومن فضائله أنه من دخله كان آمناً ، ومن أحْدَث فى غيره من البلدان حدثاً ثم لجأ إليه فهو آمن إذا دخله ، فإذا خرج منه أقيمت عليه الحدود ، ومن أحدث فيه حدثا أخذ بحدثه ، وقوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾

وقوله :

﴿ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ دليل على فضلها على سائر البلاد.

ومن شرفها أنها كانت لِقَاحاً لا تدين لدين الملوك ، ولا يُؤَدِّ أهلها إتاوة ، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان ، تُحَج إليها ملوك حِمْيَرَ وكِنْدَة وغَسّان ولخْم ، فيدينون للحُمْسِ(*) من قريش ، ويرون تعظيمهم والاقتداء بآثارهم مفروضا وشرفاً عندهم عظيماً ، وكان أهله آمنين

(*) الحماسة والتحمس : مذهب القرشيين المتشدد فى الجاهلية . وقد أبطله الإسلام .

يَغزُوْن ويَسْبُون ولا يُسْبَوْن ، ولم تُسْبَ قرشيةٌ قط فتُوطأ قهراً ، ولا يجال عليها السهام ، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء فقال بعضهم :

أبَوْا دين الملوك فهمَ لَقَاحُ
إذا هيجوا إلى حرب أجابوا

وقال الزِّبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف كان قد هجا أبا جهل وتناول قريشاً :

أتدرى من هجوتَ أبا حبيب
سليل خضارم سكنوا البطاحا
أزادَ الركب تذكر أم هشاماً
وبيت الله والبلد اللقاحَا ؟

وقال حرب بن أميَّة ودعا الحضرميَّ إلى نزول مكة ، وكان الحضرمى قد حالف بنى نُفاثة وهم حلفاء حرب بن أمية ، وأراد الحضرمى أن ينزل خارجاً من الحرم وكان يُكَنَّى أبا مطر فقال حرب :

أباَ مطر هَلَمَّ إلى الصلاح
فيكفيك النّدامى من قريش
وتنزل بلدة عزّت قديماً
وتأمن أن يزورك رب جيش
فتأمن وسطهم وتعيش فيهم
أباَ مطر هُدِيتَ ، بخير عيش

ألاَ ترى كيف يؤمنه إذا كان بمكة ؟ .

ومما زاد فى فضلها وفضل أهلها ومباينتهم العرب أنهم كانوا حلفاء متألفين ومتمسكين بكثير من شريعة إبراهيم ، عليه السلام ، ولم يكونوا كالأعراب الأجلاف ولا كمن لا يوقره دين ولايزينه أدب ، وكانوا يختنون أولادهم ويحجون البيت ويقيمون المناسك ويكفنون موتاهم ويغتسلون من الجنابة ، وتبرأوا من الهربزة(*) وتباعدوا فى المناكح من البنت وبنت البنت والأخت وبنت الأخت غيرة وبعداً من المجوسية ، ونزل القرآن بتوكيد صنيعهم وحسن اختيارهم ، وكانوا يتزوجون بالصداق والشهود ويطلِّقون ثلاثاً ، ولذلك قال عبد الله بن عباس وقد سأله رجل عن طلاق العرب فقال : كان الرجل يطلق أمراته تطليقة ثم هو أحق بها ، فإن طلقها ثنتين فهو أحق بها أيضاً ، فإن طلقها ثلاثا فلا سبيل له إليها ، ولذلك قال الأعشى :

أيا جارتى بينى فإنك طالقهْ
كذاك أمور الناس غادٍ وطارقهْ

وبينى فقد فارقت غيرى ذميمة
ومَوْموقة مِنَّا كما أنت وامقهْ

وبينى فإن البين خير من العصا
وأن لا ترى لى فوق رأسك بارقة

(**) هى المجوسية والله أعلم .

من معجزات الرسول ﷺ في طريق الهجرة

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

لما هاجر رسول الله ﷺ وصاحبه الصديق أبوبكر رضى الله عنه من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، وفشل صناديد قريش ومشركوها فى العثور عليه . رصدوا مائة ناقة ناجزة لمن يأتيهم به حيا أو ميتا ، وهى مكافأة يسيل لها لعاب الباحثين عن الثروة وطلاب المال ، وكان أكثرهم حرصا وتلهفا على الظفر بهذه الجائزة الكبرى رجلا من بنى مدلج يقال له سراقة بن مالك يعيش مع قبيلته فى مكان اسمه قديد بالقرب من البلد الحرام مكة .

وكان قد سمع من بعض المسافرين القادمين من مكة إمارات واضحة عن الطريق الذى يسير فيه ركب رسول الله ﷺ وصحبه ، فأخذ يضلل السامعين ويعمى عليهم حتى يظفر وحده بالإبل المائة ، ويظفر إلى جوار ذلك بالفخر أمام أهل مكة الذين أعياهم البحث عنه ﷺ واستسلموا فى النهاية إلى اليأس والفشل(١) .

كيف كان خروج سراقة بن مالك فى طلب النبىّ ﷺ ؟

قال أبومحمد عبدالملك بن هشام : حدثنى الزهرى أن عبدالرحمن بن مالك بن جعشم حدثه عن أبيه عن عمه سراقة بن مالك قال : « بينما أنا جالس فى نادى قومى أقبل رجل منا حتى وقف علينا ، فقال : والله لقد رأيت ركب ثلاثة مروا علىّ آنفا ، إنى لأراهم محمداً وأصحابه ، قال : فأومأت إليه بعينى أن اسكت ، ثم قلت : إنما هم بنو فلان يبتغون ضالة لهم ، قال : لعله ، ثم قمت فدخلت بيتى وأمرت بفرسى فقيد إلى بطن الوادى ، وأمرت بسلاحى فأخرج من دبر حجرتى ، ثم انطلقت فلبست لامتى ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره ـ لا يضره ـ وكنت أرجو أن أرده على قريش فآخذ المائة من الإبل .

فركبت الفرس فى أثر ركب النبى ﷺ ، فبينما فرسى يشتد بى عثر فسقطت عنه ، فقلت : ماهذا ؟ ثم أخرجت قداحى فاستقسمت بها فخرج السهم الذى أكره ـ لا يضره ـ قال :

١) كتاب سيرة الرسول ﷺ ، تأليف الدكتور محمد الطيب النجار طبعة شوال سنة ١٣٩١ هـ ـ نوفمبر سنة ١٩٧١م

فأبيت إلا أن أتبعه فركبت فى أثره ، فلما بدا لى الركب ورأيتهم عثر بى فرسى فذهبت يداه فى الأرض وسقطت عنه ، ثم انتزع يداه من الأرض فتبعهما دخان كالإعصار ، فعرفت حين رأيت ذلك أنه قد منع منى وأنه ظافر ، فناديت القوم أنا سراقة بن جعشم ، انظرونى أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه ، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر ـ قل له وماتبتغى منا ـ فقال لى ذلك أبو بكر قلت : تكتب لى كتابا يكون بينى وبينك قال ـ اكتب له يا أبا بكر ـ فكتب لى كتابا فى عظم أو فى رقعة أو فى خرقة ثم ألقاه إلىّ فأخذته فجعلته فى كنانتى ثم رجعت فلم أذكر شيئا مما كان » وكان سراقة قد عرض على الرسول ﷺ وعلى صاحبه المتاع والزاد فلم يرداه ولم يسألاه ، ولكنهما طلبا منه أن يخفى أمرهما[٢] .

بعد تمام الهجرة سراقة يحكى للناس ما رآه بنفسه :

بَرّ سراقة بن مالك بوعده لرسول الله ﷺ فأخذ يرد كل من يقابله : ينفى له أن ركب الهجرة سار من هذه الطريق ، ولما اطمأن من أنه ﷺ وصل إلى المدينة سالما جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وماشاهده بنفسه فى أمر جواده ، عندما حاول اللحاق بالركب المبارك فى طريق الهجرة حتى ملأت هذه القصة كل الأرجاء خصوصا وأن سراقة كان أمير بنى مدلج ورئيسهم ، ومعروفا بالصدق عندهم .

ففزع من ذلك المشركون فى مكة ، وكان أكثرهم فزعا أبو جهل الحكم بن هشام المخزومى ، فكتب من ضيقه رسالة إلى بنى مدلج يحرضهم فيها على سراقة ويتهمه بالسفاهة والغواية ، وكان مما جاء فيها :

بنى مدلج إنى أخــاف سفيهكــم
سراقــة مستغــو لنصر محمــــد
عليكــم به ألا يفــرق جمعكــم
فيصبح شتــى بعــد عز وسؤدد

فما كان من سراقة إلا أن رد عليه بأبيات منها :

أبا حكم والله لو كنت شاهــدا
لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمـــه
عجــبت ولم تشكك بأن محمــدا
رسول ببرهان فمن ذا يقاومـــه
عليك بكف القوم عنه فإننــى
أرى أمره يوما ستبــدو معــالمه
بأمر يود الناس فيــه بأسرهــم
بأن جميـــع النـــاس طرا يسالمه[٣]

قدومه ﷺ بالبركات على أم معبد الخزاعية فى طريقه للمدينة :

روى ابن سعد فى كتابه الطبقات الكبرى عن ذلك فقال : (لما هاجر رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة هو وصحبه مروا بخيمة أم معبد الخزاعية تحتبى وتقعد بفناء الخيمة تسقى وتطعم ، فسألوها تمرا ولحما يشترونه فلم يصيبوا عندها شيئا من ذلك لنفاد زادهم بسبب ما أصابهم من جدب واعتذرت لهم بقولها : « والله لو كان عندنا شيء

٢) كتاب نهاية الإرب فى فنون الأدب ، السفر السادس عشر ، تأليف شهاب الدين أحمد عبدالوهاب النويرى طبعة دار الكتب المصرية سنة ١٣٧٤ هـ ـ سنة ١٩٥٥ م .

٣) كتاب حياة الصالحين ـ الجزء الرابع ، تأليف الأستاذ عبدالمنعم قنديل طبعة سنة ١٩٨٥ م

ما أعوزكم القرى » فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة فى كسر الخيمة فقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟ قالت : هذه شاة خَلَّفها الجهد عن الغنم ، فقال : هل بها من لبن ؟ قالت : هى أجهد من ذلك ، قال : أتأذنين لى أن أحلبها ؟ قالت : نعم بأبى أنت وأمى إن رأيت بها حلبا ، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال : اللهم **بارك لها فى شاتها ، قال : (فتفاجت) ـ أى** تهيأت للحلب وفرجت ما بين رجليها ـ ودرت واجتزت فدعا بإناء لها يرض الرهط ـ أى يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ، فحلب فيه فسقى أم معبد فشربت حتى رويت ، وسقى أصحابه حتى رووا ، وشرب ﷺ آخرهم ، وقال : ساقى القوم آخرهم ـ فشربوا جميعا ، ثم حلب فيه ثانية عودًا على بدء ، فغادره عندها ، ثم ارتحلوا عنها .

ثم جاء زوجها أبو معبد فلما رأى اللبن عجب وقال لامرأته : من أين لكم هذا والشاة عازبة ولا حلوبة فى البيت ؟ فردت وقالت : لقد مر بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت ، قال : والله إنى لأراه صاحب قريش الذى يُطلب ، صفيه لى يا أم معبد قالت : « رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، أبلج الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسيم قسيم ، فى عينيه دعج ، وفى أشفاره وطف ، وفى صوته صحل ، أحور أكحل ، أزج أقرن ، شديد سواد الشعر ، فى عنقه سَطع ، وفى لحيته كثاثة .

إذا صمت عليه الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، وكأن منطقه خرزات عقد يتحدرن ، حلو المنطق ، فصل لا نزر ولا هذر ، أجهر الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلاهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لاتشنؤه من طول ، ولا تقتحمه عين من قصر ، غصن بين غصنين ، فهو أنظر الثلاثة منظرا وأحسنهم قدرا ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله ، وإن أمر تبادروا إلى أمره ، محفود محشود لا عابي ولا مُفند » .

قال أبو معبد : « هذا والله صاحب قريش الذى ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقته لالتمست أن أصحبه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا) »[٤] .

وتروى كتب السيرة النبوية أن صوتا بمكة عاليا كانوا يسمعونه ولا يدرون من صاحبه ، وظنوه هاتفا من الجن أخبر الناس بما وقع فى خيمة أم معبد فكان مما قال :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحلا
فأفلح من أمسى رفيق محمد
ليهن بنى كعب مقام فتاتهم
ومقعدها للمؤمنين بمرصد

---

٤) كتاب السيرة النبوية ، تأليف الإمام عبدالرحمن بن الجوزى ، الجزء الأول ، هدية مجلة الأزهر ربيع الأول سنة ١٤١١هـ ، وحديث أم معبد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة والترمذى وابن ماجة والدرامى فى الأشربة والإمام أحمد .

ومعانى المفردات هى : الوضاءة : تعنى حسن الوجه ونظافته ، ثجلة : تعنى عظم البطن وكبرها ، والصلعة : تعنى صغر الرأس ، الدعج : هو شدة سواد العينين مع سعتها ، الوطف : هو كثرة شعر الحاجبين أو العينين مع طوله ، وهو من علامات جمال الأعين ، الصحل : هو انشقاق فى الصوت يجعل فيه بحة حسنة ، السطع : هو لمعان وبريق غاية فى الاعتدال ، أزج : هو من تظهر عينه كأنه قد وضع فيها كحل خلقة ، والأقرن : هو متصل الحاجبين ، محفود : تعنى مخدوم ، ومحشود : أى مطاع يحف به أصحابه ، ولا مفند : أى ليس ضعيف الرأى . هذه المعانى نقلت عن ملحق مجلة الأزهر « الهجرة » المحرم سنة ١٤٠٣ هـ .

سلوا أختكم عن شاتها وإنائهـا
فإنكم إن تسألوا الشاة تشهد(٥)

سراقة بن مالك عند فتح مكة :

وتمر سنوات ثمانية على حادث الهجرة ، ومخيلة سراقة بن مالك لا تفارقها صورة ماحدث له ولفرسه زمن الهجرة ، وقد أقرت هذه المعجزات فى وجدانه أن الرسول ﷺ يرعاه الله ويظله بعنايته ، وأن الأقدار تواكبه وتحرسه ، وأن يد الله تجرى له المعجزات التى تشهد بنبوته وتحميه من خصومه وأعدائه .

ولما تم فتح مكة بقيادة رسول الله ﷺ ، وفرغ من غزو حنين والطائف توجه سراقة بن مالك ومعه كتاب رسول الله ﷺ الذى حصل عليه زمن الهجرة فلقيه بالجعرانة ، وهى ماء بين مكة والطائف على سبعة أميال من مكة ، فدخل فى كتيبة من خيل الأنصار ليصل إليه فجعلوا يقرعونه بالرماح ، ويسألونه عن قصده لكنه لم يلتفت إليهم ، حتى دنا من رسول الله ﷺ وهو على ناقته ورفع يده بالكتاب وقال :

« يارسول الله ﷺ ، أنا سراقة ابن جعشم » .

فقال رسول الله ﷺ : « يوم وفاء وبر ، ادنه » .

قال : فدنوت منه فأسلمت(٦) .

وبينما كان سراقة جالسا مع النبى ﷺ يوما بعد إسلامه إذا به يقول لسراقة : « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟» .

ويعجب سراقة وتسرح خواطره بعيدا إلى مملكة الفرس ويسأل نفسه : هل يمكن لبدوى مثله أن يلبس سوارى كسرى ؟

لكنها نبوءة رسول الإسلام الصادق فيما يقول ، وستثبت الأيام فى المستقبل ذلك ، وتمر الأيام والشهور والسنون ، وتقوم الحرب بين دولة الإسلام الراشدة الفتية ودولة الفرس ، ويتم النصر فيها للمسلمين فى عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ويرسل سعد بن أبى وقاص قائد جيوش المسلمين المنتصرة إلى الخليفة كل ما استولى عليه من غنائم فى إيوان كسرى ومنها سوارين له .

وعندما كان سراقة جالسا عند أمير المؤمنين عمربن الخطاب إذا به يلقى بسوارى كسرى إلى سراقة فيلبسهما فى يده ؛ فقال له الخليفة الراشد رضى الله عنه « قل : الله أكبر » فقال سراقة : الله أكبر .

فقال له عمر : « قل الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابى من بنى مدلج » .

فكرر سراقة هذه العبارة كما نطقها خليفة المسلمين ، ويسترجع سراقة بن مالك ما قاله له رسول الله ﷺ يوما بعد إسلامه زمن فتح مكة « كيف بك إذا لبست سوارى كسرى ؟ » ثم يقول فى نفسه : « صدقت يا رسول الله ، لقد كنت تنظر بنور الله ، هذه نبوءتك قد تحققت »(٧) .

٥) كتاب سيرة الرسول تأليف الدكتور محمد الطيب النجار مرجع سبق ذكره .

٦) كتاب نهاية الإرب فى فنون الأدب السفر السادس عشر مرجع سبق ذكره .

٧) كتاب حياة الصالحين الجزء الرابع مرجع سبق ذكره .

لقد شاء الله لهذا الأعرابى من بنى مدلج بن جعشم أن يشهد بنفسه معجزتين من معجزات رسول الله ﷺ الأولى زمن الهجرة والأخرى تحققت له فى عهد الخلافة بعد وفاة رسول الإسلام صلوات الله وسلامه عليه .

بريدة بن الخصيب ومحاولته البحث عن ركب الرسول خلال الهجرة لكنه يدخل فى الإسلام فجأة :

كان بريدة بن الخصيب رجلا بعيدا عن قريش وطمع فى جائزتها ؛ لذلك جد فى البحث عن رسول الله ﷺ خلال الهجرة ، وذلك ليقتله أو يأسره لصالح قريش ، فقد أخرج البيهقى عنه قال : « لما جعلت قريش مائة من الإبل لمن يرد النبى ، حملنى الطمع فركبت فى سبعين من بنى سهم ، فلقيته فقال : من أنت ؟ قلت : بريدة ، فالتفت ﷺ إلى أبى بكر وقال : برد أمرنا وصلح ، ثم قال : ممن أنت ؟ قلت : من أسلم ، قال : سلمنا ، ثم قال ممن ؟ قلت : من بنى سهم ، قال : خرج سهمك يا أبا بكر . فقال بريدة : من أنت ؟ قال : أنا محمد بن عبدالله رسول الله ، فقال بريدة : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله » .

وأسلم من كان معه جميعاً ، قال بريدة : الحمد لله الذى أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين ، فلما أصبح قال بريدة : يا رسول الله ، لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها فى رمح ، ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة[٨] .

وبعد :

ففضلا عما تبين سابقا من وضوح معجزاته ﷺ فى طريق الهجرة يتبين بجلاء حفظ الله له ومنعته من أعدائه ، رغم أنه كان أعزل من السلاح ، ولا يوجد حوله أحد من أهله وعشيرته يحمونه من عدوه ، كما كان بمكة .. ولكن الله تكفل بحفظه وسلامته حماية لدينه (الإسلام) الذى أنزله لخير البشر ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[٩] ، وتطبيقا لقوله جل وعلا : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾[١٠] .

---

٨) كتاب نافذة على الإيمان تأليف الشيخ مصطفى الحديدى الطير سلسلة البحوث الإسلامية طبعة ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م

٩) سورة آل عمران آية ١٩

١٠) سورة المائدة آية ٦٧

السعادة والإيمان الحق*

بقلم الشيخ / معوض عوض إبراهيم

يشقى الناس ويسعدون بقدر استمساكهم بهدى الله الذى جاءهم به أنبياؤه ورسله ، وبخاصة ذلك الدين الذى أدّى أمانته سيدنا محمد ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ باعتباره كلمة الله الأخيرة ، ولأنه الدين الذى جمع الله فيه ما تفرق فى شرائعه من كمالات ، واستوعب قضايا العقيدة والعبادة والسلوك والعلاقات . ومالابدّ للأحياء منه ، من ردّ أبصارهم وبصائرهم ، وتقليب أفئدتهم فى مشاهد الكون والحياة ، وشواهد الأنفس والآفاق ، لتنمو فيهم فطرة الله .. ﴿ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم : ٣٠] .

وليست السعادة الحقة هى مباهج النفس ورضاها بمكانها الملتمع فى مدارج المجتمع وحظوظها من شهوات النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث .

فما كل ذلك وما وراءه إلا كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾

[الزخرف : ٣٥]

ورحم الله الصحابى الجليل أبا الدرداء .. فقد قال :

ولست أرى السعـادة جمع مال
ولكـن التقـى هو السعيـد
وتقوى الله خير الـزاد ذخـرا
وعنـد الله للأتقـى مزيـد

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

[الرعد : ٢٨]

﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾

[آل عمران : ١٨٥]

﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴾ .

[سورة النساء ـ آية : ٨٧]

وليست الشقاوة فى أَمَلٍ لم يُنَلْ ، أو عرض دنيوى لم تحصل عليه ، ولا مجرّد التَّغَلُّبِ فى سباق الحياة ، والحياة نفسها زائلة فما البكاء على ما فيها ؟!!

﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾
[الحديد : ٢٣] .

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾
[العنكبوت : ٦٤]

إن الآخرة هى الحياة الخالدة التى يؤتى الله فيها من اتقاه فى دنياه أضعاف ما اشتهاه فى حياته الأولى وتمناه ..

﴿ وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾
[الزخرف : ٣٥]

وأية شقوة أشد وأنكى من حال إنسان يمضى فى أولاه على هواه ، ويضع دَبْرَ أذنه هدى الله ، ويستعلى على نصحك الناصحين ، وتأخذه العزة بالإثم ، إن ذكّره أحد بحلم الله وإمهاله للعصاة عله يتذكر أو يخشى ، فلا يلبثَ أن يأخذه الله بذنبه ، أو يؤخره ليوم تفضحه فيه جوارحه وتشهد عليه :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾

﴿ النور : ٢٤ ـ ٢٥]

وما أشقى العصاة وأوجع حيرتهم يومئذ ...

قال تعالى :

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾

[فصلت : ١٩ ـ ٢٤]

والقرآن والسنة ومثلات الذين خلوا هى حجج الله على الذين انحرفوا بعقيدتهم عن الله تعالى ، وما يجب له من توحيد فى العبادة والقصد .

﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾

[الحج : ٣١]

وما أجمله القرآن الكريم من حق الله ـ تعالى ـ على العباد من صلاة وصيام وزكاة وحج وإذعان يغلّفها الإيمان ، وتفصلها السنة المطهرة ؛ باعتبارها وحى الله لرسوله ﷺ ..

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾

[النحل : ٤٤]

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥
[النجم : ٣ ـ ٥]

إنه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قد بين كل ذلك بسنته قولا وعملا وتقريرا وأخلاقا وحالا ، كما جلت سنته ما أجمل القرآن الكريم من أجزية وأحكام كيلا يكون حجة بعد الرسل ، للذين استخلفهم الله فى أرضه وكلفهم بما يصلحهم فى دنياهم وأخراهم ، ولا يشق عليهم أو يعنتهم ، وهو ـ سبحانه ـ يعلم من خلق .. ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾

[الحج : ٧٧]

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾
[البقرة : ١٨٥]

وما أمر الله ـ تعالى ـ إلا بما هو كمال فى ذاته ، وشرف لمن أمرهم وكلفهم ، ولا نهى ـ جلت قدرته وحكمته ـ إلا عما لا يتفق وكرامة الحى فى الحياة وفيما وراء الحياة ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾
[فاطر : ٦]

وقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ۝١٢٦ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴾

[طه : ١٢٣ ـ ١٢٧]

ولقد امتن المنعم المتفضل على عباده فقال :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء : ٧٠] .

وهى كرامة تجاوز الحد ، ولا تحيط بها عبارات الواصفين ، ولا تغيب عن جانب من جوانب الحى الذى تجىء آخرته على غرار دنياه قسطا وعدلًا ..

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف : ٤٩]

إن الدنيا مزرعة الآخرة ، وهى مجال العمل والتنافس فى إعلاء بنيانها بعد إرساء أركانها على الإيمان وتقوى الله ـ تعالى ـ كل فى مكانه ، وبقدر وسعه وإمكانه ، وبقدر القوى والاستعدادات التى قسمها الله بيننا ؟ وفاوت فيها أو وافق بين الناس ، وهو الحكيم العليم ، فلا يقولن غافل : كيف تركنى ونفسى ؟ أخالف عن أمره ، وأتبع الهوى ، وأروح مع الغواة وأغدو ؟

فلقد أعذر الغنى الحميد الينا حين أمرنا ونهانا ، وهدانا السبيل ، وتبين لنا نَجْدَى الخير والشر ، والإيمان والكفر ، والهدى والضلال ، وأرانا فى كل يوم آياته فيمن رشد وأصلح فأعزه وأكرمه وقنَّعه بما آتاه من حظوظ الدنيا ، وأكد له أن ما يخاله الناس ضنكا فى عيش ، أو قلة من غنى ، أو هضيمة فى عافية ، ربما حوى فى أطوافه نعمة الرضا عن الله ومكنون رحمته بعباده ، وعلى عكس ذلك ما قد تطمئن إليه النفس ، فإذا هو درب الهوان والخسران :

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) ﴾ سورة الفجر

أجل « كلا » فليس الأمر هكذا :

كم نعمـــــة لله فى
طىّ المصائب كامنـــة

أو كما يقول الشاعر :

قد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت
ويبتلى الله بعض النـــاس بالنعـــم

روى الطبرانى فى الكبير عن ابن عباس :

« .... وربما سألنى ولىّ المؤمن الغنى فأصرفه من الغنى إلى الفقر ، ولو صرفته إلى الغنى لكان شرا له ، وربما سألنى ولىّ المؤمن الفقر فأصرفه إلى الغنى ، ولو صرفته إلى الفقر لكان شرا له » .

وجلت رحمة الله وحكمته وهو يقص علينا فى كتابه أمر قارون ، وأمر الذى عاهد الله فوفاه الله ولم يوف بعهد لله .. قال تعالى :

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

[سورة القصص ــ الآيات : ٧٦ : ٧٧]

وأسكره غناه ، وغره حلم الله ، فتابع عتوه وحماقته ، وهو يرى الباطل صوابا فيحكيه ، حتى ضلّ ضلاله بعض قومه ، ولم تنفعه وإياهم هدايات أولى العلم منهم ، فكان عاقبة أمره قال الله تعالى :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (٨٢) تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾

[القصص : ٧٧ ــ ٨٣]

ولنمعن النظر فى قوله تعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾

[التوبة : ٧٥]

لنزداد يقينا بأن مقاييس الناس للسعادة تضل ولا تستقيم ، حين لا يستهدون بهدى الله الذى خلق لهم مافى الأرض جميعا ، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، ومازوى عن المؤمنين شيئا إلا وهو يدخر لهم ما يرضونه ويجاوز فيهم مشاعر الرضا يوم يلقونه

﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾

[التوبة : ٧٢]

والشيخ على سرور الزنكلونى وهو ــ رحمه الله ــ من خيرة من عرفت فى دراستى العليا فى كلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٣٥ يقول فى كتابه « الدعوة والدعاة » فى فصل (الحاجة إلى هداية الدين) ...

« فالأنبياء هم المعلمون ، وبالتعليم يتم نظام العالم ، والعلم الذى جاء به الأنبياء هو العلم الكاشف عن حقيقة الطريق المستقيم الموصل إلى دار السعادة ، وهو الحكمة التى يقول الله فيها :

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

[البقرة : ٢٦٩]

ويكشف الشيخ الزنكلونى رحمه الله الفرق بين الرحمة والنبوة ، ثم يحدد الطريق إلى سعادة البشر التى استهدفها المرسلون بأمر الله ــ تعالى ــ فيقول :

« وطريق السعادة إجمالا ، هو الإيمان بالله واليوم الآخر ، وترويض الفكر على استحضار المكارم ، واتجاهه إليها ، بعد اقتناعه بها ، وذلك موضوع الأخلاق النفسية وما يتبعه من علم أحوال النفس الذى هو ضرورى للدعاة إلى السعادة » .

ولقد ذكرت فى بحثى عن « دعوات المرسلين » ــ صلوات الله عليهم ــ أن السعادة التى تسع الناس وتصون دنياهم من عوادى الأثرة والتسلط والاستعلاء على الآخرين ومن لعنة « الأنا » ، وتجعل حياتهم عاجل بشرى المؤمن ، إنما هى سعادة الإيمان بالله فبيده وحده الخير ، وله ــ دون سواه ــ الخلق والأمر .

﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾

[التغابن : ١١]

من لم يكـــن لله متهمـــا
لم يمس محتاجـا إلى أحـــد

والذين يحتسون كئوس الشهوات حتى الثمالة ، وتجتمع بأيديهم مقاليد الزمان لن يجدوا صفو النفس ، ولا سكينة القلب ، ولا نعمة الأمن والسلام ، إلا حين يتفيــأون ظلال الإيمان ، ويستمسكون بحبل القرآن ، ويغدون ويروحون مع السنة النبوية وتاريخ سلف هذه الأمة .. فهنا تكمن السعادة ، ويكون المجتمع المسلم مرة أخرى واقعا جميلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

القدوة الحسنة

صور من السماحة والتواضع وكريم السجايا

لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون

مَنْ ذا الذى مَا سَاءَ قَطْ ؟

إنه محمد الهادى ، أكملُ الناس خَلْقا ، وأتمهم أدبا وخُلقا ، أدَّبَه ربُّه وجمَّله بأحسن مكارم الأخلاق ، وأزكى محاسن الآداب ، وأعلى فى العالمين ذكره ، فكانت له الحسنى فقط ، وكان سراجا منيرا ، ونورا مبينا ، هدى إلى الحق وخالص الإيمان .

جاء فى صحيح مسلم أن أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت عن رسول الله ﷺ : « ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة ، ولا خادما إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، وما نيل منه شىء قط فينتقم من صاحبه إلا أن يُنتهك شىء من محارم الله فينتقم لله » .

مع أهله :

أما فى بيته وبين أهله فكان أحسن الناس عشرة ، وأكرمهم خلقا ، وأعظمهم حلما وتواضعا ، وأبرهم ، وأكثرهم مؤانسة لأهله ، وقد سُئِلت السيد عائشة : كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا فى بيته ؟ قالت : « كان ألين الناس بسَّاما ضاحكا ، لم ير قط مادًّا رجليه بين أصحابه » .

وفى مسند الإمام أحمد وصححه ابن حبان عنها قالت : « كان ﷺ يخيط ثوبه ، ويخصف نعله » .

وزاد أحمد : « ويرفع دلوه ، ويَفلى ثوبه ، ويحلب شاته ، ويخدم نفسه » .

أمّا خدمته ﷺ فى بيته فكما يقول أهل العلم : وهذا يتعين على أوقات ، فإنه ثبت أنه كان له خدم ، فتارة بنفسه ، وتارة بغيره ، وتارة بالمشاركة » القسطلانى : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية المقصد الثالث .

معنى هذا أنه ﷺ كان يضرب المثل فى دماثة الخلق ، والرفق بالأهل ، والرحمة بالخادم سواء من حيث المشاركة فى أعمالهم أو الاستقلال ببعض الأعمال فى المنزل أحيانا ، أو من حيث عفة اللسان والتوجيه الرشيد بالقدوة والكلمة الطيبة .

والخادم ناله شرف الحلم والرفق :

لقد كان ﷺ لا ينهر خادما ، ولا يضربه ، ولا يسىء إليه ، وقد روى الترمذى عن أنس

قال : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لى : أفّ قط ، ولا قال لشىء صنعته ، لم صنعته ؟ ولا لشىء تركته ، لم تركته ؟ » .

ولفظ هذا الحديث عند البخارى (الأدب المفرد) قال أنس : قدم النبى ﷺ المدينة ، وليس له خادم ، فأخذ أبو طلحة – زيد بن سهل زوج أم سليم أم أنس – أخذ بيدى ، فانطلق بى حتى أدخلنى على النبى ﷺ فقال : يا نبى الله ، إن أنسا غلام كيس لبيب فليخدمك ، قال أنس : فخدمته فى السفر والحضر ، مقدمه المدينة ، حتى توفى ﷺ : ما قال لى عن شىء صنعته ، لم صنعت هذا هكذا ، ولا قال لشىء لم أصنعه ، ألا صنعت هذا هكذا ؟ وفى رواية زيادة « فما قال لى أف قط » .

والكيس : المتيقظ العاقل الملازم للأمر لا يفر منه .

والأمر فى قوله : فليخدمك : للاستئذان أى ائذن لى أن يخدمك .

وكلمة : صنعته بتاء المتكلم أى مما لا ينبغى صنعه ولم يؤذن به ، أو لم صنعته على وجه لا يليق أو غير سليم ؟

وفى الحديث ما يدلنا على كمال خلقه ﷺ إذ لا يصدر منه حتى ما يلوم به خادمه فيما يتعلق بعمله فى خدمته ﷺ .

ومثل هذا التسامح الكريم لا يكون بطبيعة الحال لو أن الأمر كان يتعلق بالتكاليف الشرعية الموجبة للحقوق الربانية ، أو كان يختص بحقوق غيره من الناس – والله أعلم .

ثم تأمل كرم الخلق فى عتاب الخادم الذى شغله اللعب عن عمله . قالت أم المؤمنين هند بنت أمية (أم سلمة) : إن النبى ﷺ كان فى بيتها ، فدعا وصيفة له – أولها – فأبطت ؛ فاستبان الغضب فى وجهه ، فقامت أم سلمة إلى الحجاب فوجدت الوصيفة تلعب ، ومعه ﷺ سواك ، فقال : « لولا خشية القود يوم القيامة ، لأوجعتك بهذا السواك » أخرجه البخارى فى الأدب المفرد وابن سعد فى الطبقات .

وأبطت : أى أبطأت .

والوصيفة : الوصيف الغلام إذا بلغ حدّ الخدمة .

والوصيف الخادم غلاماً كان أو جارية ، وربما قالوا للجارية « وصيفة » .

فانظر إلى هذه المعاملة السامية للخادم ، وتلك المساواة الكريمة فى العلاقات الإنسانية التى قررها الإسلام ، فلولا خشيته ﷺ من القصاص يوم القيام لضربها بالسواك ، فما بالك بمن يستخدم السوط أو العصا فى غير محله ؟

اختار شرف العبودية :

لقد كان لنبينا ﷺ الحظُّ الأوفر من التواضع والحلم وحُسْنِ الخُلق ، وحَسبُنا من تواضعه ﷺ أنْ خَيَّره – عز وجل – بين أن يكون : نبياً مَلِكاً ، ونبياً عبداً ، فاختار أن يكون : نبياً عبداً ، فشرّفه ربُّه وأعطاه باختيار التواضع أن جعَله : « أول من تنشق عنه الأرض ، وأول شافع ، وأول مُشَفَّع » فقابل ﷺ هذه النعمة الجليلة بمزيد من التواضع ، « فلم يأكل مُتَّكئاً بعد ذلك حتى فارق الدنيا » .

ونهى ﷺ عن إطرائه والمبالغة فى مدحه حتى لا يقع أهل الإسلام فيما وقع فيه غيرهم من تقديس للأشخاص واعتقادهم أنهم يَضُرُّون

وينفعون وإعطائهم حقوق الألوهية ، فضلوا ضلالا بعيدا ، ولذا قال ﷺ : « لا تُطرُونى كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبدُ الله ، فقولوا : عبدُ الله ورسوله » .

« أخرجه الترمذى »

وَحَظِى الضعيفُ والجافى بشرف كرم خُلقه :

ووصفت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ سهولة طبعه ﷺ فقالت : « ما كان أحسن خُلقاً من رسول الله ﷺ ، ما دعاه أحدٌ من أصحابه إلا قال : لبَّيْك » .

وقد كان ﷺ يعودُ المرضى ، ويشهد الجنازة ، ويصير على ذى الحاجة إذا دعاه ليُبيِّن له حاجته ، فكان ﷺ يُلبى دعوته ، ويقف يستمع إليه فى صبر وتواضع حتى يقول ما عنده ثم يقضى له مطلبه ـ كما جاء بيانه عند البخارى وأحمد والترمذى فى الشمائل .

وكما كان يصير على الضعيف كان يحلم ويعطى على ذى الجفوة والخشونة من الأعراب ومن ذلك ما أخرجه البخارى من حديث أنس قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى فجبذ بردائه جبذة شديدة ، قال أنس : فنظرت إلى صفحة عاتقه ، وقد أثرت فيه حاشية البرد من شدة جبذته ، ثم قال الأعرابى : يامحمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه ، فضحك ، ثم أمر له بعطاء .

فأى حلم أعظم من حلمه ﷺ وصبره على الأذى فى النفس والمال ، وتأمل هذا التجاوز عن جفاء من يريد تألفه على الإسلام ، وأخذ الناس بالتدريج فيما يراد لهم من الخير لإصلاح نفوسهم ، وتهذيب أخلاقهم .

قالت أم المؤمنين عائشة : لم يكن النبى ﷺ فاحشاً ، ولا متفحشاً ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح .

أخرجه الترمذى

أى : لم يكن له الفحش خُلقاً ولا مكتسباً .

والفحش : هو كل ما خرج عن مقداره حتى يُستقبح ويدخل فيه القول والفعل والصفة لكن استعماله فى القول أكثر .

والمتفحش : بشد الحاء الذى يتعمد ذلك ويُكثر منه ويتكلفه .

إنما بُعثت رحمة :

وحسبنا فى البرهان على صبره على الأذى يُصيبه فى نفسه ، وعفوه عن عدوه المحارب له فى أشد ما نالوه به من الجراح والجهد بحيث كُسرت رباعيته ، وشج وجهه ، وكان ذلك يوم أُحُد ، وقد شق ذلك على أصحابه شديدا ، فقالوا : لو دعوت عليهم يارسول الله ، فقال ﷺ : « إنى لم أبعث لعَّاناً ، ولكنى بُعثت داعياً ورحمة ، اللهم اغفر لقومى ـ أو أهْدِ قومى ـ فإنهم لا يعلمون » .

نقلَ القسطلانى فى المواهب اللدنية بالمنح المحمدية عن ابن حبان : قال : أى اغفر لهم ذنبهم فى شج وجهى ، لا أنه أراد الدعاء لهم بالمغفرة مطلقاً ـ أى بصفة عامة ، إذ لو كان كذلك لأجيب ـ عليه السلام ـ ولو أجيب لأسلموا كلهم ـ كذا قال رحمه الله .

قال القسطلانى : (وههنا دقيقة) وهى أنه ﷺ لما شُج وجهُه الشريف عفا ، وقال : « اللهم أهد قومى » وحين شغلوه عن الصلاة يوم

الخندق قال : « اللهم أملأ بطونهم ناراً » فقد تحمل الشجَّة الحاصلة فى وجه جسده الشريف وما تحمل الشجة الحاصلة فى وجه دينه ، فإن وجه الدين الصلاة ، فرجح حق خالقه على حق نفسه .

تحليل وتعليل ولكل موقف حال :

ذلك أن حلمه وصبره على خشونة الأعراب ، وإزاء أذى المشركين له إنما هو فيما كان من حق نفسه الشريفة ، وأما إذا كان لله فإنه يمتثل فيه أمر الله تعالى من الشدة ، كما قال له سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ . . . ﴾

التوبة : ٧٣ ــ التحريم : ٩

لقد غضب ﷺ لأسباب مختلفة مرجعها إلى أن ذلك كان فى أمر الله ، وأظهر الغضب فيها ليكون أوكد فى الزجر ، فصبره وعفوه إنما كان يتعلق بنفسه الشريفة ــ صلوات الله وسلامه ــ لقد كان حلمه يسبق غضبه ، ولا تزيده شدة الجهل عليه فيما يلحقه من أذى الناس وجفائهم إلا حلماً وكرما وسماحة خُلق .

وشهدت له بالرسالة سماحته وحلمه :

وهذا رسول الله ﷺ يشتد عليه زيد بن سَعْنة وكان قبل إسلامه من أجل أحبار اليهود إذ أخذ زيد بمجامع قميصه وردائه ونظر إليه بوجه عابس ، ثم قال : ألا تقتضين يا محمد حقى ، فوالله إنكم يابنى عبدالمطلب مطْل ــ أى تسوفون فى أداء الديون ــ وكان لزيد دين بقى على موعد أدائه يومين أو ثلاثة ، وهنا غضب عمر ــ رضى الله عنه ــ واشتد على الرجل بالقول ، وإذا برسول الله ﷺ ينظر إلى عمر فى سكون وتؤدة ، وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا منك ، ياعمر ، أن تأمرنى بحسن الأداء ، وتأمره بحسن اتباعه ــ أى طلبه برفق وفى موعده .

ثم بلغ الموقف فى السماحة أقصى غاية من أعظم إنسان ، إذ قال ــ عليه الصلاة والسلام : أذهب به ياعمر فاقضه حقه وزده عشرين صاعاً مكان ما رعته ــ أى بدل مما تسببت له من الخوف بشدة قولك وغضبك ــ ففعل عمر ما أمر به .

قال زيد بن سعنة : فقلت ياعمر ، كل علامات النبوة قد عرفتها فى وجه رسول الله ﷺ حين نظرت إليه ــ أى بعد قدومه المدينة ــ إلا اثنتين لم أخبرهما : يسبق حلمه جهله ــ أى غضبه ــ ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً ، فقد خبرتهما ــ أى تأكدت منهما بالاختبار ــ فأشهدك : أنى قد رضيت بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمد نبياً .

العبرة يا أحباب الله ورسوله :

إن من تأمل سيرته ﷺ مع أهله ، وأصحابه ، وغيرهم من الفقراء ، والأيتام ، والأرامل ، والأضياف ، والمساكين علم أنه قد بلغ من رقة القلب ، ولينه الغاية التى لا مرمى وراءها لمخلوق ، وأنه ﷺ كان يشتد فى حدود الله ، وحقوقه ، ودينه ، حتى قطع يد السارق وحارب وجاهد ، وكان جهاده خالصاً لله وحده .

ولم يضرب ﷺ مسلماً قط ولا غير مسلم إلا بحق ، وكان يُباسط أصحابه بما يجعل القلوب تزداد له حباً ومهابة ، كما كان يُمازحهم ، ويخالطهم ، ويُحادثهم ، ويُؤنسهم ، ويأخذ

معهم فى تدبير أمورهم ، ويداعب صبيانهم ، ويُجلسهم فى حجره ، ويُجيب الدعوة من الفقير والغنى ، ويقبل الهدية ، ويُثيب عليها .

وكان يُحب أن يخرج إلى أصحابه وهو سَليمُ الصدر خالٍ من أى كدَر تجاه واحدٍ منهم ، فكان يقول لهم ما معناه : « لا يُبلغنى أحدٌ منكم عن أحد شيئا فإنى أحِبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَليمُ الصدر » .

وكان يُلقى السلام على من لقيه ، ويقف مع من يستوقفه ليفضى إليه بما فى نفسه ، ويمزحُ بالحق مع الصغير والكبير _ أحيانا .

ومن مُباسطته للصغير ما أورده الشيخان والترمذى عن أنس : أن أخاً له صغيراً اسمه أبو عمير كان له نُغَير _ عصفور _ يلعب به ، فمات العصفور ، فرآه ذات مرة حزيناً ، فقال : ما شأنه ؟ قالوا : مات نغرُه ، فقال ﷺ : ياأباعمير ما فعل النغير ؟ وكان كلما رآه سأله وآنسهُ بحلو شمائله وكريم تواضعه ورفقه .

وقد بلغ من سعة الصدر ودوام البشر ، ولين الجانب ، والإقبال بوجهه المنير على أصحابه بابتسامته المشرقة أن كان يَظُنُّ كلُّ واحدٍ من أصحابه أنه أحبُّهم إلى قلبه الشريف ﷺ .

ما عاب ﷺ طعاماً مباحاً قط إن اشتهاه أكله وإلا تركه _ كما جاء فى الصحيحين _ أما الحرامُ فكان يَذمُّه وينهى عنه .

كانت حياته حلماً وعلماً ونوراً وهداية ورحمة ، ولولا ما رزقه الله من كمال العقل والأدب وتمام مكارم الأخلاق ، وعظيم التواضع والإيناسِ لأصحابه بمباسطتهم وإدخال السرور على قلوبهم لما قدر أحد أن يقعد معه ، ولا أن يسمع كلامه ، لما رزقه الله من المهابة والجلالة ، لذا أثر عنه أنه كان يجلس على الأرض أو يضطجع بها ، ويتحدث مع بعض نسائه قبل أن يخرج إلى الناس .

ولقد أثر عنه _ أيضاً _ قوله : « إنما أنا عبد ، آكل كما يأكل العبد ، وأجلس كما يجلس العبد » وكان يذكر دوما أنه من الأرض فأورثه الله _ عز وجل _ رفعته إلى السماء ، وحسبه شرفاً أنه أحب الخلق إلى الله ، وحسبنا شرفا أننا من أتباعه ﷺ .

فاللهم ارزقنا حُسْنَ الاقتداء به ، وصلِّ اللهم عليه وعلى آله وأصحابه وعلى من صلى عليه وسلم من الموحدين إلى أن تقوم الساعة .

هداية الإنسان في ذكرى الرحمن

بقلم الأستاذ / محمد عبدالمحسن التفاوتي*

لن نجانب الحقيقة إذا قلنا إن مشكلة عالمنا المعاصر فى حقيقتها هى عدم ذكر الله تعالى .. الأمر الذى من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل وبالتالى عدم تذكر حقه على العبيد من عبادةٍ وطاعةٍ وخشيةٍ واستمساكٍ بشرعه وإيمانٍ برسله وبخاتمهم سيدنا محمد ﷺ ؛ بل كان منهم العدوان فى كثير من الأحيان على الذاكرين لله من قسوة قلوبهم ، وحقيقة الحال أنهم اعتدوا على أنفسهم وإخوانهم وعلى الحياة .

فباجتنا بهم ذكر الله تعالى صارت نفوسهم فارغة من الوحى والعلم الصحيح ومن ثم انطمست معالم الفطرة لديهم وحرموا الهداية وشرح الصدر واستقامة المعايش وفقدوا موروثات النبوة من التآخى والرحمة والعدالة والمساواة حتى أصبح الكل يشكو من الكل .

ذلك ما أخبرنا به الله عز وجل بقوله :

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾(١)

أليست هذه الآية الكريمة أصدق تعبيراً عما يعانيه المسلمون اليوم فى حياتهم نتيجة بعدهم وهجرهم لذكر الله تعالى ..

ولأن مفهوم الذكر قد اكتنفه الكثير من الأباطيل والترهات التى ما أنزل الله بها من سلطان كانت هذه الوقفة مع المفهوم الحق لذكر الله تعالى كما أخبرنا به القرءان الكريم والنبى العظيم ﷺ والعلماء الثقات من أئمة الهدى رضى الله عنهم وجمعنا معهم فى مستقر رحمته ..

---

* الكاتب : مدرس لغة عربية

(١) طه ١٢٤ .

ذكر الله تعالى

معناه : « **الذكر** : التخلص من الغفلة والنسيان »[٢] .

« **والذكر** : الاستحضار بالقلب مع التأمل .. وذكر الله . استحضره في قلبه أو ذكره بلسانه »[٣] .

فالذكر : إذن تخلص من الغفلة والنسيان باستحضار عظمة الله سبحانه فى جميع الأحوال .. سواء كان هذا الاستحضار ذهنياً ، أو قلبياً ، أو لسانياً ، أو فعلياً ويشمل الفعل والتلاوة ، والعبادة والعلم .. وهذا المعنى للذكر هو ما بينه القرآن الكريم والرسول ﷺ فى مناسبات كثيرة .

يقول الله تعالى :

﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾[٤]

فاستحضار عظمة الله ومراقبة قائمة مستمرة حتى فى التعامل التجارى ، وتعاطى البيع والشراء .. فالله معظم دائماً فى ذهن المؤمن .

وبالذكر تطمئن القلوب : يقول الله ـ تعالى :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾[٥]

فاستحضار عظمة الله مستقرة فى القلب متغلغلة فى النفس يجد المسلم حلاوتها وسكينتها فى الحنايا والضلوع .

واللسان رطب به : يقول عز من قائل :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾[٦] .

هذا وكل الآيات والأحاديث التى تحث المؤمن على ذكر الله ـ عز وجل ـ يدخل فى مضمونها ذكر الله باللسان دخولاً أولياً ؟ لأن اللفظ هو أول ما يحتمله ، والأمر هو أول ما يدل عليه .. ومما يؤكد ذلك قول النبى ﷺ : « إن الله عز وجل يقول : أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى وتحركت بى شفتاه »[٧] .

عن عبد بن بسر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأخبرنى بشىء أتشبث به قال :« لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله »[٨] صلى الله وسلم وبارك عليك سيدى يا رسول الله ويدخل فى الذكر اللسان : كل الأدعية والمأثورات التى صحت روايتها عن النبى ﷺ وأثرت عن أصحابه الكرام ، والسلف الصالح ـ رضى الله عنهم ـ ما تعلق منها بأدعية الصباح أو المساء أو أدعية الطعام والشراب ، أو السفر والإقامة كما يدخل فى الذكر اللسانى الاستغاثات الإلهية والاستغفارات الربانية التى ذكرها القرءان ورويت عن نبينا ﷺ[٩] .

---

(٢) ابن القيم . مدارج السالكين / ج ٢ (٤٥١)

(٣) إبراهيم أحمد : القاموس القويم / ج ١ (٢٤٣)

(٤) النور (٣٧) .

(٥) الرعد (٢٨) .

(٦) الأحزاب (٤١ ـ ٤٢) .

(٧) رواه ابن ماجه وابن حبان .

(٨) رواه الترمذى وأحمد .

(٩) من أفضل الكتب فى ذلك «الأذكار» للنووى .

والقرآن الكريم ذكر : يقول تعالى :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(١٠)

والعبادة ذكر : يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ... ﴾(١١) .

فالمراد بالسعى إلى ذكر الله فى الآية الكريمة صلاة الجمعة .

والعلم النافــع ذكر

يقول تعالى :

﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(١٢) .

فالمقصود بأهل الذكر فى الآية الكــريمة المختصون من العلماء(١٣) .

● **أرأيت ـ يرحمك الله ـ كيف أن الذكر لا يقتصر على حالة واحدة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها ، وقد كان النبى ﷺ خير قدوة فى ذلك فقد كان يذكر الله تعالى على كل حال ﷺ مصداقاً لقول الحق جلَّ وعلا :**

﴿ .. فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾(١٤)

الأمر بالذكــــر

إن الذكر هو روح الإسلام ولبه ومقصود كل العبادات فيه . ومتى غفل عنه فى العبادات كانت كالجسد بلا روح ، ولقد ورد الأمر بالذكر فى القرءان الكريم على عشرة أوجه .

أولا : الأمر به مطلقاً : يقول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾(١٥)

فقد ورد الأمر هنا مطلقاً من كل قيد أو شرط .

وجاء فى قوله تعالى :

﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴾(١٦) . **فيه بيان بما ينبغى من توفر حال فى النفس عند ذكر ربها جل وعلا .. فتذكر ربك فى سرك وقلبك .. بلسانك بحيث تسمع نفسك .**

ثانياً : النهى عن الغفلة والنسيان : يقول عز من قائل :

---

(١٠) الحجر (٩) .
(١١) الجمعة (٩) .
(١٢) الأنبياء (٧) .
(١٣) عبدالله ناصح علوان / روحانية الداعية (٦٩ ـ ٧٢) .
(١٤) النساء (١٠٣) .
(١٥) الأحزاب (٤١) .
(١٦) الأعراف (٢٠٥) .

﴿ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[17] .

ويقول جل وعز :

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ... ﴾[18] .

ثالثاً : تعليق الفلاح باستدامته وكثرته : يقول تعالى :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[19]

رابعاً : الثناء على أهله والإخبار بما أعد الله لهم من الجنة والمغفرة : يقول سبحانه :

﴿ ... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[20]

خامساً : الأخبار عن خسران من لها عنه بغيره : يقول تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[21] .

سادساً : أنه ـ سبحانه ـ جعل ذكره لهم جزاءً لذكرهم له : يقول تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ... ﴾[22] .

سابعاً : فى الذكر إخبار بأنه ـ تعالى ـ أكبر من كل شيء : يقول جل وعلا :

﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ .. ﴾[23] .

وفيه أقوال : **أحدها** : أن ذكر الله تعالى أكبر من كل شيء ، فهو أفضل الطاعات لأن المقصود بالطاعات كلها إقامة ذكره تعالى ، فهو سر الطاعات وروحها .

الثانى : أنكم إذا ذكرتم الله ذكركم فكان ذكره لكم أجل من ذكركم له ، فعلى هذا يكون المصدر مضاف إلى الفاعل ، وعلى الأول مضاف إلى المذكور .

الثالث : أن المعنى ولذكر الله أكبر من أن تبقى معه فاحشة ومنكر ، بل إذا تم الذكر ، محق كل خطيئة ومعصية هذا ما ذكره المفسرون ، وفيه فائدتان :

إحداهما : نهيها عن الفحشاء والمنكر .

الثانية : اشتمالها على ذكر الله وتضمنها له ، ولما تضمنته من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر .

---

(١٧) الأعراف (٢٠٥) .

(١٨) الحشر (١٩) .

(١٩) الأنفال (٤٥) .

(٢٠) الأحزاب (٣٥) .

(٢١) المنافقون (٩) .

(٢٢) البقرة (١٥٢) .

٢٣) العنكبوت (٤٥) .

ثامناً : أن الله ـ تعالى ـ جعله خاتمة الأعمال الصالحة كما كان مفتاحها :

وقد ختم الله ـ تعالى ـ به الصلاة فقال سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ .. ﴾(٢٤) .

وختم به الجمعة فقال سبحانه :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٥)

وختم به الصوم فقال :

﴿ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٢٦)

وختم به الحج فقال :

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾(٢٧) .

تاسعاً : الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الله ، وأهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم .

قال تعالى :

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ .. ﴾(٢٨) .

وبذلك جعله ـ سبحانه ـ قرين جميع الأعمال الصالحة وروحها .

وقرنه ـ تعالى ـ بالجهاد وأمر بذكره عند ملاقاة الأعداء وقتالهم فقال ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢٩)

تلك هى الأوجه(٣٠) التى أردت استقصاءها كى ندرك أهمية الذكر وأثره فى حياة المسلم .

يقول ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى تفسير قوله ـ تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾
سورة الأحزاب

---

(٢٤) النساء (١٠٣) .
(٢٥) الجمعة (١٠) .
(٢٦) البقرة (١٨٥) .
(٢٧) البقرة (٢٠٠) .
(٢٨) ال عمران (١٩٠ ـ ١٩١) .
(٢٩) الأنفال (٤٥) .
(٣٠) مدارج السالكين / ج ٢ ص (٤٤٢ ـ ٤٤٥) . البقرة

إن الله لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً ، وعذر أهلها فى حال العذر إلا الذكر ، فإن الله تعالى لم يجعل له حداً ينتهى إليه ولم يعذر أحداً فى تركه إلا مغلوباً على عقله فقال تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾

بالليل والنهار فى البر والبحر ، فى السفر والحضر ، فى الغنى والفقر ، فى الصحة والسقم ـ فى كل حال ـ وعلى أية حال »[٣١] .

فضـــل الذكر

فضائل ذكر الله تعالى أكثر من أن تحصى ؟ ولو لم يرد فيها إلا قوله تعالى :

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ... ﴾

وقوله ـ تعالى ـ فى الحديث القدسى : « **وإن تقرب إلى بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً . وإن أتانى يمشى أتيته هرولة** »[٣٣] .

أقول لو لم يرد إلا هذا لكان كافياً ؟ ولكن اقرأ نعى حديث رسول الله ﷺ عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ :

« ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ، وأرفعها فى درجاتكم ، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة ، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ » قالوا : بلى : قال : « ذكر الله تعالى »[٣٤] .

ويكفى فى فضل الذكر أنه سبب حياة صاحبه ، فالذى يذكر ربه حى ، والذى يغفل عن ذكره ميت ، يقول النبى ﷺ : « مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكره مثل الحى والميت »[٣٥] .

فالقلب الذاكر بمنزلة الحى ، والقلب الغافل بمنزلة الميت ، ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم ... ورحم الله من قال :

فنسيان ذكر الله موت قلوبهم
واجسامهم قبل القبور قبور
وارواحهم فى وحشة من جسومهم
وليس لهم حتى النشور نشور

أفضـــل الـــذكر

يقول الإمام النووى رحمه الله :

واعلم أن المذهب الصحيح المختار الذى عليه من يعتمد من العلماء أن قراءة القرءان الكريم أفضل من التسبيح والتعليل ، وغيرهما من الأذكار . وقد تظاهرت الأدلة على ذلك »[٣٦] .

ويقول الله تعالى :

(٣١) ابن كثير / تفسير / ج ٣ (٤٩٥) .
(٣٢) البقرة (١٥٢) .
(٣٣) البخارى .
(٣٤) الترمذى وأحمد .
(٣٥) البخارى .
(٣٦) التبيان ، النووى .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾(٣٧)

وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد فضيلة القرءان الكريم نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : **ما رواه أبو موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذى يقرأ القرءان مثل الأترجة : ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرءان كمثل التمرة ، لا ريح لها وطعمها حلو ، مثل المنافق الذى يقرأ القرءان كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرءان كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر »**(٣٨) .

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خيركم من تعلم القرءان وعلمه »(٣٩) .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال :قال : رسول الله ﷺ : « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها لأ أقول (آلم) حرف ؟ ولكن (ألف) حرف ، و (لام) حرف ، و (ميم) حرف »(٤٠) .

وأود أن أختم هذه الطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة بحديث جامع من أحاديثه ﷺ يبين فيه فضل القرءان .

عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت : يا رسول الله وما المخرج منها ؟ قال : كتاب الله تعالى .. » .

فيه نبأ من قبلكم ، وخير ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . **هو الفصل ليس بالهزل .. من تركه** من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله .. هو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرءانا عجباً . من علم علمه سبق ، ومن قال به صدق ، ومن حلم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم »(٤١) .

هذا غيض من فيض ، وقطرة من بحر فضائل القرءان الكريم ، أرجو الله أن يجعلنا من أهله .

---

(٣٧) فاطر (٢٩ ـ ٣٠) .

(٣٨) متفق عليه .

(**) الأترج : شجر يعلو ، ناعم الأغصان والورق والثمار ، وثمره كالليمون الكبار ، وهو ذهبى اللون ، ذكى الرائحة طيب المذاق .

(٣٩) البخار .

(٤٠) الترمذى .

(٤١) الترمذى .

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها | فضيلة الشيخ : السيد العراقى

السؤال من السيد / محمد كامل كامل الرحمانى :

١) رجل ميسور الحال ، وعنده ابنه متزوجة وزوجها حالته فقيرة . هل يحق للرجل عند إخراج الزكاة إعطاء ابنته منها ، أم لا تستحق ؟ مع العلم أنها تطلب الزكاة بنفسها عندما يخرج الزكاة .

٢) شاب عقد قرانه على فتاة أصبحت الآن زوجته ولم يدخل بها ، بل هى الآن فى منزل أهلها مع العلم أن أهل الفتاة حالتهم فقيرة ، وهى الآن يتيمة .. هل يجوز للشاب عند إخراج الزكاة إعطاء الزوجة التى ما زالت فى منزل أهلها جزءا من الزكاة ، وهل هذا يعتبر مشروعا أم لا تستحق ؟

٣) ما حقوق الزوج على زوجته ، وما حقوق الزوجة على زوجها كذلك . وما حكم الدين فى خروج الزوجة من المنزل دون إذن زوجها مع العلم أنه موافق على الخروج من المنزل . وما الحكم ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد .. فنفيد :

عن الأول :

بأن الامام مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول : إن الإنسان يجب عليه أن ينفق على خمسة أشخاص : على الأب والأم ، الفقيرين ، ما دما على قيد الحياة ، ولذلك لا يجوز له أن يعطيهما شيئا من زكاته مطلقا مهما كانا فقيرين .

والثالث : ممن تجب نفقتهم على الرجل : الزوجة ما دامت فى عصمته الزوجية ، وكذلك لا يحل له أن يعطيها شيئا من زكاته .

والرابع : ممن تجب نفقتهم على الرجل : الابن إلى أن يبلغ قادرا على الكسب ؛ فإذا بلغ قادرا على الكسب سقطت نفقته عن أبيه ، فإذا كان فقيرا أو كان فى حياة مستقلة يجوز للأب أن يعطيه شيئا من زكاته .

الخامس : البنت تجب نفقتها على أبيها إلى أن تتزوج ، فإذا تزوجت سقطت نفقتها عن أبيها ، وكان زوجها ملزما بالإنفاق عليها ، فإذا كانت فقيرة وهى فى بيت زوجها فى عيشة مستقلة عن أبيها جاز له إعطاؤها جزءا من زكاته ؛ لأنها ـ والحالة هذه ـ تدخل ضمن قول الله ـ تعالى ـ ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ .... ﴾ الآية . سورة التوبة

وعن الثانى :

بأنه إذا كان أهل زوجته التى عقد عليها ولم يدخل بها من الفقراء ، فلا مانع شرعا من إعطائهم من زكاة ماله ، بل هم أولى من غيرهم ، ولا يجوز له إعطاء زوجته لأنه بعقده عليها أصبح لزاما عليه أن ينفق عليها .

وعن الثالث :

نفيد مجملا بأنه من حق الزوج على زوجته أن تطيعه فى كل ما يرضى الله ورسوله ، ولا تعصيه إلا فيما يغضب الله ـ تبارك وتعالى ، وأن تكون صورة حسنة فى عين زوجها تجذب قلبه إليها ، وذلك بالعناية بجمالها وحسن خلقها ، وأن تهتم بواجبها نحو بيتها وزوجها ورعايـــة أولادهما وحفظهم من الانحراف .

السؤال من السيد : محمد مصطفى شرى :

بعض الناس يدينون المذاهب الأربعـــة الفاضلة : مذهب الإمام الشافعى والإمام أحمد والإمام أبى حنيفة والامام مالك ـ رحمهم الله ـ ويحرمون على الناس تقليد واحد منهم ، ولقد دأبت طائفة من الناس على ذم الإمام أبى الحسن الأشعرى ومن اتبعه من السادة الأشاعرة / فما الحكم ؟

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فنفيد بأنه لا شك أن من استطاع استنباط الأحكام الشرعية من القرآن والسنة جاز له الاجتهاد ، إذا استوفى مقومات الاجتهاد . ومن لم يستوفها يسأل أهل الذكر عن الأحكام ، ولا شك أن علماء التوحيد الأولين وعلماء الفقه الإسلامى الأولين قد بينوا الأحكام الشرعية مستوفية للأدلة ، وبهذا نعمل بما وصلوا إليه لقول الله تعالى ﴿فَسْئَلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (الانبياء ـ ٧) ولا داعى للخلافات .

هدانا الله جميعا سواء السبيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .. والله تعالى أعلم .

هل لعب الشطرنج بدون رهان حلال أم حرام ؟

سؤال من السيد / مصطفى حسين مهران ـ موشا ـ أسيوط

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ـ ﷺ ـ وبعد :

الكلام الوافى عن « النرد » الطاولة والشطرنج والدمينو والبسيجة موجود فى كتب كثيرة من أهمها : الزواجر لابن حجر الهيتمى ، ونيل الأوطار للشوكانى ، وحياة الحيوان الكبرى للدميرى وتفسير القرطبى لآية ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾ ـ يونس ٣٢ ـ وحكمها : أن هناك شبه اتفاق على أن ممارستها محرمة إن كان فيها قمار أو صاحبها محرم كشرب خمر أو سفور أو خلوة أو سباب أو ترتب عليها ضياع واجب ، أو ضرر أياً كان هذا الضرر .

والذى ذكرته الكتب القديمة عن النرد المعروف بالطاولة ما ورد فى حديث رسول الله ـ ﷺ ـ « من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى دم خنزير » . رواه مسلم عن سليمان بن بريدة عن أبيه ، وهذا الحديث حجة للشافعى والجمهور فى تحريم اللعب بالنرد وقال أبوإسحاق : يكره ولا يحرم ـ شرح مسلم ج ١٥ ص ١٥ .

أما الشطرنج : فقد قال فيه النووى : وأما الشطرنج فمذهبنا انه مكروه وليس بحرام ، وهو مروى عن جماعة من التابعين . وقال مالك وأحمد : حرام ، وقال الحافظ ـ بعد ذكر حكم النرد .. واختلفوا فى اللعب بالشطرنج ـ فذهب بعضهم إلى إباحته لأنه يستعان به فى أمور الحرب ، ومنهم سعيد بن جبير والشعبى .

ولكن بشروط ثلاثة : عدم القمار ، وعدم الإلهاء عن وقت الصلاة ، وحفظ اللسان حال اللعب عن الفحش .. هذا والله تعالى أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« فقد كنت للدنيا مذلا ، وللأخرة معزا »

حدَّث الزبير قال : قامت السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ بعدما دفن أبوها أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ فقالت :

نضر الله وجهك ، وشكر صالح سعيك ، فقد كنت للدنيا مذلاً بإدبارك عنها ، وللأخرة معزا بإقبالك عليها ، ولئن كان رزؤك أعظم المصائب بعد رسول الله ﷺ وأكبر الأحداث بعده ، فإن كتاب الله قد وعدنا بالثواب على الصبر فى المصيبة ، وأنا تابعة له فى الصبر فأقول : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ومستعيضة بأكثر الاستغفار لك ، فسلام الله عليك توديع غير قالية لحياتك ، ولا رازئة على القضاء فيك .

« نصيحة »

كتب عمربن عبدالعزيز إلى الحسن البصرى ـ رضى الله عنهما ـ يطلب إليه أن يجمع له أمر الدنيا والآخرة فى كتاب فأجابه :

إنما الدنيا حلم ، والآخرة يقظة ، والموت متوسط ونحن فى أضغاث أحلام .

من حاسب نفسه ربح ، ومن غفل عنها خسر ، ومن نظر فى العواقب نجا ، ومن أطاع هواه ضل ، ومن حَلُمَ غنم ومن خاف سلم ، ومن اعتبر أبصر ، ومن أبصر فهم ومن فهم علم ، ومن علم عمل ، فإذا زللت فارجع ، وإذا ندمت فأقلع ، وإذا جهلت فاسأل ، وإذا غضبت فأمسك .

« رجل لا يوجد من يقول بقوله »

قيل ليونس بن عبيد : هل تعرف رجلا يعمل بعمل الحسن البصرى ؟

فقال : رحم الله الحسن ، والله ما أعلم أحدا يقول بقوله : فكيف يعمل بعمله ؟! كان والله إذا ذكرت عنده النار كأنه لم يخلق إلا لها ، وما رؤى قط إلا وكأن النار والجنة بين عينيه ، خشية ورجاءً ، لا يغلب أحدهما صاحبه .

« أخرنى إلى غد »

أمر الحجاج بإحضار رجل من السجن ، فلما حضر أمر بضرب عنقه ، فقال : أيها الأمير أخرْنى إلى غد ؛ قال : وأى فرج لك فى تأخير يوم واحد ، ثم أمر برده إلى السجن ، فسمعه الحجاج وهو راجع إلى السجن يقول :

عسى فرج يأتى به الله إنه
له كل يوم فى خليقته أمر

فقال الحجاج : والله ما أخذه إلا من كتاب الله ـ وهو قوله ـ تعالى ـ « كل يَوْمٍ هو فى شأْن » وأمر بإطلاقه .

« كل شىء كاف »

إن الغنى هو الغنى بنفسه
ولو انه عارى المناكب حافى
ماكل ما فوق البسيطة كافيا
وإذا قَنْعت فكل شىء كافى

« الشكر معرفة العجز عن الشكر »

روى أن سيدنا داود ـ عليه السلام ـ قال : إلهى كيف أشكرك ، وشكرى لك نعمة من عندك !!

فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه : الآن قد شكرتنى ؛ وفى هذا يقال : الشكر على الشكر أتم الشكر .

استفزاز الشيطان بعزة السلطان

أسْمَعَ رجل سيدنا عمر بن عبدالعزيز ـ رضى الله عنه ـ بعض ما يكره ؛ فقال : لا عليك ، إنما أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تناله منى غدا ، انصرف إذا شئت .

« حقا »

والروح كالريح إن مرت على عطر
تطيب وتخبث إن مرت على جيف

« لا تعجب بسلطان أو مال »

قال ابن المقفع : إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبك ذلك ، فإن زوال الكرامة بزوالهما ، ولكن يعجبك إن أكرموك ، لأدب أو علم أو دين .

دعاء

اللهم ارحمنا إذا أتانا اليقين ، وعرق منا الجبين واشتد الحنين والأنين .

اللهم ارحمنا إذا اشتدت السكرات ، وفاضت العبرات ، وتعطلت القوى والقدرات .

اللهم ارحمنا إذا يئس منا الطبيب ، وبكى علينا الحبيب .

اللهم ارحمنا إذا حُمِلْنا على الأعناق ، والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق .

من أعــلام الأزهــر

الشيخ الجليل أمين الخولى

محاولة راجية لتأصيل منهج سديد

أ. د. محمد إبراهيم الفيومى (٭)

الشيخ أمين الخولى رائد من الرواد الذين يعدون بحقّ من صناع معالم النهضة الفكرية والثقافية الحديثة ، وصناع مناهج التجديد فى أدب التاريخ وفلسفة البحث والدراسات الإسلامية ، وفن القول .

(٭) الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

والشيخ أمين الخولى : علم فذ من هؤلاء الأعلام الرواد رمى بقوسه فأصاب مرماه ، وتربع على كرسى الزمالة بينهم ، وفى الحق أن مجال الكتابة عن الشيخ الجليل الشيخ أمين الخولى ـ العالم الباحي المحقق ، الذى توفر على دراسة آداب العربية ونواحى التاريخ الإسلامى والدراسات الإسلامية ـ مجال واسع لمن يريد أن يتوسع فى دراسة تلك الشخصية ، ولا شك أنها ناحية خصبة يجب أن يتناولها ـ بإسهاب ـ تلاميذه الأوفياء وأصدقاءه الذين اتصلوا به ودرسوا عليه وعاشروه طوال حياته .

فمن هو الباحث المخلص الذى يجب أن يكون وفياً ليكشف عن جهود الشيخ فى التجديد ، وجهاده فى تجلية آفاق المعرفة ؟

أم أن العقوق هو داء التلاميذ دائماً فلا يكاد يُغَيِّبُ التراب شخصية عظيمة طيبة المآثر حتى نذكرها بكلمة أو نرثيها بقصيدة ، وهذا كل ما نقدر عليه ؟!

إن جهود الشيخ أمين الفذة هى أمانة فى عنق أصحابه .. وإن هذه الذكرى التى تقام اليوم آراها بداية متواضعة ، علها تكون بدءا لدراسات عن الشيخ الجليل وحفزا لهمة الأمناء ليفصلوا قواعد رؤيته المنهجية . ويبينوا أثرها فى بناء مدرسة الأمناء وتميزها ، وما قدمته فى تجديد الفكر والثقافة .

بدأها فى مقدمة كتابه الرائع : (مالك بن أنس) كتاب رائد فى المنهج والمذهب ، إلى الأمناء(*) وبرغم أن الشيخ الجليل واسع العلم والمعرفة غزير الإنتاج إلا أننى سأقصر كلمتى فى ذكراه حول ترجمته المحررة للإمام مالك بن أنس . ولقد اخترته من بين مؤلفاته لعدة دوافع :

الدافع الأول : حبى الشديد لمنهج الشيخ حبا غلب علىّ ، وأثّر على كتاباتى فيما بعد على ما اخترته من أعلام كالإمام الغزالى ، أو ابن باجة(**) ، فإن كثيرا من القضايا الفكرية أو السياسية المطروحة فى التاريخ عنهما كانت مغلوطة حين درست منعزلة عن تاريخ أصحابها ، أما حين تقرن الأحداث بأصحابها وزمانها ومكانها وأشخاصها ، وفق منهج الشيخ فلقد صححت وصحت الرؤية وتلاقت الأبعاد . وخفت أوزار عن كاهل الذين حُمِّلُوها من سوء ما يحكمون .

الدافع الثانى : يشعرك الكتاب ـ بدءا من الكلمة المأثورة عن الإمام مالك : بلغنى أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء .

(*) الأمناء : اسم يطلق على مدرسة الشيخ أمين الخولى ورواد صالونه الأدبى .

(**) ابن باجة فيلسوف أندلسى .

ثم كلمة الإهداء : إلى الذين يقدرون تبعات القلم وما يسطرون ـ أن مؤلف الكتاب رجل باحث لم يقصد من تأليف كتابه إلا بيان الحقيقة ناصعة ، فلم يكن ممن يذهبون فى التأليف إلى غرض من دعاية دينية ، أو سياسية ، ولا ممن يتسترون بالعلم من أجل غرض يخفيه ، أو شهوة يتسترها ؛ بل كان نزيها فى بحثه قاصدا فى قوله إلى اللباب .

الدافع الثالث : إنك حين تقرأ الكتاب تداخلك عظمته وعظمة الكاتب ؛ فلقد مهد له بمقدمة تحوى أمورا يجب علمها ، وقواعد فى المنهج تجب معرفتها ، وقيمة كتب الطبقات ، وهو فن تميز به الإسلاميون عن غيرهم من الأمم السابقة ، وقيمتها العلمية يرتاح لها قلب العالم ، ويبتهج لها عقل الفقيه ، بقلم نظار محقق وبحاثة متبحر كما يقول القدماء .

الدافع الرابع : إن موضوع الكتاب يبدو لمطالعه سهل ميسور ، لا غموض فيه أول وهلة ، غير أنه حين يأخذ فى مطالعته يتبدل الرأى لديه ، ويغلق الكتاب ثم يسرح شارد الفكر ليعيد النظر فى الكتاب من جديد . وذلك ؛ لأن المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ لم ينظر فى ترجمته للإمام مالك على أنه شخصية منقطعة العلاقة بسائر حوادث التاريخ الفكرى والسياسى ؛ بل على إنه شخصية لا يظهر خطرها ولا تتضح حقيقتها إلا إذا قرنت بالأحداث التاريخية الكبرى .

والمؤلف ـ وإن كان معجبا بالإمام مالك ويتشيع لمذهبه ـ إلا أنه كان عادلًا فيما يحلل ويقارن ويرجع بما يخدم الحقيقة ـ وإن كانت تجانب غرامه بالإمام مالك : فهو يذكر حوادث التاريخ ذكر القاضى الناقد ، لا يعبأ أين تميل به الحجة من غير أن تكون فى نفسه مرارة ، أو يكون فى حكمه زيغ ـ فهو إن رأى الحجة مع الإمام مالك فهى معه ، وإن رأى الحجة تجانبه فهو معها ، وفى نفسه سرور الباحث عن الحقيقة إذا وُفِّق للوصول إليها ، إذ ليس فى قلبه ما يسخطه على تلك الحقيقة إذا هى تبدت فى جانب دون جانب ، وهكذا أظهر المؤلف تقدير التاريخ للإمام مالك ، وكيف ألبسه ثوب العزة ، والأنفة ، ورمى عنه ما كان « المنقبون » كما يذهب فى وصفهم الشيخ أمين الخولى ـ وهم كتاب الطبقات ـ قد ألقوه ظلما عليه من التهم ، ووجدوا فيها سبيلا للطعن عليه ، وعلى مذهبه .

تلك هى الدوافع ، وهى أكثر مما ذكرت ، وكأنى بشيخنا يقول بلسان أبى دلامة :

إن النـاسُ غطـونى تغطـيت عنهمُ	**وإن بحثـونى كان فيهم مبـاحث**
وإن حفروا بئـرى حفـرت بئارهـم	**ليعلـم يومـا كيـف تلك النبـائث**

النبيث : المستخرج المظهر .

من هنا خصصت ورقتى فى رؤية منهج الشيخ الجليل من خلال كتابه : مالك بن أنس ، فهو حرى بالدراسة والبحث والتحرى وفيه « نبائثه » .

عقد الشيخ الجليل لكتابه عن الإمام مالك مقدمتين :

الأولى : عن الترجمة وشروطها وعلاقتها بالتاريخ والأدب .

والثانية : فى المنهج : التخصص الدقيق ، والمناقب والتراجم .

أما عن المقدمة التى أطلق عليها « هذه الترجمة » فقد خصصها لتحديد مفهوم الترجمة وفق اجتهاده ؛ فهى فى نظره : «الدرس المتفهم للأشخاص الذين هم العقل العالِم والوجدان المتفنن ، الدافع للحياة .. فهم الحياة فى التاريخ أوهم التاريخ الحىّ .. وليس إلا التاريخ الجامد بل الميت ، إذا لم يعرف الأشخاص الذين نفخوا فيه من روحهم » .

ولقد رتب على مفهومه للترجمة معنيين للتاريخ :

معنى التاريخ فى الفهم الساذج ، وهو الذى يحصره فى أنه جمع للأخبار والأحداث ووصف سطحى لما كان . ويقف به الفهم الساذج عند هذا الحد .

أما التاريخ فى الفهم الدقيق : فهو الذى يراه وصفا لسير الحياة بالكائنات المادية والمعنوية ، يكشف عن سنن ذلك ، ويبين كيف كان هذا المسير ؟ ولم ؟ وإلى أى هدف فليس ذلك كله ، إلا عن فهم للأشخاص الذين صاغوا هذا كله بأيديهم ، وألسنتهم ، وعقولهم وميولهم ، وأخلاقهم وأهوائهم وشهواتهم وحكمتهم وأخطائهم ، وحريتهم ، وجبرهم .

ثم يخلص ـ رحمه الله تعالى ـ بعد هذا العرض إلى تلك النتيجة : فالتاريخ كيفما فهمته بكتب التراجم ، ولن يكتب بدون التراجم .. وكذلك سارت الترجمة والتاريخ ، فى طريق واحد من التدرج والتطور من القصة السامرة .. إلى الحقيقة المُمحَّصة .. وذلك هو التاريخ المرجو ، الذى يستشرف إليه التقدم العقلى ، وأرانى لا أخالف الشيخ فيما سبق إليه .

ثم ينتقل ـ رحمه الله تعالى ـ إلى علاقة التاريخ بالأدب ، وهى من وجهة نظره : إن بَيْن التاريخ والأدب صلة وثيقة ، بدت فى صور مختلفة من التدرج والتطور ، سواء كان التاريخ سيرا خاصا أم كان محاضرة شيقة ، أم قصة مشهودة أو مكتوبة ، أم كتابا مقرؤا ، فهو فى كل أولئك الصور إنما يقوم بفن من القول يقربه من النفوس ، أو يترجم عن وقع الأسماء والأحداث والأعمال عليها ، شعورها بها .

وخلدت تلك المُدَاخَلَةُ بين التاريخ والأدب ، وكانت بين الأدب والتراجم ـ من أنواع التاريخ ـ مداخلة أوثق وثاقة وأقوى ارتباطا ، إذ قدمت السير والتراجم ، مواد من التاريخ لِأضْرُبَ من فنون الأدب .. واحتاجت تلك التراجم والسير ـ فى التاريخ ـ إلى العرض الشيق ، والتعبير المبين ، يمدها به الأدب .

والترجمة ـ من بين صفوف التاريخ ـ تحتاج إلى لون من النشاط الفنى ، والنفاذ الوجدانى حين تحاول فهم نفس المترجم لهم ، اكتشاف دخائل قلوبهم ، وبواعث أعمالهم ، وبيان ذلك وما

إليه بيانا حساسا دقيقا مصورا ، فتكون الدقة الوجدانية ـ وهى ملاك الشخصية الأدبية من خير ما يعين الدقة العلمية ، إذ تتفهم النفوس البشرية فى المترجمين وتجلو الوجود النفسى لهم ثم يصل إلى نتيجة تحتاج إلى مناقشة ، وفيها نظر ، وهى أنه فى رؤيته أن أصحاب الدرس الأدبى حين تسعفهم طاقتهم العقلية وتمدهم ثقافتهم العلمية ، هم الأقدرون على كتابة هذه التراجم ، والتناول الصحيح والدقيق لها .

ثم يوجه دعوته إلى « الأمناء » فيقول : هذا هو ما أشعر به حين أعد هذه الترجمة المحررة من عمل « الأمناء » وأخرجها حاملة طابعهم ، معتدة نفسها من صميم نتاجهم ، وخاص عملهم .

ثم أخذ يبين ـ رحمه الله تعالى ـ خصائص دراسته للترجمة ـ وهو يراها خصائص عامة للترجمة ، وطمعت ـ فى غير غرور ـ أن يكون عملى فى هذه الترجمة المحررة ، سعيا إلى تحقيقه إنما هو صدى لمنهج عقلى ونقلى ، وفنى وأدبى ، ينبغى أن يلتزم فى الترجمة ، حتى تكون ترجمة محررة حقا .

ومن هِجِّيراى المسيطرة ـ الدأب ـ أن أضع الكتاب مثالا للمنهج ، وأصلا فيه ، بعد أن أحرر القول فى المنهج تحريرا لا بأس به ـ إن شاء الله عز وجل ـ فى أن أُعْتَدُّ العمل كل العمل فى جيلنا هذا ، فمتى ما يستقر ويثبت ، يكون له ما بعده من إشادة وإجادة .

وأسس المنهج للتراجم هى :

١ ـ الجمع المستقصى لمواد الموضوع .

٢ ـ ثم النقد الفاحص لها .

٣ ـ التفسير المبين لمرامى هذه الروايات الكاشف عن دلالتها .

٤ ـ العرض الشيق المعبر عنه ، فى صورة مجلوة وضيئة .

ثم يقول : تلك هى خطوات منهج الترجمة المحررة التى عددتها فى التاريخ عملا ، وفى الفن شيئا ، وشعرت فيها بالتقاء الثقافة العقلية ، والدقة التاريخية مع البيان الفنى .

ترجمة الإمام مالك وما أصابته من المنهج :

الجمع المستقصى الشامل لأخبار المترجم : وفى الجمع لهذه الترجمة ، قد بذلت الجهد المستطاع ، للوصول إلى المرويات مهما تكن غير أصيلة ، وظل ذلك مع استطالة الزمن إلى ما فوق عشر سنوات ، راجع فيها كثيرا من المخطوطات حتى إنه رجع إلى مخطوطة ترتيب المدارك للقاضى عياض ، وهو من رجال المذهب ، وراجع أكثر من مخطوطة ليخدم استقصاء المادة العلمية .

النقد الفاحص : وهو فى نظر المؤلف الكبير الذى ينفى ـ كامَّ هذا المجموع كل ما ينزل عن مرتبة الوثيقة . الموثوق بها ، وسبيل هذا النقد ـ فيما قال الأسلاف أنفسهم هو : نقد السند

الذى حمل به المتن ونقل .. ثم فحص المتن المنقول نفسه ، إذ كثيرا مما قاله القدماء يقوم على منهج غير محرر وخاصة ما فى تلك المناقب ، الحاملة بالغرائب والعجائب والتى نقدناها نقدا غير قصير تحت عنوان : (المناقب والتراجم) ، وأما ما رجونا من تحقيق النصوص المنقولة ـ ترجمات ومؤلفات ـ فإن حياتنا العلمية والأدبية عاجزة عن الوفاء به ـ فنحن نعتمد مقهورين على نسخ مطبوعة طبعاً تجاريا سوقيا ، لا أصالة فيه ولا شعور بواجب ما ، أو مخطوطات مفردة حينا أو متعددة لكن لم تتم مقابلاتها المحققة ، والانتهاء إلى الأصيل منها .

هذا ما شعرت بالنقص فيه ، وبينت موضع الحاجة إلى الاستكمال ، ووصفت قصور نقدى بسببه ، وإذا صفيت تلك المرميات ، فبقى النقص منها .

تفسير المرميات : بيان مرماها ومغزاها ، وإيضاح دلالتها وشهادتها واستخراج خطوط الصورة منها ، وملامح الشخصية فيها ، وتبيين بواعث العمل ومقاصد العامل والغايات المنتقاة .

وفى هذا التفسير ، تتحدث الخبرة المباشرة بالحياة ، والتجربة الشخصية لها كما تتحدث الخبرة التى تمدها القراءة والدراسة لشئون تلك الحياة والنفس والمجتمع والأمزجة والشخصيات .

ومن هنا يختلف التفسير والتأويل باختلاف المستوى العقلى والوجدانى للكاتب المتناول : فإن كان غيبى النزعة ، فتفسيره غيبى ، وتأويله لاهوتى ، وترجمته منقبية ، أو هى من المنقبية بسبيل ، وذلك يتفاوت بتفاوت الأشخاص وتمايز الكتاب .

وفى التفسير من هذه الترجمة لم أقتصر على المرميات الخبرية ـ بل قدرت ما لآثار المترجم من أهمية فى الدلالة على نفسه . ومن هنا كان تناولى لما استطعته من ذلك تناولا معتدلا حذرا ، وفى هذا التفسير كله أرجو أن أكون قد عشت فى عصرى ، وقاربت ما يرجو فى فهم حياة إمام مثل : « مالك » بما هو إنسان ، لا غير ، ولا أكثر ، كما أرجو أن أكون فهمت حياة الفقه والرأى وما إلى ذلك من حياة علمية وصلتها بالحياة الاجتماعية ، فهما واقعا يساير السنن الكونية بتدرج واضح المعالم ، لا غموض فيه ، ولا اضطراب ولا شذوذ ، وأن أكون قد قدرت فى ذلك كل أثر للبيئة تقديرا صحيحا يرضى روح الدقة العلمية اليوم .

ويرى الشيخ أمين أن ثمة صفات على الكاتب أو الباحث ـ فوق قواعد المنهج السابقة ـ أن يتميز بها ؛ وأن يتمثل الأمانة ، ويرتفع على التحيز والتعصب ، ويتحرر من التقليد ، ويخلص من الاستهواء ، ويلتزم المراجع والوثائق المحررة ، ولا يستمد إلا من التحقيق الدقيق ، والتفسير العالم .

ومن هنا كانت منقبية الأقدمين فتنة ، كما كان ارتزاق المحدثين محنة ، وهوى السياسة وما إليها بلية .. وكانت الشجاعة الأدبية أوجب وجوبا ، والثقة بالنفس ألزم لزوما ، وفى التعبير ـ من هذه الترجمة ، آمل ألا أكون قد استخفنى أوهام أدبية مقررة ، أو جمح بى خيال ، بل أجريت فيها التعبير جادا .. يخشى أثر الصور البيانية على دقة الحكم وسلامة المعنى فلا ينال من ذلك شيئا ، إلا فى حفاظ على الحق ، ووفاء بالأمانة فى المعنى .

فلم يكن هدف الشيخ من التأريخ لمالك بن أنس والتعريف به ، فذلك سهل ميسور ، تزدحم به المصادر ، أو التعريف بنفسه بكتابة كتاب عن إمام ملأ طباق الأرض علما ؛ إنما هدفه أبلغ من ذلك هدفا : فلقد اتخذ من كتابته عن الإمام مالك سبيلا إلى بيان طرائق كتابة التراجم كفن أدبى ، ولون من ألوان التاريخ وكيف لا ؟ وهم صُنَّاعُهُ وعمالقة الحضارات لذلك كانت الترجمة ــ كما يراها الشيخ ــ عملا له جلاله ؛ لأنها ــ كما قيل ــ دقة علم ــ وما أشق ، فى قوة فن ــ وما أرق .

الترجمة والتخصص الدقيق :

ومما يسترعى النظر ويبعث على الاهتمام ، ذلك المسلك الذى سلكه الشيخ الجليل فى المقدمة الثانية التى عنوانها : فى المنهج : التخصص الدقيق ؛ المناقب والتراجم ، ومنها ــ أن الشيخ ــ رحمه الله تعالى ــ وهو العالم الفقيه الذى كتب عن التجديد والمجددين ، واتخذ منهج التجديد فى حياته العلمية والثقافية والإسلامية ، وهو ــ ولا شك ــ مجال واسع يلف جميع أرائه ــ لمن يريد أن يتوسع فيه ، رسالة وهدفا ، ورسالة التجديد التى تغياها الشيخ فى الميادين العلمية التى طرقها ، أكثرت من خصومه وأثارت عليه النقاد ، وجرفته إلى قضايا مازالت حتى اليوم موضع جدل ، وبرغم أنها طبعت باسم كاتبها إلا أنها مازالت تذكر مقرونة باسم الشيخ أمين ، ما كان أغناه لو غض الطرف عنها .. لولا روح التجديد التى غلبت عليه .. ولعل عنوان مقالة له ذكرنى بها الأخ الفاضل تلميذه الأكبر د. شكرى عياد نشرها فى الأخبار ليدفع بها عن نفسه شر أقلام خصومه .. «وأنا يُقذف بى إلى النار .. إنّه لَحَقٌّ » .. تصور شراسة الخصوم وصرامة موقف الشيخ : ذلك القلم التواق للتجديد والذى لم يكد ينتهى من معركة حتى ينذر بأخرى ، يتحرج وهو يكتب ترجمة محررة عن الإمام مالك ، أن يخوض فى فقهه ويعتذر عن الخوض فيه ــ التمسه من أدب القدماء ، وهو الذى قد ثار على جمود المحافظين .. لكنه الإنصاف وخلق العلماء وأدب أهل التقوى والورع . رحم الله الشيخ وذلك درس يجب أن يعين الذين يتجرأون على الفتيا والذين يخلطون ــ عمدا ــ بين التجديد وقواعده ، والجرأة والتهور فى العلم .

ينقل الشيخ أمين الخولى عن القدماء نصا يصور به أدب المخالف يقول : « إن نقل المخالف فى المذهب لايعتد به » يشرح العلة فى ذلك : إذ الفقه ــ وإن كان علما واحدا ــ تختلف فيه اصطلاحات المذاهب ، وأصولها ، وطرق الترجيح والتصحيح . هكذا يرى أسلافنا ، ثم يقول : فى هذا الرأى تقدير لحرمة الحقيقة ورعاية لحدودها عند البحث ، وأنه يجمل بنا اليوم أن نأخذ أنفسنا بمثل ذلك ، حينما نحاول دراسة ما فى فقه أو أدب أو تاريخ أو غير ذلك . تتفق منه المعانى القديمة مع الروح العلمية للعصر الحديث أتم اتفاق لما يدعو إليه العلم من تخصص ، حتى يكون دراسة ثقة فيه ومرجعا تجدى دراسته على العلم ، وتمده بجديد .

على أنى أقرر هذا أول ما أقرر ، لأكفكف من غلوائى ، فى التحدث عن فقه مالك ـ رضى الله عنه ـ ولم أدرس إلا المذهب الحنفى ، ولأعلن بين يديكم أنى أتحرج وأتأثم من ذلك كل التحرج والتأثم .

من أجل ذلك حددت موضوعى هذا ، بأنه ترجمة محررة للإمام مالك ـ رضى الله عنه ـ وإن تسلم لى ترجمة محررة للإمام مالك فذلك حسبى وكفى ، ـ رحمه الله تعالى ـ فلقد كانت الترجمة محررة ومنهجَ محررٍ .

فلو لم يكن ـ ونحن أمام استخلاص قواعد منهجه التجديدى ـ غير تلك الملاحظة التى أبداها وأصَّلها وأخذ بها ودعا إلى مثلها لما شقينا بمفاهيم الأصالة والمعاصرة بين قومنا .

تقييم المصادر ـ فن الطبقات :

يرى الشيخ أمين الخولى ـ وهو بصدد التأريخ للإمام مالك وتحرير مصادر كتابته التى تعرضت لحياته وفقهه ـ أن كتب الطبقات ـ وهو فن مستحدث مع النهضة الإسلامية ولون من ألوان حضارتها العلمية ، وقد سمى « بالمناقب » .. يبدى عليه الشيخ بعض النقد منه :

ـ أن هذا اللون تخصص فى جمع المفاخر ، يجمع فيه كاتبوه فضائل المترجم له ومكارمه من أفعال وخصائص . يرى فيها الشيخ أنه يعوزها غير القليل من التحقيق التاريخى .

ـ الاعتماد على الرؤى والأحلام فى إثبات الفضائل ، أو التكهن بمستقبل المتحدث عنهم أو مصيره الأخير فى الحياة الثانية . يقول الشيخ :

ومهما يكن الرؤى فى الأحلام فلن تكون مصدرا من مصادر التاريخ . ولا ميزانا من موازين نقد الرجال ، ولا مقدمة من مقدمات الحكم على الأشخاص .

ـ ومن المظاهر المشتركة فى مناقب الفقهاء ، ذكر بشارة الرسول ﷺ لفقيه منهم.

ثم يقول : قبل ذلك وأكثر منه ، أن كاتب المناقب ، يتقدم إلى وصفها فى حال نفسية مطاوعة ، بل مستهواة بمن يكتب عنه . وهو ضرب من الهوى .

يقول التاج السبكى ـ نقلا عن والده فى شروط المؤرخ :

فيقول : وألا يغلبه الهوى فيخيل إليه هواه الإطناب فى مدح من يحبه ، والتقصير فى غيره ، بل إما أن يكون مجرداً عن الهوى ، وهو عزيز . وإما أن يكون عنده من العدل ما يقهر به هواه ، ويسلك طريق الإنصاف فليحذر القارىء هوى أصحاب المناقب ، المتتبعين للفضائل ، المتزيدين فى المزايا والمكارم .

الشيخ يطبق المنهج :

على هذا المنهج الذى عرضنا له وقدمنا زواياه وأبعاده ألزم الشيخ به نفسه فقال : على هذا النهج المسدد نحاول أن نترجم للإمام المحدث الفقيه « مالك بن أنس » ، راجين أن نخرج له صورة بادية الشخصية ، تنهض من وراء الاثنى عشر قرنا الخالية ، واضحة الملامح جلية القسمات بينة الدلالة على الإمام .. وأحب أن أصارحكم هنا القول جهيرا ، فقد انتهت قراءتى عن الإمام « مالك » خلال أعوام إلى ركام من المرويات عن حياة الإمام لا يكاد يخلو فيه خبر من نقض ، ولا رواية من أخرى مقابلة لها سواء فى ذلك ما يتعلق بحياته المادية أو المعنوية ، وبعض هذه المتقابلات ، يشير فيه القوم إلى الأشهر أو الأكثر أو الأصح .. فلم يبق إلا أن أواجه هذه المتقابلات فأنسقها ، وأحاول الانتهاء فيها إلى شىء ، ولو دارت حول ما ليس وراءه كبير عمل ، لأن للحقيقة قيمتها فى نفسها .

ثم يقول الشيخ فى آخر الترجمة :

والآن .. إذ أضع القلم إلى هدأة طويلة أو قصيرة ، عن بحث ما بقى من جوانب شخصية الإمام ، الآن أحمد الله على ما أعان ووفق ، وأشكر الذين عاونوا فى إخراج ما ينجز من هذه الترجمة ذاكرا بالتقدير ما قامت به زوجتى الكريمة الدكتورة بنت الشاطىء من أعباء هذا الإخراج التى لا أنشط لاحتمالها .. جزاها الله خيرا .

وبعـــد :

فإن كتاب مالك بن أنس ترجمة محررة ، لا ينبغى النظر إليه على أنه كتاب يعالج حياة الإمام مالك شأن نظائره من الكتب المترجمة للشخصيات ، إنما هو فى فنه أسمى من ذلك بتفرده فى ميدانه ، فلقد ضمنه الشيخ أمين الخولى طرائقه فى المنهج ، وبنى دراسته لمالك على أساس منها ؛ فالكتاب منهج وتطبيقه . وعلى هذا النسق الفريد جاءت الدراسة تراث ومعاصرة ، قديم وجديد ، منهج وتطبيق ، نقد وبناء ، وتحليل وتركيب .

وعليك ــ أيها القارىء ــ أن تجمع نفسك وترفع من عزمك فى كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ؛ بل وفى كل سطر من سطوره ؛ لتخوض مع الشيخ معاركه النقدية أمام سطوات النصوص ليكشف زيفها ويعين التباسها ويحق حقها .. ولا تكاد تنتهى منه حتى تجد نفسك قد تعلمت بما تأثرت به وخرجت بمنظار ثقافى جديد ورؤية نقدية عليمة ببصائر النقد والتحقيق العلمى ، لذلك قدمت له وقلت : إن هذا الكتاب مُعْلَمٌ ثقافى فى حياتنا المعاصرة لو كان قومى يفقهون .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

استقبال المدينة لنبيِّ الهدى

للشاعر: أحمد محرم

أقبل فتلك ديار يثرب تقبل ... يكفيك من أحمالها ما تحمل
طال التلوم والقلوب خوافق ... يهفو إليك بها الحنين الأطول

القوم مذ فارقت مكة أعين ... تأبى الكرى، وجوانح تتململ
أقبلت فى بيض الثياب مباركا ... يزجى البشائر وجهك المتهلل

خف الرجال اليك يهتف جمعهم ... وقلوبهم فرحا أخف وأعجل
هجرت منازلها بيثرب وانتحت ... أخرى بمكة دورها لا تؤهل

وفدان، هذا من ورائك يرتمى ... عجلا وهذا من أمامك ينسل
ما للديار تهزها نشواتها ... أهى الأغاريد الحسان ترتل ؟

رفت نضارتها وطاب أريجها ... وترددت أنفاسها تتسلسل
فكأنما فى كل مغنى روضة ... وكأنما فى كل دار بلبل

هنَّ العذارى المؤمنات أقمنة ... عيدا تحييه الملائك من عل
فى موكب لله أشرق نوره ... فيه، وقام جلاله يتمثل

تحية وتقدير لشيخ الأزهر الجديد

شعر الشيخ : يوسف الأبنودى (*)

هنـــاء مما ذاك العـــزاء المقدمـــا فمـــا عبس المحزون حتـــى تبسمـــا
لئـــن جل فى فقـــد الإمـــام مصابنـــا فقـد جاء «خلف» كان للخير معلما

● ● ●

جلست على كرسى مجد وسؤدد تحوط به الآمال تحرسه السمـــا
فكـل عيـون النـاس ترنـوا إليكـم وكل قلوب الخلـق تهوى إلى الحمـى

● ● ●

ترجـى نزول الغـيث بعـــد ترقب وتأمـل بعـد الغـرم جبرا ومـــغنما
وأنت إمـــام المسلـــمين فكـــن لهم على هدى طه رائـــدا ومعلمـــا

● ● ●

وجابـه دعـاة الشر فى كل موقـــع لتـــنصف مظلومـــا وتـــروع ظالما
وتجعـل نشر العـدل أمنـا وبلسمـا ولا تخش قتاتـــا ولا تخش لومـــا

● ● ●

وأسال ربى أن يـــاركك عيـــدكم ويـــرزقك التوفيـــق والـــرشد ريثما
ويجمـــع صف المسلـــمين لكـــى نرى عدوهـــم للحـــق يذعـِـن مرغمـــا

(*) مدير عام المنطقة الأزهرية بأسوان .

رابع الأقداس

شعر / السيد الصديق حافظ

النيِّران : الشمسُ والأزهَرُ[1] والخيِّرانِ : النِّيلُ والكَوْثَرُ !
لكنَّ نهرَ البرِّ نُورَ الوَرَى في مصرَ والدُّنيا هو الأزهَرُ !
المسجدُ المِعطَاءُ مَعْرُوفُهُ في العالَمِ المعمور لا يُنْكَرُ !
لوْلاَهُ ما ألفَيْتَ أمَّ اللُّغى تحيا فَلاَ تَفْنى ولا تُقْبَرُ !
ولم تجد في أمَّةٍ داعِياً يُزهى به المحراب والمنبر !

* * *

يحْمِي حِمَى الإسْلام أبناؤه ربُّ العصا[2] والعَالِمُ المبصرُ!
كانوا ومازالوا دعاةَ الهُدى ما غيروا والناسُ قد غيروا !
الناسُ أعراضٌ وهمْ جوهرٌ ! هل تستوى الأعراضُ والجوهرُ ؟!
أقْوالُهُمْ تُهْدى بأعمالهمْ والمَخْبَرُ استهدى بِهِ المظهرُ !
لم تُفتِن الدنيا على حُسْنِها منهُمْ فتىً! كَلاَّ ولا مُعْصِرُ[3]!
يحْيُون للإسلام لم يطلبوا مُلْكاً ، ويحيا شيخُهُ الأكْبَرُ !

* * *

يامَعْهداً أرْكَانُهُ جوهرٌ قد شادَهُنَّ الله لا «جَوْهَرُ»[4] !
يأوى إليها الخلْدُ مستعصماً والدهر ، والأحقاب والأعصر !

---

(١) الشمس والأزهر = الشمس والقمر وفى اللفظ تورية .

(٢) رب العصا = الكفيف . كناية .

(٣) معصر = فتاة بلغت شبابها .

(٤) جوهر = جوهر الصقلى قائد المعز وبانى الأزهر وجوهر الأولى = أحجار كريمة وبين اللفظين جناس تام .

جَاراً لبيْتِ جارُهُ آمِنٌ   فى ذِمَّةٍ تُرْعَى ولا تُخْفَرُ !
يارَابِعَ الأقْدَاسِ (٥) لا تُزْعِجْ   عن ظلِّه دارٌ ولا مَعْشَرُ !
لا تَرْجُ مِمَّنْ عاش مستغرباً (٦)   خيراً إذا أمثالُه تَخَيَّرُوا
قد حقَّروا من مات من قومهم   واستصغروا من عاش واستكبروا
الدِّينُ فى تقْدِيرِهِمْ مُنْكَرٌ !   باءُوا بخِزْيٍ كيفَما قَدَّرُوا !
قد أضمروا أمراً ولكنّهم   لن يبلُغُوا الأمْرَ الذى أضمروا !

* * *

لمَّا جَرَى التطوير (٧) لم يدركوا   أن اختيارَ الله ما طوروا
أمتدَّ نورُ الله حتى غدا   فى كل بيتٍ أزهرٌ يُزهِرُ !
هذا طبيبٌ أزهرىٌ وذا   قاضٍ ، وذا عالِمٌ نيِّرُ !
والبنتُ - يازهراءُ (أستاذةٌ)   تتلُو كتابَ الله لا تَفتُرُ !
قرآنُها فى صدرها حافظٌ   تعنُو لما ينهَى وما يأمُرُ !
لم تَنضُ ثوبَ الطهرِ عن عفَّةٍ   إلا لزَوجٍ مُحصنٍ يمهَرُ !

* * *

يامُدَّعى التنوير (٨) ما تبتغى   من حاصنٍ إلا الذى يستُر !
اخسَأْ عدوَّ الله ! دون الذى   تبغى انتِحَارُ الكُفْرِ أو تُنحَرُ !
«إبليس» ينضو عن بنى «آدمٍ»   أثوابهم جَذْباً لمن ينظُرُ !
هل أنتَ ياصِرْبىُّ من جُندِه ؟!   قد يَدَّعى التنويرَ من يكْفُرُ !

* * *

بالله هادينا وقرآنِنا   والسُّنَّةِ الغَرّاءِ نَسْتَبصِرُ !
الله نورُ الكونِ فى نوره   نسعى فلا نكبُو ولا نَعْثُرُ !

---

(٥) رابع الأقداس = الأزهر الشريف (القدس والحرمان والأزهر) .

(٦) المستغرب مخالف للمستشرق لفظا وموافق له عملا وهم فئة من المنورين - زعما وادعاء - تربّوا فى محاضِن غربيةٍ أرضعتهم احتقار الشرق وتراثه والتمرد على الوحى الصادق .

(٧) التطوير = ظن بعض الناس أن تطوير الدراسة فى الأزهر ستذيب شخصيته وتقضى على رسالته فاستبشر المستغربون ولكن الله أراد بالأزهر الشريف خيرا فاتسعت دائرة رسالته العظيمة وخدماته الجليلة للإسلام .

(٨) مدعو التنوير فى مصر والشرق لاهم لهم إلا تجريد المرأة من ثوب العفة والحشمة وتيسير سبل اختلاط الرجال بالنساء ويعدون ذلك عنوان التحضر والعصرية .

الـ

للشاعر :
محمد عبدالرحمن
صـــان الدين

كلمـا فكــرت فى أنّــى ... عن الدنيــا سأرحــلْ
فوق متــن الموت محمــولا ... إلى ما كنت أجهــــل
تاركــاً أهلى وخـــلانى ... ومألــــوفى المفضَّل
دون زاد غير سِفــــر ... فيــه مفعــولى مسجـــل
تعترينــــــى رعشة فى ... كل شريـــان ومـــفصل

* * *

إن فكـــرى فى خِضَمٍّ ... من تخاميــنٍ وحَــدْسِ
صار قلبــى لعبـــة فى ... كف آمـــال ويـــأس
غير أن الهول كل الــــ ... هول فى ظلمـــاء رَمْسِى
اتركــونى فوق سطـــح ... الأرض فى ظل وشمس
كى يكــون العظــم منــى ... راقــدا فى حضــن أنس

* * *

أيُّهَــذا ذاك عيـــن الـــ ... جهــل والفكــر العــقيم
تحسب الأوهــام رعـــدا ... قاصفــا بين الغيـــوم
وتظـــن الموت وحشا ... رابضاً خلــف التخـــوم
منــه تقضــى العمــر فى رعـــب ، وتحيـــا فى جحيـــم
حينمـــا الأقـــدار قد أحيتـــك فى ظـــل النعيــــم

ـوت مظلـــــــــوم

أيهــا الإنســـان إن العيـــش بعـــد المـــوت يـــدأ
ليســـت الدنيـــا بـــدار مســـتديم أو بملجـــأ

إنهـا من معـــكدن هـــش وإن أغـــراك يَصْـــدأ
أنـت فيهـا طيـــف ليـــل يتلاشـى حيـــن ينشـــأ
بـل غـريق يتغـى فـى عاصـف الأنـــوار مرفـــأ

* * *

أيهـا الإنســـان إن المـــوت صحـو من سبـاتِ
نقلـــة من غـربـة الدنيـــا إلى خلـــد الحيـــاة
وانطـــلاق من قيـــود الجســم أغْشَـــى النزعـــات
فى الوجود الـرحب تحيـا كالطيـــــور السابحات
خاليـــــا من كل هم فى ظلال وارفـــــات

* * *

إن تكـنْ يومـا أسـأت الفعـل واسـتهواك منكـــر
فى غضـون الطيـش والدنيـا أمـام العيـن منظـر
مؤمنــــا بالله ربــــا كل ذنب منك يُغفَـــر
إن يكـــن محيـــاك روضا ناضرا فالموت أنضر
برهـــــة كالبرق تمضى والـذى فى الغيـب يظهـر

مع الشريف الرضى (نوادر ومختارات)

هو من فحول شعراء العربية ، ولد وعاش وتوفى بالعراق ، ويعد من أمراء الشعر فى العصر العباسى كانت له صلات وثيقة بخلفاء بنى العباس وسائر الوزراء والملوك فى عصره .

كتب وأنشد الشعر فى المدح والوصف والرثاء والوفاء والبكاء ، وعبر عن ذلك كله بقوة وعذوبة وصفاء .

اهتم بدراسته والتأريخ لشعره وأدبه الدكتور / زكى مبارك ، وألف عنه كتابا من جزأين سماه : عبقرية الشريف الرضى ، ضم فى مجمله : المحاضرات التى ألقاها عن الشريف الرضى فى كلية الحقوق بالعراق إبان عمله هناك .

وهذه أبيات متفرقة مختارة من نوادر شعره تفصح عن عمق بصره بأخلاق المجتمع وأسرار الناس ، كما تعكس حكمته وهو يرسلها عفوا بلا تصنع ولا تعسف .

من ذلك قوله :

إذا قلَّ مالى قلَّ صحبـى وإن نما ... فلى من جميع الناس أهـل ومـرحب

وقوله:

يغر الفتى ما طال من حبـل عمـره ... وترخـى المنايـا برهـة ثم تجذب

وقوله :

وآمـل أن تقـى الأيـام نفسى ... وفى جنبـتى لها ظفـر ونـاب

وقوله :

تفـدى الفتـى فى عيشه ألسن ... ومـا له من حتفـه فادِ

وقوله :

كل حبس يهون عنـد الليـالى ... بعـد حبس الأرواح فى الأجساد

وقوله :

علامـة العـزّ أن حُسِدت به ... إن المعـالى قرائـن الحسد

وقوله :

ومـا هذه الدنيـا لنـا بمطيعـةٍ ... ولـيس لخلـقٍ من مداراتها بُدُّ

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

هل يمكن أن يحكم الإنسان نفسه ؟

للأستاذ / محمد فريد وجدى

إعداد وتقديم د. عبد الفتاح حسين الزيات

من سنن الله في الخلق أن الروح والجسد مرتبطان ارتباطاً أبدياً ، فكل ما يطرأ على أحدهما يؤثر على الآخر ، فما العمل حينئذ ؟

هنا لابد من تدخل الإرادة ، إذ هى الحكم الفصل وإليها يرجع الأمر فى تعريف الإنسان لشئونه ، شريطة أن تكون الإرادة منضبطة بحيث لا يدر من الإنسان فعل إلا بعد التروى والتفكير فى تأثيره المستقبلى ، فحكم الإنسان نفسه يخضع لاعتبارات نفسية وخلقية واجتماعية ، قد تصعب من مهمة الإنسان حيال نفسه ، وتضعه موضع الاختبار .

فهل هو من القوة بحيث يستطيع أن يسيطر على نفسه بعناصرها المختلفة ؟ وينجح فى كبح جماحها ويسوسها سياسة الرشيد السديد ، فيكون قد بلغ منتهى القوة التى تؤهله ليكون خليفة الله فى الكون ..؟!

قال الأستاذ ـ رحمه الله .

هل يمكن أن يحكم الإنسان نفسه

كتب العالم البسيكولوجى (انتونان أميو) فى كتاب له فى هذا الموضوع تحت هذا العنوان بحثا نفسياً نستحسن أن نلم به لما اشتمل عليه من الحقائق العلمية ، ولأن النابتة العصرية فى أشد الحاجة إليه ، قال :

هل من الممكن أن يحكم الإنسان نفسه ؟ نعم لأننا خلقنا أحرارا ، ومتعنا من الإرادة بما

يسمح لنا بتوجيه أكثر ميولنا شراهة ، إلى وجهات نافعة على قدر الإمكان .

لاشك أننا لسنا أحرارا كالآلهة(١) ، ولسنا مقيدين كالأحجار ، فيجب على الإنسان أن يعرف نفسه ليستطيع أن يعمل ، وما أبعد تلك المعرفة عنه إن لم يدرس نفسه من قرب .

إذا نظر الإنسان لنفسه نظرا سطحياً تبين له أنه مستقر المتناقضات ، ومستودع المتعاكسات ، وناهيك بكائن اجتمعت فيه المادة والروح ! فهو من جهة مادته مقيد بنواميسها ، مأسور لقوانينها ، ومن جهة روحه حر مطلق لا يقيده شيء ، فهو دائر بين الإطلاق والتقييد ، وحياته قائمة على قطبيهما .

هذه المادة التى هى إحدى عناصر ذاتنا ، عرضة للتأثر بكل المؤثرات التى تؤثر على كل مادة ، وبكل الأحوال التى تطرأ عليها من جهة العادة والوراثة . هذه المؤثرات منها ما هو حسن ، ومنها ما هو قبيح . فكل عمل من أعمالنا هو فى حقيقته إما فضيلة وراثية اكتسبناها من آبائنا فرسخت فى نفوسنا على طول الأجيال ، إما رذيلة ورثناها منهم كذلك ، وسنورث ذلك كله لأبنائنا أجيالا متعاقبة .

فالتربية التى كونت لنا عاداتنا الأولى ، والوسط الذى عشنا فيه وأثر علينا آثارا لا تمحى ، وحركة الفصول السنوية ، والمصادفات اليومية ، والأعمال الواقعة علينا من الغير ، ومركزنا الاجتماعى ، وأساطير آبائنا ، وأوهام معاصرينا ، واللحظة التى نحن فيها ، كل ذلك له علينا تأثير لا ينكر ، فنحن إذن من أحوال هذا الفضاء والزمان مثل السفينة فى وسط الأقيانوس الذى لا ساحل له .

هذا هو مكان الإنسان من أحوال هذا العالم ، فهل الذى وضعه فيه زوبعة هبت عليه فقذفته إليه ، وأسلوب سيء سار عليه فرمى به فيه ، أو هذا هو طريقه الطبيعى الذى رسم له من القدم ؟ لا ندرى ولا يهمنا معرفة السبب فى وصوله إلى هذا المركز الخطر ، وإنما الذى يهمنا أن نعرف أننا فيه(٢) . فلنعد إلى وصف أنفسنا فنقول : إننا شبهنا أنفسنا بسفينة فى وسط الأقيانوس ، تلك السفينة مركبة من قطع خشبية مترابطة فيما بينها بروابط ، وهى إما كبيرة او صغيرة ، تامة الأجهزة أو ناقصتها ، متوازنة ، معرضة لنور الشمس أو منزوية عنها ، بعيدة من الساحل أو قريبة منه ، تهب عليها الرياح بحيث لا تستطيع أن تتوارى منها أو تغير من اتجاهها ، معرضة لمصادمات الأمواج من كل جوانبها ، حتى أن أقربها إليها لتهددها بأن تستطيرها أو تزدردها . ولكن فى داخل السفينة التى تتهددها كل هذه الجوائح ربان له عقل وحرية ، ممسك بيده سُكَّانها(٣) ، يستطيع أن يحول كل هذه الجوائح إلى مصلحته ، وأن

(١) هذا نص عبارته ... وهو تعبير جرى عليه كتاب الفرنجة .

(٢) عندنا أن الإنسان قذف به إلى هذه الأرض ، وسلطت عليه عوامل نفسه والبيئة التى هو فيها ليتنقى من خسة الحيوانية

(٣) السكان : ذنب السفينة الذى تدار به .

يستخدم الرياح الثائرة فى إيصاله سالما إلى الشاطىء .

هذه هى صورة الإنسان فهو بمادته عرضة لكل المؤثرات على المادة ، ولكنه بروحه يستطيع أن يدخل إلى حلقات هذه المؤثرات الضرورية قوة جديدة هى إرادته واختياره ، فيستطيع أن يكون هو الناجى الناجح على شرط أن يعرف أسلوب السير ، وأن لا يترك السُكّان من يده ، وأن يضع حريته تحت طاعة إدراكه .

مما يدلك على ذلك أن الإنسان ، وهو أضعف ما على الأرض من حيوان ، استطاع بعقله وحريته أن يكون مليك الطبيعة بلا خلاف ، وقد سخر لخدمته من الحيوانات ما كان يكفى فى إهلاكه من إحدها عضة بناب أو ضربة بمخلب . وقد سطا على الأرض الشحيحة وضرب عليها الجزية من النبات الذى يريده ، وقهر الجبال فنسفها بشرارة يستطيع الطفل أن يسلطها عليها بوضع أصبعه على زر صغير ، وأخضع أصلب المعادن فأذابها كالماء ، أو مدها كما يمد خيوط الكتان .

هذا الكائن يستطيع أن يقهر نفسه ، ومن العذر البارد أن يقول : « لا أستطيع التغلب على مزاجى ، إنى خلقت على هذه الحال » ، ولماذا يقول أمام وحش كاسر يهب لالتهامه : « هذا مزاجه ، إنه خلق على هذه الحال » ؟

نعم إن لك مزاجاً ، ولكنك تستطيع أن تستخدمه فى مصلحتك ، أنت خلقت على ما أنت عليه حقيقة ، ولكنك تستطيع أن تقلب طبيعتك ، وأن تحول خلائقك ، وإذا كان الإنسان قَدرَ أن يقهر الطبيعة العامة فهو على قهر طبيعته أقدر .

فما هو الأسلوب الذى به تحكم نفسك ؟ إنك تستطيع ذلك بالأسلوب نفسه الذى تتسلط به على غيرها . فإن العقبات التى تعترض أمرا من الأمور والوسائل التى توصل إليه ، تشبه أمثالها فى كل ما يحاوله الإنسان . فكل الذى على الإنسان عمله إزاء هذا الغرض السامى ، وهو حكومة نفسه ، هو أن يستجمع الحوادث الماسة بموضوعه ، ويكتشف منها نواميسها الحاكمة عليها ، ويعتمد عليها فى نيل ما تصدى له من هذه الأمنية العزيزة .

هذا هو الأسلوب العملى الذى يجدر بالإنسان ، وهو ذلك الكائن الذى لم يخلق حراً مطلقاً ، ولا مستعبدا مقيداً ، ذلك الكائن الذى وإن كان لم يَقِل عن الحيوانات العجماء فى سعة سلطان الحواس الخمس ، فإنه قد متع من قوة الإدراك بما يريه أسباب الحوادث من خلال تسلسلها .

أول ما يجب علينا عرفانه فى هذا السبيل هو أننا مرتبطون بمجموع الكون ، وأن أجزاء جثماننا بعضها مرتبط ببعض كل الارتباط ، وأن هيكلنا الجسدى كثير التركب ، جم الآلات والأجهزة ، كل منها يؤثر فى غيره ، وينعكس تأثيره على مجموعها انعكاساً طبيعياً منتظما .

إن فى هذا الجسد فضلا عن القوى المادية التى تدور فى زوبعته الحيوية مع حفظ جميع خواصها ، حياة نباتية وحياة حيوانية مختلطة إحداهما بالأخرى ، وقائمة على صورة حياة عامة فى هذا الكائن المسمى بالإنسان .

كل واحدة من هذه القوى الحيوية الثلاث مسوقة لأن تظهر وجودها ، وأن تعمل ، وأن تتناسب والقوى الأخرى فى أعمالها .

ولكن مما يجب الإلتفات إليه أن أعضاء الحياة الحسية مثلا والأوتار التى تحركها ، والأعصاب التى ترتبط بها ، مختلطة بعضها ببعض ، فما يصيب إحداها من ضعف أو قوة يصيب مجموعها معا .

مثل هذا كمثل عناصر الحياة النباتية ، وعناصر الحياة الإنسانية والحيوانية التى فى الإنسان ، فهى متداخلة بعضها فى بعض ، وتابعة للتأثر بما تتأثر به إحداها .

فالفكرة أو الإرادة مثلا إذا بلغ الإنسان أشده تستعمل الحس الذى تمنحها إياه الحياة الحسية فى نيل رغبائها ، وتستعمل أيضاً فى الوقت نفسه لذلك الغرض عينة الدم والخلايا الجسمية التى هى من نتائج الحياة النباتية فى الهيئة الجسدية . وبناء عليه فلا يمكن أن يحدث الإنسان حدثا ما سواء أكان معنوياً أم ماديا إلا ويرن صداه فى جميع أجزاء هذا المجموع الجسدانى المتضامن فى الحياة .

من شك فى هذه الحقيقة فما عليه إلا أن يعرض الحوادث على نفسه . وكلنا يعلم أن وجود الجسمان فى أحوال خاصة ، يستدعى وجود الوجدان فى أحوال تقابلها ، وأن اختلاف الجنس والسن والوراثة والإقليم وغيرها مما لا نعلم ، مما له أثر خاص على الجسد المادى ، يعكس فعله على الجسد الإنسانى . ومما لا يجهله أحد أيضاً أن سوء حالة المعدة يميل بالإنسان إلى سوء الخلق ، وأن تعاطى الأفيون أو الحشيش يحول العواطف إلى وجهات غير التى كانت لها ، وأن تصفيق السامعين يستدر قريحة الخطيب وينشطه للقول ، وأن هبوط الحرارة الجسدية درجتين عن حدها الطبيعى تفقد الإدراك ، وأن درجتين منها زيادة عن القدر الطبيعى لها يهيج الإدراك لدرجة الجنون .

كل منا يستطيع أن يزيد على هذه الأمثلة من عنده ، وهى أدلة على تأثر المعنى الإنسانى بما يقع على الهيكل الجسدانى .

أما تأثير المعنى الإنسانى على الجسد فهو أصرح مما مر وأشد فعلا منه .

نعم : إن المعنى الإنسانى لا يغير من قوانين الجسد شيئاً ، ولكنه يؤثر عليها تأثيراً نافعاً أو مضرا . أما الأمثلة على ذلك فمما لا يحصى كثرة . فلا يجهل أحد تأثير الإرادة على العمل ، وتأثير الانفعالات على الوجه ، وعلى الجلسة والمشية والكتابة ، فهى تحمر الخد وتبيغ الدم ، وتنفخ الأوردة ، وتخنق الخلق ، وتضعف القوة ،

وتصيب الجسد بحركات اضطرارية ، وتولد دما فاسداً ، وتسيء الخلق ، وتسقط الجسد فى مرض عضال .

يتضح للقارىء من كل ما مر أن الروح والجسد متضامنان فى الحياة الأرضية ، فما يطرأ على أحدهما من التغيرات يطرأ على الآخر . والذى علينا إزاء هذه الحقيقة أن لا نعمل عملا جسدياً إلا بعد تقدير نتيجته الضرورية وتأثيره على روحنا ، وأن لا نعطى روحنا حالا من الأحوال إلا بعد التروى فى تأثيره على جسدنا ، وأن نستفيد من حريتنا فنحدث أعمالا يكون تأثيرها حسنا فى روحنا ، أى أن يكون مثلنا من جسماننا كمثل سائق الآلة البخارية مع آلته ، يسير معها على مقتضى تركيبها لا يحملها مالا تستطيع حمله ، ولا يريدها على ما يفسدها ويعطلها ، فلا يقودها وهو سكران أو لاه أو جاهل فتهلكه ولا كرامة . عليه أن يعرف مقتضيات تركيبها ، ومطالب عددها ، فيعلم أن لو وضع فحما فى موقدها أنتج بخاراً ، وإن هو فتح علبة البخار ضغط البخار على الكباس ، فإن لم يكن مقدار الفحم محسوبا ومقدراً على مطلوب الآلة ، أوقعت قائدها ومن معه فى أشد الخطر .

يجب على الإنسان أن يكون مع جثمانه على الأقل كالسائق المتقدم ذكره ، فيعلم الغاية التى يقود إليها أداته ، والتى ينوى الراكبون النزول فيها ، والطريق الذى عليه أن يسلكه من بين القضبان المختلفة فى سبيله ، والعلامات التى يجب عليه أن يلاحظها أثناء سيره ، وأمكنة الماء والفحم اللازمين لأداته فيقف فيها لأخذ حاجته منهما مدة سفره .

انتهى ما نقلناه عن البسيكولوجى (أنتوننان أميو) وهو حسن فى جملته وتفصيله ، وقد جمع من بارع المقارنات ، ومحكم التشبيهات ما يروق العقل ، ويسيغه العلم ، ولهذا السبب أثبتناه هنا ، ولكنا مع هذا نرى أن هذا الأسلوب غير عملى ، فإن السواد الأعظم من الناس لا يفكرون فى أن يحكموا أنفسهم لیقهروها على اتباع طريقة معينة تؤدى إلى الكمال الإنسانى ، إلا إذا حفزتهم إلى ذلك غاية شريفة يريدون الوصول إليها ، هذه الغاية لا يمكن أن تكون مادية ، لأنه لا معنى لأن يقيد الإنسان نزعاته بالقيود الحديدية ، ليصل إلى مقصد مادى هو لا يطلبه إلا ليتحلل بحصوله عليه من جميع القيود ، وينعم بالحياة به على أوسع ما تصبوا إليه ميوله وشهواته .

وإذا استحال أن تكون هذه الغاية مادية ، كانت لا محالة روحانية ، وقد ثبت أن المقاصد الروحانية قد أدت الإنسان ، حتى فى أخشن حالاته ، إلى تقييد شهواته ، والتسلط على نفسه . فلا الحصول على المجد ، ولا الطمع فى الشهرة ، ولا الكلف بطول العمر ، ولا الوصول إلى الغنى ، بلغ من حمل الإنسان على حكومة نفسه مبلغ طموحه للسمو الروحانى ، فقد تخلى الإنسان عن كل محبوب لديه فى سبيله ، بل دفعه لسكنى الكهوف والمغاور ، والإقدام على الموت فى تطلبه .

فإذا صحب العلمُ النزوعَ إلى هذه الغاية ، وصل الإنسان إلى ما يرسمه الأستاذ (أنتونان أميو) بغير تكلف لفهم ما أتعب نفسه فى تصويره ، ولا يخلو تاريخ الأديان من ألوف من الناس بلغوا من حكومة أنفسهم إلى ما لم يصل إليه فيلسوف بفلسفته ، ولا عالم بعلمه .

نعم إن المسيو (أنتونان اميو) لم يعين لتطلب حكومة النفس غرضاً ، واكتفى ببيان أسلوب الوصول إليها من الناحية الفلسفية ، فلا يعنيه بعد ذلك إن كان الدافع لتطلبها ماديا أم روحانياً ، ولكنّا من ناحيتنا يجب أن نبين للقارىء ، أن ذلك الغرض لو كان روحانياً ، لما كان ثمة حاجة إلى دراسة أسلوبه وأخذ النفس به ، فقد شوهد أن الأغراض الروحانية إذا استولت على النفس دفعتها فى وجهتها دفعاً قوياً ، وحمتها جميع الافراطات والتفريطات حماية آلية لا تستطيعها أية فلسفة فى الأرض ، لأن الغرض الروحانى يقوم على الروح مباشرة ، وهى صاحبة السلطان المطلق على الجسم ، فلا تقوى أية رغيبة مادية أن تصرفها عن وجهتها ؛ لأنها لاتستمد وجودها إلا منها ؛ فإن استوعب ميل الروح شىء سكنت جميع الميول وبطل عملها ، واتجهت جميع قوى الجثمان لتحقيق تلك الرغيبة الروحية . هذا ما يدل عليه تاريخ الأديان وخاصة الإسلام ، فإن المقصد الروحانى العالى الذى دعا النبى ﷺ إليه ، وأمكنه الله من تثبيته فى القلوب ، قلب جميع أوضاع الجاهلية ، ومحق كل تقاليدها الموروثة ، وعاداتها المتأصلة فى سنين معدودة ، فنشأت أمة أخرى ذات نزعات جديدة لا تمت بصلة إلى الأمة التى كان يمثلها هؤلاء الأفراد أنفسهم . هذه آية لا يمكن أن تنسخ ، ولا أن تنسى مهما طالت عليها الأزمان ، وستكون دائماً دليلا على سمو التربية القائمة على الروح والإيمان .

محمد فريد وجدى

المجلد السابع

«ليزر الأكزيمر» وعلاج عيوب الإبصار

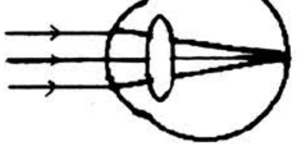

د. السيد يحيى الزيات

عين سليمة

تم الحديث فى مقالة سابقة (مجلة الأزهر جزء ٥ ، سنة ٦٨ ، جمادى الأولى ١٤١٦ هـ ، ص ٧٠٥ ـ ٧١١) عن تركيب العين البشرية ومكونات جهاز (الليزر) وكذلك استخدام الليزر لعلاج الانفصال الشبكى ، والمياه البيضاء والمياه الزرقاء . وفى الفترة الحالية يستخدم (ليزر الأكزيمر) بنجاح لاستئصال جزء من نسيج القرنية كوسيلة لعلاج عيوب الإبصار والتى تنشأ عن أخطاء انكسار الضوء فى العين . ومن أكثر هذه العيوب شيوعا حالات قصر النظر وطول النظر و(الاستجماتيزم) وكذلك يستخدم لإزالة وندب وتقرحات القرنية .

وفى هذه المقالة وصف مبسط من وجهة فيزيائية ، لعيوب الإبصار و (لليزر الأكزيمر) واستخداماته فى علاج هذه العيوب .

١ ـ أخطاء انكسار الضوء فى العين

تبعا لمسار الأشعة الضوئية التى تدخل العين فإن مكونات العين هى :

أ ـ القرنية .

ب ـ والسائل المائى .

جـ ـ والقزحية .

د ـ والعدسة .

هـ ـ والسائل الزجاجى .

و ـ الشبكية .

تعمل كل هذه المكونات معا على تكوين صور مقلوبة على الشبكية للأجسام الموجودة أمام العين . ثم يتم تحويل هذه الصور داخل الشبكية إلى نبضات كهربية تمر عبر العصب البصرى إلى المخ لتحليلها وفهمها .

وعند حدوث خلل ما فى مسار الأشعة الضوئية داخل المكونات المختلفة للعين ، فإنه سوف يؤثر على جودة الصورة المتكونة على الشبكية ، وبالتالى على فهمها وتحليلها . عند

سقوط أشعة ضوئية متوازية ـ أى إنها صادرة عن جسم يقع على مسافة بعيدة ـ على عين طبيعية سليمة فى حالة ارتخاء فإن هذه الأشعة تتجمع فى نقطة على الشبكية .

أخطاء انكسار الضوء فى العين أو مايسمى (عيوب الأبصار) يقصد بها وجود خلل ما بمكونات العين . يؤدى هذا الخلل إلى عدم تجمع أشعة الضوء الساقطة على عين مرتخية فى نقطة على الشبكية ، وبالتالى إلى عدم وضوح الرؤية . ومن أكثر هذه العيوب شيوعا : قصر النظر وطول النظر واللانقطية (الاستجماتيزم) .

ا ـ قصر النظر

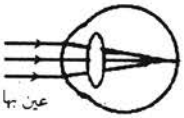

يطلق قصر النظر على العين التى تسقط عليها أشعة متوازية فتتجمع فى نقطة أمام الشبكية وليس عليها ، ثم تتفرق هذه الأشعة لتصل إلى الشبكية وتكون عليها صورة مشوشة غير واضحة المعالم . ويحدث قصر النظر نتيجة أن المحور الأمامى للعين يكون أطول من الطبيعى والذى يبلغ طوله حوالى (٢٤) ميلليمتر . وقد يكون قصر النظر نتيجة لخلل مافى جهاز تجميع الضوء بالعين مما يؤدى إلى زيادة القوة البصرية ، وبالتالى إلى نقص البعد البؤرى عن الطبيعى ، والذى يساوى (١٧) ميلليمتر . هذا الخلل قد يكون نتيجة لتيبس نقلة (المنطقة الوسطى) العدسة ، أو تقدم العدسة ذاتها للأمام تجاه القزحية ، أو زيادة تكور سطحى العدسة ، أو زيادة تكور سطحى القرنية .

من أهم أعراض قصر النظر :

عدم القدرة على تمييز الأجسام البعيدة ، وتضييق فتحة الجفن ، وتقريب الأشياء لرؤيتها بوضوح . وفى الحالات الشديدة من قصر النظر يرى المريض عتمات طائرة أمام عينيه .

ومن علامات المرض كبر حجم العين وكبر مساحة القرنية واتساع الحدقة .

ومن أهم العوامل التى قد تؤدى إلى قصر النظر **الاستعداد الوراثى ، والضعف العام ، والإجهاد** البصرى ، ومرض السكر ، وزيادة نشاط الغدة الدرقية .

علاج قصر النظر

يتم علاج قصر النظر عن طريق إضعاف القوة البصرية للعين وذلك باستعمال العدسات المصححة المقعرة فى النظارات الطبية ، أو استعمال العدسات اللاصقة ، وهذا مع استعمال المقويات وخاصة فيتامين ا .

ومن طرق العلاج ـ أيضا ـ إزالة عدسة العين أو زرع عدسة ذات قوة مناسبة فى داخل الغرفة الأمامية أو الغرفة الخلفية ، وحديثا يتم علاج قصر النظر عن طريق تغيير القوة البصرية للقرنية بتغيير تكور سطحها الأمامى .

ب ـ طول النظر

يطلق طول النظر على العين التى تسقط عليها أشعة متوازية فتتجمع فى نقطة خلف الشبكية وليس عليها ، ولذا تكون الصورة غير واضحة أو محددة المعالم .

وطول النظر يكون نتيجة لقصر المحور الأمامى للعين ، أو نتيجة لخلل فى جهاز تجميع الضوء بالعين مما يؤدى إلى ضعف قوته . هذا الخلل قد يكون نتيجة لتيبس قرطاسية (اطراف) العدسة ،

أو تراجع العدسة نفسها للخلف ، أو فقدان العدسة نهائيا . وقد يكون أيضاً نتيجة لتفلطح سحطى القرنية أو تفلطح سطحى العدسة .

الأعراض المرضية لطول النظر

من الأعراض المرضية لطول النظر عدم وضوح المرئيات القرنية ، والصداع والتدميع وظهور (دغششة)[1] بالعين ، ومن علاماته ـ أيضاً ـ أن تكون العين صغيرة وحركاتها سريعة .

يعالج طول النظر عن طريق استعمال العدسات المصححة الموجبة فى النظارات الطبية أو استعمال العدسات اللاصقة وهذا يتوقف على أعراض المرض وعلى سن المريض .

وحديثا يتم علاج طول النظر عن طريق تغيير القوة البصرية للقرنية بتغيير تكور سطحها عن طريق استخدام الليزر .

اللانقطية (الاستجماتيزم)

اللانقطية هى اختلاف القوة البصرية فى مختلف محاور العين الرئيسية ، ويؤدى إلى تشويش فى الصور المرئية المتكونة على الشبكية لتصبح غير محددة المعالم . فالشخص الذى يعانى من اللانقطية مثلا يرى الدائرة غير تامة الاستدارة .

أسباب اللانقطية :

من أسباب اللانقطية أن تكون القرنية مخروطية ، أو متليفة خصوصا بعد العمليات الجراحية أو الالتهابات ، وكذلك قد يكون هناك عيب خلقى بعدسة العين .

العلاج يتم بواسطة : عدسة اسطوانية أو عدسة لاصقة اسطوانية أو عمليات ترقيع بالقرنية .

وحديثا يتم العلاج عن طريق تقويم سطح القرنية بواسطة استخدام الليزر .

٢ ـ ليزر الأكزيمر

(ليزر الأكزيمر) هو (ليزر) غازى ، حيث إن المادة التى يحدث لها الإثارة عبارة عن خليط من غاز خامل (مثل الأرجون أو النيون) مع غاز هالوجين (مثل الفلور أو الكلور) بالإضافة إلى نسبة صغيرة من غاز الهيليوم . فى حالة الإثارة يتكون جزئى ثنائى الذرة عبارة عن اتحاد مؤقت بين ذرتين : إحداهما من الغاز الخامل ، والأخرى من غاز الهالوجين ، بينما فى حالة اللاإثارة يكون هذا الاتحاد ضعيف أوغير موجود . الجزئى المتكون يستمر لفترة ثم تعود الذارات للحالة العادية ، والطاقة الزائدة تخرج على هيئة (فوتونات) ثم يحدث تفاعل تسلسلى لتنبعث فى النهاية أشعة فى منطقة الطيف فوق البنفسجى .

المادة الغازية تثار بواسطة التفريغ الكهربى ، أو عن طريق حزمة من الالكترونيات . يتغير الطول الموجى للأشعة المنبعثة بتغيير خليط الغازات ، فمثلا خليط غَازَىْ الفلور والأرجون ينتج أشعة **عند الطول الموجى ١٩٣ (نانوميتر)[2] بينما خليط من** غازى الفلور والكربتون يعطى أشعة عند الطول الموجى ٢٤٨ (نانوميتر) .

---

١) ورد فى اللغة : دَغَشَ : دخل فى الظلام . والدَّغَش : الظلمة ، ومثله : الدُّغشه والدغيشة ويبدو أن لفظ الدكتور الكاتب يقصد به غشاوة الرؤية . والله أعلم

(٢) النانوميتر واحد على ألف مليون من المتر .

تتميز الأشعة فوق البنفسجية المنبعثة من ليزر الأكزيمر بطاقتها العالية التى تسمح بتكسير الروابط الكيميائية بين الجزيئات دون تعريض الأجزاء المجاورة لمنطقة التأثير . وهذه الميزة تسمح باستخدامها فى عمليات تشكيل الرخام والسيراميك والأنسجة الحية . وأيضاً يمكن التحكم الفراغى فى هذه الأشعـــة لدرجـــة تصل إلى حوالى ٢ (ميكرون)[٣] مما أتاح استخدامها فى الطباعة الضوئية وعمل الدوائر الألكترونية والترسيب الغازى بالليزر .

ويلاحظ أن معظم المواد لها معامل امتصاص مرتفع لهذه الأشعة مما ساعد فى استخدامها فى عمليات الحفر الدقيق والرسم والثقب بدقة تصل إلى حوالى واحد ميكرون . ولقد فسر تأثير ليزر الأكزيمر فى البداية على أنه تأثير حرارى سريع جدا حيث يعمل على تبخير المادة وتحويلها إلى الحالة الغازية . ولكن اتضح أن امتصاص طاقة أشعة الليزر داخل المادة يعمل على تحلل وتفكك الروابط الكيميائية والجزيئية داخل المادة . عندما تتكسر روابط التكافؤ داخل المادة ينتج زيادة فى حجم الجزيئات ولذا تخرج من المادة بسرعة .

يلاحظ أن الجزيىء الذى يمتص أشعة الليزر هو فقط الذى يتأثر دون الجزيئات المحيطة . ويعتمد تأثير أشعة الليزر على أى مادة على معامل امتصاص هذه المادة للأشعة ، وكذلك الطول الموجى لهذه الأشعة ، وأيضا على المدة الزمنية التى تتعرض خلالها المادة لأشعة الليزر .

ليزر الأكزيمر ، وعلاج عيوب الانكسار

فى العادة يتم علاج عيوب انكسار الضوء فى العين عن طريق النظارة الطبية . ولكن من مضارها أنها لاتمكن من الرؤية الجانبية إلا بتحريك الرأس ، واحتمال الكسر أو الفقد ، وعدم الراحة فى لبسها وخصوصا لمن يزاول أعمال تستلزم حركة كثيرة ، وأثناء مزاولة الرياضة . وكذلك الناحية الجمالية وخصوصا عند زيادة سمك العدسات ، والحاجة ـ أحيانا ـ لاستعمال نظارتين واحدة للقراءة وأخرى للمشى .

وفى السنوات الأخيرة تم الاتجاه للعدسات اللاصقة حيث إنها تمكن من الرؤية الجانبية ومن ممارسة الرياضة وأجمل من النظارة الطبية . ولكن من أهم عيوبها أنها قد تتسبب فى التهابات أو تقرحات أو حساسية للقرنية . وأيضا احتمال فقد العدسات أو استعمال واحدة مكان الأخرى كما أنها تحتاج إلى رعاية مكلفة .

من المعروف أن القوة البصرية لسطح (كرى) تساوى فرق معاملى انكسار الوسطين المحيطين به مضروبا فى مقلوب نصف قطر تكور هذا السطح . ومعامل انكسار الضوء فى الوسط هو النسبة بين سرعة الضوء فى الفراغ إلى سرعته داخل الوسط وهو ثابت بصرى يختلف باختلاف الوسط . ويبلغ فرق معاملى انكسار كل من القرنية والهواء حوالى ٠,٣٧٦ ونصف قطر تكور السطح الأمامى للقرنية حوالى ٧ ملليميترات ، فلهذين السببين يعتبر السطح الأمامى للقرنية أقوى عنصر كاسر للضوء من عناصر العين .

(٣) الميكرون = واحد على مليون من المتر

ويلاحظ أن السطح الأمامى للقرنية يساهم بنسبة تبلغ ٨٣٪ من القوة البصرية الإجمالية للعين فى حالة استرخائها ، وبنسبة ٦٩٪ فى حالة عدم استرخائها . ولذلك ؛ فإن إعادة تشكيل السطح الأمامى للقرنية سوف يساعد فى علاج أخطاء انكسار الضوء فى العين مثل طول وقصر النظر والاستجماتيزم . **وإعادة التشكيل تتم عن طريق** تشريط أو استئصال جزء من القرنية .

١ ـ تشريط القرنية

فكرة إعادة تشكيل السطح الأمامى للقرنية ليست جديدة . ففى الماضى الحديث استخدم التشريط القطرى للقرنية ، بعيدا عن المنطقة الوسطى لها ، وذلك لعمل حزوز أو شقوق بواسطة مشرط دقيق من الماس لعلاج قصر **النظر . يتوقف عدد وعمق وشكل الحزوز التى** يقوم بها الطبيب الجراح ، على مقدار العيب البصرى وكذلك على سن وجنس المريض . **والفكرة تنسب للطبيب الروسى «فيدروف» الذى اكتشفها بعد جراحة أجراها لطفل صغير** لاستخراج شظايا زجاجية من قرينته . وبعد الجراحة حدث تحسن فى قصر نظر الطفل الذى كان يعانى منه . ولقد وجد أن هذا التشريط بالمشرط الماسى ، فى بعض الأحيان ، يضعف القرنية ويتسبب فى رؤية غير ثابتة كما أنه يعتمد على خبرة ومهارة الطبيب الجراح . وحديثا تم الاستغناء عن المشرط الماسى بأشعة (ليزر الأكزيمر) والذى يتم التحكم فى شدة أشعته وفى توزيعها **المكانى عن طريق (جهاز كمبيوتر) ولقد وجد أن سطح القرنية التأم بسرعة ودون أن يترك خدوش أو ندب كما أعطى رؤية ثابتة .**

ولعلاج قصر النظر يكون التشريط قطريا ، ويتم على أطراف القرنية ، وليس فى مركزها . ونتيجة لذلك يحدث تحدب للأطراف ، وشد على المنطقة المركزية ليحدث فيها انبساط ويقل تحدبها ويعالج قصر النظر .

ولعلاج طول النظر يتم التشريط دائريا وفى الأطراف ليقل الشد فى مركز القرنية ويزداد التحدب ويعالج طول النظر .

ولعلاج الاستجماتيزم يتم التشريط على هيئة قطع دائرى محدود فى المنطقة المنبسطة على سطح القرنية . ومن مميزات جراحة تشريط القرنية أنها تتم على أطراف القرنية ، وليس فى مركزها أمام حدقة العين ، كما أنها تُصْلح قصر النظر حتى خمس درجات ويشفى المريض بعد أيام من العملية . **وتعطى عمليات تشريط القرنية نتائج طيبة فى علاج** قصر النظر بينما يقل استخدامها فى علاج طول النظر والاستجماتيزم .

عيوب التشريط

ومن عيوب عملية التشريط أنها تضعف من قوة نسيج القرنية ولذلك لاتجرى هذه العملية لمن يمارس الرياضة والأعمال العنيفة . كما لايتم استخدام هذه الطريقة فى حالات قصر النظر ذات الدرجات العالية . وأحيانا قد يحدث التهابات أو **جروح عميقة أو سحابات وعتمات فى القرنية** ، كما أن التصحيح الحادث بعد العملية فى بعض الحالات لا يكون دقيقا .

ب ـ استئصال جزء من القرنية

الطريقة الثانية لإعادة تشكيل القرنية هى استئصال جزء من نسيج القرنية بواسطة أشعة

(ليزر الأكزيمر) المنبعث عند طول موجى ١٩٣ نانوميتر . وهذه الطريقة تستخدم فى علاج قصر النظر وطول النظر والاستجماتيزم . كذلك تم استخدام (ليزر الأكزيمر) لعلاج الندب ، وإزالة العتمات التى تقلل من نفاذية الضوء خلال القرنية .

فى حالات قصر النظر نجد أن القوة البصرية **للقرنية أكبر من الطبيعى ، والعلاج يتم بتقليلها .** ولعمل ذلك فإن أشعة ليز الأكزيمر تسقط على **الجزء الأوسط من القرنية ، وذلك لأزالة جزء من** نسيج القرنية . هذا الجزء المزال يشبه عدسة محدبة قوتها البصرية موجبة وتساوى القوة البصرية للعدسة السالبة التى يجب إضافتها لتصحيح قصر النظر . وحيث إن عمق الجزء المزال من نسيج القرنية يتناسب مع طاقة أشعة الليزر الساقطة . فيجب أن تكون طاقة الأشعة الساقطة فى المركز أعلى مايمكن ، وتقل تدريجيا كلما بعدنا عنه حتى تصل إلى أقل قيمة فى الأطراف .

فى حالات طول النظر ، نجد أن القوة البصرية للقرنية أقل من الطبيعى والعلاج يتم بزيادتها .

ولعمل ذلك فإن (أشعة الأكزيمر) تسقط على القرنية وذلك لإزالة جزء من نسيج الجزء المحيطى ، دون الجزء المركزى ، لزيادة حدة انحناء القرنية . هذا الجزء المزال يشبه عدسة مقعرة ، قوتها البصرية سالبة وتساوى القوة البصرية للعدسة الموجبة التى يجب إضافتها لتصحيح طول النظر .

ولعمل ذلك يجب أن تكون طاقة (أشعة الليزر) الساقطة فى المركز أقل مايمكن وتزداد تدريجيا كلما بعدنا عن المركز حتى تصل إلى أعلى قيمة عند الأطراف .

فى حالات الاستجماتيزم تستخدم أشعة الليزر لجعل سطح القرنية منتظم فى مختلف المحاور وإزالة الأنسجة الزائدة والعتمات السطحية .

ويتم الوصول إلى هذه النتائج عن طريق عدة طرق منها استخدام (ماسح ليزرى) أو منظم **بصرى لإسقاط أشعة الليزر فى المكان المحدد على سطح القرنية وللمدة الزمنية المطلوبة . أو يتم** استخدام قرص معدنى دوار به فتحة ، على شكل حلزونى مصممة بطريقة خاصة ، ويثبت أمام القرنية وفى مسار (أشعة الليزر) وعلى امتداد محور العين . وتصمم الفتحة الموجودة بالقرص الدوار بحيث تتناسب سعة الفتحة ومكانها تناسبا طرديا مع سمك ومكان طبقة القرنية المطلوب ازالتها . ومن الأشياء المهمة جدا انتظام وتساوى الشدة الضوئية خلال أى مقطع عرضى لشعاع الليزر الساقط على سطح القرنية حتى نحصل على نتائج جيدة .

فى حالات الدرجات العالية من قصر النظر يقطع ثلاثة أرباع محيط السطح الخارجى للقرنية بسمك مقداره حوالى ١٠٠ ميكرون ، ويرفع جانبا مع ملاحظة أن الربع الباقى يترك ليعمل كمفصلة تربط الجزء المرفوع بالعين ثم تتم إزالة جزء على شكل عدسة محدبة من الجزء المتبقى للقرنية ، بواسطة جهاز يسمى (الميكروكيراتوم أو الأكزيمر ليزر) وبعدها يعاد الجزء الخارجى مكانه . وبهذه الطريقة يتم تصحيح قصر النظر حتى ـ ٣٠ ديوبتر (وحدة قياس القوة البصرية) .

و (أشعة ليزر الأكزيمر) المستخدمة فى علاج أخطاء انكسار العين عبارة عن سلسلة من النبضات ، طاقة كل نبضة يترواح بين ١٦٠ إلى

٤٠٠ (ميللى جول)[٤] وزمن دوام النبضة من ٢٠ إلى ٢٣ (نانو ثانية)[٥] الزمن الكلى لإعداد وإتمام عملية تصحيح أى من عيوب الانكسار الثلاثة يبلغ حوالى ثلاثين دقيقة ، بينما تتعرض العين لأشعة ليزر الأكزيمر لمدة زمنية حوالى ١٥ ثانية . وتتم العملية بشكل معقم خال من التلوث ، وبدون ألم وبشكل دقيق ، وفى العيادة الخارجية بدلا من قضاء فترة داخل المستشفى .

من الأعراض الجانبية لاستخدام (ليزر الأكزيمر) فى جراحات القرنية حدوث غشاوة فى الرؤية وتشويش وضباب على القرنية ، والحساسية للأضاءة القوية ولكن من الممكن أن تكون أعراض مؤقتة . وكذلك الاحتياج للمتابعة الطبية لفترة تصل إلى ستة أشهر مع استعمال قطرة الكورتيزون .

وينصح فى جراحات الليزر أن يكون سن المريض فوق ٢٢ سنة ولايعانى من مرض السكر أو المياه البيضاء أو المياه الزرقاء أو تحللات الماقولة والشبكية وكذلك ألا تكون القرنية مخروطية أو بها سحابات أو التهابات .

يوجد حوالى ٤٠٠ جهاز (ليزر اكزيمر) فى العالم ، والعدد فى زيادة مستمرة للعلاج وإجراء الجراحات . ويتراوح ثمن جهاز ليزر الأكزيمر من ٦٢ إلى ٤٧٥ ألف دولار وتتكلف عملية إصلاح قصر النظر للعين الواحدة فى ألمانيا ٢٠٠٠ دولار وفى الولايات المتحدة ١٥٠٠ دولار . وفى الولايات المتحدة الأمريكية وحدها تم علاج مايقرب من ثمانين ألف مريض بليزر الأكزيمر .

ويوجد فى بعض البلاد العربية مثل جمهورية مصر العربية والمملكة العربية السعودية العديد من المراكز المتخصصة فى العلاج وإجراء الجراحات بواسطة الأكزيمر ليزر وعلى نفس المستوى والخبرة العالمية . وتصل تكلفة عملية علاج قصر النظر للعين الواحدة فى مصر حوالى ستة آلاف جنيه مصرى .

١٠٠ نبضة

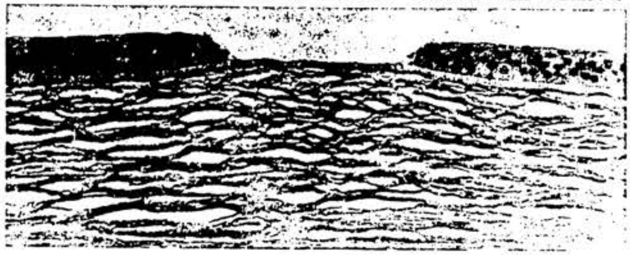

٢٥ نبضة

صورة ميكروسكوبية للقرنية بعد استخدام ليزر الأكزيمر لاحظ دقة وحساسية القطع وأيضا مع زيادة عدد نبضات الليزر يزداد عمق الجزء المزال من السطح .

(٤) وحدة قياس طاقة

(٥) النانو ثانية : واحد على ألف مليون من الثانية

التطور الطبى فى علاج العقم

للدكتور أحمد رجائى عبدالحميد

شاهدت الآونة الأخيرة تطورا كبيرا فى علاج العقم ، فقد طالعتنا الأنباء عن حالات حمل بعد سن الستين ، وبعد سن اليأس . وبعض التطورات تشكل تحديا لأخلاقيات الطب ، ثم هى تمثل جانبا يحتاج إلى الرأى الدينى القاطع .

وفى هذه المقالة سنقوم بتلخيص هذه التطورات ونبدأها بتلخيص سريع للعقم وأسبابه ، ثم نتلوهُ ببعض التطورات فى علاج العقم .

العقم :

هو عدم القدرة على الحمل بعد مرور عام تمت ـ فى خلاله ـ علاقة منتظمة لمحاولة الانجاب ، مع عدم استعمال أى وسائل لمنع الحمل .

ويوجد نوعان من العقم :
الأول : عدم القدرة على الإنجاب ولو طفلا واحداً .

الثانى : عقم يحدث بعد ولادة طفل أو أكثر .
الأسباب : تكمن الأسباب فى العوامل الآتية :

عوامل بسبب الزوج : وهى تشكل ٤٠ ٪ من الحالات ، وتشمل :
ـ عدم وجود حيوانات منوية ، أو قلتها .
ـ وجود صديد بالسائل المنوى .
ـ عدم القدرة الجنسية (العنة) .
ـ أسباب وراثية .

ـ انسداد فى القناة الحاملة للمنى يسبب سُلّ ، أو بلهارسيا ، أو التهابات ناتجة عن أمراض تناسلية .
ـ إصابات الخصية .

عوامل بسبب الزوجة : وهى تُشكل حوالى ٥٠ ٪ ، وأهم هذه العوامل :

ـ عدم وجود تبييض ، وذلك بسبب تكيس المبيضين ـ ضمور المبيض ـ عيوب وراثية..
ـ انسداد الأنابيب : بسبب التهابات مزمنة بالحوض ، أو وجود التصاقات ، أو بعض حالات السل ، كما تسبب بعض الأمراض التناسلية مثل : (السيلان) انسداد الأنابيب .

ـ عيوب فى الرحم : مثل التهاب بطانة الرحم .
ـ عيوب فى عنق الرحم : مثل عدم ملائمة سائل عنق الرحم لدخول الحيوانات المنوية .

عوامل غير معروفة الأسباب . وتشكل حوالى ١٠ ٪ ، ويدخل تحت هذه العوامل العقم المناعى ، وسنقوم بتفصيله ـ بإذن الله .

ونقتصر فى هذه المقالة على أحدث ما وصل إليه العلم فى طرق العلاج .

وهذه هى :

١ ـ استخدام المنظار الرحمى فى علاج العقم :

يستخدم منظار البطن فى تشخيص العقم ، وإجراء بعض الجراحات البسيطة من زمن بعيد . وفى هذه الحالة يتم إدخال المنظار إلى فراغ البطن عن طريق جرح صغير بجدار البطن وبواسطته يستطيع الطبيب أن يرى أعضاء الحوض .

ويساعد المنظار على رؤية الأنابيب مباشرة وتقدير مدى إصابتها ، بل وكيفية معالجتها . وأثناء فحص المنظار يتم حقن صبغة زرقاء عن طريق عنق الرحم لمعرفة ما إذا كانت الأنابيب مفتوحة أم لا .

والتطور الذى حدث هو استعمال شاشة تليفزيونية لرؤية الحوض مباشرة ، واستخدام الجراحة عن طريق المنظار لازالة الالتصاقات حول الأنابيب ، أو علاج بعض حالات تكيس المبيضين ، أو لعلاج حالات التغمد الرحمى (**Endometriosis**) وهى حالات وجود خلايا من

بطانة الرحم بالحوض ، وهى تسبب آلاما بالحوض وبخاصة أثناء الدورة الشهرية .

٢ ـ العقم المناعى :

هناك بعض الحالات التى تثبت الفحوص فيها أن الزوج والزوجة لا يوجد لديهما سبب واضح للعقم ، ومع ذلك لا يحدث حمل . وأحياناً ينفصل الزوجان ، وبعد زواجهما من آخرين ، تحمل الزوجة وينجب الزوج . وغالباً ما يكمن السبب فى جهاز مناعة الزوجة . وجهاز المناعة هو خط دفاع يحارب به أى أجسام غريبة ، أو أى أمراض تدخله ويتكون جهاز المناعة من الأنسجة الليمفاوية مثل : الطحال والغدد الليمفاوية ، ونخاع العظام ، وكرات الدم البيضاء وهذا الجهاز مسئول عن تكوين الأجسام المضادة . وفى هذه الحالات فإن جهاز المناعة يقضى عليها ويفرز أجساما مضادة لها .

تشخيص الحالة : يتم التشخيص إما عن طريق اختبار داخل الجسم ، وهو ما يدعى اختبار بعد الجمــاع (**Post-Coital Test**) حيث يتم فحص الحيوانات المنوية الموجودة فى عنق الرحم بعد الجماع ، وفى هذه الحالة تكون الحيوانات المنوية : إما ميتة ، أو عاجزة عن الحركة .

وإما عن طريق اختبارات خارج الجسم ، وذلك عن طريق وضع قدر من السائل المنوى مع بعض من إفرازات عنق الرحم على شريحة زجاجية وفحصها للتأكد من قدرة الحيوانات المنوية على اختراق سائل عنق الرحم الذى يتم فى الأحوال العادية من ١٠ إلى ١٥ دقيقة . وكذلك يُجرىَ هذا الاختبار عن طريق استخدام أنبوب رفيع جداً ، وهذا الإختبار يحتاج إلى دقة شديدة ، وكذلك عن طريق فحص الدم .

العلاج : فى هذه الحالة ينصح باستعمال الواق الذكرى (**CONDOM**) وذلك لمدة ستة أشهر متصلة ، لكى يتيح لجسم المرأة أن يتخلص من الأجسام المضادة التى كونها ضد الحيونـــات المنوية ، وبعد تمام الستة أشهر يتم الجماع بدون استعمال هذا الواق خلال فترة التبييض . وقد تستعمل بعض الأدوية المثبطة لجهاز المناعة مثل (الكورتيزون) ، كما يمكن إجراء عملية التلقيح الصناعى بمنى الزوج بعد إجراء عملية غسيل ، وتركيز وتنشيط السائل المنوىْ ، كما يمكن إجراء عمليةِ ما يعرف (بأطفال الأنابيب) .

٣ ـ **أطفال الأنابيب** :

فى هذه الحالة يتم الإخصاب فى المعمل ، ثم ينقل الجنين المتكون إلى رحم الأم .

وخطوات هذه الطريقة تتلخص فيما يلى :

ـ تنشيط المبيض بواسطة استخدام أدوية تنشيط التبييض ، وذلك لإنتاج عدد منـــاسب من البيـيضات الناضجـة التـى يتم ملاحظـة نموهـا ونضجها عن طريق استخدام جهاز موجات فوق صوتية ، وقياس نسبة الهرمونات فى الدم .

ـ حين يتم نضج البييضات يتم التقاطها بإبـرة خاصة إما عن طريق المهبل ، أو عن طريق البطن ، ويتم توجيه هذ الإبرة عن طريق جهاز الموجات فوق الصوتية ، أو عن طريق استخدام منظار البطن .

- فى نفس الوقت يتم الحصول على الحيوانات المنوية التى يتم عمل غسيل وتنشيط لها .
- يتم الجمع بين بييضات المرأة والحيونات المنوية للرجل فى طبق بالمعمل فى وسط خاص ، ودرجة حرارة خاصة ، وتترك لمدة يومين أو ثلاثة حتى يتم الإخصاب .
- بواسطة أنبوب رفيع يتم نقل الأجنة خلال عنق الرحم المجهز إلى الرحم .
- نسبة نجاح هذه العملية تقع ما بين ١٥ إلى ٣٥ ٪ تقريبا .

وهناك أشكال كثيرة من أطفال الأنابيب ، ولكن الشكل الذى يوافق عليه الإسلام هو أن تكون البييضة هى بييضة الزوجة ، والمنى هو منى الزوج وذلك فى إطار علاقة زوجية شرعية .

أما الأشكال الأخرى فلا يوافق عليها الإسلام (جاد الحق - ١٩٩٢) وهى :
- استخدام منى غير منى الزوج لتلقيح بييضة الزوجة .
- استخدام بييضة غير بييضة الزوجة .
- الأم البديلة .
- استخدام بييضات مستخرجة من جنين أنثى تم إجهاضها ، وتم إنضاج بييضات المبيض فى المعمل .
- إجراء عمليات أطفال الأنابيب لسيدات فوق سن الإياس (اليأس) .

منظار الرحم

تتجه الجراحات الآن إلى استخدام المناظير الجراحية لتجنب مضاعفات العمليات الكبرى .

وأحد هذه الوسائل هو منظار الرحم الذى أدخل إلى عالم الطب حديثا نسبيا (١٩٦٩) . وقد كان لنقص (تكنولوجيا) الإضاءة تأثير على استخدامه حتى حدثت ثورة استخدام الألياف الضوئية .

ومنظار الرحم يدخل خلال عنق الرحم مع استخدام تخدير موضعى : نصفى أو كلى .

وتبدأ العملية بحقن محلول(الدكتروز) المخفف (ديكتران ٣٢ ٪) بواسطة غاز ثانى أوكسيد الكربون .

وبواسطة منظار الرحم بعد نفخ الرحم (سواء بالسائل أو بالغاز) يمكن فحص تجويف الرحم بصورة شاملة . ومن الممكن عدم استخدام الغاز أو السائل فى حالة فحص أجزاء خاصة من الرحم ، وهناك أجهزة يمكنها الفحص باستعمال الغاز والسائل أو فى حالات عدم وجودهما .

الاستخدام :

تشخيص بعض حالات العقم مثل :
- فحص أورام ليفية حديثة .
- فحص التصاقات داخل تجويف الرحم .
- فحص عيوب خلقيةداخل الرحم .
- فحص بطانة عنق الرحم ، أو بطانة الرحم .
- فحص حالات تبطن الرحم . ENDOMETRIOSIS .
- وكذلك بعض حالات انسداد بسيط للأنابيب جهة الرحم .
- تقييم السائل الأنبوبى فى بعض حالات فحص بعد الجماع .
- وكذلك يستخدم كوسيلة مكملة لمنظار البطن والأشعة بالصبغة على الرحم .

«وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد. د. نجوى السيد أحمد (*)

رشاشة آلية لإطفاء الحرائق

تقوم شركة أوروبية بإنتاج وتسويق رشاشة جديدة للحماية من الحرائق ، وهى مزودة بلمبة كهربائية تحترق عندما ترتفع الحرارة إلى مستوى معين ، وبالتالى تمر منه المياه بسهولة على شكل رشاشة إلى المنطقة التى بها الحريق ، وتعتبر هذه الرشاشة القطعة الرئيسية فى شبكات الحماية الآلية من الحرائق ، وقد خضعت لعدة اختبارات قبل طرحها فى الأسواق كالتسرب والتآكل والصدمات الحرارية وتوزيع المياه ، وتتوافر الرشاشات فى عدة أشكال منها الرأسى ، والمائل ، والتقليدى ، والعيارى للعمل السريع فى مستويات الحرارة المختلفة .

(*) أستاذ باحث مساعد ـ المركز القومى للبحوث ـ الدقى

محرك سيارة يرشد استهلاك الوقود

اخترع عالم استرالى محرك سيارة جديداً وصحياً يقوم بترشيد استهلاك الوقود ، ولا ينتج عنه ملوثات للبيئة ، وأثبتت التجارب التى أجريت عليه أنه أحدث انخفاضا بنسبة ٥٠٪ فى كمية أكسيد النيتروجين والهيدروكربونات المنبعثة من المحرك وانخفاض أول أكسيد الكربون بنسبة ٩٠٪ بالمقارنة مع المحركات التقليدية ، كما أظهرت النتائج أن المحرك يرشد استهلاك الوقود بنسبة ٣٠٪ .

جهاز الكترونى للمراقبة الصناعية

أنتجت شركة فرنسية للحاسبات والأجهزة الإلكترونية جهازاً متعدد الأنظمة مبرمجاً الكترونياً للمراقبة الصناعية ، والجهاز الجديد يوفر جميع الأدوات الضرورية للضبط الأمثل لإنتاجية العمليات الصناعية المستمرة دون توقف ، كما يسمح بإدخال تعديلات على طريقة التنفيذ ، كما يتيح الجهاز إمكانية إعادة استخدام وتجانس رسم الجداول والأشكال المجملة .

ضمادات للجروح من عفن الخبز

اكتشف أحد الأطباء الألمان أن عفن الخبز يساعد على التئام الجروح ويمكن أن يستخدم كضمادات للجروح ، حيث أن فطر « الميسيليوم » يحتوى على المضاد الحيوى الشهير « البنسلين » وخيوط الفطر تحتوى على مادتى الكيتين والكيتوزان ، فعندما يتأكسد الكيتوزان ينتج ماء الأكسجين الذى تعمل كمية قليلة منه على مساعدة التئام الجروح بتنظيفها وتطهيرها ، بينما تعمل الخيوط الكتينية للفطر كجسور تنمو عليها ألياف ندبة الالتئام .

أخطار المكاتب الحديثة

كشفت دراسة طبية أجزيت حديثا فى ألمانيا أن غالبية الموظفين فى الدول المتقدمة يصابون بأمراض كالصداع الدائم والأمراض الجلدية والسرطان ، نتيجة لاستخدام مواد غير خشبية فى تصنيع المكاتب وعمل أرضيات صناعية غير البلاط والأخشاب والتعرض للضوء المنبعث من ماكينات التصوير الضوئى وأجهزة الفاكس ، وأكدت الدراسة أن العودة للطبيعة واستخدام المكاتب الخشبية والغرف الخالية من الموكيت وأجهزة التكييف أفضل وقاية من هذه الأمراض .

مجفف جديد للطباعة

تقوم إحدى الشركات الفرنسية بتسويق مجفف جديد اقتصادى يستخدم فى مجال الجمع التصويرى والطباعة مزود بالأشعة تحت الحمراء وهواء ساخن له فعالية عالية للتجفيف ولصق الأحبار ، وتعتمد فكرة الجهاز على أنه فى الوقت الذى يتم فيه التجفيف باستخدام الأشعة تحت

الحمراء يجرى قذف الهواء الساخن من سطح المجفف ، بينما يقوم نظام شفط أبخرة رطبة لتسهيل مرور الأشعة تحت الحمراء ، ويتميز المجفف الجديد بأنه اقتصادى فى استهلاك الطاقة ، ويعمر طويلا لأنه يحتوى على نظام ضبط بالاضافة إلى تهوية ملائمة ، كما لا يحتاج إلى صيانة كبيرة ، وتوجد منه أحجام مختلفة .

أحدث جهاز لقياس التوقيت العالمى

قامت شركة فرنسية بتصنيع جهاز حديث لتحديد الموقع الجغرافى على الأرض من حيث خطوط الطول والعرض والارتفاع ، ويعطى أيضا التوقيت العالمى ويعمل الجهاز باستقبال إشارات القمر الصناعى ويصدر علامات صوتية متزامنة مع التوقيت العالمى ، ومزود بشاشة تظهر عليها العلامات الدالة على التوقيت عن طريق ساعة داخلية تتزامن مع التوقيت العالمى ، كما يظهر أيضا على الشاشة خطوط الطول والعرض بالدرجات والدقائق والمعلومات المتعلقة بظروف القياس مثل دقة الأقمار الصناعية فى التصوير الجغرافى للأرض وعدد الأقمار المستخدمة . ويتميز الجهاز بمحافظته على المعلومات فى حالة انقطاع الإسال ، ويستخدم فى مجالات عديدة مثل الأبحاث العلمية والتنقيب البحرى والأمن المدنى .

نظام جديد لتخزين صور الأشعة الطبية

فى إحدى مستشفيات لندن تم استخدام نظام جديد لتخزين صور الأشعة الطبية على أقراص داخل « الكمبيوتر » بدلا من نظام الأفلام القديمة . النظام الجديد يساعد الأطباء فى التشخيص السريع للمرض ويحافظ على صور الأشعة من التلف أو الضياع ويعطى الفرصة لمراجعتها فى أى وقت عن طريق شاشات الكمبيوتر ، وفائدة النظام الجديد أنه لا يعرض المريض للأشعة السينية مدة طويلة حيث يتم التقاط صور الأشعة وبدقة ووضوح .

عصير الخضار بدلا من عصير الفاكهة

اكتشف العلماء فى الولايات المتحدة الأمريكية القيمة الغذائية العالية لعصير الخضار أى عصير الباذنجان أو الكوسة أو الفجل أو البصل فرادى أو مجتمعة ، وظهرت الكتب وبرامج التليفزيون التى تحدثت بإسهاب عن فوائد عصير الخضار وكيفية إعداده ، ونصح العلماء بتناول ٦ أكواب يوميا من عصائر الخضار المختلفة للمحافظة على صحة المرء وعافيته وزيادة المناعة ضد الأمراض .

كبسولة تطعيم واحدة للأطفال

من المتوقع أن يقوم علماء منظمة الصحة العالمية بإنتاج مصل على هيئة كبسولة يتعاطاها الطفل مرة واحدة لوقايته من كثير من الأمراض مثل الدفتيريا والحصبة والتيتانوس والسل ، والكبسولة تحتوى على المادة الفعالة وتتحلل داخل جسم الطفل تدريجيا وتمنحه وقاية مستمرة ، وبذلك ستحل محل التطعيمات المتعددة التى يحقن بها الطفل الرضيع لحمايته من هذه الأمراض المتعددة .

أهمية التعريب

للأستاذ/ محمد محمد عتريس إبراهيم (*)

بقاء الأمم وتقدمها مرتبط ، دوماً ، بتشبثها بأصولها المتمثلة فى لغتها ودينها . وتهاونها فى الحرص على هذه الأصول مدعاة لتقهقرها ورجوعها إلى المؤخرة فى كل ميادين الحياة .

ما الأمة ؟

هى جماعة الناس الذين يكونون وحدة سياسية ، وتجمع بينهم وحدة الوطن واللغة والتراث والمشاعر(١) .

وما اللغة ؟

هى أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ، فهى مجموع الكلمات والأنظمة المتبعة فى استخدام هذه الكلمات والتى تشيع بين أناس ينتمون إلى مجتمع واحد أو أمة واحدة ، أو إلى منطقة جغرافية واحدة ، أو إلى أعراف ثقافية واحدة(٢)

وربما كانت اللغة أهم الوشائج العملية لجمع أبناء الأمة ـ إذ هى وسيلة التخاطب ، ومن ثم تقوم بينهم الصلات والروابط ، وهى وعاء تراثهم . والبعد عن هذا الوعاء يؤدى إلى إضعاف كيان الأمة وتدهور أحوالها .

(*) الكاتب وكيل وزارة بمجلس الشعب .

(١) المعجم الوجيز ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .

(٢) Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary

وتعرف موسوعة (فنك آند وجنالز Funk and Wagnalls) الأمريكية اللغة بأنها :

(Communication between human beings characterised by the use of arbitrary, primarily audible symbols with conventional meanings.) أى هى :

الاتصال بين كائنات بشرية يتسم باستخدام رموز اعتباطية هى سماعية فى المقام الأول ، ولها معان متعارف عليها .

ويلقننا التاريخ الدرس التالى : تفرض الأمة أو الإمبراطورية الغازية لغتها بالقوة على شعوب البلدان التى تغزوها . فاللغة إذن رمز الاستقلال وعلامة عليه[٣].

ويتحدث نفس المرجع عن محاولات إيجاد لغة عالمية والصعوبات التى واجهتها فيقول : وأى لغة قومية حية اقترحت لتكون لغة عالمية ثبت استحالة تطبيقها أو استخدامها عمليا بسبب صعوبة تعلمها من ناحية ، وبسبب تحيز أبناء كل أمة للغتهم القومية .

وللأمم فى تنافسها بالمناقب والمزايا ألوان من المفاخرة بلغاتها . وأصحاب العصبيات القومية يتغنون فخرا بألسنتهم وطبائعهم وعقولهم على عادة جميع الأقوام :

فإسرائيل ، جارنا اللدود المغرور ، تبعث من غابر الزمان لغة اندثرت هى العبرية ، وتصر على التعامل بها لغة رسمية ، وتفرض على كل اليهود الذين يهاجرون إليها تعلمها والتحدث بها . وتفرض على المجتمع الدولى كلمات عبرية مثل (الشيكل) ، عملتها؛ ومثل (أورشليم)، أى القدس.

وفى الولايات المتحدة نرى محاولات دؤوبة من جانب الأمريكيين لتكون لهم لغتهم الخاصة بهم . ونتيجة لجهودهم هذه زحفت إلى الإنجليزية كلمات وعبارات أمريكية الصنع أى Americanisms وهى الكلمات أو العبارات أو أى سمات لغوية أخرى تختص بها اللغة الإنجليزية التى يتحدث بها الأمريكيون . فاستخدم الأمريكيون مثلا كلمة (elevator) بمعنى مصعد لتحل محل كلمة (Lift) الإنجليزية ، واستخدموا كلمة (Fire) بمعنى يُقبل بدلا من كلمة (dismiss) الإنجليزية . ووضع قاموس وبستر (Webster) الشهير فى إحدى طبعاته نجمة على كل كلمة أمريكية . ونبه قاموس (لونجمان Longman) إلى هذه الكلمات الأمريكية بوضع المختصر (American English) أى الإنجليزية الأمريكية قبلها . وهكذا ظهرت لغة اسمها الإنجليزية الأمريكية .

وفى فرنسا قامت مؤخرا حملة حكومية وقومية عامة تحظر استخدام الكلمات غير الفرنسية .

والألمان لا يعترفون بغير لغتهم الألمانية لغة للتخاطب على المستويين الشعبى والرسمى .

ونحن أبناء العربية ، واجبنا أن نعتز بلغتنا وأن نغار عليها . وإنه لشعور غريزى أن يعتز الإنسان بلغته : فلغة الأمة عنوان ثقافتها وحضارتها ، ولذلك تعنى الأمم كافة بلغاتها وتعمل على ترقيتها ورفعة شأنها . وحُق للعربية أن يعض عليها أبناؤها بالنواجذ ، لأنها لغة عبقرية تجمعت لها من أسباب التفرد والتيه على لداتها ما يأتى :

١ ــ العربية لغة دين سماوى ، وبها كتبت

(٣) Funk and Wagnalls Encyclopedia.

أصول هذا الدين تشريعاً وحكمة وثقافة . وعلى رأس هذه الأصول : القرآن العظيم ، معتمد المسلم ومرجعه فى شئونه الدينية وعقيدته الروحية ، ودستوره فى حياته العملية . وقد قدس النص القرآنى كما أنزل بالعربية الفصحى ، فبقيت ملازمة له ، تكاد تقدس معها نصوصها . ولما كانت العقائد الدينية راسخة فى القلوب ، فإن العربية باقية بقاء الإسلام ، كذلك القرآن .

ولما كانت العربية قد بلغت ، حين نزول القرآن ، مدى بعيدا من قوة البيان وفصاحة التعبير ، وكان القرآن موضع التحدى للعرب أن يأتوا بسورة من مثله :

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

سورة الإسراء

لما كان ذلك ، اعتبر القرآن الكريم أسمى نمط للعربية الفصحى ، وأعلى نموذج للبيان المعجز ، فظل القبلة الخالدة فى استلهام أنصع الأساليب لنظم الكلام . فمادام القرآن محفوظاً ، والإسلام قائماً ، فلن يكتب لهذه اللغة الفناء — وكيف لا يبقى محفوظاً وقد تكفل الله بحفظه .

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾

سورة الحجر — آية : ٩

والآيات الأربع الخاصة بتوجيه الرسول ﷺ فى شأن الوحى وتلقى هذا القرآن :

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾

سورة القيامة — الآيات : ١٦ ، ١٩

هذه الآيات تترك فى النفس إيحاء هو : تكفل الله المطلق بشأن هذا القرآن ، وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً ، وإسناده إليه — سبحانه وتعالى — بكليته ، وليس للرسول ﷺ من أمره إلا حمله وتبليغه . وذلك فى الحق أعظم الأسباب التى صانت العربية من الزوال فى الماضى والحاضر ، وسيكون السبب الذى يمدها بعوامل البقاء فى المستقبل . والعقيدة ناموس طبيعى آخر لا تستغنى عنه البشرية بحال — فبقاء العربية ، إذن ، نظام يجرى وفق سنة طبيعية بشرية صحيحة لا يعتريها التبديل ، ولأن لغتنا العربية قوام فكرة وثقافة وعلاقة تاريخية ، فقد تعرضت — وحدها — بين لغات العالم لكل معاول الهدم تنصب عليها ولدسائس الراصدين تحيط بها .

٢ — تمام العربية واكتمالها ، فهى لغة عريقة بلغت فى تطورها شأوا بعيدا من العظمة والرقى لا يمكن أن يتأتى لأية لغة قبل مضى أجيال طويلة على نشأتها . وآية هذا التمام والكمال التفرقة الدقيقة بين أحكام الإعراب ، وبين صيغ المشتقات ، وبين أوزان الجمع والمثنى ، وجموع الكثرة والقلة . وهناك حروف الجر والعطف وسائر الحروف التى تدخل فى تركيب الجملة بمعانيها المختلفة وتنفصل بلفظها من ألفاظ الأسماء والأفعال التى تولدت منها ، وهى فى بعض اللغات لم تنفصل عنها حتى اليوم[٤] .

(٤) راجع : عباس العقاد ، اللغة الشاعرة ، ص ٥ و٦ .

لقد توفرت ـ بحكم تخصصي ـ على دراسة قواعد النحو الإنجليزى (English Grammar) سنوات طوالًا ؛ كما ألجأني عملي في مجال الترجمة إلى ضرورة دراسة النحو العربي . وما برحت مفتوناً باتساع مداه وشموله ، وعمق فحواه ودقته ، إذ قدم علماؤه من القواعد آيات ساطعات في التوافق مع العقل والمنطق ، ومقتضيات التعبير والتوضيح . وما النحو الإنجليزى ـ مع حبي له وإعجابي به ـ إلا شيء يسير إذا ما قورن بنحو العربية ، ذلك المحيط التليد . ولأضرب مثلًا :

إعراب جملة كما وردت فى « شرح حسن الكفراوى على متن الأجرومية » لنرى القمة الساحقة التى بلغها نحونا العربي من إحاطة وشمول . قال جدنا الكفراوى (توفى ١٢٠٢ هـ) يعرب جملة : « جاء زيد والفتى والقاضى وغلامى » ، جاء فعل ماض ؛ وزيد فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة ؛ والفتى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر ؛ والقاضى معطوف على زيد مرفوع بضمة مقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل ، وغلامى معظوف على زيد مرفوع بحركة المناسبة ؛ وغلام مضاف وياء المتكلم مضاف إليه مبنى على السكون فى محل جر » .

أرأيتم كيف استقصى الإعراب كل كلمة وكل حرف وكل حركة ؟

ولأضرب لكم مثلًا آخر من التنزيل العزيز . قال تعالى :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ[5] وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ .

سورة الصف ـ آية : ٨

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائى وحفص عن عاصم « مُتِمُّ نورِه » بإضافة نورِه إلى « متم » ، وفى هذه القراءة يمنع تنوين « متمُّ » وجوباً للإضافة[6] و « نورِه » مضاف إليه مجرور .

وقرأ الباقون « مُتمُّ نورَه » بتنوين « مِتمٌّ »[7] ونصب « نورَه » على أنه مفعول « مُتِمٌّ » .

ويزخر القرآن العظيم بالكلمات والمواضع التى تعدد فيها ـ أو تتعدد لها ـ القراءات ، ولكل قراءة مبرراتها ووجاهتها ؛ وكل منها تزيد المعنى لمعاناً وبياناً .

وكل منها آية من آيات الإعجاز القرآنى والإعجاز اللغوى العربى . ويغرينى المقام بسوق مثال ثالث هو قوله تعالى :

﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴾ سورة الفجر ـ آية : ٤

قرأ ابن كثير « يسرى » بإثبات الياء فى الوصل

---

(٥) المعنى : يريدون أن يطفئوا دين الله أو كتابه أو حجته النيرة بطعنهم فيه ـ وإنما مثلهم فى هذا كمثل من ينفخ فى نور الشمس بفمه ليطفئه ـ وهذا من باب التهكم بهم والسخرية منهم .

(٦) راجع : مواضع حذف التنوين ص ٤٣ ، الجزء الأول من « النحو الوافى » .

(٧) « فتح القدير » ، الشوكانى ، الجزء الخامس ، ص ٣١٤ .

وفى الوقف ؛ لأنها ليست بمجزومة ، فثبتت فيها الياء .

وقرأ نافع بإثباتها فى الوصل ويحذفها فى الوقف .

وقال الخليل : تسقط الياء منها اتفاقا لرؤوس الآى .

وقال الفراء : قد تحذف العربُ الياء وتكتفى بكسر ما قبلها .

أى أنه حتى الحرف لم يفلت من البحث والتمحيص والاستقصاء[٨] .

٣ ــ المزايا التى تنفرد بها اللغة العربية مزايا علمية تستند إلى خصائص النطق والتعبير المتفق عليها فى العلوم اللسانية ، ولا محاباة فيها لهذه اللغة أو تلك . أى أن هذه المزايا ليست قائمة على تعصب قومى ، على عادة جميع الأقوام فى التعصب لألسنتهم وعقولهم .

ومزاياها فى التعبير عامة ، وفى التعبير الشعرى خاصة ، تقوم على قواعد العلوم اللسانية . فاللغة المعبرة هى التى تضع معجمها بين يديك ، فكأنما قد وضعت أمامك قواعد تاريخها ومعالم بيئتها . ولا يعرف علماء اللغات لغة قوم تتراءى لنا صفاتهم وصفات أوطانهم من كلماتهم وألفاظهم كما تتراءى لنا أطوار المجتمع العربى من مادة ألفاظه ومفرداته فى أسلوب الواقع وأسلوب المجاز . ونحن نعلم أن المجتمع العربى فى قوامه الأصيل إنما كان مجتمع رحلة ومرعى ، وأن الكلمات التى تدل على معنى الجماعة فى لسان العرب قلما تخلو من الإشارة إلى الرحلة والرعاية .

فالأمة هى الجماعة التى تؤم مكاناً واحداً أو تأتم بقيادة واحدة .

والطائفة هى الجماعة التى تطوف معا .

والقبيلة هى الجماعة التى تسير إلى قبلة مشتركة .

والفئة هى الجماعة التى تفيء إلى ظل واحد .

والبيئة هى الموطن الذى يبوء إليه أصحابه (أى يرجعون) بعد الرحلة عنه . والقوم فى جملتهم هم الذين يقومون قومة واحدة للقتال خاصة .

وفى دلالة أسماء الأمكنة نجد المنزل حيث ينزل الإنسان . والبيت حيث يبيت بالليل .

وفى الكلمات التى تدل على الرابطة الاجتماعية نجد الصاحب وهو من يمشى معك فى السفر . والقريب الذى يقترب من منزلك . والعدو الخصم الذى يعدو على جوارك .

وفى المعانى المجازية نطلق القصة على الحكاية وهى من قص الأثر ، والتتبع من السير وراء الرجل ، والتقرى من البحث عنه حيث كان مقره . والجيش من جيشان الحركة فى الأمكنة المتعددة أو فى المكان الواحد . والبلاغة من التبليغ أو البلوغ إلى المكان[٩] .

٤ ــ وبالنسبة للنطق هناك حقيقة تقول إن النطق الفصيح هو فضيلة الحيوان الناطق . وإن الفصاحة العربية قد بلغت بأداة النطق الآدمية غاية ما بلغه الإنسان المعبر عن ذات نفسه بالكلمات والحروف . ففصاحة النطق ميزة نادرة تمتاز بها اللغة العربية ــ وهذه حقيقة يقررها علم وظائف الأعضاء . واللفظ الفصيح هو اللفظ الصريح

(٨) راجع كلمة « يَسْرِ » ص ٢١١ من « شرح ومعانى جزء عم » ، محمد محمد عتريس إبراهيم ، سلسلة كتاب الجمهورية .

(٩) راجع : فصل « لغة التعبير » من كتاب : « اللغة الشاعرة » ، عباس محمود العقاد .

الذى لا لبس فيه ولا اختلاط فى أدواته ، وهذا هو اللفظ العربى بدليله العلمى . فلا لبس بين مخارج الحروف فى اللغة العربية ولا إهمال لمخرج منها ، ولا حاجة فيها إلى تكرار النطق من مخرج واحد ، تتوارد منه الحروف التى لا تتميز بغير التثقيل أو التخفيف .

فليس فى اللغة العربية حرف يلتبس بين مخرجين ، وليس فى النطق العربى مخرج ينطبق فيه حرفان . فمثلا ليس فى اللغة العربية حرف يستخدم مخرجين كحرف (تشى) فى اللغة اليونانية (X) وهو خليط من التاء والشين . وليس فيها حرف يعبر عنه بحرفين كالذال أو الثاء اللذين يكتبان عندنا مما يقابل التاء والهاء (th) ويتغير النطق بهما فى مختلف الكلمات . ولا تزدحم أصوات الحروف فى اللغة العربية على مخرج واحد ، كما تزدحم الفاء والفاء الثقيلة (F,V) والباء والباء الثقيلة (b,p) فى اللغة الإنجليزية . والعربية تتسع من أقصى الحلق إلى أدناه لسبعة حروف هى : الهمزة والهاء والألف والعين والحاء والغين والخاء . وهى مميزة فى النطق بغير التباس ولا ازدواج فى الأداء ، على حين نجد أن أصوات الحلق أهملت جميعا فى كثير من اللغات(١٠) .

٥ ــ كانت العربية أسبق اللغات إلى تصنيف المعاجم اللغوية . ولنرجع إلى موسوعة : فنك آندوجنلز (Funk and Wagnalls) الأمريكية ، (المجلد الثامن ، مادة : Dictionary (معجم) ، تقول الموسوعة : ظهرت المعاجم أول ما ظهرت فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكانت فى معظمها تجميعاً للكلمات والمعانى النادرة . أما ما تلا ذلك من قواميس فجاء متأخرا إذ كتبت بعد القرن الخامس الميلادى ، وكانت تكتب نظماً . ويمكن تقسيمها إلى صنفين : صنف للألفاظ المترادفة ، وآخر للألفاظ المتجانسة . وظهرت فى اللغة السنسكريتية المعاجم المتخصصة فى النبات والطب والفلك وغيرها .

أما أول محاولة لجمع كل مفردات اللغة فى مؤلف واحد ، فإن الاحتمال الأرجح أنها كانت على يدل الخليل بن أحمد العُمانى (توفى عام ٧٩١ م) الذى لم يتبع فى ترتيب الكلمات النظام الأبجدى وإنما رتبها وفق مبادىء علم النطق وعلم فقه اللغة . وجاء تأليف المعاجم العبرية فى القرن العاشر الميلادى ، وكان منشؤه والدافع إليه دراسة اللغة العربية .

وخطت صناعة المعاجم فى بعض اللغات خطوات عملاقة نحو الكثرة والتنوع فى الأحجام والتخصص فى فروع المعرفة ، ونخص بالذكر المعاجم الإنجليزية . أما أبناء العربية فارتدوا على أعقابهم ، وتقاعسوا عن النهوض بالمعجم العربى .

٦ ــ اللغة العربية أداة عالمية من أدوات النطق الإنسانى بعد أن بلغت مبلغها الرفيع من التطور والكمال . ولذا باتت حمايتها واجباً قومياً وإنسانياً ــ وكم تكون خسارة العالم فادحة لو أصاب العربية مكروه ! ولن يكون ــ بإذن ــ تعالى ــ وقد تبوأت العربية مقامها الرسمى بين لغات الأمم المتحدة فى مجالها الدولى .

---

(١٠) راجع فصل : « الفصاحة العلمية » ، المصدر السابق .

طبقات المحققين والمصححين

٥

الجيل الثاني أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ/ محمد أبوالفضل إبراهيم

للأستاذ الدكتور السيد الجميلي

● **لا أحد من القارئين ولا الباحثين لا يعرف البحاثة العالم المحقق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الذى حمل على كاهله ـ مع صفوة محبيه وأقاربه العمالقة : عبد السلام محمد هارون ، وعلى محمد البجاوى وغيرهما ـ أمانة ومسئولية نشر التراث العربى والإسلامى على أوسع نطاق ، فى عصر كان النشر فيه عسراً صعباً فيسر الله على أيديهم هذا العمل الطيب المبرور .**

كان محمد أبو الفضل إبراهيم عالماً أديباً بالسليقة ، والفطرة ، ولد ـ رحمه الله تعالى ـ فى الواحد والعشرين من شهر مارس سنة أربع وتسعمائة وألف من الميلاد ، فى جزيرة شندويل ،

من أعمال محافظة سوهاج من أسرة تنتمى إلى الأشراف ، أهل بيت رسول الله ﷺ من هذه المثابة كان إصرار والده على أن يُنَشِّئُهُ تنشئة دينيةً بالأزهر الشريف الذى هو المأمول فى ذلك ، فحفظ القرآن الكريم صبياً ، ثم درس فيه العلوم الشرعية إلى جانب العلوم اللغوية والأدبية ، وظل ينهل من معين لا ينضب ، ومن نبع سائغ فرات ، منهوما لا يشبع ، فأعطى نفسه كلها للعلم بغير حدود وبغير حساب . فصدقت فيه المقولة السيارة : «العلم لا يعطيك بعضه إلا إذا أعطيته كلك» . تخرج أبو الفضل بعد ذلك فى الأزهر ، ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى ، ثم تحول بعد ذلك إلى مدرسة دار العلوم العليا التى تخرج فيها سنة ثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد .

انطلق أبو الفضل بعد ذلك يغترف من العلم أغترافا قوياً شديداً حتى أسس لنفسه مكتبة جامعة عامرة ، مثل أقاربه وأضرابه كالأستاذ عبد السلام هارون ومحمود شاكر ، وأحمد شاكر .

بدأ حياته بالتدريس بالمدارس الأميرية للغة العربية وآدابها ، ثم لم يجد نهمته فى التدريس ، فاتجه بكليته للتحقيق والتأليف ، فتألق نجمه ، وذاع صيته ، وطارت شهرته فى الآفاق .

وإبَّان اشتغاله مدرساً للغة العربية وآدابها أدَّى القدر دوراً كريما فى حياة هذا العملاق ، فقد تزوج من كريمة الأستاذ العلامة الشيخ عثمان أبو النصر أستاذه فى دار العلوم ، الذى كان يدرس لطلابه علوم البلاغة ، الذى كان بدوره زوجا لابنة عمة تلميذه أبى الفضل ، فالتقى الأخيار من البيوت المسلمة المحافظة ، فلا غرو أن يكون الغراسَ طيبا والثمر يانعا وجدير بالذكر إلى أحتفظ فى مكتبتى ـ كاتب هنا المقال ـ لهذا الشيخ الجليل عثمان أبو النصر بكتاب بالغ الروعة اسمه : «علم البيان» طبعه سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة .

وتُرافق الأستاذ أبا الفضل قرينته رحلة الحياة فتكون أماً لخمسة أبناء ثلاث بنات ، وطبيبين ، كلهم متفوقين ـ والحمد لله رب العالمين ـ فى دراستهم إلى أن شغلوا مناصب علمية مرموقة ، لكن بعيداً عن التأليف والتحقيق .

كان الأستاذ أبو الفضل رجلاً من صعيد مصر تجلت فيه صفات هذا الصعيد ، فقد اشتُهِرَ بالشهامة والنخوة ، نحريراً ندياً ، لا يرد سائلاً ولا مُعْتَرًّا ولا قاصداً معاونة أو مساعدة من أهل (شندويل) قريته العزيزة ومسقط رأسه ، على الرغم من ضيق وقته وكثرة مشاغله فى التحقيق والتأليف . وكانت زوجته خير عون له فى أعماله ، فهى سيدة بيت من الطراز الممتاز تعمل أماً مربية لأبنائها ، وبحكم ثقافتها وعلمها فقد تخرجت هى أيضاً فى الجامعة بل كانت من الرعيل الأول تعاونه فى التنسيق والتصحيح والمراجعة ، وتوفير المناخ الهادىء المناسب والصحى للعمل العلمى المنوط بزوجها ، وهى صديقة للدكتورة سعاد ماهر صاحبة كتاب المساجد والمعروف بـ « مساجد القاهرة وأولياؤها الصالحون » .

كان اليومُ كله عملا لا هزلَ فيه فهو فى دار الكتب مع عمله الرسمى لا يزايله الكتاب طرفة عين ، ثم هو فى البيت يتناول اللقيمات اليسيرة ، ويؤدى المكتوبة ، ثم يسارع مرة أخرى ليجلس إلى مكتبه ليمارس عمله بجد وهمة لا تعرف الملل ، ينام متأخرا ويصحوا مبكراً ، فلا يتزجى من

الراحة والاستجمام إلا بأقل القليل من السويعات التى لا تكفى للحمام واستعادة النشاط من جديد .

ولعل هذه الممارسة كانت سبباً فى الصداع الذى كان يعتريه بين فينة وأخرى ، ومن وقت لآخر ، وكان بسببه يلجأ إلى الأطباء ، ويتردد عليهم لعلاجه .

هذا أبو الفضل العالم ، الأديب الإنسان ، وهذه صورة مجملة سريعة لقسمات هذه الشخصية الكبيرة المؤثرة التى تركت بصماتها حية نابضة مؤثرة فى جبين الثقافة العربية والإسلامية أثرا خالداً ، لا يمحوه الزمان ولا يمكن أن يجحده إلا مغرور أو موتور .

كانت هناك وشائج إنسانية ، وشجنة وطيدة تربط بين أبى الفضل وكثير من أعلام عصره ـ كما أسلفنا من قبل ـ من أعيان المبرزين المحققين والمؤلفين ، وكذلك مع علية القوم ، وكان أكثرهم من زملائه فى العمل أيضاً .

كان حميماً محباً ومحبوباً فى آن واحد للأستاذ فؤاد سيد رئيس قسم المخطوطات بدار الكتب ، والمرحوم رشاد عبد المطلب . وجدير بالتنويه أن أبا الفضل كان له صالون أدبى فى الستينات ، وكان يتردد عليه فيه علية القوم وأكابرهم مثل الأساتذة العلماء : على محمد البيجاوى ، وعبد الكريم الخطيب ، والشيخ أحمد حسن الباقورى ، والشيخ محمد محمد المدنى ، والشيخ محمود النواوى ، وعلى الجندى ، ومحمود حسن إسماعيل ، وطاهر أبو فاشا ، والدكتور أحمد هيكل ، وإبراهيم الترزى ، والشيخ سليمان ربيع ، والدكتور محمود الطناحى ، وعبد السلام محمد هارون ، والدكتور شوقى ضيف ، والدكتور محمد جمال الدين الفندى ، ومحمد الطيب النجار ، والدكتور محمد حسين الذهبى والدكتور عبد المجيد قطامش ، والدكتور المحقق العلامة الكبير إحسان عباس . وكان صالونه يوم الاثنين من كل أسبوع .

ولما أن أحيل على المعاش سنة أربع وستين وتسعمائة وألف عندما بلغ الستين فرح واغتبط وقال : « الآن ، أشعر أننى تفرغت للعمل التحقيقى ، الآن أبدأ العمل المعشوق » .

ثم بعد ذلك اختير ليكون عضواً فى لجنة التراث الإسلامى للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية بما لديه من خبرة وعلم فى هذا المضمار ، وهذه اللجنة كان يرأسها الدكتور مهدى علام . ثم تولى المرحوم أبو الفضل رئاستها بعد مهدى علام ، وكان من أعضائها الدكتور شوقى ضيف أخوه وصديقه .

من أجمل وأدق الصفات التى تذكرها رفيقة هذه الرحلة الميمونة عن الأستاذ محمد أبى الفضل أنه كان دؤوباً لا يعرف الملل فالعمل على قدم وساق ليل نهار لا يفتر طرفة عين .

وحياته كانت مقسمة تقسيماً بديعاً دقيقاً بين العمل الصارم وبين الأصدقاء .

ومن اللافت للنظر حقا أن تقول : لا أذكر يوماً لا أراه بغير عمل إلا إذا كان مريضاً .

وكان متسامحاً كل التسامح ، لم أذكر أنه اعتدى على أحد ، ولا تكلم على أحد ، ولم تصدر منه كلمة نابية أبداً .

فإذا ما كان هناك موجب للاستفزاز ، استثير فيثور لكن سرعان ما يهدأ وتنكسر حدة الغضب على الفور . وكان عطوفا حداً كريماً بأهله باراً بأبنائه ، طيب القـــلب سليم الصدر ، حسن العشرة ، محافظاً على العرف الطيب ، فيه من الحياء والمروة والقناعة رصيدُ كبير .

إن لم تكن هذه الجملة من المناقب والمحامد قاسماً مشتركا بين أولئك المجاهدين بالقلم والفكـر ، فكيف بالله يُحْفـظ هذا التـراث الضخـم من الضياع ؟؟ لابد من بطولات وسواعـد شامخة تعطى دائماً ولا تأخذ إلا أقل القليل .

ولو قيست العائدة على الجهود العلمية بنظائرها من العوائد على غيرها من الوجهة المادية لكانت أقل من لا شيىء .

ولو كان العلماء والباحثون قد وقفوا جهودهم وسعيهم الدؤوب على عائد موافق لتجمـدت الحضارة الفكرية والعلمية .. لذلك كان من لطف الله ــ تعالى ــ أن يقيض لهذه المهمة الصعبة رجالاً أشداء ، مؤمنين برسالتهم ، وقداسة صنيعهم ، وشريف مقاصدهم لا يلـوون على شيـىء غير تحقيق مبتغاهم وإنه لأشرف مبتغى إليه ، وأكرم مطموح إلى غايته .

كان محمد أبو الفضل إبراهيم طرازاً من أولئك الرجال الأفذاذ القلائل ، وحسبه ما قَدَّمَ للممكتبة من جلائل الصفحات البيض المنشورة ، وهى خير دليـل على سلامـة القصد والإتقـان والثقافـة الموسوعية التى انطوى عليها قلبه وعقله وفكره ووجدانه .

لقد حقق عشرات الكتب التراثية التى كنا نسمع عنها ، فلم ترالنـور إلا على يديـه مثـل « البرهـان فى علـوم القـرآن » للـــزركشى ، **« والإتقـان فى علـوم القـرآن » للسيوطـــى ،** و «الأضداد» لابن الأنبارى ، و «ثمار القلوب» للثعالبى . وشارك غيره من رجال عصره المبرزين مثل على محمد البجاوى ومحمد أحمد جاد المولى ، وسيد شحاتة ــ رحمهم الله تعالى ــ كما فى الكتاب القيم «قصص القرآن» الذى صاغه وزملاؤه فى أسلوب بالغ الرقى والتشويق مع رصانة أدبيـة ولغوية بارعة ، وقد تعددت طبعـات الكتـاب وتهافتت دور النشر على طباعته ونشره ، وغير هذا كثير إذ أنافت مكتبة أبى الفضل على ما يربو على ثمانين كتابا من نوادر الكتب بعد هذه السياحة المشهودة ثم كان لابد من النهاية بعد طول الجهاد **والتضحية فلقى ربه فى حادى عشر يناير سنة إحدى** وثمانين وتسعمائة وألف (١٩٨١) من الميلاد ، فرحم الله أبا الفضل الذى كان بحق من أهل الفضل .

وهنا ثبت تفصيل بما حققه الأستاذ أبـو الفضل أو وهو مع آخرين .

١ ــ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى .
٢ ــ امرؤ القيس بن حجر .
٣ ــ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى .
٤ ــ مراتب النحويين لعبدالواحد بن على اللغوى الحلبى .
٥ ــ الوساطة بين المتنبى وخصومه .
٦ ــ من قصص الأولين بالاشتراك للجرجانى مع على محمد البجاوى والسيد شحاته .

٧ ـ قصص القرآن بالاشتراك مع أحمد جاد المولى وآخرين .
٨ ـ ابراهيم ـ عليه السلام ـ بالاشتراك مع على محمد البجاوى والسيد شحاته .
٩ ـ الأضداد للأنبارى .
١٠ ـ أطوار الثقافة والفكر فى ظلال العروبة والإسلام مع على الجندى ومحمد صالح سمك وآخرين .
١١ ـ آمالى المرتضى ـ غرر الفوائد ودرر القلائد ـ جزءان فى مجلدين .
١٢ ـ أنباء الرواه على أنباء النحاة للقفطى .
١٣ ـ أيام العرب فى الإسلام .
١٤ ـ بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة لأبى الفضل السيوطى بالاشتراك مع على محمد البجاوى .
١٥ ـ عصر صدر الإسلام لجلال الدين السيوطى .
١٦ ـ تاريخ الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك لابن كثير الطبرى .
١٧ ـ التاريخ الوسيط والحديث للأقطار المختلفة آسيا (شبه الجزيرة العربية) للطبرى .
١٨ ـ تمام المنون فى شرح رسالة ابن زيدن لصلاح الدين بن أيبك .
١٩ ـ تهذيب اللغة للأزهرى الشافعى مراجعة على محمد البجاوى .
٢٠ ـ ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب للثعالبى النيسابورى .
٢١ ـ جمهرة الأمثال للعسكرى بالاشتراك مع عبدالمجيد قطامش .
٢٢ ـ حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى .
٢٣ ـ درة الغواص فى أوهام الخواص للقاسم بن على الحريرى .
٢٤ ـ ديوان امرىء القيس لابن وهب جندح بن الحارث البصرى .
٢٥ ـ رسالة ابن زيدون .
٢٦ ـ سجع الحمام فى حكم الإمام على بن أبى طالب ـ عليه السلام .
٢٧ ـ شرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون .
٢٨ ـ شرح مقامات الحريرى للشريشى النحوى .
٢٩ ـ شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد .
٣٠ ـ قصص العرب بالاشتراك مع محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى .
٣١ ـ المحاسن والمساوى لابراهيم بن محمد البيهقى .
٣٢ ـ مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى ـ جمال الدين أبو الفضل .
٣٣ ـ مراتب النحويين لأبى الطيب عبدالواحد الحلبى .
٣٤ ـ الميسر فى مذهب مالك جمع وترتيب محمود مراد عبدالحى . وتقديم محمد أبو الفضل ابراهيم .
٣٥ ـ النحو فى القواعد والتطبيق بالاشتراك مع السيد شحاته وعلى محمد البجاوى .
٣٦ ـ نهج البلاغة للإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ جمع محمد بن الطاهر أحمد بن موسى .
٣٧ ـ اليتيم بالاشتراك مع على محمد البجاوى والسيد شحاته (صور دينية) .

نقباء الأنصار

صفحة مشرقة من تاريخ الإسلام

لفضيلة الأستاذ
الدكتور عبد العزيز غنيم عبد القادر
أستاذ التاريخ بكلية اللغة العربية
وعضو مجمع البحوث الاسلامية

عرض وتقديم الأستاذ/ عبدالسلام ناصف

.. والكتاب واحد من سلسلة البحوث الإسلامية التى تصدرها إدارة التراث بالأزهر ، وقد عنيت بطبعه مطبعة المصحف الشريف التابعة للأزهر . وهو من القطع المتوسط ، ويقع فى ست عشرة ومائتى صفحة ، تحوى ثلاثة فصول عدا المقدمة والإهداء .

أهداه مؤلفه لفقيد الأزهر والإسلام الإمام الأكبر ـ رحمه الله فى قصيدة شعرية ـ إبان حياته .

وقدم له فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث ووكيل الأزهر بكلمات موجزة يشرح فيها كفاح الأنصار وجهادهم لإعلاء كلمة الإسلام فى عهده الأول خلف رسول الله ﷺ ، تفديه بالأنفس والثمرات ، مع التركيز على من أطلق عليهم « نقباء الأنصار » الاثنى عشر ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ وأجزل لهم الأجر والمثوبة ، وحشرهم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أما مقدمة المؤلف لبحثه القيم فتركز على جهد الرسول الأمين ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ فى إنشاء دولة الإسلام بدءاً من تجرع أذى قريش وعنتها إلى إيذاء أهل الطائف ـ مما حدا بالنبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يفكر فى الهجرة إلى مكان آخر غير مكة التى لا يبذل أهلها ما يحمى دين الله والدفاع عنه ، وفى لقاءاته ﷺ بالقبائل والعشائر فى الأسواق فى المواسم التقى برهط من يثرب هفت قلوب أفراده لدعوته الكريمة ، وأشرق فى شغافها نوره ، فراح يتحدث عنه ويطرى ما يدعو إليه النبى الأمين ، وتتابعت أفواج الأوسَ والخزرج على سنتين متتابعين فى موسمين إلى مكة منقادة لدين الله ، وبعد البيعة طلب رسول الله ﷺ أن يختار الأنصار من بينهم نقباء ليكونوا كفلاء على قومهم ، فامتثلوا للأمر واختاروا اثنى عشر نقيبا ثلاثة من الأوس وتسعة من الخزرج ، وحدد ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ مهمة هؤلاء النقباء فى أن يكونوا

مسئولين أمامه ﷺ كل عن عشيرته ـ فحملهم ما نزل من آيات القرآن الكريم ، وأسند إليهم قيادة الدعوة والعمل على نشرها ـ ولقد كان هؤلاء النقباء عند حسن الظن بهم فأدوا الأمانة فى صدق وإخلاص ، وجاهدوا فى الله حق جهاده واستبسلوا حتى استشهد بعضهم فى غزوة بدر وبعضهم فى غزوة أحد وغيرهما من السرايا والغزوات ، ومن بقى منهم لقى الله فى عهد الخلفاء الراشدين ومن تبعهم .

وبرغم ما بذله هؤلاء النقباء من جهود مضيئة وبرغم دورهم البناء فى السلم والحرب إلا أنهم لم ينالوا ما يستحقونه من العناية والتكريم والاهتمام بتسجيل ما قدموه من مآثر ومفاخر ـ ففكر فى تدوين هذا المبحث القيم ليفتح به الطريق لمن يريد أن يطرق هذا الباب الجليل لتكريم هذه الفئة .

والفصل الأول من الكتاب قَسَمَهُ الباحث إلى أقسام مختلفة تبدأ بأولها : (على مشارف الهجرة) يقول فيه : إنه بعد وفاة السيدة خديجة ـ رضى الله عنها ـ وأبو طالب فى عام واحد لم يترك الله نبيه فريسة للهم والحزن ، وإنما أمره بالخروج إلى الناس فى الأسواق للدعوة إلى الواحد الأحد ، وهجر المرذول من العادات فغشى سوق (عكاظ) وغيره متبعا منهج لا إكراه فى الدين(١) فبلغ الرسالة بأمانة وصدق فأثمرت دعوته ﷺ ودخل الناس فى دين الله أفواجا على الرغم من كل ما يثيره أعداؤه ضدها . فأفضوا تحت راية القرآن ثم امتدت الدعوة إلى المدن المبثوثة شمال الجزيرة العربية وجنوبها ، ولقد أبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أن يتعامل مع دخول الفرس والروم لطبيعتهم المتسلطة التى تتنافى مع خلقه فاتحه فكره إلى الهجرة إلى الطائف ، ولاقى فيها من العنف والإهانة والأذى ما لاقى فعاد أدراجه مهموماً ، وراودته نفسه إلى الهجرة إلى يثرب لما يشده إليها من علائق موغلة فى القدم فهاشم بن عبد مناف جد الرسول ﷺ أصهر إلى بنى النجار وأنجب من ابنتهم (سلمى) جده عبدالمطلب ، وهم من الخزرج من يثرب ـ ووالده عبد الله مات ودفن فيها ، وحملته أمه وهو فى السادسة إليها ليزور أخواله .

ولعله سمع عن نصرة أخواله لجده عبدالمطلب عندما منعه بنو نوفل حقا من حقوقه فأنصفوه كما أنه لا ينسى قَوْلَةَ جبريل عليه السلام أن يثرب هى مُهَاجَرُه ومُهَاجَرُ أصحابه . فلما أتى (أنس بن رافع) فى ستة نفر يلتمسون حلفا مع قريش حادثهم الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ فمالوا إليه وإلى رسالته .. وحفظوا منه سورة العلق وسورة يوسف ، وعادوا إلى يثرب ووعدوه أن يعرضوا الإسلام على أهلهم هناك .

وفى موسم الحج التالى خرج نفر من يثرب للقاء النبى ﷺ ومناقشته فى شأن الإسلام والتقوا به عند العقبة ، وسرّه ما حملوه من أخبار طيبة فبايعهم على : أن لا يشركوا بالله شيئاً ، وغادر الرهط مكة ـ بصحبة مصعب بن عمير وعبد الله ابن أم مكتوم ـ رضى الله عنهما ـ يُحَفِّظان القوم آيات من القرآن الكريم ويفقهانهم فى أمور الإسلام فأكرم القوم وفادتهما وأنزلوهما منزلا أطلقوا عليه (دار القراء) فانتشرت مبادىء الدين السمح ، ولما كان الموسم الجديد خرج إلى مكة سبعون وامرأتان من أهل يثرب فالتقوا به ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ مع عمه العباس

وآمنوا برسالته وتعاهدوا على حمايته والدفاع عنه فبايعهم وطلب منهم أن يختاروا من أنفسهم على أنفسهم نقباء يكونون على قومهم كفلاء ، ويكون النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ كفيلا على قومه .

فاختار القوم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فنقباء الخزرج هم : أبو أمامة أسعد بن زرارة ، وسعد بن الربيع بن عمرو ، وعبد الله بن رواحة بن امرىء القيس ، ورافع بن مالك بن العجلان ، والبراء بن معرور بن صخر ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، وعبادة بن الصامت ، وسعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو .

أما نقباء الأوس فهم : أُسَيْد بن حضير ، وسعد بن الحارث ، ورفاعة بن المنذر .

وهناك أقوال تضع أبا الهيثم بن التيهان فى موضع رفاعة .

ولقد أورد الباحث قصيدة لكعب بن مالك ـ رضى الله عنه ـ فى سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٦٦ يجمع فيها أسماء هؤلاء النقباء .

وعاد الأنصار إلى ديارهم بعد ما عقدوا النية على كتمان ما اتفقوا عليه ، ودخل الناس فى دين الله حتى عمر الإيمان وأضواء الحق دروب يثرب وملأتها أقباس الخير ـ والنقباء يؤمون أقوامهم فى الصلاة ويؤدون بهم الجمع .

ترجم الباحث لكل نقيب ترجمة وافية بدءاً من مولده ونسبه ونشأته وانتهاءً بأعماله وجهاده فى سبيل إعلاء كلمة الله ونهجه فى الحياة حتى موته أو استشهاده ، وهم :

١ ـ سعد بن زرارة ، كان من أهل البيعة الأولى ، وأحد نقباء البيعة الثانية ، جاهد فى سبيل الله حتى هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ـ ثم مرض بداء الشوكة أو الذبحة ، وأشار ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بكيه ، لكنه لقى ربه فغسله وكفنه رسول الله ﷺ ورعى بناته من بعده ـ وكان أول من دفن بالبقيع .

٢ ـ أسيد بن الحضير فهو من كنّاه الرسول بأبى عيسى ، وكان أبوه سيد الأوس ، وكان قارئا يجيد الكتابة والسباحة والرمى . ولقد تحدث أثناء اجتماع العقبة فأحسن الحديث أمام رسول الله ﷺ فاختير نقيبا ، وعاد لينشر دين الله ، وكان أحد وجهاء المدينة الذين استقبلوه ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يوم الهجرة ، وآزره وقاتل إلى جانبه ، وكان ذا صوت طلى ونبرات أخاذة إذا تلا القرآن الكريم مع يقن وإيمان وعمق تصديق وتدبر وكان إماما . ومن ثم كان حِباً لرسول الله ﷺ ، ولقد أجَلّه أبا بكر وعمر فى خلافتيهما حتى لقى الله فى عهد عمر ـ رضى الله عنه ـ فشيعه وحمل نعشه فى العام العشرين من الهجرة .

٣ ـ والبراء بن معرور خزرجى الأب أوسى الأم وكان يفضل البيت الحرام فى صلاته ، خلافا لما كان عليه قومه ، وبعد اختياره نقيبا دعا قومه للإسلام ، ولقى الله ـ سبحانه ـ قبل الهجرة لوقت قليل ، ولقد زار قبره الرسول ﷺ ودعا له .

٤ ـ ورافع بن مالك ، كان يطلق عليه (الكامل) وشهد البيعتين ثم كان نقيبا ، وكان من مستقبلى الرسول ـ صلوات الله وسلام عليه ـ يوم الهجرة ، ودافع عن الإسلام ، وكفاه أن استشهد فى (أحد) .

٥ ـ رفاعة بن المنذر يقول الباحث : إنه أحد

النقباء الذى لبوّا نداء الله ، واستقبلوا الرسول ﷺ يوم هجرته ـ ولقد أناب عنه يوم بدر ويوم السويق وكان واحداً ممن شهد معجزات رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ يوم دعا الله لنزول المطر فأمطر ، ولقد عاش حتى عاصر أبا بكر وعمر وعثمان ، وتوفى قبل استشهاد على كرم الله وجهه .

٦ ـ سعد بن خيثمة بن الحارث الأوسى ، وهو أحد النقباء الذين استشهدوا فى بدر ـ ولن ينسى له التاريخ أنه فتح داره للنبى ﷺ أثناء إقامته فى قباء قبيل الهجرة حين كان ينتقل ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ بين داره ودار كلثوم بن الهرم .

٧ ـ سعد بن الربيع من الخزرج : أحد النقباء الذين استقبلوا رسول الله ﷺ يوم الهجرة ، وآخى بينه وبين عبدالرحمن بن عوف ، شارك فى موقعة بدر وأبلى فيها بلاء حسنا ، واستشهد فى أحد وقبض فى عهد النبى ﷺ وتبوأ مقعدا فى الجنة .

٨ ـ سعد بن عبادة من الخزرج ، وكان وجيها فى قومه ، وممن استقبلوا النبى ﷺ يوم الهجرة ، وكان باراً بأمة غيوراً على أهل بيته ، يحب القرآن شجاعاً فى الحرب والضرب حمل راية الأنصار فى فتح مكة ، وكان دوماً يلازم رسول الله ﷺ فى كل غزواته ، ومات فى العام الخامس عشر أو السادس عشر للهجرة .

٩ ـ عبادة بن الصامت : الخزرجى ، وكان يحفظ القرآن ويعلمه ، واختاره عمر بن الخطاب كى يحفظه لأهل حمص ، ثم ولاه الوظائف العلمية والسياسية ، وتوفى فى خلافة عثمان فى العام الرابع والثلاثين للهجرة بعد ما روى عن النبى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الكثير من الأحاديث وأحاديثه تملأ الصحاح والمسانيد كل بالفتاوى والأحكام .

١٠ ـ وعبدالله بن رواحة : كان ذا مناقب شتى وكان شاعرا ، وهو القائل :

فثبت الله ما أتاك من حسن
تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

وهو القائل :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا
ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا

ولقد شهد بدراً وأحداً والخندق وخيبر **والحديبية واستشهد فى (مؤتة)** .

١١ ـ عبد الله بن عمرو : الخزرجى ، جاهد فى الله ولم يمهله الأجل فأستشهد فى أحد ويروى أن النبى ﷺ رأى ولده حائراً حزينا فقال له : «يا جابر ، ألا أخبرك بما آل إليه أمر أبيك ؟ قال : بلى ، قال : لقد أحياه ربه وكلمه كفاحاً ، ولم **يكن كلم غيره إلا من وراء حجاب وقال له :** تَمَنَّ علىّ تُعْطَ قال : ياربى تعيدنى إلى الدنيا حتى أقتل فيك مرة ثانية .. قال الرب ـ عز وجل ـ : **لقد سبق القول منى . لا أعيد أحداً إليها** ولا أرجعه ، فقال : فتخبر من ورائى ، فنزل فى الشهداء قوله ـ تعالى :

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾

سورة آل عمران

ومن مناقبه أن غسل وكفن مع خاله ودفنا فى قبر واحد ـ لما كان بينهم من محبة على ظهر الدنيا . فسلام عليه فى الأولين والآخرين

١٢ ـ المنذر بن عمرو : الذى استقبل رسول الله يوم الهجرة وشهد بدراً وأحداً ـ ولقد بعثه ـ ﷺ ينشر الدين فى ملاعب الأسنة لكنه استشهد واستشهد معه سبعون فقيها فى (بئر معونة) فحزن عليه ورثاه ودعا على من قتله طويلا .

١٣ ـ الهيثم بن التيهان : من الأوس ، وكان أول من بايع رسول الله ﷺ ليلة البيعة الثانية ، ولقد جاهد فى سبيل الله فاشترك فى معركة بدر وأحد والخندق ، وكان قريبا من قلبه ﷺ ولقد توفى ـ على أرجح الأقوال ـ فى خلافة عمر ـ رضى الله عنه ـ فى العام العشرين للهجرة .

وفى الفصل الثالث يعقب المؤلف على عملية اختيار هؤلاء النقباء أو انتخابهم لمناقبهم واستقامتهم فكل منهم يمثل حيا من أحياء الأنصار وهم كفلاء عن وفاء لأقوامهم وتعليمهم أسس الدين الجديد ، ويلاحظ أن المؤلف قد ترجم لثلاثة عشر نقيبا بعدما اختلف المؤرخون والرواة فى النقيب الثانى عشر أكان رفاعة بن المنذر أم أبا الهيثم بن التيهان نترجم لكليهما على سبيل التحوط .

ولم ينكث الأنصار عهدهـــم ، بل آووا ونصروا ، وجاهدوا فى الله حق جهاده ، وعرّضوا أنفسهم وأموالهم للأخطار حتى عَزَّ الحق . ولقد أنهى الرسول ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نظام النقباء فلم يعين نقيبا خلفا لنقيب بعد موته وقال لمن طلب منه ذلك : (إنى نقيب لكل الأنصار) ﷺ ولقد كرمهم القرآن الكريم فى مواضع عدة لعل أقربها إلى الذهن قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾

سورة الانفال ـ آية ٧٤

وكرمهم رسول الله ﷺ فى أحاديث عدة نكتفى منها بقوله عنهم : « إنكم أحب الناس إلىّ » كما جاء فى صحيح البخارى وقوله : « الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن ، ولايبغضهم إلا منافق ، فمن أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله » وعلى المسلمين قاطبة أن يستعيدوا تاريخهم ، ويقتفوا آثارهم ، ويسألوا الله لهم الفردوس الأعلى جزاء ما قدموا ـ وهو وحده عنده حسن الثواب .

وبعـــد

فهذا كتاب نعرضه فى ذكرى الهجرة ـ لما لها من أثر فى نفوس المسلمين ـ وما أجل أن يؤرخ أستاذ متخصص فى التاريخ الإسلامى لهذه الفئة الكريمة المختارة بطيب نفس ـ لتمثل أول عملية انتخاب حرة مباشرة فى الإسلام ـ أدى أفرادها كل ما عليهم من واجبات وما عليهم من حقوق ـ ملتزمين بما عاهدوا الله ورسوله ﷺ عليه .

وكان عرض المؤلف مبسطا سلسا ـ شاء إلّا أن يطعم بشعر جزل رقيق ـ ولعل فى موافقة فضيلة وكيل الأزهر لطبعه وتوزيعه خير دليل على ما فيه من خير للقارىء المسلم ، وهو الحريص على المال العام .. الدقيق فى اختيار الكلمة المناسبة النافعة فى الوقت المناسب .

نفعنا الله بعلم الجميع .. ووفق خطانا لما فيه خير المسلمين .

مصطفى صادق الرافعى

فى ذكراه التاسعة والخمسين

(١٨٨٠ ـ ١٩٣٧)

بقلم الأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ

مَرَّتْ الذكرى التاسعة والخمسون لرحيل الرافعى ، فى العاشر من مايو ، دون أن يلتفت إليها أحد ، فى حين تقام المهرجانات والاحتفالات فى ذكرى من هم دون الرافعى بكثير ، سواء فى حقل الأدب أو غيره ؛ بل إن كثيرا من شباب الأدباء ـ وبعض شيوخه أيضاً ـ لايكاد يعرفون عن الرافعى شيئا بذكر .. وقد حفزنا هذا الأمر المؤسف إلى محاولة الوفاء لذكرى الرافعى ، بذكر بعض مايليق بمنزلته الرفيعة ، التى احتلها فى نفوس أصفيائه وتلاميذه ، عن جدارة واستحقاق ، جاعلا نصب عينيه ، أن لا يحيد عن قوله الذى أثر عنه : « أنا لا أعبأ بالمظاهر والأعراض التى يأتى بها يوم ، وينسخها يوم آخر .. والقبلة التى أتجه إليها فى الأدب ، إنما هى النفس الشرقية ، فى دينها وفضائلها .. فلا أكتب إلا مايبعثها حية ، ويزيد فى حياتها ، ويمكن لفضائلها فى الحياة .. ولذا لا أمس من الآداب كلها ، إلا نواحيها العليا » .

ولد الرافعى فى يناير ١٨٨٠ فى (بلدة بهتيم) إحدى قرى مديرية (القليوبية) ، ودرج بين ظهرانى أسرة عريقة فى العلم والتدين ، فكان فى (أزهر) من أهله ، كما يقول الزيات ، فقد اجتمع من آل الرافعى فى وقت واحد أربعون قاضيا فى محاكم مصر الشرعية ، وبعد حصول

الرافعى على الشهادة الابتدائية بتفوق سنة ١٨٩٧ ، أصيب بحمى (التيفوئيد) التى تركت أثرها الشديد فى صوته وسمعه ، وحالت بالتالى دون استمراره فى تلقى العلم المنظم بالمدارس، وخاصة بعد أن فقد حاسة السمع تماماً ، واضطر إلى الإلتحاق بوظيفة صغيرة بإحدى المحاكم .. إلا أن ذلك لم يفت فى عضده ، بل انكب على كتب الأدب التى حفلت بها مكتبة والده الشيخ عبدالرازق الرافعى ، الذى كان من كبار العلماء والقضاة الشرعيين فى كثير من الأقاليم ، واستظهر الرافعى الكثير من أمهات هذه الكتب ، فى ساعات قراءة يومية ، لاتقل عن ثمانى ساعات ، وكذلك اطلاعه على ذخائر مكتبة البلدية بمدينة طنطا التى ظل يعيش فيها طوال عمره ، هذا بالإضافة إلى ما اقتناه من المؤلفات والموسوعات الأدبية بعد ذلك .

وكان الرافعى دائم الاعتزاز بأن الأسرة الرافعية يتصل نسبها بالفاروق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ ونتبين ذلك بوضوح وجلاء ، فى رثائه لوالده ، عند انتقاله للرفيق الأعلى سنة ١٩١٩ م بقوله عنه :

تروعك منــــه هيبـــــة (عمريـــــة) وحسبك من أمسى له (عمـــــر) جدا
فجاء كنصل السيــف يهتــز مصلتــا يد الله منـــــه وحدهـــــا سنت الحدا
كما اعتصرتـــــه أنـــــفسٌ عربيـــــة رماحـــــا وأسيافـــــا وألسنـــــة لدا
ومـــن كان فى التـــاريخ لحد جدوده تجده من التـــاريخ .. قد ورد المهـــدا
وفى الناس أبطال .. ترى الفرد منهمو وحيدا ، ومن أخلاقه .. حشد الجندا

ونستطيع أن نقف على عمق إيمان الرافعى ، وقوة عزيمته وهو يشق طريقه إلى المجد الأدبى ، خلال الوعور وصلد الصخور ، التى اعترضت مسيرته ، بسبب الوظيفة الصغيرة ، والصمم الشديد الذى ألم بأذنيه .. نستطيع أن نتبين ذلك كله ، من قوله فى قصيدته التى تحمل عنوان (أنا ونفسى) :

أعْـــنَتُّ نفسى حتـــــى مضهـــــا السأم
وكدهـــــا عمـــــــر .. فى الجد ينصرم
قالت تحاورنى : ياويح قلـــــــبك من
قلبٍ .. بنـــى مابنـــاه .. وهـــو ينهدم
مقيَّـــــدٌ فى وثـــاق من خلائقـــــه
فمالــــــــــــه لذة .. إلا لها .. ألم
ينـــاشد المثـــل الأعلى وفيـــه إلى الـــ
أدنى مجاذبـــــــةٌ مادام فيـــــــه دم

ثم قوله لنفسه ، بعد ذلك ، وهو يحاورها :

يا نفس ويحك ! أرضى الجدَّ منك فتـــــــىً
ماضى العـــزيمة وثاـــــن .. فمقتحـــم
لا تعـــــرضى لى لذَّات الهوى أبـــــدا
ماللهـــوى فى لسانى : لا .. ولا .. نعـــم
مالـــذتى إلا أن أكـــــون فتـــى
كما يرفـــرف ـ فى أعلى الـــذرى ـ علـــم

إلى أن يقول :

شتـــــان بين أمـــــرىء فى نفسه حرم
قدسٌ ـ وبين امـــرىء .. فى نفسه صنـــم !

وقوله فى (عزيز قوم ذل) :

وكم من أشمِّ الأنـــف ـ أرغـــم أنفـــه
ومـاكان يومـا .. يطـرق الـرأس مرغمـا
إذا هم بالـــتسآل .. أمسك بعدهــــا
حيـاءً ، فلــم يفتــح بمسألـــة فمـــا

وهناك عبارة أثرت عن الرافعى ، بعد فقد حاسة السمع ، يقول فيها : « إذا كان الناس يعجزهم أن يسمعونى ، فليسمعوا منى » ، ومن ثم راح يدبج المقالات الرائعة ، والفصول الممتعة ، وينشرها فى شتى الدوريات الأدبية ، بعد أن استكمل أداته اللغوية والبيانية .. وقد اعترف له بالتفوق النادر فيها ، أحد خصومه البارزين ، الذى دارت بينه وبين الرافعى معركة أدبية مشهورة ، ونعنى به الدكتور طه حسين ، الذى يقول معترفا بما نذهب إليه :

« ... وكذلك تظلم الأستاذ الرافعى ، إن قلت : إن حظه من العلم باللغة العربية وآدابها ، وبدقائقها وأسرارها ، قليل ، وإنما الحق أن الذين يعلمون هذه اللغة ــ كما يعلمها الأستاذ الرافعى ــ قليلون جدا ، وأحسبهم يحصون ، والحق أن الذين يظهرون على أسرار هذه اللغة ــ كما يعلمها الأستاذ الرافعى ــ قليلون جدا ، وأحسبهم يحصون أيضاً »[1] أما المازنى ، فقد اعترف

---

(١) انظر افتتاحية عدد مجلة (القاهرة) ، الصادر فى ١١ من يونية سنة ١٩٨٥م .

(٢) أنظر قصيدته بعنوان (أبى) المنشورة بعدد مجلة المقتطف ، الصادر فى سبتمبر سنة ١٩١٩م ، وكذلك قوله بديوانه (النظرات) : « ومن فضل الله على أسرتنا أن نسبنا بالإمام العادل عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين ، رضى الله عنهم ورضى عنا بهم » جـ ١ ص ١٠٣ .

أيضا بذلك ، ولكن بعد وفاة الرافعى ، فقال فى رثائه : « ... وقد كان يوصف فى حياته بأنه حجة العرب ، وهذا صحيح إلى حد كبير ، وقد لايكون خير الحجج وأبلغها ، ولكنه حجة قوية بليغة ، ولاشك فى ذلك » .

ثم يستطرد قائلا : « وغير قليل من أدب الرافعى سيبقى على الأيام ، مابقى للأدب ذكر مقام .. وأحسبنى لا أبالغ حين أقول : إن له من آثاره مالا يرق إليه قلم فى القديم أو الحديث ، وإن له صفحات عديدة ، فى كل كتاب ، يبلغ فيها ذروة البلاغة » .

ويقول : « وكان رأيى فيه دائما أنه أعلم أهل العربية ، وأوسع أدبائها اطلاعا على علوم الدين ، ولكنه كان لايجد غيرها ، ولايستمد إلا منها .. وإنها لبحر زاخر ، ومحيط عظيم . » .

وأحسب أن هذه السطور المضيئة ، تعتبر بمثابة (رد اعتبار) للرافعى وأدبه ، بعد رحيله[1] ، وبعدما أصابه من قلم العقاد فى كتاب (الديوان) ، الذى أصدره بالمشاركة مع المازنى ، فى العشرينيات .

كما وصف الأستاذ محب الدين الخطيب أوابد الرافعى ، بأنها : « لا يبلغ شأوها فى دقة التعبير ، وابتكار جليل المعانى .. » وحسبنا فى التدليل على صدق وصف محب الدين الخطيب لبلاغه الرافعى ، قول الأخير ، فى ذكرى صوت مقرىء ، كان قد استمع إليه فى حداثته ، قبل أن يفقد حاسة السمع « وسمعنا القرآن غضا طريا ، كأول مانزل به الوحى ، فكان هذا الصوت الجميل ، يدور فى النفس ، كأنه بعض السر الذى يدور فى نظام العالم ، وكان القلب وهو يتلقى الآيات ، كقلب الشجرة ، يتناول الماء ، ويكسوها منه .. واهتز المكان والزمان ، كأنما تجلى المتكلم سبحانه وتعالى فى كلامه .. وبدا الفجر ، كأنه يستأذن الله أن يضىء من هذا النور .. » .

وتأثير الرافعى فى الأجيال التى تلت جيله ، ظاهر بعمق ووضوح ، فى نتاج صفوة ممن أخذوا عنه ، وأقروا بفضله ، كما نلمس ذلك ، فى قول الدكتور عبده بدوى فى ذكرى الرافعى :

لست أنسى .. وكيــــف أنسى وخطـــوى
كان من روضك الـــــنضير انطلاقــــــه
لست أنسى ـ ولم أزل بعـــــد طفـــــلا
كيــــــف حاولت فى ذراك الطلاقــــــة
كنت أفقـــــا ، جمعت منـــــه نجومـــا
فإذا الليــــل .. (غنـــوةً) .. رقراقــــة

(٣) أنظر كتابه (حديث الأربعاء) الطبعة العاشرة ـ دار المعارف ـ جـ ٣ ص ١٢٢ سنة ١٦٧٦ .

كل حرف زرعتـــــه .. صار يعطـــــى
أمـــلا فى النفـــوس أو .. إشراقـــة

ويقول محمود حسن إسماعيل ، مخاطبا أو معاتبا (مصر)

لم يطب للنبـــــــوغ فيك مقــــام
لاعلـــيك الغــــداة منـــــى سلام !
المنـــارات تنطفـــــى بين كَفـــيْـ
ـك ، ويزهـــو بشاطئـــيك الظـــلام
والصدى من مناقـــر البـــوم يحيـــا
ويموت النشيـــــــــد والإلهام

إلى أن يقول :

أنت يامصر ، واصفحـــى إن تعبـــدْ
ت ، وأشجـــاك من نشيـــدى الملام
قد رعـــيت الجميـــــل فى كل شىء
غير ما أحسنت بهْ الأقـــــلام
لم يمت من طواه فى قلبـــــه الشر
ق .. وغنـــىً بذكـــره .. الإسلام

***

وقد تميز أسلوب الرافعى ، بمستوى رفيع من دقة الوصف وروعة السبك الفنى ، لألفاظه ومعانيه ، حتى أصبح ذا طابع خاص متميز ، تستطيع بسهولة ـ إذا قرأت له أى فصل من فصوله الأدبية ، أن تعرفه به ، لأول وهلة .. بخصائصه الفذة ، التى ينحو بها منحى (السمو الأدبى) ، الذى يقول عنه فى مقدمة الجزء الأول من كتابه (وحى القلم) :

ربما عابوا السمو الأدبى بأنه قليل ، ولكن الخير كذلك ، وبأنه محير ، ولكن الحسن كذلك ، وبأنه كثير التكاليف ، ولكن الحرية كذلك : إن لم يكن البحر ، فلا تنتظر اللؤلؤ ، وإذا لم يكن النجم ، فلا تنتظر الشعاع ، وإذا لم تكن شجرة الورد ، فلا تنتظر الورد وإن لم يكن الكاتب البيانى ، فلا تنتظر الأدب .

البحث موصول

(٤) نشرت بمجلة (الموظف) عام ١٩٣٧ .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

طلب الرزق

عن المقدام - رضى الله تعالى عنه - أن النبى ﷺ قال :

« ما أكل أحدٌ طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود - عليه السلام - كان يأكل من عمل يده »(١) .

وعنه - صلى الله عليه وسلم - أنه قال :

« لأن يحتطب أحدُكم حُزمة على ظهره خيرٌ من أن يسأل أحداً فيعطيه أو يمنعه »(٢) .

وعن السعى والجد طلباً للرزق أرسل القارىء عماد ميزار عبدالعظيم - قرية الأعلام - الفيوم كلمة يقول فيها .

● أرسل إلينا الصديق : عمـاد ميـزار عبدالعظيم - قرية الأعلام - الفيوم يقول :

إن نظام الحياة يتطلب السعى والجد ، فيجب على كل مخلوق أن يكد ويسعى لتحصيل رزقه ، ولا يعتمد إلا على الله - تعالى - فى ذلك ، ثم على نفسه ليحصل على ما قسمه الله - تعالى - له فلابد من السعى ، فالله - تعالى - يقول :

﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴾ سورة النجم - آيات : ٣٩ ، ٤٠

ويقول سبحانه وتعالى :

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

سورة الملك - آية : ١٥

فالناس فى ميدان الحياة يتسابقون ، وأكثرهم سعياً أرقاهم ، وأسعدهم حالًا ، وأهدؤهم بالا .

وكفى العاملون شرفاً قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة - آية ١٠٥

---

(١) فتح البارى بشرح صحيح البخارى : كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده . الحديث ٢٠٧٢

(٢) المرجع السابق الحديث رقم ٢٠٧٤

من أخلاق الإسلام الصدق

أما القارىء : إبراهيم الحفناوى ـ القرين ـ شرقية فقد ارسل كلمة عن الصدق يقول فيها .

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾

الاحزاب ـ ٢٣

والصدق كما نجده فى الأقــوال ، نجده فى الأفعال ، فإن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة .

ومن أفضل الفضائل الصدق ، وقد نودى النبى ﷺ ـ زمن الجاهلية ـ بالصادق الأمين ، فما أعظمها من صفة يتصف بها إنسان .

وقد امتدح الله ـ عز وجل ـ الصادقين بقوله :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾

التوبة ـ ١١٩

وعلى الجانب الآخر ـ فقد ذم الله الكذب والكاذبين وقال وقوله الحق :

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

الزمر ـ ٦٠

نسأل الله أن يجعلنا من الصادقين ويحشرنا مع الصدّيقين إنه نعم المجيب .

سمات المرأة المسلمة

وأرسل القارىء : إبراهيم محمد على سيد رسالتين :

تناول فى الأولى «نبذة عن حياة رسول الله ﷺ» منذ أن كان يتاجر للسيدة خديجة بنت خويلد ـ رضى الله عنها ـ إلى زواجه منها ، وقد كانت أول امرأة تزوجها الرسول ﷺ ولم يتزوج بغيرها حتى ماتت ـ رضى الله عنها .

وعنيت الرسالة الثانية بالكلام عن «سمات المرأة المسلمة» فأبرز أن من أهم سماتها أن تكون :

محتشمة ـ متعلمة ـ تحفظ حقوق زوجها .

ثم يقول : «.... فالإسلام يريد من المرأة أن تعتز بدينها وأن تكون كريمة بشخصيتها ، سامية بأنوثتها فالإسلام يريد للمرأة العزة والكرامة حتى لا تكون هدفا لعيون الناس وألسنتهم إذا مرت عليهم ....» .

«.... فالإسلام يحفظ للمرأة عفتها بآدابه الرفيعة وأخلاقه الكريمة فيصونها عن التبرج ويكسوها الحشمة . قال تعالى :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ ﴾

سورة النور (٣١)

فالحشمة تحميها من لفت أنظار الرجال وتذكرهم بواجب دينهم ، فيحملون لها كل تقدير

وإكبار ؛ لأنها ركن ركين فى بناء الأسرة المؤمنة التى قال عنها رب العزة :

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

الروم ــ ٢١

الإسلام دين العلم والعبادة

● **أما رسالة الصديق مصطفى كمال عيسى مصطفى ــ أسيوط ــ موشا فيقول فيها :**

الإسلام دين علم وعبادة ، وما تخلفت شعوب العالم ... إلا لبعدها عن العلم وأسسه السليمة .

وقد فرض الله ــ سبحانه وتعالى ــ طلب العلم وأوجبه على كل مسلم .

● **وتحضرنى فى هذه المناسبة قصة أسرى بدر ، وكيف حررهم الرسول ﷺ إذ علموا بعض أبناء المسلمين القراءة والكتابة ؛ فكانت خطوة تنفيذية لمحو الأمية . وقد وردت الإشادة بالعلم فى نصوص عديدة بالكتاب الكريم منها قول الحق تبارك وتعالى :**

﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ .

سورة العلق ــ آية ١ : ٥

وقد جاء فى الحديث الشريف :

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم .

ردود وتعليقات

القارىء : رضا صالح أحمد مبروك .

والقارىء : أحمد محمود الشريف .

محاولاتكما جيدة من حيث الأفكار ، وتنبىء بنبات طيب يحتاج منكما إلى الرعاية حتى يأتى أكله طيبا بإذن الله تعالى ، عليكما مداومة الاطلاع على دواوين الشعر لكبار الشعراء قديما وحديثا ، ومعرفة علم العروض والقوافى .

القارىء : رشدى عبد الحميد رمضان .

الشعر : كلام موزون مقفى ، وما يأتى على غير ذلك فليس بشعر .

والتعبير عن حب الله ــ تعالى ــ ورسوله ﷺ لا يستلزم الشعر ، بل يعبر كل إنسان بطريقته ، نثراً كان أو شعراً لا افتعال فيه .

القراء : صلاح الدين سيد محمد ــ أبو تيج أسيوط

ومصطفى حسين مهران مرسى ــ موشا ــ أسيوط

و س سوهاج . ش النيل

الطالبة ع ش .

حولنا استفساراتكم إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ، رجاء متابعة باب استفتاءات القراء بالمجلة .

العيد أقبل

العيدُ أقبلَ ضاحكاً بساما — أهلا به وتحيةٌ وسلاما
عيدٌ سعيدٌ قد أتانا زائراً — فانهض إليه تشوقا وهياما
والبس به الثوبَ القشيب تُعدُّه — للعيد قبل مجيئه إكراما
واحذر به بين الأنام تكبراً — ومعبرا عن بهجة تتسامى
عيدٌ به تصفو القلوبُ ، فما ترى — فيها عداءً أو تُحس خِصاما
والحب يُشرق فى العيون فما ترى — إلا ودادا خالصا ووئاما
والله كافأنا به متفضلًا — والله يجزى المحسنين دواما
فاشكر لربك مانحا آلاءه — واذكر له الإحسان والإنعاما
واستقبلن العيد مزدهيا به — فالعيد يَوْمٌ توَّج الأياما

مصطفى محمود مصطفى
كفر ربيع ـ منوفية

ليس التقدم عريا

المرأة الفاضلة تزداد بالفضيلة والأخلاق جمالا وبهاء ، ولا تثور على الفضيلة ولا تحاربها .. ولا تقبل أن تكون دمية جميلة ـ أو أرضاً مستباحة ، وسلعة للعرض يعجب بها الناظرون .

أختاه .. لبىّ النداءا — رُدى عليك الحياءَا
ليس التقدم عريا — ولا التعرى دواءا
قد سرت خلف الشقاء — فصرت أنت الشقاءا
سايرت أعداء دينى — لما نزعت الرداءا
إن التبرج نقصٌ — لا تظهرى الاستياءا
دعاكِ ربى لطهر — وأن تقودى النساءا
دعاك ربى لستر — فهل أجبت (النداءا)
إن الجمال احتشام — يُلقى عليك بهاءا
أختاه توبى وعودى — ردى عليك الحياءا

نجاح عبد القادر سرور
كفر بولين ـ كوم حمادة ـ محافظة البحيرة .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يطالب بمساندة لبنان

شهد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف الندوة الوطنية التى نظمتها لجنة الإغاثة الإنسانية بنقابة الأطباء لمناصرة شعب لبنان الشقيق وحضرها ممثلون عن وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية وأساتذة القانون الدولى وسفير لبنان فى القاهرة ونقيب الأطباء وجمع غفير من المواطنين .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته أمام الندوة على اتفاق جميع الشرائع السماوية فى الوقوف إلى جانب المظلوم ومساعدته فى الدفاع عن حقه حتى يسترده ، وهو كذلك موقف الإسلام الذى يأمر المظلوم أن يستميت فى الدفاع عن حقه كما يأمر . الناس أن يقفوا إلى جانبه وأن يمدوا له يد العون حتى ينال هذا الحق .

ودعا فضيلته فى ختام كلمته إلى تقديم المساعدات المادية والمعنوية للجرحى والمنكوبين من اللبنانيين ، وبذل كل ما يمكن من أجل مساعدتهم ونجدتهم وتضميد جراحهم .

عشر كليات جديدة بجامعة الأزهر

● ترأس فضيلة الإمام الأكبر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الذى عقد صباح السبت ٢ ذو الحجة ١٤١٦هـ ٢٠ أبريل ١٩٩٦م بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر الشريف .

وقد وافق المجلس الأعلى للأزهر فى هذا الاجتماع على إنشاء عشر كليات أزهرية جديدة للدراسات الإسلامية والعربية للبنين والبنات بمحافظات الشرقية والمنوفية والبحيرة وبنى سويف وأسوان .

كما وافق المجلس الأعلى على أن تقوم جامعة الأزهر بإنشاء وحدة علمية ذات طابع خاص لدراسة البيئة ومجالات الحياة البرية على أن تنشأ هذه الوحدة بكلية العلوم بنين جامعة الأزهر بالقاهرة .

الإمام الأكبر فى خطبة الجمعة يؤكد:

نحـــن ضـــد الإفســـاد

● أدى فضيلة الإمام الأكبر صلاة يوم الجمعة الموافق غرة ذو الحجة ١٤١٦هـ ١٩ أبريل ١٩٩٦م بالجامع الأزهر .

وقد ألقى فضيلته خطبة الجمعة وتناول فيها ما حدث فى جنوب لبنان والعملية الإرهابية التى وقعت فى شارع الهرم بالقاهرة .

أكد فضيلته على وجوب الدفاع عن إخواننا فى لبنان والوقوف إلى جانبهم مادياً ومعنوياً ؛ لأنه وقوف بجانب الحق وهو فرض على كل مسلم أوجبه الله ـ تعالى ـ علينا جميعاً مشيراً إلى أن أى تقصير فى هذا الواجب سوف نحاسب عليه حساباً عسيراً أمام الله ـ تعالى ـ يوم القيامة أما فى الدنيا فإن الجبن يؤدى إلى امتهان كرامة الإنسان والله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكونوا كذلك .

وقال فضيلته : نحن أيضاً ضد التخريب والإفساد وقتل الأبرياء مشيراً إلى ما حدث فى شارع الهرم من قتل وجرح وإصابة لعدد من الأبرياء السائحين مؤكداً أن هذا أمر لا يقره الشرع وأن ما حدث يعد جريمة من أقبح الجرائم التى تحرمها الأديان السماوية جميعاً .

هذا وقد بعث فضيلته بتعازيه فى الضحايا إلى المسئولين باليونان .

الإمام الأكبر فى مؤتمر دولى :

يؤكد على أهمية دور الأسرة

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر المؤتمر الدولى الذى نظمه المركز الدولى الإسلامى للدراسات السكانية بجامعة الأزهر وذلك بقاعة مركز الشيخ صالح بمدينة نصر صباح يوم السبت الموافق ٢٣ ذو الحجة ١٤١٦هـ ١٩٩٦/٥/١١م وفى بداية كلمته تقدم فضيلته بالشكر لجامعة الأزهر والقائمين على المؤتمر وأشار فضيلته إلى أهمية الموضوعات التى يناقشها المؤتمر والتى تندرج فى عنوان (الأسرة فى الإسلام) مؤكداً على أهمية دور الأسرة فى تنشئة الأبناء واهتمام الشريعة الإسلامية بهذا الدور باعتبار أن الأسرة هى الدعامة الأولى فى بناء المجتمع الفاضل وأوضح فضيلته أن الضرورة ملحة فى هذا العصر الذى تتنافس فيه الأمم كى تظفر بالمعانى السامية والرقى الفكرى والخلقى .

ودعا فضيلته الأسرة ممثلة فى الأبوين إلى غرس القيم النبيلة فى نفوس أبنائها منذ الصغر حتى يشبوا على الطهر والعفاف والأدب شهد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر لفيف من رؤساء الجامعات وأساتذة وعمداء كليات جامعة الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يشهد تكريم أئمة العالم الإسلامى

● شهد فضيلة الإمام الأكبر الحفل الختامى الكبير الذى أقامته اللجنة العليا للدعوة بالأزهر لتكريم السادة الأئمة والوعاظ من أبناء العالم الإسلامى والذى أقيم بمدينة البعوث الإسلامية بالدراسة .

شاركت فى هذه الدورة دول : السنغال / نيجيريا/ النيجر/ زائير/ أوزبكستان/ إريتريا/ غانا/ غينيا/ زامبيا/ الصين وقد ألقى فضيلته كلمة رحب فيها بالسادة الأئمة فى الأزهر الشريف ودعاهم إلى أن يكونوا قدوة لغيرهم وأن يبلغوا ما تعلموه إلى الناس بالحكمة والموعظة الحسنة أو البعد عن المجادلة والتعصب .

ثم قام فضيلته بتوزيع شهاذات التخرج على السادة المشاركين فى الدورة التدريبية التى ينظمها الأزهر الشريف على مدار العام . شهد الحفل سفراء الدول المشاركة ورجال السلك الدبلوماسى ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

ويشهد معرضا فنيا بمنطقة القاهرة الأزهرية

● افتتح فضيلة الإمام الأكبر المعرض السنوى الذى تقيمه إدارة التربية الفنية والنسوية بمنطقة القاهرة الأزهرية بمقر المنطقة بمدينة نصر صباح يوم الأربعاء الموافق ٦ ذو الحجة ١٤١٦هـ ٢٤ أبريل ١٩٩٦م حيث شاهد فضيلته المعروضات وهى من وحى البيئة تضم أعمالا خشبية وأشغالًا فنية من الزجاج والخيوط ، والفلين ، ورقائق ، الألمونيوم ، والنحاس ، والفخار « والبوص » والرسومات . كما ضم المعرض جزءًا خاصاً للمعروضات النسوية من ملابس ، ومفروشات ، ومنتجات التدبير المنزلى ، وتميزت المعروضات ببساطة الخامات مما أثار إعجاب الحاضرين .

وقد أشاد فضيلة الإمام الأكبر بالروعة والدقة والجمال الذى ميز جميع المعروضات نتيجة للجهد المبذول من الطلبة والطالبات والمشرفين .

شهد الحفل فضيلة الشيخ رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ومدير عام منطقة القاهرة الأزهرية ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد السفير منصور علم سفير باكستان فى القاهرة الذى قدم التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر ، كذلك نقل السيد السفير تهنئة السيدة بناظير بوتو رئيسة وزراء باكستان لفضيلته بهذه المناسبة . كما تم توجيه الدعوة لفضيلته لزيارة باكستان وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على هذه المشاعر الطيبة وحمله رسالة شكر للسيدة رئيسة وزراء باكستان وحكومتة وشعب باكستان المسلم وقد وعد فضيلته بتلبية الدعوة الموجهة من السيدة رئيسة الوزراء لزيارة باكستان فى القريب العاجل .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر السادة نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة الدكتور يوسف والى والمهندس ماهر أباظة وزير الكهرباء والطاقة والسادة سفراء البانيا وروسيا الاتحادية حيث حضروا جميعاً لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير الدكتور عيسى درويش سفير سوريا بالقاهرة بمكتب فضيلته صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩ ذو الحجة ١٤١٦ هـ ـ ٧ مايو ١٩٩٦ م حيث قدم سيادته التهنئة لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف ، وحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

● كذلك استقبل فضيلته فى ذات اليوم السيد السفير / رجى ألفا أورتيز سفير أسبانيا بالقاهرة لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختيار فضيلته شيخاً للأزهر الشريف ، كذلك نقل لفضيلته تهنئة ملك وملكة أسبانيا لاختياره لهذا المنصب الرفيع .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على هذا الشعور الطيب وحمله رسالة شكر لصاحب وصاحبة الجلالة ملك وملكة أسبانيا وحكومتها وشعبها .

● كذلك استقبل فضيلته فى ذات اليوم السيد السفير مصطفى عبدالعزيز مساعد وزير الخارجية المصرية للشئون العربية حيث قدم سيادته لفضيلة الإمام الأكبر التهنئة بمناسبة عيد الأضحى المبارك .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه صباح يوم الأحد الموافق ١٧ ذو الحجة ١٤١٦ هـ ـ ٥ مايو ١٩٩٦ م السيد السفير/ مايكل بل سفير كندا بالقاهرة الذى قدم التهنئة لفضيلته بمناسبة توليه منصب شيخ الأزهر الشريف ، وكذلك تهنئته بحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

وقد وجه السيد السفير لفضيلة الإمام الأكبر أثناء اللقاء الدعوة الرسمية لحضور المؤتمر الخاص بالإسلام والمسيحية « حوار عن التعاون من أجل التنمية والإغاثة » والذى سيعقد فى « أوتاوا ـ بكندا » خلال الفترة من ١٧ ـ ١٩ يونيه ١٩٩٦ برعاية الوكالة الدولية الكندية للتنمية .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صباح الإثنين ٤ من ذى الحجة ١٤١٦هـ ٢٢/٤/١٩٩٦م بمكتبه الأستاذ الدكتور أسامه الباز الوكيل الأول لوزارة الخارجية ومدير مكتب الرئيس للشئون السياسية .

وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف مشيراً إلى الثقة الغالية التى أولاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك لفضيلته بهذا الاختيار .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الدكتور أسامة الباز على هذه التهنئة الصادقة مؤكداً على استمرار مسيرة الأزهر الشريف لخدمة العلم والدين فى ربوع العالم متمنياً لتلك المسيرة دوام التقدم والازدهار لخدمة مصرنا الحبيبة بقيادة السيد الرئيس محمد حسنى مبارك .

● كذلك استقبل فضيلته سعادة السفير ولدياها سفير موريتانيا بالقاهرة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف حيث نقل لفضيلته تهنئة حكومة وشعب موريتانيا الشقيق وقد أشاد الضيف بالدور البارز للأزهر الشريف وما يقدمه من منح دراسية لأبناء موريتانيا للدراسة بالأزهر الشريف ، وكذا إيفاد البعثات الدراسية ممثلة فى المدرسين ، والعلماء لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية ، بموريتانيا وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير على تهنئته وحكومة بلاده معرباً عن استمرار التعاون بين الأزهر الشريف وجمهورية موريتانيا الشقيقة .

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بكتبه صباح يوم الثلاثاء الموافق ١٩ ذو الحجة ١٤١٦هـ ـ ٧ مايو ١٩٩٦م الدكتور/ محمد بكر المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة (اليونيسيف) بالقاهرة يرافقه الدكتور إبراهيم الكردانى مدير برامج الصحة والتغذية بالمنظمة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف .

وقد دار الحديث خلال اللقاء حول خطة المنظمة ونشاطها والدور الذى تقوم به فى منطقة الشرق الأوسط وعلاقة التعاون الوثيقة بين المنظمة والأزهر الشريف بما يضفى على دورها قبولا وقناعة ، لدى الجميع وذلك لما للأزهر الشريف من دور بارز على مستوى العالم .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الطيبة مشيراً إلى أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى التعاون مع المنظمة ونشاطاتها الإنسانية ما أمكنه ذلك .

● كذلك استقبل فضيلته سماحة الشيخ/ كمال سعيد الأغا نائب مفتى القدس والديار الفلسطينية وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر لتعيينه شيخاً للأزهر الشريف وبحلول عيد الأضحى المبارك وإطلالة العام الهجرى الجديد .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على مشاعره الطيبة وحمله إبلاغ تحياته لأبناء الشعب الفلسطينى داعياً المولى ـ عز وجل ـ أن ينعم عليهم بالسلام والأمن والأمان والاستقرار والرخاء .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

الظلم الدولى يتواصل

أفادت الأنباء الواردة من العاصمة البوسنية (سراييفوا) أن المنسق الدولى للشئون المدنية اقترح تأجيل الانتخابات فى مدينة « مستار » المقسمة حالياً بين المسلمين والكروات ، وذلك فى ظل اعتراض المسلمين على الانتخابات المزمع إجراؤها بسبب استبعاد مواطنى المدينة ـ مسلمين وكروات ـ الذين أجبروا على الخرج من ديارهم خلال الحرب واستبعاد من عاد منهم بعد انتهاء القتال .

وهناك اتفاق فى طريقه إلى التنفيذ لضم الجيشين البوسنى والكرواتى فى قيادة واحدة يكون مركزها البوسنة .

الحريرى يبحث الاعتداءات الإسرائيلية

اجتمع السيد / رفيق الحريرى رئيس الوزراء اللبنانى فى زيارة قام بها للعاصمة البلجيكية بروكسل مع وزراء خارجية الاتحاد الأوروبى ، حيث بحث معهم خطط إعادة إعمار لبنان واحتياجات بلاده فى هذا الصدد ، وقدم الحريرى تقريراً لوزراء الاتحاد الأوروبى عن الأضرار الجسيمة الناجمة عن الاعتداءات الإسرائيلية المتكررة والتى كان آخرها حملة عناقيد الغضب » التى نفذها الجيش الإسرائيلى وراح ضحيتها مئات من المواطنين العزل . وقد تبين أن جهات مسئولة فى الغرب الأقصى كانت على علم بضرب المدنيين ولم تتحرك لمنع العدوان على العزل .

ثوار الشيشان يواصلون الجهاد

اشتدت حدة القتال فى جمهورية « شيشنيا » ونقلت الصحف عن وكالة (أنترفاكس) الروسية قولها : أن القوات الروسية تقوم حالياً بـ « تمشيط » العاصمة الشيشانية (جروزنى) بحثاً عن مقاتلين نفذوا نحو ثلاثة عشر هجوماً على مواقع الجيش الروسى هناك .

الرئيس الصينى فى القاهرة

تلبية لدعوة من الرئيس محمد حسنى مبارك ـ قام الرئيس الصينى جيانج زيمين بزيارة لمصر استغرقت عدة أيام ، وعقد الرئيسان مباحثات دارت حول دعم العلاقات الثنائية فى شتى المجالات فى مقدمتها مسيرة السلام فى الشرق الأوسط . وعقدت ثلاث إتفاقيات فى المجالات الاقتصادية والتكنولوجية والثقافة .

القمــة الثلاثيــــة

أبرزت وسائل الإعلام الدولية أنباء القمة الثلاثة التى شهدتها القاهرة يوم السبت ٢٣ من ذى الحجة وضمت زعمـــاء مصر والأردن وفلسطين . حيث أكد الزعماء على ضرورة إزالة العقبات التى تعترض مسيرة السلام خصوصاً على المسار السورى اللبنانى .

مشكلة حنيش فى طريقها للحل

أثنى الوكيل الأول لوزارة الخارجية اليمنية على الجهود المصرية التى أدت دوراً كبيراً فى التوصل لاتفاق المبادىء الخاص بحل أزمة جزر حنيش بين اليمن واريتريا . وذكر فى حديث خاص لإذاعة « صوت العرب » أن الاتفاق يتضمن إنشاء هيئة محكمين من خمسة أشخاص تلتزم الدولتان بما تتوصل إليه من قرارات .

على طريق الوحدة الإسلامية

أنشئت شبكة خطوط حديدية تصل البحر المتوسط والخليج العربى بآسيا الوسطى والصين ، دون عبور الأراضى الروسية . وافتتح الخط برحلة من مدينـــة مشهـــد إلى مدينـــة سراخس التركمانستانية .

Celui qui réfléchit sur les pratiques du culte découvre qu'elles ne sont pas des objectifs en eux-mêmes mais des moyens en vue d'arriver à des buts. Au sujet de la prière Allah dit: **[Accomplis la Prière, en vérité la Prière préserve du libertinage et de ce qui est blâmable. Le Rappel d'Allah est encore certes ce qu'il ya de plus grand. Et Allah sait ce que vous faites].**

Surate 29-"Al -Ankabout"(L'araignée)V.45.

Donc, la prière est un moyen de nous préserver de la turpitude et de la corruption. Celui que sa prière n'empêche pas de la corruption, nous lui disons que le moyen n'a point donné ses fruits et n'a pas mené au but.

Voici un autre exemple: en parlant du jeûne Allah dit:**[Ô vous les croyants ! le jeûne vous a été prescrit comme il a été prescrit à ceux qui vous ont précédés, peut être serez-vous pieux].**

Surate2-"Al Bakara" (La Vache)V.183

Donc le jeûne est un moyen pour atteindre la piété.
Le Prophète -b.s-a dit:*"Celui qui ne délaisse pas la calomnie et les faux propos, Allah n'a pas besoin qu'il se prive de nourriture et de boisson".*

Hadith rapporté par Al -Bokhary.

De même, la Zakat ou l'aumône prescrite n'est qu'un instrument de solidarité sociale. Elle incite à la piété et à la charité chez les riches envers les pauvres ce qui fait régner la compassion et l'affection réciproques entre les gens.Allah à plusieurs reprises, a averti de ne pas rappeler aux pauvres les dons qu'on leur fait car ceci annule la charité.Il dit:**[Ô vous les croyants! n'annulez pas vos aumônes par un rappel ou un tort].**

Surate 2-"Al-Bakara" (La vache)V.264.

L'aumône vise à initier son faiseur à sentir que le pauvre est son frère dans l'Islam, et qu'il a des droits sur lui, ce qui fait naître en lui le sentiment de fraternité. Il en est ainsi pour toutes les qualités morales telles que: la piété filiale, le respect des liens de parente, la prise en charge des orphelins, les bons rapports de voisinage, le bon traitement de l'épouse, l'hospitalité, le pardon, la clémence, la générosité, l'honnêteté, la justice et d'autres vertus semblables.

Si toutes ces vertus règnent dans une société, les membres de cette société seront vertueux et vivront en paix et dans une parfaite entente.

Si au contraire, on a négligé d'y cultiver les qualités morales, les défauts tels que l'adultère , le cambriolage, la duperie, la trahison, la médisance, la calomnie, le crime l'usure , le libertinage et les hostilités y régneront. Une telle société corrompue engendrera des membres corrompus, les droits y seront piétinés, les principes moraux disparaîtront, ce qui causera un effondrement profond de la nation.

Dans les chapitres suivants, chaque qualité sera traitée séparément; l'ensemble donnera une idée générale de l'homme vertueux tels que le Prophète. -b.s- qui en est le modèle parfait et les saints hommes qui l'ont suivi.

Seigneur! préserve-nous de tout défaut répréhensible et de toute action vaine.Accorde Ta bénédiction et Ton salut à notre Prophète Mohammed -b.s-,à sa famille, à ses compagnons, à ses alliés et à tous ceux qui suivent son chemin, jusqu'au Jour Dernier. .

LES QUALITES MORALES DU VRAI MUSULMAN

par Hoda Hussein Chaâraoui

Allah-gloire à Lui - rappelle ainsi à son Prophète-b.s-les qualités morales dont Il l'a pourvu : [**Tu es certes, doué de très nobles qualités**].

Surate 68 -"AL-Qalam" (La Plume)V.4.

Interrogée sur son caractère Aïcha - A.S.e-a dit:" *La source de ses qualités c'est le Coran".* En déterminant le but de sa mission, le Prophète-b-s- a dit :*"j'ai été envoyé pour parfaire les nobles traits de caractère".*

Hadith rapporté par Al Baihaquey et Ahmed.

A maintes reprises, le Prophète-b.s-montra le mérite des nobles traits de caractère; il a dit -*"Dans la Balance rien n'égale en poids un noble caractère".*

Hadith rapporté par Ahmed et Abou Daoud.

-*"La piété n'est que la noblesse de caractère".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

-*"Ceux parmi vous qui seront les plus proches de moi le Jour de la Résurrection et que j'estime le plus sont ceux qui sont dotés des meilleures qualités. Ceux parmi vous qui seront les plus éloignés de moi le Jour de la Résurrection et que je déteste le plus sont les bavards, les insolents et les vaniteux".*

Hadith rapporté par Al-Tirmidhy.

-Lorsqu'on lui demanda :
"Qu'est ce qui donne le plus accès au Paradis?
Il répondit: *"C'est la crainte d'Allah et la noblesse de caractère".*

Hadith rapporté par AL-Tirmidhy.

Le caractère est un ensemble de qualités et de défauts enracinés dans l'âme, commandant tout acte volontaire, bon ou mauvais. Il est conditionné par la bonne ou mauvaise éducation. Le bon caractère peut être un don d'Allah, comme c'est le cas pour les prophètes, c.à.d que l'homme naît doué d'une saine raison et d'un bon caractère. Mais il peut être également acquis à force d'application en accomplissant les oeuvres méritoires . Citons comme exemple la générosité: comment peut-on l'acquérir? c'est en s'efforçant de dépenser dans toutes les voies du bien, en invitant les gens à sa table, en donnant l'aumône aux nécessiteux, tant et si bien que cela devient une seconde nature aisément et sans affectation. Il en est de même pour toutes les autres qualités recommandées par l'Islam.

Le Prophète-b.s-invoquait son Seigneur en ces termes:*"Ô Allah! guide-moi vers le meilleur des caractères; nul autre que Toi ne peut guider vers cela! Eloigne-moi de la corruption, nul autre que toi ne peut m'en éloigner".*

Hadith rapporté par Moslem

de la foi qui apaise sa peine. Que toute personne éprouvée par la perte d'un être cher ou frappée d'un malheur, pense à la mort de notre prophète Mohammad — à lui bénédiction et salut—

En effet, la mort dont nous sommes témoins à tout instant est une chose universelle et Seul le Créateur de cet univers y fait exception:

(Tout est périssable sauf la face d'Allah). Le problème de la mort est commun non seulement à tous les êtres mais encore à tout ce qui est créé par le Maître de l'univers. Ce n'est donc pas seulement l'être humain qui est voué à la mort, mais tout notre univers.

Les hommes pieux et les incroyants meurent mais, lorsqu'ils seront ressuscités, ils ne subiront pas tous le même sort mais seront rétribués selon leurs actions.

Notre seule consolation face à cette grande perte c'est de penser que cet homme qui, en toutes ses actions, ne craignait qu'Allah et n'aspirait qu'à l'approbation de son Seigneur sera dans le paradis de l'Eden, séjour des bienheureux et des hommes pieux.

Eloge funèbre du révérend Cheikh Gad Al Haq Aly Gad Al Haq, cheikh d'Al-Azhar

par Dr. Rokeya Gabr

Un grand malheur a frappé la nation islamique par la perte du révérend Cheikh d'Al-Azhar.

En moins d'un mois, trois de nos éminents ulémas sont décédés: d'abord, le grand écrivain islamique Khalid Mohammad Khalid dont les écrits ont enrichi la bibliothèque islamique, ensuite le grand Cheikh Al Ghazali qui fut l'exemple même de l'uléma et du penseur musulman éclairé. A ces deux grands nous est venu s'ajouter celui de l'Imam des musulmans, le Cheikh Gad Al Haq, Cheikh d'Al-Azhar dont le nom restera toujours gravé dans l'histoire de la nation islamique comme étant une personnification du rôle universel, joué par l'Islam. Il envoya dans tous les coins de la terre les ulémas d'Al-Azhar comme avertisseurs et annonciateurs afin de faire mieux connaître le message de l'Islam.

Notre seule consolation en ce jour, ce sont les paroles de notre messager - à lui bénédication et salut: "Lorsque meurt le fils d'Adam toute son oeuvre prend fin, à l'exception de trois choses: une aumône permanente, un fils pieux ou un savoir utile. Or, notre défunt Imam a réuni en lui ces trois choses: il a multiplié les instituts azharistes dans tous les coins d'Egypte ainsi que dans d'autres pays et il a fondé plusieurs branche de l'université Al-Azhar, non seulement en Egypte mais encore en d'autres pays.

En cette situation je ne peux que répéter ce qu'Allah par Sa bénicence nous a enseigné: "Nous appartenons à Allah et c'est vers lui que nous revenons". Quiconque prononce ces paroles éprouve cette quiétude

REVUE
AL AZHAR

Vol-69 Part I

Al Muharam 1417 H./May-June 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

It is a continuous structure. The absence of major discontinuities or flaws is stated as follows:

***Do they not look at the sky above them?- How We have made it and adorned it, and there are no flaws in it?* [50/6]**

The earth atmosphere is permanently stable. It is stabilized by gravity (mountains also probably have a role), and by equilibrium between the atmospheric gases and the products of chemical and biological reactions on earth:

***And We have made the heavens as a canopy well guarded*[21/32]**

It will so remain until major disorders occur such as the "Resurrection":

***When the sky is *scraped off** [81/11]**

***When the sky is rent asunder* [84/1]**

***When the sky is cleft asunder* [82/1]**

The atmosphere plays a vital role in preserving the air (essential for biological life) from escaping away into space. In its lower layers, water vapour evolved from plants and water surfaces (seas and oceans) condenses and "returns" to the earth as rain. Also, thermal radiation reflected back (returned) from the atmosphere is not allowed to leak away. So does wireless waves ... etc. The Quraan describes this "returning" effect as:

***By the *sky* which giveth the *return** [86/11]**

He set on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you [31/10]

And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with them [13/2]

10-The sky:

The earth atmosphere around us actually consists of a number of layers. Each has a characteristic composition and physical properties. This rather modern discovery could be an interpretation of the multiple "heavens, one above the other", referred to in the Quraan. Another possible interpretation could be the different components of the infinite cosmos, e.g. galaxies, stars therein, planets, moons, black holes, inter-galaxy and intra-galaxy spaces:

See ye not how Allaah has created the seven heavens one above another [71/15]

And (have We not) built over you the Seven firmaments [78/12]

And We have made, above, seven tracts [23/17]

These layers represent a perfectly stable structure:

What! are ye the more difficult to create or the heaven (above)? (Allaah) hath constructed it: on high hath He raised its canopy, and He hath given it order and perfection [79/27-28]

susequent night hides away the sun i.e. it is not that the sun disappears away by its own motion.

The concept of motion is also implied from the expression "stripping" or "withdrawal":

***And a sign for them is the night; We strip off therefrom the day* [36/37]**

It is also implied from the "motion" of the mountains", i.e. their motion with the moving planet earth, as in the verse:

***Thou seest the mountains and thinkest them firmly fixed: But they ... pass away as the clouds pass away* [27/88]**

9-Mountains:

Mountains have a prominent role in stabilizing the earth's crust, during the continuous motion of the earth, with all its burdens of molten magma and vapours below the lithosphere. The floating lithosphere is divided into 15 major tactonic plates, whose boundaries and other faults can move freely, producing earthquakes and volcanoes. Mountains do contribute to minimizing such phenomena. The stabilizing role of mountains is emphasized in the Quraanic verses:

***And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you* [16/15]**

***And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with them* [21/31]**

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part III

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

This article presents more proofs as to why should an intellectual embrace Islam. These proofs are based on scientific and historic evidence. In part I and II we have given seven of these proofs; in this article three more are given to be followed my more proofs in articles to come.

8-The earth:

Earth is almost a sphere, that rotates around its own axis, resulting in the alternation of nights and davs. So says the verse:

***He makes the night *roll about* the day, and the day *roll about* the night* [39/5]**

The earth's motion is also understood from the Quraanic statement:

***By the sun and *its* (glorious) splendour; By the moon as *it* follows *it*; By the day as it shows up (the sun's) glory; By the night as it conceals it* [91/1-4]**
i.e. daytime brings into vision sunlight (by earth's motion), not vice versa (i.e. sun's motion). The

of the months of Ramadan and laid down in general what was forbidden and what was allowed. The five daily prayers were regularly performed openly in congregation, and when time of each prayer came the people would assemble at the site where the Mosque was being built. Also in Medina in the month of Sha'ban came a revelation that ordered the Muslims to turn their faces in the direction of the Ka'bah for the performance of the prayers. This revelation was accepted with joy by the prophet and his companions.

With the prophet's arrival to Medina a new era dawned and a new responsibility was laid on his shoulder. In Medina, in addition to his concern with the fundamentals of his faith oneness of Allah, resurrection, purification of sould etc, the prophet now began to be manily preoccupied with the building a new strong nation that had its political and social structure. His main target was to build an Islamic nation.

It was not long after his arrival in Medina that the prophet (PBUH) had received a revelation giving him the permission or in other words, commanding him to defend Islam and fight its enemies wherever they had been.

Being conscious of the fact that the prophet's Hijra to Al-Madina was a turning point in the status of Islam, Muslims dated their new era from this year of the migration (Hijra). It began on June 16, A.D.622

Last to be said but not least is that the prophet's (PBUH) life whether in Mecca a Medina, his Sufferings and triumph will remain for Muslims and non-Muslims alike a symbol of modesty, faithful devotion, dedicated service to Allah, hightly appreciated ideal and a high example of manhood.

In order to Unite the Commuinty of believers still further, the prophet now instituted a pact of brotherhood between, the Helpers and the Emigrants so that each of the Helpers would have an Emignant brother who was nearer to him then any of the Helpers and the same was applied to the Emigrants who would have a brother nearer to him than any of the Emigants. Meanwhile, the prophet did his best to ensure ending the long sued that had long existed between the clans of Aws and Khazraj and whose Union had given the Arabs of Yathribe a formidable strength.

After establishing a brotherhood between Helpers and Emigrants, the prophet's second task was to have an alliance with the neighbouring Jews and Arab pagans for a common defence and security and peace in Yathrib. Henceforth, the prophet made a covenant of mutal obligtion between his followers and the Jews of Yathrib forming them into a single community of believers but allowing for differnces between the two religions. Muslims and Jews were to have equal status equal rights and equal duties regarding the safety of the country. In case of war against the poly-theists they aught to fight as one people, and neither Jews for Muslims were to make separate peace, but peace was to be indivisible.

Though there was a great hope that the oasis would be one harmonious whole, yet the Revelation now gave warning of hidden elements of discord, i.e. the hypacrites who appeared among the ranks of the time Muslims after the prophet's migration to yathrib. The hypacrites were those people who embraced Islam not for spiritual reasons but for worldly reasons and worldly gains. Despite this, the prophet was determined that his second task should fusing the Muslim congregation of various clans into one solid nation with one loyally, Islam, and one brotherhood transcending tribal customs and traditions.

Now, in Medina Islam began to take its desired position. The long Surahs of the Qur'an began to be revealed to the prophet. It was in Medina that the Revelation prescribed the giving of alms and the fast

The prophet (PBUH) had reched the Oasis on Monday 27 September AD 622. Various messages soon made it clear that the people of Medina were impatient for his arrival there, so he stayed there full days in Quba' during which he laid the foundations of a mosque, the first to be built in Islam. On Friday morning he set out from Quba' and at noon he and his companions stopped in the vally of Ranuna to pray the prayer with the Khazrajite chan of the Bani Salim who were expecting him. This was the first Friday prayer that he prayed in the country that from now on was to be his home. Some of his kinsmen of the Bani An Najjar had came to meet him, and some of Bani 'Amr had escorted him from Quba', which brought the whole congregation up to about a hundred men. After the prayer the prophet (PBUH) mounted his camel, Qaswa', and Abu Bakr and others also mounted their Camels and set off with him for Al Medina (the City).

Members of each clan tried to direct Muhammad's camel toward their quarters so that he would become their guest. He asked them to let the animal go freely and stop where it would be best for everybody for as he said: "She is under the command of Allah". Thus, where it stopped, he chose his abode. Today, it is the famous Shrine where the prophet's tomb stands and it is visited yearly by thousands of Muslim pilgrims.

On that spot he lived, directed the affairs of the new nation and built the first masjid or mosque of Islam, and on that spot he died. In fact, after thirteen years of intensive struggle to survive, the prophet at last found a second home where he can defend himself and lay the bases of a strong Muslim nation Capable of spreading Islam all over the would.

The Muslims of Medina, after the praphet's arrival, had been given by him the title of Ansar which means Helpers, whereas the Muslims of Qureish and other tribes who had left their homes and emigrated to the oasis he called Muhajirah, viz Emigrants.

behind them with his flock to cover up their tracks. When they reached the cave, Abu Bakr sent his son Abd Allah with the camels to hear what was going on there in Mecca and to return them the next day together with Amir to cover up the tracks of Abd Allah between Thawr and Mecca.

An interesting event that is worth mentioning here is that on the third day of their stay in Mount of Thawr the Silence of their mountain sanctuary was broken by the Sound of birds — a pair of rock doves — Cooing and fluttering their wings outside the cave. Then after a while they heard men's voices approoching near the cave, then they heard them standing outside the cave. These men had not entered the cave because they were sure that no one could possibly be there and they went back.

After the men's departure the prophet (PBUH) and Abu Bakr went to the mouth of the cave. To their astonishment there infront of it, almost covering the entrance, was an acacia tree, about the height of a man, which had not been there that morning and over the gap that was left between the tree and the wall of the cave a spider had woven its web and there in the hollow of a rock a dove had made a nesting place and was sitting close as if she had eggs. This mircalous event signifies but only one essential truth that Allah Almighty had never abandoned his faithful messenger.

On this Same day, the prophet (PBUH) and Abu Bakr rode off to Yaṭhrib accompanied by a guide. After a long, hard, tiring journey, the prophet (PBUH) had finally reached the Oasis of Qubạ' where most of the emigrants from Mecca had first stayed and where many of them still were. The people of Quba', who heard of the news from Mecca of the prophet's disappearance, were expecting him daily, for the time of his arrival was now overdue. Every morning some of them would go out to look for him until at last he arrived together with Abu bakr. He was received with great joy and was greeted by all men, women and children. He was welcomed as well by pagans and Jews each for a different reason. Aday or two after his arrival he was followed by Ali who had returned all the property to its various owners as the prophet ordered him.

companions had left Mecca Save Abu-Bakr and Ali whom the prophet asked to remain with him.

The Qureish were on their guard. The migration of the Prophet (PBUH) to rival city was harmful to them, so they determined to prevent it at all costs. The idolaters of Qureish assembled to plot againt the prophet's life. Various suggestions were made but the only effective one which was accepted was that made by Abu Jahl. His suggestion was that every clan was to nominate a strong, reliable and well-connected young man and at a given moment all these chosen men together Should fall upon Muhammad, each Striking him a mortal blow so that his blood would be on all the clans and thus preventing the Hashimites from taking vengeance on a single clan and in the meantime getting rid of a man who, as long as he lived, would give them no peace.

At that time Gabriel Came to the prophet (PBUH) and told him what he should do and told him of the idolaters conspiracy against his life. Consequently, the prophet (PBUH) went to Abu Bakr and told him that Allah Had Allowed him to leave Mecca and to emigrate together with Abu Bakr who wept for joy on hearing these wonds. Meanwhile the prophet (PBUH) informed Ali that he was about to leave for Yathrib, bidding him to stay behind in Mecca Until he had given back to their owners all the goods which had been Kept Safe, for them by the prophet who had never ceased to be Known as Al-amin (the trustworthy)

The young men chosen to kill the prophet (PBUH) met outside his gate after nightfall waiting the appropriate time to plunge their swords into him. At that time the prophet (PBUH) asked Ali to deceive the idolaters by sleeping in his bed and wrapping himself in the prophet's clook. Losing no time, the prophet and Abu Bakr went out through a window at the back of his house without being noticed by the young men they rode two Camels and made for a cave in the Mount thawr.

Amir bin Fuhayrah, the Shepherd whom Abu Bakr had bought as a slave and then set free and put in charge of his sheep, had followed

turn his hopes away from his tribe and City to other cities and tribes which would postively respond to the new religion and embrace it. The hearest and the strongest Competitor of Mecca was the City of Al-Ta'if fifty miles Southeast of Mecca. With his Servant the prophet (PBUH) walked up the rugged mountains to the city. He visited the tribal leaders and quietly asked their help. He was refused and badly treated. Hence, the prophet (PBUH) deeply desperate and frustrated went back to Mecca and on his way he appealed to Almightly for His mercy.

In that Sad year of recurring Calamities and gloom, when the tragedy seemed about to engulf Muhammad's mission, a gleam of hope Came to relieve him from his grief and to strengthen his faith in Allah Who has never for Saken him. During the pilgrimage Season and the Sacred months, when the traditional laws for bade violence, the prophet (PBUH) had by happy chance converted few people from Yathrib, who swore allegiance to him and pledged to worship Allah and not to steal nor Commit adultery nor kill their children nor disobey the prophet (PBUH) in anything. This pledge came to be known as the First pledge of Al-Aqabah (Bay'at-al-'Aqabah).

When these people left for Yathrib, the prophet (PBUH) sent with them Mus'ab of Abd Ad-Dar who had by that time returned from Abyssinia. He was to recite the Qur'an to them and give them religious instructions. The next year, following the pilgrims Season, Came a Second pledge from the people Yathrib when seventy of the Yathribites from Al Aws and Al Khazraj came again to 'Aqabah, and secretly pledged themselves and their people to defend the prophet (PBUH) as they would defend their own wives and children.

Mecca, now, was no longer a safe place for the Muslims to reside in because of the continuous inhuman persecution of Qureish for the Muslims. Therefore, the prophet (PBUH) began to direct those who had returned from Abyssinia and other converts to emigrate and head for Yathrib.Quietly they started to move out. In a few months more than hundred families left their homes and possessions and migrated to Yathrib. It was not long before all the prophet's closest

Commemorating the Prophet's Hijra (migration) to Al-Medina

By
Nahed Mohamed M. Wasfi Ph.D.

Now that we are approaching the beginning of a new Hijra year we should not let such an occasion escape our attention as long as it fills our hearts and Souls with Sublime and elevated Spiritual feelings and reminds us of the prophet's long and hard struggle, painful suffering and great sacrifices for the sake of Islam.

No doubt, the word Hijra (migration) has its special Significance for all Muslims because it marks the beginning of a new epoch in Islam. It marks the laying down of the true foundation of the Islamic Society and the Islamic nation (Ummah).

In fact, the prophet's (PBUH) emigration to Yathrib which was later called Al-Medina (the City) was not arandom or a haphazard matter or mere coincidence. There were many important factors that paved the way for this outstanding, great event which signified the advent of a new era.

As a starting point let's talk about the year of Sadness which was the most remarkable event that prceded the prophet's (PBUH) migration later on. In this year the prophet (PBUH) lost his Uncle Abu Talib his protector who was followed by his faithful Khadijah, the first convert of the prophet (PBUM, his beloved wife, adviser and comforter. After the loss of his Uncle and his wife who were so dear to his heart, the prophet (PBUH) felt helpless but never lost hope in his new religion or in Allah Almighty. Enduring all Kinds of Sufferings at the hands of Qureish idolaters, the prophet (PBUH) began to be aware that preaching in Mecca became hopeless, thus, He decided to

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Al Muharam 1417 H.

Vol-69 Part I

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد

● الافتتاحية (الهجرة وموقف عسير)
للدكتور على أحمد الخطيب ١

● تفسير سورة الفاتحة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى ٣

● مع سورة يس
للأستاذ الدكتور/ إبراهيم خميس ١٢

● قبس من أنوار النبوة (من رحمة رسول الله ﷺ عليه وسلم بأمته)
للشيخ على حامد عبد الرحيم ١٨

● فضل الزراعة والزراع
للدكتور محمود سالم الخطيب ٢١

● الإمام يحيى بن معين
عرض وتقديم الأستاذ/ أحمد تقى الدين ٢٤

● الإمام الراحل .. وآماله العلمية
للأستاذ الدكتور/ على جمعة ٣٢

● مكة : بلد البيت الحرام
للأستاذ السيد أحمد أبو الفضل عوض الله ٣٤

● من معجزات الرسول ﷺ فى طريق الهجرة
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٤٧

● السعادة والإيمان الحق
للشيخ معوض عوض إبراهيم ٥٢

● القدوة الحسنة
لفضيلة الشيخ أحمد بن محمد طاحون ٥٧

● هداية الإنسان فى ذكرى الرحمن
للأستاذ محمد عبد المحسن التقاوى ٦٢

● استفتاءات القراء
للشيخ/ السيد العراق شمس الدين ٦٩

● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٧٢

● من أعلام الأزهر (أمين الخولى)
ا. د. محمد إبراهيم الفيومى ٧٤

● الشعر والشعراء ●
للدكتور محمد عبدالحكيم محمد ٨٣
ـ استقبال المدينة : للشاعر / أحمد محرم ٨٤
ـ تحية وتقدير لشيخ الأزهر الجديد
شعر الشيخ يوسف الأبنودى ٨٥
ـ رابع الأقداس
شعر / السيد الصديق حافظ ٨٦
ـ الموت مظلوم/ للشاعر محمد عبد الرحمن ٨٨
ـ مع الشريف الرضى (نوادر ومختارات) ٩١

● العلوم الكونية ●

● ليزر الاكزيمر وعلاج عيوب الإبصار
د. السيد يحيى الزيات ٩٧

● التطور الطبى فى علاج العقم
للدكتور أحمد رجائى عبد الحميد ١٠٤

● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد د. نجوى السيد أحمد ١٠٨

● اللغة والنقد والأدب ●

● أهمية التعريب
للأستاذ/ محمد محمد عتريس ١١١

● طبقات المحققين والمصححين
ا. د. السيد الجميلى ١١٧

● نقباء الأنصار
عرض ا. عبد السلام ناصف ١٢٢

● مصطفى صادق الرافعى فى ذكراه
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ١٢٧

● بين المجلة والقارىء
تقديم الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجه ١٣٢

● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين : عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ١٣٦

● أنباء العالم الإسلامى
للأستاذ مجدى بشير ١٤١

● القسم الفرنسى ١٤٧

● القسم الانجليزى ١٥٩

٤ ٢٢٢٢٦
دوريات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه ـ بإحسان ـ إلى يوم الدين .

العباس رضى الله عنه وصحبة الكبار

صحبة الكبار ليست أيّةَ صحبة ، ذلك لانها صحبة مسئولة عن أداء الأمانة ـ أمانة للأمة ، وأمانة للكبير ـ فى إخلاص وصدق وأدب وكياسة ، وذلك كله لم يَفُتِ العباس عم النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقد رأى وَلَدَهُ عبد الله ـ رضى الله عنه ـ قريبا إلى عُمَرَ ، وقريبا من عُمر ـ رضى الله ـ تعالى ـ عنهم أجمعين ، فقال ـ لولده :

يا بنى ، إنى أرى أمير المؤمنين يستخليك ويستشيرك ، ويقدمك على الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ وإنى أوصيك بخلال أربع :

« لا تُفْشِيَنَّ له سِرًّا ، ولا يُجَرِبَنَّ عليك كذبا ، ولا تَغْتَابَنَّ عنده أحداً ، ولا تَطْوِ عنه نصيحة »(١) .

---

(١) ابن قتيبة ـ عيون الأخبار ١٩/١ ـ التراث للجميع .

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ ـ ١٩٣١م
وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
فى مطلع كل شهر عربى
رئيس التحرير
دكتور / على أحمد الخطيب
مدير التحرير
على حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل فاضى خفاجة
المراسلات / باسم مدير التحرير ـ الأزهر بالقاهرة
ت ٥٩٩٠٥٤٧٣ ـ ٢٦٣٨٥٩٩٠
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء ـ القاهرة

فى الوصية ثِنتان حق للكبير ، وثنتان تصونان المشير ؛ فإن أسرار الكبير خطيرة ، وصلتها بالأمة وثيقة ، فإذاعتها خيانة ، ونشرها ضياع ، ثم من حق الكبير بَسْطُ المشورة له ، بما للمشورة من حق الإخلاص ، واستيعاب ثغرات الأحداث ، والفطنة فى اختيار الأصلح لسدادها ليتم لها الإحكام والفلاح .

تلكما حق الكبير .

وصِدْقُ المشير كرامة له ورفعة ، واستعلاؤه على الغِيبة وَفْرَةٌ لوقاره ، وصِدْق دِينه ، وجلال قَدْرِهِ .

ثم مَنْ عمر ..؟ ومن ابن عباس ..؟

أما عمر فإنه الأمير الذى يعلم كيف يستشير ، فلا تَتَفَشَّغ عليه الأمور ، وكيف يختار المشير ؟ فيطوقه ــ بداية ــ بالأمانة حتى يدع الأمر بينه وبين ربه ؛ فإن أدّاها فبها ونعمت ، وإلّا فَعُمَرُ براء ، كذلك فإن عمر لم يتخذ بطانة من دون المؤمنين ؛ لِعِلْمِهِ ــ من عِلْمِ الله ــ تعالى ــ ما استكنت عليه قلوبُهم من ضغن وحقد ؛ فهم الذين ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾[٢] فأية أمانة يؤدونها للمؤمنين إذا استشيروا ؟ وأية نصيحة يخلصونها وغيظ قلوبهم متقد ، وخبثهم متصل ، وهدفهم موروث .

وهل بقى ــ بعد ذلك ــ مؤمن لم يخلص لعمر النصيحة ، لقد ألقاها فى وجوههم كلمة صريحة : « لا خير فيكم إذا لم تقولوها ، ولا خير فينا إذا لم نسمعها » .

وأما ابن عباس فما كان ليكذب ، وهو ربيب النبى ﷺ وإمام الفقه والتأويل ، العليم بقوله ــ تعالى : ﴿لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٣] وإنه لأرفع قدراً من أن يغتاب ، وأخشى لله ــ عز وجل ــ أن يقع فى عرض مسلم . كيف وحديث رسول الله ﷺ واضح ساطع فى بيان نتيجة السعى لاستكشاف ضمائر الناس وطوية نفوسهم لما فى ذلك من إفسادهم ..؟!

قال ﷺ : « إن الأمير إذا ابتغى الفتنة فى الناس أفسدهم »[٤] وليس يقع هذا الفساد إلا من مشير سوء . وبعد :

فهذا حق الأمير على المشير ، وواجب المشير على نفسه وعلى الكبير ، وفى ذلك التزام يحفظ الأمير وأمانة المشير فى تلك الوصية العصماء .

د. على أحمد الخطيب

---

(٢) التوبة ــ ١٠ .

(٣) آل عمران ــ ٦١ .

(٤) رواه أبو داود ٢/٥٧٠ ، وأحمد ٤/٦ .

مقاصد سورة البقرة

لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر
الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوي

سورة البقرة أطول سورة فى القرآن الكريم ، فقد استغرقت جزأين ونصف تقريبا من ثلاثين جزءاً قسم إليها القرآن . وتبلغ آياتها ستاً وثمانين ومائتى آية . وقيل : سبع وثمانون ومائتا آية .

وسميت بذلك لأنها انفردت بذكر قصة البقرة التى كُلّف قومُ موسى بذبحها بعد أن قُتِل فيهم قتيل ، ولم يعرفوا قاتله .

وهى مَدَنية بإجماع الآراء ، وقد ابتدأ نزولها بعد هجرة النبى ﷺ إلى المدينة ، وقد نزل معظمها فى السنوات الأولى من الهجرة ، واستمر نزولها إلى قبيل وفاة النبى ﷺ بفترة قليلة . وكانت آخر آية من القرآن نزولا منها ، هى قوله ـ تعالى :

﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾(1) .

مناسبتها لسورة الفاتحة :

هناك مناسبة ظاهرة بين السورتين ، لأن سورة الفاتحة قد اشتملت على أحكام الألوهية والعبودية وطلب الهداية إلى الصراط المستقيم اشتمالا إجمالياً ، فجاءت سورة البقرة ففصلت تلك المقاصد ، ووضحت ما اشتملت عليه سورة الفاتحة من هدايات وتوجيهات .

فضلها :

وقد ورد فى فضل سورة البقرة أحاديث متعددة ، وآثار متنوعة : منها ما جاء فى مسند أحمد وصحيح مسلم والترمذى والنسائى عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ؛ فإن البيت الذى تقرأ فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان .

---

(1) الآية ـ ٢٨١

وروى ابن حبان فى صحيحه عن سهل بن سعد قال : قال رسول الله ﷺ (إن لكل شيء سَنَام ، وإن سَنَام القرآن البقرة ، وإن قرأها فى بيته ليلا لم يدخله الشيطان ثلاث ليال ، ومن قرأها فى بيته نهاراً لم يدخله الشيطان ثلاثة أيام) .

روى الترمذى بسنده عن أبى هريرة قال : «بعث رسول الله ﷺ بعثاً وهم ذو عدد ، فاستقرأ كل رجل منهم ـ يعنى ما معه من القرآن ـ فأتى على رجلٍ من أحدثهم سناً ، فقال : ما معك يافلان ؟ فقال : معى كذا وكذا وسورة البقرة . فقال : أمعك سورة البقرة ؟ قال : نعم قال : أذهب فأنت أميرهم ، فقال رجل من أشرافهم : والله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية أن لا أقوم بها . فقال رسول الله ﷺ : تعلموا القرآن واقرأوه ، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جرابٍ محشو مسكاً يفوح ريحه فى كل مكان ، ومثل من تعلمه ، فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب أوكى على مسك .

قال القرطبى : وهذه السورة فضلها عظيم ، وثوابها جسيم ، ويقال لها : فسطاط القرآن ، وذلك لعظِمها وبهائها وكثرة أحكامها ومواعظها(٢) .

مقاصدها :

● عندما نفتح كتاب الله فنطالع فيه سورة البقرة بتدبر وعناية ، نراها فى مطلعها تنوه بشأن القرآن الكريم ، وتصرح بأنه حق لا ريب فيه ، وتبين لنا أن الناس أمام هدايته على ثلاثة أقسام :

قسم آمن به وانتفع بهداياته فكانت عاقبته السعادة والفلاح .

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٣) .

وقسم جحد واستكبر واستحب العمى على الهدى ، فأصبح لا يرجى منه خير ولا إيمان ، فكانت عاقبته الحرمان والخسران .

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(٤)

ثم فصلت السورة الحديث عن قسم ثالث : هو شر ما تبتلى به الأمم ، وهم المنافقون الدين يظهرون خلاف ما يبطنون . وقد تحدثت السورة عنهم فى ثلاث عشرة آية ، كشفت فيها عن خداعهم ، وجبنهم ، ومرض قلوبهم ، وبينت ما أعده الله لهم من سوء المصير ، ثم زادت فى فضيحتهم وهتك سرائرهم فضربت مثلين لحيرتهم واضطرابهم ، قال ـ تعالى :

(٢) تفسير القرطبى ج ١ ص ١٥٢ .
(٣) الآية ـ ٥
(٤) الآية ـ ٧

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾[٥] :

إلى أن يقول :

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٦] .

● ثم وجهت السورة نداء إلى الناس جميعاً دعتهم فيه إلى عبادة الله ــ وحده ــ وأقامت لهم الأدلة الساطعة على صدق هذه القضية ، وتحدتهم ــ إن كانوا فى ريب من القرآن ــ أن يأتوا بسورة من مثله ، وبينت لهم أنهم لن يستطيعوا ذلك لا فى الحاضر ولا فى المستقبل .

● ثم ختم الربع الأول منها ببشارة الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ، جمعت لذائذ المادة والروح ، وهم فيها خالدون .

● ثم قررت السورة الكريمة أن الله ــ تعالى ــ لا يمتنع عن ضرب الأمثال بما يوضح ويبين دون نظر إلى قيمة الممثل به فى ذاته ، أو عند الناس ، كما قررت أن المؤمنين يقابلون هذه الأمثال بالإيمان والإذعان ، أما الكافرون فيقابلونها بالاستهزاء والإنكار .

وقد وبخت السورة بعد ذلك أولئك الكافرين على كفرهم ، مع وضوح الدلائل على وحدانية الله فى أنفسهم ، وفى الآفاق فقالت :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ
سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[٧] .

● ثم ذكرت السورة بعد ذلك جانبا من قصة آدم ، وقد حدثتنا فيه عن خلافة آدم فى الأرض ، وعما كان من الملائكة من استفسار بشأنه ــ وعن سكن آدم وزوجه الجنة ، ثم عن خروجهما منها بسبب أكلهما من الشجرة المحرمة .

---

(٥) الآيتان ــ ٨ ، ٩
(٦) الآية ــ ٢٠
(٧) الآيتان ــ ٢٨ ، ٢٩

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٨) .. الخ الآيات الكريمة .

● هذا ، وقد عرفنا قبل ذلك أن سورة البقرة نزلت بالمدينة بعد أن هاجر المسلمون إليها ، وأصبحت لهم بها دولة فتية ، وكان يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود الذين كان أحبارهم يبشرون بمبعث النبى ﷺ . فأخذت السورة الكريمة تتحدث عنهم ـ فى أكثر من مائة آية ـ حديثاً طويلا متشعبا .

فنراها فى أواخر الربع الثانى توجه إليهم نداء محبباً إلى نفوسهم ، تدعوهم فيه إلى الوفاء بعهودهم ، وإلى الإيمان بنبى الله محمد ﷺ فتقول :

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾(٩) .

ثم تذكرهم فى الربع الثالث بنعم الله عليهم ، وبموقفهم الجحودى من هذه النعم ، تذكرهم بنعمة تفضيلهم على عالمى زمانهم ، وبنعمة إنجائهم من عدوهم ، وبنعمة فَرْق البحر بهم ، وبنعمة عفو الله عنهم مع تكاثر ذنوبهم ، وبنعمة بعثهم من بعد موتهم ، وبنعمة تظليلهم بالغمام ، وبنعمة إنزال المن والسلوى عليهم . الخ .

ولقد كان موقف بنى إسرائيل من هذه النعم يمثل الجحود والعناد والبَطَر ، فكانت نتيجة ذلك أن .

﴿ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾(١٠)

● ثم تحدثت السورة بعد ذلك حديثاً مستفيضاً عن رذائلهم وقبائحهم ودعواهم الباطلة ، والعقوبات التى حلت بهم جزاء كفرهم وجحودهم :

---

(٨) الآية ـ ٣٠

(٩) الآيتان ـ ٤٠ ، ٤١

(١٠) من الآية ـ ٦١

فنراها فى الربع الرابع تذكر لنا تنطعهم فى الدين وإلحافهم فى المسألة عندما قال لهم نبيهم موسى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾(١١) .

ثم تذكر قسوة قلوبهم فتقول على سبيل التوبيخ لهم :

﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾(١٢) .

ونراها فى الربع الخامس تحدثنا عن تحريفهم للكلم عن مواضعه عن تعمد وإصرار ، وتتوعدهم على ذلك بسوء المصير :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾(١٣) .

ثم تحدثنا عن قولهم الباطل :

﴿ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾(١٤) .

وترد عليهم بما يبطل حجتهم ، وعن نقضهم لعهودهم ومواثيقهم مع الله ومع الناس ومع أنفسهم ، وعن عدائهم لرسول الله ﷺ وعن جحودهم للحق بدافع الحسد والعناد فتقول :

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى

---

(١١) من الآية ـ ٦٧
(١٢) الآية ـ ٧٤
(١٣) الآية ـ ٧٩
(١٤) من الآية ـ ٨٠

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(١٥) .

ثم نراها فى الربع السادس تحكى لنا نماذج من مزاعمهم الباطلة ، ومن ذلك زعمهم أن الجنة خالصة لهم من دون الناس ، ثم ترد عليهم بما يخرس ألسنتهم ، ويصور جبنهم وحرصهم المشين على أية حياة حتى لو كانت ملطخة بالذل والهوان .

استمع إلى القرآن وهو يحكى ذلك بأسلوبه البليغ فيقول :

﴿ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾(١٦) .

● ثم تسوق لنا نماذج من سوء أدبهم مع الله ، وعداوتهم لملائكته ، ونبذهم كتاب الله ، واتباعهم للسحر والأوهام .

● ثم نراها فى الربع السابع تقص علينا بعض الصور من المجادلات الدينية ، والمخاصمات الكلامية ، التى استعملوها مع النبى ﷺ لحرب الدعوة الإسلامية ، كجدالهم فى قضية النسخ ، وفى كون الجنة لن يدخلها إلا من كان هودا أو نصارى ، وفى كون القرآن ليس معجزة ـ فى زعمهم ـ وإنما هم يريدون معجزة كونية .. الخ .

وقد رد القرآن عليهم بما يزهق باطلهم ، ويزيد المؤمنين إيماناً على إيمانهم .

وكما ابتدأ القرآن الحديث معهم ابتداء محببا إلى نفوسهم ﴿ **يا بنى إسرائيل** ﴾ ، فقد اختتمه ـ أيضاً ـ بالنداء نفسه ، لكى يستحثهم على الإيمان فقال :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾(١٧) .

(١٥) الآيتان ـ ٨٩ ، ٩٠

(١٦) الآيات ـ ٩٤ ـ ٩٦

(١٧) الآيتان ـ ١٢٢ ، ١٢٣

● ثم أخذت السورة بعد ذلك فى الربع الثامن منها تحدثنا عن الكلمات التى اختبر الله بها نبيه إبراهيم ، وعن قصة بناء البيت الحرام ، وعن تلك الدعوات الخاشعات التى كان إبراهيم وإسماعيل يتضرعان بها إلى خالقهما وهما يقومان بهذا العمل الجليل .

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١٨) .

ثم أخذت تقيم الحجج الباهرة ، والأدلة الساطعة على أن إبراهيم ما كان يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وعلى أن يعقوب قد وصى ذريته من بعده أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً .

● ثم خَتَمِتْ تلك المحاورات والمجادلات التى أبطلت بها دعاوى أهل الكتاب الباطلة ، **ببيان سنة من سنن الله فى خلقه** ، هذه السنة تتلخص فى بيان أن كل إنسان سيجازى بحسب عمله يوم القيامة إن خيرا فخير ، وإن شرا فشر ، وان اتكال اليهود وغيرهم على أنهم من نسل الأنبياء أو الصالحين دون أن يعملوا بعملهم لن ينفعهم شيئاً . فقال ـ تعالى :

﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١٩) .

● ثم عادت السورة فى الربع التاسع منها إلى **الحديث عن الشبهات** التى أثارها اليهود عند تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام ، وقد رد القرآن عليهم بما يدحض هذه الشبهات ، ويهوى باليهود ومن حذا حذوهم فى مكان سحيق ، قال ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢٠) .

---

(١٨) الآيتان ـ ١٢٧ ، ١٢٨

(١٩) الآية ـ ١٣٤ . والآية ـ ١٤١

(٢٠) الآية ـ ١٤٢

إلى أن يقول :

﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢١) .

وإلى هنا تكون السورة قد فصلت الحديث عن بنى إسرائيل تفصيلا يحمل المسلمين على العظة والاعتبار ، ويعرفهم طبيعة أولئك القوم الذين خسروا أنفسهم حتى يأخذوا حذرهم منهم ، وينفروا من التشبه بهم .

●●●

أما المقدار الباقى من السورة الكريمة ـ **وهو أكثر من نصفها بقليل** ـ فعندما نراجعه بتفكر وتدبر ، نراه زاخراً **بالتشريعات الحكيمة** ، والآداب العالية ، والتوجيهات السامية .

● نرى السورة الكريمة فى هذا المقدار منها تحدثنا ـ فى الربع العاشر منها : عن بعض شعائر الله التى تتعلق بالحج ، وعن الأدلة على وحدانية الله .

﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾(٢٢)

ثم بعد أن تصور لنا بأسلوب بليغ مؤثر **حسرة المشركين يوم القيامة وهم يتبادلون التهم** ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، بعد كل ذلك توجه نداء عاماً إلى الناس ، تأمرهم فيه أن يقيدوا أنفسهم بما أحل الله . وأن يبتعدوا عن محارمه فتقول :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٢٣)

---

(٢١) الآية ـ ١٥٠

(٢٢) الآيتان ـ ١٦٣ ، ١٦٤

(٢٣) الآيتان ـ ١٦٨ ـ ١٦٩

● فإذا ما وصلنا إلى الربع الحادى عشر منها ، رأيناها تسوق لنا فى مطلعه **آية جامعة لألوان البر** ، وأمهات المسائل الاعتقادية والعملية وهى قوله ــ تعالى :

﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾(٢٤)

● ثم أتبعت ذلك بالحديث عن **القصاص** ، **وعن الوصية** ، **وعن الصيام وحكمته** ، وعن الدعاء وآدابه ، ونهت المسلمين فى ختامها عن مقارفة الحرام فى شتى صورة وألوانه فقالت :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢٥)

● وفى مطلع الربع الثانى عشر **حكت بعض الأسئلة** التى كان المسلمون يوجهونها إلى النبى ﷺ ، وأجابت عنها بطريقة حكيمة تدعوهم إلى التدبر والاتعاظ ، ثم حضت المسلمين على الجهاد فى سبيل الله ، ونهتهم عن البغى والاعتداء . استمع إلى القرآن وهو يحرض المؤمنين على القتال ويرسم لهم حدوده وآدابه فيقول : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢٦)

● ثم فصلت السورة الحديث عن الحج ، فتحدثت عن جانب من آدابه وأحكامه ، وحضت المسلمين على الإكثار من ذكر الله ، وأن يتجنبوا التفاخر بالأحساب والأنساب ، وأن يرددوا فى دعائهم قوله ــ تعالى :

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾(٢٧) .

● وفى الربع الثالث عشر نراها **تبين لنا ألوان الناس فى هذه الحياة** ، وأن منهم من يسعى فى الإفساد وإهلاك الحرث والنسل ، فإذا ما نصح أخذته العزة بالإثم ، وتمادى فى طغيانه وإفساده ،

---

(٢٤) الآية ــ ١٧٧

(٢٥) الآية ــ ١٨٨

(٢٦) الآية ــ ١٩٠ ــ ١٩٣

(٢٧) الآية ــ ٢٠١

وأن منهم من يبيع نفسه عن طواعية واختيار ابتغاء مرضاة الله .

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾(٢٨)

● ثم تبين لنا أن الناس جميعاً كانوا أمة واحدة ، وأن هذه الحياة مليئة بالمصائب والمحن والفتن ، **وأن العاقل هو الذى يقابل كل ذلك بإيمان عميق** ، وصبر جميل ، حتى يفوز برضى الله يوم القيامة ، ويظفر بنصره فى الحياة الدنيا .

﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ (٢٩) .

● ثم تحدثنا السورة الكريمة فى الربعين الرابع عشر والخامس عشر **حديثاً جامعاً عن النكاح وما يتعلق به من أحكام** ، فحدثتنا عن الإيلاء وعن الطلاق . وعن الرضاع ، وعن العدة ، وعن الخطبة ، وعن غير ذلك مما يتعلق بهذا الشأن ، ثم ختمت حديثها بهذه الآية الكريمة :

﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾(٣٠) .

● ثم عادت السورة فى الربع السادس عشر منها إلى الحديث عن الملا من بنى إسرائيل :

﴿ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٣١) .

فساقت لنا قصتهم بأسلوب زاخر بالعظات والعبر ، التى من أهمها **أن الدين هو أساس العزة والمنعة** ، وأن الشدائد من شأنها أن تصهر النفوس فتجعلها تتجه إلى معالى الأمور ، وأن الأمير يجب أن يكون له من قوة العقل وقوة الجسم وسعة العلم ، وكمال التجربة ـ ما يقود به أمته إلى صالح الأمور ، وأن العاقل هو الذى يسلك الوسائل السليمة لبلوغ غايته الشريفة ، ثم يفوض الأمور بعد ذلك إلى الله .

● وفى الربع السابع عشر منها أفاضت فى الحديث عن **مظاهر قدرة الله ووحدانيته** وأقامت على ذلك من الأدلة ما يشفى الصدور ، ويطمئن القلوب ، ويزيد المؤمنين إيماناً ، استمع إلى آية الكرسى وهى تصور عظمة الله وقدرته فنقول . ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ

(٢٨) الآية ـ ٢٠٧
(٢٩) الآية ـ ٢١٤
(٣٠) من الآية ـ ٢٤٢
(٣١) الآية ـ ٢٤٦

﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾(٣٢) .

● وبعد هذا الحديث عن **مظاهر** قدرة الله ساقت السورة فى أواخرها **أنماطاً من التوجيهات التى تسعد المجتمع** ، وتنزع الأحقاد من قلوب الأفراد ، فقد حضت المسلمين فى جملة من آياتها على الإنفاق والإحسان ، وضربت لذلك أروع الأمثال ، ونهتهم عن المن والأذى ، وصرحت بأن الكلمة الطيبة للسائل خير من العطاء الذى تتبعه الإساءة .

﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾(٣٣) .

ثم بعد أن عقدت **مقارنة مؤثرة بين من ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ، وبين من ينفقونها رئاء الناس** ، بعد كل ذلك مدحت الفقراء الذين يتعففون عن السؤال ، ولا يلجأون إليه إلا عند الضرورة القصوى فقالت :

﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(٣٤)

● ثم حذرت السورة بعد ذلك المؤمنين من **التعامل بالربا ، ووصفت آكليه بصفات تنفر منها القلوب ، وتعافها النفوس ، ووجهت إلى المؤمنين نداءً أمرتهم فيه بتقوى الله ، وأنذرتهم بحرب من الله لهم إن لم يتوبوا عن التعامل بالربا فقالت** : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾(٣٥)

ثم تحدثت بعد ذلك عن الديون والرهون ، **فصاغت للمؤمنين دستوراً هو أدق الدساتير** المدنية فى حفظ الحقوق وضبطها وتوثيقها بمختلف الوسائل ، ثم ختمت السورة حديثها الجامع عن العقائد والشرائع والآداب والمعاملات ، **بذلك الدعاء الخاشع** :

---

(٣٢) الآية ـ ٢٥٥
(٣٣) الآية ـ ٢٦٣
(٣٤) الآيتان ـ ٢٧٢ ، ٢٧٣
(٣٥) الآيتان ـ ٢٧٨ ، ٢٧٩

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾(٣٦) .

تلك هى سورة البقرة ، أرأيت وحدتها فى كثرتها ؟ أعرفت اتجاه خطوطها فى لوحتها ؟ أرأيت كيف التحمت لبناتها ، وارتفعت سماؤها بغير عمد تسندها ؟

أرأيت كيف ينادى كل عضو فيها بأنه قد أخذ مكانه المقسوم وفقاً لخط جامع مرسوم ، رسمه مربى النفوس ومزكيها ، ومنور العقول وهاديها ومرشد الأرواح وحاديها . فتالله لو أن هذه السورة رتبت بعد تمام نزولها ، لكان جمع أشتاتها على هذه الصورة معجزة ، فكيف وكل نجم منها كان يوضع فى رتبته من فور نزوله ، وكان يحفظ لغيره مكانه انتظاراً لحلوله . وهكذا كان ما ينزل منها معروف الرتبة ، محدد الموقع قبل أن ينزل .

لعمرى لئن كانت ـ للقرآن فى بلاغة تعبيره ـ معجزات ، وفى أساليب ترتيبه معجزات ، وفى نبوءاته الصادقة معجزات ، وفى تشريعاته الخالدة معجزات ، وفى كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسية والكونية معجزات . لعمرى : إنه فى ترتيب آياته على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات(٣٧) .

وبعد : فهذا عرض سريع لأهم مقاصد سورة البقرة ، قدمناه بين يديها لنعطى القارىء الكريم صورة متميزة عنها . ومن هذا العرض نرى أنها بجانب احتوائها على أصول العقائد ، وعلى كثير من أدلة التوحيد ، قد وجهت عنايتها إلى أمرين اقتضتهما حالة المسلمين ، بعد أن أصبحت لهم دولة بالمدينة يجاورهم فيها عدد كبير من اليهود .

أما الأمر الأول : فهو توجيه الدعوة إلى بنى إسرائيل ، ومناقشتهم فيما كانوا يثيروه حول الرسالة الإسلامية من مؤامرات . وإماطة اللثام عن تاريخهم المظلم ، وأخلاقهم المرذولة حتى يحذرهم المسلمون .

وأما الأمر الثانى : فهو التشريع للدولة الإسلامية الفتية ، وقد رأينا أن سورة البقرة فى النصف الثانى منها قد تحدثت عن تلك الجوانب التشريعية حديثاً مفصلا منوعاً تناول أحكام القصاص والوصية ، والصيام والاعتكاف والحج ، والعمرة ، والقتال ، والنكاح ، والإنفاق فى سبيل الله والمعاملات المالية . إلى غير ذلك من التشريعات التى سبق الحديث عنها .

(وفى العدد القادم ـ بإذن الله ـ سنبدأ فى تفسير السورة الكريمة) .

---

(٣٦) الآية ـ ٢٨٦

(٣٧) من كتاب «النبا العظيم» ص ٢٠٨ لفضيلة الدكتور محمد عبد الله دراز .

مع سورة يس

بقلم أ. د
ابراهيم
خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ
عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ .

هذه الآية استئناف مسوق لتشديد التوبيخ وتأكيد التقريع ، وهى فى الوقت نفسه علة لما قبلها من قوله ﴿ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ، فقد بينت عدم اتعاظهم بغيرهم بعد بيان نقضهم العهد ، وإسناد الإضلال إلى ضمير الشيطان لأنه المباشر للإغواء ، والجبل : الجماعة العظيمة ، ويطلق على عشرة آلاف فأكثر ، ولا يسمى به ما دون ذلك ، وأطلق عليهم هذا اللفظ تشبيها لهم بالجبل فى العظم ، والفاء فى قوله ﴿ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى

أكنتم تشاهدون آثار عقوباتهم فلم تكونوا تعقلون أن ذلك العذاب الذى نزل بهم سببه ضلالهم ؟

والمعنى : لقد أغوى الشيطان خلقا كثيرا وزين لهم فعل السيئات ، وصدهم عن طاعة الله وتوحيده ، أفلم تعقلوا عداوة الشيطان لكم وتبتعدوا عن مثل ضلالات السابقين حتى لا تعذبوا مثلهم .

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۝ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ .

استئناف يخاطبون به بعد تمام التوبيخ والتقريع والإلزام والتبكيت عند إشرافهم على شفير جهنم ، وجهنم : اسم لدار جزاء الكافرين والعاصين سميت به نار الآخرة ، وهى نار الله الموقدة . مأخوذة من بئر جهنام أى بعيدة القعر ، ومن أسمائها : الحطمة ، ولظى ، وسقر ، وكلها مذكورة فى القرآن الكريم ، والصلى : الإيقاد بالنار ومقاساة حرها ، والباء فى « بما كنتم تعملون » . للسببية ، والأمر فى « اصلوها » للتبكيت والإهانة .

وهذه الآية تذكر مآل أهل الضلال فتبين لهم أن هذه النار التى وعدتم بها فى الدنيا وحذرتم منها على ألسنة الرسل فكذبتموهم ، قد برزت لهم لإرهابهم ليذوقوا حرها ، ويقاسوا عذابها . فى هذا اليوم الذى لم يستعدوا له أو « اصلوها » كونوا لها وقودا كما قال الله تعالى ﴿ فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة ﴾ البقرة ـ ٢٤ .

فهم واصلون إليها حاصلون فيها ، وفى هذا ما يوجب شدة ندامتهم وحسرتهم من وجوه ثلاثة .

الأول : قوله « اصلوها » أمر تنكيل وإهانة كقوله تعالى : ﴿ ذق إنك أنت العزيز الكريم ﴾ الدخان ـ ٤٩

الثانى : قوله : « اليوم » الذى يدل على أن العذاب حاضر ، وأن لذاتهم قد مضت وبقى العذاب اليوم .

الثالث : قوله : « بما كنتم تكفرون » الذى ينبىء عن الكفر بنعمة عظيمة وحياء الكفور من المنعم من أشد الآلام . والشاعر يقول :

أليس بكـــاف لذى نعمـــة
حيـــــاء المسىء من المحسن

وقول ابن القيم :

هب الموت لم تأتنا رسلـــه
وجـــاحمة النـــــار لم تضرم
أليس من الواجب المستحق
حيـاء العبـــاد من المنعــم ؟

﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ .

مناسبة هذه الاية لما قبلهـا : أنهم حين يسمعون قوله تعالى : ﴿ بما كنتم تكفرون ﴾ يريدون أن ينكروا كفرهم فلا يقدرون على الإنكار ، وينطق الله غير لسانهم من الجوارح فتعترف بذنوبهم ، وأن هذا فى قدرة الله يسير . فكما أقدر الله اللسان على النطق يقدر غيره من الجوارح عليه ، والختم والطبع مصدر اختمت وطبعت . وهو تأثير الشىء كنـــقش الخاتم والطالع ، أو هو الأثر الحاصل عن الشىء ، والمراد منه فى الآية : المنع من التكلم فيسكتون عنه ، فهم لا يتكلمون بشىء لانقطاع أعذارهم وانتهاك

أستارهم فيقفون ناكسى الرءوس وقوف القنوط اليئوس لايجد عذرا فيعتذر ولا مجال لتوبة فيستغفر .

والمعنى : فى هذا اليوم الرهيب يختم الله على أفواه الكافرين والمنافقين ختما لا يقدرون معه على الكلام ويستنطق جوارحهم بما عملت فتنطق أيديهم وأرجلهم بما اقترفت ليعلموا أن أعضاءهم التى كانت أعوانا لهم على المعاصى صارت شهودا عليهم ، وفى هذا مواجهتهم بالجرم الذى ارتكبوه دون أن يستطيعوا إنكاره ، فالأيدى تتكلم بالذى استمروا عليه فى الدنيا ولم يتوبوا عنه ، وتخبرنا به وتقول : إنهم فعلوا بنا كذا وكذا ، وتشهد عليهم أرجلهم بذلك .

والمتأمل فى هذه الآية يجد أن الله تعالى أسند النطق إلى الأيدى والشهادة إلى الأرجل ، والحكمة فى هذا أن اليد مباشرة والرجل حاضرة ، وقول الحاضر على غيره شهادة بما رأى ، وقول الفاعل إقرار على نفسه بما فعل ، وإنما أسند الختم إلى الله فى قوله : ﴿ اليوم نختم على أفواههم ﴾ والكلام والشهادة إليهم فى قوله : ﴿ وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم ﴾ لئلا يكون فيه احتمال أن ذلك منهم كان جبرا وقهرا والإقرار مع الإجبار غير مقبول فيقع هذا منها باختيارها بعد إقرار الله تعالى لها على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم ، وفى الآية التفات من الخطاب إلى الغيبه . فائدته حكاية أحوالهم القبيحة فناسب ذلك أن يعرض عنهم ، وتحكى أحوالهم الفظيعة لغيرهم ، وجاء فى سورة « النور » إسناد الشهادة إلى الألسنة والأيدى والأرجل .

قال تعالى :

﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

سورة النور

فذكر فيها الأعضاء من الأعالى إلى الأسافل ، ولم يخص فيها الأيدى بالتكلم ، والتعبير بالشهادة فى سورة « النور » . أولى . لأنها جاءت فى قصة الإفك وما يتعلق بها ، فى سورة « فصلت » جاء قوله تعالى :

﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾

فأسند الشهادة إلى الأسماع والأبصار والجلود ، ولا تناقض بين هذه الآية وبين غيرها من الآيات . لأن القيامة مواقف . تقتصر فى بعضها الشهادة على الأيدى والأرجل ، وفى بعضها تتكلم الأسماع والأبصار والجلود ، وظاهر الآيات يدل على أن التكلم والشهادة بنطق حقيقى ، وذلك بعد إعطاء الله تعالى الأعضاء حياة وعلما وقدرة ، وهذه الشهادة تتحقق فى موقف الحساب لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار .

روى ابن جرير وابن أبى حاتم بالسند المتصل إلى أبى موسى الأشعرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض

ربه عليه عمله فيجحد ويقول : أى رب ، وعزتك لقد كتب علىّ هذا الملك ما لم أعمل ؛ فيقول له الملك : أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا فيقول : لا وعزتك أى رب ما عملته ؛ فإذا فعل ذلك ختم على فيه فإنى أحسب أول ما تنطق منه فخذه اليمنى ثم تلا ﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾

ومن هذه الجولة بين المعانى والأحداث يتبين أن بعضهم يخذل بعضا ، وأن جوارحهم تشهد عليهم وتتفكك شخصيتهم مزقا وأحادا يكذب بعضها بعضا . إنه لمشهد عجيب رهيب تذهل من تصوره القلوب .

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

سيقت هاتان الآيتان لبيان أنهم اليوم فى قبضة القدرة ومستحقون للعذاب إلا أن الله عز وجل لم يشأ ذلك لحكمته الباهرة ، والطمس : إزالة الأثر بالمحو ، استبقوا : ابتدروا ، والصراط : الطريق ، فأنى يبصرون : فكيف يبصرون الطريق ، استفهام إنكارى . أى لا يبصرون ، والمسخ : تغيير صورهم إلى صورة قبيحة ، مكانتهم : أى مكانهم بحيث يجمدون فيه ، فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون : يعنى لم يقدروا على ذهاب ولا عود .

والمعنى : أن فى قدرتنا إزالة نعمة البصر عنهم فيصيرون عميا لا يقدرون على التردد فى الطريق لمصالحهم ولكن أبقينا عليهم نعمة البصر فضلا وكرما فحققهم أن يشكروا عليها ولا يكفروا .

فهذا توبيخ لهم أى توبيخ ، ولطمسنا على أعينهم : لأذهبنا أحداقهم وأبصارهم حتى لو أرادوا سلوك الطريق الواضح المألوف لهم لا يقدرون عليه .

وهل يكون ذلك فى الدنيا أو فى الآخرة ؟ يرى ابن سلام أن ذلك فى يوم القيامة ، وقال : إذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادى مناد ليقم محمد ﷺ وأمته فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط فإذا صاروا عليه طمس الله أعين فجارهم فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه ؟ ، والأصح أن ذلك فى الدنيا ، والكلام فيه محمول على الفرض والتقدير ، فلو نشاء عقوبتهم بما ذكر من الطمس والمسخ جريا على موجب جناياتهم المستدعية لها لفعلنا ، ولكنا لم نشأ جريا على سنن الرحمة والحكمة الداعيتين إلى إمهالهم .. والطمس والمسخ مشهدان فيهما من البلاء قدر ما فيهما من السخرية والاستهزاء ، والسخرية بالمكذبين،والاستهزاء بالمستهزئين الذين كانوا يقولون : « متى هذا الوعد إن كنتم صادقين » فإنهم فى المشهد الأول عميان مطموسون ، ثم هم مع هذا العمى يستبقون الصراط ويتزاحمون على العبور ويتخبطون تخبط العميان حين يتسابقون ، ويتساقطون تساقط العميان حين يسارعون متنافسين « فأنى يبصرون » ، وهم فى المشهد الثانى قد جمدوا فجأة فى مكانهم ، واستحالوا تماثيل لا تمضى ولا تعود ، بعد أن كانوا منذ لحظة عميانا يستبقون ويضطربون وإنهم ليبدون فى المشهدين كالدمى

واللعب فى حال تثير السخرية ، وقد كانوا من قبل يستخفون بالوعيد ويستهزئون .

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴾ .

هذه الآية معطوفة على قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا ﴾ عطف العلة على المعلول لأنه كالشاهد لذلك ، وفيها رد على من يعتذر من الكفار فيقول : لم يكن لبثنا فى الدنيا إلا يسيرا ، ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا ، ونظير هذه الآية قوله :

﴿ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ﴾

الحج ـ ٥

وقوله تعالى :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾

الروم : ٥٤

وليس من بين الآيات تكرار بل كل آية تفيد معنى جديدا وتعرض بطريقة جديدة .

ومن نعمره : نطل عمره ، والنكس ، يقال : نكست الشيء أنكسه نكسا : قلبته على رأسه فجعل أعلاه أسفله ، والهمزة فى « أفلا يعقلون » للإنكار ، والفاء فيها للعطف على محذوف ، أى : أيرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ ، والمعنى : ومن نطل عمره ننكسه فى الخلق نقلبه فيه فلا يزال يتزايد ضعفه وانتقاص بنيته وقواه عكس ما كان عليه بدء أمره ، وعن سفيان أن التنكيس فى سن الثمانين سنة ، والحق أن زمان ابتداء الضعف وانتقاص البنية مختلف لاختلاف الأمزجة والعوارض ، وهذا التغيير والقلب فى أغلب الناس ، وفى غير الأنبياء والعاملين من العلماء والصالحين أما هؤلاء فلا يضعفون بطول العمر . ولم يحك عن نبى من الأنبياء من عاش منهم ألفا ومن عاش دون ذلك أنه نقص شيء من قواه ، « أفلا يعقلون » أى يرون ذلك فلا يعقلون أن من قدر على ذلك يقدر على ما ذكر من الطمس والمسخ ، وأن عدم إيقاعهما لعدم تعلق مشيئته تعالى بهما ، فهم كلما رخوا فى السن ضعفوا ، وقد عاشوا مدة تمكنوا فيها من النظر والعمل ، ومن لم يأت بالواجب فى زمن الإمكان والقوة لم يأت به فى زمن الإزمان والضعف ، ثم إن الشيخوخة نكسة إلى الطفولة ، وليس فيها ملاحة الطفولة وبراءتها المحبوبة ، ومايزال الشيخ يتراجع وينسى ما علم وتضعف أعصابه ويضعف فكره ويضعف احتماله حتى يرتد طفلا يضحك عليه أهله عند كل حماقة تقع منه ، والشيخ لا تقال عثراته إلا من باب العطف عليه والرحمة به ، ويكون مثار السخرية كلما وقعت منه تصرفات الطفولة وهو عجوز ، فعاقبة المعمرين المنتكسين كعاقبة المطموسين الممسوخين تنتظرهم ، فهم الذين لا يكرمهم الله بالإيمان الراشد الكريم .

﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾ .

الضمير فى « وما علمناه » يعود على محمد ﷺ ، أما فى قوله « وما ينبغى » الأرجح عوده

على النبى ﷺ ، ويجوز أن يعود على القرآن الكريم ، وما علمناه الشعر جملة معطوفة على جملة « ويقولون متى هذا الوعد » عطف القصة على القصة والغرض على الغرض .

وفى هذه الآية عود إلى الكلام عن الوحى ، وأن الرسول معلم من عند الله فعلمه ما أراد ولم يعلمه ما لم يرد .

وخص الشعر بنفس التعليم دون السحر والكهانة مع أن الكفار نسبوه إليهما أيضا لأنه ما كان يتحدى إلا بالقرآن كما قال تعالى :

﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾

البقرة : ٢٣

وقد وردت قضية الوحى فى أول السورة « يس . والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم . تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون » وفى هاتين الآيتين رد على ما كان عليه بعضهم من وصف النبى ﷺ بأنه شاعر ، ووصف القرآن الذى جاء به بأنه شعر ، وما كان يخفى على كبراء قريش أن الأمر ليس كذلك ، وأن ما جاء به محمد ﷺ قول غير معهود فى لغتهم ، وما كانوا من الغفلة بحيث لا يفرقون بين القرآن والشعر ، إنما كان هذا لونا من حرب الدعاية التى شنوها على الدين الجديد وصاحبه ، وكان اعتمادهم فى ذلك على جمال النسق القرآنى المؤثر الذى قد يجعل الجماهير تخلط بينه وبين الشعراء إذا وجهت هذا التوجيه .

وقد تضمنت هذه الآية ثلاثة أمور :

الأول : نفى تعليم الله نبيه الشعر .

الثانى : نفى انبغاء الشعر للنبى ﷺ .

الثالث : بيان أن ما أوحى إليه ذكر وقرآن مبين .

والمعنى : وما علمناه الشعر وإنما علمناه الكتاب المشتمل على هذا البيان فى أمر المبدأ والمعاد . إذ لا يخفى على من به مُسكة من عقل أن هذا الكتاب الحكيم المتضمن لجميع المنافع الدينية والدنيوية بأسلوب أفحم كل منطيق . يباين الشعر مباينة الثرى للثريا . فالقرآن حكم وعقائد وشرائع أما الشعر فإنه تخيلات وأكاذيب ، بل أعذبه أكذبه - كما قيل - وإذا انتفى تعليم الله رسوله الشعر فقد انتفى أن يكون القرآن شعرا .

« وما ينبغى له » أى أن الشعر ما كان يليق به ولا يصلح له ، وذلك لأن الشعر يدعو إلى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ والوزن ، فالشارع يكون اللفظ منه تبعا للمعنى ، والشاعر يكون المعنى منه تبعا للفظ ، وعلى هذا نقول : الشعر هو الكلام الموزون الذى قصد إلى وزنه قصدا أوليا ، وأما من يقصد المعنى فيصدر اللفظ مقفى فلا يكون شاعرا كقول الرسول ﷺ فى غزوة حنين :

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وعلى هذا ينتفى أن يكون النبى شاعرا وأن يكون القرآن شعرا ، ولا يستقيم عقلا أن يقول النبى الشعر لأنه لو كان ممن يقول الشعر لتطرقت التهمة - عقلا - فى أن ماجاء به من عند نفسه ، ولا يعنى هذا أنه - عليه السلام - ما كان ينشد الشعر لأن إنشاده غير إنشائه ، وكم من راوية للأشعار ومن نقاء للشعر لا يستطيع قول الشعر ، وكذلك كان النبى ﷺ قد انتقد الشعر ونبه على مزايا فيه وفضل بعض الشعراء على بعض ، وقد أعطى بردته كعب بن زهير ، مكافأة له على

قصيدته ـ بانت سعاد ـ وهو مع ذلك لا يقرض شعرا ، فتنزيه النبى عن هذا من قبيل حياطة معجزة القرآن وحياطة مقام الرسالة مثل تنزيهه عن معرفة الكتابة وقد أطال المفسرون الكلام فى امتناع النبى من إنشاء الشعر ، ولا داعى لهذه الإطالة فالممنوع على النبى ﷺ هو إنشاؤه لا إنشاده .

﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ .

ولما انتفى عن النبى ﷺ تعليم الله إياه الشعر وأنه لا ينبغى له أثبت أن الذى علمه إياه هو ذكر وقرآن مبين ، وهما وصفان لشىء واحد هو الوحى المنزل عليه .

والمعنى : ما القرآن إلا ذكر أى عظة من الله عز وجل وإرشاد للثقلين ، وكتاب سماوى ظاهر أنه ليس من كلام البشر لما فيه من الإعجاز الذى ألقم من تصدى لمعارضه الحجر

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

الإسراء : ٨٨

إن للشعر منهجا غير منهج النبوة ، فالشعر انفعال وتعبير عن هذا الانفعال ، والانفعال يتقلب من حال إلى حال ، والنبوة وحى ومنهج ثابت على صراط مستقيم يتبع ناموس الله الثابت الذى يحكم الوجود كله لا يتبدل ولا يتقلب مع الأهواء الطارئة تقلب الشعر مع الانفعالات المتجددة التى لا تثبت على حال ، فطبيعة النبوة وطبيعة الشعر مختلفان من الأساس .

﴿ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ .

الإنذار : الإعلام بأمر يجب التوق منه ، الحى : مستعار لكامل العقل وصائب الإدراك . والمقصود منه : التعريض بالمعرضين عن دلائل القرآن بأنهم كالأموات لا انتفاع لهم بعقولهم ، ويجوز عود الضمير فى « لينذر » على القرآن أو على الرسول ﷺ ، والمضى فى « كان » باعتبار ما فى علم الله عز وجل لتحققه ، وتخصيص الإنذار بالعاقل أو المؤمن لأنه المنتفع بذلك ، ويحق القول أى تجب كلمة العذاب على الكافرين الموسومين بهذا الاسم المصرين على الكفر ، وهذه الآية فيها تحديد لمهمة القرآن ومهمة الرسول ﷺ ، وفيها أن القرآن رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين .

والمعنى : لينذر هذا القرآن المبين كل حى على وجه الأرض ، فرسالة محمد عامة للثقلين قال تعالى :

﴿ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام : ١٩ .

وقال تعالى :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾

الأنبياء : ١٠٧

ولكن إنما ينتفع بنذارته من هو حى القلب مستنير البصيرة ، ولكى تثبت به وتجب كلمة العذاب على الكافرين الذين استمروا على كفرهم حتى ماتوا .

وهكذا يعلم الناس أنهم إزاء هذا القرآن فريقان . فريق يستجيب فهو حى ، وفريق لا

يستجيب فهو ميت ، قد حق عليه القول وحق عليه العذاب .

ما يؤخذ من الآيات :

١ ـ يؤكد الله تعالى تحذيره من الشيطان قائلا : لقد أغوى الشيطان بوساوسه خلقا كثيرا ، أفلا تعتبرون بالآخرين ، وألا تعقلون عداوته ، وتعلمون أن الواجب أن توحدونى وتعبدونى فإن عبادتى دين قويم .

٢ ـ ويقول خزنة جهنم للكفار : هذه جهنم التى وعدتم فكذبتم بها .

٣ ـ إن أعضاء الإنسان التى كان يستعين بها فى الدنيا صارت عليه شهودا يوم القيامة .

٤ ـ لو شاء الله لأعمى أبصار الكفار فى الدنيا فلا يبصرون طريقا إلى منازلهم ولا غيرها ، ولكنه لم يفعل رحمة بهم وليتمكنوا من النظر الصحيح المؤدى إلى الإيمان بالله وحده لا شريك له ، ولو شاء الله لبدل خلقتهم إلى صورة قبيحة ولجعلهم حجر أو جماد أو بهيمة كالقردة والخنازير جزاء لهم على كفرهم .

٥ ـ لا حاجة لإطالة أعمار الناس أكثر مما قدر تعالى لهم لأنه كلما طال العمر إزداد الإنسان ضعفا والمقصود بالآية « ومن نعمره ننكسه ... » الإخبار عن هذه الدار بأنها دار زوال وانتقال لا دار دوام واستقرار .

٦ ـ ليس القرآن شعرا ولا محمد ﷺ شاعرا فلا يقول الشعر ، ولا ينبغى ولا يصح له ذلك .

٧ ـ إن الذى يتلوه النبى ﷺ على الناس هو ذكر من الأذكار وعظة من المواعظ وقرآن بين واضح مشتمل على الآداب والأخلاق والحكم والأحكام والتشريع المحقق لسعادة البشر .

٨ ـ إن الغرض من إنزال القرآن إنذار من كان حى القلب مستنير البصيرة ، وإيجاب الحجة بالقرآن على الكافرين .

فَضِيلَة إنظار المُعسِر

بقلم أ. د محمود سالم الخطيب

عن أبى مسعود البدرى قال رسول الله ﷺ : « حوسب رجل فلم يوجد له خير ، وكان يداين الناس وكان يقول لغلمانه من وجدتموه غنيا فخذوا منه ، ومن وجدتموه معسرا فتجاوزوا عنه لعل الله يتجاوز عنى، فقال الله ـ عز وجل ـ أنا أحق أن أتجاوز عنه » . الحاكم[1]

ترجمة الحديث

هو « أبو مسعود » الصحابى الجليل عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة الأنصارى ، اشتهر بكنية أبى مسعود البدرى ، شهد العقبة ، وجزم البخارى بشهوده بدرا ، روى أحاديث كثيرة ، وهو معدود من علماء الصحابة توفى سنة تسع وثلاثين هـ ، وقيل سنه أربعين ـ رضى الله عنه وأرضاه .

ضوء على معنى الحديث

بديهيا أن الإنسان لا يلجأ إلى الاستدانة إلا إذا كان فى أشد الحاجة إليها ، ومن ثم تجده ـ عليه الصلاة والسلام ـ يشدد فى هذا الأمر ويخوف منه حين يقول عن عقبه بن عامر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لأصحابه : « لا تخيفوا أنفسكم » أو قال « الأنفس » فقيل له : يا رسول الله وما « نخيف أنفسنا » ؟ قال الدين[2] .

---

(١) أخرجه الحاكم فى مستدركه جـ ٢ ك البيوع ص٢٩ .

(٢) الطبرانى وأبو يعلى .

والمعنى: أن الدين مخيف للنفس جالبا للخوف لشغل القلب بهم وقضائه ، والتذلل للغريم عند لقائه وتحمل منته إلى تأخير أدائه ، وربما يعدُ بالوفاء فيخلف ، أو يحلف فيحنث أو يموت ، فيرتهن بدينه .

قال ﷺ عن أبى هريرة : « **نفس المؤمن معلقة ما كان عليه الدين** »[٣] ، ومعنى معلقة : أى أن روح المؤمن محبوسة عن دخول الجنة مدة دوام الدين عليه حتى يقضى عنه ، والله أعلم .

وكان ﷺ يستعيذ من الدين ، فعن أنس – رضى الله عنه – قال ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلع الدين وغلبة الرجال »[٤] .

والهم : ما يهم الإنسان ويؤلمه ، **والحزن** : ضد السهل ، **والجبـــن** : ضد الشجاعـــة ، **والبخل** : الإمساك والتقتير فى الإنفاق ، **وضلع الدين** : أى كثرته .

وعن أبى سعيد الخدرى – رضى الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أعوذ بالله من الكفر والدين »[٥] .

وإنما استعاذ الرسول ﷺ من الدين مع أن المدين قد يضطر إليه لما فى ذلك من ذل النفس وربما جر صاحبه إلى معصية ، واستعاذته ﷺ تعليم لأمته وإظهار للعبودية والإفتقار إلى الله – عز وجل . وكان ﷺ إذا شهد جنازه سأل ؟ على صاحبكم دين ؟ فإن قالوا نعم ، قال هل له وفاء ؟ فإن قالوا نعم صلى عليه ، وإن قالوا لا : قال صلوا على صاحبكم »[٦] .

فلما فتح الله على النبى فتوحه كان يصلى على من عليه دين ويقول « من ترك مالا فلعصبته ، ومن ترك دينا فعلىَّ »[٧] .

وقد دعا النبى – عليه الصلاة والسلام – بالرحمة لِلْسَمْح فى البيع والشراء والاقتضاء ، فعن جابر بن عبدالله – رضى الله عنهما – أن النبى ﷺ قال : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى »[٨] والسمح هو السهل ، اقتضى : اى طلب حقه .

وبين النبى ﷺ أن خلف الوعد – بصفة عامة – لغير عذر يُعد علامة من علامات النفاق ، قال ﷺ : « **آية المنافق ثلاث ، إذا حدث كذب . وإذا وعـــد أخلـــف ، وإذا أؤتمن خان** »[٩] .

وقد حرَّم النبى – عليه الصلاة والسلام – : المماطلة لمن عليه الدين بغير ضرورة ، فيقول – غليه الصلاة والسلام – : « **مُطل الغنى ظلم** »[١٠] .

---

(٣) البيهقى فى سننه الكبرى والحاكم فى مستدركه .
(٤) البخارى ومسلم .
(٥) النسائى .
(٦) البخارى .
(٧) النسائى .
(٨) البخارى .
(٩) البخارى ومسلم .
(١٠) المرجع السابق .

والمماطلة معناها : أن يؤخر المدين ما يجب عليه سداده وهو واجد للمال .

التراحم فى الإسلام

وقد بين رسول الله ﷺ ما يجب على المسلم أن يقوم به نحو أخيه الذى ألمّ به ملمة ، أو نزلت به شدة أو أحاطت به ظروف قاسية تحول بينه وبين أداء هذا الدين فأخبرنا ــ عليه الصلاة والسلام ــ فى الحديث الذى معنا أنه كان فى بنى إسرائيل رجل حاسبه[11] الله فلم يجد له خير . وكان ذا مال كثير ، وكان يداين الناس ــ أى يقرضهم ــ إلى أجل وكان يقول لغلمانه ــ أى فتياته ــ من وجدتموه غنيا فخذوا منه ما اقترضه ، ومن وجدتموه معسرا فتجاوز عنه ــ أى أخروا سداد دينه ــ فإنى أرجو إذا فعلنا ذلك أن يتجاوز الله بعفوه عنى عما فعلته من السيئات فى حياتى ، والله ــ سبحانه وتعالى ــ عفا عنه بلطفه وكرمه نظير تجاوزه عن المعسرين وقال : أنا أحق ــ أى أولى ــ منه بالتجاوز عن ذنوبه .

هذا وقد بين رسول الله ﷺ فضيلة إنظار المعسر والتجاوز عن عجزه أداء دينه ، قال الله تعالى :

﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ ﴾ .

سورة البقرة

فالآية الكريمة تحث الدائنين من المسلمين على إنظار من تعسر عليه سداد دينه فى ميعاده أى : تأجيل سداده إلى حين يساره ، أو يتصدق به كله ، أو بعضه ، والأفضل أن يتصدق به كله عليه ، ففى هذه النظرة أو التصدق فضل كبير . وقد جاءت أحاديث صحيحة وكثيرة غير هذا الحديث تبين فضل من أنظر المعسر أو حط عنه دينه بالإبراء الكلى أو الجزئى للمدين المعسر .

فعن أبى اليسر صاحب رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ **من أحب أن يظله الله ــ عز وجل ــ فى ظله يوم لا ظل إلا ظله فلينظر المعسر**[12] أو ليضع عنه »[13] ، ومعنى يظله : أى يقيه الحرارة الشديدة فى ذلك اليوم نظير قيامه بهذا العمل الجليل .

وبذلك تتبين سماحة الإسلام فى تشريعاته ، وإقراره لكل خير كان فى الشرائع السابقة .

---

(١١) أى حساب القبر .

(١٢) رواه مسلم .

(١٣) المعسر هو الذى لا يجد ما يؤدى به دينه .

قبس من أنوار النبوة

ما عند الله لا ينال بمعصيته

لفضيلة الشيخ / على حامد عبد الرحيم

عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال :

« ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ، ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه ، فلا يستبطئن أحد منكم رزقه ، إن جبريل ألقى فى روعى أنَّ أحدا منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه ، فاتقوا الله أيها الناس وأجملوا فى الطلب ؛ فإذا استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية فإن الله ـ عز وجل ـ لا ينال فضله بمعصية » .

رواه الحاكم ـ جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٥٥ ص٥٠١

البيان :

إن رسول الله ﷺ : ترك أمته على المحجة البيضاء ، وعلى الطريق السوى ـ لم يترك بابا من أبواب الخير والسعادة إلا أمر به ، وأرشد إليه . ولم يترك بابا من أبواب الشر إلا أوصده ، وحذر من سلوكه .

بين لأمته أن من أراد عز الدارين : دار الدنيا ودار الآخرة ؛ فليطع العزيز فيما أمر به ، وفيما نهى عنه .

إن عز الدنيا والفوز بالآخرة أساسهما تقوى الله وإعزار أمره ، والمؤمن إذا لم تعزه التقوى فلا عز له .

قال سفيان الثورى لرجل : « **اتق الله فما وجدت تقيا محتاجا** .

أى لأن كل تقى عزيز . ومن أعز أمر الله أذل الله له عظماء خلقه .

قال الحسن البصرى لرجل يطلب العظة : **أعز أمر الله يعزك الله** .

وقال الإمام الشافعى ـ رحمه الله ـ « **من أراد عزا بلا عشيرة وجاها بلا سلطان ، وغنى بلا فقر فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة** » .

فهم السلف الصالح منهج الإسلام من نبى الإسلام ـ عليه الصلاة والسلام ـ فكانت لهم العزة والنصرة فى الدنيا ، والفوز والنجاة فى الآخرة بتطبيق هذا المنهج القوى .

قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ فى وصيته لقائد جيشه سعد ابن أبى وقاص ـ رضى الله عنه ـ حين أرسله لفتح فارس :

أما بعد : « **فإنى آمرك ومن معك بتقوى الله ـ تعالى ـ على كل حال فإن تقوى الله ـ تعالى ـ أفضل العدة على العدو ، وأقوى المكيدة على فى الحرب . وآمرك ومن معك بأن**

تكونوا أشد احتراسا من المعاصى منكم من عدوكم ؛ فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم » ..

روى فى الصحيح – عن جابر بن عبد الله الأنصارى – رضى الله عنه – قال : خرج علينا رسول الله ﷺ يوما فقال : « **رأيت فى المنام كأن جبريل عند رأسى ، وميكائيل عند رجلى ، فقال : أحدهما لصاحبه : اضرب له مثلا ، فقال لى : اسمع سمعت أذناك ، واعقل عقل قلبك ، إنما مثلك ومثل أمتك : كمثل ملك اتخذ دارا ، ثم بنى فيها بيتا ، ثم جعل فيها مأدبة ، ثم بعث رسولا يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ، ومنهم من تركه .. فالله : الملك ، والدار : الإسلام، والبيت : الجنة .. وأنت يا محمد : الرسول .. فمن أجابك دخل فى الإسلام ومن دخل فى الإسلام دخل الجنة . ومن دخل الجنة أكل منها** » ..

والرسول ﷺ يرشد ويدعو أمته إلى طاعة الله ورسوله ليصيروا إلى دار السرور ، إلى الجنة ، وفى ذلك يقول : « **كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى** » رواه البخارى .

وكما أرشد النبى ﷺ إلى ما يوصل إلى الجنة ، حذر مما يوصل إلى النار ، على أن أكثر ما يدخل الناس النار الكسب الحرام .

روى الإمام أحمد والبزار أن النبى ﷺ قال : « **ولا اكتسب عبد مالا حراما فتصدق به ؛ فيقبل منه ، ولا ينفقه فيبارك له فيه ، ولا يدعه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، فإن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكن يمحو السيى بالحسن** » .

وروى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال : « **من اكتسب مالا من مأثم فوصل به رحمه ، أو تصدق به ، أو أنفقه فى سبيل الله ، جمع الله ذلك كله فقذف به فى جهنم** » ، بل « **إن العبد قد يحرم الرزق بالذنب يصيبه** » رواه ابن ماجه .

إن الرزق والأجل حددهما الله – عز وجل – قبل أن يوجد الإنسان فى هذه الحياة وفى ذلك يقول الرسول ﷺ فيما رواه الطبرانى : « **إن الرزق ليطلب العبد كما يطلب أجله** » .

وإذا كان عمر الإنسان محدودا ، ولا خلود فى الدنيا لبشر ، ورزقه لا يأكله أحد غيره . فلماذا يُدخل فيه – وفى الحصول عليه – ما حرمه الله . وفى ذلك غضب الله .

عن أبى هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله ﷺ : قال : « **من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة ، وسعيا على أهله ، وتعطفا على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر .. ومن طلبها حراما مكاثرا بها مفاخرا لقى الله – عز وجل – وهو عليه غضبان** » رواه أبو نعيم فى الحلية .

فهل من مشمر للجنة . وهى دار المتقين ؟

﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

سورة يونس آية ٢٦

نعـــمت جزاء المتـــقين الجنـــة
دار الأمـــانى والمنـــى والمنـــة

فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب .

إبراهيم النخعى صيرفى الحديث (*)

عرض الأستاذ / أحمد تقى الدين

نسبه وكنيته :

هو أبو عمران : إبراهيم بن يزيد بن الأسود بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن سعد ابن مالك بنَ النخع

واسم النخع جَسْر ، وهو جسر بن عمرو بن علَّة بن جَلْد بن مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ .

وسمى جسر بالنخع لأنه انتخع من قومه ، أى بعد عنهم ، ونزل (بيشة) فكثر أولاده ، فكانوا قبيلة كبيرة نسبت إليه ، وهم من « مِذْحَج »باليمن

دخول النخع فى الإسلام ودعاء الرسول لهم :

ودخل النخع فى الإسلام فى حياة رسول الله ﷺ ثم نزلوا الكوفة ومنها انتشر ذكرهم .

(*) اعتمدنا فى هذا المقال على (موسوعة فقه إبراهيم النخعى) وهىَ بحث للدكتور محمد رواس قلعه، جى
من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٩م/١٣٩٩هـ ويقع فى جزأين .

وقد دعا رسول الله ﷺ للنخع فقال : « اللهم بارك فى النخع »[1] فأجاب الله تعالى دعاء رسوله فأخرج من النخع رجالًا كانت لهم مكانتهم وأثرهم ، وهم من الكثرة بحيث يصعب حصرهم فمنهم :

– علقمة بن الأسود ، الذى قال فيه عبد الله بن مسعود : ماأقرأ شيئاً وماأعلم شيئا إلا علقمة يعلمه ، فقيل : ياأبا عبد الرحمن : والله ماعلقمة بأقرأنا ، فقال : بلى : والله إنه لأقرؤكم[2] .

– والأسود بن يزيد ، الذى تقول فيه عائشة أم المؤمنين : « مابالعراق رجل أكرم علىَّ من الأسود »[3] .

وإبراهيم النخعى هو ذلك العلم الذى لا يخفى ، وحسبنا أنه إذا أطلق المحدثون والفقهاء اسم إبراهيم ؛ فهو إبراهيم النخعى ، وإن أطلقوا اسم النخعى فهو إبراهيم النخعى ، فهما على إطلاقهما علمان عليه .

ولادته :

ولد إبراهيم النخعى عام ست وأربعين هجرية الموافق لعام ستمائة وست وستين للميلاد فى مدينة الكوفة .

وكان رجلًا نحيفاً أعور وكان سبب عوره بياضا أصاب عينه فى صغره فحجبها عن الإبصار .

نشأته :

ولد النخعى ونشأ فى الكوفة ، والكوفة آنذاك تعج بالعلماء وطلاب العلم ، لأن وجود كثير من الصحابة فيها جعلها قبلة لكل من طلاب الفقه والحديث فى العراق ، فالجو العام الذى عاش فيه النخعى هو جو علمى .

وكان أبوه يزيد بن الأسود راوياً للحديث ، وخالاه : الأسود بن يزيد الفقيه الزاهد ، وعبد الرحمن بن يزيد المحدث المشهور . وعم أمه هو علقمة بن قيس زاهد أهل الكوفة وعالمها وفقيهها ، وهؤلاء هم الذين رعوا إبراهيم وأحاطوه بالعناية التى كان لها أكبر الأثر فى حياته .

شخصيته السياسية :

كان – رحمه الله – من أهل السنة : فترتيب الخلفاء عنده هو : أبو بكر ، عمر بن الخطاب ، عثمان بن عفان ، على بن أبى طالب ، وترتيبهم فى الفضل كترتيبهم فى الخلافة ، وهو لا يقبل فى ذلك جدلًا ، لأن سلف هذه الأمة قد مضى على ذلك لذلك نراه عندما يأتى رجل إليه قائلا : على أحب إلىَّ من أبى بكر وعمر ، يقول له إبراهيم : « أما إن علياً لو سمع كلامك لأوجع ظهرك ، إن كنتم تجالسونا بهذا فلا تجالسونا » وهو – مع ذلك – محب لعلى – رضى الله عنه – حباً لا يقدح فى إجلاله لأصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله تعالى عنهم .

ورفض النخعى دعوة المرجئة لقولهم : بأنه لا يضر مع الإيمان معصية وكان يبغضهم بغضاً شديدا .

ورفض النخعى دعوة الخوارج لسذاجة فهمهم لكتاب الله وتكفيرهم المسلمين وإسرافهم فى سفك الدماء .

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/٣٤٦ .
(٢) البداية والنهاية ٥/٩٩ .
(٣) طبقات ابن سعد ٦/٧٣ .

صيرفى الحديث :

أجمع علماء الجرح والتعديل على ضبط النخعى وعدالته واعتبروه من رجال أصح الأسانيد .

قال يحيى بن معين : أجود الأسانيـــد : الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمـــة ، عن عبد الله .

وقال عبد الرزاق : حدث سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله فقال : « هذا الشرف على الكرسى » .

فقد كان النخعى خبيراً فى الحديث ، لا يستغنى الأعمش ــ وهو المحدث المشهور ــ عن عرض ما سمعه عليه واستشارته فيه . قال الأعمش : « كان إبراهيم صيرفياً فى الحديث ، وكنت أسمع من الرجال فأجعل طريقى عليه فأعرض عليه ما سمعت ، وكنت آتى زيد بن وهب وضرباءه فى الحديث فى الشهر المرة والمرتين ، وكان الذى لا أغادره رغبة إبراهيم النخعى .

ولكن ما هى العوامل التى توفرت فى النخعى حتى أطلق عليه لقب « صيرفى الحديث » ؟

التفكير السليم :

كان التفكير هو أساس عمل النخعى ، لأن الفكر السديد هو الذى يمحص الأسانيد والمتون فيقارن ويقابل ، ثم يصدر الحكم بعد ذلك وكان النخعى يقول : « لا يستقيم رأى بلا رواية ، ولا رواية بلا رأى » .

يقول أحد معاصريه : « دخلت أنا وعمرو بن مُرة على إبراهيم ، قال عمرو : حدثنى علقمة بن وائل عن أبيه أنه صلى مع النبى ﷺ فرآه يرفع يديه إذا كبر ، وإذا ركع ، وإذا رفع ، قال إبراهيم : ماأدرى لعله لم ير النبى ﷺ إلا ذلك اليوم فحفظ هذا منه ولم يحفظه ابن مسعود وأصحابه ؟! ما سمعته من واحد منهم إنما كانوا يرفعون أيديهم فى بدء الصلاة حين يكبرون » .

كما تميز النخعى بثروته العلمية وهى ضخمة ، ومجموع الأحاديث والآثار التى يحفظها قد لا تجتمع لغيره ، ولذلك كان الأعمش يقول فيه : « ما عرضت على إبراهيم حديثا إلا وجدت عنده منه شيئا ولا ذكرت له حديثا قط إلا زادنى فيه » أى : زاده فيه علماً فى سنده ، أو متنه ، أو فقهه .

تحريه فى الحديث :

وكان لقول رسول الله ﷺ : « من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » أثره الكبير فى نفس إبراهيم النخعى المرهفة وفى منهجه ، فكان يتهيب الحديث عن رسول الله خوفاً من أن يكون قد داخله الخطأ فى نسبته إلى رسول الله فيتناوله التهديد . وكذلك كان يؤثر رواية أقوال شيوخه من الصحابة والتابعين على رواية الحديث عن رسول الله ، وقد لاحظ أصحابه قلة تحديثه عن رسول الله ، فقال له أبو هاشم : « ياأبا عمران ، أما بلغك حديث عن رسول الله ﷺ تحدثنا ؟ قال : بلى . ولكن أقول : قال عمر ، وقال عبد الله ، وقال علقمة ، وقال الأسود ، أجد ذلك أهون علىّ » .

وكان إبراهيم لا يروى إلا عن الثقات ، وهذه صفة ملازمة لجميع أئمة الحديث ـ رضوان الله

عليهم ـ حتى قال الشافعي : « كان ابن سيرين ، وإبراهيم النخعي ، وطاوس ، وغير واحد من التابعين ، يذهبون إلى ألا يقبلوا الحديث إلا عن ثقة يعرف مايروى ويحفظ ، وما رأيت أحدا من أهل الحديث يخالف هذا المذهب » .

هل هناك مآخذ على النخعي..؟ :

لم يسلم عالم من مآخذ أُخذت عليه ، لأن العصمة لله وللرسل والنخعي عالم من هؤلاء العلماء أخذت عليه مآخذ علمية هي كلها تتعلق به كمحدث وتتمثل في :ـ

١ ـ رده الآثار وقلة بضاعته فيها .
٢ ـ تحديثه بالمعاني .
٣ ـ إرساله الأحاديث .
٤ ـ لحنه بالعربية .

أما رده بالآثار وقلة بضاعته فيها فهي مقولة حماد بن زيد : « ما كان بالكوفة رجل أفحش رداً للآثار من إبراهيم لقلة ماسمع » . والواقع أن النخعي كان يرد الآثار التي لم يسمعها من مصدر يطمئن إليه ، ولكنه لم يكن يردها رداً فاحشا ، وإنما كان يقول : لم يكن كذا ، وكان كذا أو ليس كذا ، ولكن الأمر كذا ، ونحو ذلك كما فعل عندما أخبر بحديث زيد بن أرقم « أول من أسلم علي »فقد رد قائلا : « أول من أسلم أبو بكر » وهذا ليس فحشاً في الرد .

أما القول بقلة بضاعته في الحديث والآثار فإن أبا حنيفة روى وحده عن إبراهيم النخعي أحاديث مرفوعة إلى رسول الله ﷺ بلغت ستة وثمانين حديثا ، فكيف يقال عنه : إنه قليل السماع للآثار أو الحديث . ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق شاهدان على وفرة بضاعته في الأثر .

أما تحديثه بالمعاني فهو جائز للعالم باللغة ، وجوز ذلك جمهور الناس سلفاً وخلفا ، وهو المشاهد في الأحاديث الصحاح وغيرها ، فإن الواقعة تكون واحدة ، وتجيء بألفاظ متعددة من وجوه مختلفة وما ذلك إلا لأن معولهم كان على المعنى دون اللفظ .

أما إرسال الأحاديث فقد كان النخعي كثير الإرسال عن الصحابة رضوان الله عليهم ، كما أنه يرسل عن الرسول – ﷺ – وكان أصحاب النخعي يعرفون ذلك عنه ، ويعرفون عنه أنه لا يرسل إلا عن الثقة .

وقد اختلف العلماء في حكم الحديث المرسل على ثلاثة أقوال :

الأول : أن المرسل صحيح يجوز الاحتجاج به مطلقاً ، وهو قول الإمام أبي حنيفة ، ومالك ، وأحمد بن حنبل في المشهور عنهما .

الثاني : أن الحديث المرسل ضعيف لا يحتج به ، وهو المذهب الذي استقر عليه آراء جماهير حُفاظ الحديث ونقاد الآثار .

الثالث : التفصيل ، وهو أن المرسل يحتج به إذا اعتضد بعاضد بأن يروى مسنداً ، أو مرسلًا من جهة أخرى ، أو يعمل به بعض الصحابة أو أكثر العلماء وهو مذهب الشافعي .

أما مراسيل إبراهيم النخعي فهي كلها صحيحة ، صرح بذلك ابن عبد البر وغيره ، بل إن مراسيله أصح من مسانيده . ذلك أن إبراهيم قد التزم ألا يرسل الحديث إلا إذا كان لا يساوره شك في صحته .

أما ما قيل عن لحنه بالعربية فهو قول الذهبى : «« وكان لا يحكم العربية ، وربما لحن »[٤] وهـو أمر مستغرب لأمور :ــ

١ ــ أن النخعى عربى صميم من « مذحج » أمه عربية وأبوه عربى .

٢ ــ أنه من رجال العصر الأول واللغة مازالت سليمة .

٣ ــ أنه نشأ فى كنف علقمة وعلقمة سليم اللغة .

٤ ــ أنه كان قارئاً مشهورا للقرآن الكريم .

٥ ــ أنـه كان الإمـام المفسر الـذى تناقـل المفسرون آراءه فى التفسير ورجح أئمة التفسير كثيرا منها .

٦ ــ إن الذيـن نقلـوا أنـه كان يلحـن فى اللغة العربية لم يقدموا مثالا واحدا .

٧ ــ أن النخعى نفسه كان شديد الإنكار على من يلحن فى العربية ، حتى أن رجلا أتى منزله فقال : « أما هاهنا أبا عمران؟ فسكت إبراهيم ، فقال : أما هاهنا أبى عمران ؟ فسكت إبراهيم ، فقال : أما هاهنا أبو عمران ؟ فقال إبراهيم : قل الثالثة وادخل .

والأرجح أن إبراهيمَ النخعى حفظ بعض لغات العرب ولم يحفظوها هم ، فنطق بها ، فظنوه قد أخطأ ، ومن هذا القبيل تخطئة البصريين الكوفيين فى كثير من القضايا اللغوية المشهورة فى كتب الخلاف ؛ حتى وصل الأمر بيونس بن حبيب إلى أن يتهم الفراء الكـوفى باللحـن ، والفـراء هو القارىء النحوى المشهور .

تلاميذه :

استطاع النخعى أن يستقطب وجوه الكوفة وأعيانها الذين يجتمع الناس حولهم ويرجعون إليهم حيث وجدوا فيه العلم الصحيح ، والإخلاص فى القول والعمل ومنهم :

ــ المغيرة بن مقسم الضبى .
ــ منصور بن المعتمر السُلمى .
ــ عبد الله بن عون المزنى .
ــ زُبَيد بن الحارث اليامى .
ــ طلحة بن مصرف الهمدانى اليامى .
ــ عمرو بن مرة الجملى المرادى .
ــ أبو اسحق الشيبانى .
ــ الحكم بن عتيبة الكندى .
ــ حبيب بن أبى ثابت .
ــ الحارث بن يزيد العكلى .
ــ زياد بن كليب (أبو معشر) .
ــ عبد الله بن شبرمة .

وفاته :

ألم المرض بأبى عمـران ، فأحس أنـه ميت لا محالة ، فجزع جزعاً شديدا وبكى ، فقال له بعض من يعوده : ما يبكيك ياأبا عمران؟ فقال : « وأى خطر أعظم مما أنا فيه ، أتوقع رسولا يرد علىَّ من ربى إما بالجنة وإما بالنار ، والله لوددت أنها تلجلج فى حلقى إلى يوم القيامة » .

وكانت وفاته فى أوائل سنة ست وتسعين فى خلافة الوليد بن عبد الملك بالكوفة وهو ابن تسع وأربعين سنة ولم يكمل الخمسين .

---

(٤) نصب الراية باب حملات المسافر .

عاشوراء .. وصيامه

للشيخ / محى الدين حسين يوسف

فى شهر الله المحرم من كل عام ـ وفى العاشر منه يثور عدد من الأسئلة حول يوم عاشوراء وصيامه ، وحكمة الصوم فيه ـ ، وحول متابعة النبى ﷺ لليهود فى صيامه ؛ وفَهِم البعض أن النبى ﷺ إنما صام عاشوراء فى العام الذى انتقل فيه إلى الرفيق الأعلى ، حول كل ذلك يدور هذا البحث :

معنى عاشـــوراء :

اللفظ : عاشوراء ـ كذا بهمز بعد مد ، هو اللفظ المشهور ، وينطق ـ أيضا ـ بلا همز فى آخره .

قال القرطبى : عاشوراء معدول عن عاشرة للمبالغة والتعظيم ، وهو فى الأصل : صفة لِلَّيلة العاشرة ؛ لأنه مأخوذ من العشر ، الذى هو اسم العقد ، واليوم مضاف إليها ؛ فإذا قيل يوم عاشوراء فكأنه قيل : يوم الليلة العاشرة ، إلا أنهم لما عدلوا به عن الصفة غلبت عليه الإسمية ، فاستغنوا عن الموصوف ، فحذفوا الليلة فصار هذا اللفظ علماً على اليوم العاشر .

والصحيح المشهور أنه اليوم العاشر من شهر الله المحرم ، وهو مقتضى الاشتقاق والتسمية ، وقيل : هو التاسع أخذاً من أوراد الإبل ؛ فقد كانوا يوردونها فى التاسع ، ويقولون : وردنا عِشرا بكسر العين .

وقد ورد عند مسلم عن ابن عباس قوله : « إذا رأيت هلال المحرم فاعدد ، وأصبح من يوم التاسع صائما » وهو يوهم أن عاشوراء هو اليوم التاسع ؛ لكن قال الزين بن المنير : قوله : « إذا أصبحت من تاسعِهِ » ، فـ (أصبح) يشعر بأنه أراد العاشرة ، لأنه لا يصبح صائما بعد أن أصبح من تاسِعِهِ إلّا إذا نوى الصوم من الليلة المقبلة .

قال ابن حجر : ويقوى هذا الاحتمال ما رواه مسلم ـ أيضا ـ من وجه آخر ، عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع » فمات ﷺ قبل ذلك ؛ فإنه ظاهر فى أنه ﷺ كان يصوم العاشر ، وهمّ بصوم التاسع فمات قبل ذلك .

عاشوراء فى أول الإسلام :

اختلفوا فى حكم صوم يوم عاشوراء فى أول الإسلام ؛ فقال أبوحنيفة وبعض أصحاب الشافعى : إنه كان واجبا وقال آخرون : إنه لم يزل سنّة من حين شرع ، ولم يكن واجبا قط ، ولكنه كان متأكد الاستحباب .

ورجح ابن حجر فى (فتح البارى) وابن القيم فى (زاد المعاد) وغيرهما أن

(عاشوراء) كان فرضا فى أول الإسلام ، ثم صار مستحبا بعد فرض رمضان ، ويستنبط ابن حجر أن المسلمين لم يصوموه كفرض إلا مرة واحدة إذ أن الرسول ﷺ وصل المدينة فى ربيع الأول وأدرك المحرم أول السنة الثانية ، وفيها – أى السنة الثانية فى شهر شعبان – فرض رمضان .

واستنبطوا فرضيته فى أول الإسلام بأحاديث كثيرة أمر فيها ﷺ بصومه ، منها حديث عائشة عند (الصحيحين) : « كان رسول الله ﷺ أمر بصيام يوم عاشوراء ، فلما فرض رمضان كان من شاء صام ، ومن شاء أفطر » .

وحديث الرُّبَيِّع بنت مُعَوِّذ – عند (البخارى) : أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : « من أصبح مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائما فليصم » .

ويقول ابن مسعود فى (صحيح مسلم) : « لما فرض رمضان ترك عاشوراء » يعنى ترك وجوب صيامه ، وصار مستحبا فقط .

حكم صوم عاشوراء :

نقل ابن عبد البر الإجماع على أن صيام يوم عاشوراء ليس بفرض ، وأنه مستحب ، وعلى ذلك عامة الفقهاء ؛ إذ ثبت فى السنة مواظبته ﷺ على صيامه حتى عام انتقاله إلى الرفيق الأعلى ؛ فهو سنة مؤكدة لا خلاف عليها .

غير أن القاضى عياض قد نقل أن بعض السلف كان يرى بقاء فرضية عاشوراء لكن انقرض القائلون بذلك ، وثبت عند البخارى ومسلم أن عبدالله بن عمر كان يكره قصده بالصوم ، وقد انقرض القول بذلك – أيضا – ولم يتابعه فيه أحد .

واستحب العلماء صيام يوم قبله ويوما بعده ، لأن النبى ﷺ نوى صوم التاسع ، وحث على مخالفة اليهود .

قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية :

عن عائشة – رضى الله عنها – : كانت قريش تصوم عاشوراء فى الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما هاجر إلى المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما فرض شهر رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه » .

رواه البخارى(٣/٥٧)

فقريش كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية كما تقول السيدة عائشة فى هذا الحديث ، وكما ثبت من قوله ﷺ فى غيره ، والرسول ﷺ كان يصومه فى مكة قبل الهجرة كما هو منطوق الحديث ، فهذا بداية صوم الرسول ﷺ لهذا اليوم .

أما ما هو سبب صيام قريش لهذا اليوم ؟ وما الحكمة من ذلك ؟ فيوضحه لنا قول دلهم بن صالح : « قلت لعكرمة : عاشوراء ما أمره ؟ .

قال : أذنبت قريش – فى الجاهلية – ذنباً ، فتعاظم فى صدورهم . فسألوا : ما توبتهم ؟ قيل : صوم عاشوراء ، يوم العاشر من المحرم[1] .

ولعل ذلك كان تقليدا منهم لمن حولهم من أهل

(١) د . على أحمد الخطيب – الصيام من البداية حتى الإسلام – ط مجمع البحوث الإسلامية ص ٢٥٤ .

الكتاب ، أو لمن قابلوهم منهم فى رحلاتهم إلى الشام واليمن ، أو مما بقى من شريعة إبراهيم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام .

وقد ورد عند الطبرانى فى المعجم الكبير – بإسناد حَسَّنَهُ الحافظ فى الفتح – عن زيد بن ثابت : « ليس يوم عاشوراء باليوم الذى يقوله الناس ، إنما كان يوم تستر فيه الكعبة »[2].

فلعل يوم ستر الكعبة لأول مرة على يد تُبَّع الأول ملك اليمن كان موافقا لهذا اليوم فاتخذوه يوما تستر فيه الكعبة ، ويصومون فيه .

اليهود وصيامهم عاشوراء :

عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قدم النبى ﷺ المدينة ، فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال : « ما هذا ؟ » قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجّى الله بنى إسرائيل من عدوّهم فصامه موسى ، قال ﷺ : « فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه »[3].

هذا الحديث يشعر أن الرسول ﷺ صام عاشوراء – لأول مرة وَأَمَر به عند رؤيته اليهود وهم يصومونه ، والأمر خلاف ذلك فقد قدمنا أنه – عليه الصلاة والسلام – صامه فى مكة ، فيحمل على أن أول عِلْمِهُ بسبب صيام اليهود له إنما كان منهم أى من اليهود ، وهذا السبب هو نجاة موسى وقومه – على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام – فزاد ذلك تأكيدا فى أمر صيامه .

وقد جاء عند أحمد عن أبى هريرة نحو هذا الحديث ، وزاد فيه « وهو اليوم الذى استوت فيه السفينة على الجودىّ فصامه نوح شكرا » .

وقد ورد عند مسلم : « كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء ، يتخذونه عيدا ، ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم » .

وقد ظل رسول الله ﷺ يصوم يوم عاشوراء حتى كان العام الذى انتقل فيه – عليه الصلاة والسلام – إلى الرفيق الأعلى ، وكان ذلك فى العام العاشر لهجرته – عليه الصلاة والسلام – فإن وفاته كانت بعد حجة الوداع ، وقبل أن يأتى عاشوراء من العام الحادى عشر للهجرة .

روى مسلم عن عبدالله بن عباس – رضى الله عنهما – قال :

حين صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء ، وأمر بصيامه قالوا :

يا رسول الله ، إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله ﷺ : فإذا كان العام المقبل – إن شاء الله – صمنا اليوم التاسع . قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ .

وعنه – رضى الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : « لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر » رواه الشيخان .

ولأحمد – عن ابن عباس – مرفوعا : « صوموا يوم عاشوراء ، وخالفوا اليهود ، صوموا يوما قبله ، أو يوما بعده » .

---

(٢) فتح البارى لابن حجر ٣٧٢/١٠ ط دار الكتب العلمية .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر جامع البيان فيما اتفق عليه الشيخان جـ٧ .

لا استشــكال فى الواقع :

وإذ تقرر أمر صيام عاشوراء جاهلية وإسلاما ، وعرفنا صيام رسول الله ﷺ له فى مكة ، وفى المدينة منذ حَلَّ بها .

وقد استشكل البعض العبارة الواردة فى نهاية حديثه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذى رواه ابــــن عبـــــاس « حين صام رسول الله ﷺ ...الحديثَ » ، فقد كانت نهايته : فلم يأتِ العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ ، فكأن الحديث كله يعنى أن ذلك كان فى بداية صومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ له لأول مرة بالمدينة ، وإنما المراد ـ فى هذا الحديث ـ صيامه ﷺ له لآخر مرة من حياته الشريفة ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

ولذلك قال ابن حجر ـ فى (الفتح) عند شرحه لهذا الحديث : « وكان هذا فى آخر العهد .

وورد نحو ذلك من كلام ابن عباس نفسه ، وكان ﷺ يحب موافقة أهل الكتاب أوّلا فيما لم يؤمر فيه بشىء ، كما كان يقر أهل الجاهلية على الأمور الحسنة الخيرة ؛ فكان يوافق أهل الكتاب فى صيام يوم عاشوراء ، إما بناء على وحىٍّ ، أو مما تواتر بينهم على أنه اليـــوم الـــذى نجى الله ـ سبحانه ـ فيه موسى ، خصوصا ، وقد تناقل هذه الأخبار ثقات من اليهود الذين أسلموا كعبدالله بن سلام الذى نزل فيه قوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾

سورة الرعد : ٤٣

فلما فتحت مكة ، واشتهر أمر الإسلام ، وأتم الله نعمته ، وأكمل هذا الدين :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

المائدة آية : ٣

كان شعار رسول الله ﷺ مخالفة اليهود ، فوافقهم حيث قال : ونحن أحق بموسى منكم .. ودقة اللفظ النبوى تبين أن ذلك ليس بمتابعة ، بل المعنى : نحن أحق بشكر الله على نجاة موسى منكم ، إذ هدانا الله وأضلكم ، ثم أراد أن يخالفهم مخالفة بينة واضحة لا تدع لذى شنئان منهم أن يقول : اتبعنا محمد ، كما قالوا عندما كان يتوجه ﷺ فى صلاته إلى بيت المقدس ؛ فأمر ﷺ بصيام يوم قبله أو يوم بعده .

وعلى هذا فصيام عاشوراء على ثلاث مراتب : أدناها أن يصام وحده ، وفوقه أن يصام التاسع معه ، وفوقه أن يصام التاسع والحادى عشر معه .

قال الشافعى وأصحابه وأحمد وإسحـــق وآخرون : يستحب صوم التاسع والعاشر جميعا ، لأن النبى ﷺ صام العاشر ونوى التاسع(٤) والله أعلم ..

(٤) شرح النووى على مسلم ، كتاب الصيام ، باب صوم عاشوراء .

القانون الدولى الإسلامى

فى

فقه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

للأستاذ الدكتور/ محمد عبد الصمد مهنا *

تمهيد

يعتقد كثير من الباحثين أن القانون الدولى ، وإن لم يكن حديث النشأة ، إلا أنه يرجع فى صورته النهائية إلى العصر الحديث ، وأن مؤسسه هو الفقيه الهولندى غرو سيوس GROTIUS (١٥٨٣ ــ ١٦٤٥م) والذى لُقب بلقب « أبو القانون الدولى »..

وقد أخذت الدول الأوربية زمام المبادرة فى العمل على تشكيل قواعد القانون الدولى حسبما يتفق مع المبادىء والقيم الأوربية منذ ذلك الوقت إلى الآن(١) ، بينما استسلمت دول العالم الإسلامى لنوع من الهزيمة الحضارية جعلها تقف خارج دائرة التاريخ والحوادث تنتظر ما يفعل بها.

وفى مرحلة لاحقة راحت الدول الإسلامية تدور فى فلك هذه المبادىء والقيم الأوربية باعتبارها قيما عليا سامية لا معقب عليها ، وراح الباحثون والفقهاء المسلمون يتنافسون فى إيجاد المبرر الشرعى لها بلوى أعناق النصوص ، فى تهافت شديد بدعوى الدفاع عن الدين ، يبدو وكأنه اعتذار عن هذا الدين. بل ذهب الأمر بالبعض ــ فى سبيل الظهور بمظهر التسامح ــ إلى حد التسليم بتصورات لم تبتكر إلا لهدم الدين أساسا.

وكان الأولى بهؤلاء أن يعرضوا ويبسطوا مبادىء الشريعة كما هى لمن يفهمها أو ينفذها ، وأن يعملوا على إظهار الحقائق كما هى لا تحريفها

(*) الكاتب : أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر

(١) فى نشأة القانون الدولى وتطوره انظر على سبيل المثال الأستاذ الدكتور جعفر عبد السلام: « مبادىء القانون الدولى العام » الطبعة الثالثة ١٩٩٤ ص ٤٥ وما بعدها ، كذلك القانون بين الأمم لجيرهارد فان غلان تعريب عباس الغمر ، دار الجيل ــ بيروت ص ٤١ وما بعدها

وتوريط الشريعة بما يفرغها من مضامينها الحقيقية.
ونسوق للباحثين اليوم مصنف « السِّيَر الكبير » للفقيه العظيم محمد بن الحسن الشيبانى مؤسس القانون الدولى بحق ، من قبل غرو سيوس GROTIUS ، بل ومن سبقوه وعاصروه من فقهاء القانون الدولى النصارى من أمثال فاسكوس VASQUES وسواريس SUARES وفيتوريا VITORIA.

فمن هو الشيبانى ؟ وما هو كتابه « السِّيَر الكبير » ؟ ، وما سمات القانون الدولى الإسلامى كما خطها هذا الفقيه العظيم فى « سيَّره الكبير » الشيبانى[٢] ؟.

ترجمة لهذا الإمام :

« دفن الفقه واللغة فى يوم واحد » هكذا قال الخليفة هارون الرشيد عندما مات محمد بن الحسن الشيبانى عام ١٨٩ هـ.

ولد الإمام محمد بن الحسن عام ١٣٢ هـ ببلدة (واسط) بالعراق ، ثم انتقل الى (الكوفة) حيث نشأ بها ، والكوفة ـ إذ ذاك ـ مركز للفقه واللغة وملتقى لكبار الفقهاء واللغويين والنحاة من أمثال أبى حنيفه وأبى يوسف والثورى والكسائى والفرّاء وسلمة .

وكفى الشيبانى أنه صحب أبا حنيفه وأتم الفقه على أبى يوسف وأخذ الموطأ عن مالك وكفاه أنه كان مقصداً لأسد بن الفُرات فى جمعه لمسائل « المدونة » ، والشافعى صاحب المذهب ، وأول من أسس علم أصول الفقه.

أما أسد بن الفرات فقد نشر المذهب المالكى بإفريقيا والمغرب وأتم تدوين الأسدية التى هى أصل مدونه سحنون بفضل الشيبانى أما الشافعى فقد عاد بعد صحبته لابن الحسن إلى مصر ليؤسس مذهبه بها.

ناهيك عن صحبته للأوزاعى عالم أهل الشام ، وسفيان بن يُينة عالم مكة ، وعبدالله بن المبارك عالم خراسان.

نتاجه العلمى

أما نتاجه العلمى فيقول الدكتور صلاح الدين المنجد إنه كان أكبر أصحاب أبى حنيفة الذين أثروا فى نشر مذهبه بكثرة تواليفه ، وكان أكثر فقهاء القرن الثانى إنتاجاً ، وفى آرائه أصالة قد تجعله ذا مذهب خاص ، بل إن التصانيف الكبرى فى الفقه كالمدونة والأسدية والأم والحجة قد ألفت فى ضوء كتبه وتأثر به أصحابها[٣] ومن أوسع كتبه : (المبسوط) الذى بسط فيه فروع الفقه طبقاً لرأى أستاذه أبى حنيفة وصاحبه أبى يوسف دون أن يغفل رأيه فى كل مسألة[٤] .

ومن أجمع كتبه (الجامع الكبير) الذى ضم أهم مسائل الفقه ، وقيل : إنه لم يؤلف فى الإسلام مثله ، وزاد عليه بكتابيه : الزيادات ، وزيادة الزيادات ، حيث استدرك فيهما ما فاته فى الجامع الكبير واقتصر فى الجامع الصغير على رواية ما سمعه من أبى يوسف رواية عن أبى حنيفة.

واحتج على اهل المدينة فى كتابه (الحجج) مبيناً الأسانيد الشرعية لمذهب أهل العراق فى عصره ، ويعد كتابه الحجج أول ما صُنف فى باب اختلاف المذاهب ، وناقش المالكية فى روايته

(٢) فى ترجمة الشيبانى : انظر ابن سعد ٢٣٠ هـ : الطبقات الكبرى ، القسم الثانى. الخطيب البغدادى ٤٦٣ هـ : تاريخ بغداد ابن خلكان ٦٨١ هـ : ونبات الأعيان ، القرشى ٧٧٥ هـ : الجواهر المضيئة فى طبقات الحنفية ، اللكنوى ١٣٠٤ هـ : الفوائد البهيه فى طبقات الحنفية الكوثرى ١٣٧١ هـ : بلوغ الأمانى فى سيرة الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

(٣) انظر مقدمة السيِّر الكبير تحقيق د. صلاح الدين المنجد ، معهد الخطوطات بجامعة الدول العربية طبعة ١٩٧١

(٤) مقدمة السيِّر الكبير ، المرجع السابق

للموطأ وزاد عليهم بالأخبار المروية عن غير مالك ، بل واجتهادات كثيرة خالف فيها مالك وأبا حنيفة وأصحابه ، وقال عنه الإمام الزاهد الكوثرى : « محمد بن الحسن قوى فى مالك » وقاله الذهبى أيضا فى « ميزان الاعتدال »(٥).

وللشيبانى غير ماذكرنا من مؤلفات : السيِّر الصغير ، والآثار ، والرقيّات ، كما نسب إليه كتاب المخارج والحيل.

كتاب السيِّر الكبير

ختم محمد بن الحسن الشيبانى حياته بهذا الكتاب الجليل ، حيث يعد السيِّر الكبير آخر تصنيف صنفه ــ رحمه الله ــ فى الفقه قبل موته(٦).

وذكر الإمام السرخسى شارح الكتاب ورَاوِيةِ مناسبة إخراجه فقال: « إن السير الصغير وقع فى يد عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعى عالم أهل الشام . فقال : لمن هذا الكتاب ؟ فقال : لمحمد العراق . فقال : وما لأهل العراق والتصنيف فى هذا الباب ؟ فإنه لا علم لهم بالسيِّر . ومغازى رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأصحابه كانت من جانب الشام والحجاز دون العراق ، فإنها محدثة فتحاً . فبلغ [ماقاله] الأوزاعى محمداً فغاظه ذلك ، وفرغ نفسه حتى صنف هذا الكتاب . فحكى أنه لما نظر فيه الأوزاعى قال : (صدق الله .. « وفوق كل ذى علم عليم » ..)

وأعجب به الرشيد أيما إعجاب وعده من مفاخر أيامه وأرسل ابنيه يستمعانه على مؤلفه ، وزاد الاهتمام به أيام الدولة العثمانية ، واتُّخِذَ أساسا لأحكام المجاهدين العثمانيين فى حروبهم مع الدول الأوربية.

وقد جمع فيه الشيبانى موضوعات القانون الدولى بصورة منفردة ومتميزة لم يسبقه إليها أحد سواء من فقهاء الإسلام أم من غيرهم فتحدث عن قوانين الحرب والجهاد ومشروعيتها ، وجرائم الحرب وحرمتها والأمان بأنواعه وتفصيلاته وشروطه والهدنة وأحكام الذمة ، وآثار الحرب فى الأموال والأشخاص ، والمعاهدات ونقضها ، وغنائم الحرب والأسرى والرسل وحصاناتهم ، والتجارة بين دار الحرب ودار الإسلام... الخ.

جمعية للقانون الدولى بألمانيا باسم الشيبانى

وبهذا يعد الشيبانى أبا القانون الدولى بحق ، وقد تنبه لذلك المشتغلون بالقانون الدولى فى مختلف بلاد العالم فاتمعوا فى حوالى منتصف هذا القرنِ على تأسيس جمعية للقانون الدولى فى (غوتنجن) بألمانيا باسم الشيبانى وأطلق عليها « جمعية الشيبانى للحقوق الدولية » انتخب لرئاستها فى ذلك الوقت الفقيه المصرى الكبير المرحوم الدكتور عبدالحميد بدوى ، ونائبا له الدكتور صلاح الدين المنجد وتهدف الجمعية إلى التعريف بالشيبانى وإظهار آرائه ونشر مؤلفاته المتعلقة بأحكام القانون الدولى الإسلامى .

فما سمات هذا القانون فى فقه الشيبانى بالنظر إلى القانون الدولى المعاصر ؟ هذا ما سنوجزه تحت العنوان التالى

الشرعية الدولية والشرعية الإسلامية

يتبـــع

---

(٥) موطأ الإمام مالك بن أنس ، رواية محمد ابن الحسن الشيبانى ، الطبعة الرابعة للمجلس الاعلى للشئون الإسلامية ص ٣٤ وما بعدها

(٦) السيِّر الكبير : مقدمة محمد بن أبى سهل السرخسى شارح لسيِّر صـــ ٢ المرجع السابق

(٧) انظر فى ترجمته القرشى ٨٧٥ هـ : الجواهر المضيئة ابن قطلوبغا ٨٧٩ هـ : تاج التراجم ، صاحب خليفه ١٠٦٧ كشف الظنون كذلك السير الكبير مقدمة المحقق ص ١٦ وما بعدها .

(٨) سورة يوسف ٧٦ .

الإسلام في التاريخ الحديث

للأستاذ الدكتور/ محمد ابراهيم الفيومى

ذلك العنوان اسم كتاب لمستشرق كندى يعمل مديرا لمعهد الدراسات الإسلامية وأستاذا للدين المقارن بجامعة « ماجل » فى مونتريال ـ كندا ، وقد أقام المؤلف فى « لاهور » بضع سنوات يَدْرُس الإسلام والتاريخ الهندى ويُدَرِسُهُما ، وزار أغلبية أقطار الشرق الأوسط . كما زار غالبية المناطق الرئيسية التى يعمرها المسلمون فى العالم .

وقد نشرت جامعة « برستون » هذا الكتاب الذى نعرض له فى هذه الكلمة : « الإسلام فى التاريخ الحديث » .

وقد حضر المؤلف الندوة العالمية للإسلاميات التى انعقدت فى لاهـور بالباكستـان ، والتـى ختمت أعمالها فى الثامن من يناير سنة ١٩٥٨ ، وبمناسبة ذكر هذا المؤتمر نذكر عضو الأزهر ذلك العالم الجليل الأستاذ الدكتور/ محمد عبدالله دراز الذى حضر هذا المؤتمر وقدم فيه بحثه .

وشاءت إرادة الله أن يتوفى فى هذا المؤتمر ـ رحمه الله وأجزل عطاءه ـ وكان ـ رحمه الله ـ مثالا فى الأخلاق والسلوك والاجتهاد .

فأما ذلك المستشرق فهو « ولفريد كانتويل سميث » الذى نزل فى طريق عودته بجمهورية مصر العربية ، حيث ألقى محاضرتين فى القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية بالقاهـرة فى مساء يومـى : ١٩ ، ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ .

وكان موضوع المحاضرة الأولى هو هذا السؤال :

« هل يجب أن يكـون للأديـان الـكبرى أسماء » .

وكان يرى الأستاذ المستشرق « سميث » أن الدين إذا أخذ على أنه اعتقاد كان من أسباب البعث والحركة الإيجابية . أما إذا فهم على أنه شعار واصطلاحات كان جاحدا غير إيجابى .

وكان موضوع المحاضرة الثانية هذا السؤال :

« هل الإسلام اسم الدين » .

يرى المستشرق (ولفريد كانتويل سميث) أن للإسلام فى العصر الحديث ، « مشكلة وأزمة » ؛ والمسلمون يحسون أن خطأ ما وقع فى تاريخهم ، فانحرف به عن طريقه السوى ، وأن ثمة مفارقة بين الدين الذى أنزله وبين التطور التاريخى للعالم الذى يسيطر عليه ويصرف أموره ، إنهم يفكرون فى تقويم ما اعوج من تاريخهم حتى يعاود سيره من جديد فى كامل قوته ، وحتى يستعيد مجتمعهم ما ينبغى أن يكون للمجتمع من قوة وازدهار يتولى الله هدايته .

نظرات فى مدارس الإصلاح وتجديد الوعى القومى

لقد بدأت مرحلة التأخر الخطير تحيط بالعالم الإسلامى فى القرن الثامن عشر حيث بدا العالم الإسلامى كما لو كان قد فقد القدرة على تولى أمر حياته وتنظيمها ، وفقد فجأة قبضته القوية العظيمة على العالم ، وواضح أن هذا التأخر كان فى نفس الوقت الذى نهضت فيه أوربا ، وخطت مدنيتها خطوات واسعة فى تاريخ البشرية ، خطوات ملؤها الحيوية والمهارة والقوة .

فى ذلك الوقت كان الغرب بصدد إعادة تشكيل حياته ، ثم حياة العالم كله بعد ذلك بقليل ، وحوالى سنة ١٨٠٠ كان ضغط الغرب شديدا على مراكز القوة الباقية فى العالم الإسلامى .

وفى غضون القرن التاسع عشر زاد الضغط والاستعمار ، فالهولنديون فى أندونيسيا ، والبريطانيون فى الهند وجهات أخرى والروس فى أواسط آسيا ، والفرنسيون فى إفريقيا ، كانوا جميعا يحكمون المجتمع الإسلامى .

أما تركيا وإيران فقد بقيت لها السيادة السياسية : سيادة جعلت منها دولتين مستقلتين استقلالا ما .

وفى ظل تداعى العالم الإسلامى كانت تظهر هنا وهناك ومضات من الإصلاح لمحاولة البعث الإسلامى منها :

١ - الوهابيون فى الجزيرة العربية ومنهجهم الإصلاحى :

صاحب هذه الدعوة محمد بن عبدالوهاب من علماء (نَجْد) ظهرت دعوته فى القرن الثامن عشر ، وكانت تتسم بالدعوة إلى الدين ارتباطا بالنص وعملا بما كان عليه فى عصره الأول ، وكان - فى سبيل تحقيق هدف العودة إلى الدين الخالص على حد تعبير الشيخ ابن عبدالوهاب - برفض أساليب الحياة الثقافية التى سادت فى العصور الوسطى ، وحمل عليها ، فأنكر الصوفية والمذهب العقلى سواء فى الفلسفة أو الدين ، ورفض انحلال المجتمع إلى فرق ومذاهب ، وكانت فرقة « الشيعة » أكثر تعرضا لهجومه .

وفى نظر محمد بن عبدالوهاب أن التجديد الإصلاحى كائن فى العودة إلى الشريعة الأولى التى استقرت فى صدر الإسلام ، فهى خلاصة العقيدة وزبدتها ، وأن ما يعتبر من عمل الفقهاء ويعد مصادر للتشريع كالرأى والاجتهاد ، أو ما يخدم النص تفسيرا أو تأويلا فهو عندهم باطل وَتَزَيُّد ، وأنه لا سبيل للعودة إلى الشريعة الأولى وبعثها من جديد ، إلا إذا زال عنها ما استحدث فيها على مر العصور .

ثم جاوز مرحلة التبشير والدعوة إلى مرحلة التنفيذ فتحالف ابن عبدالوهاب منشىء الحركة الوهابية ، مع ابن سعود أحد الأمراء الحاكمين حيث عملوا على أن يقيموا لأنفسهم - وسط الصحراء وفى إطار التخلى عن الدولة العثمانية - مجتمعا يحمل تعاليم الله خالصة .

واقتفى ابن عبدالوهاب أثر أستاذه الشيخ/أحمد ابن حنبل وتلميذه ابن تيمية ، وهنا اعتمد إصلاحه على :

- **القرآن .**
- **والسنة .**
- **ومقررات ما يعرف بالسلفية وهى فى نظرهم : تراث أحمد بن حنبل ومدرسته .**

ورفض الوهابيون تراثا أصيلا قام على تنظيره

وتقويمه وشرحه فقهاء الإسلام على اختلاف مدارسهم ، كما عارضوا أى تفسير للإسلام على قواعد الفقهاء مهما كان قدرهم فى الفكر الإسلامى . على أن مذهب ابن حنبل فى الفقه كان يتردد بين فقه الإمام مالك وفقه الإمام الشافعى وهم ـ أى الوهابيون ـ لا يقولون بالرأى الاجتهادى المبنى على قواعد أصول الفقه المفسرة لآيات الأحكام ورفضوا العقل ليس كمقولات عقلية فى بنائها الفلسفى أو المنطقى ، إنما رفضوه منهجا وطريقا حتى الطرائق العقلية التى بناها الفقهاء وأخذوا بها وطبقوها فى المجتمع ، وفى بناء علم الفقه الإسلامى ، وكانوا يرون أن الإسلام ليس بالفكرة المجردة التى يلوكها الإنسان أو يرددها شأن التعاويذ وتهويمات الكهان ، إنما هو الفكرة فى تطبيقاتها العملية فالإسلام إذاً عمل وممارسة .

وفى نظرنا : أن الوهابية هى دعوة إلى طاعة الله خالصة . غير أن هذا التجرد الذى دعت إليه الوهابية فرد بجناحه على المناهج الإسلامية التى تعتبر أساس الفكر الإصلاحى والفقه التجديدى فهى مدرسة للعبادة وليست للفكر .

ولا شك فى أن انتشار مقالات التكفير التى يعلنها الأتباع على المذاهب الإصلاحية الأخرى ونهى الناس عن فهمها أو دراستها يزيد من انغلاق بعض المذاهب وجموده وحصره فى بيئته ، بينما المذاهب الإصلاحية ليست ملكا للأتباع إنما هى زاد ثقافى يغذى العقل والفكر ويزيد العقل والفكر والحوار ازدهارا ونماء وليس كما يرى الأتباع أن يقفوا به عند عبارة المذهب ليس غير .

٢ ـ شاه ولى الله الدهلوى فى الهند ومنهجه الإصلاحى :

شهد ولى الله دهلوى عصر انحلال امبراطورية المغول وانحطاط العالم الإسلامى ولا سيما فى دولة الهند التى بدأ الضعف يتسرب إليها مما يغرى بالاعتداء الخارجى والتمرد الداخلى ، ففى الشمال الغربى من الهند وثب نظام « السيخ » المتزايد على ما بقى من حكم المغول ، كما نزل البريطانيون فى البنغال ، وكانت الهند الغربية مسرحا للنهضة « الهندوسية » .

وكانت أسس دعوته الإصلاحية ـ على نقيض ابن عبدالوهاب ـ تقوم على الإصلاح والإحياء فهو يرى فى الصوفية طريقة خالصة لله لكن شابها بعض الممارسات المنافية لأصول الدين وخالطها بعض المظاهر الفاسدة ، فنادى بتطهيرها ، واجتهد فى إيجاد تفسير يجمع بين الصوفية والسنة الخالصة ، وكان يرى أن إصلاح الصوفية إصلاح لذلك المجتمع المتدهور ، ومن أسس إصلاحه

الاتجاه نحو التربية فعمم المدارس الشرعية لتدريس الشريعة فى ثوب جديد ، وكان أكثر تقبلا للجديد وتطور العصر ، فكان فى إسلامه (أكثر وعيا) وأغزر مادة ، وأطوع مرونة وهذه ميزة له . وأثمر اتجاهه التربوى فى فتح المدارس الدينية لتعليم الشريعة والفكر الإسلامى ، وتخرجت منها أجيال حملت لواء الإسلام وطورت ثقافته وأسهمت فى إبراز الوحدة الدينية فى وقت أفول إمبراطورية المغول .

واتجهت حركة النهضة الإسلامية اتجاهين :

● **الأول** : ضد الاحتلال الداخلى .

● **والثانى** : ضد التهديد أو السيطرة الأجنبية .

ويتمثل هذان الإتجاهان فى جمال الدين الأفغانى (١٨٣٩ - ١٨٩٧ م) ، كان جمال الدين الأفغانى يمثل الآراء الحديثة فى ميدان الفكر الإسلامى ، مع الما‌م شامل بالإسلام ، حتى لقد كان - بحق - المسلم العالم فى عصره .

ومن الناحية الجغرافية ، شمل دوره إيران والهند والعالم العربى وتركيا ، فضلا عن البلاد العربية والأوروبية ، وكان يجمع بين الصوفية والسنية ، ثم عاد إلى مصالحة الشيعة وربط بين العلوم الإسلامية التقليدية والآراء الحديثة ، وكان نشاطه يتجه الوجهتين معا : الإصلاح الداخلى والدفاع ضد القوى الخارجية ، وقد آزر الحركات الثورية السياسية وشجع العلماء ومدهم بالكثير من آرائه حتى غلب طابعه على العالم الإسلامى .

لقد أدرك أن العالم الإسلامى مهدد بقوة الغرب ونشاطه ، وإذا كان المصلحون المتقدمون ينادون بأن علة تأخر المجتمع الإسلامى فيما ينطوى عليه تكوينه من خطأ ، فقد نادى جمال الدين الأفغانى بأن العلة هى ضعف هذا المجتمع دون أى شيء آخر ، وقد شارك مشاركة فعلية فى جميع الحركات الوطنية وخاصة فى إيران سنتى ١٨٩١ ، ١٨٩٦ .

وفى مصر شارك فى الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، وطوف بالبلاد الإسلامية يلهب حماس المسلمين ويبعث فيهم وعيا جديدا ، ويذكرهم بأمجاد الماضى وقوته ، وكانت نظرته إلى الغرب تختلف كذلك عن غيره من المصلحين ، إذ رأى فيه خطرا جديرا بأن يتقى ويقاوم ، وفى نفس الوقت مثالا - وخاصة فى الناحية العلمية - خليقا بأن يحتذى .

وثمة عنصر آخر ظهر فى دعوة جمال الدين الأفغانى ، كان يذكر المسلمين بأنهم - وحدهم - المسئولون عن مستقبل الإسلام ، وعليهم أن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم ، فكان يخلق فيهم الشعور بالمسئولية ، ويحثهم على العمل المتصل وينهاهم عن التكاسل .

كان على يقين من أن الإسلام لابد مستعيد أمجاده وعظمته .

ولم يكن لجمال الدين الأفغانى خطة واضحة ، أو فلسفة منظمة ، ولكنه كان يتميز بنشاط جم وقدرة على إذكاء حماسة الآخرين .

وكان تطور الإتجاهين السابقين فيما بعد ، قويا منتشرا فى شكل حركات أخرى يتصل الكثير منها بطريق مباشر أو غير مباشر بحركات الوهابيين ، وولى الله والأفغانى فى حين يبدو بعضها مستقلا عنها .

ونذكر من بين هذه الحركات ، (حركة السنوسى) فى ليبيا (سنة ١٨٤٢) ، والمهدى فى السودان (سنة ١٨٨١) ، والحركات التى قامت فى إيران ، وقد سبقت الإشارة إليها والمحمدية فى أندونيسيا (سنة ١٩١١) ، وهكذا .

وكان لكل من هذه الحركات المحلية أسبابها المباشرة سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية أو غير ذلك من النواحى الخاصة بالمنطقة التى ظهرت فيها ، وكل منها تناسب التاريخ المحلى ، ويتعين دراستها على هذا الأساس ، وإن كانت جميعا تشترك فيما تشير إليه من إتجاه إلى إزدهار جديد ، ومقاومة التدخل والضغط الخارجى .

وتشهد حركة الخلافة الهندية (١٩١٨ - ١٩٢٤) التى أثارت حيرة غير المسلمين بمدى التوتر العاطفى الذى يلازم إدراك المسلمين لتدهور قوة الإسلام ، وإنها لتبين الرغبة فى الكفاح من أجل النهوض .. هذه الرغبة التى لم يكن لها ثمة برنامج واضح .

وقد لحظنا جمال الدين الأفغانى ، وكيف كان يعبر عن أحلام المسلمين بمجدهم القديم ، ومنذ ذلك الحين وهذه النغمة تتطور فى العالم الإسلامى .

وتَدَخَّلَ عامل ثالث فى حركة التحرر الإسلامى ترك أثره فى الدين ، ونقصد ذلك تأثير المدنية الغربية ، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى كانت حركة التحرر الأوروبى قد بلغت مداها ، وكذلك كان النفوذ الأوروبى قد بلغ ذروته ، وقد زار كثير من المسلمين البلاد الغربية ، وعادوا إلى بلادهم وقد امتلأوا إعجابا بما شهدوا هناك من روح وقيم ، وخاصة الطلاب الذين قضوا فى البلاد الأوروبية سنوات فى طلب العلم فى جامعاتها ، وكان ذلك سببا فى نقل الكثير من الغرب إلى العالم الإسلامى ، فظهرت به آراء واتجاهات وقيم حديثة ، وكان أن أدخلت فى البلاد الإسلامية فى ذلك الوقت ، أو فرضت عليها طائفة من النظم الاجتماعية والسياسية والقانونية الغربية ، لقيت ترحيبا من بعض المسلمين ، ومعارضة من الآخرين وفى النهاية اعتنقها الكثير واستمر التطور .

والذى يعنينا أنه وجدت وجهتا نظر تسيران جنبا إلى جنب وترحب إحداهما بالتحرر الغربى بالفعل مفضلة اسمه ، وتبذل الأخرى محاولات للتوفيق بينه وبين الإسلام .

من الواضح أن الحركات القومية فى البلاد الإسلامية أصبحت قوية وجامعة ، وقد استهدف شطرٌ كبيرٌ من نشاط هذه البلاد مقاومة الاستعمار الأجنبى ، وكان قادة هذه الحركات متأثرين بروح الغرب والروح القومية فى التاريخ الإسلامى القديم .

وقد بدت هذه الحركات القومية جامحة قوية تهدف إلى التخلص من التدخل الأجنبى ، ولم تكن هذه الحركات مطابقة للإسلام فحسب ، بل هى جزء لا يتجزأ من فكرة بعث الإسلام .

وكانت الجامعة الإسلامية شعورا لدى المسلمين بضرورة تماسكهم ، إذ أن (وحدة المسلمين) فى العالم الإسلامى هى وحدة مشاعر ، إلا أن المحاولات التى بذلت لتجعل منها وحدة سياسية باءت بالفشل بمجرد مواجهتها الواقع ، وقد أكد جمال الدين الأفغانى هذه الوحدة ، وظلت الجامعة الإسلامية إلى اليوم حلما جميلا يعز تحقيقه ، كانت مستقرة فى الوعى الدينى الإسلامى القديم ، وبقيت محتفظة بقوتها فترة إلى أن حطمها التاريخ عندما اختلف المسلمون بعد موت النبى - صلى الله عليه وسلم - ، ودب الإنشقاق فى صفوفهم بموقعة الجمل سنة ٢٦ هـ ، ومنذ ذلك الحين لم يندمل الجرح إلى اليوم وإن بقى الخيال يجذب الأنظار إليه ، وليس ثمة تعارض بين الجامعة الإسلامية وبين الروح القومية فى البلاد الإسلامية ، وإنما التعارض قائم بينها وبين الحقيقة الواقعة .

من تراث المحقق الاسلامى

محمد أبو الفضل إبراهيم

الثروة الإسلامية

لقد تهيّأ للأمة العربية من وسائل الثقافة والمعرفة ، وأسباب التفوّق والنبوغ ، ما لم يتهيّأ لغيرها من الأمم والشعوب .

دين سمح كريم ، سَمَا بهم إلى أبعد الغايات ، وأطلق عقولهم من أسر الجهل والخرافات .

وكتاب عربى مبين ، اشتمل على أكرم المقاصد وأنبل الأغراض ، فكان هداية للسارين ، وشفاء ورحمة للمؤمنين ، ولغة طيّعة ذَلول ، استطاعت بما فيها من ثراء وغَناء ، ومرونة واستعداد للنّماء ، أن تعبِّر عن سرائر النفوس وخلجات القلوب ، وأن تَفِى بحاجات العلوم والفنون ، وأن تساير المخترعات فى كل زمان ومكان .

وأرض مترامية الأطراف ، فسيحة الجنبات ، حوت من موارد الثروة ومقوّمات الدول وروافد الذخيرة والعدة والعَتاد ، مالا يتيسر لغيرها من البلاد .

ممتلكات العروبة قبل الإسلام :

وكانت الأمة العربية فى الجاهلية محصورة فى مكان محدود ، ولم يكن معروفا عندها من العلوم إلا الرواية والخبر ، وشىء من النِّجامة وأمشاج من الطبِّ وقليل من المعارف ، مما اقتبسوه من الفرس والهنود .

الانطلاق فى الإسلام :

ثم جاء الإسلام وبعث محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ ولم يكد يمضى على ظهوره سوى قرن من الزمان ، حتى انبسطت للعرب دولتهم ، واتّسعت رقعة بلادهم ، وامتدت من فرغانة والصين والهند شرقا ، إلى مصر وإفريقية وما بَعد : بلادُ الأندلس غربا ، فكان هذا الفتح ، ونتيجة الغَزْو ، من أعجب الظواهر الاجتماعية فى التاريخ .

القرآن والنحو والبلاغة :

وواكبَ هذه الوثبة السياسية نهضة علمية أثارت الدهشة والإعجاب ، وأخذوا يتدارسون القرآن الكريم ، واستمدوا منه أصول العبادة والتشريع ، ووضعوا لحفظه قواعد النحو والتصريف ، والرسم والقراءات ، وصرفوا هِمَّتهم لبيان إعجازه ، فأقاموا موازين البلاغة

والنقد ، واستطردوا لفنون الأدب ، ووضعوا فى ذلك الكتب والأسفار .

الحديث الشريف :

ثم عمدوا إلى الحديث فدَّونوه عن الصحابة والتابعين والرّواة ، وأنشأوا لنقده علوم المصطلح والجرح والتعديل ، وتراجم الرجال ، ذلك أن الأحاديث النبويّة مصدر آخر من مصادر التشريع ، ومنبع من منابع الحكمة ومكارم الأخلاق ، وصنوف السلوك والآداب .

اللغــة :

ثم قصدوا إلى اللغة فجمعوها من أفواه الرواة فى الحواضر ، والأعراب فى البوادى ، وصنعوا الفهارس والمعاجم ، وميَّزوا العربىَّ من الدخيل ، خشيةً عليها من عوامل المسخ والفناء ، والخطأ والضّياع .

الفقــه :

وعلى كثرة المسلمين وتعدادهم ، وتنقّلهم فى البلاد ، وتجدُّد الأحوال ، ووقــوع شتَّــى الأحــداث ، أرادوا أن يميّــزوا بين حَلالهم وحَرَامهم . وما هو صالح لهم فى أمر دينهم ودنياهم ، فعنوا أشدَّ العناية بالفقه والتشريع ، طبقا لما يجدُّ من الأحوال ، وما يعرض على الزمن من أمور ، وظهرت المذاهب المختلفة ، والآراء المتعددة ، وكلهم يستمدُّ من القرآن الكريم والحديث الشريف ، ويعتمــد على القيــاس والاستحسان ، ووضعوا فى ذلك المصنَّفات الطوال ، فكان كتاب المبسوط فى فقه أبى حنيفة ، و(المدوّنة والذخيرة) فى فقه مالك ، و(الحاوى) فى فقه الشافعى ، و(المُغْنِى) فى فقه ابن حنبل ، وغير ذلك من الكتب السائرة المشهورة .

تاريخ الأمم :

كما أنهم تدارسوا تاريخ الأمم والشعوب ، وحياة الرسل والخلفاء ، والملوك – ووضعوا فى ذلك كتب السير والمغازى والفتوح ، وكان من أعلام المؤلفين : ابن أبى إسحق وابن هشام وابن سعد والواقدى واليعقوبى ، والطبرى والمسعودى وابن خلدون .

الترجمة فى شتى الفنون ثم التأليف :

ولمّا اتصلوا بالفرس وامتزجوا باليونان والروم بالفتح أو بالغزو أو الجوار ، أخذوا فى ترجمة علومهم وفنونهم ، فى الطب والهندسة والفلك والرياضيات ، وتمثّلوا معارفهم أصدق تمثيل ، ثم ألَّفوا فى كل هذا وأبدعوا ، حتى الأسبار والأحاديث كان لهم فيها جولة ونصيب .. وفى قصص ألف ليلة وليلة من روعة الخيال وسحر القصص شىء عجيب . وبكل هذا أصبحت حضارتهم ممتزجة بحضارات الأمم كلها ، وغدت معاهد بغداد وبخارى ، والقاهرة والاسكندرية وغرناطة وصقلية ، تقصد من كل مكان .

الوراقــة :

وعلى مرّ الزمن ، تفشّت الكتابة وتيَّسر الورق والقلم والمداد ، وظهر ما كان يُسمَّى قديما بالوراقة ، فما تكاد الكتب تصدر عن مؤلفيها ، حتى يُسارع الوُرَّاقون والنّساخون ، إلى كتابتها ، فيستطير أمرها ، ويسير على الأفواه ذكرها ، فيسارع العلماء والأمراء والملوك إلى اقتنائها ، وكثرت هذه الكتب ، وامتلأت بها خزائن العراق

والشام ومصر ، والمغرب والأندلس ، فى شتى المعارف والفنون والآداب .

المكتبات وأحوالها :

روى أن الرشيد لما ركب إلى (الرَّقة) فى بعض أسفاره ، حمل معه ثمانية عشر صندوقا مملوءة كتبا ، ليقطع الطريق بالقراءة فيها ، وكان الصاحب بن عباد يصحب فى أسفاره ثلاثين جملا ، تحمل عليها كتبه ، ولما أنشأ الرشيد بيت الحاكم ببغداد ، جمع فيه ما نقل إلى العربية مما ترجم من اللغات الأخرى ، وما ألف من العلوم الإسلامية إلى عهده .. ولما تولى المأمون ، جمع فى هذا البيت كتب العلوم بلغاتها وكانت مكتبة الحكم المستنصر فى قرطبة تحوى ألوف الكتب ، وذكروا أن فهارسها بلغت أربعة وأربعين فهرسا . وحوت مكتبة العزيز بالله الفاطمى ألوف الكتب ، وذكروا أنه كان فيها عشرون نسخة من تاريخ الطبرى إحداها بخط المؤلف .

وعلى مرّ التاريخ،وتعاقب الليالى والأيام ، مُنِيت المكتبة العربية بما تُمْنَى به الدول والعروش ، وأصابها ما يصيب الأعمال من عوامل الفناء ، فكان ما كان من غَزْو التتار ببغداد ، واعتداء الصليبيين على حلب والشام وسطوة الأسبان بالأندلس فذهب كثير من نفائس الكتب وأحرارها[1] ، وضاع معظم ما ألَّفه الجاحظ وابن قتيبة ، والطبرى والمسعودى ، والمعرّى والفخر الرازى والقفطى وغيرهم من أعلام المصنفين .

ولكن ــ على الرغم من هذه المحن ، وتتابع الكوارث ــ فقد سَلِمَ من تلك العوادى قَدْرٌ من الكتب ، يزخر بصنوف الفنون والآداب ، قَدَّره بعض الباحثين بثلاثة ملايين من المخطوطات ، متفرقة فى مكتبات القاهرة ودمشق وحلب والموصل ، وبرامبور وكلكتا من بلاد المشرق ، ومكتبات تونس والجزائر والرباط فى شمال أفريقيا ، ومكتبات استانبول ، وبراغ ، وبرلين ، والمتحف البريطانى بلندن ، والأوسكريال بأسبانيا ، والمكتبة الأهلية بباريس ، وغيرها من مكتبات أوربا وأمريكا .. مما يُثْبت بوضوح ، أن الأمة العربية ، خَلَّفت آثارا جليلة ، عادت على الحضارة الانسانية بالتقدم والارتقاء ، وأن العرب قاموا بدورهم فى التطور الفكرى العام ، بحماسة (دينهم)[2] ، وهيئوا العقول للتفكير العلمى الحديث .

ومن واجبنا اليوم ــ ونحن نبنى حضارتنا على قواعد أصيلة ــ أن ننشر هذا التراث ، على منهج علمى مدروس ، ففى نشره إنصاف لحضارة العرب ، وكشف عن أمجادهم فى شتى الميادين ، وفيه ما يدفع الناشئة إلى اقتفاء تراث أسلافهم ، والاعتزاز بتاريخهم .. بل إن فى نشره ما يجعلهم يحسّون بأن لهم كيانا معتبرا فى عالم الكشف والاختراع ، وأنه يمكن السير مع غيرهم ، من الأمم فى ركب الحضارة ، بخطى واسعة ، وهِمَّة تملؤها العزة والكرامة .

وقد قمت فى حياتى بحصيلة طيبة ، فى تحقيق كتب التراث ، ولولا اعتلال الصحة لزادت إلى المئات بل الآلاف .. فهناك نهر لا يجف من المخطوطات العربية ، بما تحتويه من تراثنا الثمين الغالى .

(١) كذا بالأصل ... ولا ندرى لها معنى ... مجلة الأزهر .

(٢) فى الأصل كلمة أمكن أن نتصورها هكذا ... والله أعلم .

أهل الفضل من العلماء وتشجيعهم على طلب العلم

بقلم الأستاذ/ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قرأت فى مقدمة كتاب «معاهد التنصيص» قصة طريفة عن الإمام المجدد الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فى عهد مضى .. تشير إلى حبه للعلم وتشجيع الطلاب على طلبه والإخلاص له والاجتهاد فى تحصيله . تقول هذه القصة : إن الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ كان من محبى كتاب «معاهد التنصيص» إلى درجة أنه جعله من سُمَّاره ، وأنه كان كثير القراءة له والاطلاع عليه ، وكان إذا أراد أن يختبر طالبا ممن يتقدمون إليه لبث شكاية ، أو رجاء شفاعة ، أو طلب نوال ، قدم إليه هذا الكتاب ، وأمره أن يسمعه قطعة منه ، ثم أمره أن يُبيِّن ما قرأه ، فإن أجاد القراءة والفهم والإبانة توسم فيه الخير ، وقضى حاجته ، وإن قصَّر دفعه عن مُلْتَمَسِه ، ولم يره أهلا لبره ومعونته .

ولاشك أن ذلك دافع مهم للطلاب وأصحاب الحاجات على الإقبال على هذا الكتاب وغيره للقراءة والاطلاع والفهم والاستفادة والإفادة .

مبعث ذلك عند الإمام :

ولعل مبعث ذلك عند الإمام محمد عبده ـ رحمه الله ـ يعود إلى حبه للعلم ، بعد أن تذوق لذته وعرف جماله ، وأدرك أنه هو الوحيد الذى يصنع الكمال فى الإنسان ، وقد جَرَّب الإمام محمد عبده بنفسه ذلك ، فقد انتابته فى صدر حياته العلمية فترة صرفته عن العلم ، وصدَّته عن طلبه ، ولكنه سرعان ما انشرح صدره له ، فنشط فى طلبه وأقبل عليه ، حتى بلغ أقصى ما أمكن من درجات الكمال فيه ، وأصبح من كبار المجددين المجتهدين فى الإسلام . يقول فى مذكراته : « حملنى أبى إلى طنطا ، وكانت سنى أربعة عشر عاماً لأدرس العلم الأزهرى ، وبدأت بتلقى شرح الكفراوى على الأجرومية فى المسجد ، وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً » . وكان ذلك سببا فى يأس الشيخ من التعليم ، ورجوعه إلى قريته واشتغاله بالفلاحة وتزوجه . ولكن والده بعد زواجه بأربعين يوما أمره بمعاودة الدرس مرة أخرى ، ولكنه رفض ، وخاف من والده فهرب إلى قرية خال أبيه الشيخ درويش ، وكان من العلماء العاملين بعلومهم ومن أهل التصوف . وقد أراد هذا الشيخ أن يعالج الفتى بطريقته الخاصة .

ويحدثنا الإمام محمد عبده عن ذلك فى مذكراته قائلا :

« جاءنى هذا الشيخ وبيده كتاب يحتوى على رسائل كتبها السيد محمد المدنى أحد رجال التصوف إلى بعض مريديه بالأطراف ، بخط مغربى دقيق ، وسألنى أن أقرأ له منها شيئاً لضعف بصره

قال : فدفعت طلبه بشدة ، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها ، ونفرت منه أشد النفور ، ولما وضع الكتاب بين يدىَّ رميته إلى بعيد ، ولكن الشيخ تبسم وتجلَّى فى ألطف مظاهر الحلم ، ولم يزل بى حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر ، فاندفع يفسر لى معانى ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضى فتغلبه ، وتسبق إلى نفسى . وبعد قليل جاء أصدقائى الشبان يدعوننى إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة فى نهر قريب من القرية ، فرميت الكتاب وانصرفت إليهم .. » .

ولم ييأس الشيخ من تلميذه ، وقرر تشجيعه على طلب العلم وتحبيبه فيه بطريقة

بعيدة عن العنف والإكراه يقول الإمام : «وبعد العصر جاءنى الشيخ بكتابه ، وألح على فى قراءة شىء منه ، فقرأت ، وفَسَّر ، ثم تركته إلى اللعب .

« وفعل فى اليوم الثانى كما فعل فى اليوم الأول . أما فى اليوم الثالث فقد بقيت أقرأ له ، وهو يشرح لى معانى ما أقرأ نحو ثلاث ساعات ، لم أَمَلّ فى خلال ذلك .. » .

فقال له الشيخ : أنه فى حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة ليعمل فيها بعض العمل . قال الإمام : فطلبت منه أن يبقى الكتاب معى ، فتركه ، ومضيت أقرأ ، وكلما مررت بعبارة لم أفهمها وضعت عليها علامة لأسأله عنها ، وظللت كذلك حتى جاء وقت الظهر .. وعصيت فى ذلك اليوم كل رغبة فى اللعب ، وهوىً ينازعنى إلى البطالة .

وفى عصر اليوم سألته عماً لم أفهمه ، فأبان معناه على عادته ، وظهر عليه الفرح بما تجدد عندى من الرغبة فى المطالعة والميل إلى الفهم، ولما يأت على اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شىء إلى هو ما كنت أحبه من لهو ولعب وفخفخة وزهو ، وعاد أحب شىء إلىّ هو ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم .

عودة الإمام إلى طنطا :

وكان هذا الدرس سبباً فى عودة الإمام محمد عبده إلى طنطا . وفهمه للدروس التى كانت تلقى عليه ، وانتقاله بعد ذلك إلى الأزهر فى القاهرة . ولكن أستاذه الشيخ درويش ظل يتابعه بعد ذلك فى دروسه . فكلما كان يعود فى إجازة من إجازاته ، وبعد ما يسمع منه طرفا من المناهج التى يدرسها فى الأزهر يقول له : هل درست المنطق ؟ هل درست الحساب ؟ هل درست الهندسة ؟ .. فيجيبه الإمام : أن بعض هذه العلوم غير معروفة فى الأزهر ، فيرد عليه الشيخ قائلا : إن طالب العلم لا يعجز عن تحصيله فى أى مكان .

يقول الشيخ محمد عبده : فكنت إذا رجعت إلى القاهرة ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها ، فتارة كنت أخطىء فى الطلب ، وتارة كنت أصيب ، إلى أن جاء السيد جمال الدين الأفغانى إلى مصر فى أواخر سنة ١٢٨٦ هـ ، وقد صاحبته وأخذت أتلقى عنه بعض العلوم الرياضية والحكمية والكلامية .

لم ينقطع عن شيخه الأول :

ويبدو أن الإمام محمد عبده تأثر بما سمعه من كلام ونقد مُوَجَّه إلى دروس الأفغانى ، فسرعان ما وجد عند الشيخ درويش جواب ذلك مما شفى صدره ، وأرجع يقينه ونشاطه فى تلقى هذه الدروس ، فقد قال له : إن الله هو العليم الحكيم ، ولا علم يفوق علمه

وحكمته ، وإن أعدى أعداء الحكيم هو السفيه ، وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم ، فلا شيء من العالم بممقوت عند الله ، ولا شيء من الجاهل بمحمود لديه . إلا ما يسميه بعض الناس علما وليس فى الحقيقة بعلم ، كالسحر والشعوذة ونحوهما إذا قصد من تحصيلهما الإضرار بالناس .

وكان لهذه الكلمات صدىً طيب فى نفس الإمام ، فقد استراحت مما لحقها من شكوك ووساوس .. وهكذا ظلت متابعة الشيخ درويش لتلميذه الإمام ، واستمرت ملاحظته ورعايته له ، فها هو ذا يخرجه من عزلته التى فرضها على نفسه ، ويحرضه على نفع الناس بعلمه الذى تعلمه ، قائلا له : إن من لم ينفع بما تعلم فقد أضاع أهم ثمرة تقصد من غراس المعرفة ، فعليك أن تخالط الناس وتعظهم وترشدهم إلى الطريقة القويمة والسنة الصالحة .

وكان هذا الدفع القوى من أستاذه سببا من أسباب دخول الإمام محمد عبده فى غمار المجتمع ، ومحاولته القيام بدعواته المتكررة فى نواحى الإصلاح المختلفة ، وتفرده بطريقة خاصة عرفت عنه فى الإصلاح ، ومازال يثابر فى دعوته حتى أخذ مكانه فى القمة بين رجال الإصلاح الاجتماعى وترك من بعده آثاراً خالدة لا تزال تنطق باسمه وفضله وذكره ، ويكفى من ذلك أن كانت الجامعة المصرية ــ جامعة القاهرة الآن ــ والجمعية الخيرية الإسلامية من وحى أفكاره ، ومن ثمار توجيهاته ، وهذان الأثران الجليلان مازالت ثمارهما يانعة ، وخدماتهما باقية ، وستبقى إن شاء الله إلى ما شاء الله .

عود إلى معاهد التنصيص :

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر ، فمن المفيد الإشارة إلى كتاب (معاهد التنصيص) الذى فتح باب هذا الحديث بما قصه علينا محققه العالم الفاضل الشيخ محمد محيى الدين عبد الحميد ــ طيب الله ثراه ــ وهذا الكتاب من مؤلفات الشيخ عبد الرحيم بن أحمد العباسى المتوفى سنة ثلاث وستين وتسعمائة من الهجرة ، وعنوانه بالكامل «معاهد التنصيص على شواهد التلخيص» .

والمعاهد جمع معهد وهو مكان العهد أو زمانه ، والتنصيص مصدر الفعل نصَّص ، وهو يعنى إظهار الشيء ورفعه وإسناده ، وأصل النَّص أقصى الشيء وغايته ، فكأنَّ المؤلف يعنى بذلك رفع الشواهد إلى مكانها الأول ، وإسنادها إلى أصحابها المتقدمين .

نشأ العباس وتوفى فى القرن العاشر الهجرى ، فى أسرة تنتمي إلى بنى العباس ، ولذلك مدحه بعض النابهين بقوله :

ابــن عم النبــى والــلابس
الفخريـن من نوره ومـن برهانـه

وقد ترجم له شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجى المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ فى كتابه المشهور «ريحانة الألبَّا وزهرة الحياة الدنيا» وقال عنه : أنا وإن لم أره ، فهو لقرب عهده سمعت

خبره ، حسيب «طَرَزكُمّ المجد ، وأعار رقة شمائله نسمات نجد .. وله شعر رائق منه :

لست عن ود صديقــي سائــلا
غير قلبــي فهـــو يدرى وُدَّهُ
فكمــا أعلــم ما عنـــدى له
فكــذا أعلــم ما لى عنـــده

ومنه :

أما ترى البـدر إن تأملت والشمس
هما يكسفان دون النجوم ؟
وهـو الدهـر ليس ينـفك ينحـــو
بالمصاب العـــظيم نحو العــــظيم

وهو شعر كما ترى يتجه نحو الحكمة ، ويغرف من معينها ، ويقيس من لألائها .. وكثيرا ما علق الشعراء على شعره ، ووازن النقاد بين أقوالهم وقوله .. ومن ذلك قوله :

إذا ما كنت فى قوم غريبـــــاً
فعاملهـــم بِفِعْـــل يستطـــابُ
ولا تحزن إذا فاهـــوا بفـــحش
غريبُ الـدار تنبحــه الكـــلابُ

قال الخفاجى : وهذا إشارة إلى ماجرت به العادة من نبـح الكـلاب على من لم تعرف ، وكذلك تنبح الكلاب على الفقراء ، وفى أنس الحكمة «الكلب ينبح على الفقير دون الغنى ... لأنه يرجو منه المواساة ، بخلاف الفقير ، ولذا قال الشاعر :

حتى الكـلاب إذا رأت ذا ثروةٍ
ذلَّت لديه وحـــركت أذنابَهـــا
وإذا رأت يومـــاً فقيراً معدمـــا
هَرَّتْ عليـــه وكشَّرت أنيـــابها

ومن قوله أيضاً :

أرى الدهـــر يكـــرم جُهَّالَــــه
وأعظـــم قدراً به الجاهـــلُ
وأنظـــر حظـــى به ناقصا
أيحسبنـــــى أننـــى فاضلُ

ولما سمعه بدر الدين الغزى أجابه قائلا :

أعبـد الـرحيم سليـل العـــلا
ويافـــاضلا دونـــه الفـــاضل
أتعـــتب دهـــراً غدا موقنـــا
بأنك فى أهلـــه الفـــاضل ؟

وأنظـر إلى جمال التوريـة فى البيت الأول فالفاضل فيه تشير إلى القاضى الفاضل الأديب المشهور وأسمه عبد الرحيم أيضاً .

وفى هذا المعنى يقول بعض شعراء بغداد :

إنى رأيت الدهـــر فى صرفـــه
يمنـــح حظ العاقـــل الجاهـــلا
لما رآنى نائـــــــــلا ثروة
أظنـــه يحسبنـــى عاقـــلا

أما قول الشاعر أبى تمام فى هذا المعنى فقد أوفى على الغاية :

ينـال الفتـى من دهـره وهـو جاهـل
ويكـدى الفتـى من دهـره وهـو عالم
ولـو كانت الأرزاق تأتى على الحجـا
هلكـن ـ إذن ـ من جهلهـن البهائم

الشاعر العباسى وشواهد البلاغة :

هذا الشاعر الأديب لم يكن حظه من الأدب قول الشعر فحسب بل كان أديباً محلقًا ، واسع العلم والثقافة ، وقديما قال أهل الحكمة : الأدب فى مفهومه أن يأخذ الأديب من كل فن بطرف .

والدليل على ذلك أنه أقبل على كتاب «تلخيص المفتـاح فى المعـانى والبيـان» للإمـام القزوينـى

المعروف بخطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ ، وهو كتاب يعد من أعظم ما أُلِّف فى البلاغة ، ولذلك تناوله العلماء بالشرح والتعليق والتلخيص . وأساس هذا الكتاب هو «المفتاح» أى مفتاح العلوم للعلامة سراج الدين أبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد بن على السكاكى المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، وهو الذى يقول فيه الشاعر :

يامن يريد من العلوم مرامه
فافهم بِجِدِّك نسخة المفتاح
ليس الوصول إلى المرام مُيسَّراً
إلا بإقبال على المفتاح
فاصرف عنانك عن مطالب غيره
واسأل له فتحاً من الفتاح

وقد كثرت شروح التلخيص كثرة فائقة ، وكان ذلك دليلاً على أهمية الكتاب .

ولكن الشاعر العباسى اتجهت همته إلى ميدان آخر يتفق مع موهبته الأدبية فى معالجة هذا الكتاب ، هو ميدان الشواهد البلاغية والتعليق عليها ، بما يُبين عن قدره اللغوى وحسه الأدبى .

وقد تحدث هو فى مقدمة كتابه عن منهجه ذلك بقوله : نصصت على أبحر تلك الشواهد العروضية ، ووضعت فى كل شاهد منها ما يناسبه من نظائره الأدبية ، وذكرت ترجمة قائله إلا ما لم أطلع عليه بعد التفتيش فى كتب الأدب ، والتحرى والاستقصاء فى الطلب ، ومزجت فيه الجد بالهزل والحزن بالسهل .. فجاء بحمد الله غريب الابتداع ، عجيب الاختراع ، بديع الترتيب ، رائع التركيب ، مفرداً فى فن الأدب ، كفيلا لمن تأمله بالعجب .

جهد الشيخ محيى الدين المشكور :

ولئُن كان الأديب العباسى قد أبدع فى كتاب معاهد التنصيص ، فإن محقق هذا الكتاب العلامة الشيخ محيى الدين عبد الحميد ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ وهو صاحب فضل سابق فى مجال التأليف والتحقيق قد أضفى على الكتاب صبغة جديدة ، وأخرجه لقراء العربية إخراجا جديدا ، ونقاه مما أصابه من تشويه وتحريف واضطراب ، وراجعه على مختلف نسخه الخطية ، وعلَّق عليه بما هو فى حاجة إليه مما يهم القارىء والأديب والمعلم والمتعلم ، وقد استطاع أن ينتخب من خلال النسخ الخطية للكتاب النسخة الكاملة الأنيقة لهذا السِّفْر الجليل . ومجهود الشيخ محيى الدين فى ميدان التحقيق لا يُجْحد ، وقد تحدث عنه العالم الفاضل الكبير الأستاذ الدكتور السيد الجميلى فى سلسلة مقالاته الرائعة عن «طبقات المحققين والمصححين» فى مجلة الأزهر ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى ما كتبه عنه فى عدد رمضان سنة ١٤١٦ هـ .

ولا ينبغى أن ننسى أن مجهود الشيخ محيى الدين وغيره من العلماء المحققين صورة جادَّة من صور التشجيع على طلب العلم والاقبال عليه ، لأنهم يَسَّروا أسبابه ، وهذبوا شعابه ، وقربوا شوارده ، وسهلوا موارده ، فجزاهم الله عن ذلك خير الجزاء .

وأرجو الله ــ تعالى ــ أن تكون لنا عودة إلى كتاب « معاهد التنصيص » لعرض بعض ما تضمنه من أسرار علمية وأدبية وطرائف فقهية ولغوية إن شاء الله ــ تعالى ــ وهو ــ وحده ــ ولى التوفيق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القـــراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهـــر الشريف

يقدمها فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السؤال من السيد/ س . و . ا

حيث إننى من أسرة ريفية وكنت قد قمت بالرضاعة مع أصغر أخوالى سنا من جدتى ولمدة سنة ولى أربعة من الأخوال غير خالى الأصغر والخالى الأكبر فتاة فهل يجوز لى الزواج منها وما الحكم ؟ وهل يجوز لأحد إخواتى الزواج من إحدى بنات أخوالى :

الجـــــواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد فنفيد أن رضاعك من جدتك لأمك خمس رضعات متفرقات متيقنات فى زمن الرضاع وهو الحولان .

صرت ابنا للجدة وأخا لأولادها ، فلا يجوز لك الزواج من بنات خالتك أو بنات أخوالك لأنهن صرن بنات إخوة لك ، وبنات الأخ وبنات الأخت من المحرمات شرعا لحديث (يحرم من الرضاع ما من النسب) .

ويجوز لإخوتك الذين لم يرضعوا من جدتهم الزواج من بنات أخوالهم وبنات خالتهم . لأنه لا مانع شرعا أن يتزوج الرجل أخت أخيه من الرضاع والله تعالى أعلم .

السؤال : سيدة طهرت من الحيض قبل المغرب بنحو ساعة ، فماذا تصلى بعد أن تغتسل ؟ وما معنى الضرورة فى الصلاة ؟ وما هى الضرورة التى تبيح للمصلى تأخير الصلاة عن وقتها ؟

الجـــــواب

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد .. فنفيد بأن المرأة إذا طهرت من حيضها واغتسلت قبل المغرب وبقى مايسع خمس ركعات فإنه يجب عليها أن تصلى الظهر والعصر . لأن وقت الظهر الضرورى يمتد من دخول وقت العصر حتى قبل المغرب بخمس ركعات .

وكذلك إذا طهرت قبل الفجر وبعد غسلها بقى على طلوع الفجر ما يسع أربع ركعات فإنها تصلى المغرب ـ ثلاثاً ـ وتبقى ركعة تدرك بها العشاء ـ بمعنى أنه يجب عليها أن تصلى المغرب والعشاء لأنها طهرت ووقتها باق فيلزمها صلاتهما معاً .

أما عن الضرورة فهى مطلقاً . الأمر الذى يواجهنى ولا قدرة لى على دفعه ولا إرادة لى فيه .

وأما عن الضرورات التى تبيح للمصلى تأخير الصلاة عن وقتها .

فليزم أولاً أن تعرف أن للصلاة وقتا اختيارياً ومعنى أنه اختيارى أنه يمكن للمكلف أن يؤخر الصلاة فيه بدون عذر من غير إثم .. وللصلاة وقت ضرورى ، ومعنى أنه ضرورى أنه لا يجوز للمكلف أن يؤخر الصلاة من غير عذر شرعى وإلا أثم .

والأعذار التى تبيح تأخير الصلاة فى الوقت الضرورى هى :

(١) الصبى إذا بلغ فى الوقت الضرورى أدى صلاته ولا إثم عليه فى التأخير لأنه لم يكن بلغ .

(٢) المغمى عليه والمجنون إذا أفاق كل منهما فى الوقت الضروى ولا إثم عليهما .

(٣) النائم الذى لم يستقيط إلا بعد الوقت .

(٤) الناسى الذى لم يتذكر إلا بعد الوقت الضرورى .

(٥) فاقد الطهورين .

(٦) الحائض .

(٧) النفساء .

(٨) من سكر بحلال أما من سكر بحرام فعليه إثم السكر وإثم تأخير الصلاة .

(٩) وأخيرا المكره .

هذا إذا كان الحال كما ذكـــــر فى السؤال والله ـ تعالى ـ أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« أربع كلمات »

قال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ :
الموعظة فى ثلاث آيات من كتاب الله ـ تعالى ـ :
﴿ أتأمرون النّاسَ بالبرِّ وَتنسَوْن أنفُسَكمَ ﴾ .
﴿ يأيهَا الذّين آمنوا لِمَ تقولُون مَا لاَ تفعَلُون ﴾ .
﴿ وما أُريد أنْ أُخالِفَكُم إلىَ ما أنهاكُمْ عَنْهُ ﴾

« الموعظة فى آيات »

أربع كلمات من أربعة كتب :
من التوراة : من « قنع شبع » .
ومن الإنجيل : من « اعتزل نجا » .
ومن الزبور : من « سكت سلم » .
ومن القران :
﴿ ومن يَعتَصم باللّهِ فَقَد هُدِىَ إلى صِرَاطِ مستقيم ﴾ .

« حتى تنال العلم »

أخى لن تنال العلم إلا بستة
سأنبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة
وصحبة أستاذ وطول زمان

« حقــا »

اعدل فيما وليت ، واشكر الله على ما أوليت ، يمدك الخالق ، وتودك الخلائق .

« من أين حشرت علينا البهائم » ؟

سأل رجل « أبا عبيدة معمر بن المثنى ، وهو يلقى درسا فى مسجد البصرة ، فقال له : يرحمك الله . ما العنجيد ؟، فقال : ما أعرف هذا ، فقال : سبحان الله ، فأينك من قول الأعشى :

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد
سد تلبع تزينـه الأطـواق

فقال : عافاك الله « عن » حرف جاء لمعنى « والجيد » هو العنق .

ثم قام آخر فى المجلس ، وقال : يا أبا عبيدة ؟ رحمك الله ، « ما الأودع » ؟ ، فقال : عافاك الله ، ما أعرفه ؟ قال : سبحان الله ، فأينك من قول العرب : « زاحم بعود أو دع » فقال : ويحك : هاتان كلمتان ، والمعنى : اترك وذر ، ثم استغفر الله واستمر فى الدرس ، فقام رجل ، فقال : رحمك الله أخبرنى عن « كوفاً » ، فقال : رويت أنساب العرب ، وأسماءهم ، ولست أعرف : « كوفاً » ، قال : فأين أنت من قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **والْهَدْىَ مَعْكُوفاً** ﴾ . فأخذ نعليه وخرج من المسجد ، وهو يصيح : من أين حشرت علينا البهائم اليوم ؟

« نصيحة »

قال جعفر بن محمد : لا تكونن أول مشير ، وإياك والرأى الخطير ، وتجنب ارتجال الكلام ، ولا تشيرن على مستبد برأيه ، ولا على متلون ، ولا على لحوح .

« ثـــلاث »

قال إبليس ـ لعنه الله ـ : ثلاث من كن فيه أدركت حاجتى منه :

من استكثر علمه ؛ ونسى ذنبه ؛ وأعجب برأيه .

«رثاء أعرابية »

وقفت أعرابية على قبر أبيها وقالت :

الله عوض عن فقدك ، وفى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أسوة فى مصيبتك ، ربٌ نزل بك عبدك خاليا من الزاد ، غنيا عما فى أيدى العباد ، فقيرا إلى ما فى يدك يا جواد ، وأنت خير من نزل به المؤَمِّلون ، واستغنى بفضله المقلُّون ، وولج فى واسع رحمته المذْنبُون ، فليكن قرى عبدك منك رحمتك ، ومهادُه جنتك .

« دعـــاء »

إلهى لست للفـردوس أهـــلا
ولا أقــوى على نار الجحيم
فهب لى توبـة واغفـر ذنـوبى
فإنك غافـر الـذنب العـــظيم

الحكم الشرعي للتأمين الاجتماعي (●)

٦

للدكتور/ عبدالله مبروك النجار

والتأمين الاجتماعي - كما هو معروف - هو الذى تقوم به الدولة نفسها ، أو تعهد بإدارته إلى إحدى هيئاتها العامة ، وهو يستهدف تأمين طبقات الشعب ضد أخطار معينة ، كالمرض والعجز ، وكتأمين العمال ضد البطالة .

وما ذلك التدخل من قبل الدولة إلا لأن المصلحة المراد حمايتها فيه مصلحة عامة ، تتمثل فى مصلحة الطبقة العامة فى مجموعها ، فهذا التأمين يصدر عن اعتبار اجتماعى يستند إلى فكرة التضامن الاجتماعى مع فئة تعتمد فى معيشتها على كسب العمل ، لذلك تساهم الدولة مع أصحاب الأعمال والعمال فى حمايتهم من أخطار المهنة ، وهو تأمين إجبارى تفرضه الدولة لرعاية العاملين من أخطار العمل ، وجعل هذا التأمين إجباريا يقصد من ورائه تحقيق مصلحة عامة لأهمية دور الطبقة العاملة فى الاقتصاد القومى[1] ونبين الحكم الشرعى للتأمين الاجتماعى فى مبحث أول ، ثم نبين طبيعة الحق فى التأمين الاجتماعى فى مبحث ثان .

المبحث الأول

مشروعية التأمين الاجتماعي

وهذا النوع من التأمين جائز عند جميع الباحثين فى عقد التأمين ، وهو عندنا كذلك ، ذلك أن أساس المنع من التأمين هو الغرر ، وهو يقتصر على عقود المعاوضات دون التبرعات ، وفقا لما ذهب إليه الإمام مالك - رضى الله عنه - ، ومن نحا منحاه من المجتهدين ، ونظام التأمينات الاجتماعية لا يدخل فى عقود المعاوضات ، فليست الدولة فى مركز المعاوضة

(●) الحديث فى التأمين مطروح على العلماء وليس خاصاً بالكاتب ، فيمكن مراجعته للوصول الى الحقائق الشرعية . مجلة الأزهر .

(١) د. حسام الأهوانى - ص ٢٨ وما بعدها ، د. أحمد شرف الدين - ص ٢٣ ، د. عبدالمنعم البدراوى - ص ١٧٥ .

الذى يطلب مقابلا لما بذل ، ويسعى فى تحديد هذا المقابل إلى طلب الربح الذى يتمثل فى زيادة ما يأخذ على ما يعطى ، بل على العكس من ذلك ، فالدولة تساهم مع العمال ، وأرباب الأعمال بجزء من المال العام ، تحقيقا لمقاصد التأمين[٢] ، وهذا المال المدفوع منها أشبه بالتبرع المبذول منها بحكم ولايتها على عمالها وحرصها على مصالحهم .

ولما كانت التأمينات الاجتماعية تقوم على التعاون على البر ، والتضامن الاجتماعى فلا تفسدها الجهالة الفاحشة أو الغرر ، ولا تعتبر زيادة مبلغ التأمين فيها عن الاشتراكات المدفوعة ربا[٣] .

وقد قرر مجمع البحوث الإسلامية فى مؤتمره الثانى : أن نظام المعاشات الحكومى وما يشبهه من نظام الضمان الاجتماعى المتبع فى دول أخرى كل هذا من الأعمال الجائزة[٤] .

ولم اقرأ رأيا لفقيه أو باحث فى فقه الشريعة يقضى بتحريم التأمينات الاجتماعية أو نظام المعاشات ، سوى ما قرره أستاذنا : الدكتور رمضان حافظ عبدالرحمن : من انه محرم شرعا ، لوجود الغرر والمقامرة فيه[٥] .

ونحن لا نوافق أستاذنا على هذا الرأى ، لأن علاقة المستأمن فيه بالدولة علاقة تضامن وتعاون ، ولا ينظر فيه إلى الربح من قبل الدولة ، وبالتالى لا يؤثر فيه الغرر ، ومما يدل على مشروعية مثل هذا النوع من التأمين ما ذكره صاحب الخراج : أن عمربن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ مر يوما بباب قوم وعليه سائل يسأل ، شيخ كبير ضرير البصر ، فضرب عضده من خلفه وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ قال : يهودى ، قال : فما ألجاك إلى ما أرى ؟ ، قال : أسأل الجزية والحاجة والسن ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، وأعطاه شيئا من المال ثم أرسل إلى خازن بيت المال ، فقال : أنظر هذا وضرباءه فوالله ما انصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذ له عند الهرم ، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[٦] .

ومثل هذا التصرف من عمر ـ رضى الله عنه ـ يدل على أن تأمين العجزة والشيخوخة وأمثالها مما يجب أن تقوم به الدولة ، لأن السلطان ولى من لا ولى له ، كما تدل على أن المال المبذول من قبل الدولة فى هذا النوع من التأمين إنما هو محض تبرع .

كما أن العهد الذى أبرمه خالد بن الوليد نائبا عن الخليفة الأول أبى بكر الصديق لأهل الحيرة جاء فى أحد نصوصه : « وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال

(٢) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص ٤٦ .

(٣) د. عبدالناصر العطار ـ ص ٧١ وما بعدها ؛ الشيخ محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ ص ٥١٥ .

(٤) كتاب مجمع البحوث الإسلامية ، المؤتمر الثانى ـ ص ٤٠١ .

(٥) موقف الشريعة الإسلامية من الميسر والمسابقات الرياضية ـ ص ١٧٦ .

(٦) الخراج ـ لأبى يوسف ـ ص ١٣٦ ـ المكتبة السلفية ومطبعتها سنة ١٣٩٢هـ .

المسلمين ، وعياله ما أقام بدار الإسلام[٧] .

أدلة مشروعية التأمين الاجتماعى :

ولئن كان ما سبق من آثار أبى بكر الصديق وعمر - رضى الله عنهما - يمكن أن يستدل منه على مشروعية مثل هذا النوع من التأمين ، إلا أن هناك أدلة أخرى كثيرة يمكن أن يستدل منها على **مشروعيته ، فإذا** كان التأمين الاجتماعى هو نوع من التكافل الذى تلتزم به الدولة تجاه العاملين بها وفاء لحقهم ، وتقديرا لما بذلوه من عمل نافع خلال مدة خدمتهم ، فإن مثل تلك الرعاية للعاملين تعتبر من ضمن ما قرره الإسلام لحقوق العاملين ولعل ما يدل على ذلك من سنة النبى ﷺ ما يلى :

١ - ما روى عن ابن عمر - رضى الله عنه - أنه ﷺ قال : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالأمير الذى على الناس راع وهو مسئول عنهم »[٨] ، حيث دل هذا الحديث على أن الإمام باعتباره ممثلا لدولة ترعى أبناءها ، وتحوطهم بكل أسباب العناية ، مسئول عن رعاية أبناء دولته ، ومن صور تلك الرعاية تقرير ما يكفيهم من المعاش اللازم لقيام حياتهم ، وحياة أبنائهم من بعدهم ، ومثل ذلك مما سيسأل عنه الإمام أمام الله - عز وجل - إذا هو قصر فيه ، وفى هذا الحديث ما يمكن أن يدل على مشروعية التأمين الاجتماعى .

٢ - ما رواه أبوداود فى سننه أنه ﷺ قال : « من ولى لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا ، أو ليس له زوجة فليتخذ زوجة ، أو ليس له دابة فليتخذ دابة »[٩] ، وقد دل هذا الحديث على حق العامل فى أن تكفل له الدولة ما يقوم بمؤن حياته المطلوب من الطمأنينة على أهله وولده فيتفرغ للعمل ويؤديه على النحو المطلوب ، ولئن كان الحديث واردا فى مجال قسمة الفىء إلا أنه يدل فى الجملة على جواز التأمين من الأعباء الاجتماعية ، وتقرير الكفاية لها على الدولة .

على نحو يقدر معه على التفرغ الكامل لما يمليه واجبه الوظيفى ، حتى يستطيع أن يؤدى العمل المنوط به ، بذهن صاف وبال خال مما يشغله ، وقد أشار الحديث الشريف إلى عدد من أهم ما يحتاج الإنسان إليه فى حياته ، كالمنزل والزوجة والدابة أو ما يقوم مقامها من السيارات وغيرها ، فمثل ذلك مما يمكن أن يدخل فى واجبات الدولة تجاه العاملين .

ولئن كان الحديث قد ذكر تلك الأشياء وهى على تلك الدرجة من الأهمية فى حياة العامل فإن ما هو أكثر منها أهمية بالنسبة له ، أن يطمئن على من يعنيه أمرهم بعد وفاته ، وهم أبناؤه وزوجته ، فرعايتهم وتقرير التأمين الاجتماعى الذى يكفلهم بعد مماته يكون من الأمور المشروعة .

---

(٧) الخراج لأبى يوسف - ص ٣٠٦ - طبعة دار الشروق ١٩٨٥ م ، وقد وضع عمر بن الخطاب لجماعة من المجذوبين النصارى - حين مر بهم فى رحلته إلى الشام - معاشا يكفيهم من بيت مال المسلمين ، المرجع نفسه - ص ٢٧٨ وما بعدها .

(٨) الفتح الكبير فى ضم الزيادة إلى الجامع الصغير - جـ ٢ - ص ٢٣٠ ، والأموال لأبى عبيد ص ١٠ .

(٩) رواه أبو داود فى سننه : راجع : سنن أبى داود - جـ٢ - ص ١٣٣ ، وقد جاء برواية أخرى عن الحارث بن يزيد عن جبير بن نفير ، عن المستورد بن شداد ، قال سمعت النبى ﷺ يقول : « من كان لنا عاملا فليكتسب زوجة ، فإن لم يكن له خادم فليكتسب خادماً ، فإن لم يكن له مسكن فليكتسب مسكنا » ، قال أبو بكر أخبرت أن النبى ﷺ قال : « من اتخذ غير ذلك فهو غال أو سارق » .

٣ ـ ما روى عن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ كان إذا أتاه الفىء قسمه فى يومه ، فأعطى الآهل حظين ، وأعطى العزب حظا ، زاد ابن الصفى : فدعينا وكنت أدعى قبل عمار ، فدعيت فأعطانى حظين وكان لى أهل ، ثم دعى بعدى عمار بن ياسر فأعطى له حظا واحدا[١٠] .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث : أن رسول الله ﷺ كان يوزع الفىء على قدر المغارم الاجتماعية ، حيث كان يعطى الآهل « أى المتزوج الذى يعول أهلا » ضعف ما يعطيه للعازب ، وفى هذا دلالة على الأعباء الاجتماعية ، مما يجب أن تؤخذ فى الاعتبار .

٤ ـ وما رواه الزهرى عن سلمة عن جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ كان يقول : « أنا أولى بكل مؤمن من نفسه ، فأيما رجل مات وترك دينا فإلى ، ومن ترك مالا فلورثته »[١١] ، وقد جاء الحديث براوية أخرى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ : « من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فإلينا » ، والمراد بالكل هنا العيال[١٢] .

ووجه الدلالة فى هذا الحديث على المطلوب :

أنه قد دل بروايتين على ما يجب أن يتقرر للذرية من رعاية تلتزم بها الدولة ، يستوى فى تلك الدلالة على المطلوب ما جاء فى رواية جابر ـ رضى الله عنه ـ : « من ترك دينا فإلى ، ومن ترك مالا فلورثته » ، حيث إن تحمل الرسول ﷺ بالدين عن كاهل المتوفى مع تركه مالا يخصص كله لورثته ، فيه من التوسعة على الذرية مالا يخفى ، حيث يتسلم لهم مال مورثهم كله دون أن يزاحمهم الدائنون فيه ، وفى ذلك من التوسعة عليهم وضمان الحياة الكريمة لهم مالا يخفى .

أما رواية أبى هريرة فهى واضحة الدلالة على المطلوب حيث يقول فيها النبى ﷺ : « من ترك كلا ، أى عيالا ، فإلينا » ، أى أن علينا شمول أولاد المتوفى بالرعاية التى تكفل لهم الحياة الكريمة بعد موت عائلهم ، وعلى العموم فإن الحديث يدل على مشروعية تقرير نوع من التأمين يضطلع بمثل تلك الغاية .

٥ ـ بما رواه الطبرانى فى الأوسط عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن أبى هريرة أنه ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين فى الجنة ـ وأشار إلى الوسطى والسبابة ـ والساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله »[١٣] ، ولا يخفى ما يدل عليه هذا الحديث من مشروعية كفالة اليتيم والأرملة والمسكين ، وهو ما يمكن أن يدخل تحت مظلة التأمين الاجتماعى فيكون مشروعا بالحديث .

المبحث الثانى

طبيعة الحق فى التأمين الاجتماعى

وقد أثار الحق فى التأمين الاجتماعى الذى تقوم

---

(١٠) سنن أبى داود ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٥ وما بعدها .

(١١) رواه أبو داود : راجع : سنن أبى داود فى باب أرزاق الذرية ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٦ ، وقد روى مثله عن جعفر عن أبيه عن جابر ، كما روى مثله ـ أيضاً ـ عن عدى بن ثابت عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

(١٢) حاشية الشيخ أحمد سعد ، على سنن أبى داود ـ جـ ٢ ـ ص ١٣٦ ، هامش (١) الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣ ، والكل (بفتح الكاف وتشديد اللام) فى اللغة : اليتيم ، راجع : القاموس المحيط ـ جـ ٤ ـ ص ٤٦ ـ الطبعة الثانية سنة ١٩٥٣ م .

(١٣) راجع : صحيح الجامع الصغير ـ للألبانى ـ حديث رقم ١٤٧٦ ـ المكتب الإسلامى .

به الدولة اختلافا فى الرأى حول طبيعته ويمكن إرجاع أقوال الباحثين فى هذه المسألة إلى رأيين :

الأول : يرى أن الحق فى التأمين الاجتماعى يغلب عليه جانب التبرع من الدولة ، وهو لا يمكن أن يدخل فى نظام المعاوضات ، ذلك أن الدولة ليست فى مركز المعاوض الذى يطلب مقابلا لما بذل ويسعى فى تحديد هذا المقابل إلى طلب الربح الذى يتمثل فى زيادة ما يأخذ على ما يعطى ، بل على العكس من ذلك ، فإن الدولة تساهم مع العمال وأرباب الأعمال بجزء فى مال النظام[١٤] ، ولا يقلل من صفتها التبرعية تلك أن يكون لتلك التأمينات عوض يتمثل فيما يدفعه العاملون من اشتراكات تحدد الدولة مقدارها ، فإن ما يدفع لهم من معاش أو تأمينات اجتماعية ، إنما هو هبة لا يراعى فيها مقدار هذه الأقساط ، ومهما يكن من أمرها فإنها قد تكون هبة بمقابل ، أو هى اشبه بهبة بعوض ، وذلك لا يخرجها عن معنى التبرع[١٥] ، فنظام التأمين الاجتماعى ليس تعاقدا ، وإنما هو نظام يدفع فيه المؤمن عليه الاشتراك كضريبة تفرضها الدولة للمصلحة العامة ، وهو نظام قصد به تقديم المعونة لمن تتوافر فيه الشروط استحقاقها[١٦] ، وذلك دون نظر إلى أن يكون ذلك نتيجة معاوضة بينها وبين ما دفع من اشتراكات ، فالرصيد المشترك الذى تدفع منه المستحقات تكون مما يدفعه المؤمن لهم مضافا إليه ما يدفعه أصحاب الأعمال ، وتخصصه لهم الحكومة على سبيل المعونة ، وقيام الدولة بهذه المعونة ليس إذن بمقتضى تعاقد ، وإنما هو تدبير اجتماعى يدخل فى نطاق ما يطلب من الحكومة أن تقوم به من الأعمال فى سبيل إقرار النظام وتدبير وسائل العيش والرفاهية والأمن للأفراد[١٧] ، وذلك مما يدخل ضمن التزام الدولة بحكم وظيفتها فى كفالة العاملين فى خدمته ، دون أن يكون ذلك فى مقابلة ما دفعه الموظف أو العامل[١٨] .

الثانى : يرى أن نظام التأمين الاجتماعى له شبه بعقود المعاوضات ، لأن التأمين الذى يحصل عليه من الدولة لا يتمخض عن خالص تبرع منها ، وإنما هو مشروط بأداء قسط الاشتراك إليها من المستأمن على النحو الذى تقرره مواد قانون التأمين الاجتماعى ، وخاصة المواد « ٦ ، ٧ ، ١٧ »

---

(١٤) د. حسين حامد حسان ـ السابق ـ ص ٤٦ ، د. عبدالناصر العطار ـ السابق ـ ص ٧٢ ، وفى هذا المعنى : محمد أبو زهرة ـ أسبوع الفقه الإسلامى ـ ص ٥١٥ ، وعيسوى أحمد عيسوى ـ مجلة العلوم القانونية عدد يوليو سنة ١٩٦٢ م ص ٥١ .

(١٥) د. عبدالناصر العطار ـ المكان السابق .

(١٦) الشيخ على الخفيف ـ التأمين ـ ص ٣٢ ، بحث مقدم للمؤتمر الثانى لمجمع البحوث الإسلامية على الإستنسل ، وعيسوى أحمد عيسوى ـ المكان السابق ، ومحمد الحماد ـ السابق ـ ص ٢٨ .

(١٧) الشيخ على الخفيف ـ المرجع نفسه ، عيسوى أحمد عيسوى ـ المكان السابق ، ومحمد السيد دسوقى ـ التأمين وموقف الشريعة الإسلامية منه ـ ص ١١٥ طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، عبدالسميع المصرى ـ التأمين الإسلامى بين النظرية والتطبيق ـ ص ٩ الطبعة الثانية مكتبة وهبة ، د. محمد زكى السيد ـ نظرية التأمين فى الفقه الإسلامى ـ ص ٤٥ ـ دار المنار الطبعة الأولى .

(١٨) وأبو المجد حرك ـ من أجل تأمين إسلامى معاصر ـ ص ١١٨ ـ دار الهدى للنشر ، وراجع : د. يوسف قاسم ـ ص ٢١٨ ، حيث يقرر : أن التأمين الاجتماعى لا ينبغى أن يكون محلًا لخلاف ، فهو عمل اجتماعى تقوم به الدولة خدمة لمواطنيها بقصد تأمين مستقبلهم ، ودرء أثر الحوادث المفاجئة ، فهى قد التزمت به تبرعاً منها ، ولا يعود عليها نفع من ورائه ، وإنما النفع كله يعود إلى الأفراد المنتفعين بهذا النظام .

(١٩) أبو المجد حرك ـ السابق ـ ص ١١٩ .

منه ، ودفع الاشتراك المقرر بالقانون يعد شرطا من شروط استحقاق التأمين ، وإذا كان القسط الذى يدفعه العامل أيا كان مقداره يعد مقابلا لاستحقاقه المعاش وفقا للقانون مما يحقق شكل المعاوضة المالية بالنسبة للعامل ، إذ يستفيد التعويض المالى عند الاستحقاق مقابل أقساط مالية لا تتساوى فى القيمة المالية ، وهو ما يؤدى إلى الوقوع فى محظور الربا[٢٠] ، ولهذا يرى البعض أن عقد التأمينات الاجتماعية لكى يكون صحيحا ، يجب أن يعفى العامل من دفع أية حصة أو أقساط ، لأن ذلك سيكون تبرعا من صاحب العمل فى الأقساط ، وهو طرف ، والحكومة فى التعويض وهى طرف آخر ، والعامل الذى يأخذ التعويض كطرف ثالث ، فالمبادلة هنا تمت بين ثلاثة أطراف المتبرع فيها غير المستفيد ، وهذا هو الأقرب للعدالة ، ثم إن العقد بهذه الصورة يقوم على الحق لا الاشتراك ، هنا لن تقع فى الربا ؛ لأنها لن تكون مبادلة نقد بنقد ، ويكون العقد تبرعيا من جانب العمل والحكومة[٢١] .

نتائج هذا الرأى :

ومما يمكن أن يترتب على هذا الرأى أن اعتبار التأمين الاجتماعى نوع من عقود المعاوضة يجعل ما يستحق للعامل بناء على انعقاد سبب استحقاق هذا المعاش ملكاً له ؛ وبالتالى فإنه ينتقل إلى من يخلفه ، ولكن على أساس الميراث الذى قدره الله شرعاً ، وفقاً لأنصبته المستحقة للورثة ، ولشروط استحقاق تلك الأنصبة ، وبالتالى لن يكون مقبولًا لدى هذا الاتجاه ما يقرره القانون فى توزيع المعاش على غير هذا الأساس ، ومن ذلك ما تقضى به المادة (١٢١) من قانون التأمين الاجتماعى الحالى ، والتى تنص على أنه : « تستحق المبالغ المنصوص عليها فى المادة السابقة لمن يحدده المؤمن عليه ، أو صاحب المعاش ، فإذا لم يحدد أحداً تستحق للأرمل ، وفى حالة عدم وجوده تستحق للأبناء والبنات الذين تتوافر فى شأنهم شروط استحقاق المعاش المنصوص عليها فى المادتين ١٠٧ ، ١٠٨ »[٢١] . حيث إن تلك المادة قد جعلت تحديد المستحقين فى المعاش للمؤمن عليه ، وفى هذا ما قد يؤدى إلى مخالفة أحكام الميراث الشرعية ، إذا خالف هوى المؤمن عليه ما قرره الله ورسوله بالنسبة للورثة ، حين يحرم وارثاً له حق مقرر شرعاً ويقدم عليه غيره ، أضف إلى ذلك أن شروط الاستحقاق ، قد تعطى لغير من له حق فى الميراث نصيباً فى معاشه فالزوجة المطلقة قد يكون لها حق فى المعاش ، رغم أن الطلاق يفصم رابطة الزوجية (مادة ١٠٥) من القانون المذكور ، والأخوة والأخوات يستحقون معاشاً مع أولاد المتوفى الذكور والإناث ، إذا ثبت أن المؤمن عليه كان يعولهم (مادة ١٠٩) من قانون التأمين الاجتماعى ، كما أن المعاش قد يرفع عن مستحقه بعد ثبوته له ، فالإبن لا يستحق معاشاً بعد بلوغه سن الحادية والعشرين ، إلا إذا كان طالباً بأحد مراحل التعليم التى لا تجاوز مرحلة الحصول على مؤهل الليسانس أو البكالوريوس أو ما يعادلها ،

(٢٠) يوسف كمال ــ الزكاة وترشيد التأمين المعاصر ــ ص ١٣٤ ــ الطبعة الأولى ــ دار الوفاء .

(٢١) هذه المادة معدلة بالقانون ٢٥ لسنة ١٩٧٧ م ؛ ثم عدلت الفقرتان الأولى والثانية بالقانون رقم (٧ لسنة ١٩٨٧) .

وفى هذه الحالة ترفع سن الاستحقاق إلى ست وعشرين سنة ، وفى جدول توزيع المعاش على المستحقين(٢٢) وفقاً لنظام التأمين الاجتماعى نجد أن الزوجة مع الأولاد يكون لها النصف وللأولاد النصف يقسم بينهم بالتساوى والإخوة والأخوات يأخذون الربع مع الزوج أو الأرملة التى يستحق ثلاثة أرباع المعاش .. إلخ ، وهكذا نجد هناك اختلافات كثيرة عن وجوه الاستحقاق وفقاً للتقدير الشرعى وبالطبع فإن مثل هذا الاختلاف لن يروق رأى من ينظر إلى هذا النوع من التأمين على أنه من عقود المعاوضات(٢٣) .

رأينا فى الموضوع :

والذى يترجح لنا أن التأمين الاجتماعى يغلب عليه طابع التبرع والضمان من قبل الدولة ، ذلك أن الصفة التعويضية فيه تقتضى أن يكون هناك عقد يبرم بين العامل والدولة ، يقتضى اختلاف المصالح وتباين المراكز ، وهذا مالا وجود له فى الواقع ، لأن الدولة تفرض نظام التأمين الاجتماعى على نحو يجعله نظاماً قانونياً يستظل جميع العاملين به ، ولا يلمس لمبدأ سلطان الإرادة فيه أثر ، بل إن العامل لا يملك بإرادته أن يرفض هذا النظام ، وهذا ما يرجح غلبة الصفة التبرعية فيه ويجعله نظام تبرع ورعاية وتضامن من قبل الدولة يغتفر فيه الغرر ويتلاشى الربا .

ولئن كان هناك مقابل يتمثل فى قسط التأمين ؛ فإن ذلك لا يمثل مقابلاً للتأمين ، وإنما هو إسهام مالى من العامل فى قيام نظام التأمين الاجتماعى لا يراعى فى تقديره موازنة القيمة بين ما يدفعه وما سيأخذه ، لأن الدولة متبرعة بالزيادة التى تبذلها فى المبالغ التى يتقاضاها العامل أو من يستحقون عنه عن قيمة الأقساط التى يدفعها ، وقد ألزمت الدولة نفسها بذلك من منطلق واجبها المتمثل فى رعاية مواطنيها ، وشمولهم بكل أنواع الضمان والرعاية ومنها التأمين الاجتماعى(٢٤) .

إلَّا أنه مهما تكن طبيعة التأمين الاجتماعى فإنه فى النهاية يتمخض عن حق للمؤمن أو للمستفيد وهذ الحق يجد سنداً قوياً له من نصوص القانون التى تنظم حق العامل فى التأمين ، ومن طبيعة التأمين فى ذاته ، كنوع من التكريم للعامل الذى أفنى عمره فى خدمة الدولة أو المجتمع ويكون من حقه بعد أن صار شيخاً أو مريضاً ، أو عاجزاً أن يكافأ بما يضمن له الحياة الكريمة عن عجزه وحاجته فهو امتداد لمستحقات العامل فى الأجر ، ويكون حقه فيه ثابتاً على نحو يتمكن معه من مقاضاة الدولة عند منعه عنه ، فإذا كان كذلك كان مثله كمثل أى مال من أموال العامل ، أو أى حق من حقوقه المالية ، وبالتالى فمن الصواب أن يتم توزيعه بعد وفاته على المستحقين وفقاً لنظام الميراث الشرعى ، فليس هناك أحسن مما قضى به الله ورسوله فى هذا الشأن .

بقى أن أذكر أنه إذا كانت هناك مآخذ يمكن أن تؤخذ على هذا النظام ؛ فهى تتمثل فى استثمار أمواله بالفائدة الربوية(٢٥)، وهذا ما لا يصح أن يكون .

---

(٢٢) الجدول رقم (٣) والمقرر بالقانون رقم (٧٩ لسنة ١٩٧٥) والمعدل بالقانون (٢٥ لسنة ١٩٧٧) وعمل به اعتبارا من ١٩٧٥/٩/١ . كما عدل بالقانون (٤٧ لسنة ١٩٨٤) .

(٢٣) محمد الدسوقى ـ التأمين ـ السابق ـ ص ١١٥ هامش (٣) .

(٢٤) فى هذا المعنى د. يوسف قاسم ـ ص ٢١٩ .

(٢٥) د. يوسف قاسم ـ المرجع والمكان السابقان .

من أعلام الأزهر

محمد بخيت المطيعي

علم الإفتاء في عصره

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

عود على بدء ..

كتبت مقالًا ضافيا عن الأستاذ الكبير محمد بخيت المطيعى بمجلة الأزهر عددى شعبان ورمضان من سنة ١٤١٦هـ ، تحدثتُ فيه عن جهوده العلمية ، ونشاطه الوطنى الصادق ، ولكنّ الذين لا يُحِبّون أن يحمد لأعلام الإسلام فضلٌ فى مقاومة الباطل ، وإظهار الحق أوعذوا لمن يكتب فى صحفهم الحمراء أن ما قلته عن جهاد الشيخ السياسىّ مُلفق لا أهل له ، ولم يُشِرْ إليه من كتبوا تاريخ الثورة المصرية ، وكلمة مُلَفّق هذه تحمل عدة معان لا يعرفها صاحُب هذا القلم الجاد ، تبرأ إلى الله ــ تعالى ــ من خوضها ، فما كان الحديثُ عن أسماء لا معة وأحداث شهيرة ، ووقائع مدوية مما يجوز فيه التلفيق ، ولكنهم فى كتاباتهم المغرضة قد عرفوْا هذا التلفيق فيما اخترعوه من بطولات زائفة ، وأساطير موهومة ، فظنوا أن من يكتب التاريخ على وجهه الصحيح يخترع كما يخترعون، ويلفق كما يلفقون .

وإذا كان بعض من كتبوا تاريخ الثورة المصرية قد تجاهلوا المواقف الرائعة للشيخ وأمثاله ، فلأنهم اهتموا بمواقف الزعماء من رجال الأحزاب التى ينتمون إليها ، أما الحقُّ لوجه الحق وحده فلا يُسَطِّره غيرُ الفضلاء الأماثل ممنْ يعلمون أنَّ كتابة التاريخ شهادة أمام الله يُحاسَب عليها الكاتبُ يوم يقوم الناس لرب العالمين ، ومن هؤلاء فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الوهاب النجار أستاذ التاريخ الإسلامى ، بالجامعة المصرية والأزهر الشريف ، إذ كان يكتب تاريخ الثورة المصرية يوميا على صفحات البلاغ تحت عنوان « الأيام الحمراء » فهو مؤرخ معاصر للحوادث يتحدث عن مشاهدة وعيان ويصف ــ عن يقين لا يتطرق إليه الكذب ــ ما شاهده وسمع به ، وكان يكتب اليوميات مجردة عن التحليل السياسى ، ليضع المادة السياسية فى أيدى المحللين ، وذلك أول طريق التدوين الصحيح ، وقد قلت إن الرجل أستاذ التاريخ الإسلامى ، ومعناه فى المنطق الإسلامى الواضح أنّ اختصاصه يمتد إلى هذا العصر ؛ لأننا بحمد الله نعيشُ فى عصر الإسلام ، والتفرقة الاستعمارية التبشيرية فى تجزئة التاريخ الإسلامى إلى عهدين : عهد ينتهى بدخول الحملة الفرنسية ، وعهد يبتدىء بوجودها إلى الآن ويسمى تاريخ العصر الحديث ، هذه التفرقة باطلةٌ باطلة فكلُّ ما يقع الآن ، وما وقع من لَدُن ما يسمى بتاريخ العصر الحديث هو تاريخ الإسلام فعلا ، وقيام الثورات فى وجه الاستعمار ببلاد العرب وآسيا وأفريقيا ، هو فى صميمه من تاريخ الإسلام إذ قام به مسلمون مخلصون ، وحربُ فلسطين صفحةٌ من صفحات التاريخ الإسلامى ، فالذين يحاولون أن يفصلوا التاريخ المعاصر عن التاريخ العام للإسلام ماكرون خادعون والله من ورائهم محيط .

أتقدم بهذه التوطئة ، لأنقل ما كتبه ، **الأستاذ الكبير عبد الوهاب النجار** بمجلة الشبان **المسلمين فى** العددين : الأول والثانى (محرم وصفر سنة ١٣٥٥هـ) ، الموافق (إبريل ومايو سنة **١٩٣٦م)** حيثُ نشرت المجلة خُطبته الضافية التى ألقاها فى حفل تأبين المرحوم الأستاذ الشيخ **محمد بخيت** ـ رحمه الله تعالى ـ فتحدث عن جهوده الضافية فى حقْلى السياسة والدين ، وقد **أشرتُ إلى** هذه الخطبة فى مقالى السابق ، ولم يتح لى أن أرجع إليها حين دوَّنْتُ ما كتبت من قبل **فلما جوبهت** باعتراض الكاتب اضطررت إلى البحث عن الأصل الذى وعيت بعضه بذاكرتى **دون أن أقرأه** مجددا ، ووفقنى الله ، فرأيت الخطبة مدونة بالعددين المشار إليهما ، وقد حوت مالم **أشر إليه ، فكأن** الله ـ عز وجل ـ شاء لتاريخ الشيخ أن يكتب بكامله ، فأوجد من يعترض ، **ليدفعنى إلى** استكمال ما فات ! وقد صدق الله عز وجل حين قال : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ سُورَةُ غَافِر

حين انتهت الحرب العالمية الأولى بعد أن ضحَّتْ مصرُ فى ظل الأحكام العسكرية بأبنائها **وأقواتها ، ومواقعها** (الاستراتيجية) فى سبيل نُصرة الحلفاء رجاء أن تمنح استقلالها بعد الحرب ، **وقد بدت بارقة الأمل** فى تصريح (الرئيس ولسن) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية إذ أعلن أن **لكل دولة الحق** فى تقرير مصيرها ... حين ذلك بدأ سعد زغلول حركته السياسية مطالبا بانتهاء **الحماية على** مصر ، وقد خطب فى محفل زاخر بالوطنيين يعلن بطلان الحماية ، لأنها من طرف **واحد لم تُستشر** فيه مصر ، وأوجد إجماعا تامًّا على المناداة بالاستقلال ، وتألّف الوفد المصرى **برئاسته ، فعارضت** بريطانيا الحركة الوطنية بقوتها المسلحة فى مصر ، ووقفت سدا أمام تظاهر **الوطنيين تحت** زعامة سعد ، وفى أثناء ذلك ، عقد اجتماع بالأزهر يؤيد موقف سعد ، ويطالب **رئيس الوزراء** بالاستقالة إذا لم يجب المطالب الوطنية جميعها ، وذهب الأستاذ الشيخ محمد بخيت **على رأس جماعة** من الوطنيين لمقابلة حسين رشدى باشا ليبلغه بقرار المجتمعين فى الأزهر ، فوجد **منه كل قبول** وارتياح ، ورأى الشيخ بخيت أن يقابل جميع السفراء فى مصر ليبلغهم قرار **الوطنيين ، وقد** طبع منه عدة صور لتكون الدول جميعها عارفة بما تنويه مصر من الجهاد فى سبيل **الاستقلال ؛ فكان** وجود الشيخ بخيت على رأس الدّاعين إلى الجهاد سببا فى احترام المسئولين **بالمفوضيات لصدق** هذه الحركة ، وتمتعها بالتأييد الشعبى ، بتوجيه مفتى البلاد .

ثم تطورت الحوادث ، وسقط الشهداء فى كلّ مكان تحت رصاص الانجليز ، واعتقل سعد **ورفاقه** ، ورحلوا إلى منفاهم البعيد ، ولكن الثورة ازدادت لهيبا ، ورأت انجلترا أن توقع الشقاق **بين عنصرى** الأمة فأخفقت ، لأن منبر الأزهر كان مذياعا يخطب فيه الشيوخ والقسس معا تحت لواء واحد ، هو لواء الاستقلال ، ورأت بنرا أن ترسل اللورد ملنر ليحاول تفريق الشمل المجتمع ، فأصدر الشيخ بخيت فتواه بمقاطعة اللورد الوافد معلنا أن المفاوضة لن تكون إلا مع سعد

زعيم الأمة ، وهذا ما أشرت إليه فى مقالى ، ولكنى أضيف له اليوم ، نص ما قاله الأستاذ النجار حرفيا ، حين تحدث عن مقابلة ملنر لمفتى الديار المصرية الأستاذ محمد بخيت محاولا أن يستميله إلى حل وسط ، وقد ظنَّ أن وعوده الخالية ستحدث تأثيرها ، فيستطيع أن يطوى الشيخ بدبلوماسيته الماكرة ، وإذا أقنع الشيخ وهو صاحب الزعامة الدينية بمنصبه الكبير وصوته الجهير فسيكون ذلك نجاحا يقدر له فى وزارة الخارجية البريطانية ، وقد بدأ اللورد فذكر أن الانجليز قد ساعدوا المصريين على الرق ، وبجهودهم تقدّمت البلاد ، والحماية لا تضر المصريين فى شىء .

قال النّجار : مسجلًا رد المفتى الأكبر .. لقد استمع الشيخ إلى حديث اللورد حتى إذا انتهى منه قال له فى صراحة :

يا جناب اللورد ، إنّ المصريين يعرفون ما يضرهم وما ينفعهم ، ومطالبتهم بالاستقلال سبيل الخير لهم ولبلادهم فلو كانت انجلترا حريصة على مصلحتهم لما ما نعت فيه !

فحاول اللورد أن يتعلل بأن الحماية الانجليزية تمنع الدول الأوروبية من الاعتداء على مصر ، فقال له الشيخ صريحا : إذا كانت إنجلترا تريد حماية مصر من العدوان الخارجى ، فلها أن تفعل ذلك مع من تراه يتأهب للعدوان ، ولكن احتلالها هى للبلاد هو فى نفسه عدوان أى عدوان .

سكت اللورد .. فانتهز الشيخ فرصة سكوته ، وسأله قائلا :

ماذا تفعل انجلترا لو أرادت فرنسا أن تعلن الحماية عليها ؟ أتوافق على ذلك أم تعارض فى عنف ..؟

ففزع اللورد مستنكرا وقال : إنجلترا طول عمرها مستقلة بعكس مصر !

قال الشيخ : مصر عريقة فى المجد ، وأراد أن يذكر تاريخ مصر الذى ليس لانجلترا مثله فى القديم ، فقطع عليه اللورد حديثه بقوله الخادع : يحسن أن نتقابل فى منتصف الطريق .

فقال الشيخ لفوره : أنا موافق على هذا ، وعلى انجلترا حينئذ أن تسير هى الأخرى إلى النصف ، فتبدى خططها السياسية التى تتفق مع رغبات مصرية ، والمصريون طيّبو القلب ، ولكن إرادتهم قوية .. قوية » .

وانتهى اللقاء ، ونُشر ملخصه فى الصحف وقرأه سعد زغلول فى باريس ، فأرسل إلى حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد بخيت المطيعى هذه البرقية .

باريس فى ٢٦ يناير سنة ١٩٢٠م .

حضرة صاحب الفضيلة مفتى الديار المصرية ..

أكتبُ إلى فضيلتكم عن ابتهاجنا العظيم بالأجوبة التى أجبتم بها اللورد ملنر فى داركم العامرة فقد أيدت الحق بالحجج الناهضة ، ودحضت الباطل بالإنارات الواضحة ، وكانت

أحسن وقعا ، وأبلغ أثرا من المقاطعة ، ولا غرو ، فهى أجوبة أكبر مُفْتٍ فى الإسلام ، رضى الله عنكم ، وأرضاكم ، وسدد خطانا وخطاكم ، آمين ..

(سعد زغلول)

وإذا كان المال والمنصب هما من زينة الحياة الدنيا لدى من يؤثرون التمتع بالعرض الزائل ، متجاهلين ما قد يكون من وسائل هذا التمتع من حيدة عن الطريق القويم ، إذا كان هذا ؛ فإن الشيخ محمد بخيت قد كان فوق الإغراء بالمنصب والمال .

فقد أبطأت وزارة الحقانية فى تنفيذ حكم صدر عن المحكمة الشرعية التى يرأسها ، فكتب الشيخ إلى بطرس غالى باشا ناظر الحقانية إذ ذاك يعلمه أن السلطة التنفيذية إذا لم تقمْ بتنفيذ الحكم ، فإنه لن يصدر حكما فيما سيعرض عليه من القضايا ، وسيدعو زملاءه إلى التوقف حتى يتم التنفيذ الفورى ، ورأى ناظر الحقانية أن الموقف جدٌّ ، فبادر بالتنفيذ ، وقد كان الأمر متعلقا بمحاسبة نظار الأوقاف وبعضهم يمت إلى ذوى الأمر بأوثق الصلات ، ورأوا إصراره ، فأحرجوه حتى قدم استقالته سنة ١٩٠٤ ،وظلّ خارج الوظيفة مع كفاءته ، حتى علم اللورد كرومر أنه ذو إصرار على ما يعتقد أنه العدل ، فبادر بإعادته ! ومن طرائفه التى ذكرها الأستاذ النجار أنه رفض رجاء الخديوى عباس فى تنفيذ ما يراه فى صالح عمه الأمير حسين كامل ، فأصدر حكمه بما يخالف وجهة القصر ، **ثم عُين الأمير حسين كامل سلطانا على مصر ، فظنّ الشيخ أنه سينتقم لموقفه السابق ولكنّ السلطان دعاه وأثنى عليه وأمر بتعيينه مفتيا للديار المصرية قائلا : إن القاضى الذى يرفض رجاء حاكم مصر إذا خالف ما يعتقد جدير بأن يتبوأ أكبر منصب علمى فى البلاد !**

وهذه كما تحسب فى ميزان الشيخ تحسب أيضا فى ميزان السلطان حسين .

وقد كانت المحاكم المختلطة تطلب رأيه فى بعض القضايا فيصدر الحكم الشرعى ، ويجيئه أمر الفتوى كما هو متبع فى الاستشارات القانونية ، ولكن الشيخ يرفض ، لأنّ مكانته فى الإفتاء توجبُ عليه إصدار الفتوى دون أجرٍ فوق مرتبه المعتاد ..

● ● ●

هذا بعض ما نعرف عن الشيخ مما لمْ يُذكر من قبل ،وهو مُدوَّنٌ فى مجلة ذائعة ، وقد قيل فى خطبة علنية بدار الشبان المسلمين ونشرته الصحف فى حينها فما اعترض أحد !

فأيْن هو التلفيق فيما كتبت فى المقال السابق وما أكتبه فى هذا المقال ؟

والمصدر معروف باسمه وتاريخه ، والكاتب ـ الشيخ النجار ـ من أعلام الفكر الإسلامى المعاصر ..

أعرفُ أن جرائد الأمس كانت تضيق بآراء الشيخ المتحفظة ، فتبالغ فى نقده ، وقد كتبت له رسوما (كاريكاتورية) يرجع وزرها على من تجنى على الشيخ برسمها ، ولكن ذلك لن يبخس من قدره مثقال ذرة ، وهذه الرسوم فى عهد الشيخ قد شملت زعماء البلاد ووزراءها وذوى المكانة فيها ، فهل أنزلتهم من مكانتهم المرموقة ، أو حالت دون أن يذكرهم أبناء اليوم بالإعجاب والتقدير ؟

كذلك تحمل المفتى تسلط الساخطين وكيد الكائدين ثم لقى الله راضيا ، وذكر المخلصون فضله ، وإن جحده الجاحدون .

وما يقال عن الرسوم الكاريكاتورية يقال عن (الأزجال) التى نشرها الأستاذ محمود بيرم التونسى هجاء للأزهريين بعامة ، وللشيخ محمد بخيت بخاصة ، وكان هذا التجنى الفادح دافعا للأستاذ عبد العليم القبانى أحد مؤرخى بيرم التونسى أن يقول فى كتابه عنه[1] .

« وقد أتبع هجاء الشيخ محمد بزجل آخر لم يكن فيه منصفا ولا عادلا ، إذ جمع الأزهريين تحت لواء واحد من الخيانة والتجارة بالوطنية ، وهم قادة المظاهرات ، ونافخو روح الثورة بين الجماهير » .

وذكر الأستاذ مالا أجد داعيا لذكره من الهجاء الكاذب ، وإذا كان الأستاذ القبانى قد أنصف الأزهريين بقولة الحق ، فإنه لم ينصف الشيخ محمد بخيت حين نشر هجاء بيرم له ، فافترى التونسى عليه ما هو برىء منه ، إذ زعم أنه كان من رجال الانجليز لأنه شوهد مرّة فى السفارة !

وليت شعرى ماذا كان يصنع الشيخ فى السفارة ؟ وهو الذى جابه الانجليز برفض مبعوثهم إلى مصر ، ودعا الأمة إلى مقاطعته ، لقد طاف الشيخ على السفارات الأجنبية كلها ليبلغها رفض مصر للاحتلال وكان فى مقدمة السفارات سفارة المحتل الغاصب ، ليبلغها نصّ ما قام به من احتجاجات لدى سفراء الدول ؛ أفيكون ذلك مدعاة ذمّ له ؛ وقد قرأنا من قبل إعجاب زعيم الأمة الخالد سعد زغلول بمواقف الشيخ ذات الأثر الفعال فى إذكاء روح الثورة ! ورأى سعد يعصف بكل المفتريات التى ادعاها بيرم التونسى ، وهى مفتريات شملت الأزهريين جميعا ورمتهم بالنكول عن تأييد الثورة !! حين شبت الثورة فى صحن الأزهر ، وعرف القاصى والدانى ريادة العلماء للثائرين ، وكان شوقى أول من سجلّ هذه الظاهرة حين قال .

المهـــــد القـــــدسى كان نديّـــــه ... قطبـــــاً لدائـــــرة البـــــلاد ومحورا
ولـــــدت قضيتـــــه على محرابـــــه ... وحـــــبت به طفـــــلا وشبت معصرا ..

فليسترح اللاغطون ، فإنّ الله الذى أمر باتباع الحق قد تكفّل بإظهاره ساطعا واضحا ليمحو ظلام المرجفين .

---

(١) محمود بيرم التونسى للأستاذ عبد العليم القبانى ص ٨٥ .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

سوانح ومقتبسات

لفضيلة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى

إعداد وتقديم د. عبدالفتاح حسين الزيات

عندما يخلو العالم إلى نفسه فإنه يبحث ويفكر فى شىء يعود نفعه على الإنسانية بوجه عام ، وعلماؤنا الأفاضل ـ رحمهم الله ـ كانت لهم سوانح ومقتبسات تحث على الفضيلة والخلق وتدفع الإنسان دفعا إلى كل ما يرتقى به سلم الكمال النفسى والخلقى .

كانت الكلمة الهادفة غرضهم الأسمى ، وشغلهم الشاغل لإعلاء كلمة الله من خلال الغوص فى شريعته ، حتى أخرجوا لنا نتاجا ضخما من المعرفة الإنسانية الخالدة .

وهذا المقال يحمل بعض هذه السوانح المضيئة التى تبرهن على أن الدين عند الله الإسلام ، مثل التحلى بالفضيلة ، والبحث فى نواميس الطبيعة على اختلاف أنواعها ، والفرق بين ضرورة الحس والعقل ، وترقى الجزئيات إلى الكليات ، وحكم تقليد الأنبياء فى كل ما جاءوا به ، وحاجة الإنسانية بين الضرورة وغيرها .. إنها سوانح ومقتبسات تدفع الإنسان لأن يقول ـ ليل نهار : الحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الإسلام والإيمان ، قال الأستاذ ـ رحمه الله ـ:

قرأت للدكتور الفاضل صاحب العـــزة عبدالعزيز بك إسماعيل مقالا نشر بهذه المجلة يقول فيه : « فالإنسان الذى لا يعرف من الغيب إلا بقدر ما يعرف من سنن طبيعية يسمى جاهلا مهما عرف ؛ لأن قوانين السنن الطبيعية لا حد لها » .

فهيج من قلبى شعورا بتلك السوانح ، فكان مبدأ الإلهام بها ، والاستعداد لها .

ولا يفوتنى فى هذا المقام أن أشكر ذلك الدكتور الذى جمع من نواحى الكمال ما لا يكاد يوجد إلا فى أفذاذ الرجال ، فأبان لنا من أسرار

القرآن الطبية ما يعد آية الآيات ومعجزة المعجزات .

وقد أذكرنى ذلك ما كان يفعله المرحوم الدكتور « توفيق صدقى » فى آيات القرآن الفلكية وما فيها من الأسرار . (وهكذا لا يزال القرآن معجزة المعجزات وآية الآيات على ممر العصور والأوقات) .

أسأل الله أن يديم عليه هذا التوفيق فى دينه القويم وعلمه الواسع وفضله الكبير ، وأن يطيل حياته للعلم والدين ، وأن يكثر من أمثاله بمنه وكرمه ! وهذه هى السوانح :

١ ـ الفضيلة تستحيل رذيلة فى النفوس الخبيثة كما تستحيل الأغذية الطيبة إلى فساد فى المعدة الضعيفة . (ومعدن الكبريت يقلب ما يحل فيه من الماء الزُّلال إلى طبعه) .

٢ ـ إن النواميس كثيرة لا تكاد تحصى ، فللأبدان نواميس ، وللأرواح نواميس ، وللعوالم الغيبية نواميس ، فى كل واحد منها ما لا يعلمه إلا الله تعالى . بل فى عالمنا هذا من النواميس ما لا يأتى عليه العد . وإن شئت فانظر إلى ما لا يحصى من أنواع الحيوان تجد نواميس الحيوانات الدنيا غير نواميس الحيوانات العليا ، ونواميس حيوانات الهواء غير نواميس حيوانات الماء .. الخ . فسبحان من خلق فسوّى . وقدّر فهدى . ولا يمكن لمخلوقٍ من المخلوقات أن يسلك غير ما رسم له من الطرق ، ولا أن يعرف غير ما هو مستعد له من المعلومات . فليعلم الإنسان أنه لا يمكنه أن يتكلم فى علم من العلوم ولا صنعة من الصنائع ولا حرفة من الحرف إلا إذا كان راسخاً فيها تمام الرسوخ .

وبودى لو عرف الناس تلك الحقيقة ، وعرفوا أن الرسوخ لازم فى كل شىء ، وأن بين التعلم السطحى والرسوخ فى الأشياء ما بين السماء والأرض ، وأن هناك أشياء لم تخطر لنا على بال ، وهى ذات نواميس واسعة وأحكام كبيرة . ولو عرف الناس سعة العلم وجهل النفوس وضعف البشرية لاستراح العالم من منازعة بعضهم بعضا . وقد أذكرنى هذا قول الرئيس ابن سينا : « إن البلاهة (أو الغباوة) خير من الفطنة البتراء » .

٣ ـ قال بعض المحققين : « إن معرفة الله ضرورية من حيث العقل دون الحس ، والتذكير بها كالتذكير بالضروريات كالموت » .

لكن ضرورة الحس ليست كضرورة العقل ، **فإن ضرورة الحس فيها جذب وقسر وإكراه . وأما ضرورة العقل فهى لطيفة جدا والحس ينازعه فيما لا يعرفه** . وقد تقع الشبهة فى ذلك للعقل ، فيختلط عليه الحال ، ولا يدرى التفرقة بين ما علم وما جهل فإن شئت فقل هو مستدل عليه ، وإن شئت فقل هو بدهى ، على حسب غلبة العقل أو الحس .

من يستدل يترقى من الجزئيات إلى الكليات ، ومن الأدنى إلى الأعلى ، وهناك من تنقدح فى نفسه الكليات فينحدر منها إلى الجزئيات ، وقليل ما هم .

٤ ـ لابد من تقليد الأنبياء فى بعض ما جاءوا به ، لقصور الأفهام عن مغزى كثير من الشرائع . والطفل الذى يُعطَى الحرية فى الكلام عن الحقائق ولا يكون عنده مبدأ التقليد ، يستحيل تكميله ؛ لأنه بمقتضى قصوره الطبيعى لا يمكنه إدراك الحقائق على ما هى عليه ، وبمقتضى حريته المفروضة لا يقتنع إلا بما عرف ، ولا يمتثل إلا لما

أدرك ، والناس بجانب الأنبياء ، أو نقول بجانب ما أودع فى العوالم من القوانين الروحانية والجسمانية والنواميس التى لا يحيط بها محيط ، والعلوم التى لا يحصى عددها إلا الله ، والأسرار التى **اعترف** الفلاسفة الحديثون والسابقون **بقصورهم** أمامها ــ أقل من الطفل بجانب **الرجل ، وإذا كان** الناس لا يصدقون إلا بالبرهان فى **كل مسألة دينية** لم يمكن أن يكونوا متدينين ، إذ **يستحيل الوصول** إلى برهان تام فى كل مسائله **إذا كان التصديق** موقوفا على البحث فى كل مسألة ، **كما هو شأن المتفيهقين اليوم** . والإنسان لا يمكنه أن **يصل إلى** مدنية تامة ما لم يكن هناك أسس صالحة لذلك .

أما إذا كان محتاجا إلى الملبس الضرورى والمسكن الضرورى والمأكل الضرورى ، ولا يرجع ذلك كله إلا إلى نفسه ولا يقبل من أحد شيئا ، فما أجدر هذا أن يموت قبل أن يستنبت ما يأكله وما يلبسه ، وقبل أن يصنع الآلات اللازمة لذلك ! .

وما أعجز الإنسان أن يشيد دنيا طويلة عريضة من العدم !! فكذلك لا يمكنك أن تشيد لإنسان غير مسلم لك ولا واثق بك ولا مقلد إياك ولا عنده شىء من أصول الخير ، دينا ينازعك فى الصغير منه والكبير ، ويريد على جهله وسذاجته أن يكون رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء . (وإلا فأنت بمنزلة من أراد أن ينشىء دينا من العدم) .

٥ ــ ينبغى أن يكون الإنسان مجتهدا ومقلدا ، فيكون مجتهدا فيما هو راسخ فيه متمكن منه ، ويكون مقلدا غيره فيما عداه ، ولابد من ذلك ، وإلا لم ينتظم العالم ، ولم يصل أحد إلى سعادته ، وليعلم أنه لا يوثق **بعلمه ما لم يصل إلى ذلك** الرسوخ ، ولا يمكنه أن **يصل إلى تلك الدرجة إلا** فى بعض **الأشياء فقط ، وهو فى حجاب عما عدا** ذلك لا يكاد يعرف **حقيقته وروحه . فيجب عليه** أن يكون مقلدا فى غير **هذا الذى** رسخ فيه ، مسلما لأهل الرسوخ من **ذويه ، لأنه لا يمكنه** الرسوخ فى كل شىء **كما قلنا .**

ومن طلب غير ذلك **فقد سعى** فى إفساد النظام ، وادعى **معرفة كل شىء ،** وذلك من خصائص الألوهية .

٦ ــ فلسفة القرآن فوق كل فلسفة . وليست هذه الأشياء الروحانية والحقائق العالية التى فيه إلا فلسفة علت عن كل فلسفة ، حتى إن كثيرا من الناس عدّها خرافة لبعد ما بينه وبينها ، وما عرف حقائقها إلا الراسخون فى العلم (وانظر إلى مثل قوله :

﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

(**الأنعام** : ٣٣)

وقوله :

﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ﴾ .

(**النمل** : ١٤)

وقوله :

﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ ﴾ .

(**يونس** : ٣٩)

إلى غير ذلك ، واستجل ما فيها من أسرار وأنوار) .

أما سياسته فى مخاطبة الخلق وذكر تلك الحقائق العالية بما يناسب ظاهرهُ العامة وباطنه الخاصة ، فهو محل الإعجاز ، ولا يمكن الفيلسوف أن يقف أمام ذلك إلا باهتا مدهوشا لا يستطيع سلوك تلك المسالك . وغاية ما يمكنه إن كان راسخا فى فلسفته ذا بصيرة تامة أن يعرف فلسفة القرآن ويصل إلى مراميه .

أما انتهاجه نهج القرآن فخارج عن طوق البشر .

٧ ـ نبغ الناس الآن فى الأمور العملية والمخترعات المادية ، ونشهد لهم بهذا ، ولكن ما أجهلهم فى النظريات ومعرفة البراهين والملازمات ! فكثيرا ما يشتبه عليهم المصاحب بالملازم ، والمعد بالفاعل ، والشرط بالمفيض .

وعلى الجملة فهم بريئون من الفلسفة والمنطق . وما أكثر غلطهم فى الاستدلال غلطا كان يضحك من مثله الأولون ! .

فلئن جهل الأقدمون كثيرا مما أوصل إليه العمل ، فما أجهل هؤلاء بطرق الاستدلال وشروط البرهان ، وما أبعدهم عما يقوى العقول ويمتع الأرواح ويمزج بالإنسان فى عالم الروحانيات ، ويبعده عن عالم الظلمات والآفات ! فما أضعف دولة العقل وحظ الفلسفة اليوم على الرغم من دعاوى المدعين **وفيهقة المتفيهقين** ! .

٨ ـ قال فى الأسفار : إن المادة لا تفعل فى شيء إلا إذا كانت على وضع خاص منه . فلا يمكن أن تفعل فى نفسها ولا قواها الطبيعية ، لأنها ليست ذات وضع بالنسبة إلى ما فيها من القوى ، فلا يمكن أن تخرج الكامن فيها من القوة إلى الفعل ، بل لا بد له من شيء آخر يخرجه ، لأن ما بالقوة لا وجود له ، وما لا وجود له لا يعطى الوجود . فمفيض الوجود هو بارىء الصور المصور القادر .

وأما هذه الأشياء فهى معدات وشروط ، لا فاعلة ومفيضة ، ولا معنى لأن تهب الصور ، ولا لأن تكون فاعلة . فإن كيفيات المادة هى من جنس الحرارة والبرودة ، فلا تفعل إلا ما تفعله الحرارة والبرودة .. الخ .

وأما إفاضة الصور وحفظ الأجزاء بالإمداد عليها وتعويضها كل ما فقدت من أجزائها وحفظ الاتصال بين أجزائها على الصورة الخاصة مع ما فيه من دقائق الصنع ، فمحال أن يكون من فعل المادة . ثم نقول : إنها لا تفعل إلا بما فيها من القوى الطبيعية ، ولا يمكن أن توجد فى نفسها تلك القوى الطبيعية ، لأنها بدونها خالية من كل قوة ، فكيف توجدها فى نفسها وهى لا تكون هى هى إلا بوجودها فيها ، إلى آخر ما لعلنا نفيض فيه بعد ، إن شاء الله ..

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

إهـــداء وتحيــة

إلى فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بمناسبة اختياره شيخا للأزهر

للشاعر محمد فريد عبدالخالق

رُقِّــيت من « مفتــى الديــار » لحقبــةٍ
« شيخــاً لأزهرنـــا » الشريــف فَشَمِّــرِ

إنّ العطـــاءَ عطـــاءُ ربّك فلْتــدُمْ
شكــر الإلــه يزدْك فضل الذاكــر

واحــذرْ صوارفَ فضلــه وبلائــه
وأخــو التقــى فى الأمــر جدُّ محاذر

فالخير مثـــل الضُّرِّ ليس سوى ابتــلا
ء ، فاسأل الــرحمن حفــظ الشاكــر

واجعـــلْ رضاء الله عنك مقدمــا
عمـــا عداهُ يُجِــرْك روعَ المحشر

إنـــا نشيم الخير فيك فكـــن لديــ
ـنك ناصراً فى الحقّ غير مقصرٍ

من كان مثـــلك فى بصيرة قلبـــه
لا يعْـــدل الأخــرى بحظِّ عابـــر

فاحفـــظْ علــيك لبـــاس تقــوى الله فى
كل الأمــور .. وفى الخفــا والظاهـــر

واسأل إلـــهك عوْنـــه لأداء ما اسْـ
ـترعـــاك من عبءٍ ثقيـــلٍ واعـــر

إنّـــى دعـــوتُ الله يرزقك المعيَّـــ
ـةَ ، والسدادَ ، وعـــوْنَ خيـــرِ مؤازر

الإسلام يشرق من .. الغرب

للشاعر محمد عبدالرحمن صالح الدين

أفـــلت من الشرق الممـــزق شمسه ... وبـــدت من الغـــرب المجمَّـــع تشرُقُ
إنى لألمح من بعيـــــد ومْضَهـــا ... بين السحـــائب مقبـــلا يتألـــق
ويحاول الشيطـــان حجب ضيائهـــا ... بالقهـــر والبهتـــان لكـــن يخفـــق
فالنـــور لا تخفيـــه حيلـــة ماكـــر ... والحق من بين السوافى يبرق
يستبـــدل الديّـــان مغـــرب أرضه ... للنـــور إن ألـــف الظـــلام المشرق
لا يرتضى الإسلام مهزومـــا وإن ... رفـــع العـــقيرة باسمه يتشدق
من قال إن الأعـــرج المهـــزول فى ... دنيـــا التسابـــق للمعـــالى يسبـــق ؟

★ ★ ★

إن الأمـــانى دون تضحيـــة وَسَعْـــ ... ـــى دائب هيهات لا تتحقـــــق
فالأرض يعمرهـــا رشيـــد صالح ... ويهيـــل راسخهـــا السفيـــه الأحمق
والله يطلــــع كل حين مثمــــرا ... إن شاخ نبت أو تجرد مورق
والعلـــم يخصب فى أيـــادى كافـــر ... ويمدُّه بموارد تتدفـــــــق
والجهـــل عنـــد المدعـــى الإيمان يهلـــ ... ـــك كل حرث فى يديـــه ويمحـــق
الجهـــل والإيمان لا يتلاقيـــان فـ ... ـــذا ظلامٌ ، وذاك صبـــح مونـــق
لا تعجبوا إن جاءنـــا الغـــربى يحمـــ ... ـــل رايـــة الإسلام يومـــا يطـــرق
أحفـاد (جنكيـز) و (هولاكـو) بها ... قد غرَّبـوا ـ بعـد العـداء ـ وشرقـوا
متحـــمسين موحديـــن مكبريـــن ... بألسن فى الحق راحت تنطـــق
وتظـــل للإسلام رايتـــه إلى ... يوم القيامـــة فى البسيطـــة تخفـــق
والخير يبقـــى فى بنـــى الإنسان ... بالإسلام والإيمان عطـــراً يعبـــق

مالك بن الريب
شاعر يرثى نفسه

مالك بن الريب المازنى التميمى : أحد شعراء الفتوح الإسلامية ـ فى العصر الأموى ـ كان فى صدر حياته يقطع الطريق ويخيف الناس ، وكان الولاة يطلبونه فيفر منهم ، فلما ولَّى معاوية بن أبى سفيان سعيد بن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنهم ـ « خراسان » لقيه « ابن الريب » فأعجب به سعيد وقال له : ويحك يا مالك ! ما الذى يدعوك إلى ما يبلغنى عنك من العداء وقطع الطريق ؟ قال : أصلح الله الأمير يدعونى إليه العجز عن مكافأة الإخوان ومساواة ذوى المروءات .

قال : سعيد : فإن أنا أغنيتك أتكف عما تفعل وتتبعنى ؟ قال : نعم أصلح الله الأمير أكف أحسن ما كف أحد ، فاستصحبه وأكرمه ، فتاب وصحت توبته وشارك فى حروب المسلمين بخراسان ، وعندما حضرته المنية رثى نفسه بهذه القصيدة كلها ، أو بعضها والباقى ولده الناس عليه[1] .

وهذه الأبيات التى اخترناها تصور ما يدور فى خاطر رجل يموت غريباً ، ويتذكر من يبكى عليه فلم يجد غير أصحاب لازموه طويلا ، هم : سيفه ورمحه وفرسه القوى ، العزيز لديه ، الذى ربما لن يجد بعد موت صاحبه من يسقيه الماء ، وإذا لم يكن فى هذه الغربه غير هذه الثلاثة الأحباء ، فإن هناك فى موطنه البعيد باكيات يعزُّ عليهم فقده ، ولو رأين ما به لأطلن البكاء ، فها هو ذا صريع فى مكان قفر ، وقد قام أصحابه يحفرون له قبره فى المكان الذى جاءه فيه قضاءه المحتوم .

على أننا نرى أن طلب البكاء هذا صفة لها جذورها فى المجتمع العربى قبل الإسلام وليست فى الإسلام مستحبة .

وهذا جانب من مرثيته لنفسه :

تذكرت من يبكى على فلم أجد … سوى السيف والرمح الرديني باكيا
صريع على أيدى الرجال بقفرة … يسوون لحدى حيث حمّ قضائيا
ولما تراءت عند (مرو) منيتى … وخلَّ بها جسمى وحانت وفاتيا [1]
أقول لأصحابى : ارفعونى فإنه … يقرُّ بعينى أن سهيل بَدَالِيَا [2]
فياصاحبى رحلى ، دنا الموت فانز لا … برابية ، إنى مقيم لياليا
أقيما على اليوم أو بعض ليلة … ولا تعجلانى ، قد تبين شانيا
وقوما ، إذا ما استل روحى ، فهيئا … لىَ السدر والأكفان عند فنائيا
وخطا بأطراف الأسنة مضجعى … وردا على عينى فضل ردائيا
خذانى فجرانى بثوبى إليكما … فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا

● ● ●

وقد كنت عطافاً إذا الخيل أدبرت … سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
وقد كنت صباراً على القرن فى الوغى … وعن شتمىَ ابن العم والجار وانيا [3]
فطوراً ترانى فى ظلال ونعمة … ويوماً ترانى والعتاق ركابيا
ولا تنسيا عهدى خليلى بعدما … تقطع أوصالى وتبلى عظاميا
ولن يعدم الوالون بثا يصيبهم … ولن يعدم الميراث منى المواليا
يقولون : لا تبعد ، وهم يدفنوننى … وأين مكان البعد إلا مكانيا ! [4]
غداة غد ياهف نفسى على غد … إذا أدلجوا عنى وأصبحت ثاويا
وأصبح مالى من طريف وتالد … لغيرى ، وكان المال بالأمس ماليا
أقلب طرفى حول رحلى فلا أرى … به من عيون المؤنسات مراعيا
وبالرمل منا نسوة لو شهدننى … بكين وفدين الطبيب المداويا
وما كان عهد الرمل عندى وأهله … ذميما ، ولا ودعت بالرمل قاليا
فمنهن أمى وابنتاى وخالتى … وباكية أخرى تهيج البواكيا

---

(١) مرو : مدينة بخراسان ــ خل : اختل بمعنى هُزِلَ .
(٢) سهيل : نجم فى السماء يرى فى نواحى موطن الشاعر .
(٣) القرن : المماثل لك فى الشجاعة .
(٤) من عادة العرب أن يقولوا عند دفن الميت لا تبعد ، والبعد من معانيه : الموت .

مع الذكرى الخمسين بعد المائة للإمام محمد عبده

للأستاذ/ خالد محمود ابراهيم سالم (*)

العلـــم والإيمان والأخــــلاق رزقٌ يـــارك سَاحَـــهُ الــــرزاق
والــفضل يعـرف صَحْبَـهُ فَيَحُفُّهُـمْ وكـــأنهم أهــــلٌ له ورفــــاق
والبر من شيَــم الكـــرام عالَمَــاً ومعــــالماً لم تحصهـــــا أوراق
فإذا أصبْت من الخلال حميدهــــا فالمجد فى شرفٍ إلـــــيك يساق
والمرء بالأثـــر الكـــريم حياتـــه ذكـــرى سناهــــا مُشرق برَّاق
ومـــذاق ذكـــرى الخالديـــن له مدًى لمَّـــا يحاكيـــه مدًى ومـــذاق
وإمامنـــا شيـــخ الأئمـــة كوكبٌ دانت شمس علومـــــــه الآفاق
وازدانت الدنيـــا بعِقْـــد تراثـــه نوراً تألَّـــق لم يصبـــه مُحـــاق
كالبـــدر زيَّـــن جيدهـــا فكـــأنما فى جيدهـــا من جيـــده أطْـــواق
لِمَ لا وبين إمامنــــــا ونبيـــــه وكتابـــه وصحابـــه ميثـــاق
يعلـــو به نعبـــاً على أقرانـــــه فَيَبُزُهُـــــــم وهمو له عُشَّاق
والعلـم بالسُّنَـنِ القـويم عقيـــدة وشريعـــة تسمـــو به الأعـــراق
هَذَا ابْـــنُ مِصْرَ ابْـــن البـــحيرة من محلـــة نصرَ هذا العـــالم العمـــلاق
اللوذعــــى الأزهـــرى بيانـــــه العبقـــرى جنانـــه الغيــــداق(1)
آتـــاه ربك حكمــــة يقضى بها فيمـــا يهاب ويحذر الحُـــذَّاق
وحبـــاه فى فهـــم الكتـــاب تعمقـــا ترنـــو إليـــه وتنحنـــى الأعنـــاق

(*) مدير ادارة أوقاف أبو المطامير بالبحيرة .

1 ـ الغيداق : الكريم الجواد الكثير العطيه ـ لسان العرب مادة غدق

فلـه لدى فصل الخطـاب نصيبـه ... ولـه لدى فهـم الكتـاب خلاق
رسم الطريـق لمن أراد تحرراً ... ممَّـا يَلُـمُّ فلا يكـاد يطـاق
والحُـرُّ حرٌّ فى المواطـن كلهـا ... لم يثنـه فى النائبـات وثـاق
لم يثنـه نفـىٌ وفى وجدانـه ... عشق تَنَـافَسَ دونـه العشاق
إن تَنْـأ راحُ الحر تبقـى روحـه ... تسرى بها وتهزهـا الأشواق
والشىء من معدنـه لما يكـن ... مستغربـا والفيصل الأذواق
إن هبَّ طيـبٌ من خُزامـى لا تسل ... من أيـن أقبـل ذلك النُشَّاق[٢]
أوهـمَّ طائـىٌّ بنحـر جيـاده ... نُزُلاً فديـدن مثلـه الإنفـاق
لا المال يغريـه فيمنـع فضلـه ... بخلا ولم يقعـد به الإمـلاق
فإذا ارتقـى شيـخ الأئمـة مرتقـىً ... كل الثقـاةِ لنيلـه توَّاق
فلانـه طودٌ مُنيـفٌ لم تحط ... بكمـال ذروة مجده الأحـداق[٣]
ولأنـه بحرٌ عميـقٌ غورُه ... لم يُعْيِـهِ غورٌ ولا أعمـاق
ولكـل ثبت فى الرجـال نطاقـه ... وإمامنـا لم يكتنفـه نطـاق
فلـو استبـدت ظلمـة فى مَهْمَـهٍ ... فبيانـه فى المهمـة الإشراق
ولـو اجتوى مرضى القلـوب فضيلـة ... أو مزقتهم فرقـة وشقـاق
لأتى على هذا وذلك منصفـا ... فى حكمـة يحدو به الإشفـاق
فيهزهـم من أصغريـه رقائـق ... ومواعـظ تغـزو القلـوب رقـاق
فلـو احتـوى العلمـاء طرا حلبـة ... فمحمـد فى الحلبـة السبـاق
ذاك الإمـام « محمـد عَبْـدُهْ » وذلك مَنْهَـلُ بسجلـه رقـراق
من بحر علـم الله فاضت كأسه ... تسقـى الظمـاء كأنها التريـاق
فإذا بها بين الكئـوس زُلالها ... وإذا بها دون الكئـوس دِهَـاق
هذا ابـن مصر ابـن البـحيرة من محلـة نصرَ هذا العـالم العمـلاق

---

٢ ــ الخزامى : نبت طيب الريح والنشاّق : الريح الطيبة / لسان العرب .
٣ ــ طود منيف : جبل مشرف / لسان العرب .

أبو نغم محمود شاور ربيع في رحاب الله

أحد شعراء مجلة الأزهر

للدكتــور محمد محمود حسين

قال الرفـــاق أبــــو نغـــم ... عاف المزاهـــــر والقلـــــم
وغفـــــا ومــــــال برأسه ... كالشمس مالت للظلـــــــم
وازْوَرَّ عن تلك الدنيــــــة واعــــــتلى أعــــــلا سنـــم
والشعـــــر عنـــــد سريــــــره ... والأهـــــل يعصرهــــــم ألم
يكـــــون .. هل من علــــــة ؟ ... كلا فلــــــيس بهم سقـــــم
لكـــــن لفرقـــــة شاعـــــر ... حظــــيت به كل الـــــقيم
عاش الحيـــــاة بطـــــولها ... وبعرضهــــــا فوق القمــــــم

• • •

محمــــودُ عشت ممجــــــدا ... فى البعـــــــد .. عالٍ من أمم
أن كنت غبت فلــــــم تزل ... فى المنتـــــدى أعـــــلا نغــــم
هدار تكــــــتسح الغثــــــاء ... كأنك السيـــــل العــــــرم
ما كنت رايـــــة أمــــــةٍ ... بل كنت رايــــــات الأمم

ومضيت أقتلـــــع الخُطَـــــا فوق الطريـــــــق المد لهم
متــــــحيرا والدمـــــــع فى الأجفـــــــان ممزوج بدم
متلـــــعثما ماذا أقـــــول .. ؟؟ وفى فمـــــى حار الكلـــــم
فالهم فزّع خاطـــــــــــري والـــــرزء أورثنـــــى البَكـــــم

● ● ●

هل مات من بيديـــــــه أجـــــــراح الأحبـــــــة تلتئـــــــم
هل مات من فى قلبــــــــه ألــــــــق المروءة يحتـــــــدم
هل مات من فى شعـــــــره كل الخرائـــــــد تنتظـــــــم
هل مات من بالأمس شدّ بقـــــــــــوة أزر الهمـــــــــــم
وأنـــــــــاخ فوق الفرقديـــــــــن نجائب الشعـــــــــر الأشم

● ● ●

يامسجـــــــد الإخـــــــلاص قل لى أيـــــــن شاعـــــــرك العلـــــــم
المنبر العـــــــالى بكـــــــى وتشقـــــــق الصخـــــــر الأصم
والبـــــــدر فى أفـــــــق السمـــــــاء شجـــــــى يشاركنـــــــا الألم
وبلابـــــــل الأدواح ناحت خلـــــــف قافلـــــــة العـــــــدم
وأقـــــــام عمـــــــراً يانغـــــــم لمّا ثوى فى القـــــــلب هم

● ● ●

عبـــــــد الحميـــــــد مدامعـــــــى تهمـــــــى وفى الأعمـــــــاق غم
أيـــــــن الـــــــذى كنـــــــا له نأوى إذا خطب ألَـــــــم
وإذا تضوأ نجمنـــــــــــا يومـــــــا تألـــــــق وابـــــــتسم
وإذا دعينـــــــا للمحافـــــــل كان أرسخنـــــــا قدم

● ● ●

ملك اليراع .. يراعك الغريـــــــــد لا لن ينحطـــــــــم
سيظـــــــل لحنـــــــا عاليـــــــا رغـــــــم المنـــــــون بكـــــــل فم

الغلاف الجوى

للدكتور / مجدى يوسف أمين (*)

فوق اليابس وسطح المحيط يوجد الهواء الذى نستنشقه ونطير فيه ، وهذا هو الغلاف الجوى .

وللغلاف الجوى آيات عديدة لعل من أهمها أنه السبب فى جعل سماء الأرض مضيئة وقت النهار[1] . ذلك أن جزيئات الهواء تُشَتِّت ضوء الشمس فى جميع الاتجاهات ، ولولا عملية التشتت هذه لانعدمت الرؤية على الأرض وفى الغلاف الجوى أما فى الظلام فيسود الظلام الحالك ، فالغلاف الجوى يقلل الاختلاف الشديد فى درجة الحرارة ، فلولاه لارتفعت درجة الحرارة ظهراً إلى درجة غليان الماء ولانخفضت بعد الغروب إلى نحو ١٥ درجة مئوية ولوصلت فى منتصف الليل إلى ١٥٠ درجة مئوية تحت الصفر[2] .

والغلاف الجوى يعمل كالبيوت الزجاجية للنباتات حيث يسمح لمعظم أشعة الشمس النافذة بالمرور خلاله إلى الأرض ولكنه يحتفظ بالحرارة ولا يسمح بتسربها عن سطح الأرض . وبهذا فهو يحفظ الحرارة من الضياع فى الفضاء .

والغلاف الجوى ـ كذلك ـ هو مصدر الشفق الذى يحدث بسبب انتشارأشعة الشمس على الجسيمات المكونة له عند غروب وشروق الشمس ، وقد ذكر الله ـ تعالى ـ الشفق فى كتابه : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴾[3] .

بالكرة الأرضية ويقدر سمكه بـ (١٠٠٠) ألف كم، ولكن لا يشعر به الإنسان بعد مسافة ٤٠ كم من سطح الأرض حيث يقل الضغط جزءاً من المليون على ارتفاع ١٠٠ كم . وكثير من الغازات تظل محتشدة ومتجمعة قرب سطح الأرض والسبب جاذبية الأرض لها . ولهذا ، فإن ما يزيد على ٩٩ / منها متجمع حول الأرض وإلى مسافة (١٥٠) كم . ودرجة الحرارة ـ أيضاً ـ تقل مع

---

* الكاتب : بكلية العلوم / قسم الفلك / جامعة القاهرة .

(١) النهار : هو الفترة الزمنية ما بين شروق الشمس وغروبها بمكان ما .

(٢) محمود حامد محمد ، الميترولوجية : مكتبة هيئة الأرصاد الجوية ١٣٦٥ هـ

(٣) سورة الانشقاق ١٦ .

الارتفاع . وفى الطبقات السفلى من الغلاف الجوى تحدث الظواهر الجوية المألوفة مثل : السحب وحركة الرياح والبرق والرعد[٤] .

حركة الرياح :

وحركة الرياح ناشئة عن دوران الأرض حول محورها . وحيث إن مقدار شدة الطاقة الشمسية الساقطة على بلاد الأرض المختلفة تتوقف على خط عرض البلد وكذلك فصول السنة . فتبلغ أقصاها عند خط الاستواء (المنطقة الاستوائية) حيث يتصاعد الهواء الساخن إلى أعلى ويحل محله هواء بارد على هيئة رياح آتية من مناطق باردة . فإذا كانت الأرض ساكنة لهبت رياح شمالية على نصف الكرة الشمالى وجنوبية على نصف الكرة الجنوبى . ولكن بسبب دوران الأرض حول محورها فإن الرياح الآتية من اتجاه الشمال تنحرف غرباً فيصبح الاتجاه الذى هبت منه شمالى شرقى . كما أنها تنحرف أيضاً فى نصف الكرة الجنوبى فيصبح الاتجاه الذى هبت منه جنوبى شرقى[٥] .

السحب :

تتكون السحب من ملايين الجزئيات الصغيرة من بخار الماء المكثف والتى يستطيع الهواء أن يحملها بسهولة بسبب صغر حجمها كما تتمكن الرياح من نقلها وتحريكها من مكان إلى آخر إذ تتكون السحب نتيجة لصعود الهواء إلى أعلى من سطح الأرض .

تنقسم السحب حسب ارتفاعها عن سطح الأرض إلى ثلاث أنواع رئيسية[٦].

١ ــ السحب المرتفعة :

يتراوح ارتفاعها بين ٦ إلى ١٢ كم فوق سطح الأرض . وهى سحب بيضاء اللون تتكون من بللورات من الثلج ، وتبدو على شكل القطن المندوف أو تظهر على شكل طبقة متصلة تغطى السماء بأكملها أو جزءًا كبيراً منها ، وهذه السحب لا تحجب ضوء الشمس أو القمر وليس لها ظل على سطح الأرض . وظهورها ينذر بقرب حدوث جو ردىء أو سقوط المطر فى مدى ٢٤ ساعة تقريباً ، خاصة فى فصل الشتاء .

٢ ــ السحب المتوسطة :

يتراوح ارتفاعها من ٢ إلى ٦ كم من فوق سطح الأرض . ويظهر هذا النوع من السحب فى صور كروية الشكل وتوجد فى مجموعات فى صفوف طويلة أو على شكل طبقة متصلة تغطى السماء بأكملها أو جزءاً كبير منها . وهذا النوع من السحب يحجب أشعة الشمس أو القمر ويصحب ظهوره سقوط المطر غير أن أغلبيته يتبخر قبل وصوله سطح الأرض ، أو ينذر باقتراب عاصفة رعدية أو تغير مفاجىء قريب فى الحالة الجوية . ولون هذه السحب أكثر دكانة فى الجزء الأسفل أو رمادى أو أزرق اللون .

---

(٤) FUNDAMENTAL ASTRONOMY. 1994.ed.BY: H.KARTTUNEN. SPRINGER-VERLAY .

(٥) د / مجدى يوسف أمين «أنت تسأل والأرض تجيب» ، هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية .

(٦) د . عبد القادر عبد العزيز على ، «الطقس والمناخ والميتورولوجية» ، دارالجامعة للطباعة الحديثة ١٩٨٠ م .

٣ ـ السحب المنخفضة :

ويصل ارتفاعها ٢ كم من سطح الأرض . تظهر على شكل طبقة أو كتل كروية أو أسطوانية الشكل . وتظهر أيضاً هذه السحب فى قطع ضخمة داكنة خصوصاً عند قاعدتها ، وتأخذ فى نموها الرأسى شكل القباب أو القلاع العالية ، وقد تكون متفرقة أو متصلة ببعضها بشكل يجعلها كأنها حائط ، وهذا ما يسمى : المُزْنُ الركامى . ويصحبه سقوط أمطار غزيرة وحدوث رعد وبرق . وهذه السحب تحجب السماء بأكملها ولا توجد لها حدود واضحة .

البرق :

ظاهرة البرق تحدث بكثرة فى مناطق التيارات الهوائية الهابطة إلى أسفل وبخاصة فى المناطق القطبية ، كما يساعد على حدوثها وفرة بخار الماء فى الهواء ، ولذلك يكثر حدوثها فى المناطق الساحلية وفوق الجزر ولاسيما الجبلية فى البحار والمحيطات[٧] .

ويرجع سبب حدوث عواصف البرق إلى التفريغ الكهربائى داخل سحب المزن الركامى ، ويؤدى هذا التفريغ الكهربى إلى حدوث شرارة مضيئة تكون على شكل خط منكسر أو مفرش أو مكور .

ينشأ الرعد من الموجات الصوتية التى تحدث من تمدد الهواء الهائل عند تسخينه بالحرارة الفجائية وذلك عند مرور شرارة البرق ، وحيث إن سرعة الصوت أقل بكثير من سرعة الضوء فإن الرعد يسمع بعد رؤية البرق .

هذا وينبغى للإنسان أن يبتعد عند حدوث البرق من الأشجار المنعزلة والمبانى العالية خوفاً من الصواعق ، فإذا أصابت صاعقة شخصا ما لزمت المبادرة بإجراء عملية تنفس صناعى له لمدة لا تقل عن ساعة[٨] .

وعلى ارتفاعات شاهقة جداً من سطح الأرض يتلاشى الغلاف الجوى إلى لا شىء حيث ينعدم تأثير جذب الأرض للمواد التى يتكون منها . ثم يبدأ المجال المغناطيسى للأرض فى المنطقة الأخيرة من الغلاف الجوى المسماة (الإكسوسفير)[٩] .

وبالرغم من أن كتلة الغلاف الجوى أصغر بكثير جداً من كتلة الأرض إلا أنه فى غاية الأهمية للحياة فوق الأرض . فبصرف النظر عن ضرورته للتغذية والتنفس ، فإن له فوائد ـ أيضاً ـ فى عملية الاتصال اللاسلكى حيث إن الموجات تنعكس من الطبقة العليا مرة أخرى على الأرض بعد إرسالها إلى أعلى .

كذلك ، فإن الغلاف الجوى يمثل درعاً يحمى الحياة من الهلاك بفعل :

النيازك والشهب :

تضم المجموعة الشمسية أعداداً كبيرة من الأجسام الصلبة الصغيرة التى تدور حول الشمس ، ويتقاطع مدارها مع مدار الأرض حول الشمس ، عندما تسقط هذه الأجسام داخل الغلاف الجوى يتسبب الاحتكاك بينها وبين الهواء فى تسخين الجسم الساقط حتى درجة التوهج فنراها على هيئة شهاب[١٠] . وحسب كتلة الجسم

(٧) د . مجدى يوسف أمين ، « موسوعة سفير الإسلامية » تحت الطبع .

(٨) د . مجدى يوسف أمين ، مرجع سابق .

(٩) د . عبد القوى عياد ، «مبادىء علم الفلك» مطبوعات علوم القاهرة .

(١٠) يسميه العامة : النجمة أم ذيل .

الساقط فإذا كانت صغيرة تحترق كلها فى الغلاف الجوى ويسمى هذا شهاباً . إما إذا كانت كبيرة فإن جزءاً منها يحترق والجزء الآخر يصل إلى الأرض ، والجسم الذى يصل إلى الأرض يسمى (نيزكاً) وإذا كانت كتلة النيزك كبيرة فإنها : تسبب دماراً ، وتحدث فجوات كبيرة فى سطح الأرض ، كما حدث فى صحراء الأريزونا فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث توجد حفرة قطرها ١٢٦٠ متر وعمقها ١٧٥ متر سببها سقوط نيزكٍ كبير هناك ومن فضل الله إذا سقطت هذه الأشياء فإنها تسقط فى الصحارى والبحار[١١] .

الأشعة فوق البنفسجية (الأشعة الحارقة) :

عندما ترتفع عن سطح الأرض بمقدار ٢٥ كم يتكون الغاز العجيب المسمى (بالأوزون) وهو عبارة عن ثلاث ذرات من غاز الأكسجين اتحدت مع بعضها ويقوم هذا الغاز بامتصاص معظم الأشعة فوق البنفسجية الصادرة من الشمس ، ولا يسمح بوصول هذه الأشعة إلى سطح الأرض إلا بالقدر الضرورى للحياة على سطحها . وصدق الله ـ تعالى ـ إذ يقول :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾[١٢] .

وبذلك يقى هذا الغاز الإنسان من أمراض كثيرة مثل : سرطان الجلد والإصابة بالمياه البيضاء ، وهى عتمة تصيب عدسة العين وكذلك مرض نقص المناعة والتأثير السىء على المحاصيل الزراعية[١٣] .

الإشعاع الجسيمى :

من المعروف أن الأرض تتعرض لقذف مستمر لجسيمات مشحونة من الشمس ، وبعض هذه الجسيمات من نوى ذرات الهيدروجين ، فعندما تسقط على الأرض تتحرك مع المجال المغناطيسى للأرض . وعند القطبين الشمالى والجنوبى تصطدم هذه الجسيمات المشحونة مع مكونات الغلاف الجوى . ونتيجة لهذا التصادم تنتج طاقة على هيئة ضوء مسببة ما يسمى بالشفق القطبى ، أى الضوء الذى يظهر عند القطب الشمالى والجنوبى . وبذلك يكون الغلاف الجوى والمجال المغناطيسى للأرض قد قاما بحماية سطح الأرض من وصول هذه الجسيمات إليه حيث يصطدم معها فقط ولا يسمح لها بالاختراق . لأنها إذا وصلت إلى سطح الأرض فإنها تهلك ما تقابله[١٤] .

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾
سورة النحل

---

(١١) DESCRIPTIVE ASTRONOMY. R.M: BERY AND L.W. FRDRICK. 1978. NEW YORK.

(١٢) سورة القمر ٤٩ .

(١٣) د . محمد صالح النواوى ، «الفلك» ، مطبوعات جامعة الإمارات .

(١٤) THE DYNAMIC UNIVERSE. 1991 T.P. SNOW, WEST PUBLISHING COMPANY

الإجهاض

للدكتور/ أحمد رجائي عبد الحميد

الإجهاض من المواضيع الشائكة بالنسبة لعلماء الدين والطب وهو من قديم الزمن يحتل مكانة خاصة حيث إنه يشمل الأم والجنين .

تعريف الإجهاض طبياً :

إنهاء حالة الحمل قبل أن يكون الجنين قادراً على الحياة خارج الرحم وهو إما أن يكون تلقائياً أو مفتعلاً .

الإجهاض التلقائى :

الإجهاض التلقائى أو اللاإرادى هو الإجهاض الذى يحدث بدون تدخل من الأم أو الطبيب حتى لو كان هناك سبب كحادث ، وهو درجات تبدأ بالإجهاض المنذر ، وفى هذه الحالة يكون النزف بسيطا ، وعنق الرحم مغلقاً ، وعلاجه الراحة التامة ، وبعض مهدئات الرحم .

ومع العلاج إما أن يتم الشفاء أو أن يتحول الإجهاض إلى أنواع أخرى مثل الإجهاض الكامل : وهو نزول الجنين مع المشيمة ، ويغلق الرحم بعد ذلك .

أو إجهاض غير كامل ، وفى هذه الحالة تنزل بعض أجزاء الجنين وتبقى أجزاء ، وهذه الحالة تستلزم إجراء عملية تفريغ للرحم[١] و (كحت)[٢] وإذا كان الإجهاض الكامل أقل من ثلاثة شهور يستلزم أيضاً إجراء عملية تفريغ وكحت كذلك .

وقد يكون الإجهاض محتما وفى هذه الحالة يحدث نزف كثير ، ويكون عنق الرحم مفتوحاً ، ويمكن للطبيب أن يمس أجزاء الجنين خلال عنق الرحم المفتوح . وعلاج هذه الحالة يكون بعملية تفريغ و (كحت) أيضاً وقد يتم تلوث أى نوع من الأنواع السابقة فيحدث ما يسمى بـ (الإجهاض العفن) وتحتاج هذه الحالة إلى مضادات حيوية قوية المفعول وتفريغ لمحتويات الرحم .

هذا وقد تمر حالة الإجهاض بدون ملاحظة ويحدث ما يسمى الإجهاض المنسى ، وفى هذه الحالة تتأثر عوامل تجلط الدم مما يؤدى إلى حدوث نزف شديد .

وأثناء بحث أجريناه حديثا ثبت أن كثيرا من الحالات تكون فى الحقيقة إجهاضاً مفتعلاً ، وليس إجهاضاً تلقائياً فإن بعض السيدات يلجأن إما عمداً أو لا شعورياً ــ فى حالات الحمل غير المرغوب ــ إلى بذل مجهود غير عادى من حمل أشياء ثقيلة أو عدم الراحة أو القفز من أماكن عالية لكى يتم حدوث الإجهاض فى صورة إجهاض تلقائى .

الإجهاض العمد (المفتعل ـ الإرادى) :

توجد طرق كثيرة لإجراء عملية الإجهاض منها طرق تعتمد على الوصفات البلدية وهى طرق خطرة ولها مضاعفات كثيرة . أما الطرق الطبية فمنها ما يتم بالأدوية ، ومنها ما يتم بالعمليات الجراحية ، واختيار الطريقة يعتمد على مدة الحمل .

وفى بعض الأحيان يكون القرار بالنسبة للحمل أنه غير مرغوب فيه لأسباب صحية أو إجتماعية أو نفسية ، ويهمنا هنا الإجهاض للأسباب الصحية ، حيث إنه قد يقرر الطبيب أن بقاء الجنين فيه خطورة على صحة الأم مثل الحالات الشديدة من أمراض القلب أو الكلى .

---

١ ـ EVACUATION

٢ ـ CURETTAGE

وعمليـة الإجهـاض فى هذه الحالـة تسمـى بالإجهاض العلاجـى ، وينـقسم إلى قسمين : الإجهاض المبكر والإجهاض المتأخر . وتختلف عملية الإجهاض فى كلتا الحالتين اختلافاً بيّنـا ويحددها طول فترة الحمل ، ومن المعروف أن فترة الحمل تنقسم إلى ثلاث مراحل :

أ ـ المرحلة الأولى :

وتبدأ من بدء الحمل وحتى نهاية الأسبوع الثانى عشر .

ب ـ المرحلة الثانية :

وتبـدأ من الأسبـوع الثـالث عشر وحتـى الأسبوع الرابع والعشرين .

ج ـ المرحلة الثالثة :

وتبدأ من الأسبوع الخامس والعشرين وحتى الولادة .

أولاً : الإجهاض المبكر :

ويبدأ من بداية الحمل وحتى نهاية الأسبوع الرابع عشر ، وتتم هذه العملية بإحدى الطرق التالية :

١ ـــ الإجهاض بالعقاقير الطبية :

أقراص الإجهاض (RU 486) :

وهـى أقـراص مصنوعـة من مادة مضادة لـ (هرمون البروجستيرون) اللازم لإتمام الحمل . وهذه الأقراص تؤخذ إما بمفردها عن طريق الفم ، أو بمصاحبة مادة أخرى تسمى (البروستاجلاندين) والتى تسبب انقباضات للرحم ، ويفضل إعطاء هذه الأدوية فى الأسابيع الأولى من الحمل .

٢ ـ منظم الدورة :

هو عبارة عن جهاز أو حقنة سحب (شفط) يركب به قسطرة رفيعة ، ويفضل إجراء هذه العملية فى الأسابيع الأولى من الحمل ، وخطوات العملية بسيطة حيث تبدأ بتعقيم المهبل وعنـق الرحـم ، ثم إدخـال أنبوبـــة (قسطـــرة) من البلاستيك ، ويفضل إعطاء مخدر موضعى فى حالة توسيع عنق الرحم أو عمل تخدير كلى .

٣ ـ عملية توسيع وتفريغ :

ويتم إجراء هذه العملية حتى الأسبوع الرابع عشر من بدء الحمل . ويتم التوسيع إما عن طريق إدخال عشب اسمه (لاناريا) وهو عشب يابانى قادر على امتصاص الماء فى عنق الرحم فينتفخ العشب بما امتصه من الماء ، وبالتالى ، فإن عنق الرحم يتسع ، أو باستخدام موسعات معدنيـة متعددة درجات الاتساع تحت تخدير كلى بعد تعقيم المهبل وعنق الرحم ، ثم يتم إدخال جفت خاص لإخراج محتويات الرحم ، وحين يتم إخراج محتويات الرحم يخرج الدم مصحوبـاً بفقاقيـع هواء ، فيتم إدخال آلة كحت غير حادة لكحت جدران الرحم ، وإتمام عملية التفريغ ، ويتحدد نجاح العملية بإحساس الجراح كأنه ينحت فى رمل .

ثانياً : الإجهاض المتأخر : (بعد الأسبوع الثانى عشر) .

وهذا النوع من الإجهاض أكثر صعوبة وخطورة

ويتم بإحدى الطرق الآتية :

١ ـ التوسيع والتفريغ .

٢ ـ حقن محلول ملحى فى الكيس المحيط بالجنين .

٣ ـ حقن مادة (البروستاجلاندين) فى الكيس المحيط بالجنين .

٤ ـ عملية فتح بطن (قيصرية صغرى) .

وفيما يلى سنقوم بتفصيل عملية فتح البطن .

عملية فتح البطن تماثل تماماً العملية القيصرية حيث يتم إخراج الجنين من الرحم قبل موعد الولادة . مما يؤدى إلى وفاة الجنين ، وتجرى هذه العملية تحت رعاية تامة داخل غرفة العمليات ، وتحتاج السيدة إلى المكوث فى المستشفى أياما عدة ويترك الجرح ـ عادة ـ أثراً فى جدار الرحم . وهذه العملية لا تجرى إلا بعد فشل الوسائل الأخرى .

مضاعفات الإجهاض :

إذا تم إجراء الإجهاض بواسطة طبيب متمرس ، وفى الأسابيع الأولى ، وفى ظروف صحية مناسبة ، فإنه لا توجد أية خطورة وإذا كان ثَمَّ مضاعفات ، فإنها مضاعفات لا تذكر .

ولكون العملية غير قانونية ، فإن الطبيب يعمل فى هذه الحالة تحت ضغط عصبى مما يساعد على وجود مضاعفات .

ومن أهم المضاعفات ما يلى :

١ ـ النزف : الذى يتراوح فى كميته بن خفيف ـ لا يحتاج إلى أى علاج ـ أو إلى نزيف شديد يحتاج إلى نقل دم ، أو جراحة لإيقاف النزيف .

أسباب النزف : عدم انقباض الرحم أو وجود أجزاء لم يتم تفريغها أو جرح أو ثقب .

٢ ـ الالتهاب : قد يصيب الالتهاب الجدار الداخلى للرحم أو الأنابيب أو المبيضين ويتراوح العلاج من مضادات حيوية إلى (البذل الجراحى) أو إزالة بعض أو كل الأعضاء الداخلية فى الحوض .

٣ ـ ثقب فى الرحم : قد يحدث الثقب من خلال استعمال أى آلة خلال إتمام الإجهاض ، فقد يحدث من أثر إدخال موسع أو (جفت)[٣] ، وكذلك يتراوح حجم هذا الثقب من ثقب صغير يحتاج إلى ملاحظة ومضادات حيوية فقط ، أو قد يكون ثقباً كبيراً ويكون النزف شديداً ويحتاج إلى علاج جراحى ، وفى بعض الحالات قد يحدث ما يسمى بالإجهاض المتكرر ، حيث إن عنق الرحم يصبح غير قادر على حمل طفل حتى تتم فترة الحمل كاملة .

٥ ـ متاعب نفسية : يحمل الإجهاض تأثيرا نفسيا على الأم قد يستمر سنوات عدة .

٦ ـ متاعب طويلة المدى : قد يحدث عقم نتيجة وجود التهاب لم يعالج ، أو بسبب حدوث التصاقات داخل الرحم أو خارج الرحم ، وكذلك يمكن أن يحدث حمل خارج الرحم بالإضافة إلى الإجهاض المتكرر .

«وَيخلق مَا لاتعَلمُونَ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد: د/ نجوى السيد أحمد (*)

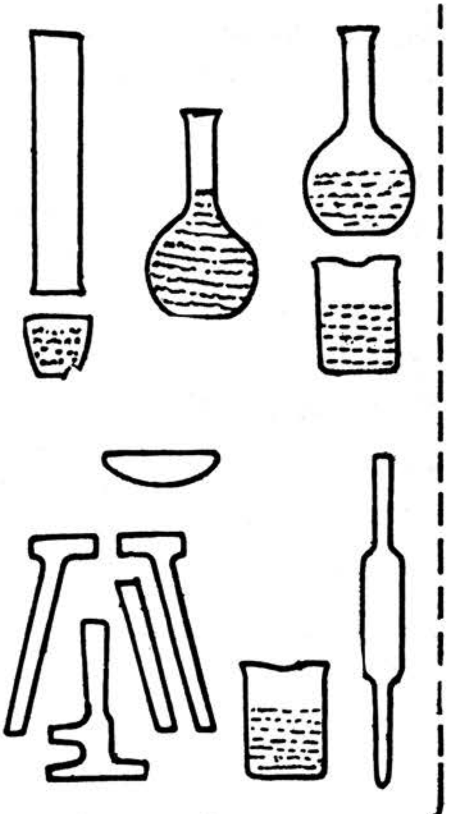

جهاز جديد لمعالجة المياه المستعملة

ظهر حديثا فى فرنسا جهاز جديد لمعالجة المياه المستعملة ، ومياه الأمطار وإعادة استخدامها ، وهو عبارة عن مُرَسِّب للمياه مع معالجة فيزيائية وكيميائية لها بطريقة أسرع بمائة مرة عن المرسبات التقليدية ويعمل فى ثلاث مراحل هى : الترسيب ثم التجلط ، ثم تصريف المياه ، وبواسطة هذا الجهاز يتم التخلص من المواد الفوسفاتية العالقة بالمياه .

تصميم جديد للسيارات لضمان سلامة الركاب :

صممت إحدى الشركات الأوروبية لصناعة السيارات نظام جديد فى صناعة السيارات يحقق سلامة الركاب ، حيث يوجد مقعد السائق وسط مقدمة السيارة وليس فى جهة اليمين أو اليسار ، ويوجد خلفه صفان من المقاعد للركاب ، وهذا يتيح للسائق رؤية أفضل خلال القيادة ويجعله أكثر تركيزاً أثناء القيادة .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى ..

جهاز لتقشير ثمار الفواكة بدون فاقد

أخترع مهندس فى معهد الزراعة والغذاء بجامعة كاليفورنيا جهازاً جديدا لتقشير الفواكة بدون فاقد وأطلقوا على الجهاز اسم «الشفاط» وتعتمد طريقة التقشير على استخدام ضغط البخار ، ولكن الضغط فى هذه الحالة أقل من الطريقة التقليدية والتى كان يستخدم فيها الضغط العالى للبخار ، ويتم التقشير بتمدد الطبقة الرطبة بين القشرة ولب الثمرة خلال ثوان ، ثم يتم الشفط للقشرة بالتفريغ العالى للهواء ثم تبريد اللب ، ومن مميزاتها أنها لا ينتج عنها أى تغيير فى مذاق العصائر .

بلاستيك لازالة التلوث البيئى

تمكنت شركة يابانية من إنتاج نوع جديد من البلاستيك يمكنه امتصاص مايصل إلى عشرة أمثال وزنه من البترول والبنزين والزيوت النباتية والمواد الكيمائية التى يعد عنصر (الهالوجين) أساسا لها وتضر بالبيئة ، كما يتميز هذا البلاستيك بعدم قدرة أى مادة امتصها على التسرب منه مرة أخرى .

أجهزة حديثة للتلسكوب «هابل»

فى العام القادم ستضيف وكالة الفضاء الأمريكية إلى التليسكوب «هابل» أجهزة عالية التركيز لقياس الطيف وكاميرات بالغة التطور تستطيع التقاط صور للفضاء المحيط بنجمين يبعدان ١٥ سنة ضوئية عن الأرض ، ويشبه النجمان إلى حد كبير الشمس ، كما أنهما من نفس العمر تقريبا إلا أنهما أبرد نسبياً من الشمس ، وباستخدام الأجهزة الجديدة للتلسكوب الفضائى ، سوف يتمكن العلماء من معرفة ما إذا كان لهذين النجمين كوكب مشابه للمشترى ويبعد عن النجمين بنفس المسافة التى يبعد بها المشترى عن الشمس ؟

وحدة تحكم عن بعد بدون (كابلات)

أنتجت شركة أوروبية وحدة للتحكم عن بعد تتكون من جهازى إرسال واستقبال ، وتعمل على مسافة أقصاها ٣٠٠ متر ، وجهاز الإرسال مصمم لإرسال ثمانى أوامر إلى جهاز الاستقبال المزود بثمانية مفاتيح تحويل متلامسة تغنى عن توصيله إلى كابلات . والجهاز يصلح للاستخدام فى مجالات النقل والصناعة والأمن .

استخدام (الليزر) فى مجال الهندسة الوراثية

بالرغم من وجود العديد من أنظمة وأساليب عزل المورثات ، فإن شعاع (الليزر) أثبت تفوقه على الأنظمة الأخرى ، ويتم عزل المورثات المرغوبة باستخدام شعاع (الليزر) عن طريق تحديد مكانها على (الكروموسومات) باستخدام الخرائط الوراثية ، ثم فصل الجزء الحامل للصفات الوراثية المرغوبة من الكروموسوم ، ثم نقلها إلى داخل الخلية عن طريق عمل ثقب دقيق فى جدار

الخلية باستخدام شعاع الليزر وقد تفوق الليزر على أنظمة نقل المورثات الأخرى حيث يتم النقل بصورة مرئية وليست عشوائية إلى خلايا معينة .

الأشعة الكهرومغناطيسية لعلاج السريع

توصل أطباء أمريكيون إلى أسلوب جديد لعلاج الأشخاص الذين يعانون من نبض القلب السريع الذى يتسبب فى خفض مقدار الدم الذى يضخه القلب إلى الجسم كما أن المريض يعانى مشقة فى التنفس مع ألم فى الصدر .

كان الأطباء يعالجون هذه الحالة بالأدوية وأحياناً بالجراحة ، أما الأسلوب الجديد فيعتمد على دفع الأشعة الكهرومغناطيسية فى أنابيب من خلال شريان أو وريد إلى القلب فتحدث حرارة شديدة تتلف أنسجة معينة فى عضلة القلب تحوى الخلايا المسئولة عن نبض القلب السريع ، والعلاج الجديد لا يستغرق سوى بضع ساعات يعود بعدها المريض إلى منزله .

وجبة غذائية للحماية من مرض السرطان

قدم بعض الأطباء الألمان نصيحة طبية غذائية تقضى بتناول وجبات غذائية غنية بالفيتامينات مثل الجزر واللبن والخضروات الطازجة وجوز الهند للوقاية من الإصابة بمرض السرطان والابتعاد عن الأطعمة الغنية بالدهون ، وتأتى هذه النصيحة بناء على دراسة علمية قاموا بها فوجدوا أن نسبة تتراوح من ٣٠ إلى ٤٠ ٪ من الوفيات بمرض السرطان فى أوروبا ترجع إلى أساليب التغذية الخاطئة .

أكتشاف بروتين لعلاج الإيدز والسرطان

أعلن الأطباء الكنديون عن أكتشافهم لبروتين معين يستطيعون استخدامه فى علاج الإيدز والسرطان ، وسوف يفتح هذا الكشف الطريق أمام تطوير أدوية من شأنها منح جهاز المناعة فى الجسم قوة للقضاء على االخلايا المصابة بالمرض .

أعلن مدير معهد السرطان فى كندا أن الكشف سوف يمكن الأطباء من التحكم بالكامل فى عمل جهاز المناعة إما بالسماح له بممارسة وظائفه أو منعه مؤقتا ، حتى يتمكنوا من القضاء على المرض الذى يعانى منه المريض .

اللغة والنقد والأدب

طبقات المحققين والمصححين

الأستاذ/ علي محمد البجاوي رحمه الله

(٦)

الأستاذ الدكتور/ السيد الجميلي

من مشايخ المحققين المشاهير الذين أنعم الله عليهم برصيد وفير من الأخلاق الكريمة المرضية ، ولم يخرج عن أسلافه الكرام فى دائرة العلم والفضل والفضيلة ، فقد كتب الله ـ تعالى ـ على يديه خيراً عميماً ، وفضلاً عظيماً كانت الأمة أحوج ما تكون إلى ما قدَّمه وأسداه فى سخاء منقطع النظير .

لقد حقَّق المرحوم على محمد البجاوى كثيراً من الكتب النافعة ، والأسفار الثمينة من تراث الأجداد ـ رضوان الله عليهم ـ فأخرج إلى النور مخبوءات كنوزهم الثرية المأهولة التى انطوت على خير عميم ، وفضل جزيل شهد له الصادر والوارد ، فلم يخف فضله على أحد .

إن آثار أولئك الأعلام العلماء العاملين تدل عليهم ولا ينكرها إلا كاشح أو موغور مصدور . إذ إنها آثار باقية خالدة ، لايخبو ضوؤها ، ولا ينضب معينها حتى الأبد الأبيد .

● ● ●

وُلِدَ صاحبنا الأستاذ على محمد البجاوى فى اليوم الثانى من شهر سبتمبر سنة ثلاث وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان ميلاده فى (مجلة البرانقة) ، مركز (الباجور) منوفية .

وقد تهيأ له ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ ما تهيأ لكثير من أضرابه ورفقائه ، لكن لم يصنعوا مثل صنيعه ولا قدموا مثل ما قدم ، فقد حفظ القرآن الكريم فى صباه فى كتاب القرية ، ولم يصل أحدٌ من أضرابه وأترابه إلى ما وصل إليه من سبق فى القراءة والحفظ والتجويد فى قرية مجاورة لقريته ، ثم بعد ذلك كان له شرف الالتحاق بالأزهر الشريف فمكث به أربع سنوات ثم التحق بمدرسة القضاء الشرعى سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف للميلاد وقد مكث بها سنة واحدة إذ ألغيت المدرسة حينئذ . ثم التحق بتجهيزية دار العلوم وتخرج فيها سنة ثلاثين وتسعمائة وألف ١٩٣٠ للميلاد ، وهو ابن سبع وعشرين ربيعاً ، وكان الثامن بين المتخرجين فى تلك السنة ، وكان عددهم مائتين وخمسين طالباً .

وفى سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف نال **دبلوم الدراسات** العليا بدرجة جيد جداً ، وكان **أعلى تقدير** فى تلك السنة حيث كان الأول على **دفعته** .

مؤهلاته :

● **دبلوم** دار العلوم سنة ١٩٣٠م .

● **دبلوم** الدراسات العليا سنة ١٩٤٥م .

الوظائف :

عمل المرحوم على محمد البجاوى فى عديد من **المناصب وفى** كثير من المواقع الحيوية الهامة ، فابتدأ **حياته مدرساً** بالمدارس الإبتدائية الحرة .

ثم عمل مصححاً بالمطبعة الأميرية . ثم عمل **مدرساً** بمدرسة الصف الابتدائية التابعة لوزارة **التربية والتعليم** ، ومكث بها مدة عامين ، نقل **بعدهما إلى** مدرسة (مصر الجديدة) الابتدائية **للبنات** .

ثم رُقِّىَ بعد ذلك إلى (الثقافة النسوية) **بالزيتون** سنة اثنتين وأربعين وتسعمائة وألف . **ولبث فيها** سنة واحدة ، نقل بعدها إلى مدرسة **(السنية الثانوية)** للبنات ، ثم نقل إلى مدرسة **(مصر الجديدة)** الثانوية للبنات بعد سنة واحدة .

وبعد حصوله على دبلوم الدراسات العليا سنة خمس وأربعين وتسعمائة وألف رُقِّى للعمل فى **معهد المعلمين** الإبتدائى بشبين الكوم .

وبعد سنة نقل إلى معهد المعلمين بالزيتون . وبعد سنة رُقِّى إلى مدرس أول بمعهد المعلمين بشبين الكوم ، وبعد سنة نقل إلى معهد المعلمين بالزيتون .

وفى سنة خمسين وتسعمائة وألف رُقِّى إلى مفتش ثانوى للغة العربية ، مع ندبه إلى إدارة البحث الفنى بالوزارة .

ثم اُنْتِدبَ بعد ذلك فى هذه الفترة لتدريس اللغة العربية فى معهد الزمالك ، وكلية التربية بالمنيرة ودار العلوم ، والجامعة الأزهرية .

مؤلفاته :

قام الأستاذ على محمد البجاوى ـ **رحمه الله** ـ بتأليف وتصنيف كثير من الكتب النافعة تتلمذ له عليها لفيف من الأجيال المتعاقبة التى ارتوت من هذا المعين الثر ، والفرات الرقراق .

شارك المرحوم على محمد البجاوى **فى تأليف** الكتب المدرسية إذ كان عضواً **فى اللجان المنوط** بها تأليف كتب وزارة **المعارف العمومية** ، ثم وزارة التربية والتعليم بعد ذلك . **وكان مشاركاً** مع أعلام عصره من المؤلفين والمحققين وهم :

ـ الدكتور طه حسين .

ـ الأستاذ عبد السلام محمد هارون .

ـ الأستاذ إبراهيم إسماعيل الإبيارى .

ـ الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى .

ـ محمد أبو الفضل إبراهيم .

رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة كفاء ما قدموا وأسدوا للعلم وأهله .

ومن مؤلفاته التى نالت ذيوعاً وشيوعاً وشهرة :

أولًا : مؤلفات مدرسية :

● مقتطفات من كتب الأدب (جزءان) وكان مقرراً فى وزارة التربية والتعليم للسنتين الثانية والثالثة من المدارس الثانوية .

● فصول مختارة من كتب التاريخ (ثلاثة أجزاء) وكان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الثانوية .

● النصوص الأدبية للمدارس الإعدادية (ثلاثة أجزاء) وقد كان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المرحلة الإعدادية .

● القراءة والنصوص الأدبية (ثلاثة أجزاء) وقد كان مقرراً فى الوزارة فى السنوات الأولى والثانية والثالثة من المدارس الإعدادية .

● القراءة الإعدادية الجديدة (ثلاثة أجزاء) وكان مقرراً فى السنوات : الأولى والثانية والثالثة من المدارس الإعدادية .

● النصوص الإعدادية الجديدة (**ثلاثة أجزاء**) وكان مقرراً فى السنوات الأولى **والثانية** والثالثة من المدارس الإعدادية .

● القراءة المختارة (جزء واحد) **وكان مقرراً** فى الوزارة فى السنة الثانية الثانوية .

● صفوة القراءة (جزء واحد) كان مقرراً فى الوزارة فى السنة الثالثة بالمدارس الثانوية التجارية .

● المختار من القراءة والنصوص الأدبية (جزءان) وكان مقرراً فى المدارس الثانوية الزراعية للسنتين الأولى والثانية .

● صفوة المطالعة (ثلاثة أجزاء) كان مقرراً فى المدارس الثانوية التجارية فى السنوات الأولى والثانية والثالثة .

ثانياً : مؤلفات وتحقيقات غير مدرسية :

(أ) مؤلفات غير مدرسية : بالمشاركة أو منفرداً :

١ ـ قصص القرآن ـ جزء واحد .

٢ ـ أيام العرب فى الجاهلية ـ **جزء واحد** .

٣ ـ أيام العرب فى الإسلام ـ **جزء واحد** .

٤ ـ قصص العرب ـ أربعة **أجزاء** .

٥ ـ قصص الأولين ـ جزء واحد .

٦ ـ مجموعة قصص دينية .

وكان صنوه وأخوه الأستاذ **محمد أبو الفضل إبراهيم** ـ رحمهما الله ـ مشاركاً له فى كثير من مؤلفاته هذه كما شاركه فى تحقيق هذه الكتب التالية :

١ ـ المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ـ جزءان .

٢ ـ الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى ـ ثلاثة أجزاء .

٣ ـ الصناعتين لأبى هلال العسكرى ـ مجلد واحد .

٤ ـ الوساطة بين المتنبى وخصومه ـ جزء واحد .

● ● ●

وانفرد ـ رحمه الله ـ بتحقيق الكتب التالية منها ما نشر فعلًا ، ومنها ما لا يزال مخطوطاً لم يطبع بعد :

١ ـ زهر الآداب للحصرى القيروانى ـ جزءان .

٢ ـ مراصد الاطلاع فى أسماء الأمكنة والبقاع ـ ثلاثة أجزاء .

٣ ـ أحكام القرآن لابن العربى ـ أربعة أجزاء .

٤ ـ ميزان الاعتدال للذهبى ـ ستة أجزاء .

٥ ـ الاستيعاب لابن عبد البر ـ أربعة أجزاء .

٦ ـ الموشح للمرزبانى ـ جزء واحد .
٧ ـ جمهرة أشعار العرب للقرشى ـ جزءان .
٨ ـ المشتبه للذهبى ـ جزءان .
٩ ـ تبصير المنتبه فى تحرير المشتبه ـ أربعة أجزاء .
١٠ ـ جزء من نهاية الأدب فى فنون الأدب للنويرى ـ المؤسسة العامة للتأليف .
١١ ـ جزء من الأغانى ـ المؤسسة العامة للتأليف .
١٢ ـ جمع الجواهر للحصرى القيروانى ـ جزء واحد .
١٣ ـ معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ـ ثلاثة أجزاء .
١٤ ـ الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر ـ ثمانية أجزاء .
١٥ ـ مختارات ابن الشجرى ـ جزء واحد .
١٦ ـ البحر المحيط .
١٧ ـ الشفا فى التعريف بحقوق المصطفى ـ جزءان .
١٨ ـ شرح المفضليات للتبريزى ـ ثلاثة أجزاء .
١٩ ـ الأمثال من الكتاب والسنة للترمذى ـ جزء واحذ .
٢٠ ـ نهاية الأدب ـ جزء واحد .
٢١ ـ حلية الأولياء ـ عشرة أجزاء .
٢٢ ـ تفسير ابن كثير . وكان هذا آخر أعماله ، وكان أمنية غالية أثيرة عنده ، والتى كان يكررها دائماً أنه يريد أن يختم هذه الأعمال الجليلة والرحلة الشاقة المديدة بهذا العمل الخالص المبرور فى تفسير كتاب الله ـ تعالى ـ وكان له ما أراد إذ فرغ من تحقيق ابن كثير فى حياته لكن لا يزال مخطوطاً حتى اليوم ، وإننى أهيب بكريمته الأستاذة الدكتورة فتحية على محمد البجاوى أن تسارع فى نشر هذا العمل الطيب حتى تظفر بالحسنيين ـ إن شاء الله تعالى ـ حيث يكون ذلك وفاء وبراً بأبيها وإنفاذاً لعهده ، وزيادة فى ميزان حسناته وهو مسك الختام الذى كان يطمح إليه ويرغب فيه .

من ناحية أخرى أن هذا العمل الفريد من عالم ممارس لابد أن يكون منطوياً ومحتوياً على لطائف وفوائد وتنبيهات غير مسبوقة فى طبعات هذا التفسير السابقة ، ومن حقها علينا نشرها على أوسع نطاق .

● ● ●

قطن المرحوم على محمد البجاوى وألقى عصاه ، وضرب بجرانه بضاحية مصر الجديدة منذ سنة ست وثلاثين وتسعمائة وألف حتى وفاته .. وهذا المنزل الميمون المبارك الذى شهد هذه الثورة العلمية والنهضة الفكرية تأليفاً وتحقيقاً كان قريباً من منزل أخيه وصفيه وخدينه المحقق العلامة المرحوم محمد أبو الفضل إبراهيم .

وفى يوم الثامن والعشرين من أغسطس سنة ثمان وسبعين وتسعمائة وألف للميلاد ، بعد هذا الكفاح الموصول رغبت هذه النفس الطيبة المبرورة إلى الخلود الأزلى ، وقد نضت عن نفسها أثقال الدنيا فأشاحت بوجهها عنها ، واستدبرتها لتلقى ثوابها جزاء من ربك عطاء حسابا بما أسلفته وقدمته من فوارط الخير والبركات والطيبات من صالح الأعمال .

رحم الله على محمد البجاوى ، رحمة واسعة ، وأسكنه فسيح جناته ، وسلامٌ عليه فى الصالحين .

أهمية التعريب والمصاعب التى تواجهه ومقترحات للتغلب عليها

(٢)

بقلم الأستاذ محمد محمد عتريس

المصاعب التى تواجه التعريب(*)

أولى هذه المصاعب وأفدحها ، (تخلفنا) نحن أبناء العربية فى مجالات العلم والتكنولوجيا والاكتشافات والمعرفة بصفة عامة . ذلك أن الحاجة إلى سك كلمات جديدة مرتبطة بعمليات البحث والاكتشاف والاختراع .

فمثلا كلمة Morphine (مورفين) التى دخلت الانجليزية عام ١٨٢٨ ، كلمة ألمانية الأصل Morphin . والمورفين مادة حريفة شبة قلوية بلورية ، وهى بيضاء أو عديمة اللون . وتستخرج من مادة الأفيون ، وتستخدم فى الطب لتخفيف الآلام .

لكن كيف سميت بهذا الاسم ؟

الذى أطلق عليها هذا الاسم الصيدلى الألمانى شرتورنر (Sertūrner)(1) الذى كان له الفضل فى فصل هذه المادة من الأفيون بعد ما قام به من أبحاث ، والكلمة مشتقة من كلمة (مورفيوس Morpheus) اللاتينية ، و(مورفيوس هو إله الأحلام فى الأساطير الإغريقية عند الوثنيين القدماء) ؛ويبدو أن (شرتورنر) ربط بين غياب الوعى المؤقت أثناء النوم وأحلامه ، وبين فقدان الإحساس بالألم عند تناول المادة التى فصلها عن الأفيون فنسبها إلى(مورفيوس) .

(*) هذا هو القسم الثانى من بحث الكاتب إلى المؤتمر السنوى لتعريب العلوم الذى عقدته جامعة الأزهر فى المدة ١ ـ ٢ من ذى القعدة ١٤١٦ (٢٠ ـ ٢١ مارس ١٩٩٦) . وقد نشر القسم الأول من البحث فى العدد الماضى من مجلة الأزهر (عدد المحرم ١٤١٧) بعنوان : « أهمية التعريب » .

(1) ولد فى عام ١٧٨٣ وتوفى فى ١٨٤١ ، انظر : Chamber's Biographical Dictionary

ولنأخذ مثلا آخر ، كلمة Pasteurisation أى البسترة بالعربية وتعنى : التعقيم الجزئى للمادة (وخصوصا اللبن) عند درجة حرارة تكفى فقط لتدمير البكتريا الضارة ودون إحداث تغيير كيميائى جوهرى للمادة يقلل من فائدتها . والذى اخترع طريقة التعقيم هذه هو العالم الفرنسى (لوى باستير) فنسبت إليه وسميت باسمه . ولو افترضنا مثلا أن الذى اخترع هذه الطريقة عربى يسمى راشد ، إذن كانت ستنسب إليه ، وبدلا من أن نقول بسترة اللبن كنا سنقول ترشيد اللبن ــ وعند ذاك كان سيقع على يد المتحدثين بالعربية عبء إيجاد كلمة فى لغاتهم تعبر عن هذا المعنى .

فنحن ــ إذن ــ نواجه مشكلة لغوية تعبيرية ناتجة عن مشكلة أخرى هى تخلفنا فى مجال المعرفة . والأمثلة فى هذا الصدد تجل عن الحصر .

ثانيا : الكثير من المقابلات العربية التى أوجدناها للكلمات الأجنبية تبدو غير سائغة ــ وهذا واحد من أسباب عدم دورانها على الألسنة . خذ مثلا كلمة « تَجْوِيَة » التى وضعها مجمع اللغة العربية مقابلة لكلمة (Weathering) الإنجليزية وتعنى التغيرات التى تطرأ على الصخور نتيجة لتأثير العوامل الجوية مثل المطر والصقيع والبرد والرياح وتعاقب الاختلاف فى درجة الحرارة[٢] . وربما استثقل البعض كلمة « تجوية « خصوصا فى أيامنا هذه التى تتعرض فيها لغتنا الحبيبة لكيد السفهاء الجهلاء وسخرية الرذلاء الأخساء ؛ فهل يمكن استبدال كلمة « تجوية « بـ « التغيرات الناتجة عن العوامل الجوية » . وهنا يثور سؤال جدير بالاهتمام : هل الأفضل أن يكون المقابل العربى للكلمة الأجنبية كلمة واحدة مهما بدت غريبة أو غامضة ، أو أنه يمكن أن يكون المقابل أكثر من كلمة ابتغاء السلاسة والوضوح ؟

وعلى نفس الصفحة مع كلمة « تجوية » عرض المجمع المقابل العربى لكلمة (Water control) على أنه « ضبط الماء» ، وربما كانت كلمة « التحكم فى الماء » أقرب إلى الأذهان .

وفى صفحة ٢٣٥ من ذات المصدر أورد المجمع كلمة « القابلية للتوائم » مقابلة للكلمة الانجليزية (Adaptability) وربما كانت كلمة « القدرة على التكيف » أقرب إلى التداول .

وفى صفحة ٢٣٧ أورد المجمع كلمة « تعليم الراشدين » مقابلة لكلمة (Adult education) وأعتقد أن المقصود هو « تعليم الكبار » وهى الشائعة .

وربما بدت الغرابة أكبر عند نحت الكلمات أى تركيب الكلمة من كلمتين أو كلمات ، مثل كلمة « ينزطب » مقابلة لكلمة (denaturalise) أى ينزع عن الشيء خصائصه الطبيعية ، فالجزء الأول من « ينزطب » مأخوذ من (ينزع) ، والجزء الثانى من (طبيعية) . لكن يمكن أن يكون مقابلها « يمسخ » .

ثالثا : الكلمات المشاكسة التى يصعب تطويعها وإيجاد مقابل عربى لها . وما أكثر هذه الكلمات المشاكسة ، ولطالما عركتنى وعركتها ، وما برحت تجهد الذهن وتقض المضجع . ويلقى المترجمون من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية

(٢) انظر : محاضر جلسات مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى الدورة الرابعة والأربعين ص ٣٥٦ و٣٥٧ .

العنت الشديد حيال هذه الكلمات التى يضرب أصحاب المعاجم (الانجليزية / العربية) صفحا عن ذكرها ويتفادون إثباتها فى معاجمهم ؛ أو يوردون ، فى أحسن الأحوال ، عبارات مطولة لشرحها .

ومن الأمثلة على ذلك كلمة (transparency) التى جاء مقابلها العربى فى معاجمنا الإنجليزية / العربية : (شفافية) . وكانت الكلمة قد وردت إسما لمنظمة دولية أنشئت مؤخرا لمقاومة الرشاوى والعمولات الحرام على المستوى الدولى وهى منظمة (Transparency International)(٣) .

وقد رجعت إلى قاموس Webster's Ninth New Collegiate Dictionary وجدت معنى ثانيا لكلمة Transparent لم يرد فى معاجمنا (الانجليزية / العربية) هو : Free From Pretense or deceit أى : المنزه عن الغش والخداع ، أى : المستقيم ؛ هذه هى الصفة ، والاسم منها : الاستقامة . وعلى ذلك يكون المقابل العربى لكلمة transparency هو : ١- الشفافية ، ٢ ـ الاستقامة ، ويكون اسم المنظمة : منظمة الاستقامة الدولية .

ولنأخذ مثلا آخر هو كلمة (backebnch) التى لم ترد فى معاجمنا (الانجليزية / العربية) . لكنها وردت فى معجم Longman وشرحها : members of parliament who do not hold official positions in the government or opposition and who sit on the back seats.

أى : الأعضاء العاديون أو أصحاب المقاعد الخلفية فى البرلمان .

ولنأخذ مثلا ثالثا يبين طول العبارة التى أوردها معجم « المورد » شرحا لكلمة (activism) : « مذهب الفعالية ، مذهب يؤكد على ضرورة اتخاذ الاجراءات الفعالة أو العنيفة (كاستعمال القوة لتحقيق الأغراض السياسية » وأرى أنه من الممكن أن يكون مقابلها العربى : عنف سياسى .

رابعا : تعودنا على استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية رغم أن الأخيرة أسهل وأرق ، ويسهل التعرف على مدلولاتها وفهمها . ومن ذلك : التليفون : الهاتف ، التلغراف : البرق ، الجول(٤) : الهدف ، كونسلتو : هيئة طبية ، السكرتير : أمين السر ، اليوبيل الفضى : العيد الفضى ، الماتش(٥) : المباراة ، الكوفرتة : الغطاء ، ترابيزة السفرة : المائدة ، الشماعة : المشجب ، البرافان : الساتر ، سكندهاند : مستعمل أو نصف عمر ، سندوتش : شطيرة ؛ دركسيون : عجلة القيادة ، بترون : نموذج .. وغيرها كثير مما أورده الأستاذ محمود تيمور فى مؤلفه « معجم الحضارة » الذى صدره بمقدمات مفيدة فى مجال التعريب وطرائقه هى : هذا المعجم ، كلمات طيبة ، ألفاظ الحضارة ، وصراع الفصحى

(٣) تم التفكير فى إنشائها فى برلين عام ١٩٩٣ ، تضم خبراء بارزين فى مجال العمل بوكالات التنمية والمعونة الدولية ، وتهدف إلى القضاء على الفساد فى أعمال المقاولات الدولية . صحيفة « فينانشال تايمز » ٥ مايو ١٩٩٣ .

(٤) تنطقها الجماهير : جون ، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ .

(٥) تنطقها الجماهير : مطش ، وهذه ليست إنجليزية ولا عربية وإنما مسخ شائه ، وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية .

والعامية . ويمكن أن تكـــون محل منـــاقشة ومدارسة .

وربما لاحظ القارىء صعوبة قراءة هذه الكلمات الأجنبية حال كتابتها بالعربية . فرغم أن نطقها مألوف إلا أن رسمها بالعربية يبدو غريبا ويتعسر نطقه ـ وهذه سوءة أخرى من سوءات استخدام كلمات أجنبية بدلا من العربية .

ولا يستغربن مستغرب إمكانية العدول عن اللفظ الأجنبى إلى بديله العربى الواضح . فمثلا كانت كلمة « البوستة » هى المستخدمة على المستويين الحكومى والشعبى منذ حوالى أربعين عاما عندما استبدلتها الحكومة ـ إبان صحوة وغَيْـرَة قومية شملتا لغتنا الحبيبة ـ بكلمـــة « البريـد » ، فشاعت هذه الأخيرة وذاعت . وكان من ثمار تلك الصحوة ما بذل من محاولات آنذاك لاستبدال اللافتات الأجنبية للمحلات التجارية والشركات والمنتجات بأخرى عربية .

خامسا : القصور الشديد فى معجمنا العربى . فمعاجمنا العربية اللغوية قليلة قليلة ، كما أن معاجمنا العربية المتخصصة فى فروع العلم والمعرفة لا وجود لها تقريبا . بينما المعاجم الأجنبية ـ والانجليزية منها خاصة ـ كثيرة كثيرة وتجل عن الحصر ، ومستوياتها متنوعة ومتدرجة تبدأ بمستوى تلاميذ الابتدائى وتنتهى بالمستوى اللازم للعلماء والباحثين ، وبين هذا وذاك عشرات الأحجام والمستويات . وتجديدها دائم ؛ إذ تصدر كل عام طبعة جديدة تضم ما استجد من كلمات ومصطلحات وتراكيب لتواكب تطورات الحياة والعلوم وأحداث السياسة وتقلبات الأحوال ، فتسعف الباحث بضالته والطالب ببغيته .

كنت أعمل فى دولة عربية منذ سنوات ووجدت بين يدى التلاميذ معاجم إنجليزية متدرجة : لكل مرحلة تعليمية معجمها ، وهو أمر محمود ؛ لكن العربية لا معاجم لها ـ ياللخيبة ويالأسى ! وهنا يبرز سؤال :

وماذا عندنا من المعاجم العربية ؟ من المعاجم القديمة ما لايزيد على عدد أصابع اليد لعل أبرزها « لسان العرب » الذى جمع فيه ابن منظور المصرى (توفى ٧١١هـ ـ ١٣١١م) ما ضمته كتب السابقين ـ لكنه لم يعد يفى بحاجتنا بعد سبعة قرون ، ومن المؤلم ـ حقا ـ أننا نقرأ عن نباتات ، فى هذه المعاجم ، كُتِبَ إزاؤها : (نبت معروف) وهو غير معروف إطلاقا ، وكان من حق العلم على المسئولين أن يوفروا لهذه المعاجم المال الذى يفى بطبع صور هذه النباتات بألوانها الطبيعية ، فتؤدى حق العلم بها .. فإلى متى .. إلى متى ..! والصورة أبيض وأسود لا قيمة لها .

ولقد ظهرت معاجم حديثة ؛ لكنها ، فضلا عن ضآلة عددها ، لا تشفى غليلا ، ومنها ما يعتوره نقص مشين كذلك الذى أغفل ـ فى طيش وجهالة ـ الشواهد القرآنية المعجزة فى بيانها ، وربما كان « المعجم الوسيط » و« المعجم الوجيز » الصادران عن مجمع اللغة العربية أفضل ما صدر من معاجم حديثة ، ومنهما تنهل المعاجم الأخرى . صدر من « الوجيز » طبعة واحدة ومن حسن الطالع أنه يوزع على تلاميذ المرحلة الثانوية ، وهو معجم جيد يناسبهم ـ لكن لابد من تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر .

أما « المعجم الوسيط » فصدرت طبعته الأولى فى عام ١٩٦٠ والثانية فى ١٩٧٢ ، بفارق اثنى

عشر عاما ، وهى مدة طويلة جدا ، والأطول منها السنوات التى مرت على الطبعة الثانية وتقارب ربع قرن – مما يجعله متخلفا عن مواكبة ما استجد فى العصر من كلمات ومصطلحات فى شتى المجالات . كما أن بعض شروحه موجزة إيجازا مخلا فمثلا جاء فيه أن يوم التروية هو الثامن من ذى الحجة، ولم يوضح أنه اليوم قبل يوم عرفة، وسمى كذلك لأن الحجاج يتروون فيه من الماء وينهضون إلى (منى)، ولا ماء بها. و« الوسيط » لا يسعف من يلجأ إليه طالبا شرحا أو باحثا عن معنى ، فمثلا لم يتناول كلمة « عهد الرواية » لا فى مادة (عهد) ولا فى مادة (روى) . كما أغفل تعريفات نحوية هامة مثل الفعل الأجوف (ما كانت عينه حرف علة) ومثل الفعل الناقص (المعتل الآخر) ومثل الاسم المقصور (المعرب الذى فى آخره ألف لازمة) وغير ذلك كثير . وأبناء العربية يطالبون مجامعهم اللغوية – ولهم كل الحق فى مطالباتهم – بإخراج معاجم تسعف الباحثين والدارسين بكل ما يحتاجونه فى لغتهم من لفظ أو ضبط أو تعبير أو معنى .

لم لا يخرج المجمع معجما حجمه يماثل ضعف حجم « الوسيط » ، ومعجما ثانيا حجمه ثلاثة أو أربعة أمثال الوسيط ، مع تحديثه مرة كل خمس سنوات على الأكثر ؟ والحديث عن « المعجم الكبير » التاريخى غير وارد تماما فى هذا السياق ، فالعمل فى بنائه – بالهمة الحالية – سوف يستغرق نصف مليون يوم .

وفى اللغة الانجليزية نجد المعاجم المتخصصة فى كل فرع : فى الطب ، الهندسة ، الذرة ، الموسيقى ، الأدب ، إلخ . وهذه النوعية من المعاجم (العربية / العربية) المتخصصة غير معروفة عندنا تقريبا . ونفس القُصور قائم بالنسبة لدوائر المعارف والموسوعات[٦] مما ألجأنا إلى المعاجم والموسوعات الأجنبية نأخذ عنها – وهو أمر ترد عليه محاذير وتحف به المخاطر لعل أدناها الاحساس بالدونية والانبهار والافتتان بالأجنبى . ولابد من الاشارة هنا إلى إصرار الغرب بزعامة أمريكا على ضرورة إدخال المواد الثقافية ضمن (اتفاقية الجات) الجديدة ، وتجريم نقلها أو الأخذ عنها إلا باتفاق مع مؤلفيها .

سادسا : تفشى العامية فى أحاديث المسئولين وفى مجلس الشعب وفى وسائل الاعلام من صحافة وإذاعة وتليفزيون – بل والاصرار على استبعاد الفصحى ، وهو أمر محزن حقا خصوصا إذا عقدنا المقارنة بين أسلوب الكتابة فى الصحافة الإنجليزية مثلا وأسلوب الكتابة فى صحافتنا المصرية . فالبون شاسع والهوة سحيقة . ولا تُلق بالا إلى من ينادى بتدنى لغة الصحافة لتلتقى مع العامة . إن المرء ليتوقف أمام سطور وصفحات فى صحيفة Financial Times أو فى صحيفة International Herald Tribune مثلا وكل منها يومية إنجليزية ، يتوقف المرء إعجابا وانبهارا بدقة التعبير وسحر البيان والقدرة الباهرة على الصياغة بأسلوب أدبى

(٦) أخرجنا منذ ثلث قرن « الموسوعة العربية الميسرة » تلك اليتيمة المبتسرة التى لم تقو على البقاء .

رفيع وتطول الجملة وتطول ، والكاتب الصحفى ممسك بالزمام مسيطر على المعنى ينساب فى وضوح ، مستوحيا ، آثار الأدباء البليغة مستدعيا معلومات موسوعية عميقة تؤكد وتبرز ما يريد من معنى . وهل أتاكم نبأ معجم مجلة « الإيكونوميست » الأسبوعية البريطانية الشهيرة التى تحرر موادها بأسلوب عال لا يقدر عليه إلا ذوو المستويات العالية والثقافات الرفيعة . نعم ! مجلة لها مفرداتها ومعجمها .

أما العربية فرزئت ببعض أبناء جهلاء — والصديق الجاهل أشد ضررا — راحوا يروجون لمغالطة تزعم أن للصحافة لغة وسطا بين العامية والفصحى . وهى فرية يذيعها من قصرت همتهم عن إجادة العربية الشاعرة الجميلة . ولست بحاجة إلى التذكير بأن انتشار العامية يعنى تجزئة أوصال الوطن العربى — فالعربية الفصحى من أهم دعائم توحيد الأقطار العربية . والعامية — كما هو معروف — مرتبطة بالمحلية لا يفهمها إلا أهل حِلّتها[٧] . فالمصرى ذو اللهجة الصعيدية يتعذر عليه التخاطب والتفاهم مع أبناء اللهجة السعودية أو المغربية مثلا . ثم إن العامية لاقواميس لها ولا تخضع لقواعد اللغة من نحو وصرف وما إلى ذلك — ومن ثم فهى لا تنهض بالتعبير عن المعانى بالدقة والتحديد الواجبين[٨] .

ولابد من الإشارة إلى صنائع الاستعمار الفكرى والثقافى الذين تولوا كبر الدعوة إلى العامية ، واضعين السم فى العسل لينخدع بهم السذج والبسطاء ، نافثين فى كتاباتهم المخادعة حقدهم الدفين على العربية ، لغة القرآن العظيم ووشيجة الوحدة بين أبناء الأمة العربية ؛ ولله دَرُّ أبى فهر ، الأستاذ محمود محمد شاكر ، الذى فند فى كتابه « أباطيل وأسمار » مزاعم واحد من الموتورين أعداء العربية ، وقال فى وصفه : « وإذا أسودُ سالخ (وهو أقتل ما يكون من الحيات) يمشى بين الألفاظ فيُسمع لجلده حفيف ، ولأنيابه جرْس ، فمازلت أنحدر مع الأسطر والصوت يعلو ، يخالطه فحيح ، ثم ضباح ، ثم صفير ، ثم نباح (وكلها من أصوات الأفاعى) .

سابعا : الجهالة والغفلة ، فبعضنا يتوهم أن الرطانة بكلمات أجنبية تتخلل حديثة ، أو أن عدم المعرفة بلغتنا الأم إنما يعطيه تميزا — وربما كان هذا من جراء الاستعمار الفكرى والمعاناة من عقدة الأجنبى . والحقيقة هى أن قلة قليلة منا نحن أبناء العربية هم الذين يجيدون لغة أجنبية كالانجليزية أو الفرنسية . والشواهد على ذلك كثيرة تشاهدها فى خريجى الجامعة وفى رجال الصحافة والسياسة والاعلام . ومثل الذى يخلط فى حديثه كلمات عربية وأخرى أجنبية كمثل الغراب الذى أراد أن يقلد الحجلة فى مشيتها فى حكايات كليلة ودمنة فلا أجاد مشى الحجلة ولا احتفظ بمشيته ، وإنما انتهى به الأمر إلى طريقة فى المشى غريبة تثير الضحك والاشفاق .

---

(٧) الحلَّة : جماعة البيوت .

(٨) ونحن فى عصر وحدة القياس فيه واحد من الألف — بل من المليون — من الملليمتر . وهنا ينبغى أن ننتبه إلى أن بعض أبنائنا الذين يقومون بعمل دراسات عليا يرغمهم بعض أساتذة المعاهد الغربية على أن يقدموا دراسة مفصلة عن العامية فى بلادهم .

والذين يقحمون الكلمات الأجنبيـــة فى أحاديثهم عاجزون فى الأغلب عن التعبير عن أنفسهم بلغتهم الأم ، وهو أمر مخجل ومحزن .

ثامنا : الهجمة الشرسة المتمثلة فى تفوق الأجنبى : تفوقه الاقتصادى والعسكرى و التكنولوجى ، ونفوذه السياسى وتقاليعه ورذائله وشذوذه وانحرافاته التى تمادى فيها إلى درك سفيل - كل هذا جعله فى نظر الغافلين المثل والقدوة ، وانعكس ذلك بالتالى على لغته التى تلقى الاحترام والإكبار ، أما لغتنا الأم فتلقى من أبنائها الهوان .

مقترحات للتغلب على المصاعب
التى تواجه التعريب

أولا : استنفار السلطات لحماية لغتنا الأم . وفى الحديث : « من يزعُ السلطانُ أكثرُ ممن يزعُ القرآن » ومعناه أن من يكف عن ارتكاب العظائم مخافة السلطان أكثر ممن تكفه مخافة القرآن والله تعالى[٩] ، ويقول المثل الانجليزى :

Being right without might will get you nowhere.

ومعناه : لن يتحقق لك شىء إذا كنت على صواب أو على حق طالما لم تكن لديك القوة اللازمة للتنفيذ .

وفى هذا الصدد أرى أن تلحق مجامع اللغة العربية برئاسة الدولة ، فمن شأن ذلك أن يضفى عليها وعلى قراراتها الهيبة والإلزام . وقيام رئيس الدولة بافتتاح دور الانعقاد السنوى للمجمع سيكون وسيلة ناجعة لذيوع شأن المجمع والاعلام بوجوده - وبذلك يتبدد الخوف من أن تسدل ستائر النسيان على المجمع وأنشطته .

ومن الوارد كذلك العمـــل على إصدار تشريعات تلزم باستخدام الألفاظ العربية بدلا من الأجنبية ، وبأن تكون أسماء الشركات والحوانيت والمنتجات عربية ، ويقع على مجامع اللغة عبء إعداد مشروعات القوانين اللازمة لذلك ودفعها عبر القنوات الدستورية إلى حيز الوجود ، وعلى المجامع الاستفادة من خبرة أعضائها وعلمهم ونفوذهم فى هذا المجال .

ثانيا : وجوب نشر الألفاظ العربية التى تضعها مجامع اللغة على أوسع نطاق : فى الإذاعة وعلى شاشة التليفزيون وفى الصحف والمجلات - على أن تكون مصحوبة بما دار بشأنها من بحث ونقاش ، فتكون محل نظر الناس عامة ونظر المعنيين المهتمين خاصة ، فيدلون بآرائهم فيها ، وتتحقق من وراء ذلك فائدتان :

١ - التعريف بهذه المقابلات العربية وتقديمها إلى الجماهير لإقامة نوع من الألفة بها والتعود عليها ، مما يسهل فى النهاية ذيوعها وانتشارها وإزالة ما قد يصاحبها من وحشة .

٢ - غربلتها وتنقيحها ، وهذا أجدى فى تحقيق الغرض المنشود ألا وهو تسهيل وتيسير ذيوعها بعدما أصبحت مقبولة وسائغة لدى الناس .

---

(٩) انظر : « لسان العرب » مادة : وزع . وانظر أيضا : ابن الأثير ، النهاية فى غريب الحديث والأثر ، تحقيق محمد محمد الطناحى ، جـ ٥ ص ١٨٠ .

وعندنا فى مصر تبلغ ساعات الارسال من شبكات الإذاعة أكثر من ثلثمائة ساعة فى اليوم ، ومن قنوات التليفزيون أكثر من مائة وخمسين ساعة فى اليوم . هذا العدد الهائل من الساعات يلزمه قدر هائل من المواد حتى تجد الطواحين ما تتغذى عليه ، وليس بكثير أن تخصص ساعة من هذه الساعات الطِوال لعرض جلسات مجمع اللغة العربية ، واجتماعات لجانه وما يدور حولها من مناقشات وآراء تثرى لغتنا العربية وتقربها إلى قلوب وأذهان أبنائها .

ثالثا : العكوف على دراسة الطرق المستخدمة لوضع المقابلات العربِية للألفاظ الأجنبية (من اشتقاق ونحت وتعريب ، إلخ) ودراسة نشأة الكلمة الانجليزية (من خلال معاجمها الكبرى) للمقارنة والإفادة من هذا أو ذاك فى إيجاد مقابلات عربية أكثر سلاسة وقابلية للدوران على الألسن .

وقد أورد « المعجم الوسيط » فى متنه ألفاظا معربة وهى التى غيرَّها العرب بالنقص أو الزيادة أو الطلب مثل : الإبريق والإسطبل وألفاظ دخيلة وهى التى دخلت العربية دون تغيير كالأوكسجين والتليفزيون ؛ وألفاظا أقرها المجمع ووصفها بأنها ألفاظ مجمعية مثل الأبابة (Homesickness) : داء يصيب الغريب وهو شدة حنينه إلى وطنه ، ومثل أمَّم (Nationalise) الشركة أو المرفق : جعلهما ملك الدولة . ولغتنا العربية بحاجة ماسة إلى مثل هذه الألفاظ والمصطلحات يقرها المجمع لتقابل ذلك العدد الهائل من الألفاظ والمصطلحات الأجنبية . فمجمعنا ـ فى الأغلب ـ وضع الألفاظ المجمعية عند تصديه لإدخال ألفاظ ومصطلحات أجنبية إلى اللغة العربية .

ولقد صادفت فى عملى فى مجال الترجمة على امتداد خمسة وثلاثين عاما ، الكثير من الألفاظ والتعبيرات والمصطلحات الإنجليزية فى مجالات السياسة والتشريع والاقتصاد والعلوم وغيرها . وكان على أن أترجمها إلى العربية ؛ ولأنها غير موجودة فى المعاجم (الإنجليزية / العربية) كان لزاما على أن أجتهد فى إيجاد مقابلات عربية لها وذلك بالرجوع إلى شروحها فى المعاجم الانجليزية ، واستنباط لفظ عربى يفى بالمعنى . ولقد جمعت عن هذا الطريق حصيلة طيبة من الكلمات والتعبيرات والمصطلحات أورد منها أمثلة :

مفتقر إلى السيولة المادية Cashstrapped

ديمقراطية الأغلبية Consensus democracy

تدبير ، إنفاق المال فى وجوهه

Cost-effectivenses

إلغاء اللوائح البيروقراطية Deregulation

تحرير الاقتصاد Deregulation of the economy

المردود الحرام : جزء من قيمة العقد Kickback يرده المقاول إلى المسئول فى الدولة بالتواطؤ بينهما نظير ترسية المقاولة عليه بطريقة غير مشروعة تحقق للمقاول مكاسب ضخمة .

وأدعو الله أن ييسر لى نشرها ، فالنشر ليس بالأمر الميسور . وربما كانت صعوبات النشر مما يعوق التعريب .

رابعا : المراجعة المستفيضة لما وضعناه من مقابلات عربية لألفاظ أجنبية بقصد جعلها أكثر سلاسة وقابلية للتداول والانتشار .

خامسا : تقويم ألسنة الصغار بالوسيلة الناجعة الباهرة ـ أعنى إلزامهم بحفظ الأجزاء الخمسة الأخيرة من القرآن الكريم فى سنوات التعليم الابتدائى كله بحيث يحفظون جزءا كاملا كل سنة . يبدأون بجزء « عم » فى السنة الأولى ثم جزء « تبارك » فى السنة الثانية ، وجزء « قد سمع » فى السنة الثالثة ، وجزء « قال فما خطبكم » فى السنة الرابعة ، وجزء « حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم » أو (الأحقاف) فى السنة الخامسة . وبهذا تستقيم الألسنة المعوجة للمعلمين والمذيعين والصحفيين والسياسيين وغيرهم ممن يلوثون الأسماع بنطقهم الشائه لكلمات لغتنا الجميلة .

سادسا : تعريب التعليم الجامعى وخصوصا فى كليات الطب والهندسة والعلوم . فإلى جانب كون التعريب مسألة قومية تتعلق بأصولنا وكياننا ، أثبتت الدراسات أن تعليم العلوم والتكنولوجيا باللغة القومية هو أحد عناصر النجاح فى زرع العلم والتكنولوجيا فى مجتمع ما . وبينما يدرس الصينيون واليابانيون والروس والألمان والفرنسيون .. إلخ فى جامعاتهم بلغتهم القومية ، نأتى نحن فى آخر الزمان ندرس المقررات فى كليات التجارة باللغات الأجنبية بدلا من أن ينصرف جهدنا إلى التركيز على تعريب المقررات فى كليات الطب والعلوم .

ونجد هذا الاتجاه الخاطىء الغافل يزحف من كلية التجارة إلى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية حيث تحولت السفارات الأجنبية فى بلادنا إلى مورد للأساتذة الذين يفدون من لندن أو باريس لإفادتنا عن أفضل الطرق لتدريس هذه المواد بلغتهم لا بلغتنا . وهكذا أصبحنا غرباء فى بلادنا ، وعدنا من جديد إلى الغزو الأجنبى لجامعاتنا(١٠) .

سابعا : الدعوة ـ بلا كلل أو ملل ـ إلى نبذ العامية التى استشرت فى وسائل الإعلام ، وانتقلت منها إلى العامة والخاصة . وتبنى الفصحى بدلا منها . ولننظر إلى القسم العربى بهيئة الاذاعة البريطانية الذى يحافظ على سلامة العربية وفصاحتها فاستقطب المستمعين المتعلمين وغير المتعلمين على السواء . وانفض الجميع من حول إذاعاتنا بعدما عجزت عن اتخاذ الفصحى لغة تخاطب بها المستمعين .

ثامنا : العكوف على وضع معاجم عربية : لغوية ومتخصصة ، متباينة الأحكام والمستويات ومتجددة الطبعات ـ وذلك لمواكبة التطورات اللاهثة فى كل المجالات من حولنا .

ما أحوجنا اليوم إلى صحوة وطنية وغيرة قومية على أصولنا : لغتنا وديننا . فلقد استشرت العامية ، وطغت العجمة والرطانة . وفى غيبة وعى ، وفى سباق محموم ، راح أبناء العربية يتبارون فى إطلاق أسماء : بعضها أجنبى وبعضها مسخ شائه عديم المعنى منحوت من كلمات عربية وأخرى أجنبية على محلاتهم وشركاتهم ومنتجاتهم . والمنتجون إنما اختاروا لمنتجاتهم أسماء غريبة لا معنى لها ، يدفعهم إلى ذلك الحاجة إلى سرعة الكسب وكثافته .

---

(١٠) من مقال للدكتور عبد العظيم أنيس ، بعنوان : هموم تعليمية ، مجلة الهلال ، فبراير ١٩٩٦ .

توصيات المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم

نظمت جامعة الأزهر بالتعاون مع الجمعية المصرية لتعريب العلوم المؤتمر السنوى الثانى لتعريب العلوم فى الفترة من ١ إلى ٢ من شهر ذى القعدة ١٤١٦ هـ الموافق ٢٠ ـ ٢١ من شهر مارس ١٩٩٦ م وقد استعرض المؤتمر فى خلال هذه الفترة وعلى مدار خمس جلسات شملت ثلاثة وثلاثين بحثا فى مختلف موضوعات التعريب وغطت المحاور التالية :

١ ـ المحور الأول : التعريب مفهومه ومنهجه والخطوات العملية .

٢ ـ المحور الثانى : معوقات التعريب والحلول المقترحة .

٣ ـ المحور الثالث : الخبرات التاريخية فى تعريب العلوم .

٤ ـ المحور الرابع : مفهوم المصطلح وكيفية توليده .

٥ ـ المحور الخامس : الأرقام والرموز .

وقد افتتح المؤتمر فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ـ ورئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور / عبدالحافظ حلمى رئيس الجمعية المصرية لتعريب العلوم ـ نائب رئيس المؤتمر ، والأستاذ الدكتور / جعفر عبدالسلام ـ نائب رئيس جامعة الأزهر مقرر عام المؤتمر ، وشارك فى المؤتمر كوكبة من أساتذة الجامعات المصرية والعربية ومن المهتمين فى مجالات التعريب .

وقد توصل المؤتمرون إلى هذه التوصيات :

أولا : توصيات عامة :

١ ـ التوصية باعتبار التعريب مشروعا قوميا توفر له كل الامكانات المادية والبشرية والتشريعية التى تلزم استخدام اللغة العربية فى كل الأنشطة ووضع التشريعات والقوانين الملزمة لذلك .

٢ ـ سيادة اللغة العربية على خطاب المؤتمرات العلمية وتوجيه كافة الأنشطة فى المجتمع إلى منع استخدام غير العربية .

٣ ـ ضرورة إنشاء هيئات متخصصة للمصطلحات فى مختلف فروع المعرفة .

٤ ـ الاستفادة بالتقنيات الحديثة مثل الترجمة الآلية إلى اللغة العربية مع توفير البرامج والمعاجم العربية فى كافة التخصصات والمستويات والتمحيص الجيد لهذه البرامج .

٥ ـ استصدار تشريع يقرر سيادة اللغة العربيـة الفصحـى فى وسائـل الاعـلام والمدارس والمؤسسات العلمية والخدمية والهيئات والوزارات والمصالح وغيرها من نشاطات المجتمع .

٦ ـ وضع مصطلح واحدا للمفهوم العلمى الواحد ومراعاة التقريب بين المصطلحات العربية والعلمية واستخدام الوسائل اللغوية فى توليد المصطلحات العلمية الجديدة .

ثانيا : فيما يتعلق بجامعة الأزهر والجامعات الأخرى :

١ ـ إنشاء مركز للتعريب والترجمة تابع لجامعة الأزهر ذى طبيعة خاصة تكون مهمته التعريب والترجمة من اللغات الأجنبية وإليها باعتبار الجامعة حصن العربية الأول والتنسيق والتكامل مع الجمعيات المعنية فى هذا الصدد .

٢ ـ إنشاء مركز لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .

٣ ـ أن يكون لكل جامعة خطة فى مجال التأليف والتعريب وتشجيع تفرغ أعضاء هيئات التدريس لهذا الغرض والتنسيق بين كل الجامعات فى هذا الشأن .

٤ ـ إدخال جهود التأليف العلمى باللغة العربية والترجمة إليها ضمن الأعمال المطلوبة للترقية فى الجامعات .

٥ ـ جعل اللغة العربية مادة أساسية فى الكليات العلمية والنظرية فى جميع سنوات الدراسة فى جامعة الأزهر والجامعات والمعاهد الأخرى .

٦ ـ عقد دراسات تخصصية فى اللغة العربية لأعضاء هيئة التدريس فى الجامعات والمعاهد العليا والمراكز العلمية وذلك بصفة دورية لملاحقة التقدم العلمى .

٧ ـ إلزام أعضاء هيئات التدريس الدارسين بالخارج بترجمة رسائلهم العلمية إلى العربية واعتبار هذا من شروط تعيينهم فى وظائف التدريس بالجامعات ومراكز البحوث والهيئات العلمية .

٨ ـ إلزام الأساتذة فى كل التخصصات العلمية فى مؤسسات ومعاهد العلم المختلفة بترجمة أو تأليف كتب مرجعية كل خمس سنوات لملاحقة التطور المستمر فى هذه التخصصات .

ثالثا : فيما يتعلق بالنقابات والجمعيات العلمية :

١ ـ أن يكون للنقابات والجمعيات العلمية دور أساسى فى التعريب بإعداد معاجم مهنية والتنسيق مع الجامعات فى هذا الشأن .

٢ ـ مناشدة كل العلميين لدفع حركة التعريب فى مجال التخصص تأليفا وترجمة وتعليما على كل المستويات والتخصصات .

رابعا : وفيما يتعلق بالتعليم العام والأزهرى :

١ ـ الاهتمام باللغة العربية فى جميع مراحل التعليم المختلفة والتركيز على المادة المعجمية .

٢ ـ تدريب مدرسى اللغة العربية وتأهيل مدرسى المواد الأخرى للتدريس باللغة العربية .

٣ ـ الاهتمام باللغات الأجنبية فى التعليم الأزهرى فى المراحل المختلفة .

والله الموفق ..

مصطفى صادق الرافعى

فى ذكراه التاسعة والخمسين

(١٨٨٠ - ١٩٣٧)

للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ

الفصل الأخير

كنت أمُرُّ أثناء قراءاتى فى (وحى القلم) للرافعى بفصلٍ فيه يحمل عنوان : (النجاح وكتاب سر النجاح)[1] ، دون أن ألتفت جيدا - وبالقدر الكافى - لأهمية هذاالفصل البالغة للكشف عن دواعيه ودلالاته .. إلى أن عُدْتُ بالأمس ، إلى إمعان النظر فى فحواه ، والتغلغل فى تنبيهاته وإشاراته ، فى محاولة ذاتية لتفسير (الظاهرة الإبداعية) فى أدب الرافعى ، وتعقبها منذ النشأة الأولى ، والسير معها قدما فى تطورها ونموها - أثناء مرحلة الإعداد والتكوين ، أى : منذ الغَرْس الأول ، حتى مسيرة النضج والإيناع والازدهار ..

ومن ثم تبين لى أن موضوع هذا الفصل يدور حول كتاب يحمل هذا العنوان ، ترجمه الدكتور يعقوب صَرُّوف عن الإنجليزية إلى العربية ، ونشر لأول مرة ببيروت ١٨٨٠م - أى فى السنة التى وُلد فيها الرافعى - وتعددت طبعاته بعد ذلك .. وكتب الرافعى عنه ، مُعرِّفا ومُنوِّها به ، بمناسبة ظهور طبعته الرابعة سنة ١٩٢٣م .

وأدركت مدى تأثر الرافعى العميق بمضمونه ، بعد قوله عنه إنه « يعلِّم الضعيف كيف يقْوَى ، والعاجز كيف يعتمد ، والمضطرب كيف يثبت ، والمحزون كيف يأمل ، والبائس كيف يثق ، والمنهزم فى الحياة ، كيف يُقْبل ، والساقط كيف ينهض »[2] ، وبكلمة واحدة ، فإن هذا الكتاب ، يتحدث فى صميمه ، عن عباقرة هزموا اليأس ، وقهروا الصعب ..

ويذكر الرافعى ، فى ختام تعريفه لهذا الكتاب ، أنه عرف - منذ زمن - طالبا كان يدرس فى الأزهر ، نفض له نفسه ، بقوله : إن الأزهر وعلومه وفنونه ، والمتون وما فيها ، والشروح وما إليها ، والحواشى وما يرد ويعترض ، ويجاب به ، ويقال فيه .. كل ذلك كان عند هذا الطالب الأزهرى ، بمثابةٍ جعلت « كل كلمة بساعة من العمر ، وكل سطر بيوم ، وكل جزء بسنة ! » ثم استتلى قائلا : « وتركتُ ورائى كذا وكذا فدانا ، وأقبلت على كذا وكذا علما ، فلا حصدت من هذه ، ولا من تلك ! »[3] .

---

(١) جـ ٣ ص ٤٤١ ط ١٣٦٠هـ - ١٩٤١م . (٢) ، (٣) المصدر السابق ص ٤٤٢ - ٤٤٣ .

وقال الرافعى لهذا الطالب ، وهو يحاوره :
ـ وما يمسكك .. والباب مفتوح ، ولا يسألك الأزهر : إلى أين ؟ ولا تسألك الدنيا ـ إذا خرجت إليها ـ: من أين ؟

قال الطالب : والله ما ربطنى إلى هذه الأعمدة ، خمس عشرة سنة كاملة ، على يأس ومضض ـ إلا كتاب : (سر النجاح) ، وما أمضيت نيتى مرة ، على وجه من وجوه العيش ، إلا رأيت هذا الكتاب ، قد ضرب وجه هذه النية ، فردها إلى هذا المكان ، وألقاها فى هذا المستقر .. وما هممت بترك الأزهر ، إلا انتصب فى وجهى كل الأبطال ، الذين قرأت أخبارهم فيه ، وأمسكونى ـ لا من يدى ولا من رجلى ـ ولكن .. من اعتقادى وإيمانى وأملى !» .

قال الرافعى له معقبا : « فوالله لا يدعك حتى تنجح ، وما ربط الله على قلبك بهذا الكتاب ، وثبَّتَ فؤادك باليقين الذى فيه إلا وقد كتب لك الخير كله ... »[٤] .

* * *

وقد رجعنا ، بدورنا ، إلى كتاب (سر النجاح) هذا ، ووجدنا مؤلفه يقول فى الفصل الأول منه ، تحت عنوان : « الاعتماد على النفس » : « ... ورجال العلوم والفنون والآداب ، وأرباب الأفكار وأهل الحصافة ، لم ينحصروا فى فئة من البشر ولم يختصُّوا بأهل المراتب العالية .. بل نبغوا من المدارس والمعامل ، ومن الدساكر والمزارع : من أكواخ الفقراء والمعدمين ، وقصور الأغنياء الرفيعة .. وكم من أناس ارتقوا من أدنى الدركات ، إلى أعلى المراتب ، ولم تصدهم المصاعب عن نيل ما شمروا له الذيل ، بل كثيرا ما كانت تستحيل إلى أكبر مساعدٍ لهم ، بإثارتها قوتهم ونشاطهم ، وإيقاظها ما ربما كان يخمل من قواهم .. لو لم تكن الحال كذلك .. »[٥] .

إلى أن يقول مؤلف هذا الكتاب : « والغنىُّ يستأجر مَنْ يعمل له أعماله ، ولكنه لا يستطيع أن يستأجر مَنْ يفتكر عوضا عنه ، ولا أن يشترى العلم والتهذيب ، ولا الشهرة التى يستحقها لأجلهما »[٦] .

* * *

وإذا تقدمنا خطوة أخرى ، للاستزادة من أنباء تثقيف الرافعى لنفسه ، ومكوِّنات موهبته ، نجد تلميذه وصفيه المرحوم محمد سعيد العريان ـ الذى لازم الرافعى لعدة سنوات ، ونِعِمَ بصحبته وخلطه بنفسه ـ يقول من رصيد ذكرياته عن الرافعى :

---

(٤) المصدر السابق ص ٤٤٤ .
(٥) أنظر ص ٥ من هذا الكتاب .
(٦) المصدر السابق ص ١٤ ـ ١٧ .

إنه : « فى القهوة ، وفى القطار ، وفى الديوان ، لا تجد الرافعى وحده ، إلا وفى يده كتاب .. وكان فى أول عهده بالوظيفة كاتبا بمحكمة طلخا ، وكان يسافر من طنطا كل يوم ويعود ، فيأخذ معه فى الذهاب والإياب (ملازم) من كتاب ـ أى كتاب ـ ليقرأها فى الطريق .. وفى القطار ـ بين طنطا وطلخا (وبالعكس) ـ استظهر كتاب (نهج البلاغة) فى خطب الإمام على ـ رضى الله عنه ـ وكان لم يبلغ العشرين بعد »(٧) .

ويزيدنا الأستاذ العريان ـ رحمه الله ـ علما بمدى حرص الرافعى على تثقيفه الذاتى لنفسه وصقل موهبته ، لاحتلال مكانه المناسب بين بلغاء العربية فى شتى عصورها ، بقوله : « ونظر الرافعى فيما يكتب الكُتَّاب فى (الجرائد) ، وما يتحدث به الناس فى المجالس ، فرأى عربية ليست من العربية ، وهى عامية متفاصحة ، أو عُجْمة مستعربة ، تحاول أن تفرض نفسها لغة ، على أقلام المتأدبين وألسنتهم ، فَقرَّ فى نفسه أن هذه اللغة لن تعود إلى ماضيها المجيد ، حتى تعود « الجملة القرآنية » ، إلى مكانها ، مما يكتب الكتاب ، وينشىء الأدباء ، وما يستطيع كاتب أن يشحذ قلمه لذاك ، إلا أن يتزود له زاده من الأدب القديم .. »(٨) .

ومن ثم عاد الرافعى يقرأ من جديد ، ينظر فيما كتب الكتاب ، وأنشأ المنشئون ، فى مختلف عصور العربية ، يبحث عن التعبير الجميل ، والعبارة المنتقاة ، واللفظ الجزل ، والكلمة النادرة ، فيضيفها إلى قاموسه المحيط ، ومعجمه الوافى ، لتكون عونا على ما ينشىء من الأدب الجديد ، الذى يريد أن يحتذيه أدباء العربية .

زِدْ على ذلك حُسْن استخدامه لموهبته فى التوليد والابتكار ، للمعانى والأفكار ، بما لا يدانيه فيه أحد ، حتى قال العقاد يوما قولته المشهورة عن الرافعى ـ قبل الخصومة التى نشبت بينهما : إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ، مالا يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية ، فى صدر أيامها !...(٩) .

ولا شك أن الرافعى قد أخذ الكثير عن (الجاحظ) من الأقدمين بصفة خاصة ، كما أخذ الكثير باعتباره قيمة كبيرة ، بل قمة سامقة ، بين شيوخ تراثنا الأدبى الزاخر .. وحسبنا قول (ثابت بن قرة الحرانى) الفيلسوف عن الجاحظ : « سبحان من سخر له البيان وعلَّمه ، وسلم فى يديه قصب الرهان وقدمه ، مع الاتساع العجيب ، والاستعارة الصائبة ، والكناية الثابتة ، والتصريح المغنى ، والتعريض المنبى ، والمعنى الجيد ، واللفظ الفخم ، والطلاوة الظاهرة ،

---

(٧) أنظر كتاب (حياة الرافعى) لسعيد العريان ص ٣٣ .

(٨) المصدر السابق ص ٧١ .

(٩) أثبت العريان هذه العبارة للعقاد عن الرافعى بكتابه (حياة الرافعى) ص ١٨٣ تحت عنوان : (الرافعى والعقاد) .

والحلاوة الحاضرة .. إن جدَّ لم يسبق ، وإن هزل لم يُلحق ... إلخ »[١٠].

كذلك أخذ الرافعى عن الشيخ محمد عبده ، من المعاصرين ، « نزعته إلى الإصلاح الدينى والاجتماعى ، وإيمانه بالثقافة العربية والإسلامية ، ومحافظته على التراث اللغوى والأدبى » ، كما يقول الدكتور شوقى ضيف[١١].

وقد أثبت الرافعى دعوة الأستاذ الإمام محمد عبده له ، بمستهل الجزء الأول من كتابه : (وحى القلم) التى يقول فيها للرافعى : « لله ما أثمر أدبك ، ولله ما ضمن لى قلبك ، لا أقارضك ثناء بثناء ، فليس ذلك شأن الآباء مع الأبناء ، ولكن أعدك من خلَّص الأولياء ، وأقدم صفَّك على صف الأقرباء » .

إلى أن يقول له : « وأسأل الله أن يجعل من لسانك سيفا يمحق الباطل ، وأن يقيمك فى الأواخر ، مقام (حسان) فى الأوائل »[١٢].

وفى عام ١٩٢٤ أصدر الرافعى كتابه : (السحاب الأحمر) وتحدث فيه عن الإمام محمد عبده ، فى الفصل الأخير من هذا الكتاب ، بقوله : « كان هذا الإمام الفذ ، فى قوة من ربه ، كقوة الجبل يحمل ما يحمل ولا يتلوَّى ، وفى سعة من طبعه ، كاستفاضة البحر : يغمر ما يغمر ، ولا يتغير »[١٣] .

وحينما أصدر الرافعى الجزء الأول من كتابه : (تاريخ آداب العرب) عام ١٩١٠م وهو فى الثلاثين من عمره ــ بعد إعلان الجامعة المصرية عن مسابقة بين الأدباء لتأليف كتاب فى هذا الموضوع لتدريس مادته للطلبة بها ــ أثنى على كتاب الرافعى كبار الأدباء والنقاد ثناءً جماً ، لما بذل من جهد كبير فى إعداده ، ينمُّ عن إطلاع واسع ، وإحاطة تامة بموضوعه ، الذى لم يسبقه إليه أحد من مؤرخى الأدب العربى ، وكتب الأستاذ أحمد لطفى السيد عنه مقالة مستفيضة بـ (الجريدة) ، التى كان يتولى رئاسة تحريرها بعد أن ظل يخطب عن هذا الكتاب أسبوعا فى مجالس العاصمة[١٤] . لأن هذا الكتاب كان سببا فى وضع ما وضع من الكتب فى هذا العلم بعد ذلك .. وفى مقالته عن هذا الكتاب ، يقول الأستاذ لطفى السيد :

(قرأنا هذا الجزء، فأما نحوه فعليه طابع الباكورة فى بابه، يدل على أن المؤلف قد ملك

---

(١٠) انظر كتاب (مصطفى صادق الرافعى) للأستاذ حسين مخلوف سلسلة (كتاب الهلال) عدد مايو ١٩٧٦ وكتاب (رسائل الرافعى) للأستاذ محمود أبو رية ط ١٩٨٠ ص ٢٢ و(حياة الرافعى) للأستاذ محمد سعيد العريان ص ٧٥ ــ ٧٦ .

(١١) وتاريخ كتاب الامام محمد عبده للرافعى ، فى الخامس من شوال ١٣٢١هـ الموافق الخامس والعشرين من ديسمبر ١٩٠٣ ، وكان الرافعى فى هذا التاريخ قد أكمل عامه الثالث والعشرين ..

(١٢) أنظر كتابه (الأدب المعاصر فى مصر) ص ٢٢٤ ــ ٢٢٧ .

(١٣) أنظر ص ١٤٣ .

(١٤) أنظر (حياة الرافعى) ص ٦٩ ــ وهذه عبارة الأستاذ لطفى السيد إلى الرافعى .

موضوعه ملكا تاما ، وأخذ بعد ذلك يتصرف فيه تصرفا حسنا ، وليس من السهل أن تجتمع له الأغراض التى بسطها فى هذا الجزء ، إلا بعد درس طويل وتعب ممل .. وأما أسلوب الرافعى فى كتابه ، فإنه سليم من الشوائب الأعجمية التى تقع لنا فى كتاباتنا ، نحن العرب المتأخرين ، فكأنى وأنا أقرؤه أقرأ من قلم المبرّد ، فى استعماله المساواة ، وإلباس المعانى ألفاظا سابغة مفصلة عليها لا طويلة تتعثر فيها ، ولا قصيرة عن مداها ، تودى ببعض أجزائها[١٥] .

وفى عام ١٩١٢م . أصدر الرافعى الجزء الثانى ن هذا الكتاب ، وجعل موضوعه : « إعجاز القرآن والبلاغة النبوية » وفى مقدمته يقول الرافعى : « وليس رجل ذو علم بالكلام العربى وصنعته ، ينازع أو يرتابٍ فى أن القرآن معجزة هذه العربية ، فى نظمه واتساق أوضاعه وأسراره .. » .

وكتب له عن هذا الجزء تلميذه صادق عنبر يقول : « إنك من البلاغة بحيث لا يصفك كما أنت إلا قلمك أنت ، وما أجد فى الثناء على كتابك أقل من أن أقول : لقد أعجزت ، إذا لم أجد لغيرك أكثر من أن أقول له : أحسنت .. » .

وقال عن الكتاب أيضا ، الأستاذ عبد العزيز البشرى ، بمقال له فى جريدة (كوكب الشرق) مخاطبا الرافعى : « قرأت (إعجاز القرآن)، فإذا هو أبلغ ما كتب مخلوق فى كلام الخالق .. فإن ما جلوت من البيان ، لمن الإلهام الذى يعلو على التصرف ، ويجلُّ عن التأليف .. » .

وفى الجزء الثانى من كتاب الرافعى الذى يحمل عنوان (وحى القلم) ، نجد به مقالة تحمل عنوان : « قلت لنفسى وقالت لى » ، وهى تظهر لنا بجلاء ووضوح رأى الرافعى فى الحياة والناس ، ونهجه فى إبداع فنه ، وطموحه الذى لا نهاية له ، والذى نتبينه من قوله :

« قلت للنفس : ويحك يا نفس ! مالى أتحامل عليك ، فإذا وفيت بما فى وسعك ، أردت منك ما فوقه .. وكلفتك أن تسعى .. فلا أزال أعنتك من بعد كمال فيما هو أكمل منه ، وبعد الحسن فيما هو الأحسن .. » إلى أن يقول :

« أنت يا نفس سائرة على النهج ، وأنا أعتسف بك ، أريد الطيران لا السير ، وأبتغى عمل أعمار فى عُمرْ .. » وتجيبه النفس ـ فى حوار طريف عميق : « ليست دنياك يا صاحبى ما تجده من غيرك ، بل ما توجده بنفسك .. فإن لم تزد شيئا على الدنيا ، كنت أنت زائدا على الدنيا ، وإن لم تدعها أحسن مما وجدتها ، فقد وجدتها وما وجدتك ، وساعة الراحة بعد أيام التعب ، هى فى لذتها ، كأيام من الراحة بعد تعب ساعة .... إلخ »[١٦] .

---

(١٥) المصدر السابق .

(١٦) وحى القلم جـ ٢ ص ٨٧ ـ ٨٨ .

وفى الجزء الثالث من (وحى العلم) ، يتحدث الرافعى عن (رسالة الأزهر فى القرن العشرين) ، بقوله :

« .. علماء الأزهر اليوم أسهم نافذة من أسهم الله ، يرمى بها من أراد دينه بالسوء ، فيمسكها للهيبه ، ويرمى بها للنصر » إلى أن يقول :

« أنا مستيقن أن فيلسوف الاسلام ـ الذى سينشر الدين على يده فى أوروبا وأمريكا ـ لن يخرج إلا من الأزهر ، وما كان الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ إلا أول التطور المنتهى إلى هذه الغاية ، وسيكون عمل فلاسفة الأزهر ، واستخراج قانون السعادة لتلك الأمم ، من آداب الإسلام وأعماله .. »(١٧) .

وأخيرا ، وليس آخرا ، فإننى أعتقد أن أحدا لم يوفَّ الرافعى حقَّه ، ولم يصفه الوصف الدقيق البليغ ، مثلما فعل ذلك صديقنا الدكتور محمد رجب البيومى ، حينما قال : « إذا طلبت للرافعى الناثر شبيها يحاكيه ، فاترك الانسان إلى غيره من مظاهر الطبيعة ، لتجد للرافعى ، ذلك الشبيه المنشود .. هل رأيت الرعد المجلجل ، الذى يأخذ عليك سمعك وشعورك حين يَدوى فى الفضاء ؟

وهكذا يكون الرافعى ، حينما يزأر غاضبا ، لحرمة تنتهك ، أو معصية تذاع .

هل رأيت الزلزال المدمر ، يبعث اللهب ، ويرمى بالشواظ ؟..

هكذا يكون الرافعى ، حين يقف أمام أعداء الإسلام ، ليرجمهم بالنقد القاتل ، ويسحقهم بالصاعق المبيد .

ثم .. هل رأيت النسيم الهادىء ، يرفُّ على الروض الزاهر ، فيحمل عبيره الفوَّاح إلى النفوس .. يشرح به الصدور ، ويمتع الأحاسيس ؟

.. هكذا يكون الرافعى ، إذا رقَّ فى عتاب ، أو عذب فى مناجاة ، أو حنَّ إلى حبيب غائب ..

إلى أن يقول بلغة هى أقرب إلى لغة الشعر الصادق المُعبِّر :

« ثم .. هل رأيت النمير العذب ، يترقرق به الجدول الصافى ، فتنهل منه شرابا لذيذ الرشف ، حلو الوقع من اللهاة والصدر ؟

هكذا يكون الرافعى ، إذا روى حديثا عن السلف الصالح ، يفيض بالعبرة الواعظة ، ويدعو إلى القدوة الحسنة ، عن هدى وإيمان .. » .

هذه هى أشباه الرافعى حقا حين تتطلب التشبيه ، فى دنيا النثر والناثرين ..

رحم الله الرافعى رحمة واسعة ..

---

(١٧) وحى القلم جـ ٣ ص ٣٧ .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

العلم والعلمـــاء

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

المجادلة : ١١

فالله ـ جل جلاله ـ يرفع المؤمن العالم على المؤمن غير العالم ومن هنا فكل مسلم مطالب بأن يسعى لطلب العلم ؛ فالعلم لا يخالط قوماً إلا زانهم ولا يفارق قوماً إلا شانهم ويقول النبى ﷺ : « من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين ... » .. رواه البخارى

وتحت عنوان « العلم والعلماء فى الإسلام » وردت رسالة القارىء كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ الكوم الأحمر ـ بنى سويف .

يقول فيها :

لقد مدح الله ـ سبحانه ـ العلماء فى القرآن الكريم فقال تعالى :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ **سورة المجادلة ـ ١١**

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾

سورة فاطر ـ ٢٨

وبين رسول الله ﷺ ثواب العالم والمتعلم ، أما

العالم فقد قال عنه النبى ﷺ فى الحديث الذى رواه سهل بن سعد ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال لعلى ـ رضى الله عنه : « لأنْ يهدى الله بك رجلًا واحداً خير لك من حمر النعم » .

متفق عليه .

وأما المتعلم فقد روى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة » رواه مسلم .

هذه هى منزلة العلم والعلماء فى الإسلام .

إن أفضل علم يجب تعلمه هو كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة النبى ﷺ ؛ لأن فيهما النجاح والفلاح فى الدنيا والآخرة ، وليس معنى ذلك أن نترك باقى العلوم الكونية من طب وفلك وهندسة وغيرها ، ومن هنا قال علماؤنا : إن تعلم هذه العلوم فرض كفاية .

والمسلم مأمور بالتعلم دائما حتى ينفع نفسه أولاً وينفع مجتمعه بعد ذلك حتى يدخل تحت قول النبى ﷺ « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا » رواه مسلم عن أبى هريرة .

الإيمان والأمل

وردت رسالة القارىء : سالم عبدالعظيم محمد

الطالب بالثانوية الأزهرية ـ شبرا النونة ـ ايتاى البارود ـ بحيرة :

يقول فيها :

يقول الرسول ﷺ فى الحديث الذى رواه الإمام أحمد فى مسنده : « إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل » .

فى هذا الحديث نجد النبى ﷺ يحث المؤمنين على فعل الخيرات ويزرع فى نفوسهم الأمل والثقة والتفاؤل حتى ولو قامت الساعة ، وقارب الزمان أن ينتهى ، فالأمل هو الذى يجعل الإنسان يحب الحياة ويعمل من أجل خيره وخير الناس إيماناً منه بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا .

والإيمان يرتبط بالأمل ارتباطاً وثيقاً بحيث لا يمكن أن ينفصل عنه أو ينفصم، ومن هنا لا يصح أن يدخل اليأس والقنوط إلى نفس المؤمن أو يتسرب القلق إليها من شدة مايرى من محنٍ وابتلاءاتٍ ؛ لأن القرآن الكريم حرم اليأس وندَّد باليائسين واعتبر اليأس قرين الكفر والضلال قال تعالى :

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

ســورة يوسف ـ آية ـ ٨٧

وقال : ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ . **سورة الحجر ـ آية : ٥٦**

والأمل يعد نعمة كبرى أنعم الله بها على عباده ورحمة منه إليهم .

قال رسول الله ﷺ : « **لولا الأمـــل ما أرضعت أم ولداً ولا غرس غارس شجراً**» رواه الخطيب البغدادى فى التاريخ .

والإيمان يعد فطرة أصيلة فى نفس الإنسان

وضرورة حياتية يغذيها الأمل الذى هو نتيجة طبيعية للإيمان ـ فالمؤمنون وحدهم هم الذين تمتلىء نفوسهم بالسكينة والصمأنينة وتحظى بالأمل والثقة والتفاؤل . ومن هنا يتبين أنه لا يجوز اليأس والقنوط فى دين الله لأن اليأس قاتل للرجال وهازم للأبطال ومدمر للشعوب وفيه تفويت لأسباب عزتها ...

ستر العيوب

القارىء : عماد الدين عبدالمنعم دار طباعة النقد بالبنك المركزى المصرى .

أرسل يقول :

يتمتع المجتمع الإسلامى بصفات حميدة ، يستقيها من أحكام القرآن الكريم ؛ والسنة النبوية المطَّهرة . ومن بين هذه الصفات ، صفة نبيلة ، يتعين أن تكون متوفرة بين الناس ، وهى الحث على ستر العورات ، وغصن النظر عنها .

وكما يقول الإمام الشافعى ـ رضى الله عنه :

إذا شئت أن تحيا سليما من الاذى
وحظك موفور وعرضك صَيِّن
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكـلك عوراتٍ وللنـاس ألسنُ

وستر العورات يحول دون التسبب فى الفضائح ونشر الفتن ، وذيوع الفساد فى المجتمع ، والإنسان السَّوىِّ لا يتتبع العورات ، ولا يتعَّدى حدود الله ـ سبحانه وتعالى ـ ، فهو سبحانه الذى يعلم السر وأخفى ، ويعلم الباطن وما اختفى وليس ظاهرا أمام العيون ، فبرحمته وحكمته البالغة يستر عباده كى لا يفتضح بعضهم أمام بعض ، ويتعرضون للسخرية والاستهزاء والتشهير ، وهذا يفتح الباب على مصراعيه ليعود المخطىء إلى صوابه ، ويتوب المسىء من غلوائه .

وصفوة القول ، أنه إذا كان المولى سبحانه وتعالى يستر على العباد ، ليهديهم طريق الرشاد ، ويجعل الحسنة بعشرة أمثالها ، ولا تجزى السيئة إلا مثلها ، لتكون فرصة النجاة مضاعفة أمام من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى .. إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يعمد بعض الناس إلى فضح بعضهم بعضا ؟!

نسأل الله أن يهدينا إلى سواء السبيل .

التكبر

القارىء : عماد ميزار عبدالعظيم جابر ـ محافظة الفيوم ـ قرية الأعلام .

أرسل كلمة عن التكبر يقول فيها :

التكبر رذيلة بغيضة تنشأ عن الجهل والغرور بالنفس ، فتدعو صاحبها إلى المبالغة فى تعظيم شخصه .

ومن أبرز صفات المتكبر : حب الظهور والعلو فى الأرض ، والسعى وراء اكتساب المدح والإطراء بكل الوسائل المستطاعة لينال الحظوة والتوقير لذاته ، وقد يكون بخيلا ولكن لذة التكبر تغلب على شح نفسه وحب ماله فيخسر بذلك أجر كل عمله وعبادته لأنه إنما أتاها رئاء الناس لا حبا فى رضا الله وحسن الجزاء .

قال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾

سورة هود : الآيات ١٥ ، ١٦

فكم تعصب المتكبر لرأيه وإن كان باطلا ومن المحال أن يعترف بخطئه إذ يرى ذلك عجزا ونقصا وهو لكبره لا يريد أن يكون إلا متبوعا لا تابعا ، بل يريد أن يكون ناقدا لا مادحا ، فهو أحمق يسرع إليه الغضب والهياج لأتفه الأسباب لأنه يقدس نفسه ويراها منزهة عن العيوب .

يقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ .

سورة البقرة آية : ٢٠٦

فهو لا يطيق أن يعترف بفضل ذى فضل عليه ، ولايتنازل فيشكر إحسان من أحسن إليه بل هو يرى الإحسان إليه تشرفا وفرضا واجبا له ، وهكذا من كان فى قلبه مرض الكبر أصبح متعصبا عنيدا

قال الله تعالى :

﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾

سورة غافر آية : ٣٥

مجلة الأزهر : لا مبرر أصلا للكبر فى إنسان إذا أما من إنسان إلا هو عرضة للنقص مما لا يتسق مع صفة الكبر ، ومن هنا كانت الذات العلية وحدها هى صاحبة الكبر فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذات التى لا يعتريها نقص بحال ، ولها الكمال كله فى كل الأحوال .

﴿ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ﴾

آخر سورة الجاثية ﴿٣٧﴾

محمد بن زكريا الرازى

أما القارىء : خالد عبدالوهاب ـ قسم لغات الأمم الإسلامية ـ كلية الآداب ـ عين شمس .

فقد أرسل نبذة عن حياة الإمام « محمد بن زكريا الرازى »

يقول فيها :

ولد الرازى فى عام ٢٥١ هـ فى مدينة (الرى) ببلاد فارس ـ إيران حالياً ـ ولقد كان باحثاً متعمقاً ، امتلك شوقاً وشغفاً كبيراً فى تحصيل العلم ، وتعلم فى شبابه علوم الرياضيات والفلك ، وأغلب علوم زمانه . ولما كان العلماء يمارسون الكيمياء فى زمانه ، فقد أظهر هو ـ أيضاً ـ ميلاً كبيراً فى هذا الصدد . وكان الكيميائيون يريدون أن يحصلوا على المادة التى عن طريقها يبدلون بها الفلزات الأخرى ذهباً .

ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف كان الرازى يمارس تجاربه المختلفة . وعلى إثر هذه التجارب ابتلى بمرض فى عينيه فراجع الطبيب مضطراً ، وقيل إن الطبيب أخذ منه خمسمائة قطعة ذهبية من أجل معالجة عينيه وقال للرازى : « هذه هى الكيمياء وليست تلك التى تبحث عنها » .

فأثر هذا الكلام فى الرازى كثيراً وشرع بعد ذلك فى تحصيل علم الطب وكانت بغداد مركز

العلم فى ذلك الزمان ، فذهب الرازى هناك وصرف جزءا من عمره فى تحصيل الطب ، وحظى بشهرة واسعة . بعد ذلك عاد إلى وطنه فى مدينة الرى وأقام مستشفى ، وشرع الرازى هنالك فى علاج المرضى وتدريس الطب . ولقد عرف الرازى بأنه أكبر طبيب فى زمانه ، لذلك كان كثير من الأمراء يدعونه من أجل معالجة المرضى فى بلاطهم .

وعلى الرغم من أن الرازى كان مشغولاً فى علاج المرضى وإدارة المستشفيات إلا أنه قد ألف مائتين وخمسين (٢٥٠) كتاباً وأكثر هذه الكتب متعلقة بعلم الطب . وأكثرها شهرة كتابه المسمى بالحاوى وهو من أمهات الكتب الطبية ، وقد ترجمت كتب هامة للرازى إلى اللغات الأجنبية . وكان الأساتذة الكبار يدرسون هذه الكتب فى جامعات العالم المشهورة لعدة قرون .

والكحل ـ الذى له استخدامات كثيرة فى الصناعة والطب اليوم ـ هو من اكتشافات هذا العالم الكبير الذى هو أحد مفاخر المسلمين .

من ابداعات القراء

صلاة الفجر

شعر/ نجاح عبدالقادر سرور(*)

يا صـــلاة الفجـــر جـــودى   أنـــت أفراحـــى وعيـــدى
أنـــت معنـــى عبقـــرى   من أهازيـــج الخلـــود
أنـــت للوجـــدان رىٌ   فى صـــدورى وورودى
أنـــت هـــذا البلســم الشـــا   فى مـــن الهـــم الشديـــد
حـــيث ذكـــر الله ربـــى   فـــى ركوعـــى وســـجـــودى
قربينـــى من إلٰهـــى   قربينـــى للـــودود
واســـقنى ريـــاً من التقـــ   ـــوى وصُبِّـــى لى وزيـــدى
يا صـــلاة الفجـــر جـــودى   أنـــت أفراحـــى وعيـــدى

* مدرس ثانوى بمحافظة البحيرة ـ كوم حمادة ـ كفر بولين .

ردود وتعليقات

القارىء : أبـــو الحسن محمـــد رمضان حسين ـ قنا ـ إسنا ـ القرايـا ـ كليـة الدراسات .

مساهمتك جيدة ، ولكنا ننتظر منك ما هو أكثر إجادة .

القارىء : أحمد عبدالكريم البسيونى ـ صفط العنب ـ كوم حمادة ـ كلية اللغة العربية .

الثلاثيات التى أرسلتها تحت عنوان « دنيا ودين » تحتاج إلى صياغة بأسلوبك تُظْهِر فيها وجهة نظرك . ويسعدنا أن نتلقى منك مساهمة أخرى .

القارىء : عادل على على إسماعيـــل ـ قورص ـ أشمون ـ منوفية .

كلمتك بعنوان « لحظات فى تاريخ الأمة » تتسم بالاختصار الشديد ، وليس ذلك عيبا فى حد ذاته ، ولكن أين الشواهد التاريخية حتى يكتمل الموضوع ؟

القارى : عزت الديب السيد خليفـة ـ معهد كوم جابـر الثانوى الأزهـر ـ الصف الثالث .

قصيدتك « الجرح بعدك » فى وداع الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق قصيدة جيدة وتنبىء بثبوت قدمك فى هذا المجال ونجتزىء منها هذه الأبيات :

لم يبـــق فى هذه الحيـــاة تصبر
من بعـــد أن رحـــل الإمـــام الأكبر

لكـــن أمـــر الله فينـــا نافـــذ
وهـــو الحقيقـــة أمرهـــا لا ينكـــر

قد عاش فى كنـــف الحيـــاة مكابـــداً
فلعلـــه يوم الشدائـــد يؤجـــر

القارىء ع. ح. ع ـ أسيوط ـ موشا ـ شارع الجلاء .

بالنسبة للعنوان الأول فهو : الإدارة العامة للأزهر ـ القاهرة .

أما بالنسبة للعنوان الثانى فهو : مدينة نصر ـ إدارة جامعة الأزهر .

القارىء : (الذى لم يذكر اسمه)

هذا كاتب يحاول منذ نحو ربع قرن أن يصنع لنفسه هالة دون جدوى ، فهو يريد أن يشتهر فيلج هذه المداخل ونحن لا نسمح لأنفسنا أن نضع قدمه على سلم الشهرة .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى • مصطفى عبد المجيد

زيارة شيخ الأزهر للوجه القبلى

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة للوجه القبلى حيث زار محافظات أسوان/مدينة الأقصر/قنا/سوهاج يرافقه فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر .

وقد التقى فضيلة الإمام الأكبر بالسادة المحافظين والقيادات الشعبية والتنفيذية بهذه المحافظات وقد تم بحث وسائل دعم العملية التعليمية بقطاع المعاهد الأزهرية والعمل على إزالة المعوقات التى تعترض مسيرة التعليم الأزهرى بتلك المحافظات ، كذلك تفقد فضيلته المعاهد الأزهرية بهذه المحافظات و لجان امتحانات النقل بالمعاهد الأزهرية للاطمئنان على سير الامتحانات بها .

كذلك تفقد فضيلته المعاهد الأزهرية التى أضيرت بالزلزال للوقوف على ماتم إنجازه من بناء وترميم وإصلاح بها ، وقام فضيلته بوضع حجر الأساس لبعض المعاهد الأزهرية بمحافظة سوهاج .

ثم ألقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر خطبة الجمعة بمسجد سيدى عبد الرحمن القنائى بمحافظة قنا .

اجتماع اللجنة العليا لإعمار الأزهر

عقدت اللجنة العليا لإعمار وتجديد الجامع الأزهر الشريف اجتماعها التاسع برئاسة فضيلة الإمام الأكبر وذلك بقاعة الاجتماعات بمبنى مكتبة الأزهر بالدراسة ، وذلك لبحث ماتم تنفيذه من قرارات اللجنة فى اجتماعها السابق الذى أصدر فيه السيد المهندس/محمد إبراهيم وزير التعمير لإسناد تنفيذ أعمال المشروع ومتابعة تنفيذه برئاسة فضيلة الشيخ/فوزى

الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، وتشكيل لجنة إدارية عليا للمشروع برئاسة الأستاذ الدكتور محمد النواوى عميد كلية الهندسة جامعة الأزهر الشريف .

يتولى السيد المهندس محمود زايد نائب رئيس جهاز تجديد أحياء القاهرة الفاطمية الإسلامية الإشراف العام على جميع الأعمال التنفيذية والتصحيحية التى تقوم بها الشركة المنفذة .

كما أصدرت اللجنة توصياتها بإخلاء الجامع الأزهر من المكاتب العاملة به سواء من إدارة الأزهر أو الجامعة أو وزارة الأوقاف حتى تتمكن الشركة من تنفيذ أعمالها .

استقبالات الإمام الأكبر شيخ الأزهر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه صباح يوم ٥ المحرم ١٤١٧ ١٩٩٦/٥/٢٣ سماحة الشيخ عكرمة سعيد صبرى مفتى القدس والوفد المرافق ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

وقد أشاد سماحة مفتى القدس بالدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف ومايقدمه للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من خدمات جليلة ونفع لجميع المسلمين .

وقد دار الحديث حول إنشاء كلية للقرآن الكريم بالقدس ، ومساهمة الأزهر الشريف فى وضع المناهج وإمداد الجامعة بالأساتذة المتخصصين .

كما استقبل فضيلة الامام الأكبر بمكتبه وفد جامعة ماليزيا الإسلامية برئاسة الدكتور عثمان إسحاق رئيس الجامعة .

قدم الوفد التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر باسم السيد رئيس الوزراء الماليزى وحاكم ولاية قدح .

أعرب الوفد عن شكره لما يقوم به الأزهر من استكمال فرع جامعة الأزهر الشريف بماليزيا ليتم تخريج طلاب الدراسات العليا بها .

رحب فضيلة الإمام الأكبر بالوفد قائلًا : إن الأزهر الشريف وجامعته لا يدخران وسعاً فى تقديم العون للمسلمين وأن ماليزيا تعتبر قلعة إسلامية فى آسيا التى تحمل المنارات العلمية والثقافية وخاصة المعمارية ذات الطراز الإسلامى الحديث .

كذلك استقبل فضيلته الدكتور عبد الله العبيد الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى ؛ وذلك لتهنئة فضيلته بتعيينه شيخا للأزهر ولبحث توثيق الروابط بين الأزهر ورابطة العالم الاسلامى .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه معالى الدكتور/عبدالله بن عبدالمحسن التركى وزير الأوقاف والشئون الدينية بالمملكة العربية السعودية والوفد المرافق لسيادته ؛ وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً

للأزهر الشريف . كما تم تبليغ فضيلته رسالة شفهية من خادم الحرمين الشريفين الملك فهـد بن عبدالعزيز تتعلق بالتهنئة لفضيلة الإمـام الأكبر بمناسبة اختياره شيخاً للأزهر الشريف .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الكريمة وحمله إبلاغ تحياته وشكره وتقديره لخادم الحرمين الشريفين حكومةً وشعباً .

حضر اللقاء سعادة السفير/أبو بكر رفيع سفير المملكة العربية بالقاهرة

واستقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد محمد عثمان الميرغنى زعيم الطائفة الختمية بالسودان ، يرافقه الدكتور أحمد السيد حمد وزير التجارة السابق والسيـد/خاتم السر على وزيـر الدولـة السابـق بالسودان ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الشريف فى مختلف أنحاء العالم ودوره البـارز فى مجال نشر الدعوة الإسلامية .

كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه سماحة الشيخ/ابراهيم صالح الحسينى مفتى دولة نيجيريا يرافقه السيد إبراهيم شكرى رئيس حزب العمل .

وقد قدم الضيف التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمناسبـة اختيـاره شيخـاً للأزهر الشريف ، وحلول العام الهجرى الجديد ،

وأبلغ فضيلته تهنئـة رئـيس وحكومـة نيجيريـا باختياره لهذا المنصب الرفيع .

كما تناول اللقاء دور الأزهر الشريف فى نشر الدعوة والثقافة الإسلاميـة فى مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة كما قدم شكره لبعثة الأزهر الشريف على الدور البارز الذى يقوم به أعضاء البعثة فى نيجيريا .

وفى نهاية اللقاء قدم فضيلة الإمام الأكبر الشكر للضيف على التهنئة الصادقة ، وحمله إبلاغ تحياته وشكره لفخامة الرئيس النيجيرى وحكومـة وشعب نيجيريـا الشقيـق ،كما قَدَّمَ الشكر للأستاذ ابراهيم شكرى رئيس حزب العمل على تهنئته .

كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف المطران/مايكل فيزجيرالـد منـدوب الفاتيكان للحوار بين الأديان والوفد المرافق لسيادته يرافقه سفير الفاتيكان بالقاهرة والأنبا الدكتـور/يوحنـا نائبـاً عن الكنـيسة الأرثوذوكسية .

تناول اللقاء بحث التعاون بين الأديان فى سبيل خدمة الإنسانية ونشر الفضائل ونصرة المظلوم .

كما تناول تقديـر الأزهـر لجميـع الأديـان والعقائد ، وأشار فضيلة الإمام الأكبر إلى الرباط الذى يربط بين الأزهر والفاتيكان من منطلق الإيمان العميـق بحريـة العقائـد ؛ مؤكـداً على ضرورة أن يتحد أصحاب العقائد والأديـان السماوية جميعاً لنشر الفضائل ونصرة المظلومين فى العالم أجمع مثل الشيشان والبوسنة والهرسك وفلسطين وغيرها حتى يسود السلام والحب والوئام بين الجميع .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

القاهــــــرة

أعدت جامعة الدول العربية جدول أعمال القمة العربية الموسعة التى ستشهدها القاهرة فى الفترة من ٢١ إلى ١٩٩٦/٦/٢٣ لأوائل صفر الحالى .

حيث يجرى تجهيز الملفات المهمة المتعلقة بلم الشمل العربى ورأب الصدع الإسلامى ، وذلك فى القمة الثانية والعشرين من القمم العربية التى يؤمل أن تكون قمة التضامن والمصالحات العربية .

هذا وقد أكد السيد/مدير مكتب الرئيس مبارك للشئون السياسية أن هدف المؤتمر المزمع عقده إعطاء كل طرف فى الشرق الأوسط فرصة تنفيذ التزاماته واحترام تعهداته نحو السلام ، وأن المؤتمر لم يكن الدافع إليه تغيير حكومى فى إسرائيل وإنما هو استجابة لمواجهة تحديات كبيرة فرضت على العرب .

مؤتمــر القمــة

واصل الرئيس حسنى مبارك اتصالاتـه مع الملوك والرؤساء العرب للمشاركة فى قمة القاهرة الموسعة التى دعت قمة دمشق الثلاثية لعقدها فى أوائل صفر الحالى .

وصرح وزير الخارجية المصرى بأن عشرين دولة عربية على الأقل ستحضر القمة المزمعة ، وأن الدعوة وجهت للسودان ، وأن الصومال سيمثلها مندوبها الدائم بالجامعة العربيـة ، وأن العـراق استثنى لظروف خاصة وأن هدف القمة استعادة التضامن العربى ، ومساندة مسيرة السلام العادل والشامل .

هذا وقد رحب مجلس الشعب المصرى ببيان قمة دمشق مؤكدا أن إعادة التضامن العربى هو الذى دفع بقادة مصر وسوريا والسعودية إلى عقد هذا المؤتمر الذى يمثل هاجس الشعب العربى من المحيط إلى الخليج .

لبنـــــان

بينما عززت إسرائيل وجودها العسكرى فى جنوب لبنان أخذت تتصاعد حدة تصريحات المسئولين الإسرائيليين ضد لبنان والمقاومة الإسلامية فيه داعية إلى إلغاء تفاهم نيسان – ذى الحجة – الماضى .

وإلى جانب المصفحات **والآليات** العسكرية كثف الطيران الحربى **والاستطلاعى الإسرائيلى** طلعاته على جنوب لبنان ، **ودعا** رئيس الأركان الإسرائيلى للاستمرار فى **ضرب المقاومة** اللبنانية – أينما وجدت – وزعم **رئيس الوزراء الإسرائيلى** المنتخب أن حكومته **ستشن معركة حاسمة** ضد (حزب الله) بعد تشكيلها ، **وامتدت مزاعمه إلى** تأكيد أن إسرائيل لن تعيد لسوريا – بحال – مرتفعات الجولان –، وأن اسرائيل لن تقبل قيام دولة فلسطينية مستقلة ، كذلك وزعم أن القدس ستظل عاصمة إسرائيل الأبدية .

الشيشـــــان

أكدت قيادة القوات الروسية فى الشيشان أنه تم البدء فى سحب القوات الروسية من أراضى الجمهورية الإسلامية طبقاً للاتفاق الذى تم التوصل إليه فى نزرات (عاصمة انجوشيا المجاورة) . ويبدو أنه اتفاق تم مع حكومة شيشانية موالية لها لا تمثل الشعب الشيشانى فى شىء .

ويرى **المحللون السياسيون أن هذا** الاتفاق من **قبيل الدعاية الانتخابية للرئيس** الروسى ، وأنه لا يزيد عن **سوابقه من الاتفاقيات** التى لم ينفذ منها شىء البتة .

القـــــدس

اجتمع السيد **فيصل** الحسينى أحد كبار مسئولي **منظمة التحرير** الفلسطينية بدبلوماسيين من كل من **الولايات** المتحدة وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وايطاليا **وهولندا** واسبانيا وتركيا واليونان والفاتيكان .

وذلك فى بيت الشرق بمدينة القدس لبحث ماينطوى عليه انتخاب الحكومة الإسرائيلية اليمينية الجديدة . والمعروف أن إسرائيل تعتزم إغلاق بيت الشرق حيث تزعم أن القدس الموحدة عاصمة الدولة اليهودية الأبدية .

وأكد الحسينى أن اغلاق بيت الشرق من شأنه تدمير مفاوضات السلام وأن القدس إن لم تكن جزءاً من الاتفاق فإنه لا يعتقد أن عملية السلام سوف تستمر .

والمعروف أن رئيس الوزراء المنتخب قد أراد التخلص من تعهدات طالما راوغ أسلافه فى تنفيذ أى منها .

L'étude de la faune dans le Coran nous permet de voir l'importance accordée à certains sujets concernant les animaux. De nombreuses sourates et versets traitent de ces sujets: Comparaison entre les animaux et les êtres humains se trouvent dans (21 versets de 17 sourates), les animaux sont des preuves de la miséricorde d'Allah (17 versets de 14 sourates), les animaux mentionnés dans un récit (21 versets de 12 sourates), les animaux sont des preuves de la puissance d'Allah (11 versets de 10 sourates), les animaux licites et les animaux prohibés (9 versets de 5 sourates), et enfin les paraboles qui parlent des animaux (5 verset de 4 sourates).

D'après cette étude en remarque également qu'il y a des sourates qui accordent une grande place aux versets portant sur les animaux, ce sont les sourates: (Al Nahl- 9 versets, Al Baqara - 7 versets, Al Ana'am - 7 versets, Youssef - 6 versets) - Parmi tous les animaux mentionnés dans le Coran, le bétail et les quadrupèdes occupent la plus grande place, vu leur importance dans la vie humaine: le bétail est mentionné - 30 fois et les quadrupèdes 18 fois.

Après avoir étudié l'utilité des animaux dans la vie humaine, après avoir décelé les remarques qu'on peut faire à ce sujet, on peut tirer la conclusion suivante: les animaux nuisibles sauf le loup et le serpent ne sont pas mentionnés dans le Coran, cela montre que le Coran met l'accent sur les animaux utiles, signes de la miséricorde d'Allah.

On remarque aussi que l'animal est mentionné souvent dans une communauté, comme les abeilles, le bétail, les chameaux, les chevaux, les fournis, les papillons, les quadrupèdes et les signes, ce fait montre qu'Allah nous invite à vivre en groupe et à organiser notre vie comme les animaux.

Allah a créé la faune pour servir l'homme, c'est pour cela qu'Il insiste particulièrement sur l'utilité de l'animal, l'animal peut servir comme monture, literie, nourriture, jouissance, source de chaleur, maison, meuble, force militaire et mode de déplacement rapide, de plus, il peut être un modèle à suivre pour l'homme, car l'observation des animaux permet à l'homme de réfléchir et de tirer des leçons qui lui serviront dans sa vie.

La chair du bétail nous fournit la viande dont on se nourrit, c'est une viande que nous distribuons comme aumône aux pauvres. Allah Tout Puissant dit dans le verset suivant:

"Pour témoigner des bienfaits qui leur ont été accordés; pour invoquer le nom d'Allah aux jours fixés, sur la tête des troupeaux qu'il leur a accordée. Mangez-en et nourrissez en le pauvre, le malheureux"

Sourate 'Al Hadj' verset 28

On remarque que le bétail est mentionné plusieurs fois comme une nourriture pour montrer qu'il est indispensable à la croissance de l'être humain.

Les chevaux sont un plaisir pour l'être humain et ils représentent aussi une force militaire car ils sont un mode de déplacement rapide. Ceci est expliqué dans le verset suivant:

Préparez pour lutter contre eux, tout ce que vous trouverez de force et de cavalerie afin d'effrayez l'ennemi d'Allah et le vôtre et d'autres encore en dehors de ceux-ci et que nous ne connaissez pas, mais qu'Allah connaît."

Sourate 'Al Anfal' verset 60

Les quadrupèdes sont une preuve de la miséricorde d'Allah étant un bienfait dont l'homme peut tirer profit comme il peut en être privé. De plus, certains animaux servent de paraboles pour les êtres humains, par exemple, l'homme peut apprendre des abeilles l'organisation de sa vie et de sa vie et de sa maison. Allah gloire à Lui dit:

Ton Seigneur a révélé aux abeilles; "établissez vos demeures dans les montagnes, dans les arbres et les ruches

Sourate 'Al Nahl' verset 68

L'homme peut également trouver le signe de la toute puissance divine dans la création de la moustique, la plus petite des créatures.

Allah ne répugne pas à proposer en parabole un moucheron ou quelque chose de plus elevé, les croyants savent que c'est la vérité venue de leur seigneur, les incroyants disent: "qu'est-ce qu'Allah a voulu signifier par cette parabole?" il en égare ainsi un grand nombre et il en dirige un grand nombre mais il n'égare que les pervers

Sourate 'Al Baqara' verset 26

L'utilité des animaux dans La vie humaine d'après le Coran

Iman Ahmad Farahat

Etant un message destiné à toute l'humanité, le Coran n'a pas manqué de parler de la faune et de son utilité dans la vie de l'homme. En effet, les animaux occupent une place importante dans le Coran; mais la raison pour laquelle ils y sont mentionnés diffère d'une Sourate à l'autre et d'un verset à l'autre. Ils sont mentionnés comme preuve de la miséricorde d'Allah ou de la puissance d'Allah, ils servent comme paraboles pour expliquer certaines choses concernant l'être humain, d'autres fois ils font l'objet d'une comparaison avec l'homme, ils sont cités dans un récit et parfois Allah nous indique simplement qu'il est licite de consommer certaines animaux.

Les animaux sont une preuve de la miséricorde d'Allah envers l'être humain car Allah les a crées pour servir l'homme dans sa vie. Ce fait explique pourquoi les animaux domestiques ceux qui sont souvent mentionnés dans le Coran.

Ce sont les animaux dont les bédouins se servent dans leur vie comme l'âne, le bétail, les chevaux et les quadrupèdes: l'âne est présenté comme une monture, le bétail est surtout mentionné comme un bienfait d'Allah, c'est une puissance pour l'être humain. Il sert de monture mais aussi de literie et de nourriture, le bétail est aussi mentionné comme source de chaleur et de nourriture. Allah tout puissant dit:

"Il a crée pour vous les bestiaux, vous en retirez des vêtements chauds, d'autres avantages encore et vous vous en nourrissez" Sourate 'Al Nahl' verset 5

De même, la peau du bétail sert à fabriquer des tentes et des meubles.

Allah gloire à Lui dit.

"Allah vous a procuré un abri dans vos maisons comme Il vous a procuré des habitations faites de peaux de bêtes, afin que vous les trouviez légères le jour où vous vous déplacez et le jour où vous campez"

Sourate 'Al Nahl' verset 80

parents et s'abstenir de faire ce qui leur déplait. Bienheureux celui qui profite de leur existence pour leur obéir et bien les traiter: Malheureux celui qui leur désobéit ou leur cause de la peine. Le Prophète -b.s-dit un jour: *"Malheureux! malheureux! malheureux celui assite à la vieillesse de ses parents ou de l'un d'entre eux et qui n'en profite pas pour gagner le Paradis".*

Hadith rapporté par Muslim.

Celui qui leur rend des égards verra aussi ses enfants lui rendre la pareille. Le Prophète -b.s- dit: *"Soyez bienfaisants envers vos parents pour que vos enfants soient bienfaisants envers vous".*

Hadith rapporté par Al-Tabarany.

La piété filiale envers la mère doit être trois fois plus grande qu'envers le père car c'est elle qui l'a élevé et qui, en plus, a supporté les peines de la grossesse, de l'accouchement et de l'allaitement. Un homme alla un jour chez le Prophète -b.s- et lui dit: *"Qui dois-je mieux traiter? - Ta mère lui dit-il. Et puis qui? demanda l'homme - Encore ta mère, dit le Prophète -b.s- Et ensuite? fit l'homme. - Toujours ta mère, répéta le Prophète -b.s- Et après elle? - C'est ton père", dit le Prophète -b.s-.*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Donc le fils doit bien plus de tendresse et d'amour envers sa mère qu'envers son père. Toutefois, l'épouse doit d'abord l'obéissance à son mari, avant celle qu'elle doit à ses parents. Le Prophète -b.s- a dit: *"La femme qui accomplit ses prières obligatoires, jeûne son mois (Ramadan), préserve sa chasteté et obéit à son mari il lui sera dit le jour de la Résurrection: Entre au Paradis par n'importe quelle Porte que tu voudras".*

Hadith rapporté par Abu Daoud et Ahmed.

Néanmoins cette obéissance ne doit pas être en contradiction avec la législation d'Allah. Il a été dit à ce propos: "Point d'obéissance quand il s'agit de désobéir à Allah".

A Suivre

demander la permission de prendre part à la guerre sainte. *"Tes parents sont-ils vivants?" lui demanda-t-il. Oui, répondit l'homme! "Que ta lutte pour la cause d'Allah leur soit réservée" dit le Prophète -b.s-.*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Un autre homme alla trouver le Prophète -b.s- afin de lui prêter le serment pour l'émigration et il laissa ses parents en pleurs, à cause de *sa séparation. Le Prophète -b.s- lui dit: "Retourne auprès d'eux et fais-les rire comme tu les a fait pleurer"*

Hadith rapporté par Abu-Daoud.

La piété filiale s'applique aux parents et aux grands-parents car personne ne peut assez leur exprimer de la gratitude ou leur rendre les égards qui leur sont dus. Le Prophète -b.s- dit: *"Aucun enfant ne peut exprimer la gratitude à ses parents, à moins qu'ils ne soient des esclaves et qu'il les rachète pour les affranchir".*

Hadith rapporté par Muslim.

On raconte aussi qu'un homme alla trouver le Prophète -b.s- et lui dit: *"Mes parents ont tellement vieilli que je supporte d'eux ce qu'ils ont supporté pour moi durant mon enfance. Me suis-je acquitté de ce que je leur dois?". "Non, dit le Prophète -b.s- tu fais cela en attendant qu'ils meurent, alors qu'eux ils le faisaient en souhaitant que tu vives".*

Hadith rapporté par Al-Kurtuby.

Un ançarite alla trouver le Prophète -b.s- et lui dit: *"O Messager d'Allah! après la mort de mes parents, puis-je encore exprimer ma piété filiale envers eux?". "Oui, dit le Prophète -b.s-, il te manque quatre devoirs à accomplir: tu peux: prier pour eux, implorer le pardon d'Allah pour eux, t'acquitter de leurs engagements, bien traiter leurs amis en conservant les liens de parenté avec les membres de leur famille".*

Hadith rapporté par Abu-Daoud.

Ces droits étant reconnus par le fils et accomplis dans le but de plaire à Allah, le musulman doit encore obéir aux ordres de ses

désobéissance aux parents." Comme il était accoudé, il se redressa subitement et ajouta: "Gare au faux témoignage! Gare au faux témoignage".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Ce Hadith confirme les paroles d'Allah:**[Dis: Venez, je vais réciter ce que votre Seigneur a interdit: ne Lui associez rien et soyez bienfaisants envers vos parents.]**

Surate 6. "Al-An'am". (Les bestiaux) V.151.

Allah a interdit de dire à ses parents "Fi", c'est une interjection exprimant l'exaspération et le refus, Il a interdit également de les réprimander ou de les traiter rudement. Le Prophète -b.s- a interdit d'attirer des insultes à ses parents et il a compté ce fait parmi les graves péchés. Il a dit: *"C'est un grave péché d'insulter ses parents!".*

On demanda: *"O Messager d'Allah y a-t-il un homme qui insulte ses parents?" - "Oui, dit-il, l'homme insulte les parents d'un autre homme, alors ce dernier riposte en insultant le père et la mère de l'autre".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

La piété filiale n'est pas réservée exclusivement aux parents musulmans; mais, même si les parents sont incroyants ont doit leur exprimer de la reconnaissance et de la bonté. Ainsi, Asma' fille d'Abou Bakr rapporte ce fait: *"Je reçus la visite de ma mère qui était encore polythéiste. Je demandai alors au Prophète -b.s- s'il m'était possible de lui venir en aide". "Oui, dit le Prophète -b.s-, sois bienfaisante envers ta mère".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

On dit que cela fut la cause de la Révélation de ces paroles d'Allah: **[Allah ne vous défend pas d'être bienfaisants et équitables envers ceux qui ne vous ont pas combattus pour la religion et ne vous ont pas chassés de vos demeures. Car Allah aime ceux qui sont équitables].**

Surate 60 - "Al-Mumtahanah" (L'Eprouvée) V.8.

On raconte qu'un homme se rendit chez le Prophète -b.s- pour lui

La piété filiale

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le Prophète -b.s- dit: "J'ai été envoyé pour parfaire les nobles qualités". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le Musulman est dévoué à ses parents et il leur doit tous les égards. Ce sont eux qui lui ont donné le jour, l'ont éduqué, lui ont fourni tous les biens et ont subvenu à tous ses besoins... Que de fois ils ont veillé pour qu'il dorme, que de fois ils ont supporté la privation pour qu'il soit rassasié. Combien de fois n'ont-ils pas enduré la peine et l'inquiétude pour lui assurer la paix et la sécurité! Allah-Gloire à Lui-a ordonné de Lui vouer un culte exclusif et Il a associé à cela la piété filiale. Il a dit: |**Ton Seigneur a ordonné de n'adorer que Lui, et a prescrit d'être bon envers ses père et mère**|.

Surate 17. " Al-Isra' " (Le voyage nocturne) V.23.

Il a allié également la reconnaissance envers Lui à la reconnaissance envers les parents. Il a dit: |**Sois reconnaissant autant envers Moi qu'envers tes père et mère**|.

Surate 31. "Luqman" V.14.

Lorsqu'on demanda au Prophète -b.s-: "Quelle est l'oeuvre la plus agréable à Allah? Le Prophète -b.s- répondit: *"C'est d'accomplir les prières aux heures prescrites". "Et ensuite"? lui demanda-t-on "La piété filiale". "Et puis?" - "la lutte pour la cause d'Allah".*

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Donc, la piété filiale vient en second lieu après la prière qui est le pilier fondamental de l'Islam.

L'ingratitude envers les parents est considérée comme l'un des plus graves péchés. Le Prophète -b.s- a dit un jour à ses compagnons: *"Voulez-vous que je vous dise quels sont les plus graves péchés? - Volontiers," répondirent les compagnons. "C'est le polythéisme et la*

REVUE
AL AZHAR

vol. 69 part II

Safar 1417 H. June/July 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

necessity in the interest of the army itself, because it had saved the Muslims from being entirely exterminated by the Romans whose numbers on the battlefield were so overwhelmingly greater than the Muslims.

The essential significance of the battle of Mu'tah despite the retreat of the Muslim army was that it had constituted the first military confrontation with the Roman army, which had been considered the strangest army at that time. Despite the overwelming numbers of the Roman army, the Muslims had not hesitated in fighting it, moreover, they had inflicted very many casualities among the Romans who had not been able to kill more than 12 Muslim martyrs. However, the battle had been considered a fruitful lesson to the Muslims who benefited a lot from this unmatchable event through which they had been able to gain valuable information about the Roman military mobilization and fighting tactics. A year later, the Muslims, then under the leadership of the prophet (PBUH), had again been in a position to challenge and defy the strong powerful Roman armies in the battle of (Tabouk).

In addition, it was after the prophet's (PBUH) death that the Muslims under the leadership of Khalid Ibn Al-Waleed, were able to defeat the Roman empire which was one of the great powerful influential empires of the old world. In short, the Muslims were able to put an end to the prevailing legend that the Roman empire was undefeatable and no nation even dared to fight it.

Muslim warriors showed great bravery and extraordinary courage despite the fact that the enemies army outnumbered theirs. Zaid Ibn Haritha, who had been in command and to whom the prophet (PBUH) handed care of the flag, continued to fight bravely and fiercely until he was killed by the spears of the enemy. According to the prophet's (PBUH) strict orders, Ja'far Ibn Ali Talab thereupon took up the flag, i.e. took command, and he continued to fight bravely until he was killed.

After Ja'far's death, the flag was held by Abdullah Ibn Rawaha who had, as well, continued to fight bravely until he met his end like the other two brave leaders. At this time the Muslim army had to elect a new commander from among themselves, as the prophet (PBUH) told them. It did not take long because the Muslim militants chose Khalid Ibn Al-Waleed, who was a brave warrior, as their commander.

The new commander fought as bravely as ever, until he had broken nine swords. But after a while Khalid Ibn Al-Waleed decided to retreat with the remnants of his army, after he became totally convinced that the continuation of the battle would eventually cause the extermination of the Muslims because of the far greater number of the Romans. Meanwhile, Khalid Ibn Al-Waleed believed that such a retreat should be wisely done in order to withdraw his army successfully. So, he thought that if he were to re-arrange the organization of his army he would be able to deceive the enemy and safely withdraw. Hence, in order to fulfil this strategy Khalid Ibn Al-Waleed completely reversed the organization of his army, in that he exchanged the rear by the front and the left side by the right side. This strategical withdrawal yielded its fruitful results because the Roman were deceived into thinking that the Muslims had been reinforced with the support of fresh troops, so they became extremely alarmed. Moreover, Khalid Ibn Al Waleed waited until after nightfall and then he ordered his army to withdraw to a safe secure place. The Muslims remained in their new positions for seven days engaging only in limited clashes, while the Romans, themselves, did not dare to launch any major offensive fearing that the Arabs would lure them out into the middle of the desert.

Later on, the Muslim army began its retreat to Medina. When they had reached Medina the Muslims there began to condemn them for their withdrawal. But the prophet (PBUH) was able to calm down the Muslims and conviced them that this withdrawal had been a

During the month of Jumada I of the year 21 after the Revelation, the prophet (PBUH) ordered an army of three thousand Muslims under the command of Zaid Ibn Haritha to get ready and then advance towards the city of Busra. Before heading to the city of Busra the prophet (PBUH) gave his orders that if Zaid Ibn Al-Haritha was killed then Ja'far Ibn Ali Taleb would replace him and if Ja'far was killed then Abdullah Ibn Rawaha would replace him and if Abdullah was killed then it would be up to the Muslim army to choose the most suitable person among them to be the commander. However, the prophet (PBUH) had not forgotten to remind his army of the principles of the Islamic warriors, i.e. they had neither to betray nor seek revenge and so he urged them not to kill newly-born children, women, aged people, christian monks in their monastries and not to demolish houses.

After the Muslim army had begun to advance towards the city of Busra to confront the enemy, Sharhabeel Bin Amr, who had murdered the prophet's envoy, gathered more than 100,000 warriors to fight the Muslims and exterminate their army in the hope of putting an end to this fast widespreading new religion. When the Muslims had reached the place of (Ma'an) they were informed about Sharhabeel's huge army, which had by then completed the necessary preparations to fight them. For two day the Muslims were hesitant as to whether they should seek further reinforcement from the prophet (PBUH) or to go into the battle according to the plan on which they had previously agreed. To put an end to this perplexing situation, Abdullah Ibn Rawaha made a speech to arouse the religious fervour of the Muslims and encourage them to fight their enemies. He reminded them that they came to the battlefield with the desire for martyrdom and that they were going to fight the enemy not with their strength or their number but with the strength of their religion and strong faith in Allah Almighty.

Abdullah's words filled the Muslims' hearts with courage and enthusiasm and they carried on their march towards their target; the city of Busra and they had chosen the village of Mu'tah as the battlefield. Meanwhile, the Roman Emperor Hercules, according to historical sources, had gathered an army of 100,000 men and led them to a place named Al Balaqa'a so as to confront the Muslim army. On Knowing this, Sharhabeel had brought his followers together to unite with the army of Mercules against the Muslims. When the two armies had met on the battlefield, the enemies had been astonished that the

The Great Battles of Islam

6. The Memory of the Day of Mu'tah

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph. D.

After the prophet (PBUH) had signed the Hudaybiyya peace treaty with the Qureish, he found it an opportunity to spread the message of Islam outside the Arabian Peninsula. The first step that had been taken on this track was sending letters and envoys to many different parts of the old world calling on the kings and monarchs of the different nations to embrace Islam being the seal of all the true religions. The clear evident true fact which the prophet (PBUH) confirmed in his call was that Islam has neither been a regional nor a racist religion, but a universal religion sent for all people with no distinction.

Among those to whom the prophet (PBUH) had sent his envoys was the Roman governor of the city of (Busra). This was the first time in which the prophet (PBUH) began to direct his call to embrace Islam to people who were not Arabs in origin. The main aim was to achieve the universality of this new religion which was sent for the welfare of the entire humanity. But, unfortunately, before the prophet's envoy Al-Harith Ibn Omair Al Azdi reached the city of Busra, he had met Sharhabeel Ibn Al-Ghassani who had murdered him on knowing that Al-Harith was one of Muhammad's envoys.

When the prophet (PBUH) received the news of Al-Harith's death he was deeply sorrowful and thereupon decided to take a certain punitive action against those who committed this crime because Al-Harith was neither a transgressor or an aggressor but he had only commissçoned to deliver a message on behalf of the prophet (PBUH). Moreover, the prophet (PBUH) became fully aware that overwhelming and conquering the Jews in each of the battles of Khaibar, Fadak, Tayma'a and Wadi Alqura had only established security on the northern side of Medina and not on the entire Peninsula. Therefore, he decided to launch a detering attack against the murderers who had killed his envoy to the prince of Busra otherwise anarchy and chaos would prevail everywhere.

*** And made therein mountains standing firm, lofty (in stature); and provided for you water sweet (and wholesome)?* (77/27)**

On the other hand, the original source of springs and underground wells is also rainwater, that infiltrates the ground to collect in huge underground aquifers. This is a discovery of modern science (Plessey 1570 AC.), that was stated explicity in the verse:

*** Seest thou not that Allaah sends down rain from the sky, and leads it through springs in the earth* (39/21)**

For centuries, the saline seas and oceans were the main sources of pearls and other precious stones. Relatively recently, however, it was discovered that some freshwater rivers also contain a variety of precious stones. These include pearls in some rivers in the British Isles, Czechoslovakia and Japan, as well as several other stones like diamonds, sapphire and zircon in different rivers and rivers sediments. This confirms the information given in the verses:

*** Nor are the two seas alike, the one palatable, sweet, and pleasant to drink, and the other, salt and bitter. Yet from each (kind of water) do ye eat flesh fresh and tender, and ye extract ornaments to wear* (35/12)**

*** He has let free the two seas meeting together: Between them is a barrier which they do not transgress: Then which of the favours of your Lord will ye deny? Out of them come pearls and coral* (55/19-22)**

He combines them together, then makes them into a heap? - Then wilt thou see rain issue forth from their midst. And He sends down from the sky mountain masses (of clouds) wherin is hail* (24/43)

These combinations result in "heavier" and more dense clouds, that are more amenable to rain fall. This process is accompanied with intense electric discharges, manifested as lightning and thunder, as in the following verse;

*** It is He Who doth show you the lightning, by way both of fear and of hope: It is Who doth raise up the clouds, heavy with (fertilizing) rain!. Nay, thunder repeateth His praises* (13/12-13)**

Spreading of clouds in the sky can take one of two modes: either horizontal spreading with little height; or vertical buildup of layers of ice (cumulonimbus). The latter take mountain-like shapes, an observation only recently made during air flights. Quraan differentiates clearly between these two modes, using different expressions:

*** It is Allaah Who sends the winds and they raise the clouds: then does He spread them in the sky as He wills, and break them into fragments, until seest rain-drops issue from the midst thereof...* (30/48)**

*** ... makes them into a heap? — Then wilt thou see rain issue forth from their midst. And He sends down from the sky mountain masses (of clouds) wherin is, hail* (24/43)**

It is the latter cumulonimbus clouds that normally give hail stone, as well as thunder and lightning. This is the context of the latter verse above, which also indicates that rain comes from "within" clouds, and not from the bottom surface, as our ancestors could have imagined.

12-Water resources:

For centuries, it was not known that rivers originate mainly from clouds colliding with the cold peaks of lofty mountains. They condense into rain water, or freeze as ice that melts away later. Both flow down the water stream. This coupling between lofty mountains and river formations is stated in a verse:

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part IV

by Nabil Abdel-Salam Haroun

More Proofs

The three proofs given in this article are concerned with rain, water resources and agriculture and how Quraanic verses deal with them.

11-Rain:

Clouds are formed when wind induces water evaporation. It also stirs sea mist as well as dust particles, and cosmic ray-ionized gases. These act as nuclei to collect water vapour of the atmosphere into clouds. This is expressed in Quraan:

*** It is Allaah Who sends the winds, and they raise the clouds* (30/48)**

*** It is Allaah Who sends forth the winds, so that they raise up the clouds* (35/9)**

It is as though wind inocculates or "fecundates" the clouds with these various particles. This very expression is used in the verse:

*** And We send the fecundating winds, then cause the rain to descend from the sky* (15/22)**

Further, the wind drives the clouds here and there. Oppositely charged clouds are "combined" together into "heaps" or piles, as in the Quraanic verse:

*** Seest thou not that Allaah makes the clouds move gently, then**

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Safar 1417 H.

vol. 69 part II

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهــرس

● العباس ـ رضى الله عنه ـ وصحبة الكبار .
فضيلة الدكتور/ على أحمد الخطيب ١٦١
● مقاصد سورة البقرة .
لفضيلـــة الإمــام الأكبر ا.د/ محمـــد سيـــد طنطاوى ١٦٣
● مع سورة ياسين .
ا. د/ ابراهيم الدسوقى خميس ١٧٥
● فضيلة إنظار المعسر .
ا. د/ محمود سالم الخطيب ١٨٣
● ما عند الله لا ينال بمعصيته .
فضيلة الشيخ/ على حامد عبدالرحيم ١٨٦
● ابراهيم النخعى صيرفىُّ الحديث .
عرض الأستاذ/ أحمد تقى الدين ١٨٨
● عاشوراء وصيامه .
الشيخ/ محيى الدين حسين يوسف ١٩٣
● القانون الدولى الإسلامى فى فقه الشيبانى .
ا. د/محمد عبدالصمد مهنا ١٩٧
● الإسلام فى التاريخ الحديث .
ا. د/ محمد ابراهيم الفيومى ٢٠٠
● من تراث المحقق الإسلامى .
محمد أبو الفضل ابراهيم ٢٠٥
● أهل الفضل من العلماء .
الأستاذ/ عبدالحفيظ فرغلى القرنى ٢٠٨
● استفتاءات القراء .
تقديم الشيخ/ السيد العراقى شمس الدين .. ٢١٤
● الحكم الشرعى للتأمين الاجتماعى .
د/ عبدالله مبروك النجار ٢١٨
● طرائف ومواقف .
الأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ٢٢٢
● من أعلام الأزهر محمد بخيت المطيعى .
ا. د. محمد رجب البيومى ٢٢٥
● من روائع الماضى .
ا/ عبدالفتاح حسين الزيات ٢٣١

● الشعر والشعراء ●
إعداد وتقديم/ د. محمد عبدالحكيم محمد .. ٢٣٥
– إهداء وتحية : للشاعر محمد فريد ٢٣٦
– الإسلام يشرق : للشاعر محمد صان الدين . ٢٣٧
– مالك بن الريب شاعر يرثى نفسه ٢٣٨
– ذكرى الإمام محمد عبده ..
للأستاذ خالد محمود ٢٤٠
– محمود شارور ربيع للدكتور محمد حسين . ٢٤٢

● العلوم الكونية ●
● الغلاف الجوى ..
د/ مجدى يوسف أمين ٢٤٤
● الإجهاض ..
د/ أحمد رجائى عبدالحميد ٢٤٨
● الجديد فى العلم والتقنية
د/ نجوى السيد أحمد ٢٥٢

● اللغة والأدب والنقد ●
● طبقات المحققين
ا. د/ السيد الجميلى ٢٥٦
● أهمية التعريب ..
للأستاذ/ محمد عتريس ٢٦٠
● مصطفى صادق الرافعى ..
للأستاذ/ أحمد مصطفى حافظ ٢٧١
● بين المجلة والقارىء ..
الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٢٧٧
● أبناء مكتب الإمام الأكبر ..
تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى .
ومصطفى عبدالمجيد ٢٨٣
● أنباء العالم الإسلامى ..
الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير ٢٨٦

● القسم الفرنسى ٢٩٥
● القسم الانجليزى ٣٠٣

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

مدير التحرير

على حامد عبد الرحيم

سكرتير التحرير

عادل فهمى خفاجة

المراسلات/ باسم مدير التحرير - الإدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٥٩٠٠٤٧٣ - ٢٦٣٨٥٩٩

الاشتراكات/ قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين .

وأنتم الأعلون والله معكم

مع مولد خير البرية ، وأكملها خَلْقًا وخُلُقًا وعلْمًا ، وأنفعها للناس - جميعا .

مع رسولنا المصطفى محمد ﷺ نعيش لحظات هذه الافتتاحية لنستوعب قطرات مما أوحى به رَبُّنا - عز وجل - إليه ليزداد به المؤمنون هُدًى وبصيرة ، وسلوكا فى نور ، وعملا غير مأزور .

وإنه لا يزال - والحمد لله - كثير من الناس ممن عاصر عبور القوات المصرية قناة السويس ، واحتلالها لجزء كبير من سيناء الغربية - يذكر - وقتئذ - « مناشدة .. جولدا مائير » للعالم الغربى ، وبخاصة الولايات المتحدة مساعدتها - فى ضراعة شديدة حتى لقد ذهبت فى ندائها إلى تصوير أمتها بأنها أمة مسكينة تطلب العون وتريد السلام .. إلخ .

وهكذا ظهر فجأة طلب السلام والجنوح إليه فيما هو ظاهر لنا وللعالم المعاصر حينئذ . ذلك ما يدعونا إلى اللقاء مع سيدنا رسول الله ﷺ لنذكر من شريعته كيف يكون الصلح والسلام فى الإسلام ... هذا الدين الذى يأمر أتباعه بالكف عن العدوان ، لأن العدوان ظلم والله - جل وعلا - لا يحب المعتدين ، ولا ينصر الظالمين .

ومع طبيعة السلام الذى يحبه المولى للبشر كانت توجيهات الإسلام فى الصلح والسلام ، وهى توجيهات الخالق ـ جل شأنه ـ الذى خلق الأشياء وقدرها تقديرا ، ولا ينبئك مثل خبير .

ومن هنا كانت آيات الله ـ تعالى ـ للنبى الأمين ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ منهجا للمؤمنين عندما يطلب المعتدى الصلح ـ قال ـ تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾ [الأنفال : ٥٨] .

وقال ـ سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ [الأنفال : ٦٠] .

﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾ الأنفال

وقال ـ عز من قائل : ﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد : ٣٥] .

والآيات العزيزة تعنى فى مجملها ـ والله أعلم :

احذروا عدوكم ، وأعدوا له قوة ضاربة تفوق قوته ، فإن طلب السلام بصدق فسالموا . ولا تَضْعُفوا فتبدأوه بطلب السلام فأنتم الأعلون ، وأنتم المؤمنون بالله ـ وحده ـ دون أعدائكم ، فالله معكم وهو ناصركم ، ومنجز لكم وعده بالنصر :

احذروا أعداءكم وافطنوا لهم بكل ما استطعتم من وسائل الفطنة لتكون أمورهم فى متناول أبصاركم وعقولكم ؛ فتكون المبادرة بأيديكم ؛ فإن حذرتم خيانة ، فهى خيانة لا تسموها بغير اسمها ، ولا تنصتوا لتفسير العدو لها بل اقطعوا الطريق حتى لا تنال منكم ، ولا يخدعنكم تفسير العدو لها .

ولتكن لكم القوة المثلى ؛ فإنها وسيلة الضغط الناجحة ، ولا كلام ؛ إذ العدو لا يخنع لغيرها . ولا يذل الأعداء إلا بها .

﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ ﴾ .

سورة النساء

فإذا طلبوا السلام وناشدوكم الصلح فاستجيبوا وميلُوا للصلح ماداموا صادقين فى طلبه ، ولاتتمادوا فى قتال ، وإلا كنتم معتدين ، ومن اعتدى كان ربنا ـ عز وجل ـ عليه ، ولم ينصره ، فإن الله ـ سبحانه ـ لا يشد أزر الظالمين .

ثم أنتم الأعلون ، وإيمانكم له أهدافه الإنسانية الرحيمة العادلة ، وأنتم بها تنصرون الحقَّ فى غير عدوان . وتنصرون مبادىء الله ـ العزيز العليم ـ وسوف يجزيكم ولا ينقصكم أجوركم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ سورة محمد

﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الأنفال .

نسأل المولى ـ عز وجل ـ جميل هديه ، وعزيز نصره ، إنه سميع قريب مجيب .

تفسير سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)
أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر

سورة البقرة من السور التى ابتدئت ببعض حروف التهجى .

وقد وردت هذه الفواتح تارة مفردة بحرف واحد ، وتارة مركبة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة .

فالسور التى بدأت بحرف واحد ثلاثة ، وهى : سور ص ، ق ، ن .

والسور التى بدأت بحرفين تسعة وهى : طه ، يس ، طس ، و(حم) فى ست سور هى : غافر ، فصلت ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الأحقاف .

والسور التى بدأت بثلاثة أحرف ثلاث عشرة سورة وهى : ﴿ الم ﴾ فى ست سور : البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة و ﴿ الر ﴾ فى خمس سور هى : يونس ، هود ، يوسف ، الحجر ، إبراهيم و ﴿ طسم ﴾ فى سورتين هما : الشعراء ، القصص .

وهناك سورتان بدئتا بأربعة أحرف وهما . الرعد ، ﴿ المر ﴾ ، والأعراف ، ﴿ المص ﴾ ، وسورتان ــ أيضاً ــ بدئتا بخمسة أحرف وهما : مريم ﴿ كهيعص ﴾ ، والشورى ﴿ حم عسق ﴾ فيكون مجموع السور التى افتتحت بالحروف المقطعة تسعا وعشرين سورة .

هذا ، وقد وقع خلاف بين العلماء فى المعنى المقصود بتلك الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية ، ويمكن إجمال خلافهم فى رأيين رئيسين :

الرأى الأول يرى أصحابُهُ : أن المعنى المقصود منها غير معروف ، **فهى** من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه .

وإلى هذا الرأى ذهب ابن عباس ــ فى إحدى رواياته ــ كما ذهب إليه الشعبى ، وسفيان الثورى ، وغيرهم من العلماء ، فقد أخرج ابن المنذر وغيره عن الشعبى أنه سئل عن فواتح السور فقال : إن لكل كتاب سراً ، وإن سر هذا القرآن فى فواتح السور .

ويروى عن ابن عباس أنه قال : عجزت العلماء عن إدراكها .

وعن على ــ رضى الله عنه ــ أنه قال : « إن لكل كتاب صفوة وصفوة هذا الكتاب حروف التهجى » .

وفى رواية أخرى عن الشعبى أنه قال : « سر الله فلا تطلبوه » .

ومن الاعتراضات التى وُجِّهَتْ إلى هذا الرأى ، أنه إذا كان الخطاب بهذا الفواتح غير مفهوم للناس ، لأنه من المتشابه ، فإنه يترتب على ذلك أنه كالخطاب بالمهمل ، أو مثله المتكلم بلغة أعجمية مع أناس عرب لا يفهمونها .

وقد أجيب عن ذلك بأن هذه الألفاظ لم ينتف الإفهام عنها عند كل الناس ، فالرسول ﷺ كان يفهم المراد منها ، وكذلك بعض أصحابه المقربين ــ ولكن الذى ننفيه أن يكون الناس جميعاً فاهمين لمعنى هذه الحروف المقطعة فى أوائل بعض السور .

وهناك مناقشات أخرى للعلماء حول هذا الرأى يضيق المجال عن ذكرها .

أما الرأى الثانى فيرى أصحابه : أن المعنى المقصود منها معلوم ، وأنها ليست من المتشابه الذى استأثر الله ــ سبحانه ــ بعلمه .

وأصحاب هذا الرأى قد اختلفوا فيما بينهم فى تعيين هذا المعنى المقصود على أقوال كثيرة ، من أهمها ما يأتى :

١ ــ أن هذه الحروف أسماء للسور ، ولا يخلو هذا القول من الضعف ، لأن كثيراً من السور قد افتتحت بلفظ واحد من هذه الفواتح ، والغرض من التسمية رفع الاشتباه .

٢ ــ وقيل إن هذه الحروف قد جاءت هكذا فاصلة للدلالة على انقضاء سورة وابتداء أخرى .

٣ ــ وقيل : إنها حروف مقطعة ، بعضها من أسماء الله ــ تعالى ــ وبعضها من صفاته ، فمثلا ﴿ الم ﴾ أصلها : أنا الله أعلم .

٤ ــ وقيل : إنها اسم الله الأعظم .

إلى غير ذلك من الأقوال التى لا تخلو من مقال ، والتى أوصلها السيوطى فى « الإتقان » إلى أكثر من عشرين قولا .

٥ ــ ولعل أقرب الآراء إلى الصواب أن يقال :

إن هذه الحروف المقطعة قد وردت فى افتتاح بعض السور للإشعار بأن هذا القرآن الذى تحدى الله به المشركين هو من جنس الكلام المركب من هذه الحروف التى يعرفونها ، ويقدرون على تأليف الكلام منها ، فإذا عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله ، فذلك لبلوغه فى الفصاحة

والحكمة مرتبة يقف فصحاؤهم وبلغاؤهم دونها بمراحل شاسعة ، وفضلا عن ذلك فإن تصدير السور بمثل هذه الحروف المقطعة يجذب أنظار المعرضين عن استماع القرآن حين يتلى عليهم إلى الإنصات والتدبر ، لأنه يطرق أسماعهم فى أول التلاوة ألفاظ غير مألوفة فى مجارى كلامهم ، وذلك مما يلفت أنظارهم ليتبينوا مايراد منها ، فيستمعوا حكما وحججاً قد تكون سبباً فى هدايتهم واستجابتهم للحق .

هذه خلاصة لأراء العلماء فى الحروف المقطعة التى افتتحت بها بعض السور القرآنية ، ومن أراد مزيداً لذلك فليرجع ــ مثلاً ــ إلى كتاب « الإتقان » للسيوطى ، وإلى كتاب « البرهان » للزركشى ، وإلى تفسير الألوسى .

ثم قال ــ تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ .

﴿ ذلك ﴾ اسم إشارة واللام للبعد حقيقة فى الحس ، مجازاً فى الرتبة ، والكاف للخطاب ، والمشار إليه ــ على الراجح ــ الكتاب الموعود به ﷺ فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴾ . سورة المزمل/٥ .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : أخبرنى عن تأليف ﴿ ذلك الكتاب ﴾ مع ﴿ الم ﴾ قلت : إن جعلت ﴿ الم ﴾ اسماً للسورة ففى التأليف وجوه . أن يكون ﴿ الم ﴾ مبتدأ و﴿ ذلك ﴾ مبتدأ ثانياً ، و ﴿ الكتاب ﴾ خبره . والجملة خبر المبتدأ الأول .

ومعناه أن ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل ، كأن ماعداه من الكتب فى مقابلته ناقص ، وأنه الذى يستأهل أن يسمى كتاباً ، كما تقول : هو الرجل ، أى : الكامل فى الرجولية ، الجامع لما يكون فى الرجال من مرضيات الخصال .

وإن جعلت ﴿ الم ﴾ بمنزلة الصوت ، كان « ذلك » مبتدأ خبره « الكتاب » ، أى : ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل [1] .. اهـ ملخصاً

وقيل : المشار إليه ﴿ الم ﴾ على أنه اسم للسورة والمراد المسمى .

و﴿ الكتاب ﴾ مصدر كتب (كَالْكَتْب) ، وأصل الْكَتْبِ : ضم أديم إلى أديم بالخياطة . واستعمل عرفا فى ضم الحروف بعضها إلى بعض بالخط ، وأريد به هنا : المنظوم عبارة قبل أن تنظم حروفه التى يتألف منها فى الخط ، تسمية للشىء باسم مايؤول إليه .

و(**الريب**) فى الأصل : مصدر رَابَه الأمر إذا حصل عنده فيه ريبة ، وحقيقة الريبة : قلق النفس واضطرابها ، ثم استعمل فى معنى الشك مطلقاً . وقال ابن الأثير : الريب هو الشك مع التهمة .

و(**هدى**) . مصدر هداه هُدًى وهداية وَهِدْيَةً ــ بكسرها ــ فهدى ، ومعناه : الدلالة الموصلة إلى البغية ، وضده الضلال .

و(**المتقون**) جمع متق ، اسم فاعل من اتقى وأصله اوتقى ــ بوزن افتعل ــ من وَقَى الشىء وقاية ، أى : صانه وحفظه مما يضره ويؤذيه .

(١) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٣ .

والمعنى : ذلك الكتاب الكامل ، وهو القرآن الكريم ، ليس محلا لأن يرتاب عاقل أو منصف فى أنه منزل من عند الله ، وأنه هداية وإرشاد للمتقين الذين يجتنبون كل مكروه من قول أو فعل ، حتى يصونوا أنفسهم عما يضرها ويؤذيها .

وكانت الإشارة بصيغة البعيد ، لأنه سامى المنزلة أينما توجهت إليه :

فإن نظرت إليه من ناحية تراكيبه فهو معجز للبلغاء ،

وإن نظرت إليه من ناحية معانيه فهو فوق مدارك الحكماء ،

وإن نظرت إليه من ناحية قصصه وتاريخه فهو أصدق محدث عن الماضين ، وأدق محدد لتاريخ السابقين ، فلا جرم أن كانت الإشارة فى الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن ، وقد شاع فى كلام البلغاء تمثيل الأمر الشريف بالشىء المرفوع فى عزة المنال ، لأن الشىء النفيس عزيز على أهله ، فمن العادة أن يجعلوه فى مكان مرتفع بعيد عن الأيدى .

وصحت الإشارة إلى الكتاب ــ وهو لم ينزل كله بعد ــ لأن الإشارة إلى بعضه كالإشارة إلى الكل حيث كان بصدد الإنزال ، فهو حاضر فى الأذهان ، فشبه بالحاضر فى العيان .

ونفى عنه الريب على سبيل الاستغراق مع وقوع الريب فيه من المشركين حيث وصفوه بأنه أساطير الأولين ، لأنه لروعة حكمته ، وسطوع حجته ، لا يرتاب ذو عقل متدبر فى كونه وحياً سماوياً ، ومصدر هداية وإصلاح .

فالجملة الكريمة تنفى الريب فى القرآن عمن شأنهم أن يتدبروه ، ويقبلوا على النظر فيه بروية ، ومن ارتاب فى القرآن فلأنه لم يقبل عليه بأذن واعية ، أو ببصيرة نافذة ، أو قلب سليم .

وقدم جملة ﴿ لا ريب فيه ﴾ على جملة ﴿ هدى للمتقين ﴾ لأنه أراد أن ينفى عن ساحة كونه كتاباً هادياً غبار الريب ، وغيوم الشكوك ، حتى يستقر فى النفوس وصفه ، وتطمئن القلوب لآثاره ومقاصده وهداياته .

وفصل جملة ﴿ لا ريب فيه ﴾ عما قبلها لكمال الاتصال ، حيث كانت جملة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ مفيدة لكماله ، وجملة ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ مفيدة لنفى الريب عنه .

والمراد بكونه ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ مع أنه هداية لهم ولغيرهم ، لأنهم هم المنتفعون به دون سواهم .

قال تعالى :

﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (٢)

ومعنى كونه هدى لهم أنه يزيدهم هدى على مالديهم من الهدى كما قال ــ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾ (٣) .

(٢) فصلت ــ ٤٤ .

(٣) سورة محمد ــ ١٧

ويصح أن يكون المعنى : هدى للناس الذين صاروا متقين بهذه الهداية ، كما أقول : هَدَيْتُ مهتديا ، أو كتبت مكتوبا ، على معنى أنى هديت شخصاً صار مهدياً بهذه الهداية ، وكتبت خطاباً صار مكتوباً بهذه الكتابة ، وهو أسلوب عربى صحيح . كما ورد فى حديث « من قتل قتيلا فله سلبه » .

قال صاحب الكشاف : ومحل ﴿ هدى للمتقين ﴾ الرفع ، لأنه خبر متبدأ محذوف ، أو خبر مع ﴿ لا ريب فيه ﴾ لـ « ذلك » ... والذى هو أرسخ عرقا فى البلاغة أن يضرب عن هذه المحال صفحاً ، وأن يقال : إن قوله ﴿ الم ﴾ جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة برأسها .

و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ جملة ثانية . و﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ثالثة . و ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ رابعة . وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم ، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير نسق ، وذلك لمجيئها متآخية آخذاً بعضها بعنق بعض . فالثانية متحدة بالأولى معتنقة لها ، وهلم جرا إلى الثالثة والرابعة :

بيان ذلك :

أنه نبه أولا على أنه الكلام المتحدى به ، ثم أشير إليه بأنه الكتاب المنعوت بغاية الكمال ، فكان تقريراً لجهة التحدى ، وشدا من أعضاده ، ثم نفى عنه أن يتشبث به طرف الريب ، فكان شهادة وتسجيلا بكماله : لأنه لا كمال أكمل من الحق واليقين . ولا نقص أنقص مما للباطل والشبه .

وقيل لبعض العلماء : فيم لذتك ؟ فقال : فى حجة تتبختر اتضاحاً ، وفى شبهة تتضاءل افتضاحا .

ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين ، فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله ، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ثم لم تخل كل واحدة من الأربع — بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق — من نكتة ذات جزالة . ففى الأولى الحذف والرمز إلى الغرض بألطف وجه وأرشقه . وفى الثانية مافى التعريف من الفخامة ، وفى الثالثة مافى تقديم الريب على الظرف ، وفى الرابعة الحذف (٤) .

ثم فصل القرآن بعد ذلك أوصاف المتقين ، ومدحهم بجملة من المناقب الحميدة ، فقال : ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ أى : يصدقون بما غاب عن حواسهم ، كالصانع وصفاته ، وكاليوم الآخر ومافيه من بعث وحساب وثواب وعقاب .

والإيمان لغة : التصديق والإذعان ، وهو إفعال من الأمن .

وشرعاً : التصديق بما علم بالضرورة أنه من الدين ، كالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .. الخ .

وعدى ﴿ يؤمنون ﴾ بالباء لتضمينه معنى أقر واعترف .

والغيب : مصدر غاب يغيب ، وكثيراً مايستعمل بمعنى الغائب ، وهو الظاهر من هذه الآية الكريمة . ومعناه : مالا تدركه الحواس ، ولا يعلم ببداهة العقل .

---

(٤) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦ .

قال بعض العلماء : وخص بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان ، لأن الإيمان بالغيب هو الأصل فى اعتقاد إمكان ماتخبر به الرسل عن وجود الله والعالم العلوى ، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول ، وللنظر فيما يبلغه عن الله ــ تعالى ــ فسهل عليه إدراك الأدلة ، وأما من يعتقد أنه ليس من وراء عالم الماديات عالم آخر ، فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة ، كما هو حال الماديين الذين يقولون : ﴿ وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ :(٥)

والإيمان بالغيب : يستلزم التصديق به على وجه الجزم ، وهو لا يحصل إلا عن دليل . ولا شك أن قيام البراهين على صدق مَنْ أخبر بالغيب يجعل المؤمن بهذا الغيب مصدقاً عن دليل ، فنحن لا نحتاج فى الإيمان بالملائكة والكتب السماوية السابقة ، والرسل الذين أرسلوا من قبل ، والبعث ومافيه من ثواب وعقاب ، لا نحتاج فى الإيمان بكل ذلك إلى دليل زائد على الأدلة التى قامت على صدق نبينا محمد ﷺ .

والإيمان بالغيب دليل على اتساع العقول ، وسلامة القلوب ، إذ أن معنى الإيمان بالغيب هو أن عقولهم قد سلم إدراكها ، وتقشعت عنها غشاواتها ، وامتد نظرها فى الكائنات فأدركت أن لها مبدعًا حكيماً وخالقاً قديراً ، جعلها تسير بنظام محكم ، فهذه كواكب تظهر وتغيب ، وسماء مرفوعة بغير عمد ، وأرض راسية لا تميد ولا تضطرب .. ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ (٦) فكان من ذلك لتلك العقول براهين قاطعة على وجود خالق مدبر ، وحكيم قدير ، ومبدع لا تأخذه سنة ولا نوم .

والإيمان بالغيب الذى أخبر به الصادق المصدوق ﷺ يقوى ويعظم كلما قوى الإيمان فى القلوب ، واستولى الصفاء على النفوس ، وقد مدح النبى ﷺ المؤمنين بالغيب فى أحاديث متعددة ، منها ماجاء عن خالد بن دريك ، عن ابن محيريز قال : قلت لابن جمعة : حدثنا حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ قال : نعم أحدثك حديثاً . تغدينا مع رسول الله ﷺ ومعنا أبوعبيدة بن الجراح فقال : يارسول الله ، هل أحد خير منا ؟ أسلمنا معك وجاهدنا معك . قال : نعم ، قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى » (٧)

قال ابن كثير : فقد مدحهم على ذلك وذكر أنهم أعظم أجراً من هذه الحيثية لا مطلقاً (٨) .

وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن منده وأبو نعيم عن بديلة بنت أسلم قالت : صليت الظهر أو العصر فى مسجد بنى حارثة ، واستقبلنا مسجد إيلياء فصلينا سجدتين ، ثم جاء من يخبرنا بأن رسول الله ﷺ قد استقبل البيت ، فتحول الرجال مكان النساء ، والنساء مكان الرجال ، فصلينا السجدتين الباقيتين ونحن مستقبلون البيت الحرام ، فبلغ ذلك النبى ﷺ فقال : « أولئك قوم آمنوا بالغيب » (٩)

---

(٥) تفسير التحرير والتنوير جـ ١ ص ١١٨ للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور . وهذا من سورة الجاثية ــ الآية٢٤ .

(٦) سورة النمل ــ ٨٨ .

(٧ ، ٨) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢ .

(٩) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٢ .

تلك أول صفة نتيجة التقوى وهى الإيمان بالغيب ، أما الصفة الثانية التى مدح الله بها المتقين فهى قوله ــ تعالى :

﴿ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ .

الصلاة فى اللغة : الدعاء ، من صلى يصلى إذا دعا ، واستعملها الشارع فى العبادة ذات الركوع والسجود لاشتمالها على الدعاء ، والإقامة فى الأصل : الدوام والثبات ، من قولك : قام الحق أى ظهر وثبت .

ومعنى ﴿ يقيمون الصلاة ﴾ : يؤدونها فى أوقاتها المقدرة لها ، مع تعديل أركانها ، وإيقاعها مستوفية لواجباتها وسننها وآدابها وخشوعها ، فإن الصلاة المقامة بحق هى تلك التى يصحبها الإخلاص ، واستحضار جلال الله فى الركوع والسجود ، وهى التى تترتب عليها الآثار العظيمة من تزكية النفس ، وعفافها ، وتركها لكل الشرور والآثام ، كما قال ــ تعالى : ﴿ إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وقدم إقامة الصلاة على الإنفاق ، لأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولأنها تتكرر فى اليوم خمس مرات ، ولأنها صلة بين العبد وربه ، والإنفاق صلته بالناس ، ولأن مشروعيتها كانت سابقة على مشروعية الزكاة .

أما الصفة الثالثة التى مدح الله بها المتقين **فهى قوله** ــ تعالى :

﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ .

أى : ومما أعطيناهم وملكناهم يتصدقون فى وجوه الخير ، ويمدون أيديهم بالإحسان إلى الفقير والمسكين .

والرزق ــ عند جمهور العلماء ما صلح للانتفاع به حلالا كان أو حراماً ، خلافاً للمعتزلة الذين يرون أن الحرام ليس برزق .

والإنفاق : إخراج المال وإنفاده وصرفه ، يقال : نفق ــ كفرح ونصر : نفد وفنى أو قلّ . وأنفق ماله أنفده ، وأصل المادة يدل على الخروج والذهاب ، ومنه : نافق فلان ، والنافقاء ، والنفق . وقال : « ينفقون » ولم يقل : أنفقوا ، ليشعر بأن الإنفاق منهم يتجدد بين وقت وآخر . ولم يحدد وجوه الإنفاق بل تركها مطلقة لتشمل الفرض والواجب وغيرهما من وجوه الإحسان .

وإيراد « من » فى قوله ــ تعالى : « ومما رزقناهم » للإشارة إلى أن مواظبتهم على إنفاق أموالهم بين الحين والحين ، كفيل بتوصيلهم إلى زمرة المهتدين المفلحين ، وللإشعار بأنهم ينفقون بعض أموالهم مبتعدين عن الإسراف والتبذير حتى لا يتركوا ورثتهم عالة يتكففون وجوه الناس .

هذا . وقد عني القرآن الكريم عناية فائقة بالحض على الإنفاق فى وجوه الخير ، ومدح الذين يفعلون ذلك مدحاً عظيماً فى عشرات الآيات ، وذلك لأن الأمة التى يكثر فيها المنفقون لأموالهم فى وجوه الخير ، لابد أن تعز كلمتها ، وتسلم من كوارث شتى ، كالجهل ، والفقر ، والمرض . فببذل المال تسد حاجات البؤساء ، وتشاد معاهد التعليم ، وتقام وسائل حفظ الصحة ، وتنمو المحبة والمودة بين الأغنياء والفقراء .

قال تعالى :

﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ (١٠)

ثم أضاف القرآن إلى صفات المتقين وصفاً رابعاً فقال :

﴿ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك ﴾ .

والمراد بقوله ــ تعالى ــ ﴿ بما أنزل إليك ﴾ القرآن الكريم ، وإنما عبر عنه بلفظ الماضى ــ وإن كان بعضه مترقباً ــ تغليباً للموجود على مالم يوجد .

والمراد بقوله ــ تعالى ــ ﴿ وما أنزل من قبلك ﴾ ، الكتب الإلهية السابقة التى أنزلها الله على أنبيائه كموسى وعيسى وداود ــ على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ــ وهذا كقوله ــ تعالى ــ :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ (١١)

والإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ يستلزم الإيمان برسالته ، ويستوجب العمل بما تضمنته شريعته .

وإيجاب العمل بما تضمنه القرآن الذى أنزله الله على محمد ﷺ باق على إطلاقه . أما الكتب السماوية السابقة فيكفى الإيمان بأنها كانت وحياً وهداية ، وقد تضمن القرآن الكريم ما اشتملت عليه هذه الكتب من هدايات وأصبح بنزوله مهيمناً عليها ، قال ــ تعالى :

﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ (١٢)

وصار من المحتم على كل عاقل أن يعمل بما جاء به القرآن من توجيهات .

وقدم الإيمان بما أنزل عليه على الإيمان بما أنزل على الذين من قبله ــ مع أن الترتيب يقتضى العكس ــ لأن إيمانهم بمن قبله لا قيمة له إلا إذا آمنوا بمحمد ﷺ :

ولم يقل : ويؤمنون بما أنزل من قبلك بتكرير يؤمنون ، للإشعار بأن الإيمان به وبهم واحد ، لا تغاير فيه وإن تعدد متعلقه .

ويرى بعض العلماء أن المراد من الآية الكريمة ، أهل الكتاب الذين آمنوا بالكتب السماوية التى نزلت قبل القرآن ، ثم لما نزل القرآن على النبى محمد ﷺ وعرفوا أنه الحق ــ آمنوا به أيضاً ــ، فصار لهم أجران ، كما جاء فى الحديث الشريف ، الذى ثبت فى الصحيحين عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين يوم القيامة : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ، ورجل مملوك أدى حق الله وحق مواليه ، ورجل أدب جاريته فأحسن تأديبها ، ثم أعتقها .

---

(١٠) سورة البقرة ــ ٢٦١ .

(١١) سورة النساء ــ ١٣٦ .

(١٢) سورة النحل ــ ٨٩ .

ثم وصف الله المتقين بوصف خامس فقال : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ الآخرة تأنيث الآخر .

وهذا اللفظ تارة يجىء وصفاً ليوم القيامة مع ذكر الموصوف ، كما فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ وَلَلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ﴾ (١٣) وتارة بهذا المعنى ولكن بدون ذكر الموصوف ، كما فى الآية التى معنا ، وكما فى قوله ــ تعالى ــ ﴿ وَلَلْأَخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ (١٤)

وسميت (آخرة) لأنها تأتى بعد الدنيا التى هى الدار الأولى .

و﴿ يوقنون ﴾ من الإيقان وهو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، بحيث لا يطرأ عليه شك ، ولا تحوم حوله شبهة . يقال : يَقِنَ الماء إذا سكن وظهر ماتحته ، ويقال : يقنت ــ بالكسر ــ يقناً ، وأيقنت ، وتيقنت ، واستيقنت بمعنى واحد .

والمعنى : وبالدار الآخرة ومافيها من بعث وحساب وثواب وعقاب هم يوقنون إيقاناً قطعياً ، لا أثر فيه للادعاءات الكاذبة ، والأوهام الباطلة .

وفى إيراد « هم » قبل قوله « يوقنون » تعريض ، بغيرهم ، ممن كان اعتقادهم فى أمر الآخرة غير مطابق للحقيقة ، أو غير بالغ مرتبة اليقين .

ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر ومافيه من ثواب وعقاب ، له أثر عظيم فى فعل الخيرات ، واجتناب المنكرات ، لأن من أدرك أن هناك يوماً سيحاسب فيه على عمله ، فإنه من شأنه أن يسلك الطريق القويم الذى يكسبه رضى الله ــ تعالى ــ يوم يلقاه .

قال أبو حيان : وذكر لفظة ﴿ هم ﴾ فى قوله : ﴿ وَبِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ ولم يذكرها فى قوله : ﴿ ومما رزقناهم ينفقون ﴾ لأن وصف إيقانهم بالآخرة أعلى من وصفهم الإنفاق فاحتاج هذا إلى التوكيد ولم يحتج ذلك إلى تأكيد ولأنه لو ذكر ﴿ هم ﴾ هناك لكان فيه قلق لفظى ، إذ يكون التركيب ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١٥)

ثم بين ــ سبحانه ــ بعد ذلك الثمار التى ترتبت على تقواهم فقال :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ ﴾

المفلحون : من الفلاح وهو الظفر والفوز بدرك البغية ، وأصله من الفلْح ــ بسكون اللام ــ وهو الشق والقطع ، منه فلاحة الأرض وهو شقها للحرث . واستعمل منه الفلاح فى الفوز ، كأن الفائز شق طريقه وفلحه للوصول إلى مبتغاه ، أو انفتحت له طريق الظفر وانشقت .

والمعنى : أولئك المتصفون بما تقدم من صفات كريمة ، على نور من ربهم ، وأولئك هم الفائزون بما طلبوا ، الناجون مما منه هربوا ، بسبب إيمانهم العميق ، وأعمالهم الصالحة .

والآية الكريمة كلام مستأنف لبيان أن أولئك المتقين فى المنزلة العليا من الكمال الإنسانى ،

---

(١٣) سورة الأنعام ــ ٣٢ .

(١٤) سورة الإسراء ــ ٢١ .

(١٥) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ ١ ص ٤٢ .

فقد وصفهم ـ سبحانه ـ بأنهم على هدى عظيم ، ويدل على عظم هذا الهدى إيراده بصيغة التنكير ؛ إذ من المعلوم عند علماء البيان أن التنكير يدل بمعونة المقام على التعظيم . كما يدل ـ أيضاً ـ على عظم هذا الهدى وصفه بأنه « من ربهم » ، فهو الذى وفقهم إليه ، ويسر لهم أسبابه .

وفى قوله ـ تعالى ـ :﴿ **على هدى** ﴾ إشعار بأنهم تمكنوا منه من استعلى على الشىء ، وصار فى قرار راسخ منه .

وجملة « وأولئك هم المفلحون » بيان لما ظفر به المتقون الحائزون لتلك الخصال ، من سعادة فى الدنيا والآخرة .

وتعريف الخبر وهو ﴿ **المفلحون** ﴾ مع إيراد ضمير الفصل « هم » يفيد أن الفلاح مقصور على أولئك المتقين ، فمن لم يؤمن بالغيب ، أو أضاع الصلاة ، أو بخل بالمال الذى منحه الله إياه فلم يؤده فى وجوهه المشروعة ، فإنه لايكون من المهتدين ، ولا من المفلحين الذين سعدوا فى دنياهم وآخرتهم .

قال الإمام الرازى : وفى تكرير ﴿ **أولئك** ﴾ تنبيه على أنهم كما ثبت لهم الاختصاص بالهدى ، فقد ثبت لهم الاختصاص بالفلاح ـ أيضا ـ فقد تميزوا عن غيرهم بهذين الاختصاصين ، فإن قيل : فلم جىء بالعاطف ؟ وما الفرق بينه وبين قوله : ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٦)

قلنا : قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف ، بخلاف الخبرين ثمة فإنهما متفقان ؛ لأن التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شىء واحد ، وكانت الثانية مقررة لما فى الأولى ، فهى من العطف بمعزل (١٧)

وقال صاحب الكشاف بعد تفسيره لهذه الآية الكريمة « ... فانظر كيف كرر الله التنبيه على اختصاص المتقين بنيل مالا يناله أحد على طرق شتى ، وهى : ذكر اسم الإشارة ، وتكريره ، وتعريف المفلحين ، وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين أولئك ، ليبصرك مرتباتهم ، ويرغبك فى طلب ماطلبوا ، وينشطك لتقديم ماقدموا ، ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمنى على الله مالاتقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته ... » (١٨)

وإلى هنا تكون الآيات الكريمة قد مدحت القرآن الكريم بما يستحقه ، وأثنت على من اهتدوا بهديه ، ووصفتهم بالصفات السامية ، وبشرتهم بالبشارات الكريمة .

ـ يتبـع ـ

---

(١٦) سورة الأعراف ـ ١٧٩ .

(١٧) تفسير الفخر الرازى جـ ١ ص ١٦٩ .

(١٨) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٣٦ .

قبس من أنوار النبوة

أحبُ العبادِ إلى ربِّ العبادِ

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : أى الناس أحب إلى الله ؟ قال : أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ سرور تدخله على مسلم تكشف عنه كربه ، أو تقضى عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعا .

ولأن أمشى مع أخ فى حاجة أحبُ إلَيَّ من أن أعتكف فى هذا المسجد ـ مسجد المدينة ـ شهرا . ومن كف غضبُه ستر الله عورته ، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يُمْضِيَهُ أمضاه ملأ قلبه (رضاً) يوم القيامة .

ومن مشى مع أخيه المسلم فى حاجة حتى يُثْبِتَها له أثبت الله ـ تعالى ـ قدمه يوم تزِّل الأقدام » .

رواه الطبرانى ، والأصبهانى ، وابن أبى الدنيا

البيان :

لقد صان الدين الإسلامى الذى شرعه الله **لعباده** ، وارتضاه لهم حين قال :

﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة ٣

كيان المجتمع الإسلامى ، وصاغ أخوته **على** أساس من التعاليم السامية خاصة . وحذر مما **يوهن العلاقة** الربانية بين أبناء الدين الواحد ، **ودعا إلى** إصلاح مابين المتنافرين والمتخاصمين **والمختلفين** حتى تتأكد الأخوة على أساس من المودة والرحمة التى أشار إليها القرآن الكريم فى كثير من آياته . قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾

سورة الأنفال

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

سورة الحجرات

تلك الأخوة التى وضع رسول الله ﷺ : قواعدها فى مجتمع المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار حتى استحقت أن ينزل فى شأنها قول الله ـ سبحانه وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر : ٩] .

وتحققت النعمة الكبرى التى أنعم الله بها على المؤمنين ، وذكرهم بها فى قوله تعالى :

﴿ ... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

ومن أجل الحفاظ على تلك الأخوة أمر الله جماعة المؤمنين أن يراقبوا العلاقات الأخوية ويوفروا لها ما يلزمها من الصفاء الدائم . فإذا حدث لها ما يهدد أخوة المجتمع ، أو يضعف تلك العلاقة أوجب على جماعة المؤمنين أن يهبوا ليصلحوا ما طرأ على العلاقة الأخوية من فساد ويزيلوا أسباب التصدع والخلاف . وليتخذوا من التعاون على البر والتقوى شعارا يحقق تضامنا مثمرا فى سبيل الخير ، وتقوية الروابط بين أفراد المجتمع المسلم . حتى يسلم من شرور الفرقة والأثرة .

وإذا كان التعاون والإيثار ، دعامة من دعائم عقيدتنا وأساس من أسس ديننا بحكم إيماننا . فإن رسول الله ﷺ : يصف المتعاونين مع غيرهم على الخير والبر ، بأنهم أفضل العباد .

ووصفهم بأنهم مفاتيح للخير ، وأنهم أهل المعروف الآمنون من عذاب الله . فعن ابن عمر ـ رضى الله عنهم ـ قال : **قال رسول الله ﷺ إن لله عبادا اختصهم بحوائج الناس ، يفزع الناس إليهم فى حوائجهم ، أولئك الآمنون من عذاب الله » رواه الطبرانى .**

وفى الحديث الذى معنا يرشد الرسول ﷺ أمته إلى أن أحب الناس إلى الله ـ عز وجل ـ أولئك الذين يعملون على نفع العباد ، ويسعون فى وصوله إليهم ، ودفع الضر عنهم .

وإن أحب الأعمال إلى الله ـ عز وجل ـ عمل تكشف به الكرب عن مكروب ، فتقضى عنه دينا ، و تطرد عنه جوعا ، بل إن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجعل السعى فى قضاء مصالح العباد ، والدفاع عن حقوقهم وجمع كلمتهم تحت راية الإسلام أفضل وأحب إليه من الاعتكاف شهرا فى مسجده ﷺ .

وإن من يكبح جماح نفسه عند الغضب ، ويكظم غيظه مع مقدرته على تنفيذ ما فى خاطره ملأ الله قلبه يوم القيامة رضا .

ثم يعود ﷺ إلى خدمة الإنسان لأخيه الانسان فبين أن الذى يثبت الحقوق للمسلمين يكون عمله هذا سببا فى تثبيت قدميه يوم تزل الأقدام على الصراط . يوم يقوم الناس لرب العالمين .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾

جعلنا الله على نصرة الحق . ورفعة شأن أمتنا ـ تحت راية الإسلام ، وعزة المسلمين .

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ابن الأثير) صاحب "منال الطالب فى شرح طوال الغرائب"

تحقيق د. محمود محمد الطناحى

تقديم : أحمد تقى الدين

غريب الحديث - ونعنى به هنا : الكلمة التى قد يعثر فهمها عند القارىء ، فيكون فى حاجة الى تفسير لغوى لها ، هذا الغريب كان علما اجتهد بعض العلماء للتصنيف فيه من القرن الثانى للهجرة[1] ، واختلفت وتنوعت مصنفاتهم فيه ، ومنهم : مجد الدين أبى السعادات المبارك ابن محمد بن الأثير ، ومن تصانيفه المشهورة التى كتب لها البقلى : « النهاية فى غريب الحديث والأثر » الذى فرق فيه الغريب على حروف الهجاء ، وقد اقتضاه هذا أن ينتزع من الحديث الجزء المشتمل على الغريب وحده ، فلا نكاد نجد فيه حديثا تاما ، ولذا فهو يعد كتابا فى اللغة .

ومنها : « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » الذى نتناوله فى هذا العرض السريع وقد جمع فيه الأحاديث الطوال والأوساط بتمامها وأخذ شرحها ، فهو كتاب حديث ولغة ، وإن كانت غايته من وضع الكتاب لغوية .

فقد بسط ابن الأثير فى (المنال) ما اختصره فى (النهاية) ، ومن هنا كانت اختيارنا لهذا السفر القيم (منال الطالب) الذى قام على تحقيقه الدكتور محمود محمد الطناحى ، ونشره مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

حوت النسخة المحققة سبعمائة وثمان وستين صفحة من القطع العادى وجاءت بدون تاريخ نشر .

بدأ المحقق بمقدمة تحدث فيها عن كتب غريب الحديث ، وأشهر المصنفين فى هذا العلم ، ومعنى (الغريب) ناقلا التعريف الذى أورده الإمام (أبو سليمان الخطابى) فى مخطوط لم ينشر بعنوان (غريب الحديث) ، ومما جاء فيه (الغريب من الكلام إنما هو الغامض بعيد الفهم ..) .

ثم أورد المحقق بعد ذلك ترجمة للمؤلف ،

(١) وهو غير مصطلح (غريب) الذى يلحق ببعض الأحاديث لبيان رتبته من حيث القوة والضعف ، فهذا له مسلكه الخاص بعلم مصطلح الحديث .

نبدأ بها تناولنا لهذا الجهد الرائع المبذول من كل من المؤلف والمحقق .

نسب المؤلف :

هو : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن محمد بن عبد الكريم بن عبدالواحد الشيبانى الجزرى ، ويعرف بـ « ابن الأثير » .

ويعرف بذلك أيضا أخواه :

عز الدين أبو الحسن على صاحب كتاب « الكامل » فى التاريخ ، و« أسد الغابة فى معرفة الصحابة » .

وضياء الدين أبو الفتح نصر الله صاحب كتاب « المثل السائر فى أدب الكتاب والشاعر » و« كفاية الطالب فى نقد كلام الشاعر والكاتب » .

ولادته ونشأته

ولد مجد الدين فى أحد الربيعين سنة ٥٤٤هـ بجزيرة ابن عمر من أعمال الموصل ، ونشأ بها ، ثم انتقل إلى الموصل سنة ٥٦٥هـ ، فجالس علماءها وأخذ عنهم ، وقد حُبب إليه العلم ومجالسة العلماء .

أســـاتذته

تتلمذ ابن الأثير على يد طائفة من علماء عصره ، فسمع الحديث بالموصل من جماعة منهم خطيب الموصل أبو الفضل عبد الله بن أحمد بن محمد الطوسى المتوفى سنة ٥٧٨هـ .

وقدم بغداد حاجا فسمع بها من أبى القاسم يعيش بن صدقة بن على الشافعى المعروف بصاحب ابن الخل المتوفى سنة ٥٩٣هـ .

وسمع أيضا من ابن كليب ، وهو أبو الفرج عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد الحرانى ثم البغدادى الحنبلى التاجر المتوفى سنة ٦٠٧هـ .

وقرأ الأدب والنحو على ناصح الدين أبى محمد سعيد بن المبارك بن على بن الدهان البغدادى النحوى المتوفى سنة ٥٦٩هـ .

وقرأ النحو أيضا على أبى الحرم مكى بن ربان ابن شبه بن صالح الماكسينى النحوى الضرير ، نزيل الموصل المتوفى سنة ٦٠٣ هـ .

وأخذ النحو وسمع الحديث من أبى بكر يحيى ابن سعدون بن تمام بن محمد الأزدى القرطبى النحوى اللغوى المقرىء الأديب المتوفى بالموصل سنة ٥٦٧هـ .

تلاميــــذه

وقد روى عن ابن الأثير ـ رحمه الله تعالى ـ جماعة ، منهم ولده ، والشهاب الطوسى ، وهو أبو الفتح محمد بن محمود بن محمد نزيل مصر ، وشيخ الشافعية بها ، المتوفى سنة ٥٩٦هـ .

وروى عنه الوزير القفطى صاحب « إنباه الرواة » .

وآخر من روى عنه بالإجازة : فخر الدين بن البخارى ، وهو أبو الحسن على بن أحمد بن عبد الواحد المتوفى سنة ٦٩٠ هـ .

كلمة العلماء فيه

أثنى المؤرخون على مجد الدين بن الأثير ثناء حسنا ، فقال أخوه عز الدين : « كان عالما فى عدة علـــوم ، مبرزا فيها ، منها : الفقـــه والأصولان ، والنحو ، والحديث ، واللغة ،

وله تصانيف مشهورة فى التفسير ، والحديث ، والنحو ، والحساب ، وغريب الحديث ، وله رسائل مدونة .

وكان كاتبا مفلقا ، يضرب به المثل ، ذا دين متين ، ولزوم طريق مستقيم » .

وقال ياقوت : « كان عالما فاضلا ، وسيدا كاملا ، قد جمع بين علم العربية والقرآن ، والنحو ، واللغة ، والحديث وشيوخه وصحته وسقمه ، والفقه ، وكان شافعيا .

وقال ابن خلكان : « كان فقيها محدثا ، أديبا نحويا ، عالما بصنعة الحساب والإنشاء ورعا عاقلا مهيبا ذا بر وإحسان » .

وفاتــه

كانت وفاته يوم الخميس نهاية ذى الحجة سنة ٦٠٦ هـ حيث دفن برباطه بدرب دارج .

مصنفاته :

يقول المحقق الدكتور محمود محمد الطناحى : « ترك مجد الدين بن الأثير طائفة من المؤلفات القيمة تشهد بثقافته الواسعة ، وعلمه الغزير » .

وقدم المحقق تعريفا بمصنفات ابن الأثير مخطوطها ومطبوعها ، وما لم يذكر عنه شيء فهو مما ذكرته مصادر ترجمته فقط :

١ ـ الإنصاف فى الجمع بين الكشف والكشاف .

قال ياقوت : أربع مجلدات .

٢ ـ الباهر فى الفروق .

فى النحو : ذكره ياقوت والسيوطى ، وهو عند ابن السبكى باسم : الفروق والأبنية .

٣ ـ البديع .

فى النحو . ذكره ياقوت والقِفْطى والسيوطى . وذكره ابن خلكان وابن السبكى وابن تَغْرى بَرْدِى باسم : « البديع فى شرح الفصول لابن الدهان » .

قال ياقوت : « نحو الأربعين كراسة » ، وقال : وقفنى عليه (أخوه عز الدين ابن الأثير) فوجدته بديعاً كاسمه ، سلك فيه مسلكاً غريباً ، وبوَّبه تبويباً عجيباً » .

٤ ـ تجريد أسماء الصحابة .

ذكره الأستاذ الزركلى ـ رحمه الله رحمة واسعة ـ والكتاب بهذا العنوان معروف للحافظ الذهبى المتوفى سنة (٧٤٨) وهو مطبوع بالهند .

٥ ـ تهذيب فصول ابن الدهان .

ذكره ياقوت والسيوطى ، وهو فى النحو أيضاً .

٦ ـ جامع الأصول فى أحاديث الرسول .

قال ياقوت : « جمع فيه بين البخارى ومسلم والموطأ وسنن أبى داود وسنن النَّسائى والترمذى ،

عمله على حروف المعجـم ، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ، ووصف رجالها ، ونبَّه على جميع ما يحتاج إليه منها ... ثم قال : أقطع قطعاً أنه لم يصنَّف مثله قطّ ولا يصنَّف » .

وقد طبع فى القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٦٨ ـ ١٩٤٩ ، فى اثنى عشر جزءاً ، بعناية الشيخين : عبد المجيد سليم وحامد الفقى ، وهى طبعة ناقصة ، ثم أعيد نشره كاملا بتحقيق الأستاذ عبد القادر الأرناؤوط ، بدمشق سنة ١٣٩٤ ـ ١٩٧٤ ، فى أحد عشر جزءاً ، وهى طبعة جيدة ، لولا أنها أخلّت بالفهارس ، وقد وعد الأستاذ المحقق بصنعها ، ولعل الله ييّسر له ذلك ، وبخاصة فهرس ألفاظ غريب الحديث .

٧ ـ الجوهر واللآل من إنشاء المولى الجلال .

ذكرها ابن الشَّعَّار الموصلى فى عقود الجمان ، وإسماعيل البغدادى فى هدية العارفين ، قال ابن الشعار : « وجمع رسائل الوزير جلال الدين أبى الحسن ، كتاباً ، وسماه : الجواهر واللآل من إنشاء المولى الجلال » .

٨ ـ ديوان رسائل .

قال ابن الشّعّار ، وهو يعدّد تصانيف ابن الأثير : « ورسائل مدونة فى مجلدتين ، عنى بجمعها أبو محمد إسماعيل بن على الكاتب الخُضَيْر ، وترجمها بالدر المنثور » .

٩ ـ رسائل فى الحساب مجدولات .

ذكرها ياقوت .

١٠ ـ الشافى ، شرح مسند الشافعى .

ويسمى : شافى العىّ بشرح مسند الشافعىّ .

قال ياقوت : « أبدع فى تصنيفه ، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه ، نحو مائة كراسة » .

منه نسخة بدار الكتب المصرية ، برقم (٣٠٦) حديث فى أربع مجلدات ، ونسخة أخرى فى مجلد واحد ، برقم (١١٨٤ ـ ٢٢ ب) .

١١ ـ شرح غريب الطِّوال .

ذكره ابن السبكى : وهو كتاب « منال الطالب » الذى نُقدّم له .

١٢ ـ صناعة الكتاب .

هكذا سماه إسماعيل باشا البغدادى ، وهو عند ابن خلكان وابن تغرى بردى باسم : « كتاب لطيف فى صنعة الكتابة » . وهذا وصف لا عنوان .

١٣ ـ الفروق والأبنية :

هكذا سماه ابن السبكى . وهو « الباهر فى الفروق » . وسبق .

١٤ ـ المختار فى مناقب الأخيار ـ أو الأبرار .

ذكره ياقوت ، وقال : « أربع مجلدات » منه نسخة بليدن ، برقم (١٠٩٠) ، كما يوجد

النصف الثانى منه بمكتبة فيض الله باستانبول ، برقم (١٥١٦) ، ومنه صورة بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

١٥ ـ المرصّع فى الآباء والأمهات ، والأبناء والبنات والأذواء والذوات .

ذكره ياقوت وابن السبكى والسيوطى . قال ياقوت : « مجلد » . وقال السيوطى : وقفت عليه ، ولخّصت منه الكُنَى فى كراسة » .

طبع هذا الكتاب أول ماطبع فى « ويمار » سنة ١٨٩٦م ، بعناية « سيبولد » الألمانى ، فى ٢٦٧ ص من القطع الصغير . ثم أعاد نشره وتحقيقه الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائى ، فى بغداد سنة ١٣٩١ ـ ١٩٧١ .

١٦ ـ المصطفى والمختار فى الأدعية والأذكار .

ذكره ابن خلكان وابن تَغْرِى بَرْدِى وابن السبكى وابن العماد الحنبلى .

١٧ ـ منال الطالب فى شرح الغرائب .

وهو هذا الذى نُقَدِّم له .

١٨ ـ النهاية فى غريب الحديث والأثر .

أشهر كتب ابن الأثير على الإطلاق . وقد طبع **عدة طبعات آخرها الطبعة التى نشرها الدكتور محمود محمد الطناحى سنة ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ ،** فى خمسة أجزاء بمطبعة عيسى البابى الحلبى بالقاهرة .

● ● ●

منال الطالب

لاحظ المحقق أن ابن الأثير قسم كتابه « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » إلى قسمين :

الأول : فى أحاديث رسول الله ﷺ مما له فيه كلام ، أو ذكر سبق حديث له ، أو بُنى عليه .

ومعظم أحاديث هذا القسم يدور على أحاديث الوفود التى وفدت على رسول الله ﷺ وأحاديث المولد والمبعث ، ودلائل النبوة ، وخصائصه ﷺ وبلغ مجموع أحاديث هذا القسم إحدى وعشرين حديثا .

والقسم الثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين له بإحسان ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

يقول المحقق : « وقد جرد ابن الأثير الأحاديث الطويلة المأثورة عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ من كتب السنة والسيرة ، وأفرد لشرحها هذا الكتاب » . أى الذى نحن بصدده .

منهج ابن الأثير

صدر ابن الأثير كتابه بمقدمة أبان فيها منهجه فى اختيار الأحاديث وشرحها ، ولأهميتها فى بيان منهج المؤلف نوردها كاملة كما أوردها المحقق :

أحمد الله على نعمه حقَّ حمده ، وأثنى عليه بآلائه إلى منتهى الوُسْع وجُهدِه ، حَمْدَ مَن جعل الإخلاصَ غاية قصده ، والتوفيق قرين خطئه وعمده ، وأصلى على محمد رسوله وعبده ، هادم مشيد الكفر وهازم جنده ، وخيرته المؤيَّد بنصر

من عنده ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه من بعده ، صلاة تُحِلّهم دارَ كرامته ورِفْدِه ، وتُنْهِل قائلها من نمير الفلاح وعِدّه .

أما بعد ، فإنى لما بلغت الأمل والغرض ، وأديت النفل والمفترض ، من تصنيف كتاب « النهاية فى غريب الحديث والأثر » ، وفرغت من تأليفه وجمعه ، وترتيبه فى أحسن وضعه ، وكان الغريب الوارد فيه ، المدرج فى أثنائه ومطاويه ، مفرقا فى أنواع صنوفه ، مقسما فى أبواب حروفه ، حيث التزمنا فى وضعه التقفية على حروف المعجم ، والابتداء بالأول فالأول ، والأقدم فالأقدم ، فلا تكاد تجد فيه حديثا تاما وإن قل كلِمُه ، ولا أثرا متسقا وإن استقل منتظمه : أحببت أن استأنف كتابا مختصرا أجمع فيه من الأحاديث والآثار الطوال والأوساط ، ما أكثر ألفاظه غريب لا يفهمه أكثر الناس ، ويعز إدراك بعضه على كثير من الخواص ، أوردها كاملة متناسقة الألفاظ تامة الإيراد والاقتصاص ، وأتبع كل حديث منها وأثر شرح غريبه وتفسير معانيه ، وإيضاح المقاصد المودعة فيه .

وقد كان الأئمة والعلماء رحمة الله عليهم جمعوا الأحاديث الطوال ودونوها ، وأظهروا أسرارها للطالبين وأعلنوها ، فأتوا منها بكل حسن جميل ، واقتنوا به كل ذكر كريم وأجر جزيل ، إلا أنهم لم يقتصروا على نوع من طوال الحديث والأثر ، لكن جمعوا ما روى منها طويلا ، سواء كان غريبه كثيرا أو قليلا ، ونحن اخترنا من الطوال ما كان أكثر ألفاظه غريبا ، على أىّ حاليه كان ، بعيدا أو قريبا ، توخيا للحفظ والتناجى ، وبلاغا للآمل والراجى . ولم نستقص فى جمع الأحاديث والاستكثار منها ، خوف الضجر والملل ، وهربا من الوقوع فى الخطأ والزَّلل ، فاقتصرنا على الأحاديث والآثار المشهورة فى كتب الحديث والغريب ، واستقصينا شرح ما اخترناه منها ، وبسطنا القول فى إيضاح ما شذ من وجوه التأويل عنها ، وجمعنا بين أقاويل من تقدم من العلماء ، وسبق من الفضلاء ، فى شرحها وتفسيرها ، وتبيين معانيها وتقريرها ، وأضفنا إليه ما عسى أن يكون غفل عنه أو لم يبلغ الغرض منه . مستعيذين بالله تعالى ، ومتكلين عليه ، ومستمدين من ألطافه حسن التوفيق فى الدنيا ، والنجاة يوم الوقوف بين يديه . إنه ولىُّ الإجابة .

وقد قسمناه إلى قسمين : أحدهما فى أحاديث رسول الله ﷺ ، ممَّا له فيه كلام أو ذكر ، سبق الحديث له ، أو بنى عليه .

والثانى فى آثار جماعة من أصحابه وبعض التابعين لهم بإحسان ، رضى الله عنهم أجمعين .

وسميته كتاب : « منال الطالب فى شرح طوال الغرائب » .

وبالله أعتضد وأستعين ، وأستمد التوفيق من ألطافه فيما آتيه وأذره من قول أو فعل ، وأرغب إلى كرمه أن يتغمدنى برحمته ، ويجرى الخير على لسانى ويدى ، مدَّة حياتى ، إنه ولى الإجابة ، وهو حسبى ونعم الوكيل .

ويلاحظ المحقق أن ابن الأثير يورد الحديث كاملًا ثم يذكر فى آخره من أخرجه من علماء الحديث والغريب ، ويعقب بما قيل فى الحديث جرحاً وتعديلًا ، وقبولًا ورداً وقد عرض لمسائل كثيرة فى علم النحو توجيهاً وإعراباً .

موارد ابن الأثير فى كتابه :

أفاد ابن الأثير من جهود العلماء الذين سبقوه إلى التصنيف فى غريب الحديث ، وصرح بالنقل عنهم ، وذكر فى آخر كل حديث من أخرجه منهم ، ثم ذكر من الكتب :

الصحيحين للبخارى ومسلم ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، والمغازى لمحمد بن إسحاق ، والسيرة لعبدالملك بن هشام ، والمعجم الكبير للطبرانى ، ومعجم الحافظ أبى أحمد العسال ، والإكمال لابن ماكولا ، والحلية لأبى نُعَيْـم الأصبهانى ، وما قالت القرابة فى الصحابة ، والمؤتلف والمختلف للدارقطنى .

ويرى المحققون أن ابن الأثير يدور فى فلك أربعة من العلماء : ابن قتيبة ، والخطابى ، والزمخشرى ، وأبى موسى المدينى الأصبهانى .

وقد أفاد ابن الأثير من كتب هؤلاء العلماء فى غريب الحديث إفادة بالغة وعول عليهم كثيرا .

وأخذ المحقق على ابن الأثير أنه أودع فى كتابه كثيرا من شروح الزمخشرى وتوجيهاته التى سلخها من (الفائق) ونبه المحقق على ذلك فى غير موضع من حواشى التحقيق . يقول المحقق : « وجدت ابن الأثير يغير على شرح الزمخشرى كله فى بعض الأحاديث مع تغيير بعض عبارات الزمخشرى الجاسية الموغلة فى الغرابة إلى ألفاظ مألوفة مأنوسة » .

ثمة ملحوظة وقفنا عندها وهى أن المحقق استخدم ترقيمين متماثلين :

الأول استخدمه فى مقدمة التحقيق التى بدأت بصفحة ٣ . بعد أن أدخل الغلاف الداخلى ضمن الترقيم ولا أدرى لماذا ؟ لتنتهى المقدمة بتوقيعه ص ٥٠ ثم بدأ التحقيق من ص١ حتى ٧٦٨ وقد يقول قائل إن حروف الهجاء العربية ثمانية وعشرين حرفا أى نحو نصف عدد صفحات المقدمة ونرد على ذلك بأنه كان يمكنه عدم استخدام الترقيم فى المقدمة أو استخدام الترقيم الكوفى مثلا .

تعقيب :

على أنه يحسب للمحقق أنه استعان بنحو مائتين وخمسين من عيون مصادر اللغة والأدب والتاريخ والتفسير والحديث رتبها جميعها على حروف المعجم ، وكان حريصا على التوثيق الدقيق لكل كلمة ينقلها عن هذه المصادر وابتعد تماما عن التصرف والتلخيص فيما ينقله ، وبرر هذا فى مقدمته ص د بقوله « إنى رأيت كثيرا من كلام الأوائل – رحمهم الله – يفقد حلاوته ودلالته معا حين نعمد إلى تلخيصه أو اختصاره » .

ويحسب للمحقق كذلك جهدا مضنيا بذله فى إعداد فهارس التحقيق فجاءت الفهارس على النحو التالى :

- فهرس الموضوعات .
- فهرس الآيات القرآنية .
- فهرس الأحاديث النبوية .
- فهرس الأمثال والأقوال المأثورة والتعبيرات النحوية .
- فهرس الأشعار والأرجاز .
- فهرس المواد اللغوية .
- فهرس الأدوات وحروف المعانى .
- فهرس مسائل العربية ويشمل : مسائل النحو ،

والصرف ، والعروض ، والبلاغة ، واللغة ، ومسائل من الفقه ، ثم متفرقات .

- فهرس الكتب .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الأماكن .
- فهرس الأيام والغزوات والحروب .
- فهرس المراجع .

أى أنه أعد ثلاثة عشر فهرسا جاءت جميعها فى نحو مئة وثمان وستين صفحة وحرص الباحث كذلك على أن تكون جميع الفهارس مرتبة على حروف المعجم ، وأحسب أن المحقق بذل فى إعداد هذه الفهارس وحدها أضعاف مابذله من جهد فى التحقيق نفسه والذى لم تخل - تقريبا - كل صفحة من صفحاته من تعليق وشرح وإحالات مرجعية ذخرت بها حواشى التحقيق الذى بلغ نحو سبعمائة وثمان وستين صفحة فى حين أن النسخة الأصلية حوت مئتين وثمان وخمسين صفحة مسطرتها خمسة عشر سطرا وفى هذا وحده دلالة على ما بذله المحقق من جهد ضخم .

وبعــد

فما أحسبنى أحطت كامل الإحاطة بجهد علمى بذله مؤلف نذر نفسه مجاهدا فى ساحة العلم يرجو بجهاده وجه الله تعالى ، ولا بجهد مضن للمحقق الدكتور محمود محمد الطناحى .

جزاهما الله خير الجزاء .

ذكرى أفضل مولود فى الوجـود

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حافظ سليمان

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سورة الجمعة

ومايكاد شهر ربيع الأول من كل عام تشرق شمسه حتى نرى الأمة المحمدية فى مشارق الأرض ومغاربها قد تحركت بشعور فياض ، وقلوب سليمة ، ونفوس رحيمة ، لإحياء ذكرى سيد البشرية وأستاذ الإنسانية : خاتم رسل الله ﷺ سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ الرحمة المهداة والنعمة المزجاة وقدوة الهداة ، ومعلم الدعاة : الذى أرسله ربه رحمة للعالمين ، فليس بعده رسول ، وأنزل عليه كتابا مباركا ليس بعده كتاب ، وقال له جل جلاله :

﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ﴾ سورة ابراهيم

ومن آثار رحمة الله ومن مظاهر نعمته وفضله على الناس كافة أن استجاب الله لدعوة جده سيدنا إبراهيم عليه السلام إذ قال لربه راجيا وضارعا خاشعا :

﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة

وظلت هذه الدعوة مدخرة فى جوف التاريخ وأحضان الزمن حتى شاء الله ــ تبارك وتعالى ــ أن يبدل ظلام الحياة نورا ، وذل الأميين عزا ، فبعث فيهم صاحب الخلق العظيم وأيده برعايته واختصه برحمته وعنايته ، فقد وجده يتيما فآوى ، ووجده ضالا فهدى ، ووجده عائلا فأغنى ، فشرح صدره وأعلى قدره ورفع ذكره ، وقال له :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾ سورة الأحزاب

فصلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ويوم بعث ويوم أسرى به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ويوم هاجر من مكة إلى المدينة ويوم يبعث حيا .

وحدة الرسالات الإلهية

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾

الآيات ـــ ١٣٦ ـــ ١٣٨ ـــ من سورة البقرة

أما العقيدة التى أرسل بها النبيون مبشرين ومنذرين من ربهم « رب العالمين » فهى ميسرة سهلة وغير معقدة ، لاعوج فيها ولا التواء ، يتقبلها العقل لترشده إذا ضل وتقومه إذا زل : والمرسلون قد أيدهم ربهم بالمعجزات الباهرة والأدلة الظاهرة والبراهين الساطعة الدالة على صدق رسالتهم التى يبلغونها عن ربهم ، وقد منحهم ربهم الصدق والأمانة والذكاء والفطانة لتبليغ رسالتهم وهداية أممهم وأداء مهمتهم ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل .

وكان كل رسول يقول لقومه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾

الآية ـــ ٥١ ـــ آل عمران

فآمن من آمن وكفر من سفه نفسه وأضله الله على علم فاعوج سلوكه وشذ رأيه وأظلمت بصيرته ، فساءت سيرته وحبط عمله وخاب أمله وضل سعيه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴾

الآيتان ـــ ٩٦ ـــ ٩٧ ـــ من سورة يونس

من أهداف الإسلام

لقد كان خاتم رسل الله سيدنا محمد بن عبدالله رحمة للعالمين أجمعين ؛ وهذه الرحمة قد انتفع بها من آمن ومن لم يؤمن من أهل الأرض جميعا فقد جاء الإسلام ليحرر الناس من رق العبودية ؛ لأن الناس قد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ، فلا ظلم ولا استبعاد ولا بغى ولا استبداد ، فالناس لآدم ، وآدم من تراب ، فلا تفاضل إلا بصالح الأعمال وبالآثار التى تنفع الأجيال ، لأن خير الناس أنفعهم للناس فى شريعة الإسلام التى جاءت لتهذيب النفوس لتتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان الذى كان سائدا فى مجتمع الجاهلية

قبل الاسلام ، فجاءهم الإسلام فأنساهم حمية الجاهلية الأولى لما رأوا النور المتلألىء أمام أعينهم ، الذى أرسل الله به رسولا كريما منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

الإسلام وتحدى المشركين

ولقد أراد فريق الشاردين من الهدى ، الصادين عن سبيل الله الحاقدين على صاحب الدعوة صلى الله عليه وسلم أن يتحدَّوا النبى بخوارق كونية حسية تبجحا واستكبارا وعنادا وضلالا وكفرا وبهتانا حيث طلبوا من النبى أمورا تترجم عن أحقاد سخيفة سجلها القرآن الكريم فقال فى سورة الاسراء :

﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرَؤُهُ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾

الآيات ــ ٩٠ ــ ٩٣ ــ من سورة الاسراء

إن الأمر ليس أمر خوارق كونية ولذلك رَدَّ الله عليهم بقوله :

﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴾

سورة الإسراء

والتحدى الإلهى الأكبر موجود وقائم ودائم وهو القرآن الكريم .

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾

الآية ــ ٨٨ ــ من سورة الاسراء

ثم يقول جل جلاله تعقيبا على هذا بقوله :

﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾

الآية ــ ٨٩ ــ من سورة الاسراء

ولئن كان الله قد أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى بإذن الله على يد سيدنا عيسى ــ عليه السلام ــ فتلك معجزة له ، كما كان انفلاق البحر معجزة لسيدنا موسى عليه السلام .. إلى غير ذلك من معجزات خارقات للعادات ظهرت على يد أصحاب الرسالات تأييدا لهم من الله تعالى لدعواهم الرسالة .

ولكن القرآن كتاب الله الخالد معجزة خاتم رسل الله محمد ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ فالله قد ضمن له الحفظ والبقاء بقوله :

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾

الحجر ٩

عظمة شريعة الإسلام

والله يقول :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾

سورة آل عمران

والاسلام يطلق الفكر من كل عقال ولكن يحذره من الخطأ أو الانحراف والشذوذ .

أما شريعة الإسلام فهى واضحة فى أدلتها قوية فى حججها عظيمة فى آثارها وأحكامها ، لكن العقل البشرى وحده لايدرك أسرارها إلا مقترنة بوحى الله وسنة رسوله .

﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم ﴾

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾

سورة الحشر

والعقيدة فى شريعة الإسلام تجلو الحقيقة لكى تصل بها الى أعماق القلب والنفس، واستقرار إيمان بالله لايتزعزع ، ويقين لايتزحزح بوحدانية الله ذى الجلال والإكرام منزل القرآن وخالق الأكوان

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ﴾

سورة الرحمن

وقد جرب الإسلام فى الأيام الأولى (علما وعملا) فامتلأ به الأرض عدلا وسلاما وأمنا ، وذلك لأن الدين يتفاعل تفاعلا كاملا مع الحياة ليقضى على نوازع الشر فيها وليفتح للمجتمع طريقا إلى التقدم والحضارة النافعة والمدنية الفاضلة والحياة الطيبة

﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾

سورة النحل

لقد أوجب الله على البشر أن يهتدوا بهديه وأن يتبعوا صراطه المستقيم ومناهجه القويم منذ خلقهم وأسكنهم فى أرضه فقال تعالى :

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾

الآية ـــ ١٢٣ ـــ من سورة طه

لأن السعادة فى طاعة الله وخشيته .

دراسة مقارنة

من وصايا الأنبياء

وصية يعقوب عليه السلام الى أبنائه عند وفاته

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

زعم اليهود وهم الإسرائيليون المعاصرون للنبى محمد ﷺ فى المدينة وما حولها أنَ يعقوب عليه السلام جدَّهم الأعلى (والذى دعى باسم إسرائيل) أوصاهم حينما أشرف على الموت بالبقاء على يهوديتهم ، وأنهم من أجل ذلك أعرضوا عن دعوة الإسلام ولم يؤمنوا برسالة النبى الخاتم ﷺ(١) .

ولكن القرآن الكريم كذَّبهم فى دعواهم إذ نزلت آيات الذكر الحكيم حاسمة بالقول الفصل تعلن نص وصية يعقوب عليه السلام واضحة جلية لا لبس فيها ؛ وذلك فى قول الله تعالى (وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ)(٢) .

فهاتان الآيتان تشيران بصريح اللفظ والعبارة إلى أن يعقوب عليه السلام وصى أبناءه بالمحافظة على عقيدة الإسلام اتباعا لوصية جده إبراهيم عليه السلام فيما قاله وصية لأبنائه فى قوله :

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم الحزب الثانى بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الطبعة الأولى .

(٢) سورة البقرة ١٣٢ ، ١٣٣ .

﴿ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٣] .

ولقد وجه يعقوب الوصية لبنيه فى صورة سؤال لبيان شدة اهتمامه بأمرهم وليطلب بسؤاله جواباً منهم يعبر عن رسوخ إيمانهم حيث أراد ألا يرشدهم إلى الجواب حتى ينبع ذلك من عقولهم دون إيحاء منه .

وقد أجاب أبناء يعقوب وأطنبوا وأسهبوا فى عبادتهم لله وحده اغتباطاً وتمسكاً بالحق وإيذاناً بأنه عقيدة مشتركة بين الأنبياء الثلاثة الذين ذكروهم وهم إبراهيم وإسماعيل وإسحق عليهم السلام ، كما هو عقيدة والدهم يعقوب عليه السلام ، وليس أمراً مخترعاً بل هو حقيقة الاتباع لإبراهيم أبى الأنبياء وذريته ، وأنهم مستمرون فى هذه العبادة والتمسك بدين الإسلام .

القرآن يكشف عن مزيد من معرفة أهل الكتاب بنبى الإسلام :

وذلك فى قول الله جل وعلا :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٤] .

وقوله فى سورة الأنعام :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾[٥] .

وقوله فى سورة الأعراف :

﴿ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٦]

فالآيات الكريمة تقرر أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يعرفون أن محمداً ﷺ رسول من عند الله معرفة حقيقية كمعرفة الآباء للأبناء ، فالبشارة به موجودة بوضوح فى كتبهم المقدسة ، وعلماؤهم وأحبارهم يعرفونها حق المعرفة ولكنهم ينكرونها لمرض فى نفوسهم إلا من عصمه الله منهم فآمن مثل الحبر اليهودى عبدالله بن سلام قال

(٣) سورة البقرة ١٣٢ .

(٤) سورة البقرة ١٤٦

(٥) سورة الأنعام ٢٠ .

(٦) سورة الأعراف ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ .

تعالى :

﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾(٧) .

وقد خص الله المتقين منهم برحمته وفضله وهم الذين يتبعون رسول الله محمداً ﷺ فهو الأمى الذى لم يمارس القراءة والكتابة ولم يجلس إلى معلم ويجدونه مكتوباً باسمه ونعته عندهم فى كتبهم لكن الكافرين من العلماء والأحبار كتموها أو أساءوا تأويلها ، كما تكررت البشارة عنه وعن أصحابه ﷺ فى مواضع أخرى فى تلك الكتب وقد كشفت سورة الفتح عن شىء من ذلك فى قوله تعالى :

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾(٨)

كيف هى وصية يعقوب عليه السلام من واقع الكتاب المقدس عند أهل الكتاب ؟

وردت هذه الوصية فى سفر التكوين بالعهد القديم فى قوله :

ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم فى آخر الأيام اجتمعوا واسمعوا يا بنى يعقوب وأصغوا إلى إسرائيل أبيكم ....

حتى إذا وصل فى وصيته إلى ابنه يهوذا قال : (لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب)(٩) .

تفسير الباحث المهتدى إلى الإسلام زكى النجار بطهطا عن تلك الوصية :

كان ذلك الباحث نصرانياً أرثوذكسيا قبل إسلامه وبعد اعتناقه الإسلام سمى باسم محمد زكى الدين ويقول : عن النص المشار إليه أنه يعنى أنّ النبوة تبقى فى سلالة يهوذا أكبر أولاد يعقوب حتى يأتى شيلون أى حتى يأتى الإسلام الذى تخضع له سائر الأمم(١٠) فشيلون يعنى الإسلام .

ويتناول الأستاذ الدكتور أحمد حجازى السقا نص الوصية بالشرح فى أبحاثه فيقول :

إن يعقوب عليه السلام قرر قبل وفاته أن الملك يظل فى نسل ابنه (يهوذا) وتظل شريعة اليهودية يعمل بها حتى يأتى من غير اليهود من يتسلم الملك والشريعة من بنى إسرائيل ، أى حتى يأتى النبى المنتظر ، وقد أكد نبى اليهود حزقيال فى سفره على زوال الملك والشريعة عنهم ، بمجرد مجىء الذى له الحكم وكنّى عن الملك بالتاج وعن الشريعة بالعمامة(١١) .

---

(٧) جزء من الآية ١٦٢ من سورة النساء .
(٨) جزء من الآية ٢٩ من سورة الفتح .
(٩) سفر التكوين الاصحاح ٤٩ عدد ١ ، ٢ ، ١٠ .
(١٠) كتاب الإسلام نور الأكوان تأليف الأستاذ محمد زكى الدين النجار .
(١١) سفر حزقيال الأصحاح ٢١ عدد ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ .

وبما أن يعقوب عليه السلام يتحدث عن نهاية الملك والشريعة فى أحفاده وذريته الإسرائيليين لذلك كان مقتضى الحال أن يكون الدور المقبل فى مستقبل الأيام لذرية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام لأنه بنص كتاب اليهود المقدس له نصيب من بركة النبوة مثل نصيب أخيه إسحاق بن إبراهيم ـ عليه السلام ـ وذلك فى قوله : (وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه ها أنا أباركه وأثمره كثيراً جداً)(١٢) .

وينتهى الدكتور أحمد حجازى السقا إلى نتيجة يستخلصها مما سبق شرحه بأن النص المشار إليه فى وصية يعقوب إلى أبنائه يُشير إلى بروز أهمية بنى إسماعيل فى آخر الأيام بظهور النبى الخاتم منهم وأن شريعة الإسلام التى يدعو إليها هى التى ستقوم بنسخ شريعة اليهود التى كانت سارية قبل ذلك(١٣) .

ويقرر العلامة رحمة الله بن خليل الرحمن الهندى أن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه جاءت فى ترجمات كتاب اليهود التى تمت فى سنة ١٧٢٢م وفى سنة ١٨٣١م وفى سنة ١٨٤٤م بهذه العبارات (فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبّر من فخذه حتى يجىء الذى له الكل وإياه تنتظر الأمم) أما ترجمة النص فى طبعة سنة ١٨١١م فجاءت بالعبارات (فلا يزول القضيب من يهوذا والرسم من تحت أمره إلى أن يجىء الذى هُوَ له وإليه تجتمع الشعوب) وعبارة (الذى له الكل) وعبارة (الذى هُوَ له) ترجمة للفظ شيلوه أو شيلون الواردة فى أصل نص الوصية فى كتاب اليهود المقدس قبل ترجمتها إلى اللغة العربية .

ويستشهد الإمام رحمة الله بن خليل الرحمن على أن المقصود بهاتين العبارتين هو النبى محمد ﷺ بما ذكره الشيخ عبدالسلام وكان قبل إسلامه من أحبار اليهود ، ثم اهتدى إلى الإسلام فى عهد السلطان العثمانى بايزيد خان وصنف رسالة صغيرة سماها بالرسالة الهادية قال فيها عن النص المشار إليه أنه يعنى (لا يزول الحاكم من يهوذا ولا راسم من بين رجليه حتى يجىء الذى له وإليه تجتمع الشعوب) وفى ذلك دلالة على مجىء سيدنا محمد ﷺ بعد تمام حكم موسى ثم المسيح عيسى بن مريم عليها السلام ، لأن المقصود بـ« الحاكم » هو موسى والمراد من الراسم هو المسيح وبعدهما ما جاء صاحب شريعة إلا النبى محمد عليه الصلاة والسلام .

والعلامة الصريحة والدلالة الواضحة على ذلك هى قول النبى يعقوب (وإليه تجتمع الشعوب) فما اجتمعت الشعوب إلا إلى محمد ﷺ(١٤) .

البروفيسور عبدالأحد داود أستاذ اللاهوت وما يقوله فى وصية يعقوب المشار إليها

كان ذلك البروفيسور يدعى قبل إسلامه (دافيد بنجامين كلدانى) ويعمل كاهناً كاثوليكياً

(١٢) سفر التكوين الاصحاح ١٧ عدد ٢٠ .

(١٣) كتاب نبوة محمد فى الكتاب المقدس تأليف الدكتور أحمد حجازى السقا الطبعة الأولى سنة ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م .

(١٤) كتاب إظهار الحق تأليف العلامة الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن افندى طبعة سنة ١٢٨٠هـ .

لطائفة الروم الكاثوليك وفى بحثه لنص الوصية بعد ترجمته من العبرانية إلى العربية يكون بالرسم الآتى (لا يزول الصولجان من يهوذا أو التشريع من بين قدميه حتى يأتى **شايلوه** ويكون له خضوع الأمم) ثم يتملكه العجب فيقول ذلك البروفيسور (من العجيب أن جميع تراجم العهد القديم من كتاب اليهود المقدس ، قد احتفظت بكلمة (شايلوه) كما هى دون ترجمة أو شرح لمعناها عدا الترجمة السريانية المسماه (البشيتا) فقد ترجمت الكلمة إلى (الشخص الذى يخصه) .

وبموجب هذه الترجمة الهامة فإن معنى (النبوءة) يظهر واضحاً كما يلى فى هذا النص وتفسيره :

١ ـ فيما يتعلق بصفات السلطان والنبوءة فإنها لن تنقطع من يهوذا وسلالته إلى أن يجيء الشخص الذى تخصه هذه الصفات ويكون له خضوع الأمم .

٢ ـ إنّ كلمة (شايلوه) مشتقة من الفعل (شلة Shalah) يعنى أرسَل وفَوَّض من اسم المصدر (شلـــوه Shaluh) أى المرسَل أو الرسول ، وفى هذه الحال فإن الكلمة سوف تأخذ معنى (شيلواح Shiluah) وتكون مرادفة تماماً لكلمة (رسول الله Aspostle of Uah) وهو نفس اللقب المعطى للنبى محمد أنه (رسول الله) .

وتأسيسا على ما تقدم فإن البروفيسور عبدالأحد داود ينتهى إلى النتائج الآتية عن وصية يعقوب عليه السلام فى تحققها حرفيا فى رسول الله محمد ﷺ ويسوق على ذلك الحجج الآتية :

أولا : هناك إجماع بين المعلقين على أن التعبيرين المجازيين (الصولجان) و (التشريع) معناهما (السلطة الدنيوية) و (النبوة) ولا يتحققان فى آخر الأيام إلا إذا كان صاحبهما غريبا عن سلالة يهوذا وبنى إسرائيل كلية .

ثانياً : هذا السلطان والمشرع العظيم ليس موسى لأنه كان أول منظم لقبائل بنى إسرائيل الإثنى عشر ، وليس داود لأنه نبى من نسل يهوذا نفسه ، وليس المسيح عيسى بن مريم لأنه أعلن بنفسه أن من تنتظره إسرائيل لنْ يكون من نسل داود الذى هو من نسل يهوذا ، فضلا عن ذلك فإن المسيح المشار إليه لم يفكر فى سلطان دنيوى قط ، بل على العكس نصح اليهود أن يخلصوا لقيصر ويدفعوا له الضريبة ، وفى إحدى المناسبات حاولت الجماهير أن تنصبه ملكا لكنه تنصَّل منها واختفى ، وكانت تعاليم إنجيله شفاهة وليست كتابة ، ولم يبطل شريعة موسى بل أعلن صراحة أنه جاء لتحقيقها لا لينقضها .

ثالثاً : أما محمد ﷺ فقد جاء بالسلطة الدنيوية وأيضاً شريعة القرآن فحلًا محل الصولجان اليهودى المهترىء وكذا شريعة اليهود القديمة ، فنادى بتوحيد الإله الحق وأعلن أنقى الأديان ، ووضع أفضل القواعد العملية لأخلاق وسلوك البشر ووحَّد بالإسلام أمما كثيرة لا تشرك بالله شيئاً وتحب رسوله وتحترمه لكنها لا تعبده ولا تقدسه ولا تجعله إلها .

وقد سحق اليهود وقضى على نفوذهم ووضع نهاية لسلطانهم فى قريظة وخيبر وغيرهما من

الأماكن اليهودية التى كانت تقيم فيها أو تستعمرها فى بلاد العرب(١٥) .

وبعــــد :

فقد تبين مما سبق عرضه أن وصية يعقوب عليه السلام لأبنائه بنى إسرائيل كما ذكرها القرآن الكريم فى آياته هى المحافظة على الإسلام الذى كان عقيدته وعقيدة جدِّه إبراهيم وولديه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ، والمراد بالإسلام هنا هو أتم وجوهه من إخلاص التوحيد لله وكمال الانقياد لأوامره واجتناب نواهيه فى كل حال ، وأن ما زعمه اليهود من أن يعقوب جدهم أوصاهم قبل موته بالبقاء على يهوديتهم المحرفة زعم باطلا لا أساس له من الحقيقة ، وكان الأحرى بهم أن يعودوا إلى ملة إبراهيم النَّقية وهى الإسلام ذلك الدين القيم الذى دعا إليه النبى محمد ﷺ بدلًا من عقيدتهم العنصرية والانطواء على أنفسهم قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١٦)

ومما يؤكد هذا الرأى النص الثابت فى كتاب اليهود المقدس إلى يومنا هذا وفيه ـ على رأى أحد الباحثين ـ يبشر النبى يعقوب عليه السلام أبناءه وذريته بشروق شمس الإسلام فى آخر الزمان عقيدة طاهرة نقية من جديد ليكون دينا عالميا تعتنقه سائر الأمم أو أنَّ وصيته وعند باقى الباحثين تحمل البشارة بمجىء خاتم الرسل والأنبياء محمد ﷺ من غير بنى إسرائيل رسولًا من الله يدعو لملة مختلف الشعوب والأمم بوصفها دعوة عالمية لسائر البشر لكن الذى حدث من اليهود بنى إسرائيل وذرية يعقوب كما يدعون كان عكس ذلك إذ أنهم لم يستجيبوا لدعوة الإسلام ولم يؤمنوا برسالة النبى الخاتم ﷺ ، والتفسير الوحيد لهذا الموقف أن هؤلاء الناس انقطعت صلاتهم بمعنى الدين ، وأن سلوكهم العام لا يرتبط بما لديهم من تراث سماوى وأنهم لا يكترثون بما يقترب من عقيدة التوحيدة أو أحكام التوراة لأنَّ هذه وتلك مؤخرة أمام شهواتهم الغالبة وإثرتهم اللازبة ، ومن ثم شكك القرآن الكريم فى قيمة الإيمان الذى يدعيه هؤلاء الناس اليهود وذلك الصنف من البشر قال جل وعلا :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ﴾(١٧) .

﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(١٨)

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

(١٥) كتاب محمد ﷺ كما ورد فى كتاب اليهود والنصارى تأليف البروفيسور عبدالأحد داود قسيس أورميا سابقاً طبعة سنة ١٩٩٥ ترجمه من الإنجليزية م. محمد فاروق الزين .

(١٦) سورة الأنعام ١٦١ .

(١٧) جزء من الآية ٩١ من سورة البقرة .

(١٨) سورة البقرة ١٠١ .

هداية الإنسان في ذكر الرحمن

٢ بقلم الأستاذ/ محمد عبد المحسن النقاوى

فوائد الذكر :

* الذكر ضرورى لحياة القلوب ، وقد أحرز العلماء فوائد للذكر تجاوز الثمانين فائدة مع ذكر أدلتها من الكتاب والسنة ، ورحم الله ـ تعالى ـ أصحابها بدأبهم الحثيث بحثا لها ، ونسأل الله العظيم أن يرحم أصحابها .

فمن فوائد الذكر أنه :

يرضى الرحمن ، ويطرد الشيطان ، ويزيل الهم والغم ، ويقوى القلب والبدن ، وينور القلب والوجه ، ويجلب الرزق ، ويكسب المهابة والحلاوة ، ويورث محبة الله ـ تعالى ـ التى هى روح الإسلام ، والمعرفة والإنابة والقرب وحياة القلب ، وذكر الله للعبد ، وهو قوت القلب وروحه ويجلو صدأه ، ويحط الخطايا ، ويرفع الدرجات ، ويحدث الأنس ، ويزيل الوحشة ، ويوجب تنزل السكينة ، وغشيان الرحمة ، وحفوف الملائكة بالذاكر ، ويشغل عن الكلام الضار ، ويسعد الذاكر ، ويسعد به أنيسه وجليسه ، ويؤمّن من الحسرة يوم القيامة ، وهو مع البكاء سبب إظلال الله للذاكر ، وبه تحصل العطايا ، ويكثر الثواب من الله ، وهو أيسر العبادات ، وأفضلها ، وهو غراس الجنة، ويؤمّن العبد من النسيان لربه ، وانفراط أمور العبد ، ويسير بصاحبه فى كل حال من أحواله ، وهو نور للعبد فى دنياه وقبره ويوم حشره ، وبه تخرج أعمال العبد وأقواله ولها نور ، وهو رأس الولاية وطريقها ويثمر المعارف ، والأحوال الجليلة ، والذاكر قريب من مذكوره ، والله معه .. وأكرم الخلق على الله من لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله ، ويزيل قسوة القلب ، وما استجلبت نعم الله واستدفعت نقمه بمثل ذكره ، ويوجب صلاة الله والملائكة على الذاكر ، ومجالس الذكر مجالس الملائكة ، ورياض الجنة ، وجميع الأعمال إنما شرعت لإقامة ذكر الله تعالى ...»

ويكفى أن نعلم أن الذكر أنجع علاج لقسوة القلب .. « قال رجل للحسن ، ياأبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبى . قال : أذبه بالذكر ..

فهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ، اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص فى النار .. فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله تعالى .

والذكر فى الحقيقة كله فوائد ، وهو أصل كل مقام وقاعدته التى يبنى عليها .. ويكفينا قوله تعالى :

﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٤٢)

فالذكر طريق الحق ، ووسيلة الصدق ، وما سلك المريدون طريقاً أصح وأوضح من طريق الذكر .

أنواع الذكر

قلنا فيما سبق إن الذكر لا يقتصر على حالة واحدة ، أو هيئة مخصوصة ، ولا يختص بطريق معينة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها ..

فَذِكْرُ الله تعالى على ثلاثة أوجه :

الأول : ذكر الله تعالى بأسمائه وصفاته والثناء عليه بهما ، وتنزيهه ، وتقديسه عما لايليق به تبارك وتعالى :

وهذا النوع هو المذكور فى أحاديث الرسول الكريم ﷺ مثل «سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم» «سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر» «سبحان الله وبحمده : عدد خلقه ، ورضا نفسه ، وزنة عرشة ، ومداد كلماته» «لاحول ولاقوة إلا بالله» .

وقد أُلفت فى هذا النوع من الأذكار كتب كثيرة نوصى بالجوع إليها ، واقتناء بعضها(٤٣) :

الثانى : ذكر أمر الله ونهيه وأحكامه :

وهذا النوع يكون على ضربين :

أحدهما : ذكره سبحانه بأمره ونهيه ، كأن تقول : إنّ الله أمر بإقامة الصلاة

---

(٤٢) العنكبوت (٤٥)

(٤٣) مثل : الأذكار للنووى ، عمل اليوم والليلة : ابن السنى ، تحفة الذاكرين : للشوكانى .. وغيرها كثير .

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[44]

وأن الله تعالى نهى عن الغِيبَة

﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ ﴾[45]

ثانيهما : ذكره سبحانه عند أمره ونهيه :

فذكره عند أمره بالمبادرة إلى فعل ما أمر به ، وذكره عند نهيه بالهروب مما نهى عنه ـ سبحانه .

والفارق بَيِّنٌ واضح .. فذكره بأمره ونهيه شيء ، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر ،

فالأول : إخبار عنه ـ سبحانه ـ بأمره ونهيه .

والثانى : انقياد لأمره ـ سبحانه ـ وهروب من نهيه ..فَع ذلك ـ يرحمك الله .

الثالث : ذكر آلائه سبحانه ونعمائه :

وهذا يكون بشكر النعم التى امتن الله بها على العبد ، وذلك مبنى على ثلاثة أركان كما قال العلماء رحمهم الله :

«**أولها** : الاعتراف بالنعمة باطناً .

ثانيها : التحدث بها ظاهراً .

ثالثها : تصريفها فى مرضاة الله وليها ومسريها ومعطيها ..

فإن فعل ذلك فقد شكرها مع تقصيره فى الشكر .»

ولنضرب مثلا يوضح . نعمة البصر .. مثلا .. كى أكون شاكراً لله عليها .. علىَّ إذن :

★ **أن أدرك عظمة هذه النعمة** ، وأنها من أجَلِّ نعم الله علىَّ ، وأنها من فضله سبحانه ، وأنه سبحانه مالكها ـ كما أنه مالك كل شيء ـ ولو شاء جعلنى ضريراً .

★ **أن أحمد الله بلسانى دائماً على هذه النعمة** «الحمد لله على نعمة البصر»

فإذا رأيت ضريراً .. تذكرت نعمة الله علىَّ أقول : «الحَمْدُ لله الذّي عَافَانى مِمَّا ابتَلَاكَ بِهِ وفضَّلنى عَلىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا ..» [46] وأمثال ذلك من الذكر .

★ **أن أسخِّرَ هذه النعمة فى مرضاة الله تعالى** .. بأن أتأمل بديع خلقه ، ولطيف صنعه ، وأن

---

(٤٤) ; النور/ (٥٦)
(٤٥) الحجرات/ (١٢)
(٤٦) دعاء يقال عند رؤية المُبتلى «رواه الترمذى وحسنه» .

أطالع بها المصحف الشريف .. فأتلو القرآن الكريم وأفهمه وأعيه ، وأطالع كتب السنة المطهرة واتفقه فيها ، وأعلم الضرورى من دينى ، فإن كنت من أهل الاختصاص فى علم تبحرت فيه وعلمت أسراره حتى أنفع أمتى التى هى الآن أحوج ماتكون إلى المخلصين من أهل الاختصاص من أبنائها حتى يرفعوا شأنها .. وأمثال ذلك من الأمور النافعة فى الدين والدنيا معاً ..

أما أن أذلها بمعصية الله ، وإطلاقها بالنظر إلى ما حرمه سبحانه ، فبالطبع لن أكون شاكراً ولو قلت : «الحمد لله» أكثر من مليون مرة .

أرأيت ـ يرحمك الله ـ كيف أن دائرة الذكر تتسع لتشمل كل مناشط الحياة ، فتشمل كل حركة وكل سكنة بل كل خطرة فى قلب العبد ..

فأن تذكره بلسانك .. هذا ذكر ، وأن تخبر عنه بأمر أو نهى : هذا ذكر ، وأن تنقاد لأمره وتهرب من نهيه : هذا ذكر ، وأن تتأمل بديع صنعه ولطيف خلقه : هذا ذكر ، وأن تؤدى حق نعمه عليك فتجتهد فى تحصيل أمور دينك ودنياك ابتغاء وجه الله تعالى : هذا ذكر ..

فالذكر ليس قاصراً على حال دون حال ، ولا يختص بطريق معينة ، وإنما يشمل حياة المسلم كلها .. وقد كان النبى ﷺ خير قدوة فى ذلك فقد كان يذكر الله على كل حال .

دَرَجَاتُ الذِّكْرِ :

وللذكر ثلاث درجات ..

أعلاها وأفضلها : ما تواطأ عليه القلب واللسان .

والثانية ، ما كان بالقلب وحده .

والثالثة : ما كان باللسان وحده ..

وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده ، لأن ذكر القلب بنشر المعرفة ويهيج المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة ، ويدعو إلى المراقبة ، وَيَزَعُ عن التقصير فى الطاعات والتهاون فى المعاصى والسيئات ..

وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئا من هذه الآثار ، وإن أثمر فثمرته ضعيفة .

سِرُّ فَضِيلَةِ الذكر :

ترجع فضيلة الذكر إلى أنه استغراق فى حب الله ومراقبته ـ عز وجل ـ فإنه ـ تعالى ـ أنيس من ذكره .

« فالذكر ليس مجرد ترديد باللسان ، وإنما تفكير فى عظمة الله وآلائه وفى تواتر إحسانه

ونعمائه ، وتفكير فى تقصير العبد عن الشكر ، وعجزه عن القيام بأداء حقوق الله ، واعتراف بظواهر النعم وبواطنها ، ففى الذكر . تفكير وتأمل ..

● تفكير فيما اقترفه العبد فى حق نفسه من ذنوب وآثام .

● وتأمل فى نعم الله عليه وما وجب عليه من الشكر .» (٤٧)

الذِّكْرُ الصَّحِيحُ :

الذكر الصحيح المقبول عند الله ـ عز وجل ـ هو : ما كان خالصاً لوجهه الكريم ، وكان موافقاً لهدى النبى ﷺ ، وهذا الذكر هو الذى يؤتى ثماره ، وهى :

●الالتزام بفرائض الإسلام وواجباته وسننه ومستحباته ، وإلا كان خادعاً مخدوعاً مزوراً على نفسه .

●كما يؤتى ثماره فى الأريحيات والمروءات فالذاكر صاحب عطاء وكرم نفسى إذ أن الإسلام لا ينتصر ببخل الناس أبداً وإنما بعطاء ذوى الإخلاص .

●ويؤتى ثماره فى الانتهاء عن الفحشاء والمنكر وترك المحرمات والمكروهات وخلاف الأولى .. قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ
وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٤٨)

مظاهر الخسارة لعدم ذكر الله :

يقول ربنا عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ
أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ
ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٤٩)

وتتمثل الخسارة فى :

(١) الموالاة للكافرين وما فيها من ذل وانكسار وتسلط واستلاب للثروات وحرب على الدين

---

(٤٧) الغزالى/ إحياء علوم الدين ح/ ص ٢٦٤ ، عن أحمد محمود صبحى ، الفلسفة الأخلاقية فى الإسلام ص (٢٥٢) .

(٤٨) العنكبوت (٤٥) .

(٤٩) المنافقون/ (٩)

والقيم وتخريب لكافة الخبرات بما لها من برامج تضمن مصالح الكفار وضياع مصالح المؤمنين وذهاب بأسهم .. يقول تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٠)

إلى أن بينت الآيات سبب هذا التردى فقالت :

﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (٥١)

(٢) نسيان الاخرة وعدم العمل لها فيكون العبث ويحل الفساد والإفساد وحيث أخذ الفاجر حذره من السلطة الزمنية وقانونها اندفع وراء أهوائه ، واعتدى على حقوق الآخرين ورويداً رويداً يفقد المجتمع أمنه ، ويفقد أفراده حقوقهم ومقدراتهم فإذا هم فى جحيم ، يقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٥٢)

(٣) الحرب الإعلامية على الذاكرين ؛ كالحرب على عمار المساجد وعبادتهم ودعائهم ، وهذه نتاج الموالاة للكافرين والاستغراب والعمالة العبثية المتقمصة ثوب العلم والعقل والحضارة وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴾ (٥٣) ؛

الخـاتمة :

وبعد .. فما أحوجنا دينا وآخرة إلى ذكر الله ــ تعالى ، وما أحوجنا إلى التذكير به قياماً بالمسؤولية وأداء للأمانة ، بل ما أحوج العاملين معنا إلى تذكره وعبادته والانتساب إليه جل شأنه ، وإن الأمر ليس اختياراً نذكره أو لا نذكره ، ونذكر به أم لا وإنما صلاح المعايش وسعادة الإنسانية والخير كل الخير فى ذكر الله .. فالله الله فى المؤمنين ، واللهم اجعلنا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات .

---

(٥٠) المجادلة /(١٤)

(٥١) المجادلة /(١٩)

(٥٢) الحشر /(١٨ ، ١٩)

(٥٣) القلم/ (٥١)

الرَّحمة المُهدَاة

بقلم: الشيخ/
معوض عوض ابراهيم (*)

الرحمة المهداة والنعمة المسداة التى ترجح كل ماسواها من أنعم الله هى سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فبه هدانا الله إلى الإسلام ، وكنا خير أمة أخرجت للناس وجل الله الذى قال :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ١٠٧

وقال :

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ .

سورة الفرقان ـ آية : ١

(*) عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

وكلمة ﴿ العالمين ﴾ فى الآيتين أدل دلالة ، وأوسع ساحة وأبعد مدى منها فى مثل قول الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ٣٣

وقوله :

﴿ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٤٧

وما حكى الله مما علم الملائكة .

﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

سورة آل عمران

فكلمة ﴿ العالمين ﴾ فى الآيات الثلاث وأمثالها تعنى زمان آدم ونوح وإبراهيم وبنى إسرائيل ، ونساء عصر مريم ـ عليهم السلام ـ ، وتتجرد فى سياق محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمعنى شمول الزمان وعموم ما خلق الله أكثر مما تفيده كلمة الناس فى مثل قول الله ـ تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى ﴾ .

سورة الأعراف ـ آية : ١٥٨

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾

سورة النساء ـ آية : ١٧٠

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

سورة سبأ ـ آية : ٢٨

ان ما سوى الله ـ عز شأنه ـ من ملائكة وإنس وجن وحيوان ونبات يغلفها جميعا لفظ ﴿ العالمين ﴾ ومنذ أنزل الله القرآن هدى ونورا وشفاء لما فى الصدور وهو يغادى الحياة والأحياء ويراوحهما ، بما يديم بهما نعمة الصلاح وقد خاطب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ الناس بالقرآن وحكت سور : الجن والرحمن والأحقاف ما أوحى من أمر الجن من آمن منهم ومن كفر ، حتى قال :

﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾

سورة الأحقاف ـ آية : ٢٩ ـ ٣٠

فلنقرأ ببصيرة وتدبر سور الرحمن والجن ، وما قصت سورة الأنعام وغيرها من ذلك لنزداد يقينا من رحمة الله للثقلين التى أتتهما عن طريق سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم .

ويوم سفهت أنفس المشركين فقال بعضهم لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : يا محمد .. أما وجد الله رسولا غيرك ؟ ما نرى أحدا يصدقك

فيما تقول ، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنه ليس لك عندهم ذكر ، فائتنا بمن يشهد أنك رسول الله فنزل :

﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ ﴾ (١).

سورة الأنعام

ونسوق هذه الآية ههنا لإبراز حقيقة تجددها الأيام والليالى ، وهى : أن حجة رحمة الله للعالمين بالقرآن ماضية فى العالمين حتى تقوم الساعة منذ ﴿ **لأنذركم به ومن بلغ** ﴾ أى أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنذر أهل مكة بالقرآن ، وينذر من بلغهم القرآن ووصل إليهم من الأسود والأحمر ، أو من الثقلين .

ووسائل الإعلام غداة رواحة بالقرآن أحبت أم كرهت فى بلاغ يؤكد عالمية ﴿ العالمين ﴾ فيما ذكرت وما لم أذكر من آيات القرآن وشواهد السنة النبوية . وقد أخرج أبونعيم وغيره عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال : « **من بلغه القرآن فكأنما شافهته** »(٢) .

إن سيدنا محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ هو رحمة الله التى وسعت ما سوى الله كما قال بعض الأئمة . فقد طبعه الله على الرحمة والرفق ، وأمتن عليه بقوله :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٥٩

وجلت المنة وبورك ما فى تضاعيف الآية من وصايا أوجب الله فى ختامها حبه لسيد المتوكلين ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

والنعمة المسداة ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد تخلق أكثر ممن سواه من الناس بأخلاق الله اللطيف بعباده الرءوف بخلقه ، البر الرحيم أزلا وأبدا ، إقرأ قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ١٢٨

ألم تروا كيف تعرف سبحانه إلينا فى البسملة ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم** ﴾ .

وزادنا من ذلك وهو يقول فى فاتحة الكتاب :

﴿ **الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم** ﴾ .

سورة الفاتحة ـ آية : ٢ ـ ٣

---

(١) قال ذلك الأستاذ الألوسى فى تفسيره « روح المعانى » بتصرف وأورد قولا آخر دون ذلك القول قد يكون خاصا بآخر الآية فى اثبات وحدانية الله تعالى .

(٢) الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد ٥١/١٢ فى ترجمة محمد بن اسماعيل الرازى وقال عنه « كان غير ثقة » .

وأطمعنا فى واسع رحمته إن نحن طلبناها بشرطها فى قوله : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ .

سورة الأعراف ــ آية : ١٥٦ ــ ١٥٧

فلا عجب أن نرى الرسول رحمة تترقرق بل رأفة تتدفق وهو ينهض بتكاليف الرسالة ــ فى بداية الدعوة ــ ولا قوة له على إنقاذ المؤمنين من عدوهم الذى لا يخشى فى إعناتهم إلًّا ولا ذمة منذ رضوا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ نبيا ورسولا ، فكان ــ صلى الله عليه وسلم ــ يواسيهم بمثل قوله « صبرا آل ياسر إن موعدكم الجنة »[٣] .

فقد جاء ــ صلى الله عليه وسلم ــ البشرية من ربه بخير ما جاء به نبى فى قومه ، وهو رسول منهم معروف الآباء والجدود والأعمام والأخوال والبنين والحفدة « خيار من خيار » وهو من أنفسهم وأزكاهم نفسا وذاتا ، وكم كان صعبا على نفس رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن تحيق بصحابته شدة أو يحل بساحتهم مكروه يؤثر أن يكونوا فى صفو عيش ويمن حال لأنه الإنسان السوى الذى أضفى عليه الله صفتين من صفاته العلا فقال :

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ .

سورة التوبة ــ آية : ١٢٨

وإذا كان فى الناس من يقول كلمته ويمضى غير مبال بأنها الحق الذى توافقه أعماله ، وتصرفاته ، أم هى من الباطل الذى ينبغى ألا يشوب فعلا أو يغبر عملا ، فلقد كان رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ رحمة الله فى ذاته وصفاته يجد صحابته فى حاله ومقاله : المواساة الحانية والتثبيت مما يعتورهم من صعاب ويلم بهم من ضوائق ، وكان يحلم على من يؤذيه أملا فى أن يعطفه بذلك إلى الإسلام ، وكم أفاد الناس من ذلك وهم يرونه يسبق حلمه غضبه ، ولا يزداد على كثرة الجهل عليه إلا عفوا دون أن يغيب عنه قول ربه :

﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ .

سورة الأعراف ــ آية : ١٩٩

وقوله :

﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ ﴾ .

سورة المؤمنون ــ آية : ٩٦

وقوله :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ .

سورة فصلت ــ آية : ٣٣ ــ ٣٥

فتعرفوا على الرحمة المهداة فى كتاب الله فقد كان خُلُقه القرآن ، كما قالت أم المؤمنين عائشة ، وتعرفوا عليه فى سنته وسيرته للتأسى والاقتداء .

---

(٣) رواه الحاكم فى المستدرك ٢/٣٨٣ المطالب العالية ٤٠٣٤ والبداية والنهاية ٣/٥٩ .

ظهور الإسلام

معجزة باهرة وحجة ظاهرة وفتوحات ظافرة

بقلم : الدكتور عبد الفتاح ابراهيم سلامة [*]

إذا قال الله فقوله الفصل ، وإذا قضى فقضاؤه الحتم ، وإذا حكم فحكمه لا يرد ، وقد أخبر الله الناس أجمعين بأنه ناصر أجناده ، ومظهر دينه ، وذلك فى قوله عز من قائل :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الفتح

فما هذا الإظهار ، وما صوره ، وكيف صار معجزة باقية إلى يوم القيامة ؟ هذه الأسئلة وغيرها نسأل الله العون على إجاباتها .

توطئة :

كتوطئة لفهم حقيقة إظهار الله لدينه : نحاول أن نفهم الآية الكريمة من أولها ، وهى قوله – تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾

فقد ضمن هذا الجزء من الآية الكريمة ما يلى :

أولاً : الحديث عن المُرسِل – جل جلاله –

فعظمة المُرسِل – جل جلاله – دالة على عظيم شأن الرسالة ، وعلى كمال اختيار الرسول ، وذلك ما يدل عليه قوله – تعالى : ﴿ هو الذى أرسل ﴾

ثانياً : قوله – سبحانه : ﴿ رسوله ﴾ دال على وصف النبى ﷺ بصفة الرسالة والبلاغ ،

(*) الكاتب : أستاذ التفسير وعلوم القرآن بالدراسات العليا بالجامعة الإسلامية – سابقا .

وإضافة الرسول المخلوق إلى المُرسِل الخالق – جل جلاله – فيها وصف للنبى بصفة الرسالة، وإشعار بأن الله – سبحانه – يؤيد رسوله ويعاضده ويصدقه ويكرمه، ويحنو عليه؛ لأنه رسوله، ولو لم يكن النبى ﷺ أهلًا لكل ذلك لما اختاره مولاه، وهذا بعض ما يفهم من العطاء المغدق لقوله – تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ (١٢٤/الأنعام).

ثالثاً: وصف الله الرسالة بأنها « الهدى ودين الحق » والهدى إذا كان من الله فهو نور فى العقل، وطمأنينة فى القلب، وتبصرة بالطريق الأقوم، وإضافة الدين إلى « الحق » لأنه منزل من الله الحق إلى الرسول الحق بالمنهج الحق.

معنى الإظهار لغة:

كلمة الإظهار فى اللغة: تدل على المعاونة والمعاضدة، والقوة والغلبة، والسطـــوع، والوضوح، والبروز وللفعل « ظهر » وما يشتق منه معان كثيرة[1] بعضها يخرج عما نحن بصدده.

وللعرب تفنن فى لغتهم؛ فقد أطلقوا على أكثر أوقات النهار ضياء: وقت الظهر أو الظهيرة.

استعمالات الكلمة فى القرآن الكريم:

وقد استعملت الكلمة فى القرآن الكريم لعديد من المعانى نذكر منها أمثلة لما يتعلق بموضوعنا:

قال – تعالى: ﴿ يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَاۚ ﴾ (٢٩/غافر).

فمعنى (ظاهرين) فى هذه الآية الكريمة أى متمكنين فى أرضكم غالبين عليها، لكن هذه الغلبة الوقتية لا تكف بأس الله عنكم إن أراد بكم انتقاما.

وقول الله – عز من قائل:
﴿ ... فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴾ (١٤/الصف).

أى: أيد الله الطائفة المؤمنة من بنى إسرائيل على الطائفة الكافرة فأضحت ظافرة منتصرة، كما يدل على ذلك سياق الآية وألفاظها بتمامها، وإنما اقتصرنا من الآية الكريمة على موضع الشاهد.

وقوله – تعالى:
﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ ﴾ (٢٦/الأحزاب)

أى: وأنزل اليهود الذين ظاهروا مشركى قريش فى غزوة الأحزاب من حصونهم، وقذف الرعب فى قلوبهم، ومعنى ظاهروهم فى الآية: أى كانوا لهم عونا وعضداً وظهيراً.

وقوله – جل جلاله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا ﴾ (٤/التوبة)، لم يظاهروا أى: لم يعاونوا ولم يناصروا عدوكم عليكم.

عود إلى الآية الكريمة:

ونعود إلى الآية الكريمة التى هى محور حديثنا:

---

(١) انظر مادة الظهر فى القاموس المحيط جـ٢ – ص٨٤، ٨٥، وانظر المصباح المنير جـ٢ – ص٥٩٠، ٥٩١، وفيه فوائد نافعة لمن أرادها.

﴿ ليظهره على الدين كله ﴾

الفاعل فى « ليظهره » هو الله ـ جل ذكره « والهاء » ضمير عائد على « الدين » أى : ليعلى الله أمر هذا الدين على غيره من الأديان جميعاً .

وقد بدئت الآية الكريمة بالضمير العائد على لفظ الجلالة « هو » وفى هذا التعبير الكريم :

(هو الذى أرسل رسوله) تأكيد أن نبينا محمداً ﷺ رسول مرسل من ربه ، وتأمل قوله ـ سبحانه : « رسوله » فأضاف الرسول إليه ـ جل جلاله ـ وفى هذه الإضافة ما فيها من التكريم للنبى ﷺ ، وفيها من تصديق الله لنبيه ما لا يحتاج إلى مزيد بيان ، وقد تعرضنا لهذه المسألة آنفا .

وتصديق الله لنبيه ﷺ قد تتابع فى ثلاث آيات متتاليات فى سورة الفتح ، كل واحدة منهن تحمل فى بدايتها تأكيد هذا التصديق على النحو التالى :

١ ـ ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ .. ﴾ (٢٧/الفتح)

٢ ـ ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ... ﴾ (٢٨/الفتح)

٣ ـ ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ... ﴾ (٢٩/الفتح)

فكل هذه الآيات تأكيد مؤكد لرسالة النبى ﷺ من المُرسِل العلى الأعلى ، وكلام العلى الأعلى هو القول الفصل ، وهو الصدق الذى لا يرتقى إلى مقامه أى صدق آخر ، ومنهج الرسول ﷺ هو بتعبير القرآن الكريم « الهدى ودين الحق » فالألف واللام فى (الهدى) للاستغراق ، وبذلك يعم اللفظ ، ويدل على كل ما هو هدى[٢] فالرسول ﷺ جاء بجميع أنواع الهدى ، وبالأصول الجامعة التى اتفقت عليها رسالات الله إلى جميع خلقه ، ولذلك بيَّن لنا ربنا ـ سبحانه وتعالى ـ أنه جعل خاتم الأنبياء ﷺ سالكاً طريق الأكرمين من أسلافه ، مقتديا بهديهم ، كما يدل على ذلك قوله ـ عز من قائل :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سورة الأنعام

(ودين الحق)

دين الحق هو الإسلام ، وأضيفت كلمة « الدين » إلى « الحق » ، والحق : هو الله ـ عز وجل ـ فيكون الدين مضافا إلى الله الذى أنزله ، وقد يراد بالحق ما هو نقيض الباطل والإفك والضلال .

(ليظهره على الدين كله ...)

قال القرطبى (... ليظهره على الدين كله ...) أى : ليعليه على كل الأديان ، فالدين اسم بمعنى المصدر ، ويستوى لفظ الواحد والجمع فيه[٣] .

(وكفى بالله شهيداً)

« شهيداً » نصبت على التفسير والتمييز ، أى كفى الله شهيداً ، والله ـ تبارك وتعالى : شهيد

---

(٢) انظر تفسير الفخر الرازى جـ٢٨ ـ ص١٠٦ .

(٣) انظر القرطبى جـ١٦ ص٢٩٢ .

ونعم الشهيد ــ جل جلاله ــ على ثلاث قضايا وردت فى الآية الكريمة ، وسبق تفصيلها وهى :

١ ــ صديق الرسول .

٢ ــ الثناء على المنهج .

٣ ــ الوعد بإظهار الدين .

من صور إظهار هذا الدين الخاتم :

وظهور هذا الدين وعلو شأنه تجلى فى صور شتى منها :

١ ــ تأييــد رسول الله ﷺ بالمعجــزات الظاهرة والحجج الناهضة .

٢ ــ بقاء القرآن معجزة أبدية خالدة على الدهر ، وإعجاز القرآن الكريم ليس نمطاً واحداً ، وإنما هو صنوف كثيرة ، وهذا الإعجاز دال على صدق النبى ﷺ ، وسبب من أسباب خلود الرسالة إلى يوم القيامة .

٣ ــ انتصار المسلمين وظهورهم على أعدائهم فى مواطن كثيرة ، وانتشار نور الإسلام حتى عم المشارق والمغارب .

٤ ــ هيمنة الإسلام ونذكر لها صورتين :

(أ) هيمنة القرآن الكريم على الكتب السابقة عليه ومجيئه مصدقاً لها ، متضمنا لأصولها التى أنزلها الله عليها .

(ب) نسخ الإسلام للشرائع السماوية السابقة عليه وتصحيحه لما حرفه أتباع الرسالات السابقة ولما بدَّلوه .

الإظهار والإخبار بالغيوب المستقبلية السياسية :

تمهيد وجيز :

ذكرت سورة الفتح ثلاثة أنواع من الفتح هى :

١ ــ صلح الحديبية وسمته السورة فتحاً مبيناً ودل عليه قوله ــ تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ (١/الفتح)

٢ ــ فتح خيبر دل عليه قوله ــ تعالى : ﴿ ... فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الفتح

٣ ــ فتح مكة دل عليه قوله ــ تعالى : ﴿ ... وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (١٨/الفتح)

ومن إعجاز القرآن الكريم إخباره بالغيوب المستقبلية ومن صوره :

أن هذه الآية أشارت إلى كل فتح سيقع فى الإسلام فى قوله ــ تعالى : ﴿ ... لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ... ﴾ وتلك مسألة تتعلق بفتوح الإسلام فى المشارق والمغارب ، وبصراع الإسلام مع أعدائه وبنصر الله لأوليائه ، وإعلاء شأن هذا الدين على غيره من الأديان وهاك البيان :

١ ــ معارك الإسلام مع الوثنية : فقد انتصر المسلمون على مشركى قريش ، ثم على مشركى العرب جميعاً حتى نزل قوله ــ تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ (٢٨/التوبة) .

وطهرت الجزيرة العربية فى عهد الرسول ﷺ وخلافة الصديق من كل أثر من آثار الوثنية وخيانة الارتداد ، وصار أمر الناس كما قال ــ تعالى : ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ (١ : ٢/النصر)

٢ ــ معارك الإسلام مع اليهودية : وكانت للمسلمين غزوات مظفرة ، وأيام منتصرة على

اليهود فى (غزوة بنى قينقاع) وفى (إجلاء بنى النضير) كما فى قوله ـ تعالى ـ عنهم :

﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴾ (٣/الحشر) ، وفى (غزوة بنى قريظة) التى أشار إليها قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ... ﴾ (٢٦/الأحزاب) ، ثم (غزوة خيبر) ، وقد بشر الله المؤمنين بها قبل فتحها فى قوله ـ تعالى :

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (٢٧/الأحزاب) ، والشاهد فى قوله ـ تعالى : ﴿ وأرضا لم تطؤوها ... ﴾ ، ثم لم تقم لليهود دولة فى الأرض كلها خلال أربعة عشر قرنا من الزمان منذ نزل القرآن إلى أن وقع اغتصابهم لأرض فلسطين ودولة الباطل بإذن الله ستزول ونجمها فى أفول .

٣ ـ معارك الإسلام مع الروم الذين كانوا يمثلون الصليبية الغربية :

وقد كتب الله النصر للمسلمين فى غزوتى : « مؤتة »[٤] و « تبوك »[٥] على تفصيل لا يتسع له النطاق ، ثم قام المسلمون بتحرير الشام ومصر من احتلال الروم فى خلافة الفاروق عمر ـ رضى الله عنه ـ ورغم كل الحروب الصليبية التى استمرت قروناً بين المسلمين وأعدائهم فإن الغلبة لله ـ عز وجل ـ وجنده .

٤ ـ معارك الإسلام مع المجوسية : وأما المجوسية فقد زالت من الأرض على أيدى المسلمين إلى غير رجعة ، وبدأ المسلمون حروبهم مع الفرس بتحرير أراض من شبه الجزيرة العربية ، وتحرير العراق من الاحتلال الفارسى ، ثم دخل الفرس أنفسهم فى دين الله ، وأصبحت دولتهم من دول الإسلام .

٥ ـ معارك الإسلام مع الهندوكيسة والبوذية : وكان لهاتين الديانتين الوضعيتين أنصار وأتباع فوصل الزحف الإسلامى إلى أرض السند والهند ، ودخل فى الإسلام من أتباع هاتين الديانتين ما يعد بمئات الملايين ، أضف إلى ذلك انتشار الإسلام فى أندونيسيا وماليزيا وغيرهما من البلدان الآسيوية حتى طرق فى هذا القرن أبواب اليابان ، ودخل كثير من أبنائه فى الإسلام .

على أننا نذكر القارىء بأن انتشار الإسلام فى المشارق والمغارب موضوع دونت فيه مؤلفات ومطولات ، وقد ذكرنا هنا ما ذكرنا من هذه العجالات التاريخية ونحن بصدد تفسير قوله ـ تعالى : ﴿ ... ليظهره على الدين كله ... ﴾ وهو بعض آية من سورة الفتح .

---

(٤) وقعت غزوة « مؤتة » فى شهر جمادى الأولى فى العام الثامن للهجرة ، ومؤتة قرية تقع على مشارف الشام وتسمى اليوم بالكرك ، وقد قيل : إن هرقل جمع يومها مئة ألف مقاتل من الروم ، وأذنابهم من العرب ، انظر سيرة ابن هشام جـ٣ ص٣٢٢ ، وغيرها من مراجع السيرة .

(٥) وقعت غزوة تبوك فى شهر رجب من العام التاسع للهجرة ، وكان سببها أن الروم جيشوا جيوشهم وضموا إليهم أذنابهم من قبائل « لخم وجذام » وغيرهم من نصارى العرب الخاضعين لسلطان الروم ، انظر سيرة ابن هشام جـ٤ ص١٢٨ طبعة كتاب التحرير بتحقيق الشيخ محمد محيى الدين عبدالحميد .

ـ تعقيب لأبي السعود[٦] :

وقد أوجز الشيخ أبو السعود ـ رحمه الله ـ في تفسيره ما فصلناه آنفاً فقال عند تفسيره لهذه الآية : « ... إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه ـ سبحانه ـ سيفتح لهم من البلاد ، ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم ما يستقلون إليه فتح مكة » .

نور الله غالب ولو كره الكافرون :

إن وعد الله ـ تبارك وتعالى ـ بإظهار دينه قد تأكد وتكرر في القرآن الكريم في آيات كريمة ، وبصيغ واعـدة متنوعـة ، ووردت كذلك الأحاديث الصحيحة المبشرة للأمة بأن نصر الله آت لا ريب فيه ؛ وأن نور الله ـ جل جلاله ـ سيعم الأرجاء بلا ريب ولا امتراء .

تأكيد القرآن العظيم للوعد الكريم :

إن عبارة القرآن الكريم :

﴿ ..... لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ (من ٢٨/الفتح) ، وردت ، في ثلاثة مواضع من القرآن منها هذا الموضع من سورة الفتـح ، ووردت كذلك في موضعين آخرين هما :

(أ) قوله ـ عز من قائل :

﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة التوبة

(ب) وقوله ـ جل جلاله :

﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة الصف

إن هذه الآيات الكريمة تتضمن الكثير من الدروس العميقة ، والكنوز التعليمية ، والوعود القاطعة الإلهية ، ونسترعي تفكير القارىء أن يتدبر بكل إمعان هذه الحقائق .

١ ـ إن إرادة الكفار مستمرة لأن يطفئوا نور الله ، وأن ذلك بأفواههم . ولن يكون .

٢ ـ إن إرادة الكفار في خسر وتبار ، وإن كراهيتهم أهل الإيمان تنطق بها ألسنتهم وما تخفي صدورهم أكبر ، وقد بين هذه الكراهية قوله ـ تعالى : « ولو كره الكافرون » ، و« ولو كره المشركون » .

٣ ـ إن العاقبة الحسنى للمؤمنين ، وإن إرادة الله هي الغالبة ، وكلمته هي العليا .

« ويأبى الله إلا أن يتم نوره » « والله متم نوره » شهد التاريخ ، والواقع لا يزال شاهدا .

أما المؤمنون فلا يحتاجون بعد وعد الله ـ تعالى ـ إلى وعد ز فاليقين ملء قلوبهم ، وشهادة الله ـ عز وجل ـ عندهم هي أعظم وأكبر شهادة .

وأما المرتابون ففتوحات الإسلام ، وانتصاراته في المشارق والمغارب هي أكبر رد عليهم ، وأعظم إفحام لهم .

وأما الواقع فدلائله كثيرة ونكتفي في مقالنا هذا بما رزقنا من زاد ، نسأل الله ـ جل جلاله ـ أن يجعله في ميزاننا يوم المعاد .

(٦) انظر تفسير أبي السعود العمادي جـ٨/١١٤ .

القانون الدولى الإسلامى
فى
فقه الإمام محمد بن الحسن الشيبانى

(٢)

للأستاذ الدكتور / محمد عبد الصمد مهنا *

يعتقد الكثير ، جريا وراء مقولات غربية وغريبة فى ذات الوقت بوجود نظام قانونى دولى له شرعية دولية واجبة الاحترام ، تقوم هذه الشرعية أساسا على المنع المطلق لاستخدام القوة أو التهديد باستخدامها فى العلاقات الدولية وإلزام الدول بضرورة اللجوء إلى الطرق السلمية لحل منازعاتها (مادة ٢ فقرة ٤ من ميثاق الأمم المتحدة) . الأمر الذى اقتضى وضع نظام للأمن الجماعى يمكن الأمم المتحدة من اتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ مثل هذا الالتزام (مادة ٣٩ - ٥١ من ميثاق الأمم المتحدة)[٢] .

وقد اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة معيارا أغرب لانتهاك الالتزام بعدم اللجوء إلى القوة وذلك بتحديدها لمفهوم العدوان باعتبار من يلجأ أولا إلى استخدام القوة يعد معتديا بصرف النظر عن حقيقة النزاع .

وهنا يثور التساؤل عن مدى شرعية هذا النظام فى ضوء أحكام القانون الدولى الإسلامى كما رسمه لنا مؤسسة الفقية الشيبانى استنادا إلى **كتاب** الله وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم :-

الشرعية الدولية :

من الغريب أن يكون تناقض فكرة الشرعية الدولية وفساد مفهومها دون النظر إلى الشريعة الإسلامية - أمراً بديهيا للغاية ، فى الوقت الذى يتغنى بها حكام العالم ، وتجترها ألسنة السياسيين

(١) الكاتب : أستاذ القانون الدولى بجامعة الأزهر .

(٢) راجع فى ذلك : المنظمات الدولية للأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام .

وتسيل لها أقلام الكتاب والمفكرين . ويكفى التدليل على ذلك بالآتى[٣] :

أولا : إن تحديد مفهوم العدوان بمن يلجأ أولا إلى القوة بصرف النظر من أصل النزاع يؤدى إلى نتائج خطيرة ومتناقضة تتلخص فى إعطاء الدول المغتصبة الحق فى إضفاء الشرعية على الأمر الواقع ، بل واستخدام القوة لرد الاعتداء حفاظا على هذا الواقع . فعلى سبيل المثال إذا هاجمت بعض الدول العربية اسرائيل لتحرير أراضيها المغتصبة منذ أكثر من ثلاثين سنة ، فإنها تعد معتدية وحربها غير مشروعة طبقا لهذا المعيار فضلا عما يترتب على ذلك من آثار قانونية وأخصها إعطاء إسرائيل الحق فى رد هذا العدوان ، بل وإمكان استخدام نظام الأمن الجماعى عن طريق الأمم المتحدة لرد العدوان باعتباره مؤديا إلى الإخلال بالسلم والأمن الدوليين .

ثانيا : إن حرمان الدول من حقها الطبيعى فى الحرب العادلة وعجز الأمم المتحدة فى ذات الوقت بوسائلها السياسية والقانونية عن ضمان الحقوق ورد المظالم ، إلا إذا شاءت أمريكا أو الدول الغربية لمصلحتها خاصة ، يؤدى إلى فرض سلام ظالم على الدول المغلوبة على أمرها فيما أسموه فقه السلام ورح السلام بضرورة اللجوء إلى الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية .

ثالثا : إن الشرعية الدولية بتحريمها للحرب تتضمن تناقضا مطلقا غير قابل للحل . فالأمر يفترض واحدا من اثنين :

● إما أن تبدو الحرب كوسيلة غير مشروعة لاقتضاء حق مشروع .

● وإما أن تبدو كوسيلة غير مشروعة لحق غير مشروع .

ففى الحالة الأولى أليس من العدل ومن طبيعة الأشياء السماح لصاحب الحق المهضوم ، اقتضاء حقه وقد عجز النظام المزعوم عن ضمانه .

وإن كانت الثانية فكم من الأنظمة القانونية أو الدول معترف بشرعيتها اليوم من قبل النظام الدولى قد نشأت فى الأصل باستخدام القوة بل والإرهاب . ففى كتاب مناحم بيجن رئيس وزراء إسرائيل الأسبق ، الذى أسماه «التمرد» والمنشور بالفرنسية يقول :

« لولا أعمال العنف التى ارتكبناها (وكان وقتها زعيما لمنظمة الأرجون الإرهابية) بالاشتراك مع اخواننا « الهاجاناه » و « وجروب استيرن » (وهما منظمتان ارهابيتان احداهما كانت برئاسة ابن جوريون والأخرى بزعامة اسحق شامير) ماقامت دولة إسرائيل . فعندما كنا ندخل قرية من قرى العرب كان السكان يفرون أمامنا وهم يصرخون دير ياسين ، دير ياسين» (اشارة إلى مذبحة دير ياسين المعروفة) . أما وقد قامت دولة إسرائيل ، فقد اعترف بها ، وحصل بيجن على جائزة نوبل للسلام . تلك هى الشرعية الدولية التى يتغنى بها عالم اليوم .

رابعا :

إن حرمان الدولة من حقها الطبيعى فى استخدام القوة ، يجردها من أهم عناصر التعبير عن وجودها ككيان طبيعى يحتل مكانه فى نظام الكون

(٣) انظر بحثنا بالفرنسية بعنوان : الحرب العادلة والسلام الظالم أمام مؤتمر اتحاد جامعات البحر الأبيض المتوسط بإيطاليا عام ١٩٩٥ .

الإلهى ، وبالتالى فهى محكومة بقوانين هذا النظام ونواميسه الخالدة وبه تحدد مسئوليتها . والحرب العادلة هى الاداة الطبيعية للعقاب . هذه المسئولية وهذا الصراع هو المعيار الطبيعى الذى يدور حوله النظام الكونى كله ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ ﴾ البقرة — ٢٥١ .

فكل وحدة من وحدات هذا الكون إنما تجد مكانها فى هذا النظام بصراعها من أجل الحق ، وبقدر صدقها فى القيام به يتحدد مكانها فى هذا النظام .

خامسا :

إن نزع حق الدول فى استخدام القوة ، وإيكال هذا الحق لهيئة صورية كالأمم المتحدة بناء على فكرة وهمية تقوم على تصور امكان جمع الأمم المختلفة على مبادىء واحدة بفرض صحتها أمر لايخلو من سذاجة :
﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ هود

ويعتريه التناقض : ذلك أن اعتناق الدول وجمعها على مبادىء واحدة يقابله تنازل كل دولة عن المبادىء التى تكون اساس وجودها والتى تخالف غيرها ، وبالتالى تتحلل فكرة الدولة وفكرة القانون الدولى نهائيا ، وهو أمر غير طبيعى مؤداه زوبان مجموع الدول فى دولة واحدة عالمية يتحول فيها الفرد إلى مجرد رقم وهو جهل بحقائق التاريخ والجغرافيا وطبائع الأمور .

سادسا : إن إلغاء الحرب وضمان السلام بحجة فكرة حقوق الإنسان وسلام وأمن الإنسانية ، إن هو إلا تكريس للباطل وتقنين للظلم . فعلته الدول باسم حقوق الإنسان بالمخالفة لقوانين الديان وبمعزل عن النواميس الالهية ، لن يؤدى إلا إلى سريان النظام الدولى بصورة عشوائية ينتهى معها إلى تحلله النهائى . فالسلام كان دوما أملا لكل الحضارات السابقة والتى لم تكن الكراهية والعنف السمة المميزة لها مثلما نجد فى هذه المدنية الحديثة . ومع ذلك لم يكن من المتصور التفكير فى إلغاء الحرب ، هكــذا كان الإغريــق والرومــان والحضارات اليهودية والمسيحية . وهو مانص عليه القديس سان توماس الاكوينى بقوله : « من أجل السلام شرعت الحروب » . كما يقول أرسطو « لأشرف صورة للموت تلك التى تلقاها فى الحرب ، فهى أعظم وأجل المخاطر » . ولكن أنى لمدينة ليس لديها ماتحارب من أجله أن تعى مثل هذه المعانى .

الشرعية الإسلامية

على عكس الشرعية الدولية ، فالحرب العادلة فى الشريعة الإسلامية ليست محرمة ، بل يقع على عاتق دولة الإسلام أى « دار الإسلام » قتال « دار الحرب » وهى البلاد التى تظهر فيها أحكام الكفر ولاتطبق فيها أحكام الإسلام حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فالأصل فى علاقة الدولة الإسلامية بغيرها من البلاد هو الحرب فالسلم لايكون إلا بأمان أو إيمان أى بعهد ذمة أو إسلام(٤) .

---

(٤) انظر فى ذلك السياسية الشرعية للشيخ عبدالوهاب خلاف . وراجع د. عبد الكريم زيدان « الشريعة الإسلامية والقانون الدولى العام » مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٥٤ .

وليس المقصود من قتال أهل دار الحرب حملهم على اعتناق الإسلام وإلا لما شرع (عقد الذمة) والذى من مقتضاه إقرار الدولة الإسلامية غير المسلم على عقيدته ، والتزامه بدفع الجزية إنما هو عنوان خضوعه لسلطان دار الإسلام وتبعيته لها . فالمقصود إذا هو اخضاع دار الحرب لحكم الإسلام وسريان قوانينة عليها لا إجبار أهلها على تغير عقيدتهم لقوله ـ عز وجل ـ

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ﴾ البقرة ـ ٢٥٦

وهذا هو ظاهر فقه الشيبانى فى (سيره الكبير) ، وقد خالف فيه أبا حنيفة والثورى ـ رضى الله عنهما ـ حيث يرى كل منهما أن قتال المشركين ليس بفرض إلا ان تكون البداية منهم دفعا لظاهر قوله : ﴿ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ﴾(٥) وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾(٦)

وقد استدل الشيبانى على ذلك بقوله عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ ﴾(٧)

وقوله ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾(٨)

وقوله ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾(٩) .

وقولـــه ﴿ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ﴾(١٠)

والحاصل ماقاله الإمام السرخسى فى **شرحه** للسير الكبير إن الأمر بالجهاد وبالقتال نزل **مرتبا** :

فقد كان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ **مأمورا** فى الابتداء بتبليغ الرسالة والإعـــراض عن المشركين ، قال تعالى ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١١)

ثم أمر بالمجادلة بالأحسن ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾(١٢) .

ثم أذن لهم فى القتال ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ﴾(١٣)

ثم أمروا بالقتال إن كانت البداية من **الكفار** كما جاء فى الآيات السابقة .

ثم أمروا بالقتال بشرط انسلاخ الأشهر الحرم ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾(١٤)

ثم أمروا بالقتال مطلقا بقوله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾(١٥)

فاستقر الأمر على هذا ومطلق الأمر يقتضى اللزوم .

إلا أن فرضية القتال المقصود إعزاز الدين وقهر المشركين(١٦)

تلك هى حقيقة القانون الدولى الإسلامى فهل لنا من صياغة نظرية إسلامية خالصة للعلاقات الدولية تحفظ للأمة كرامتها ودينها .

(٥) سورة البقرة ، آية ١٩١ .
(٦) سورة التوبة ، آية ٣٦ .
(٧) سورة التوبة ، آية ١٢٣ .
(٨) سورة البقرة ، آية ١٩٠ .
(٩) سورة التوبة ، آية ٢٩ .
(١٠) سورة الحج ، ٧٨ .

(١١) سورة الحجر ، آية ٩٤ .
(١٢) سورة العنكبوت ، آية ٤٦ .
(١٣) سورة الحج ، آية ٣٩ .
(١٤) سورة التوبة ، آية ٥ .
(١٥) سورة البقرة ، آية ٢٤٤ .
(١٦) السير الكبير شرح السرخسى ص١٨٨ .

مؤرخون من ليبيا

محمد بن علي الخروبي .. مؤرخا

(ت ٩٦٣ هـ).

بقلم د/ عبد الفتاح أبو سنة

منذ تعايشت مع هذا المفسر العظيم فى كتابه « رياض الأزهار وكنز الأسرار » الذى حصلت به على العالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر حتى رأيتنى اكتشف منه جانبا آخر من جوانب شخصيته الفذة ، وهو أنه مؤرخ أيضا .. ذلك العالم الذى سعدت بولادته عليها ضاحية (قرقارش) بمدنية (طرابلس الغرب) وكانت أمه ـ رحمها الله ـ من مدينة (مصراته) .. وهكذا ترى أيها القارىء أن الأرض تشقى كما يشقى الانسان وتسعد كما يسعد .

نشأ بين يدى شيخه أحمد زروق وتأثر بدراسات التشريع والفنون التثقيفية السائدة فى عصره وتربى على منهج فى التأديب ومجاهدة النفس ، وتتلمذ على يد أساتذة هذا المنهج ، وتتبع أخبارهم وأحوالهم ، وسجل ذكرياته عنهم ولقاءهم والتعرف بهم ، وعندما يكتب يكون شارحا أو معلقا على بعض الرسائل أو مؤرخا ،يكتب ألوانا من الذكريات والانطباعات يصوغها فى تقييدات على هيئة كتاب صغير فى شكل ترجمات .. أو جوانب تاريخية لحياة معلميه .

أرخ العلامة الخروبى لجوانب من الحركة الصوفية فى ليبيا وترجم لصنوف من العباد والزهاد وأسانيد العلماء من أهل البلد أو ممن زاروها ومروا

بها ، كما أرخ لجوانب من مستوى الفكر فى عصره[١] والذى يهمنى منه الآن ذلك الجانب التاريخى أو منهاج ذلك المؤلف فى تناوله لكتاب السير والتراجم .

فالخروبى بجانب اهتمامه العلمى يعد كتابة متفجرة من الحيوية والنشاط ، متسع الادراك ، له سمعته التى تخطت حدود بلده .

إنه شيخ عرف الأسفار والترحال ، وعرفته السفارة والوفادة فى مجاليها : العلمى والسياسى ، وذلك بتجواله فى بلدان الشمال الأفريقى ، وتعرف إلى الأوساط السياسية والإدارية ، وعرفته مجالس الحكام والملوك والوزراء ، وليس أدل على ذلك من قيامه بدور السفير بين بلدين وحكومتين فى شأن نزاع كان مستفحلا أمره بين البلدين من أجل الحدود .

ولم تخل منه مجالس المناظرات العلمية فى أمور شغلت بال الكثير من رجال الفقه[٢] فهو أستاذ دخل فى عداد الربانيين وطبقات الفقهاء ، ورجالات أهل الرأى والمشورة وأعلام المؤرخين .

قدم للمكتبة العربية والإسلامية بضع مؤلفات ورسائل لعل أهمها وأكبرها :

- تفسير القرآن الكريم الذى وزعت أجزاؤه على طلبة التخصص (الماجستير) والعالمية (الدكتوراه) من جامعة الأزهر وبخاصة كلية أصول الدين بطنطا ، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة .
- شرح الحكم لابن عطاء الله السكندرى .
- رسالة فى شرح كلمات أحمد زروق
- كتاب فى تاريخ وتراجم أساتذته ومعاصريه .

أوفدته حكومة الجزائر مرتين إلى بلاد المغرب الأقصى للقيام بمساع لتسوية أمور سياسية وإدارية ؛ لاسيما قضية الحدود التى كان متنازعا عليها بين الدولتين .

كانت المرة الأولى عام ٩٥٩ هـ والثانية عام ٩٦١ هـ واستقبلته حكومة مراكش بما يليق بمكانته العلمية .

تفرد الخروبى فى رسالة صغيرة له لم يتخذ لها عنوانا أو لعل الناسخ لم يكتب العنوان ، تفرد فى منهجه التاريخى بالحديث عن مواقف وجوانب من حياة معاصريه وأساتذته ، اعتمد فيها على إبراز صور ولقطات ، أو تسليط الضوء على هيئة صور سريعة فيها لون من الذكريات والانطباعات لاتخلو من هالات التقدير والاعجاب ولفت الأنظار إلى هذا الصنف من الرجال الذى جرد نفسه ووهبها لله ثم الناس ، وقد قامت مناهجهم فى تربية مريديهم على القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات . ومجانبة الرخص وترك الشهوات ، والبراءة من التدبير والاختيار .. انظر إلى الصفحة الأولى من رسالته هذه (يقول عبدالله .. محمد بن على الخروبى تاب الله عليه آمين)

ثم تجلى بره بوالديه فى البدء بالكتابة عنهما فيحكى فى ترجمة والده :

(... نشأ فى عفاف وصلاح ، وصحب رجالا صالحين ، وكان هو الصدر فيهم والمشار إليه

---

(١) أنظر رسالة الدكتوراه جـ ١ د. عبدالفتاح أبوسنة عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٢) على مصطفى المصراتى/ مؤرخ من ليبيا .

يمتثلون بأمره ويقتدون به فى دينهم ودنياهم) .

ولعلك تدرك إيها القارىء من هذه العبارات الموجزة أن والده كان من شخصيات المجتمع الليبى ، وله تأثير فعال بين أصحابه ؛ إذ كانوا منقادين لأمره ، يرجعون إليه فى شئونهم الخاصة والعامة .

أما عن والدته فينقل عنها كثيرا من الحكايات من تاريخ وأحوال والده الذى كان الابن كثير الشغف بالتتبع والبحث عنها ـ أى عن أخبار والده ـ لتسجيلها والاعتزاز بها فهو يكتب :

(ولقد أخبرتنا السيدة الوالدة ـ رضى الله عنها ـ قالت : إن السلطان أبابكر ابن الأمير عثمان صاحب إفريقية كان يأتيه من قصبته على رجليه ومعه جنوده ووزراؤه فيأتون الدار يتبركون به ويستشيرونه فى أمور المسلمين[٣] .

ومن طرائف مايكتبه من ذكريات مداعبة شيخه زروق وفكاهته مع أسرته ، وقد كان كثير السؤال عنهم والتفقد لأحوالهم وليس ذلك بعجيب فقد كان الشيخ أستاذا للحاج محمد بوديكى المصراتى وصديقا حميما للشيخ على الخروبى ، ومربيا لولده محمد صاحب الترجمة التى بين أيدينا .

كان الشيخ زروق يمزح معهم قائلا : (.. يأولاد السرديكة قولوا لها : لاتقولى إن الزروق غَرَّبنى عن بلادى وأهملنى والله لا تركتهم) لاحظ أن الأم قد انتقلت من مصراته إلى قرقارش بلد الزوج فاعتبرت نفسها غريبة . وأما السرديكة بلهجة أهل طرابلس فهو « الديك » كما أن « البريخ » هو الزعيق والاعلان بصوت مرتفع .

ولم تكن الأم أقل ربانية من الزوج ؛ بل كانت نعم المربية للصغار اليتامى بعد أن مات زوجها .

هذا هو العلامة الخروبى يحكى لنا عن جوانب من التربية التى تتصل بالجانب الدينى من حياته .

(... كانت الأم تعلمنا الوظائف التى تقال عند النوم وعند القيام منه ، وعند الأكل ، وعند الشرب ، فتعلمنا عند النوم أن نقول : « اللهم أسلمت نفسى إليك ... » الحديث وعند القيام منه : « الحمد لله الذى أحيانى بعدما أماتنى وإليه النشور » إلى آخر ذلك مما روته كتب السنة النبوية المطهرة الشريفة ، وكنا إذا عصيناها تحكى لنا قصة جريج وأمه المشهورة فى كتب السنة) .

كان العلامة الخروبى لايتكلف السجع فى كتاباته ، ولايعنى بترتيب الأحداث الزمنية ، ولايعقد الفصول الطوال ؛ بل كان فى كتابه الموجز يكتفى أو يقتنع فى كل فصل أو موضوع بسطور موجزات .

رحم الله العلامة الخروبى مفسرا ومؤرخا ، وسياسيا محنكا وشاعرا وناثرا ومناظرا بالتى هى أحسن ..

ورحم الله العلامة الخروبى عالما مجددا ومتبعا لامبتدعا .. ونفعنا الله بالمدرسة الزروقية التى أنجبت مثل هذا العالم الفذ الفريد .

(٣) المرجع السابق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

السيد /

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحية طيبة وبعد ،،،

فنتقدم إلى سيادتكم برجاء الإفادة بتبين الحكم الشرعى فيما يقوم به البعض من استغلال حق الغير فى المؤلفات والمصنفات الخاصة به بالعمل على طبعها أو نسخها دون إذن من صاحب الحق الأصلى مما يلحق به ضررا بينا مع عدم إذنه فى نسخ هذا المنتج . فما حكم الشرع الشريف فى ذلك ؟

رجاء الإفادة مشكورين ،،،

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وصحبه أجمعين

وبعد ،،،

فإن حق المصنفات الأدبية والعلمية والفنية من الأمور المحدثة التى جسدّت فى حياة الناس مما لا نجد للفقهاء رأيا فيها بخصوصها ، وعلماء العصر قد اختلفوا فيها فيرى كثير من علماء الهند من السادة الاحناف أن تلك الحقوق مسجلة وليست محفوظة حيث لا سلطان للمؤلف بعدما خرج مصنفه إلى الناس على نشره أو التحكم فى ذلك ، ويرى آخرون من علماء الشام ومصر والمغرب أن الحقوق محفوظة يحرم الاعتداء عليها وقد أخذ قانون المصنفات المصرية بذلك الرأى فحفظ تلك الحقوق .

فيمكن لأهل مصر من عموم الناس الأخذ بما ذهب إليه الحاكم فى ذلك حيث أن للحاكم تقييد المباح ، وإلزام الناس بشىء مباح فى الشرع .

ومن هنا يجب ما الزم به لا من باب لزومه فى الشرع بل من باب طاعة ولى الأمر ، وعليه فنرى أن الاعتداء على المصنفات المذكورة فى السؤال لا يجوز من باب مخالفة ولى الأمر والله أعلم .

السؤال من السيد/ ج . هـ . ع ــ البحيرة تقول فيه :

ما هو التوقيت الصحيح لصلاة الفجر حيث أننى قرأت فى إحدى المجلات أننا نصلى قبل وقت الصلاة بحوالى ٢٠ دقيقة هل هذا صحيح أم لا ؟

٢ ــ أننى قبلت زوجتى العاقد عليها ولم أدخل بها وكان ذلك فى نهار رمضان حتى نزلت شهوتى ، فما الحكم ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد .. فنفيد عن الأول : بأن ميقات الفجر يستحسن تأخير صلاته بعد الآذان عن الوقت المحسوب الآن بنحو اثنتى عشرة دقيقة على الأقل ، قد تزيد فى بعض الأيام إلى ربع ساعة ، وأكثر قليلا . حيث يحتمل الحساب ــ الشائع الآن ــ الخطأ ، وهو فى طريقه إلى التصحيح .

وعن الثانى : بأن من باشر امرأة بلمسها فى نهار رمضان حتى أنزل فقد فسد صومه وعليه قضاء ذلك اليوم بعد رمضان فى أى يوم من أيام السنة سوى أيام الأعياد وقبل رمضان الذى بعده وإن تأخر فعليه صوم يوم وفدية إطعام مسكين وإن تأخر أكثر من سنة زادت الفدية بعدد السنين . وهو بهذا الفطر آثم وعليه التوبة إلى الله سبحانه ، والله ــ تعالى ــ أعلم .

السيد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ..

فمقدمه لفضيلتكم الشيخ/ السيد على حسنين إمام وخطيب مسجد الروضة بالمنيل ــ القاهرة ، وسؤالى :

حول حكم صلاة من لم يدرك الإمام الأصلى فى أى فرض من الفروض ، ولكنه أدرك أحد المأمومين به فاتخذه إماما له ، حتى إذا فرغ من صلاته قام وأكمل ما بقى له من الركعات أو السجدات . هل هناك آراء واردة فى ذلك ؟ وما الرأى الذى تستريح له اللجنة فى صحة صلاة من ائتم بمأموم ؟ وما حكم صلاة المفترض خلف

المتنفل ؟ مع خالص التقدير ،،،

الجـواب :

أولا : من أدرك مسبوقاجاز له أن يتخذه إماما له وكذلك من وجد منفردا جاز له أن يتخذه إماما أيضا ، ثم يتم بعد سلامه ما عليه ، وكذلك يجوز للشخص بعد سلام الإمام أن يجعل شخاصا آخر بجواره إماما له بعد الإمام الأول ليكمل معه الصلاة .

وكل هذا مبنى على أن نية الإمام ليست شرطا إلّا فى الجمعة وإنما نية المأموم هى الواجبة .

ثانيا : اتحاد نية الإمام والمأموم ليست شرطا عند جمهور الفقهاء وعليه فيجوز صلاة النفل وراء الفرض وبالعكس ، وكذلك الظهر وراء من يصلى العصر أو غيرها وبالعكس ، وكذلك الأداء خلف من يصلى قضاء وبالعكس والله أعلم .

السؤال من السيد/الحاج بكر البيلى والحاج عزت لطفى ـ بنا أبو صير غربية يقولان فيه نحن من عشاق أكل الفسيخ والسردين (السمك المملح) ولكن بعض المشايخ يقولون بكراهة هذا النوع من السمك لأنه يخرج منه الدم وقت تمليحة فما الحكم ؟

الجـواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آل وصحبه أجمعين .

أما بعد فنفيد بأن السمك لا شك فى طهارته حيا أو ميتا لحديث : (**أحلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال**) رواه أحمد والشافعى وابن ماجه والبيهقى والدارقطنى وهو ضعيف وصحح الإمام أحمد وقفه على ابن عمر كما قاله أبو زرعة وأبو حاتم ومثل هذا له حكم المرفوع ، لأن قول الصحابى : أحل لنا كذا وحرم علينا كذا مثل قوله : أمرنا ونهينا ، ولحديث الخمسة أى : أحمد وأصحاب السنن الأربعة .

وقد سئل الرسول ﷺ عن الوضوء بماء البحر فقال : هو الطهور ماؤه الحل ميتته ؛ فالسمك إذا ملح ووضع بعضه على بعض صار فسيخا فإن لم يتحلل منه دم مسفوح كان طاهرا وحل أكله ، أما إن خرج منه دم مسفوح بواسطة الضغط عليه بمثقل مثلا فقد صار نجسا لا يحل منه إلا الصف الأعلى مع غسله قبل أكله ، أما الطبقات السفلى فلا يحل أكلها على القول المشهور ، وذلك لنجاستها بمرور الدم عليها وعدم إمكان تطهيرها لامتزاجها بالدم ، ويحل أكله جميعه على رأى القابسى وابن العربى ، وعلى المشهور إن شك فى كونه من الصف الأعلى أو غيره جاز أكله ؛ لأن الطعام لا يطرح بالشك .

هذا هو حكم الفسيخ على رأى الإمام مالك ، ويذهب الحنفية أن السمك لا دم له فإذا ملح حتى صار فسيخا حل أكله سواء أكان من الصف الأعلى أم من غيره وذلك كله ما لم يخش ضرره وإلا حرم أكله من أجل الضرر (لأنه أحيانا يحدث التسمم) لا من أجل النجاسة أ هـ .

بعد هذا العرض يكون أكل الفسيخ حلالا عند الأحناف وبعض المالكية ، فليست الحرمة متفقا عليها والدين يسر وذلك بشرط عدم الضرر من أكله والله أعلم ...

من أعلام الأزهر

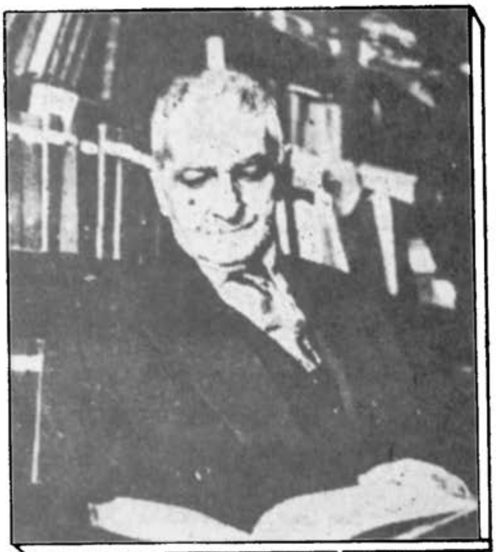

١

محب الدين الخطيب

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

أوجز ما يقال عن محب الدين الخطيب أنه كان أمة فى واحد ، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامى فى الأمة العربية عرفت منه الظهير المؤيد ، والمقترح المصمّم ، ولكنّ طبيعة الجندى فى نفسه جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية ، أما فى الواقع العملى فهو قائد حقًا ، وأنت حين تعرض أسماء : شكرى القوتلى ، والحسين بن على ، وشكيب أرسلان ، وصالح حرب ، ونورى السعيد ، ولطفى الحفار ، وكرد على ، وفارس الخورى ، وعبدالرحمن عزام ، وعزيز المصرى ، تجد ارتباطاً قوياً بينهم وبين محب الدين الخطيب فى كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاول ، لأن محب الدين قد انتقل فى دنيا الكفاح الإسلامى ما بين دمشق وبيروت وتركيا والقاهرة واليمن ومكة انتقال المكافح الذى يقف فى مقدمة الصفوف ، وليس انتقال الموظف الذى يحرص على مرتبه الشهرى ، وما قامت حركة عربية فى الشام لعهده إلا كان محب الدين صاحب الرأى الوطنى المخلص فى مسيرها ، وإذا كان فى عهده الأخير قد قنع بالرأى فى صحيفته دون الاشتراك بالعمل فى ميدانه ، فلأن المسرح الذى يجمع زملاءه قد باعد بينهم وبين ما ينشدونه من كبار الآمال ، اكتفاء ببعض دون بعض ، وهيهات لمن كانت جذوة النضال تتوقد فى أضلاعه أن يستنيم إلى الراحة ، وإذن فلابد من امتشاق القلم فى الصحف الإسلامية شرقاً وغرباً ، فإذا لم يجد لدى أصحابها متسعاً فسيحاً لآرائه الحرة فلابد أن يصدر مجلة الزهراء ومجلة الفتح ، وأن ينشىء المطبعة السلفية لتنشر الكتب الهادفة فى خطين متوازيين ، خط لأطايب التراث العلمى لدى الأجداد ، وخط للمبتكر من الشئون المعاصرة أدباً وعلماً وسياسة وإرشاداً ، بل لابد من النشرات الصغيرة فى كتيبات متواضعة لا يزيد ثمنها الرمزى عن قرشين لتنشر ما يجب نشره من الآراء الإسلامية ذات التوجيه السديد !

هذا بعض ما قام به محب الدين فى عمره السعيد ، بحيث لم ينقطع يوماً واحداً عن التفكير فى العمل الجاد ليهدى إلى الصراط القويم .

ولد محب الدين الخطيب بدمشق سنة ١٨٨٦ م ، وكان والده عالماً دينياً ، يخطب ويدرس فى أحد المساجد ، كما يعمل أميناً لدار الكتب الظاهرية ، فنشأ فى بيئة محافظة ، وتعلم القراءة والكتابة ، وحفظ كتاب الله ، ثم التحق بمدرسة ابتدائية هى الوحيدة من نوعها ، وقد أسلمته إلى مكتب عنبر بلغة العصر وهى مدرسة ثانوية تدرس فيها جميع العلوم باللغة التركية ، حتى العربية نفسها تعلم بالتركية ، ويقبل عليها النابهون من الطلاب ؛ لأنها سُلَّمٌ للكليات العالية بجامعة استنبول ، وتركيا حينئذ دولة الخلافة العثمانية ، وصاحبة الأمر ببلاد الشام ، ومتخرجو كلياتها يرجعون إلى بلادهم وقد أحرزوا أسمى الوظائف الحكومية ، وقد أتم الطالب تعليمه الثانوى ، والتحق بكلّيتى الحقوق والآداب معاً . ولكنه لم يذهب إلى استنبول كما يذهب غيره ممن انحصروا

فى أفق التعليم الثانوى الضيق بل ذهب شاباً مستيراً ، درس العلوم الشرعية وآداب اللغة العربية خارج المدرسة حين اتصل بزملاء والده ، وآثروه بالرعاية بعد وفاته المفاجئة ، وكان أظهر من مدله يد العون شيخه الكبير العلامة طاهر الجزائرى ، ومقامه فى دمشق كمقام الأستاذ الإمام محمد عبده فى مصر ، إذ حمل راية الإصلاح الدينى وعمل على نشر الثقافة الإسلامية وجمع التراث العلمى وكأنه آنس لدى محب الدين قوة استعداده ؛ فجعله ينسخ كثيراً من المخطوطات الدسمة ليفيد علمياً ومادياً من أجرها ، وكانت للشيخ طاهر حلقة علمية بدار الكتب يؤمها المتحفزون من الشباب ، وذوو الاستنارة من الشيوخ ، وفى مجالس هذه الحلقة تكونت عقلية محب الدين ذات الاتجاه المتحفز ، وعرف عن طريقها كتب المصلحين من السابقين ، وكبريات الصحف والمجلات التى تصدر فى تركيا ومصر .

وكان مما أثر فى اتجاهه ما كتبه عبدالرحمن الكواكبى فى « طبائع الاستبداد » وما نشره محمد عبده فى كتاب « الإسلام والنصرانية » وفى رده الحاسم على هانوتو ، وفى ما زاع من أعداد العروة الوثقى ، ومن ذلك كله مدد قوى للنهوض الفكرى والاستقلال الوطنى ، والإصلاح الدينى .

ولك أن تتصور شاباً طامحاً عرف طريقه الواضح ، وزار عاصمة الخلافة ليزداد علماً على علم ، ثم يفاجأ بما يعصف بآماله ، حين يرى صحف تركيا تستهجن لغة العرب ، ولا تحاول كلياتها الجامعّية أن تعترف بالعربية لغة ذات مدنية وتاريخ ، لأن الدعوة إلى الطورانية قد خلقت نوعاً من التعصب لم يكن فى ترسيخه غير ما يوهى الروابط الوثيقة بين الربوع المستظلة بالخلافة ، ومنها بلاد الشام التى قاست كثيراً من تجبر الحكام ، وقد تحدث محب الدين عن الحالة العامة بدمشق واستنبول بمرارة أليمة نجدها تشيع فى مثل قوله عن المدرسة الثانوية بدمشق[1] :

« كان معلم العربية فى مدرستنا شيخاً تركياً مُسنا أرسلوه إلينا ليعلمنا العربية فى عاصمة العروبة والإسلام التى كان يؤمها : جرير والفرزدق والأخطل ! وكانت آمال النشىء العربى فى هذه المدرسة أن يحذقوا لغة الترك تكلماً وأدبا وإنشاءً ليتولوا بعد ذلك وظائف الدولة فى بلادهم ، كانت العروبة يومئذ عنوانا لمدلول نسيه العرب منذ ألف سنة ، وتنكروا للمعدن الكريم الذى صنعها الله منه ، لولا أن الله تداركنا ، فقيض لنا آباءً روحيين أنقذونا من هذا الجو الخانق » .

كما يقول فى موضع آخر واصفاً ما لقيه بتركيا عند التحاقه بالجامعة[2] ، ومتحدثاً عن نفسه

(١) مقدمة محب الدين لكتاب (صلاح الدين القاسمى وآثاره) .

(٢) مذكرات محب الدين الخطية ص (٨) .

بضمير الغائب ! « هاله عند وصوله إلى هذه البيئة الجديدة أن جميع أبناء العرب من سوريين وفلسطينيين وعراقيين وحجازيين يجهلون قواعد لغتهم وإملائها ، فضلا عن آدابها وثقافتها ، ويتكلمون حتى فيما بينهم باللغة التركية ، وليس فيهم إنسان واحد له رسالة سامية فى الحياة ولا لأحدهم مطمع إلا أن يحذق الكلام والكتابة باللغة التركية ويندمج فى أهلها ، ثم يكون مستعبداً للوظيفة التى يرجو أن يحصل على العيش عن طريقها » .

وبمواصلة الحوار الدائب استطاع محب الدين مع فريق من زملائه الذين زاملوه فى مدرسة دمشق أن يؤسس فى تركيا (جمعية النهضة العربية) داعية إلى نهضة اللغة وإحياء الثقافة الإسلامية المبثوثة فى التراث العربى ، مع الاجتماع الأسبوعى للتداول فى تحقيق رسالة الجمعية ، والعمل على نشر فروع لها فى عواصم الدول العربية وقد ظلت الجمعية تؤدى رسالتها دون عائق حين قصرت اجتماعاتها على المنازل التى يقيم بها الأعضاء ، ولكنها قوبلت بالاضطهاد حين خرجت إلى المقاهى العامة ، والنوادى الثقافية فى استنبول إذ وجدت من أساء الظن بأعضائها ، وعزم على التنكيل بهم . لولا أن مكنت الظروف رؤوسها من الفرار ، فارتحل محب الدين إلى دمشق قبل أن يكمل دراسته الجامعية ، ليجاوز عهد الطلب إلى عهد المسئولية المقدرة للعواقب ، الناهضة بالأعباء .

وكأن الأقدار كانت تهيىء له ميداناً بكراً لجهادة ، إذ ما كاد يطأ دمشق ، حتى اجتمع بمن انضموا إلى جمعية النهضة فى سوريا ، ومن بينهم الزعيم الشهير فيما بعد (فارس الخورى) فعرف منه أن القنصلية التركية فى (الحديدة) تطلب ترجمانا مسلماً يجيد العربية والتركية ويلم بالقوانين العثمانية وأحكام القضاء بالبلاد ، فتقدم محب الدين لهذا السفر فى إصرار ، لأن اليمن جزء من بلاد العرب ، ولابد من أن يدرس عن كثب أمورها الاجتماعية والعلمية وليعمل على نهضتها قدر ما يستطيع ، وقد احتفل أصحابه بتوديعه احتفالا سياسياً عقدت الآمال الكبيرة على جهوده ، ثم اتخذ طريقه إلى عمله الجديد ماراً بالقاهرة ليقابل بها أصدقاءه من رجال الإصلاح ، إذ أن بها محمد كرد على ، ورفيق العظم ، وطاهر الجزائرى شيخ الثلاثة ، وقد اتسعت مدة الإقامة بمصر أسابيع ، فكانت مناسبة لزيارة أعلام الأدب والسياسة والصَّحافة ، وفرصة لتبادل الآراء الدارسة بينه وبين ذوى اتجاهه .

حتى إذا انتقل إلى عمله وجد نفسه ، عارفا بما سيأخذ وسيدع ، وكانت ثقافته المتشعبة باب خير عليه ، إذ أن القائمين على شئون القنصلية باليمن لمسوا من كفاءته ما جعل رأيه المقدم المسموع ، وقد استجابوا لاقتراحه بإنشاء مدرسة تعليمية بالحديدة تكون المصباح الأول للنشىء ، ولم يكن بالمدينة من يكفى للعمل من المدرسين ، فقام محب الدين بتدريس بعض المواد ،

وانعقدت الصلة بينه وبين طائفة من أولياء الأمور وذوى الإصلاح من الموظفين ، وصادف أن أعلن الدستور العثمانى ، فأفهم محب الدين زملاءه الموظفين أن الاحتفال بهذه المناسبة باليمن ، فى موكب رسمى يلفت المواطنين إلى حقوقهم السياسية دون أن يثير غضب الحكام فى تركيا ، فالاحتفال إشادة بجهودهم ، وكذلك تم ما أراد ، ولكنَّ اتساع عمله السياسى ، ومحاولته التوفيق بين رجال الإمام يحى ، ورجال الخلافة قد فهم على أنه انحياز إلى أهل اليمن ، فأرسلت استنبول أمراً بإعفائه ، على حين جاءته الرسائل من دمشق ، تدعوه إلى ضرورة العودة كى يقوم على تحرير صحيفة سياسية تنطق باسم جمعية النهضة فأعلن الرحيل لرفاقه ، وكان من خير ثماره فى اليمن أن المدرسة التى أنشأها لأول مرة هناك قد اتسعت آفاقها ، وضمت أربعمائة تلميذ تربوا على نمط جديد ، وأخذوا قسطاً من التربية البدنية والتعليم العسكرى مع المواد الثقافية ، وحفظوا الأناشيد الحماسية ، تردد كل يوم فى الصباح ولاشك أن هذه البذور الناهضة قد نمت وترعرعت ، فآتت خير الثمار .

ولكن هل تهيأ لمحب الدين العمل بدمشق كما يريد ؟ إن الذين قاموا بإعلان الدستور فى تركيا ، وعزلوا عبدالحميد ، لم يشاءوا أن تمنح بلاد العرب دستوراً مماثلا ، وهذا كان يطلبه الأحرار فى كل وطن عربى ، وقد صدموا صدمات محرقة إذ رأوا خلفاء عبدالحميد ممن يسمون أنفسهم زعماء الترقى والنهوض ، قد بالغوا فى اضطهاد الأحرار ، ورصدوا الخطط لتكميم الأفواه ، فتعقبوا أعضاء جماعة النهضة وملأوا بالسجون من يفهم من خطابته أو كتابته أو رسائله بعض ما يوحى بالإصلاح ، وزادت النعرة الطورانية غلواً وارتفاعاً ، بحيث أخذوا يحاربون من يدعو إلى ارتقاء وطنه تربية وتعليما ويعدون ذلك نشوزاً وخروجاً على طاعة الدولة ، وقد ظهرت المنشورات السرية منادية بالحرية ، وحوصرت الصحافة محاصرة من يتشمم الرائحة على أميال . والقوة هى القوة دائماً ! تستطيع أن تفعل بالحديد والنار ما لا يفعل اللسان بالخطابة والقلم بالكتابة ، فسدت السبل أمام المناضلين ، وقضت الظروف أن يترك محب الدين دمشق إلى مصر ، ليجد فى هوائها المتنفس المريح .

كانت الصحف المصرية تتمتع بالحرية التامة فى نشر ما تريد ، وإذا كان محب الدين كاتباً بطبعه ، فقد لفت إليه أحمد تيمور باشا صديق طاهر الجزائرى ولمس فى آرائه المخلصة ما مهد له السبيل إلى التحرير فى جريدة المؤيد ، لأن الشيخ على يوسف كان فى حاجة ماسة إلى كاتب يجيد التركية والعربية لينهض بتحرير ما يمكن استخلاصه من صحف تركية .

وفى ندوة المؤيد اتسعت دائرة محب الدين باتساع معارفه الكبار ممن يجتمعون فى أمسيات

الجريدة الأولى بمصر ، وإذا كان داود بركات بالأهرام ، وفارس نمر بالمقطم ، وأحمد لطفى السيد بالجريدة يقرأون ما يفد إلى القاهرة من الصحف العالمية ، ويبادرون بالتعليق عليه ، فإن المؤيد كانت فى حاجة إلى كاتب مماثل يجيد الفهم السياسى المستنير ، دون أن يتورط فى اتجاه خاص كما نعهد لدى من يشايعون فرنسا وانجلترا سفوراً دون حجاب ، وقد ظهرت مقالات محب الدين فى المؤيد وانتشر دويُّها ، وكانت مثار التعليق الكبير ، ولعل ما نشره محب الدين عن المبشرين البروتستانت نقلا عن الكاتب الفرنسى مسيو لوشاتليه ؛ كان قنبلة الموسم بحيث أعاد للأذهان ما سبق أن نشره المؤيد من مقالات هانوتو حول الإسلام .

ولم يكن الكاتب الفرنسى المغرض يحسب أن مقالاته ستترجم فى أكبر صحف الإسلام ، بل ظنها ستكون مقصورة على الدوائر الكنسية وحدها ، فلما أذاعت المؤيد خلاصة ما يراه عن تنصير المسلمين كان ذلك فضيحة بلقاء لمن يرمون المسلمين بالتعصب ، وهم الذين يشنون الغارات الظالمة على عقائد المسلمين ! وقد نشرت مجلة المنار ترجمات محب الدين ، وسارت إلى المسلمين فى الشرق الأقصى والغرب الأدنى ، ومعها ملحقات نقدية بقلم المترجم سلطت الأضواء على معان تحتمل عدة وجوه فى بادىء الأمر ، ولكنها تهدف إلى ذبذبة فكرية تتناول أهم مقدسات الإسلام ، ومن هنا أخذ محب الدين مكانه فى العالم الإسلامى كاتباً إسلامياً يناوىء المعتدين بأقوى البراهين .

هذه واحدة ؛ أما الثانية فهى الملحقات المتوالية التى كان ينشرها محب الدين بعد ظهور العدد اليومى من المؤيد فى نشرات سريعة لتغطى أخبار الحرب الدائرة فى طرابلس ، فكان الباعة ينادون على « ملحق » المؤيد عصراً ، وبه ما ترجمه محب الدين عن وكالات الأنباء ، وقد تفرغ لتحليل الترجمات السياسية فى صحف أوربا ، ليرد على باطلها بالدليل ، وليُوجد وعيا إسلاميا نحو الاعتداء الإيطالى الغاشم ، وعلى صفحات المؤيد فتحت أبواب التبرع ، وكتبت أسماء المتطوعين من ذوى الغيرة المشبوبة ، ولو أتيح لمحب الدين أن يجمع ما كتبه بشأن هذا الاعتداء الغادر لما توارت من حقائه المؤلمة ما يجب أن يكون خالداً على مر الزمن ، ليرى الأجيال همجية المتوحشين ، الذين يدعون التقدم الحضارى ، وهم ووحوش الغابات على حد سواء !

وإذا كان محب الدين قد ظن أنه استقبل حياة الاستقرار بمصر حين انتظم فى تحرير المؤيد ، وحين افتتح المكتبة السلفية لنشر المؤلفات الهادفة ، فإن ماجد عن الأحداث قد أزعجه عن الاستقرار بمصر إلى حين ، حيث قامت الحرب العالمية الأولى ، وانضمت تركيا إلى الألمان ، ورأى الحسين بن على ملك الحجاز أن يعلن انشقاقه عن تركيا ، مطمئناً إلى وعود الحلفاء ، وإذ

ذاك سارع محب الدين إلى الذهاب إلى مكة ليكون رئيساً لتحرير جريدة القبلة بالحجاز ، وقد أخلص النصيحة للحسين ، ولكن تشابك الأحداث ، وتلاحق العواصف ، لم يتح للرأى العربى أن يلتئم فى معسكر واحد ؛ لأن الجبهات قد تشعبت ، ولكل وجهة هو موليها ولسنا الآن بصدد الحكم على حركة الشريف الحسين بن على ، ولكننا ننظر إلى ما أعقبها من النتائج فنجد الكارثة الفادحة ، إذ هجم الاستعمار الفرنسى على سوريا ولبنان وتناهبت إنجلترا العراق والأردن وفلسطين ، ورجع الذين انضموا إلى الحسين بن على ، ليواجهوا شراسة المستعمر الفرنسى فى دمشق التى سقطت تحت قذائف المعتدين فى يوم ميسلون !

وقد كان محب الدين من الذين هزمهم البغى الصارخ فى معركة غير متكافئة ، ووجد العدو يترقبه شر مترقب ، فخرج من دمشق متخفياً ، ولبس ملابس الأعراب ممتطيا بعض الإبل ليصل إلى القاهرة عن طريق فلسطين ، وقد تمكن من أن يستخرج جواز سفر باسم مستعار فى يافا ، ليدخل مصر دون اشتباه ، وهكذا كانت هذه العودة خاتمة رحلاته بين دمشق وبيروت واستنبول واليمن والعراق والحجاز .

وهى رحلات ذات نفع علمى لأن العيان قد أطلعه على حقائق مدهشة لا يحصيها التسجيل الكتابى ، وإذا كان الرجل من أكبر العارفين بأدواء العرب والمسلمين فإلى رحلاته هذه يعزى الفضل فى هذه الخبرة الحية ذات النقد البصير !

هذا وقد عرفت جريدة الأهرام لمحب الدين سبقه الأدبى ، ونضاله السياسى فضمه الأستاذ داود بركات إلى هيئة تحرير الجريدة الأولى بالعالم العربى ، وأدى دوره السياسى فى ترجمة الأحداث العالمية والتعليق عليها ، واتضحت ميوله العربية الصارخة وضوحاً لم يكن موضع الارتياح من القائمين على جريدة الأهرام ، لأن سياستهم الهادئة تمنع الوضوح الصريح ، ولا تمكن كاتبا ذا رسالة أن يجهر كل حين بما يجب أن يقال .

وهنا أخذ محب الدين يفكر فى إنشاء صحيفة إسلامية يومية تعيد مجد المؤيد ، وظهور صحيفة يومية إسلامية فى عهد الأحزاب السياسية بعد ظهور الوفد والأحرار الدستوريين والاتحاد مما يكاد يكون مستحيلا ! لذلك أخذ محب الدين يعد العدة لظهور مجلة أسبوعية ترضى نزعاته المشبوبة ، وتكون متنفسا لمن يعتقدون معتقده فى الإصلاح السياسى والاجتماعى والاقتصادى عن طريق الإسلام وحده ؛ إذ هو صخرة النجاة التى يتطلع إليها الخائضون فى أمواج المحيط ، ويسيرون نحوها فى جد وعزيمة مهما بعد الشاطىء ، وتكاثف الغيم ، فلا يأس من روح الله وهو السميع المجيب .

يتبع

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

نصـــيحة

قال الإمام على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ لسيدنا عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أيام خلافته : ثلاث إن حفظتهن وعملت بهن كفنك ماسواهن ، وإن تركتهن لم ينفعك شىء سواهن ، قال : وما هن يا أبا الحسن ؟

قال : **إقامة الحدود على القريب والبعيد . والحكم بكتاب الله فى الرضا والسخط . والقسم بالعدل بين الأحمر والأسود .**

قال عمر : لعمرى لقد أوجزت وأبلغت .

النساء أربع، والرجال أربعة

كان المغيرة بن شعبة ـ رضى الله عنه : يقول : النساء أربع ، والرجال أربعة :

رجل مذكر وامرأة مؤنثة فهو قوام عليها .

ورجل مؤنث وامرأة مذكرة فهى قوامة عليه .

ورجل مذكر وامرأة مذكرة فهما كالوعلين ينتطحان .

ورجل مؤنث وامرأة مؤنثة ، فهما لا يأتيان بخير ولا يفلحان .

أظلم الظالمين

أظلم الظالمين لنفسه : من تواضع لمن لا يكرمه، ورغب فى مودة من لا ينفعه، ومدح من لا يعرفه .

أعد علي ما ذكرت

خرج أعرابى قد ولاه الحجاج بعض النواحى فأقام بها مدة طويلة ، فلما كان فى بعض الأيام ورد عليه أعرابى من حيّه ، فقدم إليه الطعام ، وكان الأعرابى جائعاً جداً ـ فسأله عن أهله ، قائلا له : ما حال ابنى «عمير» ؟ .

قال : على ما تحب ، ملأ الأرض والحى رجالًا ونساءً .

قال : فما فعلت « أم عمير» ؟ .

قال :

صالحة ـ أيضا ـ ، قال : فما حال الدار ؟

قال : عامرة بأهلها .

قال : وكلبنا « إبقاع » قال : قد ملأ الحىّ نبحا .

قال : فما حال جملى : « زريق » . ؟

قال : على مايسر .

فالتفت إلى خادمه ، وقال : ارفع الطعام فرفعه ، ولم يشبع الأعرابى .. ثم أقبل عليه يسأله ، وقال : يا مبارك الناصية ، أعد علىَّ ما ذكرت !!

قال : سل عما بدا لك ، قال : فما حال كلبى « إبقاع » ؟ قال : مات ، قال : وما الذى أماته ؟ ، قال : اختنق بعظمة من عظام جملك « زريق » ، قال : أو مات جملى « زريق » ؟ ، قال : «نعم» قال : وما الذى أماته ؟ كثرة نقل الماء إلى قبر «أم عمير» ، قال : أو ماتت « أم عمير » قال : « نعم » ، قال : وما الذى أماتها ؟ قال : كثرة بكائها على «عمير» ، قال : أو مات «عمير» ؟ قال : «نعم» ، قال : وما الذى أماته ؟ قال : قد سقطت الدار عليه ، قال : أو سقطت الدار ؟ قال : «نعم» ، فقام عليه بالعصا ضاربا فولى الرجل هارباً .

أربعة أسطر

قيل : إن بعض الحكماء لزم باب كسرى فى حاجة دهراً فلم يصل إليه ، فكتب أربعة أسطر فى ورقة ودفعها للحاجب .

فكان فى السطر الأول : العديم لا يكون معه صبر على المطالبة .

وفى السطر الثانى : الضرورة والأمل أقدمانى عليك .

وفى السطر الثالث : الانصراف من غير فائدة شماتة الأعداء .

وفى السطر الرابع : إما نعم فمثمرة ، وإما لا فَمُرِيحَةٌ ، فلما قرأها كسرى دفع له فى كل سطر ألف دينار .

ظننتك ساهراً

دخلت امرأة عجوز على السلطان سليمان القانونى تشكو إليه جنوده الذين سرقوا منها ماشيتها بينما كانت نائمة .

فقال لها السلطان : كان عليك أن تسهرى على مواشيك لا تنامى ، فأجابت العجوز : ظننتك ساهراً علينا يا مولاى فنمت مطمئنة البال .

طالبنا .. نوجدنا

قال شقيق البلخى : طلبنا خمسا فوجدناها فى خمس :

١ ـ طلبنا النور فى القبر فوجدناه فى قيام الليل .

٢ ـ وطلبنا جواب منكر و ونكير ، فوجدناه فى قراءة القرآن .

٣ ـ وطلبنا الرى يوم القيامة ، فوجدناه فى صيام النهار .

٤ ـ وطلبنا الجواز على الصراط ، فوجدناه فى الصدقة .

٥ ـ وطلبنا البركة فى الرزق ، فوجدناها فى صلاة الضحى .

نعـــم الله

مدح رجل هشام بن عبدالملك ، فقال له : يا هذا ، إنه قد نهى عن مدح الرجل فى وجهه ،

فقال : مامدحتك ، ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكرا .

فقال له هشام : هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه .

حقيقـــة

الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم . والعلم كله هباء إلا موضع العمل ، والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص ، وهذا هو العمل .

دعـــاء

اللهم إنى أسألك باسمك الطاهر الطيب المبارك الأحب إليك ، الذى إذا دعيت به أجبت ، وإذا سئلت به أعطيت ، وإذا استرحمت به رحمت ، وإذا استفرجت به فرجت .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

الإسلام والمباحث النفسية الحديثة

للشيخ صادق إبراهيم عرجون

إعداد وتقديم : د. عبد الفتاح حسين الزيات

لم يكن الإسلام أبدا بمعزل عن العلوم العصرية الحديثة ، بل إنه فى بعض أهدافه أشار إليها إشارة إقرار وتصديق ، وموقفى منها موقف الناقد الرقيب .

والذى ينظر إلى تعاليم الإسلام نظرة تأمل واعتبار ، يجد ذلك واضحا جليا ، ذلك لأن الإسلام دين سماوى ختم الله به الأديان ، وشريعته شريعة إلهية أكمل الله بها الشرائع ، فكان — والأمر كذلك — هو المرجع الوحيد للحقائق فى شتى أفرع المعرفة الإنسانية ، إذا قامت الحجة على صدقها وعدم مصادماتها للواقع .

وهذا المقال فيه من الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية تأكيد ذلك ؛ لأن الإسلام دين الأمس واليوم والغد ، وسيظل كذلك إلى أن تقوم الساعة ويرث الله الأرض ومن عليها .

قال الأستاذ :

جدّت حركة سريعة فى الاتجاه العلمى ، ونشأت من جرائها مذاهب شتى ، بعضها يمس الدين مسّاً عنيفا زلزل أقدام مداره الدين وحماته فى أوربا ، وبعضها يعضد الدين ويؤيده ، ويفسر بعض نظرياته تفسيرا علميا . وقد طرب الماديون عبّاد الطبائع إلى المذاهب الإلحادية وحبوها بعطفهم وعنايتهم ، وارتاح المتدينون — بعد تردد كاد ينقلب إلى معركة بين العلم والدين — إلى المذاهب المؤيدة للدين ، وإن سلكت فى البحث مسلكا يختلف مع مسلك الدين ، لأن الدين وحى من الله تعالى إلى صفوة من خلقه اختارهم ليكونوا سفراء لتبليغ شرائعه ، وتلك المذاهب تقوم على الوقائع المحسة والشواهد الملموسة ، والدلائل النظامية على حسب ما تواضع عليه أصحاب المذهب .

أما موقف الإسلام من هذه المباحث باعتباره دينا سماويا وشريعة إلهية ختم الله به الأديان فهو موقف الرقيب الناقد ، فإذا رأى حقا أسرع إلى احتضانه بين طيات نصوصه وقواعده ، وإذا رأى باطلا تجافى عنه ورده بالحجة الصادقة ، والبرهان القويم . وإذا كانت النظريات لا تزال فى طريق البحث فدأب الإسلام ألا يهجم إلى تصديقها أو تكذيبها . والقانون العام للإسلام فى هذا تأييد سنن الله الكونية ، وكثير منها لم يصل إليه الإنسان . وقد أشعرنا القرآن الكريم بهذا العجز فقال :

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[1] .

وقال :

﴿ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ۝٨ ﴾[2] .

وقد أيد العلم هذه الحقيقة التى جاء بها القرآن ، فكان ذلك آية من آيات الله فى تصديق القرآن الحكيم ، وبيانا لعظمته العلمية .

اتسعت دائرة البحث الروحى ، وتدرجت مدارج مختلفة حتى أصبح الشغل الشاغل لكثير من الجمعيات التى تضم بين جنباتها أساطين العلم وغطارفة العلماء فى القارتين الأوربية والأمريكية ، وذعر الماديون من شبح هذه البحوث لأنها ستقضى على ما فى أيديهم من مزاعم كاذبة ، وآمن كثير منهم بأن وراء عالم المادة عالما آخر ، ووقف بعضهم فى سفح الحيرة والتردد رغم مشاهداتهم لتجارب العلماء الواقعية ، وقد قام بها فريق كانوا يدينون بالمادية ، ولهم مقام ممتاز فى المعارف ، ودفعهم إلى البحث فى هذه الفنون إنكارهم الشديد على المشتغلين بها ، وتصريحهم بأن كل ما وصل إليه الروحيون نتيجة غش أو وهم أو تأثير عصبى ، ولكنهم رأوا صوت الروحيين مرفوعا فأفزع ذلك الفزيولوجيين .. وتأهبوا لبحث هذا الموضوع بحثا دقيقا . وحسبنا أن نعلم أنه قد تألفت فى الندوة جمعية كبيرة[3] (سنة ١٨٦٩ م) لفحص ما يذيعه الروحيون ، وقد كان أعضاء هذه الجمعية من مشهورى الطبيعيين أمثال الفيلسوف (جون لبوك) الإنكليزى والفريد (رسل ولاس) مكتشف ناموس الانتخاب الطبيعى قبل « داروين » ، وقد استمرت فى بحثها عاما ونصف عام ، وكتبت تقريراً أثبتت فيه صحة هذه المشاهدات الخارقة للعادة ، واقتنعوا بها تمام الاقتناع .

فهل تقبل روح الإسلام هذه المباحث إذا قامت الحجة على صدقها عند المسلم المفكر ؟

اتفقت كلمة الأنبياء عليهم السلام ، والحكماء إلا شرذمة الماديين ، على وجود الروح الإنسانى ، غير أن حقيقة الروح ظلت لغزا عسرا على الفكر حله ، ومن ثمَّ اختلفت أقوال الفلاسفة والعلماء فيها حتى نيفت على المائة قول ، وترجع فى جملتها إلى قولين :

(**الأول**) تجردها عن المادة ، واتصالها بالبدن اتصال تدبير وتصرف لا اتصال حلول واتحاد ، وهو قول « أرسطو » من القدماء وحجة الإسلام الغزالى ، والإمام فخر الدين الرازى ، والراغب الأصفهانى ، وجمهور الصوفية من الإسلاميين .

(**الثانى**) عدم تجردها من المادة ، وهؤلاء اختلفت كلمتهم فى تحديدها ، فقال « سقراط » : إنها جسم حال فى هذا الهيكل حلول الدهن فى السمسم ، وماء الورد فى الورد . وقال تلميذه « أفلاطون » : هى حياة غير قابلة للفناء محصورة فى سجن فان هو الجسد . وبقول سقراط قال إمام الحرمين وجمهور المتكلمين من المسلمين .

والقرآن الكريم ردد ذكر الروح كثيرا ، وأصرح نص ورد فيه عن الروح الإنسانى قول الله تعالى : :

(١) سورة الإسراء آية ٨٥ .
(٢) سورة النحل .
(٣) دائرة المعارف للقرن العشرين .

﴿ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي ﴾(٤)

قال الغزالى : وفى الآية جواب مقنع كاف لمن علم « الأمر » على ما هو عليه ، وذلك حيث جعل الروح من عالم « الأمر » .

وقال فى آية أخرى :

﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾(٥) .

فجعل الخلق غير الأمر ، والخلق هو التقدير ، ويكون فى الأشباح الظاهرة التى تقع عليها المساحة والتقدير ، وهى الأجسام وعوارضها . وعالم الأمر هو عبارة عن الموجودات الخارجة عن الحس والجهة والمكان والتحيز ، وهو ما لا يدخل تحت المساحة والتقدير ، لانتفاء الكمية عنه :

الروح الإنسانى على أى معنى فهمته له آثار ظاهرة وخواص عجيبة ، فهو مرآة لجميع المعارف الكلية بذاته والجزئية بواسطة الحواس ، وله فى الأشياء تأثير يجعلها تنفعل أمامه ، سواء كان المتأثر به من جنسه أو من غير جنسه كالأجسام ، ويختلف التأثير قوة وضعفا تبعا لجوهر الروح فى أصل وجودها ، فإذا كانت الروح قوية كان لها تأثير ظاهر فى الأرواح التى هى أضعف منها ، وهذا التأثير قد يكون بمساعدة بعض الحواس وأقربها إلى الروح « البصر » لأنه ألطف الحواس ، ونتيجة هذا الأثر لها مظاهر متعددة ، منها ما سماه الشرع « العين » ، ومنها ما سماه « الحسد » ، وقد يكون منها ما يسمى علميا « التنويم » . وقد يكون التأثير بلا مساعدة شيء من الحواس ، ولا مقابلة لبعض الأجسام ؛ بل بتوجه الروح مباشرة إلى روح أخرى . وقد أشير إلى النوع الأول فى القرآن الكريم بقوله تعالى :

﴿ وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ ﴾(٦) .

ولكنه فقد شرط المنفعل ، لأن المخاطب فى الآية الروح الأعظم ﷺ ، ولو اجتمع الإنس والجن على أن يؤثروا فى روحه الكريمة ما قدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ويذكر بعض المفسرين أن بنى أسد اشتهروا بالعين ، فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام ، فلا يمر به أحدٌ فيقول فيه : لم أر كاليوم مثله ، إلا عانه .

وروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » .

قال القسطلانى : وقد أجرى الله العادة بوجود كثير من القوى والخواص فى الأجسام والأرواح كما يحدث لمن ينظر إليه من يحتشمه من الخجل فيرى فى وجهه حمرة شديدة لم تكن قبل ذلك ، وكذا الاصفرار عند رؤية من يخافه ، وكثير من الناس من يسقم بمجرد النظر إليه ، وتضعف قواه ، وكل ذلك بواسطة ما خلق الله تعالى فى الأرواح من التأثيرات ، ولشدة ارتباطها بالعين ، وليست هى المؤثرة ، وإنما التأثير للروح ،

---

(٤) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٥) سورة الأعراف آية ٥٤ .

(٦) سورة القلم آية ٥١ .

والأرواح مختلفة فى طبائعها وكيفياتها وخواصها ، فمنها ما يؤثر فى البدن بمجرد الرؤية من غير اتصال ، ومنها ما يكون بتوجه الروح .

وقد روى الإمام أحمد والنسائى : أن عامر بن ربيعة نظر إلى سهل بن حنيف فقال : ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة ، فلبط سهل ، أى صرع وسقط على الأرض .

وفى قوله تعالى :

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (٧) .

تلميح إلى النوع الثانى ، لأن الحاسد إنما يؤثر فى المحسود بتوجه روحه إلى المحسود دون مقابلة واتصال ، وكلما كانت الروح قوية كان تأثيرها أشد كما قدمنا ، وربما وصل إلى جذب بعض النفوس المفارقة .

قال الإمام فخر الدين الرازى : « النفوس إذا فارقت الأبدان قد يكون فيها ما يكون شديد المشابهة لهذه النفوس المرتاضة فى قوتها وتأثيراتها ، فإذا صارت هذه النفوس صافية انجذب إليها ما يشابهها من النفوس المفارقة ، ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلق بهذا البدن ، والنفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنية صارت قابلة من الأرواح السماوية والنفوس الفلكية ، فتقوى بأنوار تلك الأرواح على أمور خارقة غريبة » . وقال أيضا : « النفس إذا كانت مستعلية على البدن كانت قوية التأثير فى مواد هذا العالم ، فإذا أراد إنسان إلجاء النفس الضعيفة بحيث يتعدى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر ألزمها الرياضة فتقوى التأثيرات النفسانية والتصرفات الروحانية » .

إذا تأمل الباحث فى النصوص المتقدمة كلها أخذه العجب كل مأخذ ، لأنها تكشف الغطاء عن آثار الروح وجلالها ، وتظهر مرونة الإسلام ، وعناية علماء الإسلام بالبحث فى أعوص مسألة شغلت فلاسفة العالم ودخلت فى طور جديد . وقد اتسعت عقول المسلمين لأكثر من هذا مما يدخل فى غور الفلسفة الروحية ، فقد روى عن أبى يزيد البسطامى أنه قال فى بعض أحواله : « انسلخت من جسدى فرأيت من أنا » .

فلو أن جماعة من رجالات العلم فى معاهد الإسلام وأمصاره أقدموا على درس المباحث النفسية الحديثة والتنويم من الوجهة العلمية لوجدوا من دينهم وسيرة سلفهم نصيرا ؛ ولأدركوا فائدة جليلة لهذه الدراسة . قال أحد الباحثين من علماء الغرب : « التنويم المغناطيسى يثبت وجود الروح وخلودها ، ويبرهن على إمكان اختلاط أرواح متجردة بأخرى مكتسية بالمادة » . وقال : العلامة باركس الجيولوجى الإنجليزى : « إنا لندرس الآن من استحضار الأرواح ما كان قبل ألفى عام الشغل الشاغل للفلاسفة » .

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ (٨) .

(٧) سورة الفلق آية ٥ .

(٨) سورة ق آية ٣٧ .

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم د/ محمد عبد الحكيم محمد

ذلك القرآن

للشاعر
محمد عبد الرحمن
صان الدين

جوهر القرآن علم   عن عيون الفكر يَخفى
نبعه الفياض عذب   من طهور المزن أصفى
جل عما يرتيه العقل منظوما وحرفا
كُنْهُهُ الكونيُّ أسْمَى   عن مدى الإدراك وصفا
إنما الأقدار تعطى   كل عصر منه كشفا

كل يوم تبهر الألباب مِمّا فيه آية
والزمان العدل يُعْلِى فوق صَرْح الحق رايه
حين ولى الناس عنه فى دياجير العمايه
يقطعون العيش فى الدنيا بلا قصد ، وغاية
غير قصف ، ومجون تحت سلطان الغواية

* * *

معجزات باهرات تَتَجلّى كل حين
من ثناياه فَتُزجى للورى حق اليقين
فيراه النابه اليقظان كالصبح المبين
حين ينبُو عنه قوم من سقام فى العيون
وسقيم لا يرى فى الليل وضّاح الجبين

° ° °

منذ راح العلم يَجْلُو بعض أسرار الطبيعة
واستبانت لانطلاق الفكر آفاق وسيعة
قد تجلت من كتاب الله آيات بديعه
عن عيون الفكر كانت خلف أستار منيعة
هل يرى الإنسان أن الله قد جَلَّى صنيعة ؟

° ° °

إن يكن هذا عجيبا فالذى أملاه أعجبْ
كيف يدرى ذلك الأمىُّ مكنونا تَحَجَّب
عن ذوى الألباب ، والكهان ، والعلم المُخصَّب
كيف ألقاه على أسماع أقوام بَغيْهَبْ
هضمه فى العقل أمر منه قرص الشمس أقرب

* * *

إنما القرآن وحى جاء من رب الجلالة
فيه رشد ، فيه علم فيه مَحْوٌ للجهالة
كى يغيث الناس طرا من تباريح الضلالة
ما ابن عبدالله إلا مُرْسَل أدى الرسالة
من تلقاها بوعى أصلح الديان باله

إنـــــه للنـــــاس دستـــــور يَقِـــــى شر العِثَـــــارِ
إنـــــــه فى الأرض بحر ساكـــــن نائى القـــــرار
فيـــــه للصيـــــاد دُرٌّ ليس من در البحـــــار
إنـــــــه أسرار هذا الكـــــــون فى جوف المحار
حينما تبـــــدو فإن العقـــــل يحيـــــا فـــــى انبهار

* * *

إنـــــــه روض بهير من ريـــــاض الزهـــــر أنضرْ
ينفـــــحُ المرتـــــاد رَوْحـــــا من عبير المسك أعطـــــر
إن أدمت الفكـــــر فيـــــه مكثراً أعطـــــاك أكثر
كل حرف فيـــــه كنـــــز من يواقـــــيت وجوهـــــر
ليت تاليـــــه بعقـــــل مستـــــنير فيـــــه فكـــــرَ

* * *

من وَعَـــــى القـــــرآن أمسى حاويـــــاً سرَّ الوجـــــودِ
كل شىء فيـــــه يبـــــدو من قريب أو بعيـــــد
إنـــــه المصبـــــاح للإنسان فى كل العهـــــود
ما لَدَى الألبـــــاب بعـــــد الوحـــــى شىء من مزيـــــد
غـــــير إبْصَـــــار لما فى الآيِ مـــــن دُرّ فريـــــد

قارىء القـــــرآن صبحـــــاً قبـــــل أن يسعـــــى ، وليـــــلا
يرتقـــــى عن سائـــــر الإنسان إحساساً ، وعقـــــلاً
كلمـــــا أنعـــــمت فيـــــه الفكـــــر فى وعـــــى تَجَلَّـــــى
كان كالمنشـــــور يعطـــــى كل حـــــالٍ منـــــه شكـــــلا
مشكـــــلاتُ العـــــيش تلقـــــى دون جهـــــد فيـــــه حلا

* * *

ليس للأمـــــوات يتلى فى دهاليـــــز القبـــــور
لا ولا فى مأتم فَخْـــــم لتطـــــريب الحضور
لا ولا تعويـــــذ طفـــــل من أذى جنٍّ مغير

إنما القرآن للأحياء ضبط للمسير
كى يعيشوا فى أمان   من مغبات الشرور

* * *

قُدِّسَ القرآن حقا   مَنْ بما فيه تخلَّق
لا بِطَىٍّ بين حرز   محكم الأقفال مُغلق
أو غلاف من حرير   بِنُضار قد تنمَّق
أو يمين فى تقاض   أو كسول منه يُرزق
إنه المنهاج ، والأخلاق فوق الأرض أشرق

° ° °

لست أدرى ما الذى يدعو لكيد وعِداء
لكتاب فيه للإنسان أسباب النجاء
غير أن الجهل يلقى   فى غيابات الشقاء
ليس يأبى الحقَّ إلا   مبطل يحيا بداء
فاجتنب هذا وحَلِّقْ   أنت فى روض السماء

* * *

دعك مِمَّا يَدَّعيه   ناعب يهذى ببلقع
ملحد أو حاقد أو   أحمق فى الجهل يرتع
أو دعِىٌّ يتقاضى الأجر من خصم ملفع
إن نور الشمس من فوق السوافى اضوج يسطع
منه خفاش مقيم   فى ظلام الزيغ يهجع

* * *

ليس يأتى الريبَ فى القرآن إلا من قصور
نوره فى كل آى   ليس يخفى عن بصير
يلمح اليقظان ومضا   باهرا بين السطور
ما نباعته وولىٌّ   غير متبول الشعور
لا يرى إلا متاعا   فيه وأد للضمير

° ° °

ليس فى الدنيا كتاب   فيه منهاج قويمُ
غير قرآن وحاه الخالق الرب العليم

فيـــــه للدنيـــــا وللأخــــــرى دليــــــل لا يَريم
فيـــــه أمـــــن وسلام فيـــــه عطـــــر ونسيم
ليس ينـــــأى عنـــــه إلا ذو فتـــــون أو رجيم

* * *

إنـــــه الصـــــوت الـــــذى يبقـــــى على مَرِّ الدهـــــور
إنـــــه المصبـــــاح للإنسان فى كل الأمـــــور
ويـــــرد التائـــــه الحيران عن سوء المصير
إنـــــه الـــــطب الـــــذى يَشْفِـــــى تبـــــاريح الصدور
إنـــــه الإسلام محفـــــوظ بسلطـــــان القديـــــر

* * *

حَاوَلَ التجديـــــفَ والتشكـــــيك فى القـــــرآن جاهـــــلْ
عقلـــــه من أى علـــــم مقفـــــر كالبيـــــد قاحـــــل
يدعـــــى إدراك ما قد غاب عن فهـــــم الأوائـــــل
ويظـــــن العلـــــم خلطـــــا يزدريـــــه كل عاقـــــل
وهـــــو مخبـــــول سفيـــــه أبـــــدل الحق بباطـــــل

* * *

إنما القـــــرآن فجـــــر الدهـــــر قدسيُّ الضيـــــاء
إنـــــه الفرقـــــان فى دنيـــــا التجنـــــى والريـــــاء
إنـــــه الكنـــــز الـــــذى جوفـــــه دُرُّ السمـــــاء
سوف يبقـــــى غَصَّةً فى الحلـــــق عنـــــد الأغبيـــــاء
ومعينـــــا زاخـــــرا يروى عقـــــول الأذكيـــــاء

* * *

اجعـــــل القـــــرآن يا ربى ربيعـــــا فى فؤادى
وثمارا يانعـــــات من جَنَاهـــــا الحلـــــو زادى
واجعـــــل الآيات حرزا من أحابيـــــل العـــــوادى
ومنـــــارا عنـــــد صحـــــوى وأمانـــــا فى رقـــــادى
وظـــــهيرى فى اجتماع وانـــــيسى فى انفـــــرادى

أشرف غاية

شعر: رشاد محمد يوسف

يا رسول الله يا أشرف غاية ... جئت أستهديك أنوار الهداية
جئت والدمع شفيعي علَّني ... أغسل الوجدان من أى غواية
جئت والجرح شفيعي آملا ... أن ينال القلب من فيض العناية
جئت استهدى بقلب راجف ... يبتغى ركن أمانٍ وحماية
يارسول الله ضلت رحلتي ... وعلى العين ضباب وعماية
عقنى القلب زمانا ومضى ... يرفع العصيان والغفلة راية
عقنى الخطو وكم أرشدته ... وهو يرتاد جموحا للنهاية
عقنى فكرى وطاشت أسهمى ... رغم أنى من أساطين الرماية
عقنى الشعر وتاهت أحرفى ... بين وهم وغرام وهواية
كيف فلسفتُ وجودى جاهلا ... حكمة الخلق وأسرار الرواية ؟
وجنى العشق على القلب الذى ... بات يستعذب هاتيك الجناية
يزدرى ماكان من صبواية ... ثم يقفو تابعا خطو الزراية
يَدَّعى النَّسْك صباحا تائبا ... ومساء ثمَّحِى تلك الدعاية
هو فى النسَّاك شيخٌ زاهدٌ ... ومع الندمان يسعى بالسقاية
كالذى فى البحر ألقى نفسه ... وهو لا يملك للعوم دراية
ياظليل الفضل فى تيه المدى ... من أتى ظلك نالته الرعاية
يارفيع الجاه تأسُو لائذاً ... وتعين الكل من قبل الشكاية
يارسول الله إلى مسلمٌ ... من مواليك فخورٌ بالولاية
ياشفيعى .. والمنى كل المنى ... أن ينال القلبُ صفحا وهداية
جئت أستغفر ربى ضارعا ... مؤمن الوجدان توحيدا وآية
أقتفى الخطو وأشدو دائما ... ليس غير الله للحيران غاية
وهن العظم وشاخت همتى ... وأنا أحمل أنقاض البناية
يارسول الله هل تقبلنى ... رغم ما قصرت فى بعض الوصاية ؟
أترى تشفع لى بعد الذى ... كان من عجزى ختاما وبداية ؟

يارسول الله يا أشرف غاية

فلسطين

للإمام الأكبر الأسبق الشيخ محمد الخضر حسين

هاتى فلسطين الحديث عن الــــذى ... خلــــعت يداه على اليهود ولاء
وأعــد للعــرب الكــرام قذيفــة ... فتاكـــة أو طعنـــة نجلاء
يعـطيهم عهــد الحليــف مداهنــا ... ويسومهـــم سوء العـــذاب عداء
يسقيهم السم الزعــاف فإن شكــوا ... أعطاهــم شهــد الكــلام ريــاء

يا من وهــى الأوطــان وهــى أمينــة ... واجتـــاح أطفـــالا بها ونساء
لا تأمنـــن الدهـــر إن صروفــــه ... لا تقبــل الــذهب الــنضار فداء
والعــــرب تأبى الضيم إلا أن ترى ... ضيمـــا تسنــــم قبلهـــا الجوزاء
ما وعــد « بلفور » سوى الزبــد الــذى ... يطفــو ويــذهب فى الــفضاء جفــاء
أفبعــد فتــح ابــن الوليــد وصحبــه ... للقــدس وعــد يستحــق وفــاء ؟

من مبلـــغ الحنفــــاء أمـــة أحمد ... نبـــأ يطير له الفـــؤاد هبـــاء
لا تنجدوهـــم بالتـــحسر وحـــده ... إن التـــحسر لا يزيح عنـــاء
لا تنهض الأوطـــان من كبـــواتها ... إلا على أيـــد تفـــيض سخـــاء
ومتى أرى قومى قد استبقـــوا العـــلا ... بسخـــاء كف يكشف الـــلأواء
أتنـــام عن إسعافهـــم والديـــن قد عقـــد ائتلافـــا بيننـــا وإخـــاء

الضرير

شعر / البسيونى قنعان سليمان

سكن الظلام كريمتيه ، فاغتدى كلُّ الذى يلقى أسودا !
الشمس فى عينيه تغرق فى الدجى والصبح لا ينفكُّ ليلا سرمدا
العين تسبح فى الظلام ، وصدره عبثَ الظلام بجانحيه وعربدا !
مات الضحى ، مات النهار ،فَلَيْلُهُ قد غال ما صنع النهارُ وبدَّدا
قَالوا : السماء جميلةٌ ، ربّاه ! كيف يرى السماء ، ويستعيد المشهدا ؟
والنيِّرات تلألأت بجمالها والبدر فى كبد السماء تفردًا
والشمس أرْختْ للمغيب نِقَابها لتقول للأحباب : موعدنا غدا
والشمس هبتْ للشروق فنبهتْ ما كان فى ثوب الغروب تمددا
والغصن يرسم فى الغدير بهاءه والزهر داعب خدَّه ثغرُ النَدَى
سبحان من زان الوجود ، فمقلةٌ رَوِيَتْ ، وأخرى بات يحرقها الصدى

كيف الحيَاةُ لمن يعيش ودونه بابٌ على درب الرؤى قد أوصدا
عرفتْ عصاه طريقه ، وأضلَّه طرف أقام على الطريق فما اهتدى
جست يداه ما أتاه ، وخانه بصرٌ تبلد حسُّه ، وَتَلبَّدا !!
ما أضيق الدنيا لديه ، فما رأى منها سوى سجن الظلام ، فحدَّدا
فحدودها محدودة بحدوده وبها يكون المنتهى ، والمبتدا !!
قد قيَدَته ظنونه ، وظلامُهُ فغدا رهين الظلُمتين مقيدا
إن سار لا تدرى خطاه مكانها أو صَاحَ : لا يدرى لمن يصل النَدا
ما فوقه ؟ ما تحته ؟ ما خلفه ؟ وقد انتهى حدُّ الطريق أم ابتدا ؟
وأمامه ، ماذا يكون أمامه ؟ وصفيه يلقاه أم لُدَ العدا ؟
أين الطريق ؟ وأين أين دُرُوبه إنى أرى حتى الطريق تمرّدا
أيدبُ نحو الشوك أم فى حفرةٍ ؟ وإلى النجاةِ يسير ، أم خلف الردى ؟
خطر يُلحُّ عليه ، يتبع ظلَّهُ سيفٌ لقتلِ أمانِه قد جُرِّدا
يا من يمنُّ على الضرير بنظرة فيرى له ما فاته أن يشهدا

يكفـــيك من بؤسٍ سؤالك من يرى   لك دزبك الأعمــــى ويحسبها يدا[1]
إن كان فى ذلّ السؤال مهانـــــةٌ   فالــذل أن تُهـدَى الطريــقَ فترُفَــدا
أو كان فى عجــز الفتــى سَحْــقٌ له   فالعجــز أن يبقــى سواك لك اليــدا[2]
أو كان فى القهــر الضنــا ، وَعَذَابُــهُ   فالقهــر أن تقضى حيــاتك مُقعــدا
أو كان فى وهــم الفتـــى إيلامـــه   فالوهــم للأعمـــى قريـــن مذْ بدا

من عاش فى أسْر العمى فقد اغتــدى   ما عاش عبــدا للقيـــود ، مُعبـــدًا
كَلا ، تُسيِّــره الــعصا ، وتقـــوده   أرأيت عقـــلا بالــعصىِّ قد اقتـــدى ؟
ياسيدى ، صف لى الحياة على العمى   ضدّان كيـــف تجمّعــا ، وتوحـــدا ؟
صف لى الــذى فى أهلــه وديــــاره   قد عاش مغتربــا ، وعــــاش مشردًا
صف لى الفراق ، وكيف يرْزح تحته   من لايعــيش سوى الفــراق مُؤبَّـــدا
من فارق الأحبــاب وهـــو بدارهـــم   من فارق الدنيـــــا وفيها قد غدا !!
أتـــراه ينعـــم باللقـــاء ودونـــه   سدٌ كما شاء العمــــــى قد مدّدا !!
صف لى الفــراغ وبــأسه . وصف الزمـــان تجمــدّتْ دَقاتـــه ، وتجمْـــدا !!
صف لى القبــور ظلامَهَـــا وخرابَهَـــا   إنّــى أراك تعــيش فيها مُفْــردا !!
صف لى الحيـــاة تخلّصَتْ من نورهـــا   صف لى النهار من النهار تجرَّدا !!
صف لى عيونـــا ما رأت عينـــا ، ولا   شهدتْ على ظَهْر البسيطة مَشهَدَا !!
صف لى نفــوسا شاقهـــا أن ترتـــوى   صف لى قلوبـــا شفَّهـــا بَلُّ الصدى !!
تتجــــدد الدنيــــا لناظـــــر حسنها   لِتمــوت فى عين الكفيـــف ، وتخمــدا
سبحان من قَسم الحظـــوظ ، فرافـــل   بين الضيـاء ، و(عاثِــر) فقــدَ الهدى
سبحان من خلــق الــغصون ، فوَرْدةٌ   تشفى الفؤاد ، وشوكةٌ تدمى اليــدا
هى حكمـــة الدنيـــا ، فمصبـــاح بها   يجلو الدجــى ، وسواه غطَّـــاه الصدا

عيـنُ الضريــر ، ونـــفسه ، وفـــؤاده   ألــمّ تقـــادم عهـــده ، وتجدَّدا !!
يامن رأى بيت الدياجـــر مهجـــة الأعمــــى بها صار العـــذاب مُجمّـــدا !!
نفس تقسمُّهـــا الفنـــاء ، فمقلـــةٌ   ماتتْ ، وجسمٌ بالحيـــاة تهدَّدا !!

---

(١) يدا : نعمة .

(٢) اليدا : المساعدة والمعين .

قُذفت بليـل التائـــهين ، فليْلهـــا لا ينتهى ، وظلامهـا لن ينفـــدا !!
وَلـدتْ فمـا رأت الوجــود ، كأنها خلف الوجود تعيش ، أو خلف المدى
وتعـــيش تحلـــم بالمحال حيـــاتها ربّــاه ... ما أقسى المحال ، وأبعـدا !!
وتظـــلُّ تستجـــدى الزمـــان هُنيهة ما ضرّ لوْ منّ الزمـــان وأسعـــدا
أوّاه !! لو كشف السَّواد للحظـــةٍ وأزاح عن لحظٍ كثـــيبٍ أسودا
وجــلا سرَاجــاً كان غطّـــاه الصدا وأضاء مصباحــاً طوتـه يد الــردى
رَبّاهُ ... كيـف أرى الحياة ، وسرّهـا إنّـى ظمــئتُ فأوْردنـــى الموردا
ما النور ؟ ما الألوان ؟ ما ضوء الضحى ؟ ما الغصن ؟ ما الأزهار ؟ ما قطر الندى ؟
ما الفجر ... دب النـور بين ضلوعه ؟ ما الأفق.... أضحى من شروقٍ عسجدا ؟
ما الورد ... رفَّ على الغصون بسِحره ؟ ما الطير مال على الخميـل مغـردا ؟
ما الشمس ماستْ فوق عرش جمالها ؟ ما الروض من وشْى الزهور قد ارتدى
ما النجم فى صدر السمـاء قلائـدا ؟ ما النهر مِن ماس النجـوم تقلَّــدا ؟
أرنى الجبـال الراسيـات ، شموخُهـا أقـوى على الدهـر العتيـد وأخلــدا
أرنى البحـار الطاميـات تلاطـــمت والموج أرغـى فى الـفضاء وأزْبـــدا
أرنى السمـاء تلبـــدت صفحـــاتها فغـدت كوجهـى بالعبــوس تلبَّـــدا
أرنى الحيـــاة ، وسرَّهــا ، وجمالها فى قدِّ غانيـــة رشيـــقٍ أمْلـــدا
أوفـى عيـون ساجيـات كالدجـــى أوفى خدود كالزهـــــور تورُّدا
أو وَجْنَـــةٍ أضرّى الحيـــاءُ لهيبها أو بين ثغـــر باللــــلآلىء نُضّدا
أرنى ابتسامـة طفلـة لأرى الصفـــا ء على مُحيَّـــا كالصفـــاء تجسَّدا
أرنى العيــون ومــابها ، إن العيـــو ن تشفّ عما فى النفوس قد اغتـدى
دعنـــى أرَ الأشواق بين تُخومهـــا لأرى سعير الشوق كيـــف توقـــدا ؟
دعنـــى أرَ القلـق العميـق يثيرهـــا دعنــى أرى الحزن الـــدفين تمدَّدا
وأرى الـرِّضا بين الجفــون مُسَطـرا والسخـــط فى قاع النفـــوس تمرَّدا
ربّـــاه ... إنى قد نسيت فعافنـــى واغفـــر فإنى قد تجاوزتُ المدى
طُرُقُ العمى شتّى ، وأهونُهـا الـذى ذهب الزمـــان بمقلتيـــه وأفْقـــدا
فاعتـــاض بالقــلب السليم بصيرةً إن البصائـــر لاتُضل مَن اهتـــدى
قل للـــذى نسى الـــبصيرة والبرى يزجى العيون لقـد ضلـلت المقصدا
الــعين تخدع ربها[٣] ، وتُضلــــه أرأيت ما أخفـى السرابُ ومـا بدا ؟

(٣) صاحبها .

الشيخ الغزالي

و

الموت على المنبر

شعر :
عصام
الغزالى

أئـــمَّ الشوطَ بالموت المثـــــالى / وكان البـــدرَ فى داجـــى الليـــالى
وقـــامَ على المنابـــر ، لم يَدعْهـــا / إلى أن جاءَهُ شدُّ الرحـــالِ
فخـــفَّ من احتفـــالٍ فى أنـــاسٍ / وشفَّ إلى الملائكِ فى احتفـــالِ
وقـــال : على رسول الله صَلـــوا / دعـــانى الآن شوقـــاً .. أو دَعـــا لى
فهـــل بين الصحابـــة لى مكـــانٌ ؟ / وهـــل عنـــد البقيـــع أرى مآلى ؟
سلامُ الله يا أهلى عليكـــم / فأهـــل الله يا أهلى حيـــالى
تركتُ العلـــمَ ، لم أتـــرك يتامـــى / سوى طلاب علمـــى ، هم عيـــالى
خلَتْ منك المنابـــرُ ، من سَيَرْقَـــى / ويسبـــح بعـــد سَبْـــحك فى المجالِ ؟!

وكان تواضُعُ العلمـــاءِ فيـــهِ / وكان يحفُّـــهُ نورُ الجلالِ
وكان مُوَضَّأً يمشى الهوينـــى / وكان موطَّـــأً دون ابتـــذالِ
وكان يصدُّ ما يرمـــى الأعـــادى / ولـــيس يقـــول : زاد على احتمالى
وكـــنتَ تراهُ حين يزود عنـــا / غيـــوراً فى الفعـــالِ والانفعـــال
وكـــنتُ أراهُ فى حزن علينـــا / وإشفـــاقٍ وخـــوفٍ وابتهال
وكان يعـــالج الإسرافَ فينـــا / فَيَعـــذِ لنـــا ، ولكـــن فى اعتـــدالِ
وكان حيـــاؤهُ سمتـــاً مهيبـــاً / وكان وثوقُـــهُ دون اختيـــالِ
وكان يقـــول كِلْمتَـــه ويَـــمضى / وإن غضبَ القيـــاصرُ لا يُبـــالى
وكان ـ ولا يزالُ ـ الموت حقًّـــا / علينـــا ، والجميـــعُ إلى زوال
فمـــالى فيك أفقـــد اتـــزانى / كأن الموتَ لم يخطـــر ببـــالى ؟!
كأنك لم تكـــن تموت يومـــاً / وتتركَنـــا على وشك اغتيـــالِ
يُدَبَّـــرُ حولنـــا أمـــرٌ خطيـــرٌ / وتدفـــعَ ركبَنـــا ريـــحُ الضلالِ
وألحُّ فتـــنةٌ كادت لتـــردِى / ويلتـــبس الحرامُ مع الحلالِ
فمـــن يضعُ النقـــاطَ على حروفى ؛ / ومـــن يجد الجوابَ على سؤالى ؟!
رزئتُ ... فلستُ أعرف أيـــن أبكـــى / إذا اجتمـــع الخطـــوبُ على نزالى
نجومُ العلـــم تأفـــل فى سمائى / وليـــلُ الكفـــر يطمـــعُ فى هلالى
وقاطـــرةُ المنيَّـــةِ فى إنطـــلاقِ / وَركْـــبُ أئمـــة فى توال
فهـــل فى الأمـــر سرٌّ أن أتاهـــم / نداءُ الله فى ظرف وحـــالى ؟
لعـــلك قد نجوت فلـــم تُلَـــوَّثْ / هنيئـــاً يا (محمـــد يا غزالى)

من دلائل القدرة الإلهية فى بعض الظواهر البحرية

(٣)

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

البرزخ بين بحرين :

قال تعالى : ﴿ مرج البحرين يلتقيان (١٩) بينهما برزخ لا يبغيان (٢٠) ﴾[(١)]

هاتان الآيتان الكريمتان من سورة الرحمن وردتا ضمن عدد كبير من الآيات الكريمة التى تعدد نعم الله ـ سبحانه وتعالى ـ على عباده ، وتوضح دلائل عظمته وجلاله وقدرته التى تدل على وحدانيته وألوهيته المطلقة . وهناك آيات فى مواضع أخرى من القرآن الكريم تشير فى بعض معانيها إلى ظاهرة « البرزخ » أو « الحاجز » بين بحرين أحدهما عذب فرات والآخر ملح أجاج .

كما فى قوله تعالى : ﴿ وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾[(٢)] .

وقوله عز من قائل :

﴿ أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا وجعل لها رواسى وجعل بين البحرين حاجزا أإله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾[(٣)]

---

(١) سورة الرحمن : ١٩ ـ ٢٠

(٢) سورة الفرقان : ٥٣

(٣) سورة النمل : ٦١

وكلمة « مرج » التى ورد ذكرها ـ فى الآية ـ تعنى الاختلاط بغير امتزاج تام . وكلمة « البحر » فى اللغة العربية أسم يطلق على البحر المعروف ، يطلق ـ أيضا ـ على النهر برغم اختلاف طبيعة مياههما من حيث الكثافة ودرجة الملوحة[٤] .

وهكذا نجد أن الآيات الكريمة تشير إلى قدرة الله ـ تعالى ـ فى جعل مياه البحرين : العذبة والملحة لاتمتزجان لوجود برزخ أو حاجز بينهما يمنع عودة ماء النهر من البحر إلى النهر مرة أخرى بعد نزوله فى منطقة المصب .

ماذا يقول العلم عن ظاهرة البرزخ بين بحرين ؟

إن الحقائق الكونية التى توصل إليها العلم الحديث يمكن أن نفيد منها فى تعميق فهمنا لآيات القرآن الكريم والكشف عن المزيد من المعانى والأسرار المعجزة التى يتضمنها التعبير القرآنى .

ذلك أن للقرآن الكريم أسلوبه الحكيم فى الدلالة على آيات الله فى الكون ، والهداية التى جاء من أجلها تقتضى ألا يخاطب الناس عن الكون بماينكرون ، أو بما يستعصى على أفهامهم ، فيقوم ذلك حجابا بينهم وبين قبول دعوته ، وحاملا على تكذيب مالم يحيطوا بعلمه .

وهى ـ أيضاً ـ تقتضى ألا يوافق الناس على باطل معتقداتهم الكونية فى عصر نزول الوحى به ، فيقوم ذلك حائلا دون قبول دعوته فى عصور التقدم العلمى والتقنى التى علم منزل القرآن أنها ستكون ، ووعد بإظهار مايشاء من آياته فيها بقوله : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾[٥] .

وتجنُّب هذين العائقين عن قبول هداية القرآن هو من بدائع إعجاز أسلوبه ومن أكبر الدلائل على إنه حقا من عند الله فاطر الناس وفاطر الكون .

على أن الحق والإنصاف يقتضيان ألا نتوقع من قدامى المفسرين ، أو من محدثيهم ـ الذين لم يدرسوا جانبا كافيا من العلم الكونى بعد أن ارتقى منهجه واستطاع الكشف عن حقائق كونية قطعية الثبوت ـ أن يحدثوا عن حقيقة كونية بما لم يعلموا قبل أن يهتدى إليها الناس من علم يقينى .

ولقد ساعد تقدم العلم والمخترعات الحديثة على فهم ظاهرة عدم امتزاج الماء العذب بالماء المالح عند الالتقاء الحادث بين مصبات الأنهار وشواطى

---

(٤) البحر : الماء الكثير ، ملحا كان أو عذبا ، سمى بذلك لعمقه واتساعه ، وقد غلب على الملح حتى قل فى العذب . راجع لسان العرب لابن منظور ، مادة بحر

(٥) سورة فصلت : ٥٣

البحار ، حيث يظل نوعا الماء منفصلين **لمسافات طويلة وكأن بينهما حدا فاصلا** .

ويمكن إيجاز أهم اجتهادات العلماء لتفسير هذه الظاهرة فيما يلي :

١ ـ **تمثل الجاذبية حاجزا إلهيا** ، لأن مستوى مياه البحر هو دائما أقل مستوى فى الأرض يمكن أن تنساب نحوه الأنهار التى تنحدر عادة من مستوى أعلى عند المنبع إلى المصب . وهذا الميل الانحدارى الطبيعى يجعل انسياب الماء العذب نحو البحر أمرا حتميا ، وكأن الجاذبية حاجز طبيعى يمنع انسياب الماء فى الاتجاه المضاد ، اللهم إلا فى إطار التوازن الطبيعى القائم فى دورة تبخر الماء من البحار لإعادته إلى الأنهار (الدورة الهيدرولوجية) .

٢ ـ تنتقل الرواسب الضخمة الخشنة من الجزء الجبلى عند منبع النهر بفضل الانحدار الشديد الكافى لجعل الماء مضطربا بدرجة تؤدى إلى تحريك هذه الرواسب التى يقل حجمها تدريجيا قرب المصب حيث ينقص الاحتكاك وتزداد سرعة المياه رغم نقص الانحدار وازدياد العمق كلما اقتربنا نحو المصب . وبهذا تندفع مياه الأنهار المالحة فى البحار لاتستطيع أن تتحدى قوانين الجاذبية التى تمنعها من التدفق إلى المستوى الأعلى للأنهار . وبذلك تظل الأنهار عذبة ، وتظل البحار مالحة ، وبينهما البرزخ الناشىء أساسا عن الجاذبية ، مع ملاحظة أن تبخير مياه البحر بواسطة الشمس فى الدورة «الهيدرولوجية» يحافظ دائما على ثبوت درجة الملوحة لمياه البحار (تقريبا) بسبب الانتقال اللانهائى المستمر لبخار الماء بين البحر والهواء واليابسة[٦] .

٣ ـ تنشأ قوة التوتر أو الشد السطحى بين البحرين العذب والمالح من اختلاف التجاذب بين جزئيات الماء العذب والماء والمالح لاختلاف كثافتيهما ، ويبدو لنا بوضوح الحد الفاصل كحاجزا أو برزخ بينهما ، حيث يتكون لكل سائل قوة تعمل عمل غشاء مطاطى يحافظ على توازنه وثباته ويمنع خروجه عن مجاله .

٤ ـ تشير الدراسات الحديثة فى علوم البحار إلى أن منحدر الكثافة فى أى وسط مائى يمثل « حاجزا » أمام عملية مزج المياه التى تعلوه بالمياه التى توجد تحته . وتبدو علاقة هذا بالجاذبية

---

(٦) تدل الدراسات العلمية على أن ملوحة البحر لم تتغير منذ قرابة ٢٠٠ مليون سنة مضت إلا بنسبة ضئيلة جدا . راجع فى ذلك :
د. منصور حسب النبى ، القرآن الكريم والعلم الحديث ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩١ .

ـ د. محمد فتحى عوض الله ، الماء الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٩ .

الأرضية علاقة مستقرة أيضا ، لأن طاقة هائلة لابد من بذلها لتحريك كتلة مائية من الأعلى إلى الأسفل أو بالعكس . وقد ثبت أن هذا « الحاجز » المستقر موجود فعلا بين طبقات المياه التى تتباين صفاتها الطبيعية والكيميائية كلما ازدادت فى العمق . وتختلف هذه الطبقات فى درجات حرارتها ونسب الأملاح الذائبة فيها ،

وكل هذا من أسباب اختلاف خواصها الفيزيائية والكيميائية . ويستمر هذا الحاجز أو « البرزخ » يفصل بين هذه الطبقات المختلفة من المياه رأسيا وأفقيا ، ويتم هذا بوجود مياه ذات صفات وسطية تفصل بين كل نوعين متجاورين فى البحر الواحد دون أن تسمح لها بالامتزاج التام .

خصائص منطقة الحاجز :

يتوقف شكل (**منطقة الحاجز**) على كمية وسرعة الماء المتدفق فى حيز المصب ، فإذا زادت كمية الماء وارتفعت سرعته بَعُدَ الحاجز عن منطقة المصب ، وأصبح شكله دائريا . أما إذا قلت كمية الماء وانخفضت سرعته ، فإن الحاجز يقترب من منطقة المصب وقل انحناء سطحه . وفى جميع الأحوال تقل عذوبة ماء النهر المتدفق عند مصبه فى البحر فى النهاية . ويحدث العكس تماما فى حالة تدفق ماء الخليج (الأكثر كثافة وملوحة) فى ماء البحر أو المحيط (الاقل ملوحة) .

من ناحية أخرى ، لوحظ أن تيار الماء المتدفق من مصب النهر فى البحر ، أو من فتحة الخليج مع البحر أو المحيط ، يزيح الصخور التى تعترض طريقه ، ويقذف بها بعيدا عن منطقة المصب والاختلاط ، وبذلك تكون منطقة المصب ذات خصائص مختلفة عن غيرها من المناطق ، سواء فى لون الماء ، أو نوع الكائنات الحية التى تنمو فيها (كالطحالب والنباتات المائية مثلا) ، فهى - أى منطقة المصب ، حجر على مسافيها ، محجورة على ما يخارجها .

ومن أمثلة هذه الظاهرة البحرية عيون الماء العذب التى تفيض قرب (البحرين وقطر) داخل مياه الخليج العربى الملحة ، ونهر النيل الذى يصب فى البحر الأبيض المتوسط ، ومياه نهر الأمزون الذى يصب فى المحيط الاطلنطى . وكذلك يوجد هذا « البرزخ » عند ملتقى نهر الكنج والجامونا فى مدينة « الله أباد » .

إنها آيات ناطقة بقدرة الإله الواحد الذى وسع كل شىء علما ..

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (٧) صدق الله العظيم

وهكذا نجد التكامل مفيدا بين أهل اللغة والتفسير والعلم فى فهم معانى الآيات الكونية الكريمة ، وصدق الله حيث يقول :

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ (٨)

---

(٧) سورة البقرة : من الآية ٢٥٥
(٨) سورة النساء : ٨٢

فضل المسلمين فى تقدم الجيومورولوجيا

بقلم: حسنى عبد الحافظ

• الجيومورولوجيا : هو العلم الذى يهتم بدراسة شكل الأرض وتضاريسها[1] .. ويزعم فئة من مؤرخى الغرب ، أن هذا العلم من العلوم الحديثة التى لا جذور لها فى تاريخ الحضارات السابقة ، ونسبوا كل مبادىء وأسس هذا العلم إلى مواطنيهم ، ونسوا ــ أو بالأحرى أو تناسوا فضل المسلمين فى تقدمه .

وفى عجالتنا هذه .. سوف نركز الحديث عن (ظواهر جيومورولوجية) ، أشبعها أجدادنا العلماء بحثا ودراسة ، وتوصلوا إلى نتائج مبهرة ، لا تختلف عما هو متعارف عليه الآن .

• تصنيف الصخور •

من الظواهر التضاريسية التى يدين العلم الحديث للمسلمين فى تفسيرها .. ظاهرة تنوع الصخور ، وتباين أشكالها وأحجامها .. وقد قاموا بدراستها دراسة وافية ، اعتمدوا فيها على المشاهدة والتجريب .. وكانوا ــ بحق ــ أول من فسر نشأة الصخور وتكونها .. وتصنيفها بطريقة علمية

(١) عدنان النقاش : الجيولوجيا عند العرب ــ ص ١٨ ــ دائرة الشئون الثقافية العامة ــ بغداد ١٩٨٦م .

صحيحة ، وقد جاء تقسيمهم للصخور على النحو التالى :

ـ صخور نارية ، وهى ما يطلق عليها الآن اسم الصخور الحديدية النيزكية MEORITES ، وقد قال عنها أحد أجدادنا العلماء : « تتكون أنواع من الحجارة من النار إذا أطفئت : وكثيرا ما يحدث فى الصواعق أجسام حديدية وحجرية بسبب ما يعرض للنارية أن تطفأ فتصير باردة يابسة » .

ـ صخور رسوبية ، وهى ما يطلق عليها الآن اسم الصخور التفتتية ـ DET RITAL OR CLASTIC ـ وقد أسهب الأصطخرى فى حديثه عنها ، كذلك ابن سينا الذى قال عنها : «وقد شاهدنا فى طفولتنا فى مواضع كان فيها الطين وذلك شط جيحون ، ثم شاهدناه وقد تحجر تحجراً رخواً ، والمدة قريبة من ثلاث وعشرين سنة » .

ـ الصخور التى من أصل الماء ، وهى ما تعرف فى الوقت الحاضر باسم الصخور الكيميائية CHEMICALROCKS أو التبخرية EVABOAITES .. ويقول ابن سينا عن هذا النوع من الصخور : «يتكون من الماء السيال على وجهين :

أحدهما : أن يجمد الماء كما يقطر أو كما يسيل برمته .

والثانى : ما يرسب منه من سيلانه شيء يلزم وجه مسيله ويتحجر .. وقد شوهدت مياه تسيل فما يقطر منها على موضع معلوم ينعقد ويتحجر أو يتحول إلى حَصي مختلفة الألوان »

ومن الظواهر التى درسها العلماء المسلمين ، والمتعلقة بنشأة الصخور وتكونها .. ظاهرة التتابع الطبقى الصخرى STRAIGRABHIC SEQUENCE ، التى لم يعرفها الغرب إلا فى القرن الثامن عشر الميلادى .. وظاهرة التعرية التفاضلية DIFFERENTIAL EROSIN ، وكان ابن سينا أول من وضع نظرية صحيحة عنها عند حديثه حول العلاقة بين التعرية وخواص الصخور .. وظاهرة تسهب المرتفعات BENEBLANATION(٢) .

وقد سبق إخوان الصفا العالم الأمريكى (ديفز) بأكثر من خمسمائة سنة ، فيما يتعلق بالتفسير الصحيح لظواهر :

- التسطح التحاتى (التسهب الأرضى) .
- التجوية .
- التحاب .
- النقل .

الجبال .. ونشأتها

يرجع الفضل للعلامة الموسوعى ، ابن سينا ، فى كونه أول من فسر ـ بشكل صحيح ـ طبيعة الجبال وتكونها وتباين ارتفاعاتها .. وقد أقر أكثر من مؤرخ وباحثة أوربى أن ابن سينا سبق مواطنيهم إلى ذلك ، فهذا أحدهم يقدّم اعترافه بقوله : «إنك تجد

(٢) حسنى عبدالحافظ (كاتب الدراسة) : الجيومورولوجيا عند العرب (مجلة العلم ـ عدد ١٨٢ ـ نوفمبر ١٩٩١م ـ ص ٤٢ ـ تصدر عن أكاديمية البحث العلمى بالقاهرة) .

فى رسالة ابن سينا عن الحجارة فصلا عن منشأ الجبال لا يبتعد فيه عما يدرس اليوم»[٣]

ومفاد نظرية ابن سينا: أن الجبال تتكون عن سببين.. إما نتيجة:

ارتفاع ملحوظ فى قشرة الأرض بفعل أحد الزلازل (ويعرف هذا السبب فى الوقت الحاضر باسم العمليات الداخلية ENDOGENIC - PROCESSES).

وأما نتيجة عمل الماء بشق طريق جديد يحفر أودية، ويحدث جبالا، وذلك أنك تجد صخورا لينة، وصخورا ذات صلابة، فيذهب الماء والريح النسافة بالصخور اللينة، وتبقى الصخور ذات الصلابة، وهكذا يحدث أكثر الارتفاعات الجبلية (هذا السبب يُعرف الآن باسم العمليات الخارجية EXOGENIC PROCESSES).

ويؤكد ابن سينا، أنه لكى تنشأ الجبال لابد من انقضاء أزمنة طويلة لحدوث جميع التحولات، ودليله لإثبات صحة نظريته هذه، هو: «أن الذى يدل على أن الماء سبب أساسى لذلك هو: وجود حيوانات مائية وغيرها على كثير من الصخور، ولا تصدر المادة الترابية والصفراء التى تستر وجه الجبال عما يصدر عنه هيكل الجبل، بل من انحلال بقايا الأعشاب والوحل الذى يأتى به الماء، ومن المتحمل تأتى من وحل البحر القديم الذى كان يغطى جميع الأرض فيما مضى».

ويعلّق المؤرخ الفرنسى د. غوستاف لوبون، على نظرية ابن سينا، فيقول: «لقد أبصر أن تحولات الكرة الأرضية لم تنشأ عن الطوفانات الكبيرة، كما اعتقد (كوفيه)، وإنما هى نتيجة تطورات بطيئة تمت بتعاقب القرون، وهذا ما أثبته علم الأرض الحديث»[٤]، ويضيف المؤرخ مايرهوف: «نحن مدينون لابن سينا برسالته فى تكون الجبال والمعادن»[٥].

* القارات الزاحفة *

وثمة نظرية مهمة، وضعها عمر الخيام، وأسماها (تراجع البحار).. قال عنها المؤرخ فون هوف: «مؤداها، أن وجود الينابيع الملحة والسباخات فى قلب آسيا قد أوحى إلى ذهنه بأن البحر كان يغمر تلك الأماكن فى غابر الزمان، فتوفر على مقارنة خرائط عصره لتلك الأماكن بخرائط الفلكيين من الفرس والهنود القدماء، والتى رسمت للمناطق نفسها من ألفى سنة من زمن عمر الخيام، فأقنعته هذه المقارنة بثبوت نظريته»[٦].

---

(٣) د. غوستاف لوبون: حضارة العرب ــ ترجمة عادل زعيتر ــ ص ٤٨٥ ــ مطبعة عيسى البابى الحلبى القاهرة ١٩٦٩م.

(٤) المصدر السابق ــ ص ٤٨٦.

(٥) مايرهوف: تراث الإسلام ــ إشراف أرنولد توماس ــ ص ١٩٥.

(٦) عن: عدنان النقاش ــ سابق ــ ص ٧.

(٧) د. منعم مفلح الراوى: أسس الجيولوجيا فى (المعادن والآثار العلوية) لابن سينا (دراسة منشورة بمجلة معهد المخطوطات العربية) ــ ج ٢ ــ م٢٨ ــ ص ٥٥٥ ــ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ــ شوال/ربيع أول ١٤٠٥هـ.

وكان ابن سينا أول من درس ظاهرة تكوّن الأحافير FOSSILS[٧]، وأهميتها فى دراسة تاريخ الأرض، وعلل ظاهرة التحفر FOSSILIZATION[٨]: «إن كل ما يحكى عن تحجر حيوانات ونباتات صحيح، والسبب فيه شدة قوة معدنية محجرة تحدث فى بعض البقاع الحجرية، أو تنفصل دفعة من الأرض فى الزلازل والخسوف، فتحجر ما تلقاه، فإن استحالة الأجسام النباتية والحيوانية إلى الحجرية أبعد من استحالة المياه، وليس من الممتنع فى المركبات أن تغلب عليها قوة عنصر واحد تستحيل إليه، لأن كل واحد من العناصر التى فيها مما ليس من جنس ذلك العنصر، ولهذا تستحيل الأجسام الواقعة فى الحريق إلى النار».

كما أدرك ابن سينا «حقيقة تأثير المحاليل المحملة بالمعادن الذائبة، وكيفية ترسيب مابها من معادن.. أو ما نسميه الآن بالحمولة الذائبة»[٩].

وكان أبوعثمان عمر بن بحر بن محبوب الكنانى، الملقّب بـ (الجاحظ) قد أشار إلى ظاهرة تغيير القارات أو الانجراف القارى CONTONTAL DRIFTING **وقد أسهب كل من: أبى الريحان البيرونى والمسعودى فى حديثهما عن هذه الظاهرة الجيومورلوجية الهامة**[١٠]

• أبحاث مهمة فى شكل الأرض

وللعلماء المسلمين دراسات وأبحاث قيمة فيما يتعلق بطبيعة كوكبنا الأرضى والشكل العام له.. فقد كانوا أول من عرف أن الأرض كرة، وأن هذه الكرة لم تأخذ شكل الاستدارة الكامل، فانظروا إلى قول الإدريسى، أبو عبدالله محمد بن محمد: «.. الأرض فى ذاتها مستديرة، ولكنها غير صادقة الاستدارة»، وكان المسلمون يدركون أن الأرض ليست ثابتة، وإنما تدور بصورة دائمة ومنتظمة[١١].. ويبدو أن ما ذهبوا إليه حول كروية الأرض ودورانها، لم يعجب رجال الكنيسة فى أوربا، فقد هاجموا ــ بشدة إلى حد الضرب والتعذيب والسجن ــ كل من يؤيد أفكار المسلمين من مواطنيهم الذين اطلعوا على مؤلفات علمائنا المترجمة الى اللغة اللاتينية منذ مطلع القرن الثالث عشر الميلادى فصاعدا.. فهذا هو معلم الكنيسة لاكتانتيوس LA CTANTIUS، أنظروا ماذا يقول بلفظه؟!

«هل هذا معقول..؟! أيعقل أن يجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل فى عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم»[١٢]

---

(٨) المصدر السابق ــ ص ٥٥٥.

(٩) عدنان النقاش ــ مصدر سابق ــ ص ٦٥.

(١٠) حسنى عبدالحافظ. سابق ــ ص ٤٣.

(١١) حسنى عبدالحافظ ــ الجولوجيا عند العرب (مجلة الخفجى ــ ع ٧ ــ س ١٥ ــ ص ٢٢ ــ أكتوبر ١٩٨٥م ــ تصدر فى المملكة العربية السعودية).

(١٢) د. زيغريد هونكة: أثر الحضارة العربية فى أوربا ــ نقله عن الألمانية/فاروق بيضون، وكمال دسوق ــ راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخورى ــ ص ٣٧٠ ــ منشورات دار الآفاق الجديدة ــ طبعة سادسة ــ بيروت ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

وقد عرف المسلمون نظرية مهمة أطلقوا عليها اسم (الأرجحان)، مفادهـــا: «أن الأرض تتأرجح تارة من الجنوب إلى الشمال وتارة بالعكس»، وقد أثبت علماء العصر الحديث بما أوتوا من تقنيات صحة النظرية الإسلامية، حيث ثمة أدلة عل أن قطبى الأرض كانا خاليين من الجليد وكانا دافئين وقتا ما، وهناك آثار لنباتات المناطق الحارة فى القطب الجنوبى.

وكان إخوان الصفا أول من أشار إلى ظاهرة التفلطح فى شكل الأرض، وذلك عند حديثهم عن أثر الشمس على كوكبنا، ومما قالوه: «.. وإنما تجذبها إلى حيث دارت معها، وكيف مالت، وكان يجب أن يرتفع القطبـــان تارة وينخفضا تارة»، ويعلّق عدنان النقاش على ذلك بقوله: «ثبت حديثا أن هناك ارتفاعا بمقدار خمسين ميلا عند القطب الشمالى يقابله انخفاض بالمقدار نفسه عند القطب الجنوبى»[١٣].

* بين اليابسة .. والماء *

وقد أشار نفر من علمائنا المسلمين إلى أن ثمة علاقة وثيقة بين اليابسة والماء، وأنه بسبب هذه العلاقة نشأ العديد من الظواهر الجيومورولوجية، التى من أهمها ظاهرة وجود الصخور ذات النشأة البحرية بعيدا عن سواحل البحار، مما قاله ابن سينا عن هذه الظاهرة:

«فيشبه أن تكون هذه المعمورة قد كانت فى سالف الأيام، غير معمورة، بل مغمورة بالبحار فتحجرت.. أما بعد الانكشاف قليلا قليلا فى مدد لا تفى التأريخات بحفظ أطرافها، وإما تحت المياه، لشدة الحرارة المحتقنة تحت البحر، والأولى أن يكون بعد الانكشاف، وأن تكون طينتها تعينها على التحجر، إذ تكون طينتها لزجة، وهذا ما يوجد فى كثير من الأحجار إذا كسرت أجزاء الحيوانات المائية كالأصداف وغيرها، وكثرة ما فيها من الحجر لكثرت ما يشمل عليه البحر من الطين، ثم ينكشف عنه، وارتفاعها لما حضرته السيول والرياح فيما بينها».

وفى كتابه الموسوم (تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن) أشار البيرونى إلى نفس هذه الظاهرة أيضا، وبين بإسهاب أسباب حدوثها بما لايختلف ألبتة مع ما جاء به العلم الحديث[١٤].

ويرجع الفضل للعلماء المسلمين فى أنهم.. أول من فسر ظاهـــــرة (عدم التوافــــق UNCONFORMITY)[١٥] ومما قالــــوه عن هذه الظاهرة: يجوز أن ينكشف البر عن البحر، وكل بعد طبقه، وقد يسرى بعض الجبال كأنه منضود سافا* سافا، فيشبه أن يكون ذلك قد كانت طينتها فى وقت ماكذلك سافا سافا، بأن كل ساف

---

(١٣) عدنان النقاش: سابق ــ ص ١٠٣.

(١٤) د. حمودى عدنان: تطور الفكر الجيومورولوجى فى العصر الإسلامى الوسيط (القرن الخامس الهجرى وما بعده) دراسة منشورة بمجلة رسالة الخليج العربى ــ عدد ١٨ ــ سنة ٦ ــ ص ١٥٤ ــ تصدر عن مكتب التربية العربى لدول الخليج ــ الرياض ١٤٠٦هـ/١٩٨٦.

(١٥) د. منعم مفلح الراوى: سابق ــ ص ٥٦٢.

ارتكم أولا ، ثم حدث ــ بعد مدة أخرى ــ ساف آخر فارتكم ، وكان قد سال على كل ساف جسم من خلاف جوهره ، فصار حائلا بينه وبين الساف الآخر ، فلما تحجرت المادة عرض للحائل أن انشق وانتثر ما بين السافين ، وأن حائلا بين أرض البحر قد تكون طينته رسوبية ، وقد تكون طينته قديمة وليست رسوبية .

ويؤكد المسعودى .. أن ثمة علاقة متغيرة بين اليابسة والماء ، ومما قاله بلفظه : « يستحيل موضع البحر ، وموضع البر فليس البر أبداً براً ، ولا موضع البحر أبداً بحرا ، بل قد يكون بَرًّا حين كان مرة بحرا ، ويكون بحرا حين كان مرة براً »

* الأنهار .. والمياه الجوفية *

وإذا كان الغربيون ينسبون إلى مواطنيهم نظرية تكون الأنهار ، ومنابعها ، ومصابها ، فإن حقائق تاريخ الحضارة تثبت ، وبأحرف من نور ، أن عالمنا الفذ (المسعودى) كان له السبق فى هذا الشأن .

وقد سبق ابن سينا ، عالمَ فرنسا (جيتارد) ، بأكثر من ستمائة سنة ، فى تفسير ظاهرة (الرسوب فى الوديان .. والتوسع التدريجى لمجارى الأنهار)[١٦] .

أما البيرونى .. فقد كان أول من تحدث بشكل علمى صحيح عن ظاهرة تفتت الصخور ، وانتقالها من مكان لآخر .. وكذا ترسبها ، وانخفاضها .. ويقول د. حمودى عدنان : « إن العلاقة التى حددها البيرونى بين سرعة المجرى المائى وقطر الجزيئات المنقولة تتخذ طابع القانون العام ، والذى يمكن أن نطلق عليه اسم (قانون الفرز الميكانيكى للرواسب)[١٧] .

وقد أدرك القزوينى العلاقة بين الأنهار والمياه الجوفية ، فقال : « إذا وقعت الأمطار والثلوج على الجبال تنصب الأمطار إلى المغاور وتذوب الثلوج ، وتفيض إلى الأهوية التى فى الجبال فتبقى مخزونة فيها ، وتمتلىء الأوشال[*] فى الشتاء ، فإذا كان فى أسافل الجبال منافذ ضيقة تخرج تلك المياه من الأوشال فى تلك المنافذ فيحصل منها جداول .. وتجتمع بعض الجداول إلى بعض فيحصل منها أودية وأنهار »

(١٦) حسنى عبدالحافظ : الجيومورولوجيا عند العرب ــ سابق ٤٢ .

(١٧) د. حمودى عدنان : سابق ــ ص ١٥١ ــ ١٥٢ .
(*) الأوشال : مجارى هذه المياه .

« ويخلق ما لا تعلمون ... »

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

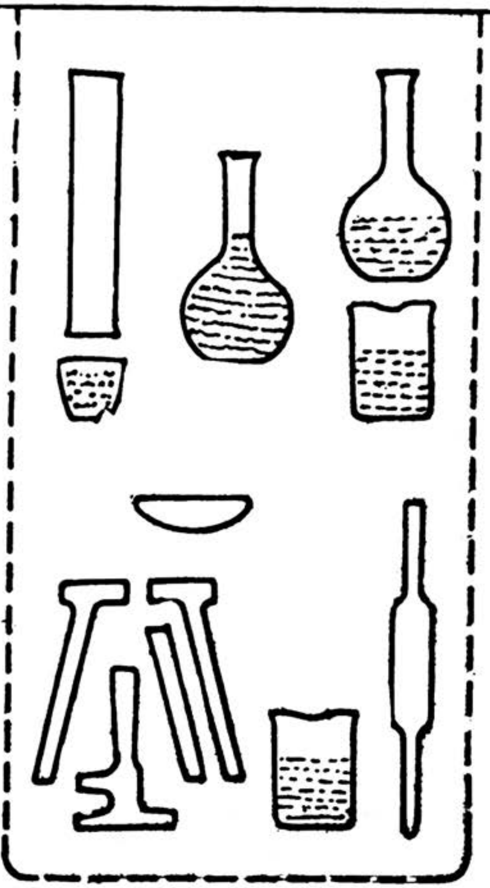

جهاز لاختبار المعدات الإلكترونية

أنتجت شركة بريطانية للإلكترونيات جهازاً حديثاً لاختبار (الاهتزازات عالية التكنولوجيا) ويستخدم فى فحص المعدات الإلكترونية المتطورة التى تهتز بعنف لاكتشاف العيوب وتصحيحها ، وتعتبر هذه الاهتزازات هى العدو الخفى الذى يمكن أن يتسبب فى مشاكل خطيرة فى عدد من الصناعات مثل : صناعة الطائرات والسيارات والأجهزة الكهربائية . وقد تم استخدام هذا الجهاز فى اختبار ماسحات الرادار الضخمة التى تستخدم فى برامج الفضاء الجوى الدولى .

اكتشاف سحب من بخار الماء فى الفضاء الخارجى

أعلن علماء الفلك فى معهد « ماكس بلانك » بألمانيا أن التلسكوب الفضائى الأوروبى صور ـ لأول مرة ـ وجود غاز ثانى أكسيد الكربون المتجمد حول مجموعة من الأجرام الفضائية فى مجرة « درب التبانة » ، كما بينت عمليات الرصد

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

وجود سحب واسعة من بخار الماء الساخن فى التكوينات الغازية الساخنة وهو الكشف الذى وصف بأنه مثير جدا وجديد تماما ، وقد رصد العلماء من قبل وجود الماء فى مثل هذه التكوينات ، إلا أنه لم يكن فى شكل بخار ماء ساخن ، ولم يكن شائعا بمثل هذه الدرجة .

جهاز جديد لإنتاج الزجاجات البلاستيكية

أنتجت شركة فرنسية جهازاً جديداً لإنتاج الزجاجات البلاستيكية المشكلة مسبقاً ، وهو يعمل بالنفخ بأسلوب آلى تماماً ، ويتم عمل الجهاز على عدة مراحل حيث يقوم بتسخين الزجاجات ، ثم مطها ، ثم نفخها داخل قالب ، ويتميز الجهاز الجديد بتحسين جودة (المط) للزجاجات وآلية تغيير الأشكال وسهولة استخدامه وقلة نفقات تشغيله .

بحث علمى يدحض نظرية تطور الإنسان

تحدى العلماء البريطانيون فى جامعة « ليفربول » الرأى العلمى السائد بأن الإنسان الأول كان يمشى على يديه ورجليه مثل الشمبانزى ، وذكر العلماء : أن الرأى الأرجح هو أن الإنسان الأول كان يسير منتصب القامة تماما مثل إنسان اليوم ، وأوضحوا أنه لو كان الإنسان القديم يسير منحنيا كما تصور ذلك بعض النظريات العلمية ، فإنه لم يكن من الممكن أن يعتدل فى قامته ويسير كما هو الآن أبدا ، وقد تم استخدام الحاسب الآلى لإثبات ذلك .

وقال العلماء : إن المشى بشكل منتصب يساعد الإنسان على التنفس بشكل جيد عكس قرود الشمبانزى عندما تمشى منحنية فإنها تسير لوقت قصير للغاية ، لأن هذا الوضع لا يساعدها على التنفس الصحيح ، هذا بالإضافة إلى أن علم الآثار أثبت أن الإنسان القديم كان يمشى لأكثر من ٢٠٠ كيلو متر ، وهذه المسافة لا يمكنه قطعها وهو فى حالة انحناء .

مادة بلاستيكية جديدة «جيدة التوصيل» للكهرباء

توصل بعض علماء الكيمياء البريطانيين إلى إنتاج مادة بلاستيكية مصنوعة من (مادة البوليمر) ، وتتميز هذه المادة البلاستيكية الجديدة بأنها جيدة التوصيل للكهرباء ، ولها بريق الذهب ويتم إنتاجها على شكل شرائط أو خيوط أو بلورات ويمكن أن تحل محل المعادن فى بعض الصناعات مثل صناعة (شرائح السيليكون) .

مجفف للمواد المطاطية

صممت شركة فرنسية مجففا يعمل بالأشعة فوق البنفسجية للصق مواد التغطية أو التغليف كالطلاء والغراء والصمغ على المسطحات البلاستيكية ، ويقوم المجفف بالتعديل السطحى للتركيب الجزيئى للمواد المطاطية والبلاستيكية لتقليل شد المسطح ، ويتميز المجفف بأداء عال وهو مزود بجهاز نفخ يسمح بتغطية ناعمة وممتازة

للمسطح دون إحداث أى خشونة حتى لو كانت طبقة الطلاء سميكة ، وهو مزود كذلك بمغير للسرعة يعمل باستمرار مع نظام تهوية ملائم موجود بداخله .

دراسة حديثة تؤكد أهمية (فيتامين «د»)

ذكرت دراسة أمريكية نشرت فى مجلة « أكاديمية العلوم الأمريكية »» ، أن إضافة فيتامين « د » إلى الطعام يمكن أن تؤخر أعراض الشيخوخة ، وأن تعاطى جرعة معتدلة من فيتامين « د » يمنع ظهور عدد من التغييرات التى تطرأ على المخ وخلايا الدم البيضاء مع التقدم فى السن ، وأثبتت التجارب التى أجريت على حيوانات التجارب أن زيادة كمية فيتامين « د » فى طعامهم ، أدت إلى تأخير ظهور التغييرات التى تؤدى إلى موت الخلايا ، ويقول الباحثون : إن فيتامين « د » يؤدى دورا مضادا للتأكسد ، ويحمى من التلف بسبب هذه العملية .

الليـــزر لعـــلاج آلام الظهــر

قامت مجموعة من أطباء جراحة المخ والأعصاب بجامعـــة « جراتس » بالنمسا ، باستخدام أسلوب جديد لعلاج آلام الظهر يعتمد على استخدام نوع من أشعة الليزر ، حيث يتم إدخال إبرة تحتوى فى داخلها على ألياف ضوئية لتوصيل أشعة الليزر إلى مكان الغضروف الذى يسبب الألم ، ثم يقوم الجراح بتوجيه الأشعة إلى الغضروف والتخلص منه تماما ويستغرق ذلك كله حوالى ٥ ــ ١٠ دقائق ، دون الحاجة إلى تخدير كلى أو جراحة كبيرة ، وتتميز هذه الطريقة بالمحافظة على بقية العضلات والعظام وجذور الأعصاب المحيطة بالغضروف المصاب .

اكتشاف المورثة المسببة لمرض (الفيل)

توصل فريق من الباحثين الأمريكيين إلى المورثة التى تمثل الخلية العصبية (للورم الليفى) الذى يسمى « بمرض الفيل » ، وهذا الورم الليفى يتحول إلى أورام خبيثة تظهر فى أى مكان بالجسم وقد تغير شكل العظام وتسبب الشلل ، ويصيب هذا المرض مولودا من بين حوالى (٤٠٠٠) مولود بالولايات المتحدة الأمريكية ، وسوف يساعد اكتشاف هذه المورثة إلى تفادى هذا المرض وعلاجه .

جهاز طبى لعلاج (الأوديما) بجسم الإنسان

طورت شركة طبية فرنسية جهازا طبيا يساعد على دوران الدم الوريدى والسائل الليمفاوى بطريقة الضغط ، فيتم امتصاص أو اختفاء « الأوديما » ، ويعمل الجهاز آليا بحيث يزداد الضغط تدريجيا على أجزاء الجسم المطلوب علاجها بحيث لا تضر الأوردة السطحية ، فيتم تصريف السائل الليمفاوى بفاعلية ودقة متناهية ، ويتم استخدام هذا الجهاز بواسطة الأطباء المتخصصين فى الأوردة والأوعية الدموية .

اللغة والنقد والأدب

أثر الأخطاء الصوتية للناطقين بغير اللغة العربية على ألفاظ القرآن الكريم

بقلم : محمد السيد (*)

تقديم : إن اللغة الإنسانية هى من أفضل الوسائل الاتصالية بين الأمم والشعوب ، كما أنها الخاصية التى حبا الله ـ سبحانه وتعالى ـ بها الإنسان وميزه عن سائر مخلوقاته ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴾ (١) .

ومن ثَمّ فإن اللغة نعمة كبرى من نعمه تعالى على الإنسان ، فهى وسيلةٌ لحمل المعانى المختلفة التى يرغب الإنسان فى إيصالها لغيره . ومقوم من مقومات التعبير الأساسية ..

ولقد تبوأت لغتنا العربية مكانة مرموقة بين اللغات العالمية فى عالم اليوم . حيث إنها تعتبر لغة عمل دولية فى منظمة « اليونسكو » منذ عام ١٩٦٩ م ثم فى الأمم المتحدة منذ عام ١٩٧٤ م . وتستخـدم كذلك فى المنظمـات الدوليـة و « الأفرو آسيوية » .

كما أضحت هذه اللغة الثرية تغزو الفكر العالمى غزوا ، ويكشف الكثير من علماء الغرب مميزاتها المتفردة ، وخصائصها المميزة .

يؤكـد ذلك « روفائيـل بتـى » فى كتـاب « THE ARAB MIND » فيقول : (إننى أشهد من خلال خبرتى الذاتية أنه ليس هناك من بين اللغات التى عرفتها لغة تكاد تنافس العربية سواء فى طاقتها البيانية أو قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك وأن تنفذ بشكل مباشر إلى المشاعر والأحـاسيس تاركـة أعمـق الأثـر فيها) (٢) .

وفوق هذا كله فإن لغتنا العربية هى التى اختارها الله ـ عز وجل ـ لتكون لغة القرآن

(*) كلية التربية ـ جامعة المنوفية .

(١) سورة البلد آية رقم ٥ ، ٦ .

(٢) د . محمود كامل الناقة ، تعليم اللغة العربية للناطقين بلغات أخرى ، مجلة دراسات عربية مكة المكرمة ـ جامعة أم القرى ـ العدد ١٤ : سنة ١٩٧٧ .

الكريم ، هذا الكتاب الجامع لكل المعانى وأنبل الأهداف وأسماها ، فضلا عن أن اللغة العربية هى الوحيدة التى تستخدم جهاز النطق الصوتى فى الإنسان على أتمه(*) ، دون إهمال لمخرج صوت ، أو الضغط على حرف دون آخر .

كذلك « تمتاز اللغة العربية بقوة بيانها » وأصالة ألفاظها ودقة أصواتها فلم تختلط فيها الأصوات ، بل ميزت بين الفتحة والضمة والكسرة فكان ذلك دليل فصاحتها ، وشاهدا على دقة أصواتها »(٣) وهى أداة من أدوات الاستمتاع والتذوق الأدبى الذى تنمو به الوجدان ، وتطرب لمواضعة الآذان .

وَمن ثم فقد أقبل الكثير من الناطقين بغير العربية على تعلمها فكان البَدَهىُّ أن تكون هناك جهود مبذولة لانتشار وتعلم هذه اللغة مثال ذلك :

● قرار مجلس التربية فى ولاية « كاليفورنيا » بشأن تدريس العربية فى جميع المدارس الثانوية بالولاية . وذلك باعتبارها لغة ثانية .

● طلب جامعة « بركلى » الاهتمام بتعليم اللغة العربية للأجانب ، وذلك لتوفير الأعداد اللازمة من المعلمين ، وكانت اللغة العربية فى بريطانيا من ضمن اللغات الأجنبية التى يختارها الطالب فى أكبر مدارس الحكومة فى لندن .

● وفى الأرجنتين كان هناك اتجاه سائد إلى الدراسات الإسلامية ، ومن ثم فقد اتجهت بطبيعة الحال إلى الدول العربية للاستعانة بها فى تدريس اللغة العربية والدراسات الإسلامية .

● فى الباكستان وبعض الدول الأفريقية تدرّس اللغة العربية كلغة إجبارية بعد لغة هذه البلاد .

أما فى البلاد الأوروبية بوجه عام فإن اللغة العربية هى الرابعة أو الخامسة من بين أهم اللغات الأجنبية التى يتم تعليمها فى كثير من البلاد الأوروبية .

أما عن الجهود المبذولة على المستوى العربى لتعليم العربية فإنها تتمثل فيما يلى :

ـ فتح كثير من المراكز لتعليم اللغة العربية للناطقين باللغات الأخرى وهذه المراكز منها ما هو موجود داخل الوطن العربى ومنها ما هو موجود خارجه .

ـ إيفاد المدرسين المجيدين ليعلموا اللغة العربية خارج الوطن العربى .

ـ تقوية مالدى الأمة العربية من جذور خارج حدودها ، وتتمثل هذه الجذور فى السلالات البشرية التى تنتمى إلى الأصول العربية وطال عليها العهد خارج بيئتها الأولى .(٤) .

ـ إنشاء المراكز العلمية لتخريج المعلم المتخصص فى تدريس اللغة العربية وذلك مثل : مشروع مدينة البعوث بالأزهر ، ذلك المشروع العملاق الذى يقوم بتعليم اللغة العربية وعلوم القرآن الكريم للوافدين من أبناء العالم الإسلامى ، ومعهد اللغة العربية بالرياض ، ومعهد الخرطوم ، ومشروع

---

(٣) عباس محمود العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب ، القاهرة ، دار المعارف ص ١١ .

(*) ستقدم المجلة ـ بمشيئة الله ـ دراسة فى هذا الموضوع وتأمل أن يتم ذلك سريعاً .

(٤) د . مصطفى النحاس عبدالواحد : (أثر بعض طرق التدريس فى التغلب على الصعوبات الصوتية التى تواجه الأجانب فى تعليم اللغة العربية) رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية العربية ـ جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ م .

كلية الألسن لتعليم اللغة العربية بالراديو . وغير ذلك من المدارس والمعاهد والمراكز المستحدثة هنا وهناك .

ومع هذه الجهود المبذولة التى امتدت لتشمل العالم الغربى والعربى ، إلا أن هؤلاء الدارسين للغة العربية من غير الناطقين بها . لازالوا يستشعرون صعوبات كثيرة عند تعلمهم للعربية .

ولعل ذلك يرجع إلى أسباب متفاوتة يطول الحديث عنها فى هذا المقام .

ولكن الذى يعنينا الآن هو كيف انعكست هذه الصعوبات على نطق بعض هؤلاء لألفاظ القرآن الكريم وتلاوة آياته ؟؟ وفيما يلى بسط ذلك :ــ

إن مَن يتعلم العربية من غير أبنائها له هدف يرمى إليه .

فالبعض يتعلمها كوسيلة لغاية يهدف إليها ، كفهم العلوم التى يدرسها بالجامعة مثلا ، والبعض الآخر يهدف من وراء تعلمها ربحا تجاريا ، ولكن البعض من هؤلاء يقبل على اللغة العربية كغاية فى ذاتها ، أو وسيلة لقراءة **القرآن الكريم وتدبر آياته** وهـذه الفئـة يجدر بنـــا بسط الحديث عنها . فنقول :ــ

● إن الإقبال على تعلم العربية كوسيلة لقـراءة كتاب الله غاية نبيلة ، وغرض سامٍ ، ينبغى تقدير أصحابه ، وتشجيع ذويه ، ولكن وبنفس القدر من تشجيع هؤلاء يجب أن نقودهم إلى التعلم الصحيح ، والطريقـة المثلى فى نطـق الكلمـة العربية ، خاصة إذا علمنا أنهم إلى تلاوة القرآن يهدفون ، وإلى الإسلام ينتمون .

قد يقول قائل : (كفى هؤلاء الأعاجم نطق الكلمات القرآنية كيفما ينطقون ، وذلك تشجيعا لرغبتهم . وحرصا على استمرارهم فى مسلكهم ، ونحن ــ ومع حرصنا على تشجيع هؤلاء ــ نؤكد على ضرورة ضبط النطق ، وسلامة الصوت ، والحفاظ على خروج الحرف من مخرجه الصحيح ، لأن الغاية لتعليم هؤلاء هى ذلك الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٥)

لذلك يشترط الاكتمال والدقة فى نطق الآيات القرآنية ، خاصة وأن هؤلاء سيعودون إلى بلادهم مزودين بالطريقة الصوتية فى نطقهم للكلمات القرآنية فيعلمون أولادهم وغيرهم هذه الآيات بتلك الطريقة الصوتية التى تعلموا بها .

ومع مرور الزمن تكمن خطورة هذا الخطأ والتشويش الصوتى الذى يجعل من الضرورى تزويد هؤلاء الدارسين (٦) ببرامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها وتزويدهم بمنهج قرآنى يتدرج معهم فى تعلمهم . بحيث يقوِّم لسانهم ويدَرِبهم على النطق القويم ..

ومما لا شك فيه أن الناطق بغير العربية يصعب عليه أن ينطق العربية مثل نطق أهلها . فمهما حاول أو أجاد فسيظهر فى نطقه بعض الأخطاء

(٥) سورة الزمر آية رقم ٢٨ .

التى يمكن التجاوز عنها فى غير المفردات القرآنية وآيات الكتاب العزيز ، ولكن عندما يتصل النطق بالآيات القرآنية فلابد من الإجادة والدقة .

من الأخطاء الصوتية للناطق بغير العربية :

(ا) قد ينطق بعض الناطقين بغير العربية حرف التاء من اللثة بدلا من كونه من الأسنان فإن ذلك لا يؤثر فى المعنى ، ولكنه عندما يقرأ بهذا النطق آية قرآنية فإن هذا يُعد عيبا يجب تقويمه .

(ب) ومن مظاهر ذلك ما يسمى « الفروق الفونيمية »(*) وهو أن يستبدل الناطق حرفا بحرف آخر ، فيقول فى « سال » « ذال » فهذا الفرق فى النطق فرق خطير ومن شأنه تعديل المعانى وإبعاد حقيقة مغزى الكلمات .. وكذلك الفرق بين الأصوات المتشابهة مثل [ت ، د] [د ، ض] . [ك ، ق] [ث ، ذ] [س ، ز] [ذ ، ظ] [س ، ص] [س ، ش] [ح ، هـ] .

فمثلا قد يقرأ البعض منهم قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(٦)

« الثالمون » بإبدال الظاء ثاء » .

(جـ) ومن مظاهر ذلك أيضا ضعف قدرة بعض الأجانب على نطق حرف الحاء ؛ واستبداله بحرف الهاء ، فيقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ ٱلْحَاقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴾(٧) .

« الهاقة » .

وهذه بعض المشكلات الصوتية المتعلقة بـ « الفونيمات الأساسية » Phonemes والتى يجب أن تعالج فى مهدها .

(د) ومن أمثلة المشكلات الصوتية فى جانب « الفونيمات الثانوية » الخلط بين حرف اللين (الألف أو الواو أو الياء) وبين حركته المماثلة له ، حيث لا يفرق الدارس بين « الفتحة » والألف ، ومن ثم فإنه يقصر الألف التى تستحق المد ولا ينتبه للفرق بينها وبين الفتحة ، فينطق قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾(٨) .

دون الألف الممدودة ، الأمر الذى لا يتناسب مع النطق الصحيح للآية القرآنية ..

وكذلك فى حالة الواو حيث لا يمكنه التفريق بينها وبين الضمة فيقرأ قوله ـ تعالى ـ :

﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾(٩) ..

قد أفلح المؤمنون دون إظهار حرف الواو .. وكذلك فى حالة الكسرة حيث لا يستطيع أن يفرق بينها وبين الياء فينطق . قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ﴾(١٠)

---

(٦) سورة الحجرات آية رقم ١٠ .

(٧) سورة الحاقة آية رقم ١ .

(٨) سورة الرحمن آية رقم ٦ .

(*) الفونيمة : PHONEME ، وهى إحدى وحدات الكلام الصغرى التى تساعد على تمييز نطق لفظة ما عن نطق لفظة أخرى فى لغة أو لهجة (منير البعلبكى) المورد ، قاموس : انجليزى عربى ـ بيروت دار العلم للملايين ـ ١٩٨٦ م ، ص ٦٨٢ .

(٩) سورة المؤمنون آية رقم ١ .

(١٠) سورة الزمر / ٧١ .

وسبق الذين ، دون إظهار حرف الياء ، ظناً منه أن الياء هى الكسرة .

وهذا عيب خطير فى نطق الكلمة العربية .. وأشد خطرا عندما يتصل بنطق لفظ من ألفاظ القرآن الكريم .

(هـ) هذا ومن المظاهر الموقفة للتأمل أن نجد من أبناء العربية من يخلطون بين الحروف فينطقون القاف كافا ، أو الثاء سينا ، فنجد بعض المذيعين ينطقون بعض الآيات .

﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً ﴾ المؤمنون / ١٤

فينطق الثاء سينا ، والطاء تاء ، وهذه مشكلة تدعو إلى التأمل والدراسة والعلاج . حتى لا تتحول الحروف القرآنية إلى حروف أخرى . فيبعد المعنى وينأى المدلول .

(و) ومن مظاهر ذلك أيضا ما تراه وتسمعه فى نطق بعض المذيعات حين تنطق القاف كافا فتقول فى « قلب » « كلب » ، وهى رقة مصطنعة تحول دون المضمون الحقيقى لكل صوت من الأصوات . ولعمرى كيف يتسنى للغة تأدية وظيفتها الدلالية والاتصالية إذا ما اختلطت إشاراتها ووحداتها الصوتية .

إن لكل صوت قالب معين إذا ما أخرج عنه ضاعت شخصيته ، وذهبت دلالته ، وكان اللبس والغموض فى الكلام .

إن اللغة العربية : لغة القرآن ، ولسان الإسلام وترجمان المدنية والحضارة ، ومن واجب الأمة الإسلامية والعربية أن تعالج هذه الظواهر الصوتية سواء أكان الواقعون فيها من أبناء العربية أم كن الناطقين بغيرها ، فإذا كان الخطأ ناتجا عن الجهل بأصوات العربية أوجبنا تعلم الأصوات كما تفعل الأمم الحريصة على لغاتها « فلقد قامت فى إنجلترا جمعية المحافظة على صوت « R » وجعل أعضاؤها من أنفسهم حراسا عليه يراقبون الناطقين والمذيعين ويرشدونهم ويوجهونهم حتى لا يضيع هذا الصوت أو يشوَّه فى يوم من الأيام[11] ..

وحيث إن لغتنا هى لغة القرآن الكريم فحرِىٌّ بنا أن نحافظ على كل صوت فيها وكل حرف من حروفها .

إن هناك الكثير من المشكلات التى تواجه اللغة العربية عندما تغيب عنها نماذجها المثالية ، وقوالب أصواتها المحددة ، خاصة وهى فى موقف إثبات ذاتها أمام دعوات هدامة ، وأفكار مستوردة يحمل قبعاتها : العَلْمانيون وغيرهم ، وهم يقصدون رمى اللغة العربية بالجمود والعجز أمام متطلبات العصر وتقدمه العلمى ، ولكن الله من ورائهم محيط .

ومن ثم فإننا مطالبون اليوم أن نعلمَ لغتنا لغير الناطقين بها تعليما دقيقا ، يتمشى مع متطلبات المتعلم ، ويتلاءم مع تكوينه النفسى والعقلى ، كما نقدم له خير الطرائق والوسائل التعليمية التى تتضمن أنماطا موحدة فى كل نظم اللغة العربية وأصواتها .

---

(١١) فاطمة محجوب : دراسات فى علم اللغة المتقدمة ـ القاهرة ـ دار المعارف : ١٩٨٤ م .

أسباب الصعوبات الصوتية :

إن متعلمى اللغة العربية من غير أبنائها يجدون صعوبة فى التحدث بها ـ وتظهر هذه الصعوبة فى نطقهم للآيات القرآنية التى ينطقها المسلمون منهم ولعل هذه الصعوبات الصوتية ناتجة عن الأسباب التالية :

١ ـ عدم وجود بعض الأصوات فى اللغة الأم للمتعلم ؛ فقد لا يوجد فى لغته حرف الضاد المفخم ، فيتعود لسانه على نطق الحرف دالا .

٢ ـ خلط الناطق بين الحرف العربى وبعض الحروف عنده فى لغته الأصلية ، ومثال ذلك : أن يخلط بين الصاد والسين مثلا .

٣ ـ خطأ الناطق فى إدراك الفروق بين الأصوات العربية وظنه أنها ليست مهمة ، قياسا على ما فى لغته ، مثال ذلك عدم التفرقة بين السين والزاى ، أو الثاء والظاء .

٤ ـ خطأ الناطق فى إدراك ما يسمع ؛ فينطق على أساس ما يسمع فيؤدى خطأ السمع إلى خطأ النطق .

٥ ـ قد يضيف المتعلم إلى اللغة العربية أصواتا غريبة يستعيرها من لغته الأم ؛ فقد يميل الأمريكى إلى استخـــدام صوت « P » أو « V » لأنها مستعملة فى لغته .

٦ ـ اشتراك اللغة العربية فى بعض الأصوات التى قد توجد فى لغة الناطق ولا تنطق ، مثال ذلك حروف الهاء عندما يكون فى آخر الكلمة فإن من ينطق الإنجليزية كلغة أصلية لا ينطقها .

٧ ـ قد يصعب على غير العربى التمييز بين الحروف ، وذلك مثل التمييز بين حرف الهاء والحاء ، والهمزة والعين ، والكاف والقاف .

٨ ـ قد توجد بعض الاعتبارات الاجتماعية المتوارثة تحول بين النطق الصحيح للحرف وذلك يتمثل فى حرف الثاء ، أو الذال ، فإن هذين الحرفين يحتاجا ـ إلى إخراج اللسان من الفم وجعله فى منطقة الأسنان العليا وهذا يعتبر سلوكا معيبا عند بعض الشعوب ، ومن ثم فهم لا ينطقونها بشكلها الدقيق .. ومخرجها الصحيح ..

٩ ـ صعوبة نطق بعض الأصوات العربية بطبيعتها .. مثل : الضاد ، الظاء ، وهذه أصوات مفخمة تصعب على الناطق الأجنبى .

١٠ ـ وكما يصعب على الناطق للعربية وهو من غير أهلها نطق بعض الحروف ، فإنه كذلك يصعب عليه التمييز بين الضمة القصيرة والواو ، مثال ذلك « قتلوا » « قوتلوا » وكذلك يصعب عليه التمييز بين الكسرة القصيرة والياء الطويلة ، مثال ذلك : « بَعُدَ » و « يُعيد » وذلك يتضح فى نطق بعض المسلمين الذين يتحدثون الإنجليزية كلغة أم .

هذه بعض مظاهر الأخطاء الصوتية التى تعترى بعض الناطقين للغة العربية وهم من غير أبنائها . **وتتركز هذه الأخطاء عادة لدى مسلمى البلاد الآسيوية الذين يأتون لتعلم اللغة العربية والقرآن .**

وبدهى أن هذه الأخطاء ناتجة عن تعود الناطق للأصوات بطريقة معينة قد عوّده عليها آباؤه ، ثم البيئة المحيطة به . فنا وهو ينطق الحروف من مخارج معينة .

وقد تبقى بعض المخارج دون تدريب عليها أو استخدام ، ومن ثم فإن الناطق للعربية وهو من غير أبنائها يجد صعوبة فى استخدام هذا المخرج .

إن ترك هؤلاء الناطقين لآيات الله على ما هم عليه من أخطاء صوتية يعد أمرا جد خطير ، ذلك لأن الأمر يتعلق بالألفاظ القرآنية . وهى تنزيل من حكيم حميد .

ومن ثمَّ **فإن على المعنيين بتعليم اللغة العربية والقرآن الكريم لغير العرب أن يؤسسوا تعليمهم على منهج قرآنى من قصار السور** « بحيث تمد المتعلم بأفكار نافعة وثروة لغوية مفيدة حيث يتعود النطق الصحيح لصوت الكلمة بمفرداتها وتراكيبها ، لأن المتعلم الأجنبى لا يستطيع أن يستوعب ما يتعلم ويجيد نطقه دون تعلم الأصوات »[١٢] . ورب قائل يقول : كيف يمكن تعلم المبتدىء الآيات القرآنية فى حين أنه لم يستطع نطق العربية نطقا صحيحا ؟؟ ونحن مع تسليمنا بأن الناطق من الأجانب للعربية سيجد بعض الصعوبات عند بداية تعلمه فإننا نرى من الضرورى حقا تقديم هذ المنهج المؤسس على الآيات القرآنية .

على أن يكون ذا مواصفات تربوية صحيحة بحيث يراعى فيه مطالب هؤلاء الدارسين ، وأهدافهم من تعلم العربية (تلاوة أو فهما ، أو تجويدا) ، وبحيث يكون هذا المنهج مراعيا لهذه الأهداف ولخصائص المتعلمين النفسية والعقلية ، كما يجب أن يكون هذا المنهج متدرجا من السهل إلى الصعب فليس من المعقول أن يقدم للأجنبى آية تتكون من عشرين كلمة قبل أن يُقدم إليه آية تتكون من عشر كلمات مثلا ، ومن ثم فإن المنهج يجب أن يتناسب مع مراحل دراستهم وبرامجهم .

كما نريد أن نؤكد على أن هذا المنهج القرآنى ينبغى أن يقدم لمن أنهى منهم دراسة المرحلة الثالثة أى بعد أن يكون المتعلم قد قطع شوطا كبيرا فى نطق الكلمة العربية وقراءتها وكتابتها وإملائها ، وإن كانت بعض الدراسات قد أكدت على الاهتمام بتعليم الأصوات مع بداية المرحلة الأولى من مراحل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها[١٣] .

ومن الاقتراحات المثمرة فى هذا الصدد أن يتم التعلم للعربية وفق طرق ووسائل تربوية حديثة بحيث تُستغل حواس المتعلم . استغلالا طيبا فى عملية التعلم ، ومن خير الوسائل التعليمية فى ذلك : المعامل الصوتية بحيث يكون المعلم الذى يقوم بالتعلم عليها ذا خبرة ودراسة كما أن طريقة المعلم وتحمسه للعمل يُعد خير عون لتحقيق التعلم المنشود .

وبقيت كلمة أخيرة وهى : **أهمية إقبال الأجنبى على تعلم الفصحى مباشرة حتى ولو كان مبتدءا . فخير للأجنبى أن يتعلم جوهر اللغة العربية وحقيقة مضمونها ؛ من أن يتعلم خليطا من اللهجات العامية ، قد تكون سهلة إلا أنها غير مثمرة ، فليست المشكلة فى كم نعلم ، ولكن فى كيف نعلم ؟؟ .**

---

(١٢) محيى الدين الألوائى : الوسائل العلمية لحل المشكلات اللغوية وقائع ندوات تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، الجزء الثانى ، الرياض مكتب التربية العربى لدول الخليج ١٤١٢ هـ ص ٥٩ .

(١٣) أنظر : مصطفى النحاس عبدالواحد (أثر بعض طرق التدريس فى التغلب على الصعوبات المرئية التى تواجه الأجانب فى تعليم اللغة العربية) رسالة ماجستير غير منشورة ـ كلية التربية ـ جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ م .

طبقات المحققين والمصححين

(٦)

الأستاذ الدكتور السيد الجميلي

من مشايخ المحققين المشاهير من أنعم الله عليهم برصيد وفير من الأخلاق الكريمة المرضية ، ولم يخرجوا عن أسلافهم الكرام في دائرة العلم والفضل والفضيلة، فقد كتب الله -تعالي- على أيديهم خيراً عميماً ، وفضلا عظيما.

كانت الأمة أحوج ما تكون إلي ما قدموه وأسدوه فى سخاء منقطع النظير.

كان من محققى الطبقة الثانية أيضا **الدكتور طه الحاجرى ، والدكتور صلاح الدين المنجد ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن** (بنت الشاطىء) وهى كما نعرف العالمة المحققة ، أرملة الشيخ العلامة المرحوم أمين الخولى ، والذى كان تأثيره العلمى عليها قوياً ومباشراً ومثمراً .

وقد ألفت الدكتورة بنت الشاطىء عديدا من الكتب ولها كثيرٌ من البحوث والمقالات العلمية والمنشورات البحثية ذات الطابع المتميز ...

وحسبها تحقيق « مقدمة ابن الصلاح » التى قدمتها للمكتبة الحديثة فى دقة وبراعة .

● ● ●

كان الناشرون فيما خلا وسلف يتهافتون على العلماء للاستعانة بهم فى مقتضيات الضبط والتصحيح والنشر على وجه العموم ، والاستئناس بآرائهم وإرشاداتهم فى التأليف والتحرير والتصنيف ، وكان لكل ناشر عالم أو أكثر مأثور عنده مقرب منه ، وكان أولئك الناشرون فيما فرط من ذلك الزمان الطيب يقدرون جهود العلماء فأنزلوهم منازلهم من الإكبار والتقدير .

كان الخانجى يستأثر بالأستاذ عبدالسلام محمد هارون ، وكان الحلبى يستأثر بالأستاذ إبراهيم الإبيارى والأستاذ محمد أبوالفضل إبراهيم ، كما كان أحمد مخيمر ــ رحمه الله ــ أحد مصححى الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

● من كبار علماء هذه الطبقة ورجالها المبرزين الأستاذ الدكتور الشاعر الكبير محمد عبدالمنعم خفاجى الأديب الذى ساير النهضة الميمونة مع الصفوة المختارة .

تخرج الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى فى الأزهر الشريف مثله مثل أترابه من أبناء القرية المصرية ثم ترقى فى التدريس حتى صار عميداً لكلية اللغة العربية أطال الله عمره وبارك فيه .

وهو شارح ومحقق كبير عنِىَ بتحقيق وإخراج ونشر كثير من الكتب التراثية الدينية والأدبية والتعليمية وقد أعاد النظر فى كثير من كتب القدامى ، فعمد إلى نشرها وتبسيطها للدارسين بشروح نفيسة قيمة حاصرة ، مشفوعة بمقدمات علمية جامعة ما فيها من علم غزير ومادة سخية وثقافة واعية واسعة .

ولا ننسى ــ فى مقام رجع الفضل لأهله ــ أن نذكر سعيه المشكور ، وعمله المحمود ، وصنيعه الطيب على مدار ستين عاماً تقريباً من التأليف والتحقيق والنشر ما قدمه للمكتبة ، فقد حقق ونشر كتاب « الفصيح » لشيخ العربية أحمد بن يحيى ثعلب . و « شرح مقامات الحريرى » للشريشى ، و « دلائل الإعجاز » لعبد القاهر الجرجانى و « أسرار البلاغة » له أيضاً ، وله « تهذيب الأجرومية » فى النحو والصرف وغيرها .

والأستاذ الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجى ــ فوق هذا كله شاعر يقول الشعر ، فى مناسبات دينية وعلمية وأدبية .. وليس هذا جديداً ولا غريباً على عملاق قطع رحلة العلم بحثاً

ودراسة وتحقيقاً ونشراً فضلا عن عاطفة شاعرية ، ونفس رقيقة شفافة دقيقة التكوين .

ومنذ نحو ربع قرن أو ما يقرب من ذلك كان يحرر فى (مجلة الهلال) أبواباً ثابتة تقريباً تتميز كلها بالمنهج الأدبى البحثى الراق لعالم له مكانته الأدبية ، وله دوره المشهود ، وإسهاماته الملحوظة فى النهضة المعاصرة .

نسأل الله أن يُطيل لنا فى عمره ، وأن نستمتع ببحوثه وأشعاره على صفحات الأهرام وغيرها . فإنه بقية جيل العمالقة الأفذاذ .

● ● ●

● الأستـــــاذ الصاوى ، صاحب « لسان العرب » ، من رجال الطبقة الأولى ، وهو أحمد ابن محمد الصاوى العارف بالله ، كان مالكياً خلوتيا ولد فى « صا الحجر » من **إقليم الغربية بمصر** ، وكان والده ـ رحمه الله ـ من كبار الأولياء . ولد سنة ١١٧٥ هـ ، وتوفى سنة ١٢٤١ هـ ، عن ستة وستين عاماً .

نشأ وتربى فى « صا الحجر » فحفظ القرآن الكريم صبياً ، ثم انتقل للقاهرة بعد ذلك ؛ فاجتهد فى طلب العلم فى الأزهر المعمور ، وكان ذلك سنة سبع وثمانين ومائة وألف للهجرة .

وهو الذى عمد إلى ضبط وتحقيق لسان العرب وهو أول من فكر فى ترتيبه ولم يكن معروفاً إلا بالصاوى فى ذلك الوقت وهو اسم الشهرة له .

وله : « الفرائد السنية » شرح همزية البوصيرى وشرح ديوان جرير ، وكانت له مطبعة فأغلقها .

وقد ترك تراثاً مضنوباً به من المخطوطات غير المطبوعة من تأليفه ، وقد طُبع قليل منها بعد ذلك ، ولم يعرف مصير غيرها ، وقد احتضنه الأستاذ الابيارى ، وكان كبيراً للمصححين بالدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر .

من مؤلفاته : « بلغـة السالك لأقـرب المسالك » وهى حاشية على الشرح الصغير لأقرب المسالك فى الفقه المالكى لسيدى أحمد الدردير ـ طبعة بولاق سنة ١٢٨٩ هـ ، ثم طبعة مصر سنة ١٢٩٩ هـ ، ثم طبع الجزء الثانى بالمطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ و ١٣٢٣ هـ ، و « حاشية على تفسير الجلالين » بهامشها تفسير الجلالين المذكور وقد طبع الجزء الرابع منه فى بولاق سنة ١٢٩٥ هـ ، ثم أعيدت طباعته فى المبعة الشرقية سنة ١٣٢٧ هـ وغير ذلك من الكتب .

حــول خاتمــة

ابن عباد المأسوية

بقلم: محمــد عبدالوهــاب

أطلعنا بشغف كبير على سلسلة المقالات الأخيرة ، التى خطّها يراع الأستاذ أحمد مصطفى حافظ ، بمجلة الأزهر الغرّاء ، عن نابغة الأدب العربى الإسلامى : الدكتور : عبد الوهّاب عزّام ، رحمه الله .. وأثارت أسانا حقا ، فيما ورد بمقال عدد جمادى الآخرة ١٤١٦ هـ . عن مأساة الملك المعتمد بن عباد (الملك الشجاع والشاعر المرزأ) كما وصفه الدكتور عزام ـ بعد أن تنكر يوسف بن تاشفين له ، ونفاه إلى المغرب ، فيمن تم نفيهم من ملوك الطوائف .

وإذا كان الخلع قد تم نتيجة فتوى فقهاء المغرب ، لضمّ بلاد الأندلس إلى طاعة المرابطين والعودة مرة أخرى إلى الجهاد ضد الأسبان .. فقد توقفنا طويلا أمام ما صاحب خلع ابن عباد من اضطهاد وتنكيل ، وحاولنا أن نعرف سببه ، وأن كان ولابدّ ، فقد كان بإمكان ابن تاشفين أن يكتفى بخلعه فقط ، خاصة بعد أن اشتركا كلاهما من قبل فى قتال الأسبان ، وتعانقا ، ودعوا الله أن يجعل جهادهما خالصا لوجهه الكريم ، ثم ما أظهره ابن عباد من بطولة رائعة ، أدّت إلى جرحه فى المعركة ، ومجاهدته الباسلة للأعداء ، وهو يتمنّى الاستشهاد .

وقد دفعنا موقف ابن تاشفين حيال ابن عباد ، إلى الرجوع إلى المصادر التاريخية لمعرفة الأسباب والدوافع لهذا الأمر ، وذلك إتماما للفائدة .. فمن ذلك قول ابن خلدون :

« إن الفقهاء بالأندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم ، فتقدم بذلك إلى ملوك الطوائف ، فأجابوه بالامتثال ، حتى إذا رجع عن بلادهم ، رجعوا إلى حالهم .. فلما أجاز ثانية ، انقبضوا عنه ، إلا ابن عبّاد ،... » .

وإذا كان الأمراء قد انتهجوا سبيل القطيعة بالنسبة إلى جند المرابطين ، فإن ابن عباد تميّز بأنه ظل يمد إليهم يده ، تحدوه إلى ذلك مصلحته كصاحب إمارة ، أكثر تعرضا لهجوم النصارى .. ولا شك أن المرابطين كانوا يدركون البواعث التى يصدر عنها عباد فى موقفه ذاك ، لكنهم على ذلك لم يحاكوه الحساب .

على أنه سرعان ما اتضحت نواياه أمير أشبيلية (أى ابن عباد) فإنه يوم قام المرابطون بخلع عبد الله بن بلجين ـ صاحب غرناطة ـ لم يتردد المعتمد فى المطالبة بإضافتها إلى أملاكه .. وهو أمر ما كان للمرابطين أن يسلّموا به ، فكأنّما رأوا فى مطالبته ، ما ينذر بمراوغته[1] .

هذه واحدة ، والثانية ما ذكره المستشرق الألمانى (فون شاك) الذى أقام فى أسبانيا عامى : ١٨٣٩ و ١٨٤٠ ، وأثمر ذلك تأليفه لكتابه : (الشعر العربى فى أسبانيا وصقلية) فى ثلاثة أجزاء ، يقول فى الجزء الأول منه : «وهكذا ثبّت الإسلام أقدامه فى الأندلس من جديد ولكن الذين كانوا شادته ، حتى هذه الساعة ، أمراء وملوكا ، (أى ملوك الطوائف) أزيحوا عن عروشهم ، أو احتوتهم السجون ، ودفعوا ثمن العون الذى قُدّم لهم (من ابن تاشفين) غاليا على حين جعل يوسف من أسبانيا الإسلامية ، جزءا من امبراطوريته العظيمة »[2] .

وثالثة الأثافى التى يرويها لنا الأستاذ على أدهم عن ابن تاشفين تكمن فى استضافة المعتمد له فى أشبيلية ، وهو فى طريق عودته إلى المغرب ، « وتولىّ إكرامه والحفاوة به ، بما عرف عنه من فرط الكرم ، ولكن أصحاب يوسف بن تاشفين ، كانوا ينبهونه إلى تأمل النعمة التى يتقلب فيها المعتمد ، وما حفّه من أسباب الترف والدعة والاستمتاع .. ولا نزاع فى أن يوسف بن تاشفين الذى أذهب صدر عمره فى شظف العيش ، كان لا يرتاح إلى ما رأى عليه المعتمد ، من النعمة والترف ، وبدت منه كلمات عبر بها عن سوء ظنه بسلوك الأمير ، الذى يعيش على هذا النمط من أنماط الحياة ، وقدر أنه لابد أن يكون ظالما لرعيته ، مضيعا لحقوقها مقصرا فى أداء واجباته والنهوض بتبعاته »[3] .

---

(١) انظر كتاب (ابن تاشفين) للأستاذ عبد الحق حمّوش مطالع دار الكتب ـ الدار البيضاء .

(٢) انظر كتابه المذكور ص ٦٤ ترجمة الدكتور الطاهر أحمد مكى ط دار المعارف ١٩٩١ م .

(٣) انظر كتابه صور تاريخية ص ١٢٣ .

ولكن المستشرق (دوزى) ينفى ظلمه لرعيته ، بدليل قوله عنه « لقد أسف عليه الناس أكثر مما أسفوا على أى شخص آخر ، دون استثناء ، تماما كما يأسف الإنسان على آخر وردة فى الموسم وآخر شعاع من أشعة الشمس الغاربة » « بعد أن أراد القدر له أن يكون آخر أمير أندلسى الأصل ، يحمل فى ـ جلالِ علم ـ ثقافةً فكرية وقومية ، قدّرلها أن تنطوى ويذهب ريحها ، تحت ظل المرابطين الذين فتحوا البلاد .. لقد أحاط به عطف خاص ، لأنه كان أصغر ، وآخر فرد ، من أفراد تلك الاسرة الكثيرة العدد ، أسرة الأمراء الشعراء ، الذين حكموا الأندلس »[٤] .

هذا ، وقد أمر ابن عباد أن تكتب على قبره ، بعد وفاته ، الوصية الشعرية التالية :

قبر الغـــريب سقـــاك الرائـــح الغـــادى
حقا ظفرت بأشلاء ابن عبّاد
بالطاعـــن الضارب الرامـــى إذا اقتتلـــوا
بالموت أحمر .. لرائـــــح الغـــادى

نعـــــم . هو الحق وافـــانى به قدر
من السمـــاء فوافـــانى لميعـــاد
ولم أكـــن ـ قبـــل هذا النـــعش ـ أعلمـــه
ان الجبـــال تهادى فوق أعـــواد

وهذا بعد أن وصف نفسه فى الأسر ، بأنه :

غريب بأرض المغـــــــربين أسير
سيبكـــى عليـــه منبر ، وسريـــــر
وتندبـــه البـــيض الصوارم والقنـــا
وينهلّ دمـــــع بينهن غزيـــــــر
إذا قيـــل فى (أغمـــات) مات جوده
فمـــا يرتجى للجـــود بعـــد نشور
مضى زمـــن ، والملك مؤتـــنس به
وأصبـــح عنـــه اليـــوم وهـــو نفـــور

هذا ما أردنا تحقيقه وإضافته ، وبالله التوفيق .

---

(٤) انظر كتاب دورى (تاريخ المسلمين فى أسبانيا) ص ٤٢٢ ، وكتاب الدكتور الطاهر أحمد مكى (دراسات أندلسية : فى الأدب والتاريخ والفلسفة) ط دار المعارف سنة ١٩٨٣ ص ٢٤١ .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

التوكل على الله

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات التى تحض على التوكل على الله ، والتى تأمر به ؛ لما للتوكل على الله من فضل عظيم على المسلم ، يضمن له السلامة مع الناس ومع النفس ، ومن هذه الآيات قول الله ـ تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ ﴾ سورة الطلاق (٣)

وقوله : ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ التوبة ـ ٥١

وقوله : ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾ سورة إبراهيم (١٢)

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارىء كمال عبدالمنعم محمد خليل ـ الكوم الأحمر ـ بنى سويف :

يقول فيها :

التوكل على الله تعالى صفة وصف الله بها عباده المؤمنين فقال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) ﴾ سورة النحل

والذى يتوكل على الله تعالى لابد وأن يأخذ بالأسباب التى يترتب عليها نجاح أى أمر من الأمور ، وإن لم يفعل ذلك ويأخذ بأسباب النجاح فإنه يكون متواكلا أى: متكاسلاً ، لأن التواكل عكس التوكل ، وقد ضرب لنا النبى ﷺ مثالاً بالطير الذى يأخذ بالأسباب من أجل أن يأتى برزقه الذى قسمه الله له ، فعن عمر بن الخطاب

رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا » رواه الترمذى وقال حديث حسن .

فانظر – رحمك الله – إلى الطير وهى تصحو مبكرةً ، خاوية البطون فتسيح فى الأرض تبحث عن طعامها ، وتعود آخر النهار وقد امتلأت بطونها برزقها ، ولاعيب إطلاقا أن نتعلم من مخلوقات الله فى هذا الكون .

ونرى فى زماننا كثيراً من الشباب أخلد إلى الراحة وترك الأسباب وهو يريد للقمة أن تأتى إلى فيه ، وهذا لا يليق بشباب المسلمين الذين يقرأون فى سيرة النبى ﷺ ويعلمون موقفه فى الهجرة من مكة إلى المدينة والأمور التى فعلها لتتم الهجرة بسلام مؤديا واجبه مع علمه أن الله ناصره ومؤيدهفإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

فعلينا أن نتوكل على الله تعالى فى كل أمورنا ونأخذ بالأسباب التى تصل بنا إلى التفوق والنجاح ، وبذلك نكون فعلا من المؤمنين الذين وصفهم الله تعالى بقوله :

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾ سورة الأنفال

الحفاظ على المال العام فى الإسلام

ومما كتبه القارىء : حبيشى حسن حسين – خطيب بالأوقاف طنسا – ببا – بنى سويف :

للإسلام تعاليمه فى الحفاظ على المال العام ومن ذلك ما ورد فى كتاب الله : ﴿ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ **آل عمران : ١٦١**

أى أن من يأخذ شيئا من مال المسلمين بدون وجه حق ، يعذب به يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وكلنا يعلم أن الدين يحارب الفساد ، الذى يؤدى بالمجتمعات إلى التهلكة ، واستغلال المال العام لمصلحة القائمين عليه من أسوأ أنواع الفساد فتكاً وتدميراً للمجتمعات فعن عبدالله بن عمر قال : « كان فى عهد رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال رسول الله ﷺ هو فى النار فذهبوا ينظرون إليه ، فوجدوا عباءة قد غلها » رواه أحمد والبخارى .

ولقد ثبت فى البخارى وغيره من حديث أبى هريرة أن الرسول – عليه الصلاة والسلام – قال : « لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته فرس أو شاه » .

وجاء فى حديث آخر متفق عليه أنه قال لمن غلَّ شراكا – أى : سير نعل على ظهر القدم : شراك من نار أو شراكان من النار .

وهذه أدلة دامغة على حرص الإسلام على الحفاظ على المال العام .

من إبداعات القراء

ووردت من فضيلة واعظ مركز مغاغة الشيخ حسن رمضان فتوح هذه التحية إلى العاملين بمجلة الأزهر ، فشكراً له ونسأل الله دوام التوفيق لنا وله ولكل المؤمنين .

تحية إلى مجلة الأزهر!!

قمــــرٌ مطـــــلٌ كل شهــــر نورٌ على الدنيـــــا ظهـــــر
فقـــــهٌ وتفسيـــــرٌ جليـــــل علـــــمٌ وفتـــــوى وسور
وطرائـــــفٌ تُغنـــــى القلـــــوب وبـــــابُ شعـــــر مزدهـــــر
تحيـــــا به الـــــروح التـــــى تشقـــــى بآثـــــامٍ كُثُـــــرْ
حكمـــــة الإسلام تتـــــرى فى بحوث تنـــــتشر
كلمـــــا ظهـــــر الهلال مُتِّـــــعَ القـــــلبُ والنظـــــر
شكـــــراً «لشيـــــخ أكبر» بمواقـــــف التقـــــوى بهر
شكـــــراً لكـــــلِّ مشارِكٍ مِنْ مطبعـــــىَ مبْتَكِـــــر

القـــــدس

الأستاذ / مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية هزت مشاعره دعوة السناتور الأمريكي (بوب دول) إلى نقل السفارة الأمريكية من تل أبيب إلى القدس .. فأنشأ يقول ـ فى القدس .

الله بالإسْرَاءِ أعْلَـــــى قَدْرَهُ فَأَتَـــــى إِلَيْـــــهِ مُحَمْـــــدُ يَتَشَوّقُ
القُـــــدْسُ بالإصْرارِ سَوْفَ نُعِيـــــده والمسجـــــدُ الأقْصَى بِهِ يَتَأَلَّـــــقُ
سَنُعِيـــــدهُ فى فَرْحَـــــةٍ ، أعْلَامُنـــــا مِنْ رأسه مَرْفُوعَـــــةُ تَتَعَانَـــــقُ

العبادة وإلف العادة

ومن القارىء : السعيد السيد المرسى ـ كلية أصول الدين ـ دسوق ـ كفر الشيخ :

وردت هذه الرسالة التى تحمل عنوان « خطر العادة » وفيها يظهر متعة القصد فى العبادة . حيث يقول فيها :

إن الاسلام دين السماحة ودين الوضوح ، الذى زود كل عادة حسنة بذكر الله فجعل منها عادة وقربى ، تقول السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ « ما تمتع المشركون بمتاع إلا تمتعنا به ، وزدنا عليه تقوى الله » .

إن أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ لتقصد بذلك أن المشركين يتمتعون ، ولكنهم يعصون الله ، أما المؤمنون ، فهم يتمتعون وفى كل متعة يجعلونها لوجه الله ـ سبحانه ـ فالمؤمن إذا أكل ذكر الله ، وإذا قام ذكر الله ، وإذا نام ذكر الله ، فكانت كل أوقاته معمورة بذكر الله قال تعالى :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) ﴾ سورة الأنعام

إن الله ـ تعالى ـ قد فرض فرائض ، وسن النبى ـ ﷺ ـ الكثير من السنن ، وتمسك بها السلف الصالح وتبعهم المؤمنون من بعدهم ، ولكن أخوف شىء على الأمة أن نرى قوماً ليس لهم من عبادتهم غير تقليد ورثوه ثم هو بعد ذلك عادة ألفوها .

فأخطر ما فى ذلك أن عملهم بلا مقصد ، لأنهم إنما قاموا لأداء عادة لا إقامة عبادة . وهذا طريق من طرق الشيطان إلى الإنسان .

ولكن المؤمن ـ حقا ـ هو الذى يعلم أن العبادة : عبادة فى مضمونها ، عبادة فى مقصدها ، عبادة فى فعلها ، فعليه أن يكون متوجهاً إلى الله ـ سبحانه ـ بكل جوارحه ، حتى يجد حلاوة إيمانه تثمر فى قلبه ، فالغزو الفكرى ضد الإسلام والمسلمين أول أهدافه أن يحول تلك العبادة إلى عادة ، حتى يسهل عليهم أن يقتلعوا العبادات من جذورها ، ولعل ذلك مما يوده المبطلون من حصر الإسلام فى مجرد أداء الصلوات ، ولكن هيهات ... فالإسلام الذى ارتضاه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لعباده الصالحين أشمل وأعمق ويصل إلى أدق تفاصيل حياة المؤمن وأشمل خصائص الأمة .

عبدالرحمن بن عوف

أما القارىء : طه حامد إسماعيل أفندى ـ قلما ـ قليوب :

فقد أرسل هذه السطور عن سيدنا عبدالرحمن بن عوف ـ رضى الله عنه ـ يقول فيها :

هو : سيدنا عبدالرحمن بن عوف بن الحارث ، من أعلام الإسلام النابهين ، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين ، عاش فى مكة ، ونشأ عزوفاً عن أباطيل الجاهلية ، أسلم على يد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وهاجر إلى الحبشة ، ثم هاجر الهجرة الكبرى إلى المدينة بعد هجرة النبى ﷺ إليها ، مضحيا بماله فى سبيل الله ، وكان ـ

دعوة الاستغفار

كما حملت رسالة القارىء : ربيع عبدالعظيم الأكيادى « دعوة الاستغفار » يقول فيها :

روى الترمذى عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « أنزل الله أمانين لأمتى :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

الأنفال ـ ٣٣

فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة .

إنها دعوة صريحة لمن يريد الأمان بكثرة الاستغفار فمن فوائد الاستغفار :

* ماورد فى القرآن العظيم حكاية عن نوح ـ عليه السلام ـ وهو ينصح قومه :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾

سورة نوح

ففى هذه الآية ست فوائد للاستغفار :

وفى الحديث الذى رواه أبوداود وابن ماجه عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن النبى ﷺ قال : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب » .

وفى الحديث ثلاث فوائد .

وهناك الكثير والكثير .

فعلينا أن نلزم الاستغفار ، لنفوز بالأمان .

رضى الله عنه

رضى الله عنه ـ مثالياً فى كل شىء ، فقيها فى الدين بصيراً بالكتاب والسنة ، وهو أحد الذين توفى الرسول ﷺ وهو عنهم راض .

وكان من الستة الذين رشحهم عمر ـ رضى الله عنه ـ لاختيار أحدهم خليفة ، لكنه بايع عثمان ـ رضى الله عنه .

ومات ـ رضى الله عنه ـ سنة ٣١ هـ بعد أن عاش ٧٤ (أربعاً وسبعين) سنة ، قضاها فى نصرة الإسلام والبر بالفقراء والمحتاجين ، وعتق الرقاب ، فجزاه الله عنا وعن الإسلام أعظم الجزاء .

ردود وتعليقات

القارىء : محمد عبدالعاطى عبدالرحيم زراعة الأزهر ـ أسيوط .

قصيدتك « حى على الجهاد » محاولة طيبة ، ونتمنى لك مزيدا من التقدم والإتقان ، وأملنا أن يفك الله أسر القدس ويلم شمل العرب والمسلمين فى كل مكان .

القارىء : على عبدالحميد عبدالله الدقهلية ـ مركز بلقاس ـ قرية العريض .

يسعدنا أن ترى نظرياتك النور إذا كانت ـ تلك الأفكار ـ تقوم على قواعد علمية ثابتة ونهنئك بها .

وعليك أن ترسل إلى إدارة المجلة بعضاً منها ، وسنقوم بعرضها على أساتذة متخصصين لإبداء الرأى وإفادتك .

القارىء : حمادة محمد كمال عطية دنجواى ـ شربين ـ دقهلية .

مرحبا بمساهماتك ، ونحن على استعداد لنشر ما فى مستوى النشر منها ـ بإذن الله ـ تعالى .

القارىء : كمال محمد حسن حميدة البحيرة ـ إتاى البارود .

نأسف لعدم توفر الأعداد التى طلبتها من مجلة الأزهر فجميع الأعداد السابقة نفدت ، أما بالنسبة للاشتراك فى المجلة عن الأعداد التالية فعليكم الاتصال بقسم الاشتراكات بجريدة الأهرام شارع الجلاء ـ القاهرة .

القارىء : أشرف سليم سيد محمد ببا ـ سدس الامداد ـ بنى سويف .

نرحب بمساهماتك ، ونحن نساند كل ما هو جديد طيب ، أما بخصوص الكتب التى طلبتها فعليك الاتصال بإدارة المشتريات بالأزهر ـ المجاورة لمدينة البعوث الإسلامية .

القارئة : ماجدة حسين هجرس (أم حسن) المعلمة بمدرسة حسنى مبارك الأعدادية ـ الزقازيق .

وصلتنا مساهمتك بعنوان « القرآن والعلوم المختلفة » ونرحب بمساهمات أخرى أكثر إفاضة بمشيئة الله تعالى .

● بمشيئة الله تعالى ستوالى المجلة نشر الرسائل التى ترد إليها تباعاً .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسى • مصطفى عبدالمجيد

قرارات لشغل الوظائف القيادية الخالية بالأزهر الشريف

ـ أصدر فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر قرارا بندب فضيلة الشيخ سامى محمد متولى الشعراوى وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات للقيام بعمل أمين عام مجمع البحوث الإسلامية .

ـ كذلك أصدر فضيلته قرارا بإسناد أعباء وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية للخدمات إلى فضيلة الشيخ على محمد على فتح الله الذى كان يشغل مدير عام المكتبات والكتب الدراسية .

ـ كما أسند إلى فضيلة الشيخ أحمد على الصغير مدير عام التعليم الابتدائى القيام بعمل وظيفة وكيل قطاع المعاهد الأزهرية لشئون المناطق .

ـ وأسند إلى فضيلة الشيخ محمد إبراهيم عبدالغنى خفاجى مستشار مادة (أ) بدرجة مدير عام القيام بعمل وظيفة مدير عام التعليم الابتدائى .

ـ وأسند إلى فضيلة الشيخ أحمد مصطفى الجندى مستشار مادة (ب) بقطاع المعاهد القيام بوظيفة مدير عام المكتبات والكتب الدراسية .

ـ وأسند إلى فضيلة الشيخ محمد على معوض القيام بعمل وظيفة مدير عام شئون المناطق الأزهرية .

ـ وتم نقل فضيلة الشيخ محمد صبحى دياب مدير عام منطقة الشرقية إلى وظيفة مدير عام منطقة المنصورة الأزهرية .

ـ كما أسند إلى أصحاب الفضيلة الآتية أسماؤهم بعد العمل بوظيفة مدير عام منطقة على النحو التالى :

- فضيلة الشيخ أحمد محمد حسن لمنطقة الشرقية الأزهرية .
- فضيلة الشيخ محمود محمد سيد الحجر لمنطقة القليوبية الأزهرية .
- فضيلة الشيخ أحمد عبداللطيف النوساتى لمنطقة شمال سيناء الأزهرية .
- فضيلة الشيخ سعد عبداللطيف أبوسعيد لمنطقة البحيرة الأزهرية .

الإمام الأكبر فى تفهنا الأشراف

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بزيارة لقرية (تفهنا الأشراف) إحدى قرى محافظة الدقهلية . حيث قام بوضع حجر الأساس لبعض المشروعات المزمع إقامتها بالقرية ، كذلك قام فضيلته بافتتاح المنشآت التى تم الانتهاء من إقامتها ، وتفقد فضيلته المعاهد الأزهرية وبعض كليات جامعة الأزهر بالقرية .

فى بداية جولة فضيلته بالقرية قام بوضع حجر الأساس للمستشفى القروى ومبنى كلية الدراسات الإنسانية للبنات ومدينة مبارك الجامعية للطلاب .

كذلك افتتح فضيلته مبنى المدينة الجامعية المؤقتة للطلاب ، ومبنى الطالبات الجديد ومبنى كلية التربية للبنين ومجمع الخدمات للجامعة والقرية الذى يشمل (السنترال) ومكتب البريد .

كذلك تفقد فضيلته بعض المشروعات الجارى إنشاؤها ، وقام فضيلته بزيارة مبنى كلية الشريعة والقانون ، كما زار المعاهد الأزهرية بالقرية بمختلف مراحلها الابتدائية والإعدادية والثانوية ، وكلية التجارة – فرع البنات ومصانع الأعلاف ومبنى المركز الإسلامى الذى يشمل المسجد والمكتبة ودار الحضانة القائمة على مساحة ١٢٠٠ م .

وفى ختام الزيارة شهد فضيلته المؤتمر الشعبى الذى أقيم بمناسبة زيارة فضيلته للقرية وشهده محافظ الدقهلية والسيد صلاح عطية المشرف على المشروعات المقامة بالقرية وفضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر والقيادات السياسية والشعبية بمحافظة الدقهلية .

إستقبالات الإمام الأكبر

استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ أحمد الخليلى مفتى سلطنة عمان يرافقه معالى الوزير يحيى ابن محفوظ المندرى وزير التعليم العالى ورئيس جامعة السلطان قابوس وسعادة السفير عبدالله البوسعيدى سفير السلطنة بالقاهرة .

وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

كذلك أبلغ السيد السفير فضيلته تهنئة جلالة السلطان قابوس بن سعيد بهذه المناسبة ، كما تناول اللقاء الإشادة بالدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف من خلال بعثاته التعليمية المنتشرة فى مختلف ربوع العالم الإسلامى والعربى لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

وقد وجه سماحة المفتى دعوة رسمية من جلالة السلطان قابوس بن سعيد لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة سلطنة عمان فى الوقت الذى يحدده فضيلته .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف والوفد المرافق على هذه التهنئة كما حمله إبلاغ شكره

وتقديره باسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته وعلمائه وطلابه لجلالة السلطان قابوس بن سعيد ولحكومة وشعب سلطنة عمان الشقيق .

كما أبلغ فضيلة الإمام الأكبر سماحة مفتى عمان قبول الدعوة التى وجهها جلالة السلطان قابوس لزيارة السلطنة فى القريب العاجل .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ فوزى الزفزاف الأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر وبعض قيادات الأزهر الشريف .

برقيات للإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف رسالة إلى خادم الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبدالعزيز عاهل المملكة العربية السعودية إثر حادث إنفجار (الخُبَرْ) .

خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز

هزت مشاعرنا أنباء العمل الإجرامى البعيد عن الإسلام وتعاليمه السمحة وقيم المجتمع السعودى الذى ينأى عن مثل هذا العمل الجبان الذى راح ضحيته أبرياء والذى قامت به فئة لا ترعى الله ولا مبادىء الإسلام وقيمه .

والأزهر الشريف وهو يستنكر هذا الحادث الأليم، والجرم العظيم لهو على يقين من حكمتكم الرشيدة فى معالجة هذا الحادث بما يعيد الأمور إلى أوضاعها الطبيعية لهذا البلد الآمن المستقر وحُرمة الحرمين الشريفين .

وباسم الأزهر الشريف وعلمائه وطلابه ، وجميع هيئاته والعاملين فيها - وباسمى - أقدم خالص العزاء لضحايا هذا الحادث .

وادعو الله سبحانه وتعالى أن يجنب المملكة وشعبها كل سوء وأن يجعلها كعهدنا بها بلدا آمنا مستقرا . وأن يحفظ الله الشعب السعودى من كل سوء .

كذلك بعث فضيلته ببرقيات مماثلة لكل من : صاحب السمو الملكى الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولى العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطنى ، وسمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثانى لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام .

توزيع جوائز مسابقة فضيلة الشيخ الشعراوى

قام فضيلة الشيخ أحمد السيد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف بتوزيع جوائز الفائزين فى مسابقة فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عن العام الهجرى ١٤١٥ هـ فى مجالين أولهما : الإعجاز الطبى فى القرآن الكريم ، وثانيهما : فى مجال رد الشبهات عن الإسلام .

ففى المجال الأول فاز بالمراكز الثلاثة الأولى السادة : ١ - محمود عبدالفتاح .

٢ - محمد عباس محمد عرابى .

٣ - السيد عبدالحكيم عبدالله .

وفى المجال الثانى فاز بالمراكز الثلاثة الأولى السادة : ١ - على عبدالحميد أحمد جمعة .

٢ - محمد محمد شتا أبوسعد .

٣ - إبراهيم عبدالله إبراهيم صالح .

اعلان نتيجة الابتدائية الأزهرية

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتيجة امتحان الشهادة الابتدائية الأزهرية (الدور الأول) للعام الدراسى ١٩٩٦/٩٥ .

تقدم للامتحان / ١٢٢٨٣٠ تلميذا وتلميذة .

تخلف منهم / ٦١٠ تلميذا وتلميذة .

حضر منهم / ١٢٢٢٢٠ تلميذا وتلميذة .

نجح منهم / ٧٠٨٥٦ تلميذا وتلميذة .

وبلغت نسبة النجاح ٥٧,٩٧٪ .

وفيما يلى بيانا بأسماء العشرة الأوائل على مستوى الجمهورية :

١ ـ إيمان عبدالله إبراهيم راجح ـ محافظة كفر الشيخ .

٢ ـ أيمن أحمد بسيونى العماوى ـ محافظة الغربية .

٣ ـ إسلام عبدالمنعم عبدالحفيظ ـ محافظة أسوان .

٤ ـ أميمة محمد مجيب محمد ـ سوهاج .

٥ ـ أحمد عبدالرحمن أحمد بيومى ـ محافظة الشرقية .

٦ ـ هنية فتح الله سعد فتح الله ـ محافظة كفر الشيخ .

٧ ـ خاتم على أحمد عبدالمطلب ـ محافظة سوهاج .

٨ ـ عبير محمود عبدالحليم ـ محافظة البحيرة .

٩ ـ فاطمة أحمد أبوالفتوح حمودة ـ محافظة القاهرة .

١٠ ـ عبدالرحمن عبدالرحمن على ـ محافظة الشرقية .

١٠/ مكرر ـ السيد محمد السيد محمد أحمد ـ محافظة الغربية .

الإمام الأكبر يشهد ندوة القدس الشريف في العقيدة الإسلامية (القدس عربية)

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف « ندوة القدس الشريف » التى نظمتها جامعة الأزهر تحت رعاية فضيلته وبرئاسة فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس الجمعة .

أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمته أمام الجلسة الافتتاحية أن قضية القدس مصيرية بالنسبة للأمة العربية والإسلامية ، وأن فلسطين أمانة فى أعناقنا مشيرا إلى ضرورة الوقوف إلى جانب إخواننا فى فلسطين بصفة عامة وفى القدس بصفة خاصة ،

وقال فضيلته : إن القرآن الكريم عندما سجل أحداث الغزوات الإسلامية فى آياته إنما قصد تنبيه المسلمين إلى الجهاد والاستشهاد من أجل الحق ، وقال : إن الحق العربى فى القدس لو لم يجد القوة التى تحميه يموت وإن الحق يكون حينما تكون القوة .

وقال فضيلته : إننا يجب أن نداقع عن حقوقنا بشتى الطرق بما فى ذلك الاستشهاد من أجل استعادة حقوقنا الشرعية مؤكدا أن من يفعل ذلك

فإنه يلقى وجه ربه وقد رضى الله عنه .

وأضاف فضيلته أن القدس تحتل أهمية كبيرة فى وجدان كل مسلم على وجه الأرض حيث تحتضن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .. وفى هذه البقاع صلى الرسول بالأنبياء جميعا ، واستشهد فيها عشرات من صحابته ــ رضوان الله عليهم ــ أجمعين .

وقال الدكتور عصمت عبدالمجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية فى الكلمة التى ألقاها نيابة عنه السيد السفير أحمد حلمى رئيس الإدارة العامة للشئون العربية بالجامعة :

إن القضية الفلسطينية هى جوهر الصراع العربى الإسرائيلى ، وإن القدس العربية هى لب الصراع ، لذا تجلت أهمية القدس فى تصدرها لجميع قرارات مؤتمرات القمة العربية والأمم المتحدة والمنظمات الإقليمية ، والتى أكدت ضرورة انسحاب إسرائيل منها ، والتصدى لممارسات سياسات الإخلال التى تستهدف تهويد القدس ومحاولات تزييف التاريخ لاضفاء الشرعية التاريخية والدينية على اطماعها .

● ● ●

وأكد السيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة المشترك مع جامعة الأزهر فى تنظيم الندوة ــ على أن هذه الندوة هى تعبير عن الضمير العربى الإسلامى إزاء قضية القدس وفلسطين ولتأييد الشعوب العربية والإسلامية لقادتها والتلاحم معهم أى القادة ــ فى مسعاهم النبيل لإنقاذ قبلة المسلمين الأولى وتأكيد حق الشعب الفلسطينى فى دولته المستقلة مشيرا إلى أن أقوى ضمان للسلام المنشود هو أن يزول الظلم الصارخ عن شعب فلسطين ، وأن يمارس حقه المشروع فى دولته المستقلة وعاصمتها القدس .

ثم تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر مؤكدا على أن القدس جزء من العقيدة الإسلامية مشيرا إلى أن جامعة الأزهر قد عقدت ندوات عديدة للتوعية بقضية القدس التى تهم جميع المسلمين .

ودعا فضيلته إلى تحريك الرأى العام العالمى للوقوف إلى جانب الحق الفلسطينى والعربى فى دفاع المشروع عن قدسه الشريف .

وأكد الأستاذ الدكتور مفيد شهاب رئيس جامعة القاهرة أنه بإمكان العرب التركيز على حقهم بالقانون . وقدم بحثا بعنوان (القانون الدولى وقضية القدس) ، ونبه سيادته فى الكلمة التى ألقاها إلى أهمية المدخل القانونى فى معالجة أية قضية عربية أو إسلامية خاصة قضية الصراع العربى الإسرائيلى عند اللجوء إلى المنظمات الدولية فى عرض قضاياها ، وقال : إننا أمام عدو يتزرع ببنود القانون الدولى ويستشهد بها لتبرير عدوانه ضدنا برغم صدور عشرات القرارات الدولية التى تؤكد حقنا فى مدينة القدس ، وأكد الدكتور مفيد شهاب على أن دعوته إلى سلوك المنهج القانونى فى مواجهة الخصوم لا تعنى التخاذل عن دعم كافة مصادر قوتنا العسكرية والاقتصادية والسياسية والعلمية والتكنولوجية أو الاكتفاء بأننا أصحاب حق ، وإنما المقصود أنه لو صلح استخدام المنهج القانونى السليم سياسيا أو إعلاميا لكسب العرب وضعا أفضل فى المجتمع الدولى ومع المؤسسات الدولية يضمن لهم استرجاع هذه الحقوق .

الإمام الأكبر يترأس اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف

ترأس فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف اجتماع المجلس الأعلى للأزهر ، وقد بعث المجلس ببرقية تهنئة وتأييد للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة العربى بالقاهرة ونجاحه فى جمع الشمل هذا نصها :

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك رئيس جمهورية مصر العربية .

يتشرف المجلس الأعلى للأزهر الشريف برئاسة فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بأن يتقدم لسيادتكم بأسمى آيات التقدير والتأييد مهنئا بنجاح مؤتمر القمة العربى .

ويعرب علماء المجلس الأعلى للأزهر الشريف عن ارتياحهم الكامل وسعادتهم الغامرة لسياستكم الرشيدة فى لَمّ الشمل العربى وتضميد الجراح وتوحيد الأمة العربية إلى هدف واحد تحقيقا للسلام الشامل والعادل .

رعاكم الله وأبقاكم وسدد على طريق الخير خطاكم ودمتم ذخرا للأمة العربية والإسلامية .

هذا وقد بحث المجلس قواعد وشروط قبول الطلاب المصريين والوافدين بمرحلة الإجازة العالية بكليات جامعة الأزهر للبنين والبنات للعام الجامعى ٩٦/١٩٩٧ .

كما بحث المجلس الموافقة على تطبيق قواعد تعيين المعيدين والمدرسين المساعدين الصادرة بالقانون ١٤٢ لسنة ١٩٩٤ على المعيدين والمدرسين بجامعة الأزهر .

كذلك تم النظر فى الموافقة على إنشاء وحدة ذات طابع خاص باسم وحدة جامعة الأزهر لأبحاث الذكورة والتناسل وعلاج العقم « بكلية الطب بنين » .

ضم معاهد جديدة

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضم المعاهد الآتية للأزهر الشريف :

- معهد الشيخ عبدالمنعم أبوالعطا الإعدادى للفتيات بالبصراط ـ مركز المنزلة ـ محافظة الدقهلية .
- معهد كفر علام الابتدائى ـ مركز منية النصر ـ محافظة الدقهلية .
- معهد الحاج السيد البيومى الابتدائى بالصياغ ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية
- معهد منشأة عبدالرحمن الابتدائى ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية .
- معهد نجير الابتدائى ـ مركز دكرنس ـ محافظة الدقهلية .
- معهد ميت خضير الابتدائى ـ مركز المنزلة ـ محافظة الدقهلية .
- معهد الخمسة الابتدائى مركز تمى الامديد ـ محافظة الدقهلية .
- معهد الروضة الإعدادى للبنين مركز فارسكور ـ محافظة دمياط .
- معهد فتيات أحمد أبوشامية الثانوى بكنيسة دمشيت مركز طنطا ـ محافظة الغربية .
- معهد الصحافة الابتدائى مركز مشتول السوق ـ محافظة الشرقية .

ـ معهد المدينة المنورة الابتدائى بألماظة ـ محافظة القاهرة .

ـ معهد « أبو حنيفة النعمان » الإعدادى للبنين ـ محافظة الدقهلية .

ـ معهد الحريزات الشرقية الابتدائى ـ مركز المنشأة ـ محافظة سوهاج .

الإمام الأكبر فى محافظة المنوفية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بزيارة لمحافظة المنوفية يرافقه السيد محافظ المنوفية وفضيلة مدير عام المنطقة الأزهرية ولفيف من العلماء والقيادات السياسية والشعبية ، حيث افتتح فضيلته المعهد الأزهرى الابتدائى المتطور (بقرية سنتريس) .

كذلك افتتح فضيلته مجمع المعاهد الأزهرية بسبك الأحد الذى تم بناؤه بالجهود الذاتية .

وقد شهد فضيلته المؤتمر الشعبى الكبير بقصر الثقافة الجماهيرية بالمحافظة حيث قام خلال المؤتمر بتوزيع الجوائز المالية على الفائزين فى مسابقة حفظ القرآن الكريم حيث بلغت جملة الجوائز مائة ألف جنيه . وقد ألقى فضيلته كلمة فى جموع الحاضرين بين فيها فضل القرآن الكريم وحفظه والعمل به وحث المسلمين على التمسك بكتاب الله الخالد « القرآن الكريم » الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وشكر القائمين على هذا العمل .

ودعا فضيلته الأئمة والوعاظ بمنطقة المنوفية إلى الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتوحيد فتاواهم ومحاربة الجهل والتعصب لتوضيح حقائق الدين الحنيف وتعريف الناس بشريعتهم الإسلامية السمحة الغراء . كما وجههم بأن يكونوا قدوة طيبة حسنة لغيرهم .

الإمام الأكبر يلتقى وعلماء الوعظ بالأزهر الشريف

التقى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بأصحاب الفضيلة العلماء مديرى عموم مناطق الوعظ بالأزهر الشريف على مستوى الجمهورية ، وذلك فى المؤتمر الذى عقد بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر ، وقد تم خلال الاجتماع مناقشة القضايا الخاصة بحسن سير الدعوة والعمل على تذليل العقبات لكى ينطلق جهاز الوعظ والارشاد بالأزهر فى النهوض برسالته ومواجهة التحديات التى تواجه الأمة فى الفترة الراهنة .

وبعد أن استمع فضيلة الإمام الأكبر لممثلى علماء الوعظ والإرشاد بالأزهر قال : إنهم واجهة الأزهر وهمزة الوصل بينه وبين جماهير الأمة ، ووعد فضيلته بالعمل على حل جميع المشكلات التى تعوق مسيرة الدعوة .

وفى ختام المؤتمر قرر علماء الوعظ إرسال برقية تهنئة إلى السيد رئيس الجمهورية على نجاح مؤتمر القمة العربى مبايعين سيادته على مواصلة الجهد فى خدمة دينهم الحنيف وأمتهم الإسلامية .

شهد اللقاء فضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة

الشيخ السيد عسكر مدير عام الدعوة والإعلام الدينى بالأزهر ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

ـ استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد المشير محمد عبدالرحمن سوار الذهب رئيس مجلس الإنقاذ السابق بالسودان ونائب رئيس المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف .

وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الصادقة داعيا المولى ـ عز وجل ـ أن يوفقه للعمل على نشر رسالة الأزهر الشريف فى مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ـ كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ محمد على ضناوى رئيس جمعية الإنقاذ الإسلامية اللبنانية ورئيس بيت الزكاة اللبنانى حيث قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر وسلم فضيلته رسالة شفهية من سماحة الشيخ محمد رشيد قبانى مفتى لبنان تتضمن تهنئة سماحة المفتى لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة اختيار فضيلته شيخا للأزهر الشريف .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر الضيف على تهنئته الصادقة وعلى رسالة سماحة مفتى لبنان .

ـ كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر سعادة السفير/ بشار ياقيس ـ سفير تركيا بالقاهرة والوفد المرافق لسعادته وذلك لتقديم التهنئة لفضيلته بمناسبة اختياره شيخا للأزهر الشريف كما تناول اللقاء طلب زيادة المنح الدراسية التى يقدمها الأزهر الشريف لأبناء تركيا للدراسة بالأزهر الشريف ، وقد أشاد الضيف بدور الأزهر الرائد فى مجال الدعوة الإسلامية ونشر الثقافة الدينية فى مشارق الأرض ومغاربها بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وفى نهاية اللقاء شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير والوفد المرافق لسيادته على المشاعر الطيبة الصادقة نحو فضيلته والأزهر الشريف .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدي عبد الحميد بشير

القاهـــــرة

قال الرئيس حسنى مبارك فى مقابلة ـ مع مندوب الصحيفة الفرنسية « لوفيجارو » ـ نُشرت يوم الجمعة ١٩ من صفر الماضى أنه يجب ألا نهتم كثيراً بالتصريحات العلنية التى تصدر عن رئيس الوزراء الإسرائيلى المنتخب ، لكن الرئيس ـ نفسه ـ حذر من مغبة تنصل إسرائيل من التزاماتها ، وقال إن عواقب ذلك ستكون وخيمة ليس على إسرائيل وحدها بل على المنطقة بأسرها ، وعارض الرئيس من زعم أن السلام ما هو إلا سراب قائلا : إنه حقيقة لا بديل عنها .

ولما سُئل سيادته ، هل تتوقعون حربا بين العرب وإسرائيل ؟ .

استبعد سيادته قيام حرب جديدة بين العرب وإسرائيل وأضاف أنه يخشى فى هذه الحالة أن يعم الإرهاب المنطقة كلها . وذكر إسرائيل بالانتفاضة الفلسطينية وقال ان نتنياهو متشدد وهو ما يعقد كل شيء وأعرب عن الأمل فى إمكان حدوث انفراج إذا تم لقاء شخصى بينهما .

تقوم مصر ـ حالياً ـ بجهود مكثفة لدفع مسيرة السلام فى الشرق الأوسط والتغلب على العقبات التى تعترضها وكانت البداية بالقمة العربية الموسعة أول هذا الصيف والتى نجحت فى لم الشمل العربى وإبراز إصرار العرب على السلام . ثم كان لقاء مبارك وشيراك فى باريس ثم لقاء مبارك والشيخ زايد ابن سلطان فى جنيف الشهر الماضى .

وتواصل مصر جهودها مع الدول الافريقية خلال القمة التى عقدت يوم الاثنين صفر فى ياوندى عاصمة الكاميرون ، حيث أجرى وزير الخارجية سلسلة لقاءات مع نظارئه الأفارقة تناولت نتائج القمة العربية التى يأمل أن تتبناها قمة ياوندى وذلك بعد وصول اليمين الإسرائيلى إلى سدة الحكم .

دمشـــــق

أعلنت إيران موافقتها على استئناف العلاقات الدبلوماسية مع البحرين وذلك بإعادة سفيرى البلدين إلى كل من طهران والمنامة ، وأكد مسئولون إيرانيون أن وزيرى خارجية البلدين

سيلتقيان ـ قريباً ـ وقد يكون ذلك فى دمشق .

وكانت العلاقات بين إيران والبحرين قد ساءت بعد اتهام المنامة لطهران بأنها سببت القلاقل السياسية التى شهدتها البحرين وهى الأحداث التى على اثرها استدعت الدولتان سفريهما وصرح وزير خارجية إيران لوكالة الأنباء الإيرانية بأن الجانبين اتفقا على تحسين العلاقات بينهما وأن سوريا ستستمر فى الوساطة بينهما .

لاهـــــاى

استمعت محكمة جرائم الحرب فى لاهاى بهولندا إلى مزيد من الأدلة بشأن ما قام به القائد السياسى والعسكرى بحرب البوسنة فى القتل الجماعى لمسلمى البوسنة والهرسك فى جيب « سرى برى نيتشا » العام الماضى وقال أحد الناجين من تلك المذابح أنه شاهد الجنرال ملتدتش ـ مرتين ـ فى مخيم الاعتقال الذى أخذ منه المسلمين ، وأنه أبلغ المسلمين أن بعضهم سيقتل ، واعترف جندى سابق فى جيش صرب البوسنة أنه شارك فى قتل مئات المسلمين وأكد أن الأوامر جاءت من مقر قيادته مباشرة وبدأ المحققون فى فحص مقبرة جماعية بالقرب من « سرى برى نيتشا » ومعروف أن تلك المحاكمات ليس إلا مناورة مفضوحة يخفى بها المجتمع الدولى تقاعسه عن مناصرة الحق .

اعتـــرافات مـــروعة

أجهش الجندى العربى ـ ذو الأربعة والعشرون عاماً ـ بالبكاء عندما قال للمحكمة أنه كان أحد أفراد مجموعة من جنود صرب البوسنة الذين أعدموا أكثر من ألف رجل مسلم فى مزرعة قرب روب قنيك وقال : ان عمليات القتل كانت تستمر طوال اليوم حيث تصل الحافلات التى تحمل الرجال إلى مصيرهم المحتوم وتطلق عليهم النيران من الخلف ، وأجير سائقى الحافلات المذعورين على قتل رجل واحد على الأقل حتى لا يدلوا بشهادات مخالفة وزعم الجندى انه احتج على ما كان يحدث فردوا عليه قائلين إن الخيار سهل وهو أقتل أو تُقْتَل وأبلغ المحكمة أنه لا يدرى كم قتل من المسلمين ..؟!

ندوة قضايا اللغة العربية

يقام بمركز « تعليم اللغة العربية للأفارقة » التابع لمعهد البحوث والدراسات الافريقية ـ جامعة القاهرة ندوة فى الرابع عشر من سبتمبر ٩٦ حول قضايا اللغة العربية فى شرق أفريقيا .

وتستهدف الندوة دراسة أوضاع اللغة العربية فى كل من : السودان ـ ارتيريا ـ أثيوبيا ـ الصومال ـ جيبوتى ـ كينيا ـ أوغندا ـ تنزانيا ؛ وذلك بهدف بحث الخلفية التاريخية لانتشار لغتنا وثقافتها العربية وما تعانيه من مشكلات راهنة فى مجال الانتشار والحفاظ على مكانتها ، سواء بفعل تعقيدات السياسات اللغوية أو التأثير القوى للغات الأوروبية التى أخذت وضعاً متميزاً كلغات تعليم وثقافة ، وأيضاً بحث كافة التعقيدات الاقتصادية والفنية المتعلقة باستخدام الحروف العربية فى كتابة اللغات الوطنية فى الدول الافريقية .

وكذا بحث قضايا تدريس اللغة العربية ووضعها فى المقررات التعليمية ، إضافة إلى بحث سبل دعم السياسات الثقافية العربية فى الدول الإفريقية فى شرق القارة ودعم أداء المنظمات والهيئات العربية المعنية بالرسالة العربية والثقافة بشكل عام فى افريقيا الشرقية ، وصلة ذلك كله بالموقف العربى العام فى القارة .

liens de parenté et vient du verbe"Rahama" qui veut dire pitié, faire miséricorde. Allah a pour attribut "Al-Rahmân" c'est à dire Le Miséricordieux.. ,Ces mots ont donc la même racine. Dans un hadith **Qudoussy (à thème divin), le Prophète -b.s- a dit : "Allah Gloire à Lui a dit au sujet des liens de parenté (Cilat Al-Rahim): "Je t'ai créé avec mes mains, J'ai dérivé ton nom du Mien, Je t'ai aussi rapproché de** Moi, Je jure par Ma Gloire et par Ma puissance que Je m'attacherai à quiconque s'attache aux liens de parenté et je couperai tout lien avec celui qui les rompt et que je ne serai satisfait que si ces liens sont respectés".Hadith rapporté par Al-Tirmidy.Ce hadith prouve que les parents ont des droits, s'ils ne les reçoivent pas en ce monde, ils les réclameront le Jour du Jugement Dernier. Il montre aussi que l'approbation d'Allah est tributaire de la satisfaction du lien de parenté (Rahim) qui, à sa création, se ~~suspendit~~ au pied du Trône divin en implorant de n'être point rompu comme nous l'apprend ce hadith du Prophète-b.s-:"Lorsqu'Allah créa la matrice, elle s'accrocha au pied du trône, alors Allah lui demanda: "Que veux-tu? Elle dit:"Ici c'est le lieu reservé à celui qui implore Ton secours afin de n'être **point rompu". Alors, Allah-Gloire à Lui-lui dit: "Oui, Certes. Serais-tu** satisfaite si Je m'attache à celui qui respecte tes liens et si Je romps avec celui qui les rompt? Hadith rapporté par Al Bokhary.

(a suivre)

lui. S'il est malade on lui rend visite, on essaye d'alléger sa peine en le réconfortant afin qu'il garde l'espoir en la miséricorde de son seigneur; on le soigne, on prend soin de sa famille durant sa maladie. S'il est égaré on l'incite à suivre le droit chemin, on le conseille, on le guide calmement avec amour et tendresse, sans rudesse en évitant de couper toute relation avec lui. Le Coran nous apprend que le Prophète d'Allah Ibrahim à lui salut dit un jour à son père en l'incitant à suivre le Droit Chemin : (O mon père, je crains que tu ne sois touché d'un châtiment du Tout Miséricordieux et que tu ne deviennes l'allié de Satan). 19 Surate

"Maryam"(Marie)V.45.Mais le père refusa de suivre les conseils de son fils, comme nous l'apprend le Coran; alors le Prophète d'Allah supporta avec patience le refus de son père et lui dit:[Paix sur toi, j'implorerai mon Seigneur, pour qu'Il te pardonne, Il a toujours été généreux envers moi.]19 Surate "Maryam" (Marie)V.47Plusieurs exemples sont cités dans le Coran pour nous montrer les diver manières de consolider les liens familiaux. Le Musulman doit être affable et indulgent avec ses frères et ses amis, mais cette conduite diffère quand il s'agit des liens de parenté.Le Prophète-b.s- a dit:"on ne peut être considéré comme ayant respecté les liens de parenté que si l'on a supporté avec indulgence de la part de l'un d'eux une offense et lui avoir pardonné, puis avoir maintenu ces liens quand même".Hadith rapporté par Al-Bokhary.Donc, rendre la pareille à un proche parent ce n'est pas maintenir les liens de parenté, mais, pour atteindre ce degré il faut que le fidèle ait surmonté un désaccord ou une séparation pour l'amour d'Allah sans rendre le mal par le mal à un proche parent. C'est pour cette raison que la plus grande noblesse de caractère consiste à pardonner l'offense, à se rapprocher de celui qui nous a abandonnés et à donner à celui qui nous a privés. Tel était le caractère du Prophète -b.s- à qui Allah a recommandé une telle conduite en disant:[Pratique le pardon, ordonne le bien et ecarte-toi des ignorants].Surate 7"Al-Araf"(Les limbes)V.199. Le mot "Rahim" désigne la matrice de la femme mais il désigne aussi l'origine des

Le respect des liens de parenté *(Cilat Al-Rahim)*

Par Hoda Hussein Chaâraoui.

Le mot "Rahim" désigne à la fois la matrice - le lieu où le foetus se développe - et les parents utérins comme les frères et les soeurs. Viennent après eux les fils des oncles et des tantes maternels ainsi que les fils des oncles et des tantes paternels. Le Musulman doit observer tous les égards envers sa mère et sa tante maternelle car toutes les deux sont utérines, ainsi que son père et son oncle paternel.

Nous voyons donc comment les liens de parenté sont de degrés divers allant du plus proche au plus lointain des membres de la famille.

L'importance des liens de parenté se place directement après la piété filiale. Dans la Surate "Al. Nissa" Allah nous a ordonné de lui vouer un culte exclusif et de lui obéir puis d'obéir à nos parents et de **respecter les liens de parenté. Allah-Gloire à Lui- a dit : (Adorez Allah** et ne lui associez personne. Soyez bons envers les parents et les proches...) Surate 4"Al Nissa" Les femmes,V.36.Ceci prouve que les proches parents ont des droits qui leur sont dus en ce monde. Ces droits se résument dans le fait de les traiter avec bonté et d'être **bienfaisant avec eux : c.à d. de leur procurer tout le bien et d'éloigner** d'eux tout mal, chacun selon ses possibilités et ses moyens. Ces liens diffèrent d'un parent à l'autre, si le proche parent est dans le besoin, il faut lui fournir l'aide financière. Le Prophète-b.s-a dit:"La charité faite à un nécessiteux est une simple charité, mais celle qu'on fait à un proche parent est à la fois une charité et une consolidation des liens de parenté".Hadith rapporté par Al-Tirmizy.Si le proche parent est opprimé on l'assiste, on le défend contre celui qui a été injuste envers

L'Imam Ahmad Al Nisa'i et Ibn Halân ont rapporté, selon Ibn Al Fakih que ce dernier a entendu le Messager d'Allah -b.s.- dire: "Satan attend le fils d'Adam dans tous les chemins. Il est posté sur le chemin de l'Islam et lui dit: "Vas-tu devenir musulman et renier ta religion et celle de tes pères? Mais l'homme lui désobéit et embrasse l'Islam. Alors Satan s'est posté sur le chemin de l'émigration et lui a dit: "Vas-tu émigrer et quitter ta terre et ton ciel?". Mais l'homme lui désobéit et émigra. Ensuite Satan l'a attendit sur le chemin du Djihad et lui a dit: "C'est une lutte pour la cause d'Allah où tu sacrifies ta vie et tes biens. Tu combats et tu es tué, alors ta femme en épouse un autre et tes biens sont divisés". Mais l'homme lui a désobéi et a lutté, pour la cause d'Allah.

Pourtant cela ne décourage pas Satan qui ne cesse de tenter les humains. C'est pour cette raison qu'Allah nous a donné l'ordre de chercher protection auprès de Lui contre Satan. De plus on trouvé maintes fois exprimée dans le Coran la recommandation de faire cela. D'autre part, les pieux, lorsqu'ils sont touchés par les instigations de Satan, se souviennent de cette recommandation, comme le dit la parole divine :

[Ceux qui sont pieux, lorsqu'il sont touchés par quelque démon, se souviennent; alors ils deviennent clairvoyants]

Sourate "Al A'raf", V 201.

Ceux qui craignent Allah recherchent sa protection pour fuir auprès de lui les instigations de Satan qui ne cesse de parer le mal à leurs yeux et de les tenter par les passions. C'est pourquoi il faut expressément avoir recours à Allah, comme le recommande le Coran :

[Si Satan t'incite à faire le mal, cherche protection auprès d'Allah; Il est celui qui entend et qui sait parfaitement]

Sourate "Fuçilat", V 36.

Combien de fois Satan n'a-t-il pas tenté les humains si bien que la majorité d'entre eux s'est laissée aller à satisfaire ses passions et à se plonger dans les jouissances illicites !

Le Prophète -b.s.- a pris soin de prévenir les hommes contre tout ce qui peut les conduire à leur perte en leur attirant la colère d'Allah.

à suivre

"Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan"

par Dr. Rokeya Gabr.

En ce mois sacré où la nation islamique fête l'anniversaire de la naissance de notre bien-aimé Mohammad -b.s.- le Prophète envoyé par Allah afin de guider l'humanité toute entière nous aimerions ici rappeler les conseils judicieux qu'il a donnés aux hommes.

Par ses innombrables qualités, Mohammad -b.s.- a toujours été un modèle vivant pour tous les humains. Ajoutons à cela ses dires et ses actions qui constituent la "Sunna" ou tradition prophétique qui est, après le Coran, le document fondamental pour tout musulman.

Les Messager d'Allah -b.s.- est donc l'exemple le plus sublime de la perfection humaine. Allah a fait de lui un imam pour les gens afin de les inciter à faire le bien de les détourner du mal et de les guider vers la Voie Droite d'Allah. Il était compatissant envers sa communauté, en les incitant à faire le bien et en réprouvant leurs actions lorsque celles-ci présentent quelque faible, ou sujettes à suspicions. Ainsi il a voulu bloquer toutes les voies à Satan car ce dernier-un ennemi déclaré de l'homme et Allah nous a prévenus contre lui comme l'affirme le verset qui dit :

[Satan est certes pour vous un ennemi, soyez donc ses ennemis]

Sour. "Fatir", V 6.

Comment peut-il ne pas être votre ennemi, alors que c'est lui qui a tendu un piège à nos encêtres Adam et Eve en les tentant pour les faire chasser du Paradis. C'est ce qui explique cet avertissement d'Allah - qu'il soit exalté - destiné aux humains à qui Il recommande de sa méfier de lui et de ne pas succomber à ses tentations. Allah - gloire à lui-dit:

[O fils d'Adam, que Satan ne vous séduise pas comme il l'a fait en faisant chasser vos ancêtres du Paradis]

Sour. "Al A'raf", V 27.

Comme il l'a fait avec Adam et Eve, Satan ne laisse passer aucune occasion sans tenter de séduire les humains. Il tend ses pièges pour assiéger l'homme de toutes parts.

REVUE AL-AZHAR

Vol-69 part III

Rabi Al-Awwal 1417h. July/Aug. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

because, as it has been said earlier, the prophet (PBUH) had no intention to offend the sanctity of the Holy City of Mecca. Therefore, on Friday, Ramadan 20 of the 21st year of the Revelation (8 of the Hijra) the Muslim army was able to enter Mecca without encountering any form of resistance.

After that, when the victorians commander (PBUH) of the Muslim army entered Mecca on his camel, his head was bent, because he held himself humble before the power of Allah Almighty. He then visited the ancient house and performed the circumambulation around the Ka'aba (as part of the Islamic pilgrimage ceremonies). Then, he ordered the destruction of 360 idols which surrounded the black stone and he ordered, as well, throwing them out of the Holy Mosque. He gave his orders that all the paintings which had been painted inside the Mosque had to be erased.

Though most of the idolaters feared the vengeance of the prophet (PBUH) and thought he would humiliate and torture them for all the sins and evil deeds they had committed against him and against the Muslims, but to their astonishment, he told them they were free people and he would not do them any harm and asked Allah to forgive them and have mercy on them.

In fact, the surrender of Mecca marked the advent of a new era which witnessed the prevailing of Islam all over the Arabian Peninsula and the downfall of the idolater's sovereignty. After entering Mecca without any fight, both men and women had come forward to declare their faith in Islam in front of the prophet (PBUH) who, thereafter, stayed in Mecca for 19 days from the day he had victoriously entered it. During his stay the prophet (PBUH) had despatched Khalid Ibn Al-Waleed to demolish Al-Ozza, which had been the greatest idol of the Qureish. Afterwards, the prophet despatched some of his men to demolish the great idols of the other tribes.

In short, it can be said that after the peaciful surrender of Mecca the Muslims were extremely happy because what Allah Almighty had promised them had become true and because Islam had become deeply rooted in the Arabian Peninsula.

The Muslim army had started out on the march to Mecca after it had completed such mobilization and preparations, which had never been known before in the Arabian peninsula.

Moreover, the prophet (PBUH) had sent out a squadran and ordered it to march towards a place named (Adamm) so as to deceive the Qureish by making them think that Mecca was not the main target and in the meantime take them by surprise and henceforth prevent them from making the necessary preparations for the battle against the Muslims.

The main Muslim army, which was composed of same 10,000 militants, continued its march until it arrived to a place beside Mecca. When the Muslims had made their camp in that area, the prophet ordered every man of the army to light his own fire. Thus, within minutes, some 10,000 fires had been set alight by the Muslims to deceive the Qureish who would believe that there were huge numbers of the Muslim warriers awaiting to fight a fierce battle.

In the meantime, the Qureish had been informed that the Muslim troops were on the march to Mecca, therefore they sent Abu Sufian, Hakim Ibn Hizam and Budail Ibn Warqaa' to discover by themselves what was really going on. No sooner did they reach the place of the Muslim camp when they were captured by the Muslim guards. To save their lives the three idolaters declared their faith in Islam in front of the prophet.

The Muslim army had continued its advance and when it reached a valley near Mecca, the prophet (PBUH) ordered the army to be divided into two wings. The right wing was under the leadership of Khalid Ibn Al-Waleed and the left wing under the leadership of Al Zubair Ibn Al-Awwam. In addition, the prophet (PBUH) had appointed Sa'd Ibn Abada as the leader of the Ansar (Helpers), and appointed Abu Obeida Ibn Al-Jarah as the leader of Al Muhajirin (the Emigrants).

On seeing such numerous troops, Abu Sufian was allowed to go back to the Qureish to inform them of that he had seen, in order to persuade them to surrender without showing army sign of resistance

After the tribe of Khoza'a had been attacked a delegation from them went immediately to inform the prophet (PBUH) that the Qureish had violated the provisions and tenus of the Hudaybiyya peace treaty. On hearing this, the prophet (PBUH) had promised the tribe of Khoza'a to help them against their enemies.

In the meantime, the Qureish, being aware of violating the treaty, decided to send Abu Sufian Ibn Harb to Medina, because they believed that the situation had become very dangerous and they were fearing that the prophet (PBUH) would resort to any punitive measure against them. To his disappointment, Abu Sufian was badly received by the people of Medina and when he met the prophet (PBUH) he could not elicit from him what he intended to do or what he was up to or what were his future plans. The prophet's wisdom and deep insight appeared here; for he did not give any clear hint to what was going on in his mind on what he was going to do.

After Abu Sufian's return to Mecca with no news about the prophet's (PBUH) intentions towards Qureish after violating the treaty, the prophet gave his orders that the Muslim army should be prepared for the next battle. He began to gather the Muslims from every part. Members of the tribes of Aslam, Ghafar, Mazina, Ashja' and Juhaina had arrived in Medina asking to be recruited as part of the Muslim army.

The prophet (PBUH) had kept the readiness for war of the Muslims as a secret so that they could take the Qureish by surprise. However, it is noteworthy to mention that though the prophet was preparing an army, yet he had not the intention of launching an attack against the Qureish, he aimed to enable the people of Mecca to become Muslims by peaceful means and without offending the sanctity of the city.

When the time to move arrived, the prophet (PBUH) made the announcement that the Muslim army's destination and objective was Mecca, moreover, on the way to Mecca he dispersed his fellowers widely in order to distract the Qureish's attention and prevent them from receiving any important details regarding the approach of a Muslim army.

The Great Battles of Islam

The Great March to Mecca

by Nahed Mohamed Wasfi Ph.D.

As it has been stated earlier, the Hudaybiyya peace treaty had permitted any of the Arab tribes to establish an alliance with either of the two parties of the treaty, i.e. the prophet (PBUH) or the Qureish. In accordance with this treaty, the tribe of Khoza'a had established an alliance with the prophet (PBUH), whereas the tribe of Bakr had established an alliance with the Qureish. Because there had been a lot of wars between these two tribes during the pre-Islamic era, it happened that a man of the Bakr tribe was killed by a man of the Khoza'a tribe for insulting the prophet (PBUH). This incident had once again ignite the enmity between the two tribes for the Bakr tribe was determined to avenge the killing of its man. Naturally, being in alliance with Qureish, the tribe of Bakr requested the support of Qureish who promised to supply the tribe with both men and weapons. On receiving help from Qureish, the tribe of Bakr had launched a surprise attack against the Khoza'as and killed a number of them nearly 20.

***Proclaim ! (or Read !) In the name of thy Lord and Cherisher, Who created — Created man, out of a clinging mass* (96/1-2).**

Also, the following verses describe the whole stages of development of human embryo from an "alaqa" to an almost a morsel of flesh. At first, the multiplying cells do not show any definite shape, but gradually most of the cells evolve into different organs of the body, while other cells do not contribute to any form. Then a cartilage structure forms, that later evolves into the skeleton bones. Later these bones are clad with muscles. Compare this sequence with the following verses :

***(consider) that We created you out of dust, then out of sperm, then out of a clinging mass, then out of a morsel of flesh, partly formed and partly unformed* (22/5)**

***Man did We create from a quintessence (of clay); then We placed him as (a drop of) sperm in a place of rest, firmly fixed; then We made the sperm into a clinging mass; then of that ... We made a (foetus) lump; then We made out of that lump bones and clothes the bones with flesh; then We developed out of it another creature* (23/13-14)**

During pregnancy; the embryo floats all the time in the amniotic fluid, that supplies it with all its needs. This liquid is kept in a strong "omnion" membrane. It gets its supply of food (and rejects wastes) through a second "chorion" membrane, that is intermediary between the omnion membrane and the third "decidua" membrane. These three membranes might be the "three-fold gloom" mentioned in the verse :

*** He creates you in the wombs of your mothers, in stages, one after another, in three veils of darkness* (39/6)**

Another possible interpretation could be the three consequtive locations of the ovum during its trip from ovulation to the bith of the full baby, i.e. :

1) the ovaries.
2) the fallopian tube where fertilization occurs.
3) the uterus.

gically correct. Products of digestion are diverted into : milk to the udder, blood to the veins, and remnants to the stool and urine, according to the verse :

***And verily in cattle (too) will ye find an instructive sign : from what is within their bodies, between excretions and blood, We produce, for your drink, milk, pure and agreable to those who drink it* (16/66)**

15-Embryology :

Several verses in the Quraan deal with the formation and development of human embryos, in such precise words as to conform with the modern science of embryology. Pregnancy starts with the combination of a single father's sperm with a single mother's ovum; to form a combined fertilized cell. The genetic characteristics are determined according to the respective cromosomes, combines or according to the respective cromosomes, "mingled" together. Here the Quraan states :

*** Verily We created man from a drop of mingled sperm, in order to try him* (76/2)**

It is only one sperm out of millions that succeeds in fertilizing the ovum, and deciding the fate of the outcome. This very minute portion of semen is described by the Arabic word "nutfah"; which means : traces or minute remains of liquid :

*** Was he not a drop of sperm emitted (in lowly form)* (75/37)**

For this reason also, it is almost impossible, except for Allah to know beforehand the gender of the new embryo, before much further growth :

***Allaah doth know what every female (womb) doth bear, by how much the wombs fall short (of their time or number) or do exceed* (13/8)**

As soon as the ovum is fertilized, it migrates back to the uterus where it 'implants" itself to the wall. Recall that the ovum fertilization occurs also through a sort of "impalnting" the sperm to its wall. Either or both of these implanting or clinging processes are referred to clearly by the Arabic word of "Alaq", in the first verses revealed in the Quraan :

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part V

by Nabil Abdel Salam Haroun

In this article the proofs given will deal with zoology and embryology which add more evidence showing why Islam is the best religion revealed by Allah to His people through His prophet Muhammad (MPBUH)

14-Zoology :

Modern studies of animal life have confirmed the diversity of their communities, being divided into : classes, orders, families .. etc. Each has typical social patterns, ways of life, and even languages of communication, much so like human societies. This is referred to in the Quraan, where all the animal species are referred to as "nations."

*** There is not an animal (that lives) on the earth, nor a being that flies on its wings, but (forms part of) communities like you* (6/38)**

All variations of biological life; animal or plant, even microscopic creatures, depend for their life on water. This was emphasized several centuries back in the Quraanic verses :

*** And Allaah has created every animal from water* (24/45)**

***... We made from water every living thing. Will they not then beleive ?* (21/30)**

The Quraan also describes the gushing (origination) of milk from grazing livestock, in a manner that is both anatomically and physiolo-

AL-AZHAR MAGAZINE

Rabi Al-Awwal 1417h.

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Vol-69 part III

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah: .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

فهرس العدد

● الافتتاحية (وأنتم الأعلون والله معكم)
للدكتور على أحمد الخطيب ٣٠٥
● تفسير سورة البقرة
للإمام الأكبر أ.د محمد سيد طنطاوى .. ٣٠٧
● أحب العباد إلى رب العباد
للشيخ على حامد عبدالرحيم ص٣١٧
● من رجال الحديث الشريف
مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد
تقديم الأستاذ أحمد تقى الدين ٣١٩
● ذكرى أفضل مولود فى الوجود
للشيخ محمد حافظ سليمان ٣٢٧
● من وصايا الأنبياء (دراسة مقارنة)
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٣٣١
● هداية الإنسان فى ذكر الرحمن (٢)
للأستاذ محمد عبدالمحسن التقاوى ٣٣٧
● الرحمة المهداة
للشيخ معوض عوض ابراهيم ٣٤٣
● ظهور الإسلام معجزة باهرة وحجة ظاهرة
بقلم الدكتور عبدالفتاح ابراهيم سلامة . ٣٤٧
● القانون الدولى فى فقه الإمام الشيبانى (٢)
أ.د. محمد عبدالصمد مهنا ٣٥٣
● مؤرخون من ليبيا محمد بن على الخروبى
للدكتور عبدالفتاح أبو سنة ٣٥٧
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ السيد العراقى شمس الدين ٣٦٠
● من أعلام الأزهر (محب الدين الخطيب)
للأستاذ الدكتور محمد رجب البيومى .. ٣٦٣
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبدالحفيظ محمد عبدالحليم ... ٣٧٠
● من روائع الماضى (بمجلة الأزهر)
للأستاذ/ عبدالفتاح حسين الزيات ٣٧٣
● الشعر والشعراء ●
إعداد وتقديم د. محمد عبدالحكيم ٣٧٧
ـ هذا القرآن
للشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين ... ٣٧٨
ـ أشرف غاية
للشاعر رشاد محمد يوسف ٣٨٣
ـ فلسطين للإمام الأكبر الأسبق
الشيخ محمد الخضر حسين ٣٨٤
ـ الضرير
للشاعر البسيونى قنعان سليمان ٣٨٥
ـ الشيخ الغزالى والموت على المنبر
للشاعر عصام الغزالى ٣٨٨
● من دلائل القدرة الإلهية فى بعض الظواهر
البحرية أ.د. أحمد فؤاد باشا ٣٩٠
● فضل المسلمين فى تقديم الجيومورولوجيا
بقلم: حسنى عبدالحافظ ٣٩٤
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد: الدكتورة نجوى السيد أحمد ... ٤٠٠
● أثر الأخطاء الصوتية على ألفاظ
القرآن بقلم: الدكتور محمد السيد ٤٠٤
● طبقات المحققين والمصححين (٦)
للأستاذ الدكتور السيد الجميلى ٤١١
● حول خاتمة ابن عباد المأسوية
للأستاذ محمد عبدالوهاب ٤١٢
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٤١٧
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين: عمر البسطويسى
ومصطفى عبدالمجيد ٤٣٢
● القسم الفرنسى ٤٣٩
● القسم الانجليزى ٤٤٧

٢٢٢٢٦ع ٢
دوريات

الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م
وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ
تصدر عن
مجمع البحوث الإسلامية
في مطلع كل شهر عربي
رئيس التحرير
دكتور / علي أحمد الخطيب
مدير التحرير
علي حامد عبد الرحيم
سكرتير التحرير
عادل فهمي خفاجة
المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت ٥٩٠٥٩٩٠ - ٥٤٧٣ - ٢٦٣٣٨ - ٥٩٠
الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام
شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

هذا الشَّبَاب

وهو شبابنا ، عزيز علينا أن تلم به خواطر السوء ، وتتلاعب بفؤاده الـغض وساوس الشيطان ، ويترصده كيدُهُ فى أعز ما استقر فى قلبه .. فى عقيدته التى هى كيانه وشخصيته وعليها أمله فى حياته ويوم لقائه بربه .

هؤلاء ثلاثة من الشبان التقوا بى الواحد بعد الآخر .. وَلمَا تفاوت بينهم من زمن ، ولما اختلف بينهم من حال .. ولما تباعد بينهم من مكان تدرك - تماما - عدم معرفة بعضهم لبعض ، فليس يجمعهم - على شيء واحد - إلا أنهم جميعا فى اضطراب مما تلقيه الشياطين فى صدورهم لتهز فى أعماقهم عقيدتهم ، وتترك كلا منهم - وربما غيرهم كثير - أشبه بذبيح انتهى أمره وفقد النجاة . ويشتد به الألم الصاعق أن يرى مصيره النار ، وليس بين يديه ما يدفع هذا الوسواس الخبيث بينما الأمر أيسر بكثير مما يتصور هذا الشباب .

وبداية لا خوف عليه ولا ضيعة طالما التزم ممارسة فرائض الإسلام ، ولم يركن ـ إزاءها ـ إلى إهمال . وليطمئنوا نقول : قد حدث الذى فى صدورهم لبعض أصحاب رسول الله ﷺ .. روى مسلم ـ بسنده ـ إلى أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال :

« جاء ناسٌ من أصحاب النبى ﷺ فسألوه : إنا نجد فى أنفسنا ما يتعاظم أحدُنا أن يتكلم به . قال : ـ عليه الصلاة والسلام ـ : وقد وَجَدتُمُوه ؟ قالوا : نعم .. قال ﷺ : ذاك صريح الإيمان !! » .

يعنى هؤلاء الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بقولهم : ما يتعاظم أحدُنَا أن يتكلم به ، أى نجد التكلم بما يوقعه الشيطان فى صدورنا أمرا عظيما لاستحالته فى حقه تعالى .

ورده ﷺ عليهم بقوله : « ذاك صريح الإيمان » معناه : أن استعظامكم الكلام به ، وشدة الخوف منه ، ومن النطق به ، فضلا عن رفضكم اعتقاده ، دليل ـ بين أيديكم ـ على استكمالكم الإيمان استكمالا محققا انتفت عنه الريبة والشكوك .

وروى عبدالله بن مسعود ـ وذاك من حديث صحيح لمسلم أيضا ـ قال : سئل النبى ﷺ عن الوسوسة ؟ قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : « تلك مَحْضُ الإيمان » .

ومعنى كلمته ﷺ : أن سبب الوسوسة هو هذا الإيمان الخالص ، أو الوسوسة علامة الإيمان الخالص .

ولقد كانت هذه الحالة من الحالات التى وجدت من علمائنا ـ رحمهم الله ـ تعالى ـ دراسة مستطيلة تُعالج وتُطَمْئِنُ هذا الشباب .. قالوا ـ فى هذا الأمر : إنما يوسوس الشيطان ـ بهذه الوسوسة ـ لمن رأى من حاله أنه لن يستطيع أن يُغْوِيَهُ بارتكاب الكبائر ، فإنْ يئس من إغوائه نكد عليه بالوسوسة .

ويعنى كُلُّ ما قدمنا أن الوسوسة ليست بالشيء الذى نجعل حياتنا تضطرب له .

ويمضى علماؤنا ـ رحمهم الله ـ تعالى ـ إلى النظر والدراسة فى ذات الخواطر التى تُلْقى فى النفس توصلا إلى الإحاطة بمضمونها . فيجدونها :

(ا) خواطر يلقى بها الشيطان فى صدور الناس متعلقة بالذات العلية .. بالله ـ سبحانه وتعالى ـ علوا كبيرا .. منها ـ والعياذ بالله ـ تعالى ـ ما يدعو إلى الجحود ، أو متعلقة بالنبوة كذلك توصلا إلى إنكارها والتشكيك فى أمرها ـ والعياذ بالله .. وهذا اللون هو « الوسوسة » .. وتتميز بأنها تأتى النفس وتذهب عنها .. فهى غير مستقرة ، وهذه الخواطر لا يهتم الإنسان لها ، ولا يشغل بها نفسه ، وليس عليه ـ إزاءها إذا عرضت ـ إلا أن يستعيذ بالله منها ، ويلجأ إليه فى دفعه شرها ، ويعرض عن الإصغاء إليها ، ويشغل فكره بغيرها . والله ـ تعالى ـ مُعِينُهُ ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

(ب) وخواطر أخرى تعرض للنفس فى صورة شبهة فى أمْرٍ ما مثل : هذا طفل صغير لم يبلغ ، أو يتيم .. لماذا تجب الزكاة فى ماله ، لِمَ لا يعفى من الزكاة .. ؟ .. وأمثال هذه من الخواطر .. وهذه الشُّبَهُ تستقر فى النفس ولا تزول إلا بدفعها ، وإنما تدفع بالرجوع ـ فى شأنها ـ إلى المختصين ، وطرحها أمامهم فينجلى له وجه الحق فيها فتزول ..

وبعد :

فما على شبابنا ـ إذا عرض عليه خاطر ـ إلا أن يرى مضمونه ، وليعتصم بالله ـ عز وجل ـ مطمئنا إليه مستنصرا به ، فهو ـ سبحانه ـ نعم المولى ونعم النصير ..

د. على أحمد الخطيب

كَلمَة السَّيد الرَّئيس محُمَّد حُسنِي مُبَارك رَئيس الجمهُوريَّة فِي ذِكرَى مَولد الرَّسُول صَلَّى اللهُ عَلَيْه وَسلَّم

مساء ليلة الثانى عشر من ربيع الأول ١٤١٧ هـ فى قاعة المؤتمرات الكبرى بمدينة نصر بالقاهرة

الإمام الأكبر شيخ الازهر

العلماء الأجلاء

الإخوة والأخوات

إن من أيام التاريخ أياماً هى بمثابة المعالم المضيئة على الطريق ، تنير سبل السالكين ، وترشد إلى الغاية المأمولة .. من هذه المعالم ما يبقى بقاء الزمن ، بل منها ما يتحدى عوادى الزمن .

وليس من شك فى أن من أهم معالم التاريخ المضيئة وأيامه الباقية الخالدة ، هذا اليوم الذى أشرقت فيه الدنيا بمولد رسول البشرية وخير الأنام ، سيدنا محمد ـ عليه الصلاة والسلام .

ففى هذا اليوم ، أهدى الله إلى الإنسانية من سيجدد إنسانيتها ، ويقيل عثرتها ، ويقود نحو الحق والخير والسلام مسيرتها .

فقد تتابعت النبوات ، وتوالت منذ بداية الخليقة الرسالات ، كل نبى أو رسول يضع فى صرح الإيمان لبنة ، ويعلى من روح الفضائل درجة ، وظلت حياة الناس محتاجة أشد الاحتياج إلى من يتمم رسالة الله فى الناس ، فيصحح عقيدتهم بالوحدانية الخالصة ، ويضرب أحوالهم بالشريعة العادلة ، ويقوم أخلاقهم بالفضائل الرفيعة .. ولهذا أطلع الله فجر محمد ﷺ فى تلك الليلة المباركة ، ليكون ميلاده ميلاد المنقذ ، وليتلقى أمانة المسئولية ، فيصدع بأمر ربه ، ويؤدى رسالته كأعظم ما تؤدى الرسالة ، فيحدث بذلك أعظم ثورة شهدها تاريخ الإنسانية ، تلك الثورة البيضاء السمحاء ، الشاملة الكاملة ، التى أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، وأنقذتهم من مهاوى الضلال ، فصححت عقولهم بأنقى عقيدة ، ونظمت حياتهم بأرقى شريعة ،

وهذبت أخلاقهم بأرفع قيم ، وحققت ـ بذلك ـ أكبر تحول نحو الخير والرشاد فى تاريخ البشرية .. ومن هنا لا نبالغ إذا قلنا : أن ذلك الميلاد ، كان بداية الإنقاذ والارتقاء الحقيقى للعالم كله .

الميلاد عبرة من الماضى إلى الحاضر

إننا ، نحتفل بهذا اليوم سعداء به ، مقدرين لقيمته أعظم تقدير ، منتفعين بذكراه انتفاع الواعين المدركين ، عملا بقول ربنا : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١)

وكما قلت فى مناسبات سابقة ، فإن أفضل احتفال بهذه الذكرى الكريمة ، هو أن نأخذ منها الدرس والعبرة ، وذلك بمراجعة الماضى والاسترشاد بأفضل منجزاته وآثاره ، ثم بتأمل الحاضر بإيجابياته وعثراته ، وأخيراً بالتطلع إلى المستقبل واستشراف آفاقه وأبعاده .

فإذا ما تأملنا الماضى ـ فى ضوء سيرة الرسول الكريم ﷺ وجدنا أن هذا الماضى قد شهد تحولات جذرية عميقة للعرب ومن حولهم ، وذلك بفضل تلك القيم والمبادىء التى احتضنتها رسالته وقامت عليها دعوته .

أما العرب فقد تحولوا من قبائل مفرقة ممزقة ، إلى أمة موحدة ، كما خرجوا من بداوة متخلفة ضائعة ، إلى حضارة متقدمة رائعة ، وانتقلوا من وجود منعزل تابع ، إلى كيان متفاعل ومستقل ، كان له إسهامه الملموس فى الارتقاء بحضارة الإنسان ورسالته فى الكون .

وغرس الإسلام فى قلوب المؤمنين قيما جديدة ، أساسها التسامح والتراحم والترابط ، والعدل بين كافة البشرية وإعلاء قيمة العمل ، ومحاربة التفرقة والظلم والتعصب ، والبعد عن الشطط والتطرف ، والكف عن الأذى والإضرار بالآخرين ، وتجنب الحقد والضغينة .

هكذا ، قام المجتمع الإسلامى على أسس راسخة متينة ، لأن القيم هى الضمان الأكيد لسلامة البنيان واستقامة السلوك ، وهى المعيار الذى يحكم صلابة النسيج الاجتماعى ، والعنصر الذى يقيم التوازن بين مصلحة الفرد وخير الجماعة ، ويشكل رؤية الإنسان لدوره فى الأرض صانعاً للسلام ، وناشرا للخير ، ومبشراً بالمجد والتقدم .

وبذلك ، ربح العالم حضارة إسلامية كبرى ، حفظت للإنسانية تسلسل الحضارات ، وتفاعلت مع غيرها من الثقافات دون خوف أو تردد تنهل منها وتضيف إليها ، فأسهمت بهذا فى إثراء التجربة البشرية وتدعيم مسيرتها على مر القرون .

هذا بإجمال ما نأخذه من عبرة الماضى ونحن نحتفل بهذه الذكرى العطرة .

---

(١) الذاريات

ظــــواهر ســـلبية

أما ما يقوله استقراء الحاضر ، فهو أن أمتنا تعانى فى داخلها من بعض الظواهر السلبية التى تنهك قواها ، وتعوق مسيرتها ، وتهدد كيانها ، فى الوقت الذى تخوض فيه أمم أخرى معركة التنمية الشاملة والنهضة العلمية والتكنولوجية ، وتحقق إنجازات كبرى فى شتى مجالات الحياة ، وسط منافسة ضارية قاسية ، يكون البقاء فيها للأصلح والأقوى ، القادر على اللحاق بركب التقدم ، وحيازة مقومات ثورة العلم والمعلومات ، وفى هذا الخضم الحافل لا يكون هناك مكان للضعفاء ، ولا موضع للكيانات الصغيرة ، فضلا عن الكيانات الغافلة الغارقة فى السلبيات المعوقة والصراعات المفرقة .

فرغم أن ديننا الحنيف قام على تأكيد مبدأ الحق والعدل ، وشدد على عدم العدوان على حق الغير فى أرضه أو ماله ، وفى حريته وكرامته وأمنه ، نجد أن بعض من ينتسبون إلى الأمة الإسلامية ، قد تورطوا فى العدوان على حقوق إخوتهم فى الإسلام ، وفى تهديد أمنهم وسلامتهم دون مراعاة لحق أو أخوة ، ولا لحرمة الجوار التى أكد عليها الإسلام بكل الإصرار .

كذلك لجأ بعض من ينتسبون للإسلام فى السنوات الأخيرة ، إلى التدخل فى شئون بعض الدول العربية الإسلامية الشقيقة ، وذلك عن طريق التآمر والتخريب ومساندة الإرهاب ، من أجل ترويع الأمن وزلزلة الاستقرار ، سعياً لإقامة مناطق نفوذ خارج حدودها ، وحمل شعوب إسلامية شقيقة على الرضوخ لإرادتها وقبول هيمنتها ، عن طريق الضغط والابتزاز ، والتهديد والوعيد .

وقد نسى هؤلاء الضالون أن ديننا الحنيف يقدس حرمة ممتلكات الغير ، كما يقدس حرمة روحه ودمه ، ولا يبيح لأحد ـ لأى سبب ـ أن يروع الأمنين ، ويسيل الدماء أو يتسبب فى إزهاق أرواح الأبرياء .. لقد نسى هؤلاء الآثمون قول المولى ـ عز وجل :

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾(٢)

وقوله ـ سبحانه وتعالى :

﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٣)

كما نسوا قول الرسول الكريم ﷺ « **كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه** »(٤) وقوله ـ صلوات الله عليه : « **لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه** »(٥) وهكذا أكد القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف أن هذه الصور للعدوان الذى يؤدى إلى قتل الأبرياء وترويع الآمنين ، هى أمور تتنافى تماما مع روح الإسلام وتعاليمه وقيمه ، بل أنها تسىء إليه إساءة كبرى ، وتشوه صورته فى أذهان الشعوب الأخرى .

---

(٢) سورة الأنعام آية ١٥١ .

(٣) سورة المائدة آية ٣٢ .

(٤) أخرجه مسلم .

(٥) رواه البخارى .

الإسـلام والسـلام

إن جوهر الإسلام وتعاليمه السامية ، يقضيان باحترام النفس الإنسانية ، وبالحفاظ على التضامن بين أبناء الأمة ، وتوحيد صفوفهم والكف عن الأذى والضرر ، عملا بقول الرسول الكريم : « **لا ضرر ولا ضرار** »(٦) وكل هذا يشكل مبدأ من أهم مبادىء الإسلام العظيم ، دين العدل والرحمة ، كما أنه يمثل التطبيق الصحيح لمبدأ الأخوة الإسلامية ، التى تفرض التعاطف والترابط ، والتجمع والتضامن بين الأخوة من أبناء الدين الواحد .

ويلى هذا المبدأ فى الأهمية ـ بعد مبدأ التضامن ـ مبدأ التمسك بالسلام ، وأعنى به السلام العادل والشامل والدائم فهذا السلام هو فى الإسلام أساس العلاقات بيننا وبين أنفسنا ، كما أنه أساس العلاقات بيننا وبين غيرنا ، فليس من الإسلام أن يتقاتل المسلمون فيما بينهم ، وأن يحمل المسلم السلاح فى وجه أخيه . كما أن حمل السلاح لمحاربة الغير ، لا يكون فى الإسلام إلا للدفاع عن النفس ضد عدوان وقع ، أو قامت أدلة كافية على أنه قد دبر ليقع .. فالسلام إذن هو الأساس الثابت فى الرؤية الإسلامية والحرب هى الاستثناء العارض .. وما أروع قول المولى فى تحديد ذلك : ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ﴾(٧) ولذا كان ديننا الحنيف هو الذى كتب علينا التضامن لنقوى ونعز وتكون لنا كلمة مسموعة وراية مرفوعة ، كما يحضنا على السلام لكى نأمن ونستقر ، وفى مناخ الأمن والسلام نعمل ونبنى ونعمر ونلحق بركب الحضارة والتقدم .

سـياسة التضامن والسـلام

ومن أجل هذا فإننا نتبنى سياسة التضامن والسلام ، ونؤمن بوجوب إتباعهما كخط استراتيجى ثابت ، يتفق مع قيم ديننا الحنيف ، التى نحرص عليها ونسير على هديها ومن أجل مبدأ التضامن نعمل جاهدين دون توقف أو ملل ، ونسعى ما وسعنا الجهد على لمْ الشمل وجمع الكلمة ووحدة الصف ، ونحمد الله ـ عز وجل ـ على نجاح القادة العرب فى توحيد الصف ولم الشمل فى مؤتمر القمة الذى عقد بالقاهرة منذ أسابيع ، والذى سيبقى دائماً علامة مضيئة وصفحة ناصعة فى التاريخ العربى ، ومن أجل مبدأ السلام ، سعينا ـ ومازلنا ـ من أجل تحقيقه عادلا وشاملا ودائماً ، حتى يتأكد العالم أننا لسنا دعاة حرب ، وإنما نحن أصحاب حق ودعاة سلم ، على أن سلامنا هو سلام الأعزاء القادرين ، لا سلام الضعفاء العاجزين ، كما أننا نعتمد فى مطالبتنا بالحق العربى على الحوار والتفاوض ، الذى يقوم على الأساليب الحضارية ويحتكم أطرافه إلى الشرعية

(٦) رواه مالك فى الموطأ .
(٧) البقرة ـ ١٩٠ .

الدولية وقواعد القانون والعدالة ومن هنا نقول لمن يهددون مسيرة السلام أو يشككون فى توجهنا إليه ، إننا مُصرُون على السلام الذى اخترناه والذى بدأناه ، لأن ديننا يدعو إليه ويحض عليه ، ولأن مصلحتنا ومصلحة عالمنا ترتبط به وتتوقف عليه ، ولا يملك أحد أن يشكك فى نوايانا أو يحملنا على تغيير موقفنا ، لأن السلام الذى نسعى إليه هو السلام العادل والشامل والدائم ، وهو السلام الذى أكدته الاتفاقات المرعية ، وساندته الأسرة الدولية ، لأنه يشكل النهج الذى يعطى كل ذى حق حقه ، ويقيم التوازن المطلوب بين حقوق الأطراف والتزاماتهم ، ويوفر الحماية اللازمة للمصالح المشروعة .

السلام سبيلنا

أما السلام فهو سبيلنا إلى الأمن والاستقرار ، وهما السبيل إلى البناء والتعمير والإنتاج والرخاء ، وتجربتنا فى ذلك خير دليل على ما نقول ، فبالسلام وجّهنا جهودنا إلى إصلاح ما أفسدته الحرب ، وشيدنا المدن الجديدة ، وضاعفنا المصانع المنتجة ، ووسعنا الرقعة المزروعة ، وبذلك ضاعفنا الإنتاج ، ووفرنا الخدمات ، وبدأنا مرحلة جديدة نأمل أن تمتد آثارها الطيبة إلى شتى صور الحياة على أرض مصر الطيبة ، والأمل كبير فى تحقيق تلك النهضة الشاملة ، والارتقاء بمصر الحبيبة أكثر فأكثر هذه خواطرى بمناسبة الاحتفال بذكرى مولد الرسول الكريم أرجو أن تكون رسالة أخوية أبعث بها إلى إخوانى المسلمين فى كل مكان ، وأسأل الله أن تجد هذه الرسالة ما تستحقه من استجابة تتوافق مع ما تتصف به من صدق فى التوجه ، وأمل فى حسن التلقى ، حتى يكون غد أمتنا أفضل من حاضرها ، ويكون مستقبلها الكريم مكافئاً لماضيها العظيم ، والله الموفق ، وهو الهادى إلى سواء السبيل .. كل عام وأنتم بخير .

كلمة فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر في

الاحتفال بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم

ألقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى هذه الكلمة فى الاحتفال بذكرى المولد الشريف الذى أقيم بقاعة المؤتمرات مساء الثانى عشر من ربيع الأول .

قال فضيلته بعد تحيته للحفل :

إننا عندما نحتفل بذكرى ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ إنما نقصد بهذا الاحتفال الاعتبار والاتعاظ والاقتداء بصاحب الذكرى ﷺ والقرآن الكريم قد أمرنا بأن نقتدى بالصالحين وعلى رأسهم سيدنا رسول الله ﷺ وصدق الله إذ يقول :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾(١) .

كما أمرنا القرآن الكريم أن نتبع الرسول ﷺ فى أقواله وفى أفعاله ، وأن نقتدى به فى عبادته ، وفى إخلاصه لدينه ، وفى ثباته على مبدئه ، وفى شجاعته بالنطق بكلمة الحق و « قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ »(٢) .

إن ميلاد سيدنا رسول الله ﷺ ، وإن بعثه ، وإن رسالته كانت تجديداً لميلاد الإنسان .. تجديداً لميلاد الإنسانية جمعاء .. يحدثنا التاريخ أن العالم قبيل مولد سيدنا رسول الله ﷺ وقبيل بعثته كان يموج بالفتن ، وكان الإنسان لا يعرف لماذا خلق ولا إلى أين سيصير وإنما هى أرحام تدفع وقبور تبلع وبطون بين ذلك لا تشبع .

---

(١) الأحزاب ـ ٢١ .

(٢) آل عمران ـ آية : ٣١ .

كانوا كما قال القرآن الكريم :

﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾(٣) .

جاء سيدنا رسول الله ﷺ برسالته فعزز الإنسان وكرمه وبين له أنه خليفة الله فى أرضه وإن الله سبحانه وتعالى قد كرمه على كثير من خلقه كما قال عز وجل :

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(٤) . .

وجاء سيدنا رسول الله ﷺ برسالته فأمر الإنسان أن يكون من الذين يبنون ولا يهدمون .. من الذين يعمرون ولا يخربون .. من الذين يصلحون ولا يفسدون ، ومن الذين يعطون أكثر مما يأخذون .

جاء رسول الله برسالته التى علمت الإنسان وعلمت المسلم أن خير المسلمين بالنسبة له ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، أما قوم لا يعيشون معنا فى بلادنا وإنما هم يعيشون فى بلادهم ولكنهم لا يسيئون إلينا بأى لون من الوان الإساءة وهؤلاء يقول القرآن الكريم فى شأنهم :

﴿ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾(٥) .

وأما قوم يسيئون إلينا بشتى ألوان الإساءة ويعلنون الحرب الظاهرة والخفية علينا وعلى أوطاننا وهؤلاء قال القرآن الكريم بالنسبة لنا فى شأنهم :

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾(٦) .

وأما قوم يعيشون معنا فى بلادنا تظلنا سماء واحدة وتقلنا أرض واحدة وتجمعنا مصالح مشتركة نشرب من ماء واحد وهؤلاء تقول لنا شريعة الإسلام بالنسبة لهم (لهم مالنا وعليهم ما علينا) .

جاءت شريعة الإسلام لكى يبين لنا سيدنا رسول الله ﷺ أن العقائد لا إكراه عليها وأن التعصب الأعمى يؤدى إلى الخسران فى الدنيا والآخرة وأن العقائد لا تباع ولا تشترى والإكراه على العقائد لا يولد مؤمنين وإنما يولد منافقين .

(٣) سورة الجاثية آية : ٢٤ .
(٤) الإسراء ــ ٧٠ .
(٥) التوبة ــ ٧ .
(٦) البقرة ــ ١٩٠

رسالة الرئيس محمد حسني مبارك

في المؤتمر العالمى الثامن

للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

استضافت مصر علماء من أنحاء الوطن الإسلامى كان بمناسبة المؤتمر العالمى الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى انعقد بالقاهرة يوم الأربعاء الثامن من ربيع الأول ١٤١٧هـ / ١٩٩٦/٧/٢٤ م .

رأس المؤتمر الذى رعاه السيد الرئيس فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ، وموضوعه : « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى »

وهذه رسالة السيد الرئيس فى الإخوة علماء العالم الإسلامى ، والتى ألقاها نيابة عنه الأستاذ الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف :

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين ..

« أرحب بكم على أرض مصر التى كانت منذ فجر التاريخ مهد الحضارة والمعرفة وكان يحج إليها طلاب المعرفة فى الزمان القديم من فلاسفة اليونان أمثال طاليس وأفلاطون ممن جاءوا يدرسون الحكمة على يد رهبانها ، وبقيت آثارها إلى اليوم شاهدا على عظمة إنسانها القديم الذى اتجه إلى البناء والتعمير .. ولولا الأمن الذى عاشته مصر كما أراد الله لها لما استطاعت أن تبنى حضارتها العظيمة ولا أن تكون فى طليعة الشعوب التى ظلت تبحث عن جوهر الدين .. فأهلا ومرحبا بكم فى مصر التى على أرضها تجاورت الأديان وتجاورت المعتقدات وتفاعلت الحضارات منذ آلاف السنين والتى ارتبط تاريخها منذ أكثر من ألف عام بالأزهر الشريف الذى ينشر تعاليم الإسلام السمحة فى غير تعصب أو انغلاق .

مصر وسماحة الأديان

وأضاف الرئيس قوله : إن مصر لا تزال حتى اليوم وكالعهد بها دائما تعيش فى ظل سماحة الأديان وإخاء الإنسان ، ولا تزال بلدا يسعى إلى

السلم والسلام القائم على العدل ويمد يده لكل شعوب الدنيا متعاونا بلا حدود من أجل خير الإنسان .

وليس هناك شك فى أن لقاءكم التاريخى فى القاهرة فى المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية يعد فرصة تاريخية لتبادل الرأى حول مستقبل الحوار الحضارى ويشكل إسهاما كبيرا فى إثراء هذا الحوار من أجل مستقبل مشرق للبشرية جمعاء .

وقال الرئيس :

إننا نعيش الآن فى عالم تتشابك فيه المصالح بدرجة لم يسبق لها مثيل وأضحى العالم مثل قرية كونية كبيرة يعتمد فيها كل على الآخر بأى صورة من الصور ويأت أى حدث يجرى فى أى مكان من العالم يكون له صداه وتأثيره بشكل أو بآخر فى كل أركان الدنيا .

ومن هنا فإنه لم يعد هناك مكان للانعزال فنحن فى مرحلة لا مفر فيها من التعامل مع الآخرين بصرف النظـــر عن اتجاهــاتهم وأفكارهـــم ومعتقداتهم .

مؤشرات للسلام

أيها الإخوة الأعزاء .. ضيوف مصر الكرام :

إنه على الرغم من كل ما يجتاح العالم اليوم من صراعات دموية وأعمال عنف مختلفة ومشكلات صعبة على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية . وما يمكن أن يسببه ذلك كله من شعور لكثيرين من محبى السلام والداعين إليه بالاحباط واليأس ، فإن هناك مؤشرات لا يمكن تجاهلها تشير إلى أن العالم قد سئم الحروب والمنازعات وأنه متجه بشكل أو بآخر إلى السلام وأن السلام سوف يفرض نفسه فى نهاية الأمر وأن القرن الواحد والعشرين سوف يشهد تحولات هامة على جميع المستويات .

لكن السلام المنشود ليس من الأمور التى تأتى بطريقة تلقائية وإنما يحتاج إلى توفر إرادة السلام وصدق النوايا وتكاتف كل الجهود من أجل الوصول إلى التفهم الكامل والإقدام المتبادل والتعاون المشترك بين كل الشعوب ، وهذه أمور لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق الحوار . فالحوار هو لغة المستقبل ، والسلام هدف مشترك لكل بنى البشر ، ولن يتحقق السلام بين الشعوب إلا إذا كان هناك سلام بين الأديان . ولن يكون هناك سلام بين الأديان إذا لم يكن هناك حوار جاد وموضوعى ومنصف بين أتباع هذه الأديان .

السلام ضرورة حياتية

وقال سيادته :

إن السلام كما نعتقد جميعا إنما هو ضرورة حياتية والحياة بدون سلام حياة فارغة لا معنى لها . ولا نعدو قول الحق إذا قلنا أن السلام فى حقيقته أصبح ضروريًا للحياة مثلما أن الهواء ضرورى للتنفس .

إن الإسلام قد دعا منذ نشأته إلى الحوار والتعايش بين البشر والدخول فى السلم ، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب ، وكانت دعوته إلى الحوار بين الأديان دعوة صريحة وواضحة فى القرآن الكريم : حيث يقول :

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾

سورة آل عمران ـ آية : ٦٤

وأكد الرئيس فى رسالته على أن الإسلام دعا أيضا إلى ضرورة أن يكون الحوار بالأسلوب الهادىء المتعقل والنظرة الموضوعية للأمور .

ويشهد القرآن على ذلك فى قوله تعالى :

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

سورة العنكبوت ـ آية : ٤٦

وقد نبه القرآن الكريم إلى حقيقة أن الناس جميعا قد خلقوا من نفس واحدة وأن الكرامة التى منحها الله للإنسان تشكل كل إنسان فى كل زمان ومكان .

الإسلام دعوة للسلام

ومن هذا المنطلق كانت دعوة الإسلام إلى الفهم المتبادل والاحترام والتعاون المشترك بين البشر جميعا .

وقد نظر الإسلام إلى الإنسانية لا بوصفها مفهوماً مجردا يحوم فى سماء التجريد ولا صلة له بالواقع بل نظر إلى الإنسانية بوصفها تمثل مجموع البشر الذين يعيشون معا على أرض الواقع .

ومن هنا فإن الاعتداء على فرد واحد من أفراد البشر .. يعد اعتداء على البشرية كلها ، وفى المقابل فإن من يقدم الخير لفرد واحد فكأنه قدم الخير للبشرية كلها .

وإذا كان الأمر كذلك فإن الإنسان الذى يبحث عن السلام ينبغى أن يبحث عنه لنفسه وللآخرين فى الوقت نفسه ، فهم الذين ينتمون إلى نفس الأسرة الإنسانية التى هو جزء منها أراد أو لم يرد .

فالتعددية فى نظر الإسلام أمر واقع وملموس ولكنها بدلا من أن تكون مجالا للخلاف والنزاع ينبغى أن تفتح الطريق أمام وحدة الهدف المشترك والجهود المشتركة من أجل السلام .

ويشير القرآن الكريم إلى هذا المعنى فى قوله :

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ .

سورة الحجرات ـ آية : ١٣

والتعارف هذا إنما هو حوار بين هذه الشعوب المختلفة .. وبهذا هو اللغة الحضارية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى ، أما استخدام السلاح أو العنف كلغة التخاطب بين البشر فإنما هو أداة بربرية تعادى الحضارة والتقدم وترد الإنسان إلى عصور ما قبل التاريخ .

الرسول ﷺ يشخص حال الأمة

ثم قال الرئيس :

لابد لنا ونحن على أعتاب القرن الحادى والعشرين من أن نرتجع أنفسنا جيدا وأن نستعد لدخول هذا القرن بفكر جديد وتوجيهات جديدة .

ومن هنا دعت الحاجة إلى أن يكون موضوع مؤتمركم هذا العام ، هو « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » ونحن على يقين من أن مناقشاتكم البناءة والهادفة سيكون لها أثرها فى تنبيه الأذهان

ولفت الأنظار إلى أهمية القضايا المطروحة للبحث ، وهذا فى حد ذاته أمر له أهميته بالنسبة لكل فرد من أفراد البشرية فى أى مكان فى العالم وأنتم هنا تمثلون هذا العالم ، ونحن جميعا أردنا أم لم نرد نشترك فى مصير واحد .

إن نبى الإسلام محمد ﷺ قد صور المصير البشرى كله من خلال مثال معبر عما نحن فيه الآن فى عالمنا المعاصر أبلغ تعبير .. وفى هذا المثال يصور النبى الناس جميعا كما لو أنهم يستقلون سفينة فى عرض البحر وقد توزع الركاب فى أنحائها فاستقر بعضهم فى أعلاها والبعض الآخر فى أسفلها .. وكان الذين فى أسفلها إذا أرادوا الحصول على الماء صعدوا إلى أعلى السفينة وأحضروا الماء .

وحين رأوا أنهم قد تعبوا من الصعود والهبوط والمرور على الركاب فى أعلى السفينة قرروا إحداث خرق فى أسفلها يأخذون منه حاجتهم من الماء ويوفرون على أنفسهم مشقة الصعود والهبوط .

ويعنى حديث محمد ﷺ أن ركاب السفينة إذا تركوا يفعلون ما يشاءون فسيكون نتيجة ذلك غرق السفينة وهلاك الجميع ، ولكن لو تم منعهم مما أرادوا فإن ذلك سيكون سببا فى نجاتهم جميعا .

فالمصير البشرى مصير مشترك ولم يعد فى استطاعة أحد أن يقف مما يجرى فى العالم اليوم من حروب وصراعات بدون اهتمام وبلا مبالاة ، لأن عاقبة ذلك ستعود عليه بشكل أو بآخر فلا مفر أمام الإنسانية من أن تسعى جاهدة نحو السلام الذى يضمن لها الأمن والاستقرار .

الأخوة الأعزاء ضيوف مصر ..

إن على مؤتمركم هذا أن يؤكد للعالم أجمع أن الحوار هو اللغة الحضارية الوحيدة التى يمكن أن تؤدى إلى التفاهم والتعاون والعمل البناء من أجل خير الإنسان وأن الحروب لا يمكن أن تحل المشكلات ، بل على العكس من ذلك تزيدها تعقيدا بوضعها العقبات تلو العقبات فى طريق السلام .

وعلى مؤتمركم أن يبين أن الحوار الحضارى هو الأساس فى التعامل بين البشر وأن الصراع أمر طارىء لا ينبغى أن يكون هو القاعدة وأن يؤكد أن رسالة الأديان هى : رسالة المحبة والسلام وأنه لا يجوز إساءة استخدام الأديان مما يجعلها أداة للصراع ولغرس الأحقاد فى النفوس ؛ فإن ذلك جرمًا فى حق الأديان وفى حق البشرية جمعاء .

الأخوة الأعزاء ..

لقد شاركتم فى المؤتمر للعام السابع للمجلس الذى كان موضوعه : « عطاء الأديان لخدمة الإنسان » فليكن مؤتمركم هذا دعوة قوية للإنسان فى كل مكان كى ينهض بدوره فى خدمة قضايا السلام والتمكين فى أرض الله لقيم الحق والعدل والتعايش البناء بين الإنسان والإنسان .

إن الحوار المنشود لن يحقق نتائجه إلا إذا تجرد الإنسان من أنانيته وأيقن أن الكون الفسيح يمكن أن يسع الجميع إذا خلصت النوايا وتضافرت الجهود لبناء عالم يختفى منه العنف وتصان فيه الدماء وتتوقف النزاعات والحروب ، فليكن مؤتمركم علامة على الخروج بالعالم من أزمته الراهنة وتعبد الطرق للخلاص الآمن من المخاوف والأخطار .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

كلمة فضيلة الإمام الأكبر
الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى
شيخ الأزهر فى
المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

فى الفترة من ٨ الى ١١ ربيع الاول ١٤١٧هـ الموافق ٢٤ - ٢٧ يوليو ١٩٩٦

قال فضيلته ـ بعد مقدمة ـ حيا فيها الحاضرين :

لا أكون مبالغا إذا قلت أن ألفاظ اللغة العربية على اتساعها وعلى غناها لا تكفى للتعبير عما يحس به الإنسان عندما يجلس بين شيوخه وإخوانه وأبنائه لا من أجل متعة فانية ولا من أجل شهوة زائفة ، وإنما نتجمع جميعا من أجل خدمة ديننا وأمتنا ، نتجمع من أجل اعتناق الفضائل ، واجتناب الرذائل ، نتجمع جميعا لكى نتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان .

وإذا كانت المجالس تشرف بمقاصدها وبغاياتها فإن مجلسكم هذا له أعلى وأسمى ألوان الشرف والكرامة ، اجتمعنا جميعا من أجل أن نساهم فى بناء حضارة فاضلة ، وقد أعجبنى أن يكون موضوع هذا المؤتمر الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية : « الإسلام ومستقبل الحوار الحضارى » .

أصارحكم القول بأن هذا الموضوع من الموضوعات الهامة التى لفتت نظرى منذ مدة طويلة وعندما أرجع إلى القرآن الكريم فى أكثر من ألف وسبعمائة مرة ، أجد هناك حواراً متنوعاً ، نقرأ القرآن الكريم نجد حوارا حول وحدانية الله عز وجل ، ونجد حوارا حول اليوم الآخر ، نجد حوارا حول القرآن الكريم ، نجد حوارا مع المنافقين ، نجد حوارا يدور بين أهل الجنة وأهل النار ، وحوارا مع الملائكة ، نجد حوارا بين العقلاء فيما بينهم ، نجد حوارا يدور بين الأشرار فيما بينهم ، نجد كل ذلك بألفاظ :ـ قالوا ـ قل ـ يقولون وهكذا تحدث القرآن الكريم عن هذا الحوار المتنوع فى مئات من الآيات القرآنية ، على سبيل المثال لا نجد سورة من سور القرآن الكريم حتى من قصار المفصل إلا وتحدثت بألفاظ صريحة عن اليوم الآخر وما فيه من ثواب وما فيه من عقاب .

وحكت أقوال المنكرين وردت عليهم بأسلوب يقنع العقول والعواطف الشريفة ، وجاء معظم الحديث بلفظ : قالوا ، كما فى قوله ـ عز وجل ـ :

﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدًا ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٤٩

ويلقن القرآن الكريم النبى ﷺ الجواب الذى يخرس ألسنتهم فيقول :

﴿ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوۡ خَلۡقًا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِى صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ ﴾ .

سورة الإسراء ـ آية : ٥٠

يرد عليهم القرآن الكريم بهذا الأسلوب الحوارى البليغ المؤثر :

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡىِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ .

سورة يس ـ آية : ٧٨

وهكذا نجد القرآن الكريم يسوق لنا فى مئات من الآيات ألوانا من المحاورات التى دارت بين الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وبين أقوامهم : محاورات دارت بين سيدنا نوح وبين قومه وجميع الرسل ، جاءوا برسالة واحدة هى « إخلاص العبادة للواحد القهار ، وكل نبى كانت الكلمة الأولى التى يوجهها إلى قومه :

﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ .

سورة الاعراف ـ آية : ٦٥

يمكث سيدنا نوح ـ عليه السلام ـ فى قومه ألف سنة إلا خمسين عاما يجادل قومه ويحاورهم ويقول كما حكى القرآن الكريم عنه :

﴿ رَبِّ إِنِّى دَعَوۡتُ قَوۡمِى لَيۡلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾ .

سورة نوح

ويجادلهم بأسلوب منطقى رصين ولكنهم يقولون له كما حكى القرآن :

﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ .

سورة هود ـ آية : ٣٢

نجد سيدنا هودا ـ عليه السلام ـ ينصح قومه بألوان من النصائح وبألوان من المحاورات .

﴿ وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارًا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ .

سُورَةُ هُودٍ

يردون عليه بسفاهة : ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة هود

وانظروا إلى الغرور عندما يستقر فى النفوس .

﴿ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٖ ﴾ سورة هود ــ آية : ٥٤

وليس جميع آلهتهم يصفون نبيهم ومرشدهم بأن آلهتهم الصماء هى التى أصابته بالجنون أو ما يشبه الجنون .

نجد محاورات متعددة يسوق لنا القرآن الكريم ألوانا منها على لسان الرسل الكرام مع الأنبياء ــ عليهم الصلاة والسلام ــ مع أقوامهم .

سيدنا شعيب ــ وهو خطيب الأنبياء ــ يدعو قومه إلى وحدانية الله ويأمرهم بإيفاء المكيال والميزان ويقول لهم :

﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٞ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٖ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة هود

ثم تراهم يردون عليه هذا الرد القبيح يقولون له :

﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفٗاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٖ ﴿٩١﴾ ﴾ . سورة هود

وهنا يرد عليهم بقوة وشجاعة كما حكى القرآن الكريم :

﴿ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ .

سورة هود ــ آية : ٩٢

وتستمر فى المحاورات مئات الآيات يحكيها لنا القرآن الكريم ، يسوق لنا كيف حاور الرسل أقوامهم ، وكيف حاور سيدنا إبراهيم أباه بهذا الأسلوب المؤثر البليغ :

﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾ ﴾ سُورَةُ مَرْيَمَ

ويرد الأب الكافر : ﴿ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ . **سورة مريم**

ويرد عليه سيدنا إبراهيم كما يقول القرآن :

﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٤٧

الحوار مرحبا به ، وما أجمل الحوار عندما يكون بين العقلاء فيأتى بالخير الوفير وينتج السعادة والتعاون على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، مرحبا بالحوار الذى يؤدى إلى رق الأفراد ورق الجماعات وأجمل ما يكون الحوار عندما يصدر عن لسان صادق وقلب طاهر ومشاعر نقية وعقول راجحة وقلوب لا تحمل إلا الخير والبر ، لا تعرف الحقد والحسد ، لأن الحوار يفسد عندما تستولى الأطماع والأحقاد والأهواء على النفوس . أما عندما نجد الحوار بين العقلاء كما نقرأ فى أواخر سورة الكهف فى الحوار الذى دار بين سيدنا موسى وبين الخضر نجد حوار العقلاء الأخيار والاحترام المتبادل وسلامة القلب وصدق اللسان وطهارة المشاعر وهذا هو الحوار الذى نسعى إليه .

وعندما يلتقى أخيار الأمم والمفكرون فى هذا الملتقى الكريم من أجل الحوار من أجل الوصول إلى الحق والفضائل والوصول إلى ما يرضى الله ـ سبحانه وتعالى ـ عندما نرى هذا الجمع الكريم الذى شرفت به مصر وشرف به الأزهر ووزارة الأوقاف والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

شرفنا به جميعا وسعدنا بكم جميعا عندما نجد هذا اللقاء على طاعة الله نقول ما قاله الصالحون من قبلنا :

« الحمد لله الذى هدانا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله » .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

تفسير سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ
أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وبعد أن انتهى القرآن من بيان شأن الكتاب وأثره فى الهداية والإرشاد ، وتصوير حال المتقين الذين اهتدوا به ، وما اكتسبوه بالهداية من أوصاف سامية ، وما كان لهم على ذلك من خير العاقبة وحسن الجزاء ، أقول بعد أن انتهى من بيان كل ذلك ؛ شرع فى بيان حال الكافرين ، وماهم عليه من سوء الحال وقبيح الأوصاف .

ففى هاتين الآيتين بيان لأحوال طائفة ثانية من الناس ، على الضد فى طبيعتها وأوصافها ومآلها من الطائفة الأولى التى فازت برضوان الله .

والكفر ـ بالضم : ضد الإيمان . وأصله المأخوذ منه الكفر ـ بالفتح ـ وهو ستر الشىء وتغطيته ، ومنه سمى الليل كافراً ، لأنه يغطى كل شىء بسواده ، وسمى السحاب كافراً لستره ضوء الشمس .

ثم شاع الكفر فى مجرد ستر النعمة ، كأن المنعم عليه قد غطى النعمة بجحوده لها . ويستعمله الشارع فى عدم الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر .

وسمى من لم يؤمن بما يجب الإيمان به بعد الدعوة إليه ـ كافراً ، لأنه صار بجحوده لذلك الحق وعدم الإذعان إليه كالمغطى له .

والمراد بالذين كفروا فى الآية التى معنا : طائفة معينة صمت آذانها عن الحق ، عناداً وحسداً ، وليس عموم الكافرين ، لأن منهم من دخل فى الإسلام بعد نزول هذه الآية .

وسواء : اسم مصدر بمعنى الاستواء والمراد به اسم الفاعل أى : مستو ، ولذلك يوصف به كما يوصف بالمصدر ، كما فى قوله ـ تعالى :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾

أى : مستوية .

والإنذار : إخبار معه تخويف فى مدة تتسع للتحفظ من المخوف ، فإن لم تتسع له فهو إعلام وإشعار لا إنذار ، وأكثر ما يستعمل فى القرآن فى التخويف من عذاب الله ـــ تعالى .

والمعنى : إن الذين كفروا برسالتك يامحمد مستو عندهم إنذارك وعدمه ، فهم لايؤمنون بالحق ، ولايستجيبون لداعى الهدى ، لسوء استعدادهم ، وفساد فطرهم .

وجاءت جملة «إن الذين كفروا» مستأنفة ولم تعطف على ماقبلها لاختلاف الغرض الذى سيق له الكلام ، إذ فى الجمل السابقة حديث عن الكتاب وآثاره وعظمته ، وهنا حديث عن الكافرين وأحوالهم .

وقد وضح هذا المعنى صاحب الكشاف فقال(١) :

«فإن قلت لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله :

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾ .

وغيره من الآيات الكثيرة ؟

قلت : ليس وزان هاتين القصتين وزان ماذكرت . لأن الأولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى المتقين ، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم كيت وكيت ؛ فبين الجملتين تباين فى الغرض والأسلوب ، وهما على حد لامجال فيه للعاطف» .

وقوله ﴿ **سواء** ﴾ خبر إن و﴿ **عليهم** ﴾ متعلق به ، و﴿ **أأنذرتهم** ﴾ مؤول بمصدر فاعل سواء أى : إن الذين كفروا سواء عندهم إنذارهم وعدم إنذارهم . وإنما استوى لديهم الإنذار وعدمه ؛ مع أن الإنذار إنما يواجههم به نبى قوى أمين مؤيد من الله ـ تعالى ـ لأنهم لما جحدوا نعم الله ، وعموا عن آياته ، وحسدوا رسوله على ما آتاه الله من فضله ، صاروا بسبب ذلك فى حضيض

---

(١) تفسير الكشاف جـ١ ص٤٦ .

جمد معه شعورهم ، وبرد فيه إحساسهم ، فلا تؤثر فيهم موجعات القول ، ولاتنفذ إلى قلوبهم بالغات الحجج . فهم كما قال الشاعر :

لقــد أسمعت إذ ناديت حيــا ولكــن لا حيـــاة لمن تنــادى

ولم يذكر ـ سبحانه ـ التبشير مع الإنذار ، لأنهم ليسوا أهلا للبشارة ، ولأن الإنذار أوقع فى القلوب ، والذى لايتأثر به يكون عدم تأثره بغيره أولى .

ولم يقل ـ سبحانه : سواء عليك أأنذرتهم أم لم تنذرهم .. الخ ، لأنه بالنسبة له ﷺ لايستوى الأمران ، إذ هو فى حالة إنذاره لهم مثاب ومأجور ، أما فى حالة عدم إنذاره فهو مؤاخذ من الله ـ تعالى ـ لأنه مكلف بتبليغ ما أنزل إليه من ربه .

وجملة ﴿**لا يؤمنون**﴾ مفسرة لمعنى الجملة التى قبلها ومؤكدة لها ، لأنه حيث كان الإنذار وعدمه سواء ، فلا يتوقع منهم الإيمان . ولذلك فصلت .

وفى هذه الجملة إخبار بعدم إيمانهم البتة ، وذلك لأن حرف «لا» إذا دخل على الفعل المضارع ـ كما هنا ـ أفاد أن الفعل لايقع فى المستقبل حتى تقوم قرينة تقصر النفى فى المستقبل على وقت محدد .

والحكمة فى الإخبار بعدم إيمان هذه الطائفة المعينة من الكفار ، تسلية النبى ﷺ حتى لايكون فى صدره حرج من تمردهم وعدم إيمانهم بعد أن قام بواجب دعوتهم ، وفى ذلك تذكرة لكل داع مصلح بأن لايحترق قلبه أسفا على قوم أعرضوا عن سلوك الصراط المستقيم بعد أن دعاهم إليه ، وبذل قصارى جهده فى تبصيرهم وإرشادهم .

ثم بين ـ سبحانه ـ بعد ذلك الموانع التى حالت بينهم وبين الاهتداء إلى الحق فى الماضى والمستقبل فقال تعالى :

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ﴾ .

والختم : الوسم بطابع ونحوه ، مأخوذ من وضع الخاتم على الشىء وطبعه فيه للاستيثاق ، لكى لايخرج منه ما هو بداخله ، ولايدخله ما هو خارج عنه .

قال القرطبى : «والختم مصدر ختمت الشىء ختماً فهو مختوم مختم ، شدد للمبالغة ومعناه التغطية على الشىء والاستيثاق منه ، وقد يكون محسوساً كما فى ختم الكتاب والباب ، وقد يكون معنوياً كالختم على القلوب»(٢)

والقلوب : جمع قلب ، وهو المضغة التى توجد بالجانب الأيسر من صدر الإنسان ، ويستعمل فى القوة العاقلة التى هى محل الفهم والعلم .

---

(٢) تفسير القرطبى جـ١ ص١٨٦ .

والسمع : مصدر سمع ، ويطلق على الآلة التى يقع بها السمع .

ولما كان الختم يمنع من أن يدخل فى المختوم عليه شيء ، استعير لإحداث هيئة فى القلب والسمع تمنع من خلوص الحق إليهما .

الأبصار : جمع بصر ، وهو فى الأصل الإدراك بالعين ، ويطلق على القوة التى يقع بها الإبصار ، وعلى العين نفسها . وهذا المعنى أقرب ماتحمل عليه الأبصار فى الآية . وهو الأنسب لأن تجعل عليه غشاوة . ومفاد الآية أن تصير أبصارهم بحيث لا تهتدى إلى النظر فى حكمة المخلوقات وعجائب المصنوعات . باعتبار وتدبر وحتى لكأنما جعلت عليها غشاوة .

والغشاوة : مايغطى به الشيء ، من غشاه إذا غطاه . يقال :

غشية غشاوة ــ مثلثة ــ وغشاية . أى : ستره وغطاه .

فهذه الآية الكريمة تفيد عن طريق الاستعارة أو التمثيل أن هناك حواجز حصينة ، وأقفالا متينة قد ضربت على قلوبهم وعلى أسماعهم ، وغشاوات مطبقة على أبصارهم حتى أصبحوا لايخيفهم نذير ولايرغبهم بشير .

وعبر فى جانب القلب والسمع بالختم ، وفى جانب البصر بالغشاوة ، لمعنى سام ، وحكمة رائعة ، ذلك أن آفة البصر معروفة ، إذ غشاوة العين معروفة لنا ، فالتعبير فى جانب العين بالغشاوة مما يحدد لنا مدى عجزهم عن إدراك آيات الله بتلك الجارحة ، وأما القلب والسمع فإنهما لما كانا لاتدرك آفتهما إلا بصعوبة ، فقد صور لنا موانعهما عن الاستجابة للحق بصورة الختم .

وعبر فى جانب القلب والسمع بجملة فعلية تفيد التجدد والحدوث ، وفى جانب البصر بجملة اسمية تفيد الثبات والاستقرار ، لأنهم قبل الرسالة ماكانوا يسمعون صوت نذير ، ولا يواجهون بحجة ، وإنما كان صوت النذير وصياغة البراهين بعد ظهور النبى ﷺ . وأما مايدرك بالبصر من دلائل وجود الله وآيات قدرته ، فقد كان قائماً فى السماوات وفى الأرض وفى الأنفس ، ويصح أن يدرك قبل الرسالة النبوية ، وأن يستدل به المتبصرون والمتدبرون على وجود ربهم وحكمته ، فلم يكن عماهم عن آيات الله القائمة حادثاً متجدداً ، بل هم قد صحبهم العمى من بدء وجودهم ، فلما دعوا إلى التبصر والتدبر صمموا على ماكانوا عليه من عمى ، **وجمع القلوب والأبصار ، وأفرد السمع** : **لأن القلوب تختلف باختلاف مقدار ماتفهمه مما يلقى إليها من إنذار أو تبشير ، ومن حجة أو دليل ، فكان عن ذلك تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم ، وكذلك شأن الناس فيما تنظره أبصارهم من آيات الله فى كونه ، فإن أنظارهم تختلف فى عمق تدبرها وضحولته ، فكان من ذلك تعدد المبصرين بتعدد مقادير ما يستطيعون تدبره من آيات**

الله فى الآفاق . وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شىء واحد هى الحجة يناديهم بها المرسلون ، والدليل يوضحه لهم النبيون .

لذلك كان الناس جميعاً كأنهم على سمع واحد ، فكان إفراد السمع إيذاناً من الله بأن حجته واحدة ، ودليله واحد لايتعدد .

ونرى القرآن هنا قدم القلب فى الذكر على السمع ، بينما فى سورة الجاثية قدم السمع فى الذكر على القلب فقال :

﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة الجاثية

وذلك لأنه ـ سبحانه ـ فى سورة الجاثية قد ذكر الختم معطوفاً على قوله ﴿ **اتخذ إلهه هواه** ﴾ ومن اتخذ إلهه هواه يكون أول ما يبدو منه للناس ويعرف هو إعراضه عن النصح ، ولى رأسه عن استماع الحجة ، فكان مظهر عدم السماع منه أول مايبدو للناظرين ، فذلك قدم السمع على القلب .

وأما آيتنا هذه وهى قوله ـ تعالى ـ ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ **فقد جاءت إثر الآية المختومة بقوله ﴿ لا يؤمنون ﴾** والإيمان تصديق يقوم على الحجة والبراهين ، وإدراك الحجة والبرهان إنما هو بالقلب فكان التعليل المتصل الواضح لنفى الإيمان : أن قلوبهم مغلقة لاتنفذ إليها الحجة ، أولا يتسرب إليها نور البرهان ؛ لذلك قدم القلب على السمع .

هذا وقوله ـ تعالى ـ ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ ..إلخ . لا ينفى عنهم تبعة الكفر ، لأنهم هم الذين باشروا من فاسد الأعمال ، وذميم الخصال ، ومتابعة الهوى ، ما نسج على قلوبهم الأغلفة السميكة ، وأصم إلى جانب ذلك آذانهم وأعمى أبصارهم ، ﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الزخرف

ولعلماء الكلام كلام طويل حول هذه المسألة فليرجع إليه من شاء .

ثم بين ـ سبحانه ـ ما يستحقونه من عذاب بسبب إغراقهم فى الكفر . واستحبابهم للمعاصى فقال : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

أى : ولهم بسبب سوء أعمالهم عذاب موجع مؤلم لأبدانهم وأجسامهم .

وأصل العذاب : المنع ، يقال : عذب الفرس ـ كضرب ـ امتنع عن العلف . وعذب الرجل إذا ترك المأكل والنوم ، فهو عاذب وعذوب . ثم أطلق على الإيجاع الشديد لما فيه من المنع عن اقتراف

الذنب . والعظيم : الكبير ، من عظم الشيء ، وأصله كبر عظمه ، ثم استعير لكل كبير محسوساً كان أو معقولاً .

ووصف العذاب بالعظيم على معنى أن سائر مايجانسه من العذاب يكون بالنسبة إليه حقيراً هيناً .

قال أبو حيان فى البحر : وقد ذكروا فى هاتين الآيتين من ضروب الفصاحة أنواعاً .

الأول : الخطاب العام اللفظ ، الخاص المعنى .

الثانى : الاستفهام الذى يراد به تقرير المعنى فى النفس . أى : يتقرر أن الإنذار وعدمه سواء عندهم .

الثالث : المجاز ويسمى الاستعارة وهو فى قوله ـ تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ﴾ وحقيقة الختم وضع محسوس على محسوس يحدث بينهما رقم يكون علامة للخاتم ، والختم هنا معنوى ؛ فإن القلب لما لم يقبل الحق مع ظهوره استعير اسم المختوم عليه ، فبين أنه من مجاز الاستعارة .

الرابع : الحذف وهو فى مواضع منها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أى : القوم الذين كفروا بالله وبك وبما جئت به ، ومنها ﴿ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ أى بالله وبما أخبرتهم به عنه[٣] .

وإلى هنا يكون القرآن قد حدثنا عن طائفتين من الناس : طائفة المتقين ومالها من جميل الصفات ، وجزيل الثواب ، وطائفة الكافرين ومالها من ذميم النعوت ، وشديد العقاب .

ثم ابتداء القرآن بعد ذلك حديثه عن طائفة ثالثة ليس عندها إخلاص المتقين ، وليس لديها صراحة الكافرين ، وإنما هى طائفة قلقة مذبذبة لا إلى هؤلاء ولا إلى أولئك ، تلك الطائفة الثالثة هى طائفة المنافقين الذين فضحهم القرآن . وأماط اللثام عن خفاياهم وخداعهم فقال :

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ ﴾

قال صاحب الكشاف : «افتتح ـ سبحانه ـ كتابه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله ،

(٣) تفسير البحر المحيط لأبى حيان جـ١ ص٥٠

وواطأت قلوبهم ألسنتهم ، ووافق سرهم علنهم ، وفعلهم قولهم ، ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهراً وباطناً ، قلوباً وألسنة ، ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ، وأبطنوا خلاف ماأظهروا . وهم الذين قال فيهم : ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم إليه وأمقتهم عنده ، لأنهم خلطوا بالكفر تمويهاً وتدليساً ، وبالشرك استهزاء وخداعاً ، ولذلك أنزل فيهم : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ووصف حال الذين كفروا فى آيتين ووصف حال الذين نافقوا فى ثلاث عشرة آية ، نعى عليهم فيها خبثهم ، ومكرهم ، وفضحهم ، وسفههم . واستجهلهم ، واستهزأ بهم ، وتهكم بفعلهم ، وسجل طغيانهم ، ودعاهم صما بكما عميا ، وضرب لهم الأمثال الشنيعة . وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا ، كما تعطف الجملة على الجملة »[٤] .

والناس : اسم لجماعة الإنس . قال القرطبى : « واختلف النحاة فى لفظ الناس فقيل : هو من أسماء الجموع ، جمع إنسان وإنسانة على غير اللفظ ، وتصغيره نويس ، فالناس من النوس وهو الحركة ، ويقال : ناس ، ينوس أى : تحرك . وقيل : أصله نسى ، فأصل ناس نسى ، قلب فصار نيس ، تحركت الياء وانفتح ماقبلها فانقلبت ألفاً ، ثم دخلت الألف والام فقيل : الناس .

قال ابن عباس :

نسى آدم عهد الله فسمى إنساناً . وقيل : سمى إنساناً لأنسه بربه ، قال الشاعر :

وما سمى الإنسان إلا لأنسه ... ولا القلب إلا أنه يتقلب[٥]

واليوم الآخر : هو اليوم الذى يبتدى بالبعث ولاينقطع أبداً ، وقد يراد منه اليوم الذى يبتدى بالبعث وينتهى باستقرار أهل الجنة فى الجنة . وأهل النار فى النار .

وقال القرآن فى شأن المنافقين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ **مجرداً إياهم من الوصفين السابقين ، وصف الإيمان ووصف الكفر ، لأنهم لم يكونوا بحسب ظاهر الأمر مع الكافرين ، ولابحسب باطنه مع المؤمنين ، لذا عبر عنهم بالناس لينطبق التعبير على ماحاولوه لأنفسهم من أنهم لاهم مؤمنون ولا هم كافرون ، وفى ذلك مبالغة فى الحط من شأنهم . فهم لم يخرجوا عن كونهم ناساً فقط ، دون أن يصلوا بأوصافهم إلى أهل اليمين ، أو إلى أهل الشمال الصرحاء فى كفرهم ، بل بقوا فى منحدر من الأرض ، لايمر بهم سالك الطريق المستقيم ولاسالك المعوج من الطرق .**

وعبر القرآن بلفظ ﴿ يقول آمنا ﴾ ليفيد أنه مجرد قول باللسان ، لاأثر له فى القلوب ،

---

(٤) تفسير الكشاف جـ١ ص٥٤ .

(٥) تفسير القرطبى جـ١ ص١٩٢ .

وإنما هم يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم .

وحكى القرآن عن هؤلاء المنافقين أنهم اقتصروا فى إظهار الإيمان على ذكر الإيمان بالله واليوم الآخر ، ليزيدوا فى التمويه على المؤمنين بادعاء أنهم أحاطوا بالإيمان من طرفيه ، لأن من يؤمن بالله واليوم الآخر ، استجابة لدعوة الرسول ﷺ فإن من شأنه أن يكون ـ أيضا ـ مؤمناً برسل الله وملائكته وكتبه .

وقد كذبهم الله ـ تعالى ـ فى دعواهم الإيمان ، فقال :

﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾

فهذه الجملة الكريمة رد لما ادعوه من الإيمان ، ونفى له على أبلغ وجه ، إذ جاء النفى مؤكداً بالباء فى قوله ﴿ **بمؤمنين** ﴾ ثم ان الجملة نفت عنهم الإيمان على سبيل الإطلاق ، فهم ليسوا بمؤمنين لا بالله ولا باليوم الآخر ، ولا بكتب الله ولابرسله ولا بملائكته .

ثم بين ـ سبحانه ـ الدوافع التى دفعتهم إلى أن يقولوا :

﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴾ .

فقال :

﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ .

والخدع فى أصل اللغة : الإخفاء والإبهام ، يقال خدعه ـ كمنعه ـ خدعا ، ختله وأراد به مكروها من حيث لايعلم ؛ وأصله من خدع الضب حارسه إذ أظهر الإقبال عليه ثم خرج من باب آخر .

وخداعهم لله ـ تعالى ـ معناه إظهارهم الإيمان وإبطانهم الكفر ليحقنوا دماءهم وأموالهم ، ويفوزوا بسهم من الغنائم ، وسمى فعلهم هذا خداعاً لله ـ تعالى ـ لأن صورته صورة الخداع ، فالجملة الكريمة هنا مسوقة على أسلوب المشاكلة ، ولايجوز حملها على الحقيقة ، لأنه ـ سبحانه ـ لايخفى عليه صنع المنافقين ؛ بل لا يخفى عليه شيء فى الأرض ولا فى السماء .

قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ ﴾ .

أما خداعهم للمؤمنين فمن مظاهره إظهارهم لهم أنهم إخوانهم فى العقيدة وأنهم لايريدون لهم إلا الخير . بينما هم فى الحقيقة يضمرون لهم العداوة ويتربصون بهم الدوائر .

وجاءت الآية الكريمة هكذا بدون عطف ، لأنها جواب سؤال نشأ من الآية السابقة ، إذ أن قول المنافقين « **آمنا** » وماهم بمؤمنين ، يثير فى نفس السامعين استفهاما عما يدعو هؤلاء لمثل تلك الحال المضطربة والحياة القلقة المقامة على الكذب ، فكان الجواب : إنهم يفعلون ذلك محاولين مخادعة المؤمنين ، جهلا منهم بصفات خالقهم .

وقال القرآن : ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ولم يذكر مخادعتهم للرسول ﷺ ، ولعل الحكمة فى ذلك أن القرآن يعتبر مخادعة الله مخادعة لرسوله ، لأنه هو الذى بعثه إليهم ، وهو المبلغ عن الله أحكامه وشرائعه . قال ـ تعالى :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ وقال ـ تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ .

ثم بين ـــ سبحانة ـ غفلتهم وغباءهم فقال : ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ .

الأنفس : جمع نفس بمعنى ذات الشيء وحقيقته . وتطلق على الجوهر اللطيف الذى يكون به الحس والحركة والإدراك .

ويشعرون : مضارع شعر بالشيء ـ كنصر وكرم ـ يقال : شعر بالشيء أى : فطن له ، ومنه الشاعر لفطنته ، لأنه يفطن لما لايفطن له غيره من غريب المعانى ودقائقها .

والشعور : العلم الحاصل بالحواس ، ومنه مشاعر الإنسان أى : حواسه .

والمعنى : أن هؤلاء المنافقين لم يخادعوا الله لعلمه بما يسرون ، ولم يخادعوا المؤمنين لأن الله يدفع عنهم ضرر خداع المنافقين ، وإنما يخدعون أنفسهم لأن ضرر المخادعة عائد عليهم ، ولكنهم لايشعرون بذلك . لأن ظلام الغى خالط قلوبهم ، فجعلهم عديمى الشعور ، فاقدى الحس .

وأتى بجملة «وما يخدعون إلا أنفسهم» بأسلوب القصر مع أن خداعهم للمؤمنين قد ينالهم بسببه ضرر ، لأن أولئك المنافقين سيصيبهم عذاب شديد بسبب ذلك ، أما المؤمنون فحتى لو نالهم ضرر فلهم عند الله ثوابه .

ونفى عنهم الشعور مع سلامة مشاعرهم ، لأنهم لم ينتفعوا من نعمتها ، ولم يستعملوها فيما خلقت له ، فكانوا كالفاقدين لها .

ثم بين ـ سبحانه ـ العلة فى خداعهم لله وللمؤمنين فقال : ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾

والمرض : العلة فى البدن ونقيضه الصحة ، وقد يستعمل على وجه الاستعارة فيما يعرض للمرء فيخل بكمال نفسه ، كسوء العقيدة والحسد ، والبغضاء والنفاق ، وهو المراد هنا .

وسمى ما هم فيه من نفاق وكفر مرضا ، لكونه مانعا لهم من إدراك الفضائل . كما أن مرض الأبدان يمنعها من التصرف الكامل .

وجعل القرآن قلوبهم ظرفا للمرض ، للإشعار بأنه تمكن منها تمكنا شديداً كما يتمكن الظرف من المظروف فيه .

ثم أخبر ـ سبحانه ـ بأنهم بسبب سوء أعمالهم قد زادهم الله ضلالا وخسراً فقال : ﴿ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ ﴾ .

لأنهم استمروا فى نفاقهم وشكهم ، ومن سنة الله أن المريض إذا لم يعالج مرضه زاد لا محالة مرضه ، إذ المرض ينشىء المرض ، والانحراف يبدأ يسيراً ثم تنفرج الزاوية فى كل خطوة وتزداد .

والمعنى : أن هؤلاء المنافقين قد زادهم الله رجساً على رجسهم ، ومرضاً على مرضهم ، وحسداً على حسدهم ، لأنهم عموا وصموا عن الحق ، ولأنهم كانوا يحزنون لأى نعمة تنزل بالمؤمنين . كما قال ـ تعالى :

﴿ إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ ﴾ .

ثم بين ـ سبحانه ـ سوء عاقبتهم فقال : ﴿ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ .

﴿ أليم ﴾ أى : مؤلم وموجع وجعاً شديداً . من ألم ـ كفرح ـ فهو ألم ، وآلمه يؤلمه إيلاماً ، أى : أوجعه إيجاعاً شديداً .

والكذب : الإخبار عن الشىء بخلاف الواقع . ولقد كان المنافقون كاذبين فى قولهم « آمنا بالله وباليوم الآخر » وهم غير مؤمنين .

وجعلت الآية الكريمة العذاب الأليم مرتبا على كذبهم مع أنهم كفرة ، والكفر أكبر معصية من الكذب ، للإشعار بقبح الكذب ، وللتنفير منه بأبلغ وجه ، فهؤلاء المنافقون قد جمعوا الخستين ، الكفر الذى توعد الله مرتكبه بالعذاب العظيم ، والكذب الذى توعد الله مقترفه بالعقاب الأليم .

وعبر بقوله : ﴿ كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴾ لإفادة تجدد الكذب وحدوثه منهم حيناً بعد حين ، وأن هذه الصفة هى أخص صفاتهم وأبرز جرائمهم .

ـ يتبـــع ـ

نَظَرَاتٌ فِى رَسْمِ المُصْحَفِ

بقلم د . على ابراهيم محمد
مدرس أصول اللغة العربية - كلية اللغة العربية
بالقاهرة - جامعة الأزهر

تناول بعض الدارسين العلاقة بين رسم المصحف والإملاء الاصطلاحى بما يُوحى بأنّ هناك انفصالاً وتباعداً بين النظامين ، وذلك فى حين أن رسم المصحف يلتقى مع الإملاء الاصطلاحى فى أكثر الأمور ، ولا يختلف معه إلا فى جزئيات بسيطة تتعلق برسم بعض الصوامت ، وبرسم بعض الحركات الطويلة .

وفى هذا المقال سأحاول ـ إن شاء الله ـ أن أُلقى الضوء على الرسم المصحفى فأُوضح المقصود به ، وظروف النشأة ، وظواهره ، وموقف العلماء من تفسير هذه الظواهر .

أولا : المقصود برسم المصحف :

الرسم : أصله الأثر ، والمراد أثر الكتابة فى اللفظ وهو تصوير الكلمة بحروف هجائها(١) ، ومن الواضح أنّ هذه الكلمة جاءت من مراعاة عمل القلم فى تصوير الحروف ونقشها . ومصطلح الرسم شاع من قبل ويشيع اليوم فى إطلاقه على كتابة المصحف الشَّريف(٢) والمُصْحَف والمِصْحَف أصله : الجامع للصحف المكتوبة بين الدفتين ؛ كأنه أُصْحِف . والكسر والفتح فيه لغة . قال أوعبيد : (تميم) تكسرها و(قيس) تضمها ، ولم يذكر من يفتحها ولا أنها تفتح إنما

(١) رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات . د. عبدالفتاح شلبى ص٩ ط مكتبة نهضة مصر ١٩٦٠ .

(٢) فى علم الكتابة العربية لأستاذى الدكتور عبدالله ربيع محمود ص ١٤٣ ط١ سنة ١٩٩٢م .

ذلك عن اللحيانى عن الكسائى[٣] .

وسُمى المصحفُ مصحفًا لأنه أُصْحِف ، أى جُعل جامعًا للصحف المكتوبة بين الدفتين .

وحينما يُطلق (المصحف) مع كلمة (رسم) يقصَد منها المصاحف العثمانية التى أجمع عليها الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ . ثم أصبحت هذه التسمية تطلق على ذلك العلم الذى اتخذ مادته وموضوعه من ظواهر رسم المصحف . وسمَّاه بعضهم بعلم رسم المصحف كما فى كشف الظنون لحاجى خليفة ٩٠٢/١ ، وسماه بعضهم بعلم الرسم التوقيفى كما فى دليل الحيران شرح مورد الظمآن للمارغنى ص٤٠ وعرَّفه بأنَّه علم تُعرف به مخالفات خط المصاحف لأصول الرسم القياسى .

ثانيًا : ظروف النشأة :

كان للإسلام أثر عظيم على اللغة العربية بشكل عام ، وعلى نظامها الكتابى بشكل خاص . وكان من مظاهر هذا الأثر على الكتابة العربية تلك المجالات الواسعة التى دخلتها هذه الكتابة ، وذلك الاستعمال الواسع الذى نقلها من كونها مجرد كتابة محصورة فى معاملات تجارية وأغراض محدودة لبضع جماعات من العرب إلى كتابة عالمية تخدم حاجات دولة امتدت فى قرن من الزمان إلى مساحات مترامية الأطراف ضمت أقواما شتى ، استعملوا هذه الكتابة فى مختلف أمور حياتهم لأنها الكتابة التى دُوِّن بها كتاب الله ـ تعالى ـ .

ومن الواضح أن الخط العربى الذى استُخدم فى كتابة القرآن الكريم هو ذلك الخط الذى ساد استعماله عند الناس فى كل أمور الحياة فى بداية الإسلام وحتى ظهور علماء المِصْرَيَن : البصرة والكوفة . يضع الهورينى ـ رحمه الله ـ أيدينا على هذا فيقول : « كان أكثر الصحابة ومن وافقهم من التابعين وأتباعهم يوافقون الرسم المصحفى فى كل ما كتبوا ولو لم يكن قرآنًا ولا حديثًا ، ويكرهون خلافهُ ، ويقولون لا نُخَالف الإمام ؛ يريدون بذلك المصحف الذى كُتب بأمر عثمان ـ رضى الله عنه ـ فإنهم كانوا يسمونه الإمام من حيث اتباعه رسما ، واستمر الأمر على ذلك إلى أن ظهر علماء المِصْرِيْنِ ، وأسسوا لهذا الفن ضوابط وروابط بنوها على أقيستهم النحوية ، وأصولهم الصرفية سموها علم الخط القياسى أو الأصطلاحى المخترع ، وسمّوا رسم المصحف بالخط المتبع[٤] .

ومع ظهور الفروق الظاهرة بين المكتوب والمنطوق فى هذا الرسم المتبع آنذاك والذى

---

(٣) لسان العرب لإبن منظور مادة (ص ح ف) ط دار المعارف

(٤) المطالع النصرية للشيخ نصر الهورينى ص١٨،١٩ . ط المطبعة الخيرية سنة ١٣٠٤هـ .

استُخدم فى رسم المصحف وغيره لم يحاول علماء العربية تقنين هجائها وتنميط رسمها إلا بعد فترة غير قصيرة لأنهم قد ارتضوا فى أول الأمر الكتابة المصحفية التى كُتبت بها المصاحف الشريفة واستعملوها فى كل أمور حياتهم .

وقد أراد الله ـ تعالى ـ لهذا الرسم البقاء ، وكان من أقوى أسباب بقائه ارتباطه بالقراءات القرآنية حيث كان هذا الارتباط عاملا أساسيًا فى الحفاظ على رسم الكلمات على صورتها التى كُتبت بها قديما .

وقد دفع ارتباط الرسم بالقراءات العلماء إلى حصر الكلمات التى جاءت فى المصحف مكتوبة بصورة تخالف ما اصطلح عليه الناس فى الفترات اللاحقة مما شكّل مادة وموضوعًا لكثير من المصنفات التى أسست ما يُسمى اليوم بعلم رسم المصحف والتى منها :

(١) اختلاف المصاحف لأبن حاتم سهل بن محمد السجستانى (ت ٢٤٨هـ) .

(٢) كتاب المصاحف لأبى بكر عبدالله بن أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٣١٦هـ) .

(٣) المصاحف لابن أشته (ت ٣٦٠هـ) .

(٤) البديع فى هجاء المصاحف لابن معاذ الجهنى (ت ٤٤٢هـ) .

(٥) المقنع فى رسم مصاحف الأمْصَار لأبى عمرو الدانى (ت ٤٤٤هـ) .

وغير ذلك المؤلفات التى أُفردت لرسم المصحف ، وقد وردت فصول عنه فى ثنايا الكتب التى تدور فى فلك علوم القرآن مثل البرهان للزركشى والإتقان للسيوطى ، وكذلك وردت فصول عنه فى الكتب الخاصة بالقراءات القرآنية مثل النشر لابن الجزرى والاتحاف للبنا الدمياطى .

هذا بالإضافة إلى ما كتب حديثا عن الرسم المصحفى والذى منه : **رسم المصحف والاحتجاج به فى القراءات** د. عبدالفتاح شلبى ،

ورسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبدالحى الفرماوى . وإيقاظ الأعلام لوجوب اتباع رسم المصحف الإمام للشنقيطى وغير ذلك كثير .

ثالثًا : ظواهر الرسم المصحفى :

تتلخص أهم ظواهر الرسم المصحفى فى ظاهرة الحذف ، وظاهرة الزيادة ، وظاهرة البدل ، وظاهرة رسم هاءات التأنيث بالتاء . وفيما يلى الإشارة إلى هذه الظواهر .

١ ـ ظاهرة الحذف :

ذكر الشيخ الضباع ـ رحمه الله ـ أن الحذف جاء فى المصاحف على ثلاثة أقسام : حذف إشارة ، وحذف اختصار ، وحذف اقتصار .

أما حذف الإشارة فهو ما يكون موافقًا لبعض

القراءات نحو «وإذ وَعَدْنا»[٥] فقد قُرئ بحذف الألف وإثباتها فحذفت الألف فى الخط إشارة لقراءة الحذف . ولا يشترط فى كونه حذف إشارة أن تكون القراءة المشار إليها متواترة بل ولو شاذة لاحتمال أن تكون غير شاذة حين كَتْب المصاحف[٦] .

وأما حذف الاختصار فهو مالا يختص بكلمة دون مماثلها فيصدق بما تكرر من الكلمات وما لم يتكرر منها كحذف ألف جموع السلامة نحو «العَلمين، وذريَت» والأصل: (العـــالمين) (وذريات) .

وأما حذف الاقتصار فهو ما اختص بكلمة أو كلمات دون نظائرها مثل «الميعَد» فى الأنفال . وأصلها الميعاد[٧] .

وما يحذف من حروف الهجاء فى المصاحف خمسة حروف هى الألف والواو والياء واللام والنون فمن أمثلة حذف الألف حذفها فى بعض الأسماء الأعجمية الزائدة على ثلاثة أحرف نحو « لقمن وسليمن » .

ومن أمثله حذف الواو حذفها فى الفعل (يدع) فى قوله تعالى «ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير»[٨] .

ومن أمثلة حذف الياء حذفها من كلمة (الداع) من قوله تعالى «يوم يَدْعُ الدَّاع»[٩] ومن أمثلة حذف اللام حذفها من كلمة (الليل) حيث ترسم بلام واحدة حيث وقعت ومن أمثلة حذف النون حذفها من كلمة (فنجى) من قوله تعالى «فَنُجِّي مَنْ نَشَاءُ»[١٠] .

٢ ــ الزيادة :

ما يُزاد فى المصاحف من حروف الهجاء ثلاثة : الألف والياء والواو .

فمن زيادة الألف زيادتها فى قول الله ــ تعالى ــ «أولا أذبحنه»[١١] وفى قوله ــ تعالى ــ «ولا تقولن لشاىء» . ومن زيادة الياء زيادتها فى قوله ــ تعالى ــ «تلقاىء نفسى»[١٢] . ومن زيادة الواو زيادتها فى قوله ــ تعالى ــ «سأوريكم دار الفاسقين»[١٣] وفى قوله ــ تعالى ــ «سأوريكم آيتى»[١٤] .

---

(٥) من الآية ٥١ / البقرة . وقرأ أبوجعفر والبصريان بقصر الألف من الوعد وقرأ الباقون بالمد من المواعدة . ويُنظر النشر لابن الجزرى ٢١٢/٢ ط د الكتب العلمية بيروت .

(٦) سمير الطالبين للشيخ على محمد الضباع ص٣١ ط مكتبة المشهد الحسينى..

(٧) السابق ص ٣١ ــ ٣٨ بتصرف .

(٨) من الآية ١١ سورة الإسراء .

(٩) من الآية ٦ / سورة القمر .

(١٠) من الآية ١١٠ / سورة يوسف .

(١١) من الآية ٢١ / النمل .

(١٢) من الآية ١٥ / يونس .

(١٣) من الآية ١٤٥ / الأعراف .

(١٤) من الآية ٣٧ / الأنبياء .

٣ ـ البـــدل :

يقصد بالبدل كتابة رمز محل رمز آخر ككتابة الألف ياء أو واواً . ويختص الرسم العثمانى فى هذه الظاهرة بكتابة ألف الصلاة ، والزكاة ، والربا ، والحياة إذا وقعت هذه الكلمات غير مضافة . وكذلك ألف الفداة ، ومشكاة ، والنجاة ، ومناة .

ومن ظاهرة البدل فى الرسم العثمانى أيضًا أنه يرسم بالياء كل ألف منقلبة عن ياء نحو : «يتوفيكم»(١٥) فى اسم أو فعل اتصل به ضمير أولا . لَقِى ساكنًا أم لا مثل «ياحسرتى»(١٦) «ياأسفى»(١٧) إلا «لدالباب»(١٨) فى سورة يوسف فإنها كتبت بالألف(١٩) .

٤ ـ رسم هاءات التأنيث بالتاء

من ظواهر الرسم المصحفى رسم هاءات التأنيث بالتاء فى بعض المواضع . من ذلك : كتابة كلمة الرحمة . فقد رسمت بالتاء فى سبعة مواضع بالتاء منها قول الحق ـ عز وجل ـ «أولئك يرجون رحمت الله»(٢٠) وكلمة النعْمة كتبت بالتاء فى أحد عشر موضعا فى القرآن الكريم منها قول الله ـ تعالى ـ «واذكروا نعـــمت الله عليكم»(٢١) وكلمة سُنَّة كُتبت بالتاء فى خمسة مواضع منها قول الله ـ تعالى ـ «فقد مضت سنت الأولين»(٢٢) .

تلك هى أهم الظواهر الخاصة بالـــرسم المصحفى التى أسعف المقام بذكرها ، وهناك من الظواهر ما ينفرد بها هذا الرسم أيضا مثل ظاهرة وصل الكلمات التى تُفصل عن بعضها فى الإملاء الاصطلاحى أو العكس ، وهناك بعض الأمور التى تتعلق برسم الهمزة والتى يخالف فيها الرسم القرآنى الإملاء الاصطلاحى والتى منها حذف الألف التى هى صورة الهمزة فى أصل مطرد وهو قول الله ـ تعالى ـ «لأملئن جهنم»(٢٣) حيث وقع(٢٤) .

هذا وقد شغل العلماء قديما وحديثًا وجود تفسير لهذه الظواهر وهذا ما توضحه السطور التالية .

---

(١٥) من الآية ٦٠ / الأنعام .
(١٦) من الآية ٥٦ / الزمر
(١٧) من الآية ٨٤ / يوسف .
(١٨) من الآية ٢٥ / يوسف .
(١٩) سمير الطالبين ص٨٩ ـ ٩٠ بتصرف . المقنع ص٣٣،٣٤ .
(٢٠) من الآية ٢٨١ / البقرة .
(٢١) من الآية ٢٢ / البقرة .
(٢٢) من الآية ٣٨ / الأنفال .
(٢٣) المقنـــع للـــدانى ص٨٢،٨٣ ط الكليـــات الأزهرية .
(٢٤) وردت فى أربعة مواضع فى القرآن أو لها ١٨/ الأعـراف ، ١١٩/ هود ، ١٣/السجـــدة ، ٨٥/ص وجميعهم فى المصاحف التى تحت أيدينا بالألف أى بإثباتها .

رابعًا ـ تفسير ظواهر الرسم المصحفى :

شغلت هذه الظواهر العلماء قديمًا وحديثًا فحاولوا تفسيرها ، وقد اختلفت وجهات النظر فى شأن هذا التفسير وكان أهم هذه الاتجاهات ما يلى :

١ ـ تفسير بعض الظواهر بعلل لُغوية

ذهب فريق من العلماء إلى تفسير بعض ظواهر الرسم المصحفى بعلل لغوية من هؤلاء (الفراء) فى كتابه (معانى القرآن) . من ذلك تفسيره لبعض مواضع الحذف حيث يقول عند قول الله تعالى : ﴿ واخشونى ﴾[٢٥] :

وقـولـه : ﴿ واخشـــونى ﴾ أثبـتـت فيها الياء ولم تثبت فى غيرها ، وكل ذلك صواب ، وإنما استجازوا حذف الياء لأن كسرة النون تدل عليها وليست تهيب العرب حذف الياء من آخر الكلام إذا كان ما قبلها مكسوراً . من ذلك « ربِّى أكرمن »[٢٦] و « أهنـن »[٢٧] فى سورة الفجـر ، وقوله ـ تعالى ـ « أتمدونِ بمال »[٢٨] . ومن غير النون « المنـاد »[٢٩] و « الـداع »[٣٠] وهـو كثير يكتفى من الياء بكسرة ما قبلها ومن الواو بضمة ما قبلها مثـل قولـه ـ تعـالى ـ « سنـــدع الزبانية »[٣١] ، و « يدع الإنسان »[٣٢]وما أشبهه ، وقد تسقط العرب الواو وهى واو جماع اكتفاءً بالضمة قبلها فقالوا فى ضربوا: قد ضربُ وفى قالوا : قد قالُ . قال وهى فى هوازن وعليا قيس . وأنشدنى بعضهم :

إذا ما شاءُ ضروا من أرادوا
ولا يَألُوا لهم أحد ضِراراً

وتفعل ذلك فى ياء التأنيث كقول عنترة :

إن العدو لهم إليك وسيلة
إن يأُخذوكِ تكحلى وتَّخْضبِ[٣٣]

ومن قبيل التعليل بعلل لغوية ما ذكره الخليل ابن أحمد ـ رحمه الله ـ حين علل لكتابة كلمة « الحياة » بالواو وحيث قال : « ليُعلم أن الواو بالياء »[٣٤] . وفى هذا إشارة من الخليل إلى أنها كُتبت بالواو للدلالة على أصلها وهو الواو .

وفى نظرى أن التعليل بعلل لغوية قد ينطبق على بعض الظواهر ولا ينطبق على بعضها الآخر . فهو لا ينطبق مثلا على زيـادة الألـف فى قول الله ـ تعالى ـ « أولا أذبحنه »[٣٥] . لذلك لا ينبغى أن

---

(٢٥) من الآية ١٥٠ / البقرة .
(٢٦) من الآية ١٥ / الفجر .
(٢٧) من الآية ١٦ / الفجر .
(٢٨) من الآية ٣٦ / النمل .
(٢٩) من الآية ٤١ / ق .
(٣٠) من الآية ٦/ القمر .
(٣١) من الآية ١٨ / العلق .
(٣٢) من الآية ١١ / الإسراء .
(٣٣) معانى القرآن للفراء ٩١،٩٠/١ بتصرف تح أحمد نجاتى ومحمد على النجار ذ الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٨٠م .
(٣٤) العين للخليل بن احمد مادة (ح ى و) تح د. مهدى المخزومى ود. ابراهيم السامرائى ط مؤسسة الأعلمى ببيروت ١٩٨٨م .
(٣٥) من الآية ٢١ / النمل .

يُتخذ هذا الاتجاه منهجًا عامًا فى تفسير هذه الظواهر كما ذهب إلى ذلك الدانى ــ رحمه الله ــ حين قال : «وليس شيء من الرسم ولا من النقط اصطلح عليه السلف ــ رضوان الله عليهم ــ إلا وقد حاولوا به وجهًا من الصحة والصواب وقصدوا به طريقًا من اللغة والقياس»(٣٦) .

٢ ــ رد تلك الظواهر إلى خطأ الكاتب

فسَّر بعض العلماء ظواهر الرسم المصحفى بأنها ترجع إلى خطأ الكاتب . من هؤلاء الفراء الذى فسَّر بعض هذه الظواهر بهذا الأمر . من هذا تفسيره لزيادة الألف فى قول الله ــ تعالى : «ولا أوضعوا خلالكم»(٣٧) حيث يقول :

وكُتبت بلام ألف وألف بعد ذلك ولم يكتب فى القرآن لها نظير وذلك أنهم لا يكادون يستمرون فى الكتابة على جهة واحدة ألا ترى أنهم كتبوا «فما تغن النذر»(٣٨) بغير ياء و«وما تغنى الآيات والنذر»(٣٩) بالياء وهو من سوء هجاء الأولين(٤٠) . وهذا موقف من الفراء يُلفت النظر

ففى حين يعلل حذف الياء فى قول الله ــ تعالى ــ «فما تغن النذر»(٤١) بسوء هجاء الأولين تراه يعلله ــ كما سبق فى مواضع أخرى بعلل لغوية ويستشهد لذلك بما ورد عن العرب .

وذهب إلى هذا الرأى ابن قتيبة الذى جعل خطأ الكاتب أحد احتمالين فى توجيه هذه الظواهر بقول ابن قتيبه : وليست تخلو هذه الحروف من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الأعراب أو تكون غلطًا من الكاتب(٤٢) .

وفى رأيى أن هذا الاتجاه الذى يفسر ظواهر الرسم المصحفى بخطأ الكاتب نتيجة لعدم انتشار الكتابة بين الصحابة ــ كما صرح بذلك ابن خلدون(٤٣) ــ اتجاه تعوز أقواله الدقة وينبغى الحذر منه لأن أقواله منتقصه بكثير من الأدلة التى تدل على أن كثيراً من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ كانوا يعرفون الكتابة معرفة جيدة وأنها ــ أى الكتابة ــ لم تكن حديثة العهد عندما دُوِّن القرآنُ الكريم . من هذه الأدلة :

(أ) أن كلمة القراءة ومشتقاتها قد وردت فى القرآن الكريم الذى هو ــ بالإضافة إلى صفته القدسية ــ الأثر العربى الوحيد المسهب المكتوب الذى وصل إلينا كما كُتب فى عهد النبى ﷺ قد وردت حوالى تسعين مرة ، وأن كلمة الكتابة

(٣٦) المحكم فى نقط المصاحف للدانى ص١٩٦ تح د. عزة حسن ط دار الفكر سوريا ١٩٨٦م .
(٣٧) من الآية ٤٧ / التوبة .
(٣٨) من الآية ٥ / القمر .
(٣٩) من الآية ١٠١ / يونس .
(٤٠) معانى القرآن للفراء ٤٣٩/١ .
(٤١) من الآية ٥ / القمر .
(٤٢) رسم المصحف د. غانم قدورى ص٢٠٧ ط العراق ١٩٨٢م نقلا عن : تأويل شكل القرآن لابن قتيبة ص٤٠،٤١ .
(٤٣) السابق ص٢٠٩ نقلا عن تاريخ ابن خلدون ٧٥٧/١،٧٩١ .

ومشتقاتها قد وردت نحو ثلاثمائة مرة ، وأن أولى آيات القرآن الكريم نزولا آيات سورة العلق قد نوَّهت بالقراءة والكتابة تنويهًا عظيماً «إقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . إقرأ وربُّك الأكرم . الذى علَّم بالقلم . علَّم الإنسان مالم يعلم»[٤٤] .

(ب) هناك أحاديث نبوية شريفة تدل على أن النبى ﷺ كان يتحرى الدقة مع كُتَّابه وكان يطبق معهم مبدأ هامًا يدل على دقة المُمْلى والمستملى وهو مبدأ عرض المكتوب بعد كتابته . من هذه الأحاديث :

عن ابن سليمان بن زيد بن ثابت عن أبيه عن جده زيد بن ثابت ـ رضى الله عنه ـ قال كنت أكتب الوحى عند رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان إذا أنزل عليه أخذته بَرْحاء شديدة وعَرِق عَرَقًا مثل الجمان ثم سُرِّى عنه فكنت أدخل بقطعة القتب أو كسره فأكتب وهو يُملى على فما أبرح حتى تكاد تنكسر رجلى من ثقل القرآن وحتى أقول لا أمشى على رجل أبداً فإذا فرغت قال «اقرأه» فاقرأه فإن كان فيه سَقْط أقامه ثم أخرج به إلى الناس»[٤٥] .

هذا وغيره مما يضعف الاعتماد على هذا الاتجاه فى تفسير ظواهر الرسم المصحفى .

٣ ـ حمل اختلاف الرسم على اختلاف المعنى

ذهب بعض العلماء إلى تفسير هذه الظواهر تفسيراً يقوم على اختلاف المعنى إذا اختلف الرسم . ويُعَدُّ ابن البنا المراكشى (ت٧٢١هـ) رائد هذا الاتجاه . فقد ألف كتابًا فى الكشف عن الأسرار التى يتضمنها الرسم العثمانى سماه الزركشى والسيوطى : «عنوان الدليل فى مرسوم خط التنزيل» وقد نقل السيوطى فى الإتقان كثيرا مما ورد عن المراكشى من هذا تفسيره لحذف الواو فى قول الله ـ تعالى ـ «ويدع الإنسان»[٤٦] وقوله ـ تعالى ـ «ويمح الله»[٤٧] ... حيث نقل عنه السيوطى قوله «السر فى حذفها التنبيه على سرعة وقوع الفعل وسهولته على الفاعل وشدَّةوقوع المنفعل المتأثر به فى الوجود[٤٨] .

ولما كان هذا الاتجاه يقوم على أسس فلسفية باطنية قد يقع من ينتهجه فى تناقض رفضه بعض الدارسين[٤٩] .

---

(٤٤) الآيات من ١ ـ ٥ / العلق .

(٤٥) أدب الإملاء والاستملاء للسمعانى ص٧٧ ص دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م .
والحديث ذكره الخطيب البغدادى فى كتابه الجامع لاخلاق الراوى ١٢٣/٢ تح د. محمود الطحان ط مكتبة المعارف بالرياض وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٥٢/١ باب عرض الكتاب بعد إملائه بنحوه وقال : رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله موثوقون .

(٤٦) من الآية ١١ / الإسراء .

(٤٧) من الآية ٢٤ / الشورى .

(٤٨) الإتقان للسيوطى ١٥٠/٤ تح محمد أبوالفضل إبراهيم . ط دار التراث د.ت .

(٤٩) رسم المصحف د. غانم قدورى ص٢٢٩ وما بعدها .

٤ ـ تفسير بعض الظواهر باحتمال القراءات

ذهب بعض العلماء إلى أن المصحف العثمانى كُتب ليشتمل على الأحرف السبعة أو أنه جاء شاملا لما يحتمله رسمه منها . وبناء على ذلك حاول بعض العلماء تعليل حذف أو زيادة بعض الرموز الخاصة بأصوات المد بأن المقصود من ذلك أن تحتمل الكلمة القراءات المتنوعة الصحيحة الواردة فيها . بل إن بعضهم جعل من مزايا الرسم العثمانى الدلالة على القراءات المتنوعة فى الكلمة الواحدة .

ومن أمثلة هذا الاتجاه تعليلهم لقول الله ـ عز وجل ـ «إن هذان لساحران»(٥٠) . حيث قال بعضهم : رسمت فى المصحف العثمانى هكذا : «ان هذن لساحرن» من غير نقط ولا تشديد ولا شكل ولا تخفيف فى نونى (ان هذان) ومن غير ألف ولا ياء بعد الذال من « هذان » ومجىء الرسم كذلك كان صالحًا عندهم لأن يقرأ بالأوجه الأربعة التى وردت كلها بأسانيد صحيحة وهى :

قراءة نافع ومن معه بتشديد النون فى (إن) ويخففون (هذان) بالألف .

= قراءة حفص يخفف النون فى (إن) و(هذان) بالألف وبالتخفيف أيضًا .

= قراءة ابن كثير يخفف النون فى (إن) ويشدد النون فى (هذان) .

= قراءة أبى عمرو بتشديد النون فى (إن) وبالياء وتخفيف النون فى (هذين)(٥١) .

وفى نظرى أنه يمكن الإفادة من هذا الاتجاه فى تفسير بعض الظواهر لكن لا ينبغى أن يقتصر عليه فى تفسير جميع الظواهر ، فلعل بعض الظواهر يمكن تفسيرها من خلال ما اهتدى إليه علم اللغة الحديث من خلال الدراسة الشاملة لظروف الكتابة العربية ومعرفة الأصل الذى أخذت عنه فكثير من ظواهر الرسم المصحفى ما هو إلا مورثات ورثتها الكتابة العربية عن ذلك الأصل النبطى الذى أخذت عنه هذه الكتابة من ذلك مثلا ـ ظاهرة حذف الألف فى بعض كلمات نحو «الله ـ الرحمن ـ لقمن ـ سليمن» فالكتابة النبطية التى أخذت عنها الكتابة العربية لم تكن تمثل للحركات بأية صورة ، وقد تأثرت الكتابة العربية بهذا الأمر فظلت حينًا لا تمثل للحركات . وقد ظهر من ذلك بعض الصور فى الكتابة المصحفية .

---

(٥٠) من الآية ٦٣ / سورة طه .

(٥١) رسم المصحف بين المؤيدين والمعارضين د. عبدالحى الفرماوى ص٨٥،٨٦ بتصرف ص مكتبة الأزهر ١٩٧٧م .

(٥٢) اتحاف فضلاء البشر للبنا الدمياطى جـ٢/٢٤٨،٢٤٩ بتصرف تح د. شعبان محمد إسماعيل ط عالم الكتب ومكتبة الكليات الأزهرية سنة ١٩٨٧م .

قبس من أنوار النبوة

دعوة الإسلام للعمل وتكريمه للعاملين

لفضيلة الشيخ/ علي حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا من الأنصار أتى النبى ﷺ يسأله : فقال له النبى ﷺ : « أما فى بيتك شىء ؟ قال : بلى حلس[1] نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب[2] نشرب فيه الماء : قال النبى « إئتنى بهما ؛ فأتاه بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال : « من يشترى هذين ؟ .. قال رجل : أنا آخذهما بدرهم : قال رسول الله ﷺ : « من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثا » .

قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين ، فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى ، وقال : « اشتر بأحدهما طعاما فانبذه[3] إلى أهلك ، وأشتر بالآخر قدوما ؛ فأتنى به ، فأتاه به ، فشد عليه رسول الله ﷺ عودا بيده . ثم قال له : أذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، وجاء وقد أصاب عشرة دراهم ، فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا خير من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة » .

« إن المسألة لا تصلح إلا لثلاثة : لذى فقر مدقع ، أو لذى غرم مقطع ، أو لذى دم موجع » . رواه أبوداود والنسائى والترمذى

(١) الحلس : كساء يوضع تحت الرجل ويبسط للفرش والغطاء .
(٢) القعب : إناء من فخار .
(٣) فانبذه : قدمه طعاما لأولادك .
(٤) أصاب : ربح .

□ البيان :

إن الإسلام يرفع من قدر الإنسان الذى كرمه الله وفضله على كثير من المخلوقات بالعمل ، وإن الحياة بدون حركة وعمل وسعى تكون خرابا رهيبا ، وموتا محققا كئيبا ، ولا ثمرة بدون جهد وعمل ولا غاية بدون وسيلة .

لقد أرشد الإسلام فى آيات القرآن الكريم إلى رزق الله الذى ساقه إلى مريم البتول فى الوقت الذى تعانى فيه من آلام الوضع وضعف الولادة إلى العمل الذى تستطيع القيام به لتناول رزقها ، حيث قال الله تعالى : فى سورة مريم :

﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٢٥ ، ٢٦

وإن الطيور السابحة فى الفضاء لا تملأ حواصلها من حبات الأرض إلا بالحركة والسعى ، وإلى هذا يشير حديث رسول الله ﷺ حيث قال : ـ فيما رواه الترمذى : « **لو توكلتم على الله حق التوكل ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصاً ـ جائعة ـ وتعود بطاناً » مليئة بطونها بالطعام .**

الحث على العمل فى الكتاب والسنة :

إن فى القرآن الكريم ما ينيف عن ثلثمائة آية تدل على عناية الإسلام بالعمل ، منها :

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ١٠٥

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ .

سورة الأنبياء ـ آية : ٨٠

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ .

سورة الكهف ـ آية : ٣٠

والعمل فى الإسلام لا ينحصر فى الأعمال الروحية كالصلاة والصيام والزكاة والحج ، ولكن تتسع دائرته حتى تشمل كل عمل مثمر مفيد للنفس وللغير ، وكل سعى لخير البشرية ، ولحفظ كيان الجماعة الإنسانية قال الله ـ تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾

سورة الملك ـ آية : ١٥

والعمل فى الإسلام ، قرين العبادات : دنيا ودين ، صلاة وسعى ، عبادة وتجارة ، مسجد ومعمل .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

سورة الجمعة ـ آية : ١٠

و « ما أكل عبد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده » رواه البخارى .

ولقد رأى رسول الله ﷺ ، رجلا من الأنصار قد خشنت يده ، فسأله عن سبب ذلك فقال الرجل : إنه من أثر المسحاة التى يعملُ بها حتى ينفق على أولاده فقال الرسول ﷺ كما فى أسد الغابة ـ « **هذه يد لا تمسها النار ، وفى**

رواية هذه يد يحبها الله ورسوبه » وروى أن النبى قبّل يده » .

والإسلام يجعل عمر الإنسان كله وقفا على العمل حتى آخر لحظة فى الحياة جاء فى عمدة القارى شرح البخارى (للعينى) أن النبى ﷺ قال : «**إن قامت القيامة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليغرسها ، فله بذلك أجر** » .

وفى الحديث الذى معنا توجيه نبوى كريم لهذا الأنصارى ولغيره من المسلمين إلى يوم القيامة : بأن ذُلّ السؤال وعزة المؤمن لا يجتمعان فى نفس رجل واحد أبدا ، وأن المسألة لا تصلح إلا لذى فقر مدقع ، أى الفقر الشديد الذى لا يحتمل كأنه ألصق صاحبه بالرقعاء ، وهو التراب لشدته .

أو لذى غرم مفظع ـ أى إنسان عليه دين وحل أجل الوفاء به .

أو لذى دم موجع ـ أى أن يتحمل إنسان دية لأولياء المقتول وإن لم يؤدها قتل المتحمل عنه ، فيطلب مساعدته وإعانته لأداء الدية وما عدا ذلك فإنما هى جمرة من النار .

لمن تحل الصدقة ؟ :

أخرج الترمذى : أن النبى ﷺ قال : « **إن الصدقة لا تحل لغنى أى : الذى عنده ما يغذيه أو يعشيه ـ ولا لذى مرة سوى ـ أى الشديد القوى السليم من الآفات ـ « ولا تحل إلا لذى فقر مدقع ، أو غرم مفظع ، أو دم موجع ، ومن يسأل الناس ليثرى به ماله كان خُموشا فى وجهه يوم القيامة ، ورضفا يأكله من جهنم ـ أى حجارة محماه ـ فمن شاء فليقلل ومن شاء فليكثر** » وزاد زرين ـ رحمه الله ـ « وإنى لأعطى الرجل العطية فينطلق بها تحت إبطه أو جاعلها فى بطنه وما هى إلا نار . فقال له عمر ـ رضى الله عنه ـ فلِمَ تعطى يا رسول الله ما هو نار . فقال ﷺ أبى الله لى البخل ، وأبوا إلا مسألتى » .

وأخرج مسلم ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا فليستقل أو ليستكثر** » .

والمسكين المستحق : هو الذى حدد رسول الله ﷺ ملامحه فى الحديث الذى أخرجه الستة إلا الترمذى ـ عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **ليس المسكين الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ، ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ، ولا يفطن به فيتصدق عليه ، ولا يقوم فيسأل الناس** » .

وفى سنن أبى داود أن عمر ـ رضى الله عنه ـ قال : قال لى رسول الله ﷺ : « **إذا أعطيت شيئا من غير أن تسأله فكل وتصدق** » .

وبعد ..

فإن الإسلام يرفع من قدر الإنسان ، ويعلى مكانته ، ويكرّمه ويضعه فى المكان اللائق به فطوبى لمن انتفع بتوجيهات الإسلام واهتدى بهدايته ، ونفذ تعاليمه ومبادئه وتجمل بفضائله .

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل ..

عقد التأمين ومدى مشروعيته في الفقه الإسلامي

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

٧

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

والتأمين التجارى ؛ هو النوع الثالث من أنواع التأمين ، وهو يسمى : التأمين بقسط ثابت . وهذا النوع من التأمين لا يمكن أن يباشره قانونا غير شركات المساهمة المملوكة للمصريين(١) ، وفيه يتميز شخص المؤمن عن أشخاص المؤمن لهم ، ويسعى إلى تحقيق الربح عن طريق إجراء المقاصة بين المخاطر ، فيوزع تلك المخاطر على المؤمن لهم فى صورة أقساط سنوية ثابتة يحددها باللجوء الى الإحصاءات وحساب الاحتمالات ، وهذا القسط الذى يقع على عاتق المؤمن له لا يقبل فى الأصل تغييرا بحسب ما تحقق من مخاطر ، وكما أن المؤمن هو الذى يتحمل تبعة ما يتحقق من مخاطر ، فإن الربح كمبدأ يعتبر من حق شركة التأمين ، ويلتزم المؤمن وحده بدون تضامن مع المؤمن لهم بدفع مبلغ التأمين عند تحقق الخطر(٢) ، وهذا النوع من التأمين قد اشتد الخلاف حوله واحتد وانقسم الرأى فيه إلى قولين :

* الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(١) وذلك وفقا لما نصت عليه المادتان (١٧،٣٧) من القانون المصرى رقم ١٠ لسنة ١٩٨١م . بشأن الإشراف والرقابة على التأمين ، راجع : صناعة التأمين فى مصر — ص٨ ، وما بعدها ، كتاب الأهرام الاقتصادى — العدد (٨٠) أكتوبر ١٩٩٤م .

(٢) د. أحمد شرف الدين . ص١٨ ، د. حسام الأهوانى — المبادىء العامة للتأمين — ص ٢٢ — القاهرة ١٩٧٥م وراجع الباب التمهيدى من البحث .

أولهما : يرى أن هذا العقد حرام ، لما يكتنفه من الغرر المنهى عنه ، ولما يتضمنه من القمار والمراهنة ، والربا بنوعيه ، وقد استدل هذا الرأى لما ذهب إليه بأدلة قوية نعرض لها فى حينها(*) .

ثانيهما : يرى أنه مباح(٣)، وقد أسس رأيه على أدلة عقلية تدور حول أنه عقد جديد لم يكن معروفا فى عهد السلف ، ويمكن تخريجه بالقياس على عدد من العقود المشروعة ، مثل عقد الوديعة بأجر ، أو ولاء الموالاة عند الحنفية ، أو الوعد الملزم عند المالكية ، أو ضمان خطر الطريق ، أو نظام العواقل ، أو عقد الحراسة إلى غير ذلك مما ذكروه من أدلة ؛ ويبدو من كثرة الأصول التى قاسوا عليها هذا ، أنهم أكثروا من البدائل للاستدلال على رأيهم ، حتى إذا طاش دليل حل محله آخر ، وهو أسلوب ربما ينم عن عدم تركيز فى الاستدلال ، وكان محلا لمناقشات عديدة من القائلين بالتحريم كما سنرى .

ونحن من جانبنا نعرض لبيان تلك الآراء بتجرد

(*) من أصحاب هذا الرأى : ابن عابدين ، وقد حرم التأمين البحرى ، ومنهجه يؤدى إلى تحريم أنواع التأمين الأخرى ، والشيخ محمد بخيت المطيعى ، وعبدالرحمن قراعة (وكلاهما كان مفتيا للديار المصرية ، والشيخ محمد نجاتى مفتى ديوان الأوقاف المصرية والشيخ أحمد إبراهيم وعبدالرحمن تاج ، والشيخ محمد أبو زهرة ــ والدكتور عيسوى أحمد ؛ من أساتذة الشريعة الإسلامية بكليات الحقوق المصرية ، والشيخ محمد على السايس ، والشيخ طه الدنيارى من عمداء كلية الشريعة بجامعة الأزهر ، والشيخ عبداللطيف السبكى ، الرئيس الأسبق للجنة الفتوى بالأزهر ، والدكتور الصديق محمد الضرير ، رئيس قسم الشريعة بجامعة الخرطوم ، وعبدالله القليقلى مفتـى الأردن ، وعبدالستار السيد ؛ مفتى طرطوس بسوريا ، وأحمد الزهاوى من علماء العراق ، ومحمد الجواد الحسينى عميد كلية الشريعة بجامعة القرويين بالمغرب ، والشيخ محمد الغوالى ؛ والدكتور يوسف القرضاوى ولم يرو عن أحد من شيوخ الأزهر أنه أباح التأمين حتى الآن ، راجع : بحث الشيخ محمد أحمد فرج السنهورى ــ المؤتمر السابع لمجمع البحوث الإسلامية ــ ج ٢ ــ ص ١٤٧ والدكتور عيسى عبده ــ التأمين بين الحل والتحريم ــ ص١١٥ وما بعدها ، والدكتور عبدالناصر العطار ــ حكم التأمين فى الشريعة الإسلامية ــ ص٢٠ وما بعدها .

(٣) ومن أنصار هذا الاتجاه : المرحوم الشيخ عبدالوهاب خلاف ، والشيخ محمد بن الحسن الحجوى الثعالبى ، أستاذ العلوم العالية بجامعة القرويين ، والشيخ على الخفيف أستاذ الشريعة بكليات الحقوق المصرية وإن كان الشيخ فرج السنهورى قد ذكر أنه قد أخبره بعدوله عن رأيه وميله إلى عدم جواز التأمين على الحياة لكنه لم يذكر دليلا ، والشيخ عبدالرحمن عيسى مدير تفتيش العلوم الشرعية بالأزهر ، فلما استأنف المدعيات هذا القرار إلى المحكمة الشرعية العليا والدكتور محمد البهى وزير الأوقاف وشئون الأزهر ، والشيخ الطيب النجار عضو جماعة كبار العلماء بالأزهر ، والأستاذ مصطفى الزرقا أستاذ الشريعة الاسلامية بكليات الحقوق بسوريا ، والشيخ عبد الحميد السايح ، وزير الأوقاف سابقا بالأردن ، والشيخ على آل كاشف الغطاء إمام النجف الأشرف من الشيعة الامامية بالعراق ، والدكتور محمد يوسف موسى ، المرجعان السابقان ، وخاصة بحث الشيخ السنهورى ــ السابق ــ ص١٩٨ . ومن الباحثين من أباح بعض أنواع التأمين وحرم البعض الآخر ، فمنهم من أباح التأمين من المسئولية الناشئة عن فعل الإنسان ، كنجم الدين الواعظ ، مفتى العراق ، ومنهم من أباح التأمين من المسئولية ، أحمد السنوسى من مصر ، ومنهم من أباح التأمين من الأضرار كالشيخ محمد مبروك عضو مجمع البحوث الإسلامية بمصر ، ورامز ملك ؛ أمين الإفتاء فى طرابلس ، ومنهم من أباح التأمين على الحياة كعبدالوهاب خلاف ، ومنهم من رأى جوازه إذا خلا من الربـا ، كالدكتور محمد يوسف موسى ، كما أجاز الشيخ محمد فرج السنهورى أنواع التأمين عدا التأمين على الحياة لصالح مستفيد غير المؤمن له ، وعدا التأمين الإدخارى ، راجع : بحث الشيخ السنهورى ــ السابق ، د. عبدالناصر العطار ص٢١،٢٢ .

وموضوعية بغية الوصول إلى الحق فى هذا الموضوع الهام ، الذى تعددت بشأنه الآراء واختلفت فيه الأقوال ؛ فنبين رأى القول الأول وأدلته ، ثم نبين أثناء عرض الأدلة ؛ ما اعترض به المجيزون للتأمين عليها ، ونبين رد القائلين بالتحريم على تلك الاعتراضات ؛ وذلك كله فى الفصل الأول .

أما الفصل الثانى : فنخصصه لبيان حجج المجيزين وما ورد عليها من مناقشات ، ثم نبين فى النهاية ما يترجح لدينا .

الفصل الأول
القول بالتحريم وأدلته

من المعروف أن أصحاب القول الأول قد انتهوا إلى أن هذا النوع من التأمين حرام يعاقب الشارع على فعله ويثيب على تركه(٤) ، ويقوم هذا النوع من التحريم على أسس استقرأها الباحثون ودرسوها ، وهى تتمثل فى اشتماله على الغرر ، والقمار والمراهنة ، والربا ، ولما كانت هذه الأمور محرمة تحريما قاطعا ، فإن حلولها بالتأمين يجعله نوعا منها ، حيث تتعدى أدلة تحريم تلك الأمور إليه ، وتنال من مشروعيته ، ونخصص لدراسة كل منها مبحثا ، فنبين فى المبحث الأول : معنى الغرر وأدلة تحريمه ، وتضمن التأمين لمعنى الغرر ؛ ونبين فى المبحث الثانى : معنى القمار والمراهنة وأدلة تحريمهما ، وتضمن التأمين التجارى لهما ، ونبين فى المبحث الثالث : معنى الربا وأدلة تحريمه واشتمال التأمين عليه ، وذلك على النحو التالى :

المبحث الأول
التأمين التجارى يقوم على الغرر المحرم

تمهيد

الأصل الذى رسمته الشريعة لصحة العقد أن يقوم على الرضا ، وقد اتفق المجتهدون على أن الرضا هو مناط صحة العقود ؛ هذا الأصل قائم فى كتاب الله تعالى ، وسنة نبيه ﷺ ، وإجماع علماء المسلمين .

---

(٤) وقد رفضت محكمة مصر الشرعية دعوين تتعلقان بالتأمين على أساس أنه محرم شرعا ، وذلك فى الدعوى رقم ٢٤ لسنة ١٩٠٦م ، وفى هذه القضية عين المؤمن له زوجته مستفيدا من التأمين على حياته فلما توفى رفع ابناه من زوجة أخرى ، دعوى لإبطال التأمين لصالح الذى أبرمه مورثهما الزوجة ، فرفضت المحكمة الدعوى لاشتمالها على مالا يجوز المطالبة به شرعا .

فلما استأنف المدعيان هذا القرار بالاستئناف رقم ٥١ بتاريخ ١٩٠٦/١٢/٢٤ ، فحكمت فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٧ ، بصحة القرار المستأنف ، ورفض الاستئناف ، لأن القرار المستأنف فى محله والإستئناف غير مقبول ، مجلة الأحكام الشرعية ، س٦ ، س٨٣ وما بعدها ، ومنتخبات الأحكام الشرعية — جـ١ — ص ٧١ ، وراجع : بحث الشيخ فرج السنهورى ١٥٧ وما بعدها .

كما رفضت محكمة الاسكندرية الكلية الشرعية النظر فى دعوى التأمين التى تقدم بها الناظر على وقف أحمد على فرغلى يطلب إذن المحكمة بالتأمين على أعيان الوقف من ريعه ، لأن بها شونة أقطان ومنازل بها دكاكين تحتوى على مواد ملتهبة ، وقد رفضت هيئة المحكمة الشرعية هذا الطلب فى ١٩٣١/٢/٧م لأنه سبق الفصل فيه بالرفض من هذه المحكمة بعدم قبوله شرعا ، لما فيه من المخاطرات التى لا يجيزها الشرع ولا القانون ، وقد استأنف الناظر هذا الحكم ، فأيدته المحكمة العليا الشرعية فى مارس سنة ١٩٣١م . وقد بينت المحكمتان الرفض على المخاطرة التى لا تجوز شرعا ، راجع : بحث الشيخ السنهورى — السابق — ص١٥٨ .

كما قضت المحكمة الشرعية العليا سنة ١٩١٧ ، بأن دعوى الوارث استحقاقه لنصيبه فى مبلغ بشركة (السيكورتاه) ، تعهد مدير الشركة بدفعه دفعة واحدة فى ظرف مدة معينة ، أن لو مات الوارث فيها ، نظير دفعه للشركة مبلغا كل شهر ؛ غير صحيحة لاشتمالها على ما لا تجوز المطالبة به ، راجع : المحاماة س٧،ص٩٣٧، رقم٥٤٥ .

أما الكتاب : فيقول لله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾(٥)، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٦) حيث دلت الآية الأولى على أن الحق سبحانه وتعالى قد نهى عن أكل أموال الناس بالباطل ، ولم يستثن سوى التعامل بالرضا ، كما دلت الآية الثانية على نهيه سبحانه عن أكل أموال الناس بالباطل ، ليكون وسيلة لأكل فريق من أموال الناس بالإثم ، فيكون المنهى عنه حرام وما خرج بالاستثناء على خلافه ، ومن باب أكل أموال الناس بالباطل : أخذ مال الغير لا على وجه إذن الشرع(٧) ، وبالتالى يكون الرضا أساسا من أسس التعامل .

وأما السنة : فيما روى عن عمرو بن يثربى قال : شهدت خطبة النبى ﷺ ، بمنى ، وكان فيما خطب به أنه قال : «ولا يحل لامرىء من مال أخيه إلا ما طابت به نفسه» ، فقد دل هذا الحديث على ما دلت عليه الآيتان الكريمتان السابقتان ، وهو أن مال المرء لا يحل إلا برضاه التام .

وأما الإجماع : فإنه منعقد على أن الرضا هو أصل التعامل ، ولم يخالف فيه أحد(٨) .

الرضا أساسه العلم النافى للجهالة :

ولئن كان الرضا هو أساس التعامل فى شرع الله ، فإن العلم النافى للجهالة هو أساس الرضا وشرط صحته ، ذلك أن الرضا فى مجال التعاقد يعنى رغبة العاقد فى شىء مع العزم عليه والتوجه إلى إنشائه ، ولا يتواءم مع طبيعته أن يرغب الإنسان فيما لا علم له به ، فالرغبة فى الشىء فرع عن تصوره التام ووجوده الواضح ؛ فالرضا قبل حقيقة المعرفة(٩) لا يتصور ، ولا يمكن تبين وجود الرضا على مجهول(١٠) ، لأن العلم بالمعقود عليه هو الأساس الذى يحدد المتعاقد من خلاله مركزه فى التعاقد ويستعدّ له .

فإذا انتفى العلم عند التعاقد بمحل المعاوضة كعدم وثوق أحد عاقديها بحصوله على العوض ، أو لعدم معرفته بقدر هذا العوض ، أو أجل الوفاء به ، فإن المعاوضة تبطل لانتفاء الرضا بها ، وهذا ما يعبر عنه لدى الفقهاء باشتمال الشىء على الجهالة والغرر ، ويعنون بذلك أن الرضا بالمعاوضة لا يترتب عليه حكمه شرعا ، إذا اشتملت هذه المعاوضة على الجهالة والغرر(١١) .

الغرر ينافى الرضا :

ولهذا كان وجود الغرر فى العقد مما يطيح به ، ويجعله غير صحيح من الناحية الشرعية ؛ ويكون من المهم بيان حقيقة الغرر ، ومدى انطباقه على

---

(٥) سورة النساء ـــ آية ٢٩ .
(٦) سورة البقرة ـ آية : ١٨٨ .
(٧) القرطبى ـــ الجامع الأحكام القرآن ـــ جـ٣ ـــ ص٣٣٨ ، وتفسير الطبرى ـــ جـ٣ ـــ ص١٨٣ .
(٨) راجع : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى جـ٥ ـ ص١٥٠ .
(٩) الرافعى ـ فتح العزيز ـ شرح الوجيز ـ جـ٨ ـ ص١٥٣ .
(١٠) المحلى ـ لابن حزم الظاهرى ـ جـ٩ ص٣٧٢ ، راجع : الدكتور حسن صبحى فى بحث له بعنوان : الرضا وعيوبه فى العقد ـ نشرته لجنة تجلية مبادىء الشريعة الإسلامية بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ضمن مجموعة بحوث عنوانها : الفقه الإسلامى أساس التشريع ـ ص٢٨٦ وما بعدها .
(١١) د. حسين حامد ـ ص٥٥ وما بعدها .

عقد التأمين التجارى ؛ وسوف نقسم هذا المبحث إلى مطلبين ، نخصص أولهما : لبيان حقيقة الغرر وأنواعه وأدلة تحريمه ، ونخصص ثانيهما : لبيان شروط التحريم بالغرر ووجوده فى عقد التأمين التجارى .

المطلب الأول
حقيقة الغرر وأنواعه وأدلة تحريمه
الفرع الأول

تعريف الغرر وتمييزه عن الجهالة

الغرر فى اللغة : الخداع والطمع بالباطل ، يقال : غره الشيطان ، يغره بالضم غررا بالفتح ، وغرورا بالضم ، أى خدعه وأطمعه بالباطل[١٢] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ﴾، أى ما خدعك رسول لك ، حتى أضعت ما وجب عليك ، فالغرر معناه الخداع الذى هو مظنة ألا رضا به عند تحققه ، فيكون من أكل أموال الناس بالباطل[١٣] .

وفى اصطلاح الفقهاء :

عرفه الحنفية بأنه : «الخطر الذى استوى فيه طرف الوجود والعدم بمنزلة الشك» ، كما عرفه السرخسى بأنه : ما يكون مستور العاقبة[١٤] .

وعرفه المالكية بأنه : المجهول العاقبة[١٥] ، كما عرفه ابن عرفه المالكى بأنه : «ماشك فى حصول أحد عوضيه أو مقصود منه غالبا»[١٦] ، ونقل عن مالك رضى الله عنه أنه عرفه بقوله : «مالا يدرى أيتم أم لا»[١٧] ، كما عرّف بأنه : «ما يحتمل حصوله وعدم حصوله» ، أو «ما تردد بين السلامة والعطب»[١٨] .

وعرفه الشافعية بأنه : «ما احتمل أمرين أغلبهما أخوفهما»[١٩] ، أو هو : مالا يوثق بحصول العوض فيه»[٢٠] .

وعرفه الحنابلة بأنه : «المجهول العاقبة»[٢١] ، وقد جاء فى شرح منتهى الإرادات أن القاضى وجماعة فسروا الغرر بأنه : «ما تردد بين أمرين ليس أحدهما أظهر»[٢٢] .

وعرفه الظاهرية بأنه : «هو البيع الذى لا يدرى فيه المشترى ما اشترى أو البائع ما باع»[٢٣] . ولايخرج معنى الغرر فى بقية أقوال الفقهاء عن هذا المعنى ، حيث يتمثل فى عدم معرفة هل يحصل الشىء أم لا ؟ ، وهو بذلك يتضمن خطرا يلحق أحد المتعاقدين فيؤدى إلى ضياع ماله ، كبيع مالا يعلم وجوده وعدمه ، أو لا تعلم قلته وكثرته ، أو لا يقدر على تسليمه[٢٤] ، وتعريف السرخسى من الحنفية ،

---

(١٢) تاج العروس ـ جـ٣ ـ ص٤٤٣ ، والقاموس المحيط ـ ج ٢ ـ ص١٠٤ .
(١٣) سورة الإنفطار ـ أية ٦ ، وسبل السلام للصنعانى ـ جـ٢ ص١٥ .
(١٤) الكاسانى ـ بدائع الصنائع ـ جـ٥ ـ ص٢٦٣ .
(١٥) المنتقى للباجى ـ جـ٥ ـ ص٤٢ ، والفروق للقراف ـ جـ٣ ـ ص٢٧ .
(١٦) مواهب الجليل جـ٤ ـ ص٣٦٢ .
(١٧) المرجع نفسه ـ ص٣٦٨ .
(١٨) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ٣ ـ ص٣٥ .
(١٩) حاشية الرملى على نهاية المحتاج ـ جـ٢ ـ ص٣٩٢ .
(٢٠) حاشية قليوبى وعميره ـ جـ٢ ـ ص٥٨ .
(٢١) مجموع فتاوى ابن تيمية ـ جـ٢٩ ـ ص٢٢ .
(٢٢) شرح منتهى الإرادات ـ جـ٢ ـ ص١٤٥ .
(٢٣) المحلى لابن حزم ـ جـ٢ ـ ص٣٤٣ .
(٢٤) الفقه الإسلامى وأدلته ، د. وهبه الزحيلى ـ ج ٤ ـ ص٤٣٧ ، دار الفكر .

والباجى من المالكية ، وشيخ الإسلام ابن تيمية للغرر بأنه هو المستور العاقبة ، أو المجهول العاقبة هو الذى يعبر عن حقيقته ، وهو أرجح التعاريف لذلك .

تمييز الغرر عن الجهالة :

وإذا كان الغرر وفقا لما عرفه به الفقهاء هو مالا يدرى حصوله أم لا ، فإنه بهذا المعنى يختلف عن الجهالة ، حيث أن الجهالة يعلم حصولها ، ولكن صفتها مجهولة ، كمن يبيع لآخر مافى كمه ، فإن ما فى كمه حاصل فعلا ، ومعلوم وجوده ولكن لا يدرى أى شىء هو ، فالغرر والمجهول كل واحد منهما أعم من الآخر من وجه ، وأخص من وجه ، وقد يوجد كل واحد منهما مع الآخر أو بدونه ، فالجهالة بدون الغرر مثل بيعه حجرا لا يدرى أزجاج هو أم ياقوت ، ورؤيته تقتضى القطع بحصوله فلا غرر ، وعدم معرفته تقتضى الجهالة به[٢٥] .

وأما اجتماع الغرر والجهالة فكالعبد الآبق المجهول الصفة قبل الإباق ، ثم أن الغرر والجهالة يقعان فى سبعة أشياء ، فى الوجود ، كالآبق بعد الإباق والحصول إن علم الوجود كالطير فى الهواء ، وفى الجنس كسلعة لم يسمها ، وفى النوع كعبد لم يسمه ، وفى المقدار كالبيع إلى مبلغ وفى الحصاة ، رمى التعيين كثوب من ثوبين مختلفين ، وفى البقاء كالثمار قبل بدو صلاحها ، فهذه سبعة موارد للغرر والجهالة[٢٦] . ويستبين من النصوص المتقدمة أن هناك فرقا بين الغرر وبيع المجهول ، فبيع الغرر هو الذى لا يعلم هل يحصل أم لا ؟ ، كبيع الطير فى الهواء والسمك فى الماء ، وأما بيع ما علم حصوله وجهلت صفته فهو بيع المجهول كبيعه مافى كمه ، على أن الفقهاء قد يتجوزون فى إطلاق اللفظين ، فيستعملون الواحد موضع الآخر وإن كان الغرر أعم من الجهالة ، فكل مجهول غرر ، وليس كل غرر مجهول ، فقد يوجد الغرر بدون الجهالة كما فى شراء الآبق المعلوم الصفة ، ولكن لا توجد الجهالة بدون غرر[٢٧] .

الفرع الثانى
أنواع الغرر

ومن المهم معرفة أنواع الغرر ، ذلك أن بعض تلك الأنواع تلقى تساهلا فى مجال التعامل ، وسبب هذا التساهل يرجع إلى اعتقاد أصحابه أن مثله مما يمكن أن يتسامح فيه الشرع لقلته ، ويكيفونه على أنه لتلك القلة يعد استثناء من أصل حظر التعامل المشوب به ، وربما كان السبب هو الاستهانة به من ناحية تكييفه فى التعامل المعروض قلة وكثرة ، ولذلك تكون معرفته وما قرره الفقهاء فى هذا الصدد أمرا مهما .

---

(٢٥) راجع : بداية المجتهد ـ جـ٢ ـ ص١٢٩ ، وما بعدها ، والفروق للقرافى ـ جـ٢ ـ ص١٥٠ وما بعدها ، وجـ٣ ص٢٦٥ وما بعدها ، وتهذيب الفروق ـ جـ١ ـ ص١٧٠ وما بعدها وراجع موطأ الإمام مالك ـ ص٤١٢ طبعة الشعب حيث يقرر أن الغرر هو الخداع الذى هو مظنة عدم الرضا عند ظهور الحقيقة فيكون من أكل أموال الناس بالباطل مثل أن يعمد الرجل قد ضلت دابته (أو نحوها) وثمن الشىء من ذلك خمسون ديناراً ، فيقول رجل آخذه منك بعشرين ديناراً ، فإن وجده المبتاع ذهب من البائع ثلاثون ديناراً ، وإن لم يجده ذهب البائع من المبتاع بعشرين ديناراً .

(٢٦) القرافى ـ المرجع نفسه .

(٢٧) فى هذا المعنى : مصادر الحق فى الفقه الإسلامى ـ للسنهورى ـ جـ٣ ـ ص٤٩ والفقه الإسلامى وأدلته د. وهبة الزحيلى ـ جـ٤ ـ ص٤٦٠ .

أنواع الغرر عند الحنفية :

يقول الإمام السرخسى : «ولا يجوز شراء اللبن فى الضرع كيلا ولا مجازفة ، بدراهم أو غير ذلك ، لنهى النبى ﷺ الغرر ، والغرر ما يكون مستور العاقبة ، ولا يدرى أن مافى الضرع ريح أو دم أو لبن ، ولأن البيع يختص بعين مال متقدم بنفسه ! واللبن فى الضرع بمنزلة الصفة فى الحيوان ، ولا يكون مالا متقوما بنفسه قبل الحلب ، وأوصاف الحيوان لا تقبل البيع كاليد والرجل ، ولأن اللبن يزداد ساعة فساعة ، وتلك الزيادة لا يتناولها البيع واختلاط المبيع بما ليس بمبيع من ملك البائع على وجه يتعذر تمييزه مبطل للبيع ، ثم تتمكن المنازعة بينهما فى التسليم ، لأن المشترى يستعصى فى الحلب ، والبائع يطالبه بترك داعية اللبن ، وكذلك بيع أولادها فى بطونها لا يجوز لمعنى الغرر وإنعدام المالية والتقوم فيه قبل الإنفصال ، وعجز البائع عن تسليمه ، واستدل بنهى النبى ﷺ عن بيع حبل الحبلة ، منهم من يروى بالكسر (الحِبلة) فيتناول بيع الحمل ، ومنهم من يروى بالنصب (الحبَلة) فيكون المراد : بيع ما يحمل هذا الحمل ، وقد كانوا فى الجاهلية يعتادون ذلك ، فأبطله النبى ﷺ بنهيه عن بيع المضامين والملاقيح ، وعن بيع حبل الحبلة ، قيل المضامين ما تتضمنه الأصلاب ، والملاقيح ما تتضمنه الأرحام ، وقيل على عكس هذا : «المضامين ما تتضمنه الأرحام ، والملاقيح ما تتضمنه الأصلاب»[٢٨] ، ومنه أيضا بيع الملامسة والمنابذة والحصاة ، والمزابنة والمحاقلة وبيع ثوب من أثواب ونحوها مما فيه جهالة كغير المملوك فى الحال[٢٩] .

أنواع الغرر عند المالكية :

يقول القرافى : «ثم الغرر والجهالة ثلاثة أقسام ، كثير ممتنع إجماعا كالطير فى الهواء ، وقيل جائز إجماعا ، كأساس الدار وقطن الجبة ، ومتوسط اختلف فيه هل يلحق بالأول أو الثانى ، فلارتفاعه عن القليل ، الحق بالكثير ، ولانحطاطه عن الكثير الحق بالقليل ، وهذا سبب اختلاف الفقهاء فى فروع الغرر والجهالة»[٣٠] .

---

(٢٨) المبسوط للسرخسى ـ جـ١٤ ـ ص١٩٤ .

(٢٩) فتح القدير للكمال بن الهمام ـ جـ٥ ص١٩٦ ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ٤ ـ ص١١١ ، واللباب فى شرح الكتاب ـ جـ٢ ـ ص٢٥ ، والمزابنة : هى بيع الرطب أو العنب على النخل أو الكرمة بثمر مقطوع أو زبيب مثل كيله خرصا ، أى بتقديره تخمينا ، والمحاقلة : بيع الحنطة فى سنبلها بحنطة مثل كيلها خرصا وتخمينا .

(٣٠) الفروق للقرافى ـ السابق ، وراجع : بداية المجتهد ـ لابن رشد ـ جـ٢ ـ ص١٢٩ وما بعدها ، حيث يقول : ومن البيوع التى توجد فيها هذه الضروب من الغرر ، بيوع منطوق بها ، وبيوع مسكوت عنها ، وأما المسائل المسكوت عنها فى هذا الباب المختلف فيها من فقهاء الأنصار فكثره ، لكن نذكر أشهرها لتكون كالقانون للمجتهد النظار .

المسألة الأولى : المبيعات على نوعين : مبيع حاضر مرئى ، فهذا لا خلاف فى بيعه ، ومبيع غائب أو متعذر الرؤية ، وقد اختلف فيه الفقهاء : فقال قوم بعدم جوازه بحال من الأحوال لا ماوصف ولا مالم يوصف ، وهذا هو المشهور عن الشافعى وأصحابه ، وقال مالك : يجوز بيع الغائب على الصفة إذا كانت غيبته مما يؤمن أن تتغير فيه قبل القبض صفته ، وقال أبو حنيفه يجوز بيع العين الغائبة من غير صفة ، ثم أن له الخيار إذا رأها ، فإن شاء انفذ البيع وإن شاء رده ، وكذلك المبيع على الصفة من شرطه عندهم خيار الرؤية وإن جاء على الصفة ، وعند مالك : إذا جاء على الصفة فهو لازم ، وعند الشافعى لاينعقد البيع أصلا فى الموضعين ، وسبب الخلاف بينهم : هل نقصان العلم المتعلق بالصفة عن العلم المتعلق بالحس ، هو جهل مؤثر فى بيع الشيء فيكون من الغرر الكثير ، أم ليس بمؤثر ، وأنه من الغرر اليسير المعفو عنه ؟ فالشافعى رآه من الغرر الكثير ، ومالك =

وجاء فى القوانين الفقهية لابن جزى : فى بيع الغرر : وهو ممنوع للنهى ، إلا أن يكون يسيرا جدا فيغتفر ، والغرر الممنوع على عشرة أنواع (النوع الأول) ، تعذر التسليم كالبعير الشارد ، ومنه بيع الجنين فى البطن دون بيع أمه ، وكذلك استثناؤه فى بطن أمه ، وكذلك بيع مالم يخلق كبيع حبل حبلة ، وهو نتاج ما تنتج الناقة ، وبيع المضامين ، وهو ما فى ظهور الفحول ، (النوع الثانى) : الجهل بجنس الثمن أو المثمون كقوله : بعتك مافى كمى (النوع الثالث) : الجهل بصفة أحدهما ، كقوله : بعتك ثوبا من منزلى ، أو بيع شىء من غير تقليب ولا وصف ، ويجوز على المذهب بيع الشىء الغائب على الصفة أو رؤية متقدمة ، وأجازه أبو حنيفة من غير صفة ولا رؤية ، ومنعه الشافعى مطلقا ويشترط فى المذهب ، فى البيع على الصفة خمسة شروط ، الأول : ألا يكون بعيدا جدا ، كالأندلس وإفريقية ، الثانى : ألا يكون قريبا جدا كالحاضر فى البلد ، الثالث : أن يصفه غير البائع ، الرابع : أن يحصرها بالأوصاف المقصودة كلها ، الخامس : ألا ينقد ثمنه ، بشرط ألا يكون فى المأمون كالعقار ، ويجوز النقد من غير شرط ، ثم أن خرج المبيع على حسب الصفة والرؤية لزمه البيع ، وإن خرج على خلاف ذلك ، فللمشترى الخيار ، ويجوز بيع ما فى الأعدال من الثياب على وصف البرنامج ، بخلاف الثوب المطوى دون تقليب (النوع الرابع) الجهل بمقدار أحدهما : كقوله : بعت منك بسعر اليوم ، أو بما يبيع الناس ، أو بما يقول فلان إلا بيع الجزاف وقد تقدم ، ولا يجوز بيع القمح فى سنبله للجهل به ، ويجوز بيعه مع سنبله خلافا للشافعى ، وكذلك لا يجوز بيعه فى تبنه ، ويجوز بيعه مع تبنه ،

اعتبره من الغرر اليسير ، وأما أبو حنيفة فإنه رأى أنه إذا كان له خيار الرؤية ، فلا غرر هناك ، وإن لم تكن له رؤية ، وأما مالك فإنه رأى أن الجهل المقترن معدم الصفة مؤثر فى إنعقاد البيع ، ولاخلاف عند مالك : أن الصفة تنوب عن المعاينة لمكان غيبة المبيع أو لمكان المشقة التى فى نشره ، ومايخاف أن يلحقه من الفساد بتكرار النشر عليه ، ولهذا جاز البيع على البرنامج على الصفة ، ولم يجز عنده بيع السلاح فى جرابه ، ولا الثوب المطوى فى طيه حتى ينشرا وينظر إلى ما فى جرابها ، وقد أجاز مالك بيع الشىء برؤية متقدمة ، أعنى إذا كان من القرب بحيث يؤمن أن تتغير صفته .

المسألة الثانية : واجمعوا على أنه لايجوز بيع الأعيان الى أجل ، وأن من شروطها تسليم المبيع إلى المبتاع بأثر عقد الصفقة ، وإنما منع ذلك الجمهور لما يدخله من الدين بالدين ، ومن عدم التسليم ، ويشبه أن يكون بيع الدين بالدين من هذا الباب ، أعنى لما يتعلق بالغرر من عدم التسليم من الطرفين لا من باب الربا .

المسألة الثالثة : أجمعوا على بيع الثمر بطنا واحدا يطيب بعضه وأن لم تطب جملته معا ، واختلفوا فيما يثمر بطونا مختلفة والأصل عند مالك من الغرر ما يجوز لموضع الضرورة .

المسألة الرابعة : اللفت والجزر والكرنب جائز عند مالك بيعه إذا بدا صلاحه ، وهو استحقاقه للأكل ولم يجزه الشافعى إلا مقلوعا لأنه من باب بيع المغيب ، ومن هذا الباب بيع الجوز واللوز والباقلاء فى قشره أجازه مالك ومنعه الشافعى ، وسبب اختلافهم ، هل هو من الغرر المؤثر فى البيوع أم ليس بمؤثر ، وذلك أنهم اتفقوا أن الغرر ينقسم لهذين القسمين ، وأن غير المؤثر هو اليسير ، أو الذى تدعو إليه الضرورة أو ما جمع الأمرين .

المسألة الخامسة : ومن هذا الباب بيع السمك فى الغدير أو البركة ، اختلف فيه أيضا ، فقال أبو حنيفة يجوز ، ومنعه مالك والشافعى فيما أحسب ، وهو الذى تقتضيه أصوله ، ومن ذلك بيع الأبق ، أجازة قوم بإطلاقه ، ومنعه قوم بإطلاقه ، ومنهم الشافعى ، وعند مالك إذا كان معلوم الصفة ، معلوم الموضع عند البائع والمشترى جاز ، وأظنه اشترط أن يكون معلوم الإباق ، ويتواضعان الثمن أعنى أنه لايقبضه البائع حتى يقبضه المشترى ، لأنه يتردد عند العقد بين بائع وسلف ، ومن قال بجواز بيع الابق والبعير الشارد ، عثمان البتى ، وأجاز مالك بيع لبن الغنم أياما معدودة ، إذا كان ما يحلب منها معروفا فى العادة ، ولم يجز ذلك فى الشاة الواحدة ، وقال سائر الفقهاء لايجوز ذلك إلا بكيل معلوم بعد الحلب .

ولا يجوز بيع تراب الصاغة ، ويجوز بيع الفول الأخضر والجوز واللوز فى القشر الأعلى ، خلافا للشافعى . (النوع الخامس) الجهل بالأجل كقوله : إلى قدوم زيد أو إلى موت عمرو ، ويجوز أن يقول إلى الحصاد أو إلى معظم الدراس ، أو إلى شهر كذا ، ويحمل على وسطه . (النوع السادس) بيعتان فى بيعة ، وهو أن يبيع مثمونا واحدا بأحد ثمنين مختلفين ، أو أن يبيع أحد مثمونين بثمن واحد ، فالأولى أن يقول : بعتك هذا الثوب بعشرة نقدا ، أو بعشرين إلى إلى أجل على أن البيع قد لزم فى أحدهما . (النوع السابع) بيع ما لا ترجى سلامته ، كالمريض فى السباق . (النوع الثامن) بيع الحصاة وهو أن يكون بيده حصا ، فإذا سقطت وجب البيع . (النوع التاسع) بيع المنابذة ، وهو أن ينبذ أحدهما ثوبه إلى الآخر ، وينبذ الآخر ثوبه إليه فيجب البيع بذلك . (النوع العاشر) بيع الملامسة وهو أن يلمس الثوب فيلزمه البيع بلمسه وإن لم يتبينه[٣١]

أنواع الغرر عند الشافعية :

يقول الرملى : نهى رسول الله ﷺ عن الملامسة رواه الشيخان ، بأن يلمس ثوبا مطويا أو فى ظلمة ثم يشتريه ، على أنه لا خيار له إذا رآه ، أو على أن يكتفى بلمسه عن رؤيته ، أو يقول : «إذا لمسته فقد بعتكه اكتفاء بلمسه عن الصيغة أو على أنه متى لمسه انقطع خيار المجلس أو الشرط ، وعند المنابذة ، بأن يجعل النبذ ، أى الطرح بيعا اكتفاء به عن الصيغة ، أو يقول : إذا نبذته فقد بعتكه ، أو متى نبذته انقطع الخيار ، أو على أنك تكتفى بنبذه عن رؤيته ، وبطلانه لعدم الرؤية أو الصيغة أو الشرط الفاسد ، وعن بيع الحصاة ، بأن يقول بعتك من هذه الأثواب ما تقع هذه الحصاة عليه أو يجعل الرمى لها بيعا ، ولك أو لى أو لنا الخيار إلى بيعها»[٣٢] ، كما يدخل فيه ، بيع المضامين والملاقيح ، وبيع مالم يملك ، وبيع ما عجز عن تسليمه حالا وبيع حبل الحبلة ، وبيع الثمرة قبل بدو صلاحها[٣٣] .

أنواع الغرر عند الحنابلة :

والغرر عند الحنابلة له ثلاثة أنواع ، ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية فقال : الغرر ثلاثة أنواع :

الأول : المعدوم كحبل الحبلة

الثانى : المعجوز عن تسليمه كالعبد الآبق .

الثالث : المجهول المطلق ، أو المعين المجهول جنسه أو قدره كقوله : بعتك عبدا أو بعتك مافى بيتى أو بعتك عبيدى ، وهو فى كل أما غرر فى صيغة العقد ، وأما غرر فى محل العقد[٣٤] .

والغرر فى صيغة العقد معناه : أن ينعقد العقد بكيفية وصفة يتحقق فيها أى معنى من المعانى التى تؤكد وجود الغرر فيه ، مثل بيع الحصاة ، وبيع المزابنة وبيع المحاقلة . وبيع الملامسة والمنابذة .

وأما الغرر فى محل العقد : فهو توافر هذه المعانى فى كل ماورد عليه العقد ، وذلك قبل الجهل بذات المحل كبيع شاة من قطيع ، والجهل بجنس

---

(٣١) القوانين الفقهية ، لابن جزى ـ ص٢٥٦ وما بعدها .

(٣٢) نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج ـ جـ٣ ص٢٣٢ وما بعدها ـ وحاشية الشرقاوى على التحرير ـ جـ٢ ص٥٠ وما بعدها .

(٣٣) حاشية الشرقاوى على التحرير ـ جـ٢ ـ ص٥٠ ، ٦٤ ، وتحفة الطلاب ، للشيخ زكريا الأنصارى ـ ص١٥٢ وما بعدها .

(٣٤) مجموع فتاوى ابن تيمية ـ جـ٢٩ ـ ص٢٥ ، والمغنى لابن قدامة ـ جـ٤ ـ ص٦٦ ، وما بعدها ، وص٢٢٩ .

المحل ، مثل بعتك سلعة من غير أن يذكر اسمها ، والجهل بصفة المحل كالبيع بثمن مجهول ، والجهل بمقدار المحل كبعتك كمية من القمح دون تحديد لمقدارها ، والجهل بالأجل : كبعتك حبل هذه الحبلة(٣٥) ، أى ولد هذه الناقة الحامل ، ويدخل فيه بيع العبد الآبق والجمل الشارد والسمك فى الماء والطير فى الهواء(٣٦)

خلاصة هذه الأقوال :

وبالنظر فيما سبق من أقوال أهل العلم نجد أن أنواع الغرر التى تؤثر فى العقد وتبطله يمكن إرجاعها إلى أربعة أنواع :

النوع الأول : الغرر فى الوجود : وذلك كبيع العبد الآبق والبعير الشارد .

النوع الثانى : الغرر فى الحصول : وذلك كبيع السمك فى الماء والطير فى الهواء وضرته القانص ورمية الصائد .

النوع الثالث : الغرر فى المقدار : كالبيع إلى مبلغ رمى الحصاة والجهل بأحد العوضين فى العقد .

النوع الرابع : الغرر فى الأجل : كبيع حبل الحبلة وجهالة الأجل وكوجوب العوض عند موت فلان أو نزول المطر أو موسم الحصاد أو قدوم الحاج(٣٧) .

وهذه الأنواع الأربعة من الغرر مما يؤثر فى العقد تأثيرا يجعله باطلا ، والعقد الباطل لا يترتب عليه أثره فلا ينتقل به الملك ولا يحل به أكل المال وتعاطيه فيكون حراما .

وهذه الأحاديث واضحة الدلالة على تحريم الغرر ، حيث ورد النهى فيها على تحريم عدد من المعاملات التى لا يعلم فيها نوع ما يلتزم به المتعاقدان أو أجله ، مما ينطوى على جهالة فاحشة تؤثر فى صحة الرضا وتؤدى إلى النزاع ، وهذا التحريم يصدق على جميع أنواع الغرر ومنها الغرر فى الوجود والغرر فى الحصول ، والغرر فى المقدار والغرر فى الأجل .

الفرع الثالث
أدلة تحريم الغرر

وقد قامت الأدلة على تحريم الغرر من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ والإجماع .

أولا : أما الكتاب الكريم :

اشتملت آيات القرآن الكريم على تحريم جميع أنواع الظلم كما حرمت كل تصرف ينطوى على الإضرار بالعباد ، وذلك فى إطار نصوص كلية عامة تصدق على عقود الغرر ، كما تصدق على غيرها من سائر التصرفات التى تؤدى إلى الظلم والضرر ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾(٣٨) .

وقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ ﴾(٣٩) .

---

(٣٥) المغنى لابن قدامة ـ جـ٤ ـ ص٢٣١ .

(٣٦) المغنى لابن قدامة ـ جـ٤ ـ ص٢٢١ وما بعدها .

(٣٧) وقد ذكر الإمام القرافى أن الغرر والجهالة يقعان فى سبعة أشياء وذكر منها : الغرر فى الوجود كالآبق ، وفى الحصول كالطير فى الهواء ، وفى المقدار كالبيع إلى مبلغ رمى الحصاة وبالأجل إن كان هناك أجل ؛ راجع الفروق ـ جـ٢ ـ ص٢٧٠ .

(٣٨) سورة النساء ـ آية ٢٩ .

(٣٩) سورة البقرة ـ آية ١٨٨ .

وقوله تعالى :

﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾(٤٠)

حيث دلت هذه الآيات المباركات على تحريم أكل أموال الناس بالباطل ، من خلال النهى الصريح عنه فى الآيتين الأولى والثانية ، ومن خلال الذم الذى وصم به اليهود من أكلهم أموال الناس بالباطل فى الآية الثالثة على نحو يفيد التحريم أبلغ إفادة . والباطل المنهى عن أكل أموال الناس به : هو كل ما لا يحل شرعا ولا يفيد مقصودا ، لأن الشرع نهى عنه ، ومنع منه وحرم تعاطيه كالربا والغرر ونحوهما(٤١) .

ثانيا : وأما السنة النبوية :

فقد ورد النهى عن بيع الغرر واضحا وصريحا فيها ، حيث دلت أحاديث كثيرة على تحريمه ومنها :

١ ــ ما رواه مسلم عن أبى هريرة قال : «نهى رسول الله ﷺ عن بيع الحصاه وعن بيع الغرر»(٤٢) ، حيث ورد النهى عن بيع الحصاه ، والغرر ، والنهى يفيد التحريم .

٢ ــ وبما رواه سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال : «نهى رسول الله ﷺ عن المحاقلة والمخابرة والمخاضرة ، والملامسة والمنابذة»(٤٣) .

وقد دل الحديث بالنهى عن عدد من البيوع لما فيها من الغرر ؛ والمحاقلة : بيع الزرع القائم بكيل معلوم من الطعام ، والمخابرة الأرض البيضاء يدفعها الرجل إلى الرجل فينفق فيها ثم يأخذ من الثمر(٤٤) ، والملامسة ، لمس الثوب لا ينظر إليه ، والمخاضرة ، بيع الثمار قبل أن تطعم ، والمنابذة : أن ينبذ كل من المتبايعين الثوب إلى الآخر فيتبايعا على ذلك(٤٥) وقد حرمت تلك البيوع لما فيها من الغرر .

٣ ــ وبما روى عن أنس رضى الله عنه قال : «نهى رسول الله عن بيع المضامين والملاقيح(٤٦) ، حيث دل هذا الحديث على بيع المضامين والملاقيح لما فيهما من الغرر ، حيث أن المضامين : هى ما فى أصلاب الفحول وهى مجهولة ، والملاقيح : هى ما فى أرحام الإناث ، أو ما فى بطون الحوامل(٤٧) .

٤ ــ وبما روى عن ابن عمر رضى الله عنه ، أنه ﷺ : «نهى عن حبل الحبلة»(٤٨) . وحبل الحبلة المنهى عنه ، أجل للبيع ، ويكون المبيع شىء آخر ، وهذا الأجل مجهول جهالة فاحشة ، وهو

---

(٤٠) سورة النساء ــ آية ١٦١ .

(٤١) راجع : أحكام القرآن لابن العربى ــ جـ١ ــ ص٤١ وما بعدها طبعة ١٣٧٦هـ ، ورسالة الغرر وأثره فى العقود فى الفقه الإسلامى ــ للدكتور الصديق محمد الضرير ــ جامعة القاهرة ــ سنة ١٣٨٦هـ ــ ص٥٤ وما بعدها .

(٤٢) صحيح مسلم بشرح النووى ــ جـ١ ــ ص١٥٦ وما بعدها ونيل الأوطار ــ جـ٥ ــ ص١٤٧ ، والسنن الكبرى للبيهقى ــ جـ٥ ــ ٣٣٨ ط ١٣٥٤هـ ، والغرر ؛ هو المستور العاقبة ، أما بيع الحصاة ، فهو أن يقول : أى ثوب وقعت عليه الحصاة فهو عليك بدرهم راجع : الغرر وأثره فى العقود ــ د. محمد الصديق الضرير ــ ص١١٢ .

(٤٣) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ١٤٧ ، وصحيح البخارى ــ جـ٢ ــ ص١١ ، سبل السلام ــ جـ٣ ــ ص١٩ .

(٤٥) المرجع نفسه ، ص١٢٩ .

(٤٤) د. الصديق الضرير ــ المرجع نفسه ــ ص٢٠٧ هامش (٨) .

(٤٦) سبل السلام ــ جـ٣ ــ ص١٩ وما بعدها .

(٤٧) د. محمد الصديق الضرير ــ المرجع نفسه ص١٨٣ .

(٤٨) سبل السلام ــ المكان السابق ، ونيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ص١٦٩ .

أن تلد الناقة ثم يكبر ما تلده ، ويلد هو الآخر ولا يخفى ما فى هذا من الغرر والجهالة(٤٩) .

٥ ــ وبما رواه ابن عباس وأنس أنه ﷺ : «نهى عن المزانبة والمحاقلة»(٥٠) ، والمزانبة اشتراء التمر بالتمر على رؤوس النخل(٥١) ، وعلة النهى عن هذين النوعين من البيع لما فيهما من الغرر والجهالة .

٦ ــ وبما رواه ابن عباس رضى الله عنهما قال : «نهى رسول الله ﷺ أن تباع ثمرة حتى تطعم ، ولا يباع صوف على ظهر ولا لبن فى ضرع»(٥٢) ، ومن الواضح أنه علة النهى عن بيع تلك الأمور لما فيهما من الغرر ، وهذا ما يدل على تحريمه .

٧ ــ وفيها ما رواه ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ : «نهى عن بيع مالم يقبض»(٥٣) .

وبما روى عن حكيم بن حزام قال : قلت يا رسول الله : يأتينى الرجل فيسألنى عن البيع ليس عندى ما أبيعه منه ، ثم ابتاعه من السوق ، فقال : «لا تبع ماليس عندك»(٥٤) .

٨ ــ وعن شهر بن حوشب عن أبى سعيد قال : نهى النبى ﷺ : عن شراء ما فى بطون الأنعام حتى تضع ، وعن بيع مافى ضروعها ألا بكيل ، وعن شراء العبد وهو آبق ، وعن شراء المغانم حتى تقسم ، وعن شراء الصدقات حتى تقبض ، وعن ضربه الغائض»(٥٥) .

ثالثا : وأما الإجماع :

فقد حكاه كثير من الفقهاء فى بيع كثير من صور الغرر كما فى بيع المعدوم ، حيث نقل النووى : إجماع الفقهاء على بطلان بيع المعدوم(٥٦) ونقل ابن المنذر الإجماع على بطلان بيع الثمرة سنين(٥٧) ، وهو بيع غرر ، ونقل ابن رشد إجماع الفقهاء على حرمة بيع المضامين والملاقيح(٥٨) ، كما حكى الإجماع فى بيع الملامسة والمنابذة عن ابن رشد(٥٩) .

كذلك حكى القرافى الإجماع على امتناع الغرر الكثير وحرمته(٦٠) ، وحكى الشوكانى الإجماع على حرمة جملة من بيوع الغرر كالسمك فى الماء ، والطير فى الهواء(٦١) .

وبهذا يتبين أن بيع الغرر محرم ، وأن حرمته ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع .

---

(٤٩) د. محمد الصديق الضرير ــ المرجع السابق ــ ص٢٨ .

(٥٠) نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ص١٩٨ ، نصب الراية ــ جـ٤ ــ ص١٢ .

(٥١) د. محمد صديق الضرير ــ ص٢٠٧ .

(٥٢) رواه الطبرانى فى معجمه وأخرجه الدارقطنى والبيهقى فى سننهما ، راجع : نصب الراية ــ جـ٤ ص١١ ، ونيل الأوطار ــ جـ٥ ــ ص١٤٩ .

(٥٣) رواه أحمد فى مسنده ، وابن حبان فى صحيحه ، ولفظه : إذا ابتعت بيعا فلا تبعه حتى تقبضه ــ راجع نصب الراية ــ جـ٤ ــ ص٣٢ .

(٥٤) رواه الخمسة وقد أخرجه ابن حبان فى صحيحه وقال الترمذى حسن صحيح ــ راجع نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ص١٧٥ .

(٥٥) رواه أحمد وابن ماجه ــ راجع نيل الأوطار للشوكانى ــ جـ٥ ــ ص١٦٨ .

(٥٦) تكملة المجموع ــ جـ٩ ــ ص٢٥٧ .

(٥٧) المرجع نفسه .

(٥٨) بداية المجتهد ٣١/٢ .

(٥٩) إحكام الأحكام ــ لابن رقيق العبد ١١٠/١ .

(٦٠) الفروق ٦٥/٢ .

(٦١) نيل الأوطار ١٤٣/٥ .

من تراث محمد أبو الفضل ابراهيم

تجاربي .. في تحقيق التراث العربي

- ٢ -

يظن بعض الناس أن عالما فى الطبيعة يصلح أن يحقق كتابا فيها ، أو أن شاعرا ينهض لتحقيق ديوان ، أو أن فقيها يستقيم له أن ينشر كتابا فى الفقه ، وأى عالم يستطيع أن يحقق كتابا فى فنه .. ولكن ـــ لكى يستطيع أن يقوم واحد من هؤلاء بالتحقيق ـــ يجب أن يكون جاريا من هذه الصناعة على عرق ، عارفا بقواعدها وأصولها ، وأن يجتمع له ، بعد ذلك ، من الوسائل ما يعبِّد له السبيل ، ويدنى له الغاية ، من وفرة المعاجم والمراجع والفهارس ، وطول ممارسته لها وخبرته بما فيها .

وأولى خطوات العمل ، فى هذا الباب :

أن يكون لدى محقق الكتاب جميع نسخه الأصلية ، والمطبوعة ـــ إن كان مما سبق طبعه ـــ وما وقع على الكتاب من اختصار أو شرح أو تعليق ، ثم ترتب هذه النسخ بحسب أصالتها ، ويختار أدناها إلى الصحة أصلا يدور عليه التحقيق ، وتثبت فروق النسخ فى الحواشى ، بعد أن يبقى فى الأصل ، النص المختار ، الذى يترجح عند المحقق أنه الصواب .

ويختلف المحققون فى القدر المطلوب إثباته من هذه الفروق ، فبعضهم يسرف فى ذلك إسرافا يؤدى إلى إثبات الخلافات النحوية ، والوجوه الإملائية ، والألفاظ المحرَّفة ، الواضح بطلانها ، كما فعل ذلك كثير من المستشرقين ومن نحا نحوهم وسلك مذهبهم . وبعضهم يختار النص الذى يصح عنده ، لا يعلق عليه ، ولا يشير إلى أى خلاف يقع فيه ، أو أى كلمة تناولها بالتصويب

والتصحيح .. وعندى أن كلا المذهبين غير مستقيم ، وأمثل الطرق هى : إثبات الفروق ذات الدلالة ، والإشارة إلى الألفاظ التى وقع عليها الترجيح ، على حسب ما يبدو للمحقق من وجه الصواب فيه .

واستقصاء النسخ الأصلية أمر ضرورى عند تحقيق الكتاب . وكثيرا ما نجد نصا غامضا فى نسخة ، توضحه أخرى ، أو نقصا فى موضع ، يوجد ما يكمله فى موضع آخر .. وحينما أخذت دار الكتب المصرية فى نشر كتاب (الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى) ، على أساس المخطوطات التى كانت لديها فى ذلك الحين ، ونشرت الأجزاء الأولى منه ، تيسر لها بعد طبعه ، الحصول على مخطوطات أخرى منه ، فوجدت فيها زيادات فى الأخبار والأشعار ، بل وجدت تراجم كاملة مثل ترجمة (مسلم بن الوليد) ــ وغيره .

والجزء الحادى والعشرون الذى قام بنشره « رودلف برنو » من هذا الكتاب ، وطبع سنة ١٣٠٥هـ ملحقا للنسخة المطبوعة فى بولاق سنة ١٢٨٥هـ ، إنما هو تراجم كاملة عثر عليها فى مخطوطات أخرى لم تقع لمصححى كتاب الأغانى فى هذه الطبعة .. وحينما أخذت فى إعادة تحقيق «تاريخ الطبرى» رجعت إلى مخطوطات منه ، لبعض الأجزاء ، لم يرجع إليها مصححو (طبعة ليدن) ، ووجدت فيها تصويبات هامة ، تصحيحا لأعلام محرفة ، وتوضيحا لأساليب كانت مبهمة مضطربة .

●●●

وكما يجب على المحقق أن يستقصى نسخ الكتاب الذى يقوم بتحقيقه ، يجب عليه ، أيضا ، أن يعنى بمراجعة المصادر التى أخذ منها مؤلف الكتاب ، أو الكتب التى نقلت عنه ، وخاصة حينما لا تتيسر لديه النسخ الأصلية منه ، وأن يرتبها ترتيبا يعينه على الإفادة منها .. وقد فعلتُ ذلك حينما كنت أقوم بتحقيق «أنباء الرواة على أنباء النحاة» للوزير (جمال الدين القفطى) ، وصحَّ عندى أن النسخ الباقية من هذا الكتاب ، لا ترتقى فى صحتها أو سلامتها ، لأن تكون أصُولا كافية لتحقيقه ، فعنيت عناية خاصة بالرجوع إلى المصادر التى نقل (القفطى) عنها ــ صرَّح بذلك أم لم يصرح ــ مثل مراتب النحويين (لأبى الطيب اللغوى) ، ونزهة الألباب (لابن الأنبارى) ، وتاريخ بغداد (للخطيب البغدادى) ، ويتيمة الدهر (لأبى منصور الثعالبى) ، ودمية القصر (للباخرزى) ؛ بل إنى رجعت من هذه المصادر إلى مصورة من مخطوطة لكتاب طبقات النحويين اللغويين (للزبيدى) ، محفوظة بمكتبة « نورعثمانية » باستنبول ، بعد أن ثبت عندى أن هذه النسخة هى عينها النسخة التى رجع إليها (القفطى) عند تأليف كتابه ، وقد أفدت منها فى جميع ما نقل عنها .. وكذلك الأمر فى الكتب التى تنقل عن المؤلف وتأخذ منه .. إن الرجوع إليها لا يقلّ ، عما سبق ، شأنا ولا خطرا ..

ومن التجارب التى وقعت لى فى ذلك الأمر أنى حينما كنت أعمل فى تحقيق كتاب «مراتب النحويين لأبى الطيب» لم يكن لدى سوى النسخة الوحيدة المحفوظة (بمكتبة شليمور) بدار الكتب المصرية ، فوجدتِ ورقة ساقطة منها ، وكان من التوفيق أن وجدت ما يقابل هذه الورقة فى كتاب

المزهر للسيوطى ، إذ كان قد نقل الكتاب برمته ، وبالرجوع إليها استقام تحقيق الكتاب ، وأمْكن نشره كاملا . والأمثلة فى هذا الباب كثيرة .

●●●

ويأتى بعد مرحلة جمع الأصول والمصادر ، وإثبات الفروق فى الحواشى ، ما يقتضيه التحقيق من التعليق والشرح والإيضاح . وتختلف طرائق المحققين فى هذا أيضا ، فبعضهم لا يرى إثبات شىء من ذلك أصلا عدا فروق النسخ ، كما فعله قُدامَى المستشرقين ومَنْ تبعهم من المحققين ، ودعواهم فى ذلك أنه لا غاية من التحقيق سوى نشر الكتاب على أقرب صورة من نسخة المؤلف ، وحَسْبُ القارىء ما يجد فيها من التصويب وتحرير النص وفروق النسخ والفهرسة . **وفريق آخر يرى التعليق أمرا حتما لازما ، لأنه يعين على فهم الكتاب ، وييسر الانتفاع به ، ويضيف معارف أخرى إلى معارف المؤلف ، وهى الطريقة التى أرى انتهاجها . ولكن على ألا يخرج التعليق عن شرح الغريب ، فى قصد وإيجاز ، أو تخريج الحديث والشعر ، فى غير فضول أو إسفاف ، أو احتجاج لتوجيه التصحيح والتصويب . ومدار الأمر فى ذلك كله يرجع الى إحساس المحقق وشعوره بمواضع التعليق ، وعلى حسب طبيعة الكتاب وموضوعه** . فلا يليق أن تخرج الأحاديث فى كتاب الأدب[1] ، أو تشرح المذاهب الفقهية فى كتب التاريخ أو يستطرد إلى ذكر النصوص الأدبية فى كتب التفسير ، بل يكون لكل كتاب ما يقتضيه ، ولكل مقام ما يصح أن يتوفَّر فيه ، أما ما يعمد إليه بعض المحققين من ترجمة جميع الأعلام وتخريج الشعر من كل مكان ، واستطراد إيراد القصص والأخبار ، فهو أمر يثقل الكتاب بما لا غناء فيه .

●●●

ولا يكتمل تحقيق الكتاب ، على النحو الذى يرضى العلماء ، إلا إذا صُنعت له الفهارس التى تنبثق من روح الكتاب وموضوعه ، وهى التى تربط أطرافه ، وتوضح أهدافه ، وتعين على استيعابه ، فى سهولة ويسر ، وفى أضيق وقت وأقل مجهود . **والرأى الرشيد فى عمل الفهارس أن تُصنع للكتاب بأجمعه ، ولكل أجزائه ـ إن كان فى أجزاء ـ وأن تقتصر على ما ورد فيه ، دون حواشيه** .. وفيما قام به محققو كتاب الأغانى والنجوم الزاهرة وسير أعلام النبلاء وسيرة ابن هشام ، مِنّ وضْع فهارس لكل جزء إعْنات للباحث ، ومشقة على الدارس ، إلاَّ أن يجتمع من الفهارس المتفرقة ، فهرس عام فى آخر الكتاب .

ولست بحاجة فى هذا المقال أن أذكر ما يجب على المحقق من مراعاة علامات الترقيم والزيادة ، وطرق الرسم ، وغير هذا مما يكمل تحقيق الكتاب ، فإن هذا أمر مُتعارف ، قد تناوله بالتفصيل جميع من كتبوا فى هذا الباب .

---

(١) فى الحق ذلك موضوع لا ينبغى تركه ، وما يراه الكاتب ـ رحمة الله تعالى ـ إنما هو وجهة نظر .. يخالفه فيها محققون آخرون ، ذلك أن ميدان الحديث الشريف كان يوما مرتعا للكذابين ؛ مما يقتضى التخريج للحديث فى أى فن احتراما لتراث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم تقديرا لعقلية القارىء .. الخطيب

ويجب أن يخرج كاملا كما وضعه مؤلفه ، دون حذف أو تغيير ، ودون إخلال بترتيب الفصول والأبواب ، فالكتب حقائق تاريخية ووثائق علمية ، لا يمكن الثقة بما فيها ، أو الاطمئنان إلى ما نُقل عنها ، إلا إذا صدرت سليمة ، أقرب ما تكون إلى أول نسخة كتبت بها .

وَلَخيْرٌ للكتاب أن يظل قابعا فى دور الكتب ، بعيدا عن الحذف والتغيير ، من أن يطبع ناقصا أو مبدلا ..

وعلى العموم فإن من يتصدَّى لتحقيق الكتب العربية ، سيواجه نصوصا مُحرَّفة وعبارات مُبْهَمة وأخرى مستغلقة ، وألفاظا يعوزها الضبط والإعجام والشرح ، وأخبارا غريبة ، وحوادث قد لا تكون معروفة أو متداولة ، فعليه أن يلتمس الوسائل فى رد المحرَّف إلى أصله ، ويصرف أعنَّة الفكر لتوضيح مبهمه ، فى صبر وأناة ، وبذلك يكون قد أضاف إلى فضل المؤلف فضلا آخر ، وأسدى للباحثين والدراسين خيرا كثيرا .

● ● ●

هذا وللموسوعات العلمية والكتب المطولة ، ذات الأجزاء ، شأن خاص عند نشرها لابد أن يوضع فى الاعتبار . يجب أن يدرس كل كتاب قبل الشروع فيه ، من حيث إعداد الأصول واختيار المحققين وما يقتضيه من جهد ومال ، بحيث يسير العمل فيه بنشاط على طريق مرسوم ونهج مدروس . **ولقد حدث لبعض الهيئات العلمية** أن شرعت فى نشر بعض الكتب المطولة ، وعلى تعاقب السنين لم يصدر منها سوى جزء أو أجزاء قليلة ، وبقيت مبتورة ، فلا هذه الهيئات تمضى فيها ، ولا استطاع غيرها أن يقوم بإكمالها ، حدث ذلك فى كتاب (الأغانى) لأبى الفرج الأصفهانى ، (ومسالك الأبصار) للعمرى ، (وسير أعلام النبلاء) ، (وتاريخ الإسلام) للذهبى ، (وأنساب الأشراف) للبلاذرى ، (وتاريخ دمشق) لابن عساكر ، (والذخيرة) لابن بسام[٢] ، وغيرها من الكتب العتيدة ، ذات القيمة العلمية البعيدة المدى

ولعل مما يعين على بعث تراثنا العربى جميعه ، ونشر كنوزه المخبوءة على أوسع نطاق ، أن تنسق الجهود بين العلماء ، وأن تتعاون الأقطار العربية فى النهوض بهذا العبء ، حتى لا تتكرر الأعمال ، ويعوق بعضها بعضا .. والأمة العربية ــ وإن كانت ممتدة على رقعة واحدة ــ وتصطنع لغة واحدة .. ــ إلا أن هناك اعتبارات جغرافية ، أو تاريخية ، ممكن ملاحظتها فى هذا الشأن وهى نفسها تعين على وفرة الإنتاج وظهوره على الوجه الأكمل ، فإذا قام (العراق) مثلا بطبع تاريخ بغداد محققا ، ونشر ما ذَيَّل به عليه السمعانى وابن النجار والدبيثى وابن الدمياطى ، ونهضت المملكة العربية السعودية بنشر تاريخ مكة والمدينة والطائف واليمامة ، واستكملت دمشق طبع تاريخ ابن عساكر ، وأخذت مصر فى تحقيق خطط المقريزى ــ وعلى هذا النحو تقوم باقى الدول العربية ــ أمكن للتراث العربى أن يُبعث كله ، وأمكن لهذا الشباب العربى المتوثب أن يعرف تاريخ بلاده على الوجه الصحيح

(٢) شاء الله ــ سبحانه ــ أن يكتمل لبعض هذه الكتب أجزاؤها بعد وفاة الأستاذ الكاتب ــ رحمه الله ... الخطيب

تحقيق صحفي

القمة العربية وواقع الأمة الإسلامية

قدّم له وأجراه/د. محمد عبد الحكيم محمد (*)

الوحدة الإسلامية أضحت ضرورة مُلحة لمواجهة التحديات التى تواجه أمتنا الإسلامية ، ففيها القوة والعزة والمنعة ، لا سيما ونحن نعيش عصر التكتلات والأحلاف بين الدول غير المنسجمة فى الشرق والغرب ، وهناك نواة فى « المؤتمر الإسلامى »(1) يمكن أن تزيد روابط الأمة حتى النهاية .

وليس من شك أن المسلمين وقد تجاوزوا المليار مسلم ؛ هم الأجدر ـ بإسلامهم ـ بهذه الوحدة والتكتل ـ إن شاء الله تعالى ـ ، ولكننا فى وقت من الأوقات أبينا الا الافتراق والاختلاف وعدم التجمع على كلمة سواء ، فماذا جنينا ؟

تقدم غيرنا ، أما نحن فقد تأخرنا ـ بكل ما يحمله « التأخر » من معنى فى كل مقومات حياتنا ـ بداية من أبسط ما نريد إلى أقصى ما نريد من أسباب القوة ، على الرغم مما أفاء الله به علينا من مقومات التقدم وأسباب العزة والمنعة ، وهى جميعا بأرضنا ، بل تحت أقدامنا .

وقد كانت « القمة العربية » مهمة من أجل لم الشمل العربى وإزالة الخلافات ، وها هى القمة العربية قد خرجت ـ بالفعل ـ برسالة واضحة إلى العالم تقول : إن الأمة العربية شرعت فى إنهاء مرحلة التمزق وعملت على تجميع كلمتها .

---

*الكاتب : حاصل على درجة الدكتوراة فى الصحافة والإعلام من كلية اللغة العربية بالقاهرة ، ويعمل بمجلة الأزهر

(1) المؤتمر العام الثامن للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية الذى عقد فى الفترة من 8 ـ 11 ربيع الأول 1417 هـ الموافق 24 ـ 27 يوليو 1996 م .

الإمـــام الأكبـــر شـيخ الأزهـــر :

- **هنـاك سـبع ركـائـز لتحقيـــق مفهـــوم الأمـــة الواحـــدة**
- **عـلى الأمــة أن تتكـاتــف دفـاعــا عن ديـنـــهـا وكرامتــهـا**
- **الوحـدة العــربيـة تحقــق معنى التضــامن ولهـا أثر طيب**

ولعل من أهم نتائج القمة العربية أنها أوقفتنا ـ بانعقادها فى ذلك الوقت العصيب ـ على حقيقة الوضع المتردى لأحوال العرب والمسلمين ، وفتحت عيوننا على حقيقة التحديات التى تواجه أمتنا بأبعادها المختلفة .

تلك التحديات التى لم تفارق أمتنا فى الماضى متمثلة فى : الحروب الصليبية والغزو المغولى وسقوط الأندلس .

وفى الحاضر متمثلة فى الاستشراق والعلمانية والحركات الهدامة داخل الأمة الإسلامية وخارجها ، وانسلاخ كثير من الشباب عن الصدور عن قوميته ؛ فإذا هو طامح إلى الغرب بكل ما فيه من مسوخ الإنسانية .

ولعل ما يزيد من خطر المسئولية هو : إدراك حجم المخططات الساعية لمسخ شخصية الأمة وتشويه صورة إسلامها وتبديد طاقاتها وثرواتها وتذويب ثقافتها .

من ثم كانت فكرة هذا « التحقيق الصحفى » لاستطلاع رأى بعض الأساتذة والعلماء وذوى الاختصاص من المهتمين بالشئون الإسلامية وطرح العديد من الأسئلة عليهم فى محاولة لتشخيص الأزمة وإبراز مظاهر الضعف فى الواقع العربى الإسلامى ، وبيان قدرة الإسلام على مواجهة التحديات الكبرى التى تعترض طريقة ، حتى نتجاوز خط التخاذل والتواكل إلى العمل والتأثير فى ركب الحضارة العالمية .

وكان فى مقدمة من التقيت بهم فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور/ محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر ، وهو رجل يفيض علما وحياءً يغريان بطول اللقاء وطرح المزيد من الأسئلة على فضيلته ، لولا الإحساس بكثرة الأعباء وجسامة المسئوليات ، ومن ثم كان لقائى مع فضيلته قصيرا .

وهذا بيان بتفصيل ما صرّح لى به فضيلته ، وما صرح لى به وغيره من العلماء والأساتذة المتخصصين فى هذا الشأن :

● **فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : فضيلتكم فى خطبة الجمعة .. (خطبة الخامس من صفر ١٤١٧ هـ أول أيام مؤتمر القمة العربية) دعوتم الملوك والرؤساء العرب إلى ضرورة التمسك بالوحدة والعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، كيف ترون فضيلتكم مؤتمر القمة العربية بعد أن أنهى أعماله وأصدر بيانه الختامى ؟**

□ أنا استمعت إلى كلمات السيد الرئيس التى قالها فى افتتاح مؤتمر القمة ، كما استمعت ـ أيضا ـ إلى البيان الذى ألقاه السيد/ عمرو موسى وزير الخارجية ، وكل هذه الكلمات تدل على أن الأمة العربية والإسلامية عندما تلتقى للتعاون على البر والتقوى ، وتلتقى من أجل بيان حقوقها ، وبيان ما يجب عليها نحو أفراد شعوبها إنما تحقق معنى التضامن الإسلامى .

هذه القمة العربية كان له أثرها الطيب فى النفوس وفى القلوب . ولدى الشعوب العربية والإسلامية نفسها ، لأنها بيَّنت بوضوح : أن الأمة العربية والإسلامية عندما تلتقى بملوكها ورؤسائها ـ تستطيع أن تفعل الكثير والكثير .

فهؤلاء الملوك والرؤساء قد اجتمعوا ـ جميعا ـ من أجل الدفاع عن حقوقهم ، والدفاع عن حقوق شعب فلسطين والدفاع عن حقوق الشعب السورى ، والدفاع عن حقوق الشعب اللبنانى ، والدفاع عن حقوق الشعوب العربية والإسلامية بصفة عامة .

ولا شك أن هذه اللقاءات من شأنها أن تغرس فى النفوس المحبة والإخلاص وتزيل ما علق فى بعض النفوس من آثار لا تتناسب مع الأخوة الإسلامية ومع الإخوة العربية .

لذا فهذه القمة وما تم فيها من لقاءات ، وما تم فيها من مشاورات ، وما تم فيها من قرارات ؛ كلها ـ والحمد لله ـ لصالح الأمة الإسلامية والعربية .

● **فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر : انطلاقا من هذه الرؤية المستقبلية لأهداف هذا المؤتمر ، ما ركائز البقاء ، وأولويات العمل من أجل تحقيق مفهوم « الأمة الواحدة » أو « الجسد الواحد » الذى إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ؟**

□ هذه الركائز أشار إليها البيان الذى ألقاه سيادة الرئيس محمد حسنى مبارك فى مفتتح مؤتمر القمة ، فقد أشار سيادته إلى سبع ركائز ، وكل ركيزة منها متى طبقت ومتى نفذت ستعود على الأمة العربية والإسلامية بالخير .

ركيزة الاتحاد .

ركيزة التكاتف .

ركيزة التعاون .

ركيزة الإخلاص .

ركيزة الشعور بأننا جميعا فى مركب واحد .

وأننا ـ جميعا ـ تظلنا سماء واحدة ، وتقلنا أرض واحدة .

وأننا تجمعنا مصالح مشتركة .

فالأمة العربية يجب عليها أن تتكاتف من أجل الدفاع عن حقوقها ومن أجل الدفاع عن دينها ، ومن أجل الدفاع عن كرامتها .

ونحن نؤيد كل ما جاء فى هذه الكلمات التى قالها الملوك والرؤساء فى هذا الشأن .

رئيس قطـــاع المعـــاهد الأزهـــرية :

- تدم سلفنا الصالح النموذج الأمثل فى العطاء الحضارى .
- الإسلام انتشر بذاتيته قبل أن يكون له سيف وسلطان .
- حبا الله أمتنا بمقومات القوة وأسباب العزة .

فضيلة الشيخ/ محمد بشير عبدالعال
رئيس قطاع المعاهد الأزهرية

● فى تصور فضيلتكم .. ما مظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكيف ترون سبيل المواجهة ؟

□ (١) الفرقه والتمزق (٢) التنازع والاختلاف (٣) الفقر والأمية .

هذه هى الأسباب التى تمثل أهم مظاهر الضعف فى الواقع العربى والإسلامى ، وكل ذلك ناتج عن تقصيرنا نحن فى حق أنفسنا ، فلم يكن هذا هو الوضع الذى كان عليه سلفنا الصالح فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين كانوا بالفعل خير أمة أخرجت للناس ، واستحقت هذا الوصف فعلا ــ الوارد بقوله ــ تعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

آل عمران/١١٠

ولكننا أحدثنا بعدهم . فخالفنا أمر الله ــ تعالى ــ ، فلم نعد نعتصم بحبل الله جميعا ، فحدثت الفرقة فى صفوفنا ، ولم نعد نتفق ونجتمع على كلمة سواء ، بل اختلفنا وتنازعنا ، فأصبح بأسنا بيننا لمخالفة قول الله ــ تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

آل عمران/١٠٣

وقوله ــ تعالى ــ :

﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

الأنفال/٤٦

ومخالفة قول نبينا ﷺ فيما نصح به الأمة : « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا » ــ رواه البخارى .

و « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » رواه البخارى وغيره .

فمخالفة منهج الإسلام فى الوحدة والاعتصام وعدم التنازع ترتب عليه بعض مظاهر الضعف كالفرقة والتنازع وانتشار الأمية وإهمال عناصر التنمية ، وتبديد الثروات التى حبانا الله بها كأمة إسلامية فيها كل مقومات الحياة .

من هنا حدث الخلل والفقر الذى تعانى منه دول العالم الثالث ومعظمها دول إسلامية .

أما عن سبل المواجهة :

فإنى أرى فى مؤتمر القمة العربية الذى عقد بالقاهرة ـ بعد تشدد حكومة الليكود ـ خطوة بناءة على الطريق الصحيح ، ولكن بتيسر تنفيذ توصيات المؤتمر .

ومن ناحية أخرى لابد للأمة أن تبذل كل طاقاتها وتشمِّر عن ساعد الجد للاستفادة مما حبانا الله ـ تعالى ـ به من النعم الكثيرة والثروات الهائلة التى ملكنا الله ـ تعالى ـ إياها حتى نملك قرارنا ، **فمن لا يملك خبزه لا يملك قراره** ، وحتى لا نجعل لغيرنا سبيلا علينا ، بل نجعل الغير هو الذى يطرق أبوابنا ، ويطلب منا ما يعينه على الحياة ، وبذلك نكون ـ بحق ـ خير أمة أخرجت للناس ، ونكون أجدر بالانتماء لخير النبيين سيدنا محمد ﷺ .

ما أعظم أسلامنا ، انظر كيف يحثنا إلى بذل الطاقات لتوفير الاحتياجات فى مثل قوله ﷺ :

« **ما زرع مسلم زرعا ولا غرس غرسا فأكل منه طير أو بهيمة أو إنسان أو حيوان إلا كان له به صدقة** » . رواه الطبرانى فى الأوسط عن عمرو بن العاص .

و « **إذا قامت الساعة وفى يد أحدكم فسيلة فإن استطاع ألا يقوم حتى يغرسها فليفعل** » رواه أحمد .

أرأيت كيف يستنهض الإسلام همم المسلمين فى ألا يدخروا جهدا ولا وقتا إلا فى عمل نافع يعود على الغير بالخير ، **لن تتحقق لنا الإرادة الكاملة إلا إذا توفرت لدينا متطلبات الحياة كاملة** .

● ● ●

أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

- **مما يقض مضجع المسلمين ، نذر التدهور المطرد فى الأمة .**
- **الأمة التى قادت العالم مئات الأعوام قادرة ـ بالله ـ على الانبعاث**
- **علتنا الرئيسية هى ، التقصير فى تطبيق المنهج الإلهى .**

فضيلة الشيخ/ سامى محمد متولى الشعراوى :
أمين عام مجمع البحوث الإسلامية

● **أولا نهنئكم بهذا المنصب الجديد كما نهنئكم على ثقة فضيلة الإمام الأكبر فيكم ، ثم نسألكم بوصفكم أحد المراقبين لحالة العرب والمسلمين عن سبب تقدم الغرب وتأخر المسلمين ، وكيف السبيل إلى استرداد أمتنا لدورها ومكانتها ؟**

□ نشكركم ونسأل الله العون والسداد ، وبالنسبة لسؤالكم فهو يطرح قضية كبيرة متشعبة الأبعاد لا نستطيع أن نلم بها فى جلسة ، أو نجيب عنها فى سؤال . والحقيقة أنه هم كبير يقض مضجع العلماء والمفكرين وكل مسلم غيور على دينه ومصالح وطنه وأمته ؛ أن يرى نذر التدهور المطرد فى أمته الإسلامية ذات العطاء الحضارى

الشامخ فى الدين والدنيا ، ويرى فى ذات الوقت شعوبا من حوله تنطلق متسابقة إلى الأمام وهمتها مشغولة بعصر الفضاء والتقدم والأفق البعيد ، لا شك أن ذلك مما يغمر المسلم الصادق بالأسى والحزن .

وفى تقديرى أن الأمة التى قادت العالم مئات السنين قادرة بالله ــ عز وجل ــ متى استقامت على نهج ربها ــ على النهوض والانبعاث والتقدم ، لأن تلك الأزمة ترجع حقيقة إلى علة رئيسية تفرع عنها بعض التداعيات والنتائج السلبية ، وهى جميعها تجتمع فى قوله ــ تعالى :

﴿ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ .

الحشر/١٩

فالعلة الرئيسية هى ترك المنهج الذى وضعه ــ برحمته وحكمته ــ خالق النفس البشرية للنفس البشرية ، ذلك المنهج المتمثل فى طاعة الله ــ عز وجل ــ ورسوله ــ من خلال الأوامر والنواهى التى تحقق للمسلمين السعادة فى الدارين .

وبقدر ما يظهر فى الأمة من ضعف وقصور وتدهور يكون التقصير فى العمل بمقتضى هذه الأوامر والنواهى كما هو حاضر المسلمين ، وبقدر ما يظهر من نهوض وتقدم يكون نتيجة تلقائية للإقبال عليها ، كما حدث مع المسلمين الأوائل .

وقد ترتب على تقصير المسلمين فى هذا المنهج نتائج عدة يمكن إجمالها فى نقطتين جاءتا إثر بعضهما :

(١) البعد عن قيمنا وتقاليدنا وحضارتنا .

(٢) تأخر المسلمين وتقدم غيرهم فى مجالات العلوم والتقنية .

فبضعف السمت الإسلامية للشخصية الإسلامية ؛ غابت المثل الإسلامية لدى النشء ، وافتقد الشباب القدوة ، فحدث اضطراب ثقافى وخلل فكرى أفقد الأمة وحدتها وقوتها . ولعل ما ساعد ــ أيضا ــ فى هذا الاضطراب عامل خطير هو :

نشأة الخلافات الفرعية التى تفرق كلمة الأمة وتوزع ولاءها بين اتجاهات مختلفة .

والحقيقة أنها (بالونات) غربية يطلقها الأعداء لأهداف لا تخفى على أحد منها : تشتيت عقل المسلم ، فتجد صراعات فكرية حول قضايا لا أساس لها مثل : **قضية حقوق المرأة مثلا** ، وغيرها كثير مما أنهى الإسلام الحكم فيه .

ويستطرد الشيخ سامى متسائلا : وهل هناك من أُنصف المرأة مثل الإسلام الذى أكرمها بنتا وأختا وأما وزوجة ؟

إلى غير ذلك من القضايا الفرعية والخلافية التى تأخذ بتلابيب الأمة الإسلامية وتشدها إلى أسفل لتمنعها من النهوض والتحليق بجناحى المادة والروح التى وازن بينهما منهج الإسلام خير موازنة .

باختصار شديد نحن متأخرون لأننا لا نحسن استخدام ما أفاء الله به علينا من النعم ،

وصدق شوقى عندما قال عن تخلف المسلمين :

بأيمانهم نوران : ذكر وسنة
فما بالهم فى حالك الظلمات

كيف تكون هذه المصابيح الساطعة فى أيدينا وفوق رءوسنا ومع ذلك لا نستخدمها ونهتدى بضوئها ؟

ينبغى الالتفات إلى أوامر الله ــ تعالى ورسوله ــ ﷺ ، ففيها عودتنا إلى دَوْرنا ومكانتنا .

عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة :

- الأمة الإسلامية تحيط بها مخاوف وعوامل هدم كثيرة .
- أهمية القضاء على نزعة التعصب للجغرافيا والتاريخ.
- التنازع والخلاف والجهل والفقر ، أهم مظاهر الضعف .

الأستاذ الدكتور/ سعد عبدالمقصود ظلام
عميد كلية اللغة العربية بالقاهرة ـ جامعة الأزهر

● فيما يتعلق بالتحديات التى تواجه المسلمين فى هذا العصر ، هناك أزمة توهن جسد الأمة الإسلامية ، وهذه الأزمة لها عناصر أو مظاهر ضعف ، نود التفضل بإلقاء الضوء على عناصر هذه الأزمة وبيان كيفية التغلب عليها ؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم .. الأمة الإسلامية فى الظروف الراهنة تحيط بها مخاطر كثيرة ، هذه المخاطر قد تكون هى سببها ، وقد تكون خارجة عن نطاقها ، وفى الحالتين هى مخاوف ـ حقيقة ـ تثقل كاهل العمل الإسلامى وتحجب عنه رؤية الطريق .

أما المخاوف أو عوامل الهدم التى تحيط بالأمة الإسلامية من داخلها فهى كثيرة ، وأخطرها فيما أعتقد :

(١) التنازع والخلاف

لقد حطم الخلاف البنية الحية فى الوجدان المسلم ، وكسر حدود الرؤية والمعرفة ، فلم يعد أمامنا منار نهتدى به ولا وحدة تجمعنا ، ولا فكر موحد يمنعنا من الخطأ .

التنازع هذا استثمرناه استثمارا ، مع أننا نعلم أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ نهانا عن التنازع ، ورتب عليه أخطر الأحوال : « الفشل » قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾

الأنفال/٤٦

ولا أجد تعبيرا يعبر عن حال الأمة الإسلامية الآن أفضل من الفشل كما جاء فى القرآن الكريم ، ثم رتب على الفشل حقيقة أخرى أفظع « **وتذهب ريحكم** » ، ومعنى ذهاب الريح : ضياع القوة وبالتالى هيبتنا من قلوب أعدائنا وذاك ما عليه المسلمون الآن .

مواجهة التنازع والخلاف بالاعتصام

يذكرنا القرآن الكريم بأنه من أروع ما يقدمه الإسلام لهذه الأمة حتى تبقى ناهضة نابضة قوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

آل عمران/١٠٣

ويذكر المؤمنين بنعمة الله عليهم فى الإلفة والتلاق :

﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ .

ففى هذه الآية أخرى يذكر القرآن الكريم لرسول الله ﷺ أن أجلَّ نعمة يمنها الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه وعلى الأمة الإسلامية نعمة الإلفة والأخوة .

﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ آل عمران/١٠٣

(٢) الجهل :

مما يفت فى عضد الأمة ـ أيضا ـ عامل الجهل ـ فنحن أمة لا تزال فى آخر خطوط العالم المتقدم ، ليست لنا طموحات تحدد رؤيتنا للقرن القادم .

ولو أننا فى العصر الحديث أعطينا للعالم شيئا من لدنا ـ من اختراع وابتكار ـ لأرغمناه أن يلتفت إلينا ؛ بل وأن يخشانا .

(٣) الفقر :

والفقر أحد عوامل ضعف الأمة الإسلامية ، على الرغم من أننا من أغنى أغنياء الأرض بثرواتنا وكنوزنا التى ينتفع بها الغرب ، يُصنَّع منها مواده الأولية ثم يصدرها لنا بالملايين .

بلد مثل اليابان ليس عنده موارد أولية على الإطلاق ولكنه بعلم أمته ورجالها وبخططها المستقبلية وبرؤيتها الواضحة للعالم تحولت اليابان إلى دولة صناعية كبرى .

العالم الإسلامى يستورد لقمة الخبز ، والذى لا يملك قوت يومه لابد أن يكون خائفا ، فنحن خائفون ، والرسول ﷺ يقول : « **من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها** » رواه البخارى فى الأدب والترمذى والبيهقى عن عبدالله بن محصن .

مواجهة الفقر بالعمل

فلابد من العمل المتواصل والاستفادة بخيرات الأرض الاسلامية وكنوزها ومواردها التى حبانا الله بها حتى نقضى على عامل الفقر الذى يعوق نهوضنا وتقدمنا .

٤ ـ التعصب للجغرافيا والتاريخ :

واقصد بذلك الخلافات على الحدود بين بعض الدول الإسلامية .

فما من شك أن الرضا القانع بالإسلام كفيل بالقضاء على هذه النزعة قضاء مبرما ، فالأرض إسلامية ومن عليها مسلمون ، فأى داع لإثارة مشكلات حول أبنيتنا وأرضنا ، فهى أرضنا ـ على أية حال ـ هنا أو هناك .

هذه فى تقديرى أهم مظاهر الأزمة التى توهن من جسد أمتنا الإسلامية ، فقد لا يسعف الوقت فى إحصائها كلها ، وهذه سبل التغلب عليها ، وفى كل الأحوال وعلى هذا فإنه ينبغى التمسك الكامل بالكتاب الكريم والسنة النبوية ، ومعايشتهما بوعى وإيمان ، فكل ذلك كفيل بتصحيح مسارنا ، والله ـ سبحانه ـ يقرر لنا هذه القاعدة :

﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾ محمد/٧

فمتى ننصر الله ؟

أستاذ أصول الفقة بجامعة الأزهر

● لابد من استيعاب كتاب الله المسطور وكتابه المنظور

● سيكون لنا دور فى خريطة العالم بالخروج من الأزمة الفكرية

الأستاذ الدكتور/ على جمعه عبدالوهاب أستاذ أصول الفقه بجامعة الأزهر ، وعضو لجنة الفتوى بالأزهر

فى محاولة لتشخيص الأزمة التى أصابت جسد الأمة الإسلامية كيف ترون سيادتكم أسباب هذه الأزمة ودوافعها ؟ وكيف تسترد أمتنا العربية والإسلامية دورها ومكانتها ؟

□ بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .

الحضارة الإسلامية بنيت لما أن كان الفكر الإسلامى فكرا نشطا ، وهناك فارق بين الفقه والفكر .

فالفقه هو قراءة النص المقدس من كتاب أو سنة .

والفكر : مجاله الواقع ندركه ونفهمه ونحسن كيف نطبق النص عليه .

والله ــ سبحانه وتعالى ــ قد أمرنا بالقراءتين : قراءة كتابه المسطور وقراءة كتابه المنظور :

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾

هاتان القراءتان ينبغى أن يستوعبهما المسلم جيدا .

والأزمة الحقيقية التى يحياها المسلمون ويمرون بها « أزمة فكرية » .

لأنهم ينبغى عليهم أن يحددوا أنفسهم فى مواقف واضحة بإزاء الكتاب والسنة وبإزاء الواقع المعاش ، سواء كان هذا الواقع متمثلا ومبحوثا من خلال الفكر الإسلامى وقراءته ، أو الفكر الإنسانى وتراثه .

ينبغى على المسلم أن يحدد نفسه فى كيفية التعامل مع الوحى وفى كيفية التعامل مع الواقع ، هذه تحتاج إلى تحديدات معرفية ومنهجية **إذا استطاع المسلم أن يواجه هذا التحدى فسيخرج من أزمته الفكرية ، وستعاد له الحضارة ، وسيكون له دور فى خريطة العالم حين تكون له القوة والبصيرة التى يطبق بها عامل الوحى ليصوغ به الواقع .**

يستطيع حينئذ أن يدعو الناس ولو كانوا أقوى منه كما دعا صاحب سورة الكهف مُحاوِرَهُ إلى الإيمان بالله ــ تعالى ــ وقال :

﴿ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ۝٣٩ ﴾ سورة الكهف

إذن القضية أن الناس تحتاجنا ولكننا نكبل أنفسنا بأطر من موقف غير متفاعل مع الوحى الشريف ، ولا ندرك خصائصه من كونه كلمة الله للعالمين ، فإذا بنا نريد أن ننقل للناس تراثنا الثقافى وليس ديننا الإلهى ، وهذه مصيبة كبرى ، إذ تحولنا بدلا من أن نكون دعاة إلى الله نكون فتنة على الآخرين .

ينبغى علينا أن نتعدى الأزمة الفكرية حتى نسترد حضارتنا .

وكيـــل قطـــاع المعاهـــد الأزهـــرية

- صلاح الحال الأمة مرهون بتحقيق العبودية التامة لله .
- قصر الربوبية على الحق جدير بالخضوع له و الخوف منه .
- من قام بحق العبودية يظهره اللــه على العالمين .

فضيلة الشيخ/ فؤاد محمد البرعى
وكيل قطاع المعاهد الأزهرية

● بوصفكم أحد المهتمين بالعمل الإسلامى ونقاء عقيدتنا ، وبوصفكم من حملة كتاب الله ـ عز وجل ـ ما لنا فى القرآن الكريم لإخراج الأمة الإسلامية من أزمتها الراهنة ؟

□ يبدو أن الشيخ فؤاد من المؤمنين بمقولة «خير الكلام ما قل ودل» لأنه تحدث بإيجاز شديد ، ولكنه إيجاز غير مخل إذ قال :
يقول الله - تعالى : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴾
الأنبياء/٩٢

ويقول ـ أيضاً :
﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ .
النحل /٢

ثم قال الشيخ : إذا حققت الأمة العبودية التامة لربها ، واتقته حق تقاته لابد أن يصلح الله حالها وبالها .

ليس مطلوباً من الأمة الإسلامية إلا أن تقوم بالوظيفة التى خلقها الله من أجلها : تمام العبودية له - سبحانه - وما تقتضيه هذه الوظيفة من الخضوع له - سبحانه - والخوف منه .
وسترى بعد ذلك كيف سيظهر الله عباده الذين قاموا له بتبعات العبودية - على العالمين .

ولاحظ كلمة «أنا» فى الآيتين وما توحيه من قصر الربوبية والعزة والعظمة والكبرياء على ذاته وحده ، **أليس جدير بمن هذا وصفه أن يعبد ويخشى ؟**

كما تلاحظ مدلول كلمة «أنا» فى الآيتين وما توحيه من معنى التودد بين العبد والمعبود ، والخالق والمخلوق ، وكأنه - عز وجل - يقول لعباده : **﴿أنا ربكم أولى بعبادتكم وأنتم أولى برحمتى﴾** .

وتركت الشيخ وأنا أقول فى نفسى : حقا إن عبوديتنا له ـ سبحانه ـ ارتقاء وسعادة ، وعبودية البشر لغيره خضوع ومهانة .

عميد كلية القران الكريم بطنطا :

● التحديات التى تواجه المسلمين تأتى من الخارج والداخل أيضا.

● هناك أصابع خارجية تعمل على عزل المسلمين عن التقدم

● الصراع حول الخلافات الفرعية يستفيد منه خصوم الإسلام

الأستاذ الدكتور/ جودة محمد أبو اليزيد المهدى
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

● التحديات التى تواجه المسلمين فى وقتنا الحاضر ، ما أهمها من وجهة نظركم ؟

□ أهمها فيما أعتقد : الحركات الهدامة ، وليست هذه الحركات منحصرة فيما يفد على المسلمين من الخارج كالإلحاد الهدام ـ سواء كان شيوعياً أو علمانياً ـ والاستشراق المعادى ؛ إنما تأتى من الداخل ـ أيضا ـ ، ففى تقديرى أن الغزو الفكرى نوعين :

غزو خارجى .

وغزو داخلى .

والثانى أخطر من الأول ، لأن الأول أنا أعرف اتجاهه ومصدره وأعرف كيف أواجهه ، أما الثانى فترجع خطورته إلى أنه يأتى من قبل بعض المنتسبين للإسلام ، فيتحدثون باسم الإسلام ويضعون السمّ فى العسل .

هذا الفريق الثانى يعمل للأسف ـ مخدوعاً ـ بأصبع خارجية ١٠٠ ٪ خبيثة ومعادية ، تحرص على استبقاء المسلمين معزولين عن قضاياهم وحقوقهم الرئيسية ، ومعزولين فى نفس الوقت عن حركة التقدم العلمى .

فالقوى المعادية للإسلام هى التى تزكى لدينا الخلافات الفكرية حتى نستهلك أنفسنا بأنفسنا ، فتجد مثلا صراعا فكريا حادا بين الشباب حول قضايا فرعية مثل : اللحية ، والاحتفال بالمولد ، وكرامات الأولياء الصالحين ، وأضرحة المساجد ، وما يمازج تلك الخلافات الفكرية من خلط عجيب بين الحق والباطل ، يستفيد منها للأسف أعداء الإسلام المتربصون به .

أخي القارىء :

وبعد .. فقد كانت تلك جولة مع بعض العلماء والمفكرين المهتمين بشئون المسلمين حول التحديات التى تواجهها الأمة الإسلامية فى عالمنا المعاصر ـ داخلية كانت أو خارجية ـ وهكذا بدت لنا رؤية العلماء المتخصصين لهذه التحديات ، ولقدرة الإسلام على مواجهتها

فقد اجتمعت الكلمة على :

- أن المخرج لمصائبنا كامن فى اتباع تعاليم الدين الإسلامى وسرعة العمل على وحدة الصف الإسلامى .
- أن تأخر المسلمين اليوم لا يرجع إلى الإسلام كما يروج أعداء الإسلام ، إنما يرجع إلى جهلنا وسوء فهمنا للمنهج الإلهى الداعى إلى العلم والعمل وقيادة ركب التقدم .
- أن لدى الأمة الإسلامية أسباب العزة والمنعة ومقومات القوة التى إن أفادت منها نهضت ووضعت بلادها فى الدرجة التى يحبها الله ـ عز وجل ـ .
- أن الأمة الإسلامية تواجه خطرا متفاقما ومخططات ساعية إلى مسخ شخصيتها وتشويه دينها وتضييع ثقافتها وتبديد طاقاتها وثرواتها .
- أن القمة العربية التى عقدت مؤخرا فى القاهرة ؛ خطوة بناءة على الطريق الصحيح ، ينبغى منها مواصلة الجهود ومتابعة التوصيات لتحقيق أهدافها كاملة .

هذا وبعد :

فإن دور العلماء والدعاة يظل مهماً فى حسم المسائل الفرعية والقضايا الخلافية ، وتوجيه الشباب المسلم إلى فهم الإسلام على وجهه الصحيح ، بعيدا عن التعصب والتشدد والجدل البغيض الذى يستفيد من أعداء الإسلام ، ولبيان أن وعد الله ـ تعالى ـ لنا بالنصر والاستخلاف والتمكين فى الأرض مشروط بمناصرة الله ـ عز وجل ـ :

﴿ إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾
سورة محمد

ولا حول ولا قوة إلا بالله هو حسبنا ونعم الوكيل .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

فقد ورد إلينا من السيد : ا . إبراهيم السؤال الآتى :

أريد أن أخرج زكاة مالى ولى أقرباء كثير محتاجون .

هل يجوز لى إعطاء جزء من هذه الزكاة على المرضى والمستشفيات وما الحكم ؟ .

□ **الجـــواب :**

نفيد بأن الزكاة التى شرعها الله سبحانه وتعالى فى المال تكون واجبة حين بلغ هذا المال النصاب المقرر شرعا ومقداره ٨٤/٥ جراما من الذهب الخالص بضرب عيارات فى سعر يوم إخراجها بالعملة المصرية الورقية ويشترط لذلك أن يمر على هذا المال حول كامل (سنة قمرية) وقد ذكر

الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز المصارف الثمانية التى تعطى لهم زكاة المال فقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

سورة التوبة ـ آية : ٦٠

ولا تعطى الصدقات على هذا النحو إلا لمن يستحقها والبحث عنهم واجب حتى لا تكون الصدقة فى غير محلها أو فى غير ما أراد الله . ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ٢٧٢

فإذا كان للقارىء أقارب أو معارف أو جيران من هذه المصارف فإنهم أحق من غيرهم ، والممنوع قط من أخذ الزكاة هو أصل الشخص كأبيه وأمه أو فروعه كابنه أو أبنائهم .

ولا مانع شرعا من إخراج جزء من الزكاة للمرضى الفقراء والمساهمة فى بناء مستشفى لأن ذلك تحت ﴿ **وفى سبيل الله** ﴾ والله تعالى أعلم .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد رئيس لجنة الفتوى بالأزهر ..
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..
مقدمته لفضيلتكم الآنسة / ن.ع.أ.

أنا فتاة متدينة تخرجت حديثا من أحد المعاهد العالية ، وأريد أن أعرف رأى الدين فيما يأتى :

١ ـ مواصفات الزى الشرعى للفتاة المسلمة .

٢ ـ أيهما أولى بالنسبة لصلاق ، البيت أم المسجد ؟

والدليل على ذلك .

مع خالص التقدير لفضيلتكم

□ الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ وبعد ..

فنفيد بأن قول رسول الله ﷺ : « يا أسماء إذا بلغت المرأة فلا يرى منها إلا هذا وهذا ـ وأشار ﷺ إلى وجهه وكفيه ـ » ومن هنا يعلم أن جميع بدن المرأة ـ عورة ـ ما عدا الوجه والكفين ـ وعلى هذا يكون الزى الإسلامى على هذا النحو مع مراعاة تجنب الألوان الصارخة والملابس الضيقة واختيار الملابس التى لا تشف ولا تصف الجسد وزيادة فى الإيضاح نورد تعريف الخمار والنقاب والحجاب ـ فالخمار : **هو ما يغطى به** الرأس بأى شكل من الأشكال ـ كالطرحة والشال والإيشارب ؛ والنقاب : **هو ما تضعه** المرأة على وجهها لستره .

والحجاب : هو الساتر ـ ويراد به فى الشرع ما يمنع الفتنة بين الجنسين . ويتحقق ذلك بستر العورة وغض البصر ومنع الخلوة والكلام اللين واللمس .

فالحجاب أعم من الخمار والنقاب وهما مقوماته التى تتحقق بهما حكمة التشريع وهى منع الفتنة بين الرجال والنساء .

وعن الشق الثانى من سؤال السائلة فإننا نقول لها بأن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد ووردت أحاديث كثيرة ترغّب المرأة فى صلاتها فى بيتها منها :

« خير مساجد النساء مقر بيوتهن » رواه أحمد والطبرانى وابن خزيمة والحاكم وصححه .

وروى أيضا أنه قال : ﷺ : « صلاة المرأة فى بيتها خير لها من صلاتها فى حجرتها وصلاتها فى حجرتها خير من صلاتها فى دارها وصلاتها فى دارها خير من صلاتها فى مسجد قومها »

رواه الطبرانى بإسناد جيد .

أما الحديث الذى رواه أبو داود عن ابن عمر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : « لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن »

فإن هذه الأحاديث وغيرها تدل على جواز صلاة المرأة فى المسجد لكن صلاتها فى بيتها أفضل .

هذا إذا كان الحال كما ذكر فى السؤال والله تعالى أعلم .

ما حكم الإستمناء ؟

وما حكم الذى أقسم بالله أن لا يفعله ولكنه لم يستطع الصبر ؟

أرجو الإجابة عليها فى مجلة الأزهر .

□ الجـــواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله ﷺ بعد ..

فنفيد بأن الاستمناء باليد أو بأى طريقة محرم شرعا ويسمى « زنا اليد » وهو منهى عنه لحرمته وخطورته فحرمته تأتى من كونه إهدار للماء الذى يجب المحافظة عليه .

وقد جاء فى الأثر : (احفظوا ماءكم فإنه عصب الحياة) .

وعن خطورة هذا الفعل القبيح يقول الأطباء بأنه يؤدى إلى أمراض خطيرة منها الجنون ـ والعياذ بالله ـ .

وللإقلاع عن هذه العادة السيئة فإننا ننصح بكثرة الصيام عملا بقول رسول الله ﷺ : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء » رواه البخارى أى وقاية من هذه الأفعال السيئة .

كما ننصح أيضا بكثرة القراءة المفيدة وعدم التفكير جنسيا فى أشياء تحرك إلى ممارسة هذه العادة السيئة .

ويا حبذا لو قطعت هذا التفكير بالوضوء الدائم فإن الوضوء سلاح المؤمن .

وعلى كل فإن المسألة لا تحل بالقسم ، بل يجب أن تكون عندك إرادة قوية وثقة بنفسك حتى تقلع عن هذه العادة والله أعلم .

طرائف ومواقف

للأستاذ / عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

كيـف حـــال أميركــم ؟

كان سيدنا عمر - رضى الله عنه - إذا قدم عليه الوفد ، سألهم عن حالهم وأسفارهم وعمن يعرف من أهل البلاد ، وعن أميرهم هل يدخل عليه الضعيف ؟ وهل يعود المريض ؟ فإن قالوا نعم حمد الله - تعالى - وإن قالوا لا ، كتب إليه أن أقيل .

أجهـل من قـــومى .. قومـك

قال معاوية لرجل من « اليمن » ما كان أجهل قومك حين مَّلكوا عليهم امرأة ؛ فقال : أجهل من قومى قومك الذين قالوا : حين دعاهم الرسول ﷺ : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ؛ ولم يقولوا : « اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

حقـا

قال على بن عبيد ، فى وصف القلم :

أصم يسمع النجوى ، أعيى من باقل ، وأبلغ من سحبان وائل ، يجهل الشاهد ويخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الأخوان ألسنا ناطقة وأعينا لاحظة ، وربما ضمنها من ودائع القلوب ما لاتبوح به الألسن عند المشاهدة .

لا تتشبـع

إن الشبع داعية البشم ، والبشم داعية السقم ، والسقم داعية الموت ومن مات هذه الميتة فقد مات ميتة لئيمة ، وهو قاتل نفسه ، وقاتل نفسه ألوم من قاتل غيره .

نويت لبسه لله

خرج سفيان الثورى ـ رضى الله عنه ـ ذات يوم وعليه ثوب ، قد لبسه مقلوبا ، فقيل له : ولم يعلم بذلك فهم أن يخلعه ويغيره لكنه تركه ، وقال : حيث لبسته نويت أنى ألبسه لله ، والآن فما أغيره إلا لنظر الخلق فلا أنقض النية الأولى بهذه .

مالك لا تقول أبا بحر ؟

تكلم الناس عند معاوية فى يزيد ابنه إذ أخذ له البيعة ، وسكت الأحنف ، فقال له : مالك لا تقول أبا بحر ، قال : أخافك إن صدقت ، وأخاف الله إن كذبت .

قدرة الله

إذا طاب أصل المرء طابت فروعه
ومن عجب جاءت يد الشوك بالورد
وقد يَخْبثُ الفرع الذى طاب أصله
ليظهر فعل الله فى العكس والطرد

« كيف .. ابنك ؟ »

قيل لأعرابى : كيف ابنك ، وكان به عاقا .

قال : عذاب لا يقاومهُ الصبر ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتنى قد استودعته القبر .

اخوك يسمع

قال شقيق البلخى : أهديت لسفيان الثورى ثوبا فرده علىَّ .

فقلت له : يا أبا عبدالله لست أنا ممن يسمع الحديث حتى ترده علىَّ !! .

قال : علمت ذلك ، ولكن أخوك يسمع .

« الفرج بعد الشدة »

لا يعز عنك هول خطب دامس
فلعل فى طياته ما يسعد
لو لم يمد الليل جنح ظلامه
فى الخافقين لما أضاء الفرقد

« يظن بالمرء ما يظن بخليلة »

لما حج عبدالله بن جعفر ، نزل مكة ليلا ، فلما أصبح ، قال : يا أهل مكة عرفنا خياركم من أشراركم فى ليلة واحدة ، قالوا : كيف ذلك ؟ قال : نزلنا ومعنا أخيار وأشرار ، فنزل أخيارنا على أخياركم ، وأشرارنا على أشراركم فعرفناكم ، واعلم أنه ليس الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب .

دعاء

ارحم إلهى أمة الهادى وبلغهم بفضلك منتهى العزات
وانصرهم ربى على أعدائهم نصرا مبينا خارق العادات

من أعلام الأزهر

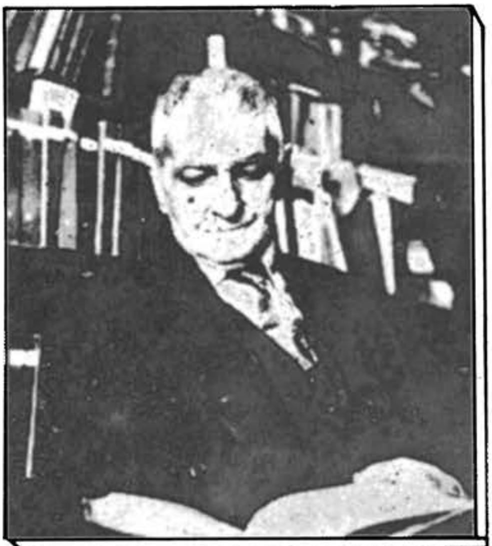

٢

محب الدين الخطيب

للأستاذ الدكتور / محمد رجب البيومى

كان من ديدن محب الدين أن يلابس الأحداث مباشرة ، إذ لم يكن ممن يجلسون فى مكاتبهم ليدبجوا المقالات وحدها ، وإن كانت فى صميم المشكلات الحيوية ، ومن هنا كان اتصاله المباشر بذوى التوجيه الفعال ممن يملكون أزمة الأمور ، وقد وجد نفسه محدوداً بمكتبته ومطبعته ومجلته ، وثلاثتها تستنفد جهد الكاتب المفكر المدبر ، ولكنه فكر فى ضرورة ملزمة تحتم إنشاء جمعية إسلامية تقف فى وجه التيار المتحلل ، وتصد الإلحاد الوافد مع من ذهبوا إلى أوربا ، ورجعوا بأراجيف أعداء الإسلام ، لتكون حقائق علمية تدرس فى الكليات ، فتتسم بها أفكار ناشئة لايملكون تصحيح الأخطاء ، وإذ ذاك دعا إلى إنشاء جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة لتمتد فروعها داخلا وخارجاً فى آفاق المحيط الإسلامى ، وقد بدأ حديث الجمعية همساً بينه وبين الأستاذ محمد الخضر حسين ، ثم امتد فشمل أحمد تيمور وعبدالعزيز جاويش ومحمد الغمراوى وعبدالوهاب النجار ومن ورائهم سبعون شابا من خيرة مثقفى الأزهر ودار العلوم والجامعة حتى إذا اكتملت الخطا العاقلة أسندت الرئاسة إلى الزعيم الإسلامى الغيور الدكتور عبدالحميد سعيد ، وأعلن تأليف الجمعية فى حفل مشهور فعبرت عن مشاعر الكثرة المؤمنة ممن وجدت لعصابات الإلحاد كبرى المنتديات ، وأوسع الصحف ، على حين ضاقت مصر بآمال السواد الأعظم من المؤمنين ، الذين لايجدون متنفساً لأفكارهم فى منتدى علمى جامع ، حتى قامت جمعية الشبان برسالتها الباسلة فأصبحت حقيقة فى الناس بعد أن كانت فكرة فى ذهن محب الدين الخطيب ، وقد تحدث عن فلسفة الجمعية فى تربية النشىء الإسلامى فذكر أن الجهود الاصلاحية فى تكوين الأمة تتأسس من طبقات متوالية :

أولها تربية الأفراد تربية تتلاءم مع مقدسات شريعتها ، ومن فوقها تربية الجماعات فى المنزل والأسرة والمدرسة .

ويلى ذلك طبقة أخرى هى طبقة القائمين بالاستقلال الاقتصادى تجارة وزراعة وصناعة ، وتكوين هذه الطبقات من شأن الدعاة المنتسبين الى جمعية الشبان ؛ إذ إنهم يفهمون رسالة الإسلام فى تكوين الفرد والمجتمع على الوجه الصحيح ؛ لأن من المشاهد المؤلمة أن العنصر الإسلامى فى الشرق أضعف العناصر توجيها ، إذ للطوائف غير الإسلامية فى أوطاننا مدارسها وجمعياتها وأموالها المرصودة ، بينما المسلمون لايعتمدون إلا على مدارس الحكومة ، وهى آلية تملأ الأذهان ولاتربى الأرواح ، وتتجه بطلابها إلى الوظائف المحدودة لا للأعمال الحرة الناجحة ولابد أن تتغير النظرة إلى التعليم بحيث ينشأ جيل عامل متطلع إلى رحبات العزة والاستقلال والرخاء ، ولن يكون ذلك إلا بجهود جماعة الشبان المسلمين ، والحق أن هذه الجمعية فى سنواتها الأولى لعهد الإشراف الشعبى المنبعث من الجهود الخالصة كانت منارة إصلاح ، ورسالة توجيه ومجالا للتنفيس عن متطلبات

الشبيبة المؤمنة ، وليتها ترجع إلى أداء دورها الحقيقى بعيدة عن الرسميات المعوقة ، التى كادت تجعلها جسماً دون روح .

وقد قامت (مجلة الفتح) التى أنشأها محب الدين لتكون لسان النهضة الإسلامية المعاصرة بنشر أكثر ما يقال فى منتديات جمعية الشبان من محاضرات ، ومجلة الفتح كانت مدرسة أكثر منها صحيفة مطبوعة ؛ لأنها كونت جيلاً من كتاب الفكرة الإسلامية يعيشون أحزان عصرهم ، ويلمون بمشكلات العالم الإسلامى فى كل قطر من أقطاره ، وعلى صفحاتها برزت أقلام الصفوة من أبناء الإسلام فى الهند وتركيا وإندونيسيا وإيران والأفغانستان ؛ لأن متعلمى اللغة العربية من أبناء هذه الربوع قد أسعدهم أن يجدوا فى مصر عاصمة الإسلام وبلد الأزهر صحيفة تعيد مجد المؤيد واللواء فى الاهتمام بشئون العالم الإسلامى فى كافة أقطاره ، فانتشرت الفتح فى هذه الربوع النائية كما انتشرت (مجلة المنار) ، ولكن (الفتح) ذات رسالة سياسية فهى أوسع دائرة من (المنار) ذات الطابع العلمى المحدود ، وقد كان المعهود فى المجلات الدينية لعهد الفتح أن تقتصر على أبواب التفسير والحديث وسير الصحابة ومشاهير الدعاة ، والاجابة عن الأسئلة الدينية المعلقة بمسائل الفقة الإسلامى ، ولكن الفتح امتدت بموضوعاتها الى تحليل معضلات العالم الإسلامى الرازح تحت وطأة الاستعمار الغربى ، فجعلت من السياسة أدبا حياً يلابس المشاعر ، ويفصح عن الأهواء ، وقد تعرض صاحبها للسجن إذ جهر برأيه فى سلوك بعض الرؤساء ممن تحركهم أصابع الاستعمار ليكونوا عقبة فى سبيل التحرر ، وليس السجن بشىء أمام المصلح الغيور ، بل إنه يزيده حماسه وحمية ، وكأنه زيت صب على النار فساعد على الاندلاع ، ولو تفرد باحث أدبى لدراسة ماضمت الفتح من قصائد إسلامية تقدم لقراء العربية أدباً حياً يعلو صوته على مانعرف من رقاعات الخلاعة والمجون فيقف منها موقف الصبح من الغسق ، وكما اتجهت الفتح الى إذكاء الروح الإسلامية اتجهت مجلة الزهراء بمجلداتها الخمسة وإن تخصصت فى البحث العلمى بحيث تعد ذات (طابع أكاديمى) ، ولكنها سايرت الفتح من إيقاد الجذوات ، وإلهاب المشاعر ، ولن ينتظر غير ذلك من صحيفة علمية يقوم عليها محب الدين الخطيب ، ولازلت أكرر أن أدب الفضائل الخلقية أسمى غاية وأبعد نفاذاً فى السمو الخلقى وأدعى للهدوء النفسى ، وقد تورط دعاة الأدب المنحل فى إفساد قرائهم كما أفسدوا نفوسهم ، فباءوا بالخذلان ، وللأستاذ الخطيب توجيهاته الصريحة فى هذا المجال حين ناقش ما يدعى بمذهب (الفن للفن) فتساءل(١) :

هل يكون مزاج المتفنن طليقاً من كل قيد ، أو تشمله القيود المحافظة ، أو بتعبير آخر :

هل يستوى الشاعر الذى يوقف مواهبه لخير الجماعة ، والشاعر الذى لا يبالى بما يصدر عن مواهبه من خير أو شر ؟

---

(١) الحديقة جزء (٥) ص ٢١ وما بعدها .

وقد اصطلح المشتغلون بالأدب على أن يتساءلوا : هل الفن للفن أو الفن للفضيلة والخير ؟ وفى الإجابة عن هذا السؤال يقول الكاتب :

هنا أمران يجب أن يلاحظهما كل من يخوض فى هذا الحديث :

الأول : أن الشاعر المتفنن الذى يعيش فى جماعة إنسانية قد يكون مثل الكوكايين يلذ ويؤذى وقد يكون كالورد يلذ وينفع فأى الطريقين ينتحى ؟!

والثانى : أن الاعتبارات الأدبية ليست متفقة فى كل أمة ، فما يتسامح به فى الأمة القوية ربما كان وبالا على الأمة الضعيفة ، والشرق الآن نائم ويجب أن ينتفض من سنة الكرى التى امتلأت بها عيناه ، وأن يقتصد فى الوقت فيتخذ من كل قوة مددا لحياته ، وما دام الشعر قوة ذات سلطان على النفوس فيجب أن تنصرف هذه القوة للجد لا للهزل ، وللعمل لا للكسل ، وللرجولة لا للتخنث ، ولتوجيه القوى القومية إلى آفاق المجد ، وتحويلها عن أبواب الفناء الضائعة الآن تحت سقوف المقاهى والملاهى ، وإذا كانت دول الغرب آمنة بأساطيلها ، وجيوشها وجامعاتها ومصانعها ومصارفها من الأخطار القومية والعلمية والاقتصادية ، وعندها متسع من الوقت تتمتع فيه بالفن الذى صيغ للفن ؛ فنحن معشر الشعوب الناطقة بالضاد نعيش فى حريق هائل ، ولابد أن يشعر أدباؤنا بهول ما نكابد من أخطار .

وقد كانت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى فترة انبهار مدهش لدى من غرهم انتصار أوربا عالميا ، فظنوا أن ارتقاء العرب لن يكون بغير احتذاء أوربا فى القشور التافهة لا فى المكتشفات النافعة ، وحسبوا أن التجديد الحضارى ينحصر فى الحفلات الماجنة ، ولبس القبعة ، وكتابة الحروف من الشمال إلى اليمين ، والاختلاط السفيه فى المجتمعات المتبرجة ، إلى ما لايحصى من مظاهر الإسفاف فجهرت الفتح بالدعوة إلى التجديد النافع ، وطريقه : الاستعداد التام لمواجهة الأحداث بالقوة الرادعة ، والعلم الدقيق .

إذ لابد للأمة التى تريد التحرر أن يكون من أبنائها من يحسن صنع المدفع لا من يشتريه بالثمن الباهظ من أعدائه ، والمدفع لا يصنع إلا بالدراسة العلمية الدقيقة ، ثم لابد من الفولاذ الذى يهيء المادة ، ولابد تبعا لذلك من إدارات واعية تقوم على العلم والثروة والتنظيم ، وبهذا كله تتحقق أولى خطوات التجديد(*)

• • •

ثم يتساءل محب الدين عن المبادىء التى يقوم عليها التجديد الحقيقى المنشود ، فيرى خطته الناجعة فى أن نأخذ من كل مكان ما نحن فى حاجة إليه من أسباب العزة والقوة ، وأن نحتفظ بكل ما فى كياننا الوطنى والدينى مما لا يعد من عوامل الذل وبواعث الوهن ، وكلما كان ما نستعيره من الأمم الأخرى محدوداً لا يتجاوز منفعته المؤكدة كان ذلك أحرى ألا نذوب فى غيرنا ونخرج

(*) ولم يقصر الإسلام فى إلزام تابعيه بهذا النهج ، فأوجب فرضاً كفائياً أن يتعلموا كل علم نافع ؛ فإن لم يوجد بينهم جميعاً ـ أثموا ، وإلا فكيف يتحقق أن تكون لهم القوة التى تفوق قوة أعدائهم .

من أنفسنا ، فنحن نطلب من التجديد ما ننظم به حياتنا ، وما نستغنى به عن مصنوعات الأمم الأخرى بما ننتجه بأيدينا نحن ، أما التجديد القائم على انتهاز ما نحن فيه ذل وانحدار لإقناعنا بأننا مَنْ لم نكن شيئاً مذكوراً فمعناه أننا سنبقى فى منحدر الهوان ولن نتبوأ مقاعد العزة ، فالعلاقة بيننا وبين كل داع إلى التجديد والإصلاح أن ننظر فيما يدعونا إليه ، فإن كان يدعو إلى أسباب القوة من معارف وفضائل ، وتتجلى فى دعوته قرائن النصح لقوميته والحرمة لمفاخرها ، والإحياء لمآثرها ، فهو داعية إصلاح حقيقى ، وإن كان من الذين يريدون مخادعة الشباب الطاهر ليعزلوه عن تاريخه ويخرجوه عن نفسه بالاندماج فى أمة تستعبده وتحتله ، فمثل هذا مدسوس علينا ، ولعل العدو المجاهر بالعدواة أقل ضرراً من حامل هذه الثمار الخبيثة إلى أمة مستكينة تنشد العز والاستقلال .

• • •

وإذا كان لابد من الارتقاء العلمى كى نبلغ ما نريد من الاستقلال ؛ فإن العلم ليس وقفا على الدول الغربية وحدها ، حتى نستذل لمعارفها ، ولكن العلم قاسم مشترك بين الأمم جميعها(*) ، تنقَّل من بدء الخليقة من مكان إلى مكان فأسهمت الأمم جميعها فى تكوينه ، فإذا طلبناه اليوم ممن تقدمنا فى ركب المدنية فإننا نطلب ميراث كان لأجدادنا الفضل فى تكوينه وسيعود إلينا لنضيف له بعض الجديد مما يعلى بناءه ، يقول الأستاذ الخطيب(٢) .

« العلمى عالمى . لا تختص به أمة دون أمة . ولا تحتكره قارة من قارات الأرض فيكون غيرها عالة عليها فيه ، إنه مشاع كالهواء الذى نتنفسه ، وكالبحار التى تحيط باليابسة ، لأنه مجموعة الحقائق التى توصل إليها العقل البشرى فى مراحل تفكيره ، وتجاربه ، وملاحظاته المتسلسلة بتسلسل الزمن ، فجدول الضرب من المعارف الإنسانية العريقة فى القدم ، وسيبقى حاجة من الحاجات الأولية لطلاب علم الحساب فى كل وطن ، ولولا ما كان معروفا قبل المسلمين من علم الحساب ما توصلوا إلى إتحاف الإنسانية بالحقائق الأولية من قواعد علم الجبر والمقابلة الذى توصل علماؤنا إليه منذ مئات السنين ولما تقدمت فى العصور الأخيرة علوم الرياضيات التى وصلت بها الأعمال الهندسية إلى غايتها ، ولا غضاضة على أمة تطلب العلم بها حيث تجده ، وكذلك الطب وعلوم الطبيعة ؛ لأن العلم واحد فى كل أمة وهو سبيل القوة فى الحرب والسلم ، ولابد من تحصيله » .

ثم يؤكد الكاتب هذه الحقيقة فى مقالات متتابعة ، وقد يضطر إلى تكرار ما يقول مرة بعد مرة ؛ لأنه ينشد الإصلاح ، والكاتب المصلح محتاج إلى ترديد آرائه لترسخ فى أذهان قرائه ، فإذا

(*) الذى لاحظناه وعاصرناه أن الشرق فقد علماء من أبنائه كانوا يدرسون الذرة وما يتصل بها فى الغرب ـ ففقدهم فى ظروف غير طبيعية ، يدعو تكرارها مع أكثر من عالم إلى الشعور الأصيل بالرغبة الأكيدة عند أعداء المسلمين ألا يتفوق من أبناء المسلمين أحد فى هذه الميادين .. مجلة الأزهر .

(٢) مجلة الأزهر افتتاحية عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٤هـ .

رُفِضَ التكرار فى بحث علمى منهجى ، فإن هذا التكرار نفسه يكون مستلزما لمن يحرص على بث أفكاره ، دون أن يجد معترضا يفهم رسالته على وجهها الصحيح !

● ● ●

وليت شعرى ماذا يفعل محرر الصحف الأسبوعية الهادفة حين يجد الدعوات المتكررة لفصل مصر عن العروبة ، وعن الثقافة الإسلامية ، إنه يرد على هذه النعرات المنكره ، بالدليل المفحم ، فلا يجد من يقتنع ، مع وضوح البرهان ، وقوة الاستشهاد ، بل يجد من يعيد اللغط العابث دون أن يكر على مَنْ وَجَّهَ إليه نقد ! هنا يضطر الكاتب الداعية إلى أن يكرر ما قال تكريرا يضيف الجديد من تفصيل مجمل ، أو إيضاح مبهم ، أو تحليل مركب ، وأنت تقرأ لمحب الدين عدة مقالات نارية تجمع المنطق المفحم تارة إلى التهكم الهازىء تارة أخرى ، وهو ــ عند من يستمعون أحسن القول ــ مصيب جاد ! إنه ينادى من يرون اقتصار المصرى على مصريته فحسب بأوضح لسان حين يقول (٣) .

إذا كنت شريكا لرجل أو أكثر فى عمل مالى فمن حق هذه الشركة أن تكون أمينا لها حريصا على إنمائها ، فأنا بصفتى مسلما شريك لكل محمدى فى جامعة الإسلام ، وهى عندى أشرف الجامعات ، فإن لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك خيانة لهذه الرابطة ، ودليلا على أنى عضو عاطل يتغذى من الجسم دون أن يفيده شيئا ، وأنا بصفتى متوطنا فى مصر ، اخترتها من دون آفاق الدنيا ، فإننى شريك لكل مصرى فى جامعة الوطن ، وهى من أقرب الجامعات إلىَّ ، لأنى متصل بها مباشرة ، أنفعها بجهودى ، وانتفع منها فى أعمالى ، فإذا لم أقم بمصالح هذه الشركة بأمانة وإخلاص كان ذلك تقصيرا يصيبنى قسط منه ، وتقع علىَّ نتائجه ، وأنا بصفتى من أبناء هذه اللغة العربية ليس لى لغة غيرها ، ولا تصح نسبتى لغيرها فأنا أرى نفسى عربيا يشارك كل عربى على وجه الأرض ، فى بيانه وقوميته وعزته ومفاخره مهما اختلفت الألوان التى قضت السياسة أن تتلون بها الأقطار العربية ، فإذا فَرَّطت فى عربيتى فقد أذنبت لأن علامة العربى الحرص على خير العرب ، ومن كان غير ذلك فقد برئت منه العربية وإن كان من أعرق قبائلها !

إن القومية فى الحضارة ، مناطها اللغة والمولد والشعور المشترك ، وهذا هو المعول عليه فى أوربا ، بل فى أشد بلاد أوربا تعصبا للقوميات ، ومصر على رأس القيادة الفكرية فى العالم العربى ، ولا يخطر فى وهم أحد أنها ستعدل عن البيان العربى إلى غيره إلى يوم الدين »

هذا ما أكده محب الدين من الناحية السياسية إزاء محاولة التنكر لعروبة مصر ، من أفراد يضعون على عينهم الغشاوة فلا يبصرون ، ويسدون أسماعهم عن الحق فلا يعون ، وقريب من ذلك ما كرره بإزاء الدعوة المغرضة إلى ما يسمى بـ (الأدب الأقليمى) ، وهى دعوة ظاهرها

---

(٣) الحديقة ج ١٣ ص٧٢ وما بعدها .

الرحمة وباطنها العذاب ، وتزداد الحملة بلبلة واضطرابا حين يظهر دعاتها بمظهر من يفهمون حقائق علوم النفس والاجتماع والتاريخ ، ويؤكدون أنها جميعا تدل على صدق ما ينتمون ، ولهم فى تقرير هذه الأراجيف تطاول مبكر وغطرسة يكاد صاحبها أن ينتفخ متورما إلى حيث ينفجر ، ومحب الدين يسبر أغوار هؤلاء ، ولا يجد أجدى من الصراحة الواضحة التى تتجلى فى مثل قوله (٤) .

« الأدب مرآة للبيئة التى ينشأ فيها ، وعلى صفحاته تنعكس ألوان السماء التى ينمو تحتها ، وبين سطوره يجب أن تتجلى آلام الأمة وآمالها ، فالأدب فى وادى بَرَدَى وبين جبال الشام يجب أن يسمعنا خرير ماء العيون منحدرة كالرحيق السلسل بين الصخور البلورية ، وعلى ضفاف النيل وبين حقوله الزمردية ، يجب أن يشعرنا بهيبة السكينة التى تحملها لجج هذا النهر المبارك من المنطقة الاستوائية حتى تنتهى بها المرحلة إلى شِعْب الدلتا الداخلة فى غمار البحر الأبيض ، فإذا كان المراد من الأدب المصرى أن يكون مرآة لبيئته المصرية تنعكس عليها حقائق الحياة فى حوافير هذا الوادى وقراه ، فأنا أقول بأن البلاد التى لا يقوم أدبها بهذه المهمة إنما هو أدب مزوّر على وطنه ، إذ يجب على الأدب العربى فى كل قطر من أقطاره أن يؤدى هذه المهمة ليكون للشعوب العربية من مجموعة ثروة أدبية واسعة ، وإذن فالأدب المصرى المحمود هو الذى تنطبع فيه ألوان الطبيعة فى أرض مصر وسمائها ومائها ، وهو الذى تنعكس على صفحاته أطوار الحياة المصرية بآلامها وآمالها » .

ومعنى هذا كله أن رعاة اللغة العامية يكرهون الأدب العربى لذاته ، لا لأنه لا ينطق بآمال بيئته وآلامها ، وهم حين يبحثون عن أدب إقليم بمعناه العلمى إنما يبحثون عن شىء يتضح وضوح الشمس لكل ناظر فيما نطالع من آثار الكبار والصغار من أدباء الجيل ، وإذا تميز أدب أقليم عن أدب أقليم فهو تميز فروع لا اختلاف أصول ، كما يتميز الأدب العباسى عن الأدب الأندلسى فى بعض أغراضه ، أما أن يكون الأدبان مختلفين اختلافا جذريا ، فلا نجد الدليل الواقع عليه ، فليكن لدينا أدب مصرى وأدب عراق وأدب مغربى ولكن هذه الآداب جميعها روافد تصب فى محيط واسع هو الأدب العربى ، منه تنشأ وإليه تعود !

● ● ●

ولن نغفل ناحية التأليف المستقل فى آثار محب الدين ، إذ قام بتصنيف كتب تاريخية واجتماعية مثل :

الرعيل الأول .

تقويمنا الشمسى .

الأزهر .

قصر الزهراء بالأندلس .

تاغور .

(٤) الحديقة ج٧ ص١٧٥ وما بعدها .

كما قام بتحقيق بعض كتب التراث مثل :

الميسر والقداح لابن قتيبة .

الخراج لأبي يوسف .

وتاريخ الدولة النصرية للسان الدين بن الخطيب .

العواصم من القواصم لأبي بكر بن العربي .

ولم ينس جانب الترجمة ؛ إذ نقل إلى العربية :

مذكرات غليوم الثانى .

قصة قميص من نار للكاتبة التركية خالدة أديب .

الدولة والجماعة للمفكر التركى أحمد شعيب .

أما ما أشرف على طبعه من الكتب الأصيلة بمطبعته المسماة « بالسلفية » فأكثر من أن نلم به ، وهو جهاد علمى متصل الحلقات ، ما بين تأليف وترجمة ونشر ، وكل ذلك يسير فى خط متحد ، إذ يلتزم طريق الصحوة الإسلامية بما تنفرج عنه من اتجاهات .

● ● ●

وحين تولى الأستاذ الأكبر الشيخ محمد الخضر حسين مشيخة الأزهر الشريف أسند رئاسة تحرير مجلة الأزهر إلى الأستاذ محب الدين الخطيب ، فقام على إعدادها بضع سنوات مثمرة ، كانت افتتاحيات كل عدد تتوهج بقلمه الحار المتأجج حماسة حتى بعد سن الكهولة ومما أذكره بهذه المناسبة أن الخطيب قد كتب إلىّ يطلب أن أعد بعض مقالات تاريخية عن أعلامٍ كبار حددهم بالأسماء وهم : عبدالرحمن الغافقى ، وقتيبة بن مسلم ، وعقبة بن نافع ، وعماد الدين زنكى ؛ لأن الشبيبة الإسلامية لا تعلم شيئا عن جهادهم الجبار ، فقمت بأمره ، ولعله اقترح موضوعات أخرى على نفر من الكتاب ، إذ كان دائما باعث حركة علمية أينما حل ، كما كان يحرص على أن يحول التاريخ الميلادى إلى تاريخ هجرى إذا وجد فى بعض المقالات إهمالا للتاريخ العربى ، وقد نبه الكتاب إلى ضرورة الاهتمام بتاريخ الهجرة دون سواه ، وحين ظهر مقاله الثائر (الثقافات الأجنبية استعمار عقلى والدعاة إليها طابور خامس) بافتتاحية عدد جمادى الأولى سنة ١٣٧٥ هـ ثارت عليه ثائرة بعض المتسرعين بالصحف اليومية ، وزاد اللغط إلى حد مستغرب ، وكان من رد الفعل أن عقدت ندوة بجمعية الشبان المسلمين لتأييد اتجاه الأستاذ رئيس التحرير ، تحدث بها الأساتذة : دراز ، والمدنى ، والشرباصى ، وعبدالرحيم فوده ، ومازالت مقالات محب الدين فى افتتاحيات مجلة الأزهر متفرقة لم تجمع ، وهى ككلّ آثاره فى حاجة إلى أن تصدر فى مجموعات تذكر الجيل الحديث بمضمونها الصحيح ؛ لأن الخطيب كاتب أدبى من الطراز الأول لا يقل عن أدباء الطليعة الذين يتردد ذكرهم فى كل مجال ، وصحف الزهراء والفتح والأزهر والمؤيد والأهرام أكبر شاهد على ما نؤكده ، وما زال تلاميذه إلى اليوم يذكرون نشاطه الجم ، وتوجيهه الصائب وإيمانه الصلب الوثيق .

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

المؤتمر العالمى للأديان بلندن

رسالة لحضرة صاحب الفضيلة الإمام الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الأزهر

إعداد وتقديم : عبد الفتاح حسين الزيات

التدين فطرى فى الإنسان ، وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصلح يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والثروة ، وبالتالى على الأنانية والحقد والحسد وحب الذات .

ودين الإسلام بشهادة المولى ـ عز وجل ـ هو دين الإنسانية جمعاء ، وخصائصه توضح ذلك ، ومن منطلق هذه الحقيقة فهو يعلن عن نفسه دائما فى كل زمان ومكان ويبصر الناس بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن .

ومؤتمر الأديان منبر ينبغى أن يكون الوسيلة المباشرة لإعلاء الحق وإزهاق الباطل ، ولدراسة أفضل الوسائل للتقريب بين الشعوب ، وسد باب المنازعات بين الأمم .

وهذه كلمة الإسلام فى هذا المؤتمر لعلها تطرق أبوابا لقلوب منصفة تهتدى بالحق وتهدى إليه لتأكد لديهم أن الدين عند الله الإسلام .

قال فضيلة الأستاذ ـ رحمه الله :

يقام كل سنة مؤتمر عالمى للأديان فى عاصمة من كبريات عواصم الغرب الغرض منه دراسة مختلف الوسائل للتقريب بين الشعوب لحسم مادة الخلافات بينها تذرعا لإبطال الحروب والمخاصمات . وقد دعا المؤتمر فى هذه الدفعة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الإمام الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر لإلقاء خطابة فى موضوع كيف تتقرر زمالة عالمية بين الأفراد المختلفى الأديان والنحل . وقد أجاب فضيلته الدعوة ؛ فأرسل للمؤتمر ببحث طريف جامع فى الباب ، وأناب عنه فضيلة الشيخ عبد العزيز مصطفى المراغى شقيقه فى إلقائه ، واعتذر هو عن الحضور بنفسه لكثرة أعماله ، فقبل المؤتمر عذره ، وقابل خطابته بما هى أهل له

من الإطراء والإكبار . وها هو نص تلك الخطبة :

كلمة التحية للمؤتمر :

١ ـ تشرفت بالدعوة إلى حضور هذا المؤتمر من حضرات السادة القائمين بأمره ، وكنت شديد الرغبة فى شهوده وفى لقاء حضرات السادة ممثلى الأديان والمذاهب ، لكنّ أسبابا قوية حالت دون بلوغى هذه الأمنية ، فبعثت بكلمتى هذه وأنبت عنى فى إلقائها الشيخ عبد العزيز المراغى المدرس بكلية الشريعة وعضو بعثة فؤاد الأول بلندن ، وأنا راج منكم أن تتقبلوا أصدق عبارات التحية والإجلال وأصدق الأمانى لتحقيق الغرض السامى الذى تسعون إليه .

فكرة الزمالة طبيعية :

٢ ـ إن فكرة الزمالة تولدت فى الجماعات الساذجة ، وكان مظهرها تذليل عقبات الحياة فى أشكالها البسيطة ، ونمت الفكرة بنمو الجماعات ، وامتد سلطانها فشملت القبائل ، ثم نمت حتى وسعت الشعب والأمة .

واليوم وقد نشأ الشعور بحاجة الأمم بعضها إلى بعض ، ونشأ الشعور بوجوب جعل الحياة العامة فى البشرية كلها بمأمن من الغوائل ، ونشأت الحاجة إلى تحقيق مطالب اقتصادية ومدنية وعلمية وروحية لا تستقل بها أمة ، بل تحتاج إلى مشاركة عامة ، أخذت فكرة الزمالة تتسع وتمتد لتشمل النوع الإنسانى كله . ففكرة الزمالة ليست نظرية فلسفية ، بل هى حاجة طبيعية تولدت فى النوع البشرى منذ دور الطفولة ، ومنذ أدرك أن ارتباط الأفراد بعضهم ببعض يساعده على قطع مفاوز الحياة بأمان ، ويعود عليه بالخير .

أسباب التفرق طبيعية :

٣ ـ ومع شعور الإنسان بالحاجة إلى الزمالة ، ومع أن العقل يقتضيها ، فقد كانت عوامل التفرق دائما ملازمة لهذا الشعور ، لأن الإنسان لا يسيره العقل وحده ، ولكن تسيره أيضا غرائز حيوانية ركبت فيه ، ومن هذه الغرائز حُب الأثرة والغيرة ، والخوف والشك ، وقد أضيف إلى ذلك اختلاف الأديان والمذاهب ، فوجد عامل آخر للتفوق ، حتى إنه عندما يلوح للباحث أن الإخاء الإنسانى المنشود تدافعه كل تلك النوازع فى الإنسان ، يبدو له أنه مطلب لا ينال فى هذه الحياة ، إذ يهوله ما يحتكم فيها من شرور تصرفها تصريفا جائرا شرسا لا قلب له ولا وجدان .

التدين هو الدواء :

٤ ـ ولا أعتقد أن التقدم العلمى والفلسفى بقادر على التغلب على هذه العوامل وإزالة آثارها ، فقد شاهدنا أن الحروب تزيد هولا ووحشية كلما ازداد تقدم العلم ، وأنه أمضى أسلحتها . بل فى الحق إنى لا أعتقد أنه سيجىء اليوم الذى تتحقق فيه المثل العليا للبشرية ، لأنه وإن أمكن بعامل من العوامل أن تخبو جذوة تلك النار المنبعثة من قوى الطبيعة فى الإنسان فإنه لا يمكن أن تنطفىء تلك النار .

٥ ـ لكن هذه العقيدة لا يصح أن تقفنا عن البحث عن الوسائل الملطفة لتلك الغرائز والكابحة لجماحها ، بل من الخير أن نبحث عن تلك الوسائل .

والمتدين حين يعالج هذه المشكلة يجب أن يذكر أن الأديان قد اعتمدت فى الإنسان على أصل راسخ من غريزة التدين ، ودفعته إلى الثقة بأن

العالم مجموعة متناسقة تسودها قوة مدبرة حكيمة عادلة ترقب النيات وتحكم الضمائر ، وأن هذه الحياة صائرة إلى غاية من المسئولية والمجازاة ، ففى التدين من هذا التأليه والخضوع ومراقبة الإله وتوقع محاكمته عوامل ليست أقل خطرا ولا أضعف أثرا فى دفع الإنسان إلى الخير والبر من تلك العوامل الأخرى الداعية إلى الشرور ، والدافعة إلى الحرب والحرص ، وإفساد شأن الجماعـــــة الإنسانية .

وليس من شك فى أن اعتقاد حياة أخرى أطول مدى من هذه الحياة ، واعتقاد أنها خير خالص يصل إليه الإنسان بالعمل الصالح ، أو شر محض يكون نتيجة حتمية لأعمال الشر ، يجعل قلب الإنسان مطمئنا راضيا إذا ساء حظه فى الحياة الدنيا ، ويغير نظره إلى هذه الحياة تغييرا تاما . ثم اعتقاد أن الخير والشر ينزلان بمقدار بعد وزنهما بميزان عادل هو ميزان القادر الحكيم ، يحفز الإنسان إلى الإكثار من عمل الخير ويبعده عن عمل الشر .

٦ – يجب أن يكون المهيمن على عمل الإنسان من داخل الإنسان ، وهو خوف الله . وقد يقول علماء الأخلاق إنهم إذا وصلوا إلى جعل الإنسان يحب الخير لذاته ويكره الشر لذاته ، ونبّهوا الضمير الإنسانى بواسطة التهذيب والتربية ، أغنى ذلك عن التدين . لكن أنّى لهم ذلك ، وكيف يستطاع تهذيب الدهماء ومن تلهيهم من أول أدوار الحياة الحاجةُ إلى القوت ! فالرجوع إلى غريزة التدين أسهل . وهذا الشعور الدينى إذا عمق وصلح أقوى – أو على الأقل ليس أضعف – من الخوف والطمع والمنافسة المثيرة للحروب . وهذا الشعور يرفع الإنسان إلى ما فوق الاعتزاز باللون والدم والجاه والطبقة والثروة ، وهو صالح لأن يغلب الحقد والحسد والأنانية ، وفيه من تطمين النفس ما يقلل بطرها بالغنى ، ويهوّن عليها الفقر ، ويخفف ثورتها عليه .

وهذا الشعور يكرم النفس الإنسانية ويحدوها إلى المعرفة والحكمة ، ويكره إليها الجهل والحمق . كل تلك الآثار قد ثبت تحقيق التدين لها فعلا لولا طوارىء أخرى . ومن هنا تقوى طماعية المتدين فى قبول تلك الغاية المرجوة من الأخوة الإنسانية مهما عز ذلك أو بعد ، ولكن بقدر ما تحتمل ذلك طبيعة الإنسان .

٧ – نعم إن الإنسانية لتطيف بخيالها ذكريات من جلاد قاس مخيف ، أدار رحاه الخلاف الدينى ، وكان فيه الشعور الدينى الحاد الجاهل قوة طائشة دفعت إلى عنف وتدمير رهيب مروع . وإن الإنسانية لترنو فى خيبة إلى آلاف من الأجيال المتمدينة لم تدنها كثيرا من تلك الأخوة الإنسانية ، بل لا تزال إلى اليوم يائسة منها ، لكن المتدين مع ذلك كله يعاوده أمله القوى ، ويدرك أن تلك الذكريات المروعة وذلك البعد عن الغاية النبيلة ليسا أثرين لنقص فى طبيعة التدين أحدث ذلك كله ، بل إن ذلك فى الحق إنما سببته غلبة واقعية الحياة على مثالية التدين ، فتحكمت الحياة فى التدين ، حين كان ينبغى أن يحكم التدين فى الحياة ؛ وسببته محاولات أشخاص خالين من الضمائر استغلوا الشعور الدينى استغلالا ماديا فى سبيل مآرب لا نثير دفين مخزياتها . وحسبنا أن نقول : إن مال الإنسانية فى عصور التدين من شر ، وما قعد بها عن بلوغ الأمل المرجو فى السلام الروحى ، ليس لشىء فى طبيعة التديـن ، بل لانحراف فى اتجاه الشعور الدينى . على أن ناموس

التدريج الطبيعي يفسر هذا الذى كان من ألم وخيبة بأنه حال اقتضتها درجة رقى الحياة فى تلك العهود ، وأن ما صارت وتصير إليه تلك الحياة من رقى ، يؤهلها للانتفاع بالشعور الدينى فى إدنائها من الغاية المرجوة آمنة من أخطار انحرافه أو فساده . وها هو ذا الرقى العقلى والنفسى قد حسم فعلا غير قليل من أسباب الخلاف بين الناس لاعتبارات يسمونها دينية ، ووجه الشعور الدينى توجيها أصلح نوعا مما كان قديما . ومن آثار ذلك هذا المؤتمر للأديان ، ومحاولة أهل الدين تنمية الزمالة العالمية .

٨ – وهذا ما جعل اغتباطى بهذا المؤتمر عظيما ، فإنه فضلا عن سعيه للبحث عن الوسائل الموصلة لتحقيق المثل العليا للإنسانية ، وهى الزمالة العالمية بين أفراد النوع الإنسانى وأممه ، فإنه بهذا السعى يحقق غرضا أساسيا من الأغراض التى سعت إليها الأديان وعُنى بها الإسلام الذى أدين به ، فقد نبه القرآن إلى وحدة الأبوين الموجبة للتعارف والتعاون والتناصر ، والمبعدة عن التناكر والاختلاف والتخاذل ، ولم يقم وزنا لشرف المولد وكرم الجنس ، ووضع معياراً للتفاضل لم يعرفه الناس من قبل وهو تقوى الله ، وفى القرآن الكريم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾(١) .

وطلب القرآن إلى المسلمين إحسان معاشرة غيرهم من أهل الأديان والمذاهب إلا فى حالة العدوان ؛ وفى القرآن الكريم :

﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَـٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمۡ وَظَـٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾(٢) .

وقد عمل الرسول الأكرم محمد صلوات الله عليه وخلفاؤه الراشدون من بعده على وفق هذه المبادىء السامية ، حتى أبيح الإصهار إلى أهل الكتاب مع ترك الحرية للزوجة وعدم منعها من شعائر دينها .

الزمالة بين رجال الدين يجب أن تسبق الزمالة العالمية :

٩ – وإذا ما كانت تلك الزمالة أملا مرجو التحقيق يتداعى لتنمية رجال الدين ويحتفلون بذلك فى جد وحزم ، فمن الحزم إذاً أن نعود إلى هذا الشعور الدينى نستفيد من سيطرته على النفوس وسعة مداه وفطريته فى البشرية ، لنبدأ منه خطتنا فى تنمية الزمالة ؛ وأن يتعاون أهل الأديان جميعهم بما فى الأديان من الشعور الدينى المشترك بينها ، وبما فيها من الفضائل العلمية والغايات الاجتماعية الصالحة ، على تحقيق الغرض المرجو من تحقيق الزمالة وتنميتها . وكل ما فى الأديان مما يتعلق بالمجتمع البشرى أسس صالحة ترمى إلى الخير ، وإلى أن يكون الفرد عضوا نافعا فى المجتمع ، يعاشر أخاه بالمعروف ، ويدفع عنه النوائب ، وتجعل أواصر المودة بين أفراد الإنسان واقعة تحت الرغبات الإلهية ، مطلوبة للخالق الحكيم الذى يحيى ويميت ويرزق ، ويغيث

(١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(٢) سورة الممتحنة .

الملهوف والمضطر ، ويعد بعد الموت حياة هنيئة لمن يعمل الصالحات .

والدعوة إلى تنمية الشعور الدينى المشترك يجب أن تسبقها الزمالة بين رؤساء الأديان أنفسهم ، فهم أقدر من غيرهم على إدراك هذه المعانى السامية ، وأولى الناس بأن يفهموا أن الخطر الذى يداهم الإنسانية لا يجىء من أديان المخالفين ، وإنما يجىء من الإلحاد ومن المذاهب التى تقدس المادة وتعبدها ، وتستهين بتعاليم الأديان وتعدها هزؤا ولعبا .

الأغراض التى يسعى لها أهل الأديان :

١٠ ـ والأغراض التى أرى أن يسعى لها أهل الأديان قسمان : معنوية ، وعملية . الأغراض المعنوية هى فى الإجمال إزاحة العلل التى حالت دون تأثير الشعور الدينى فى تقريب ما بين الناس ، وهى إما تَلوثُه بالشوائب المفرقة ، وإما ضعفه وتحلله .

فإن الناس بين رجلين : رجل مؤمن قوى الإيمان يصلح إيمانه لمقاومة شرور الحياة ، لكنه منحرف عن الجادة تثور فيه عناصر الحقد على المخالف والكره له والتربص به ، فهو فى حاجة إلى توجيه إيمانه توجيها نافعا ، وإلى تنقية ذلك الإيمان من الشوائب ، وإلى فهم معنى التدين فهما صحيحا خاليا من الأغراض البشرية المادية . ورجل ضعف إيمانه أو أقفر قلبه منه ، وأكثر ما نرى هذا بين الطبقات التى تسمى مستنيرة ويدعوها الناس مثقفة . وسبب ذلك اصطدام الدين بالعلم التجريبى ، وما ثار بينهما من خلاف ، أو جنوح الفلسفة الأدبية إلى آراء فى الخير والفضائل العملية وقفت بعض الأديان فى سبيل الموافقة عليها ؛ أو اتجاه الأبحاث الاجتماعية عن غايات الحياة إلى نواح لم يوافق الدين على ترسمها ، فكانت صلة العلم المادى والعمل الخلقى والغايات الاجتماعية بالحياة الفعلية قوة لأصحاب هذه الفروع على الدين وعلى انتهاك حرماته ؛ وكانت مقاومة رجال الدين لهؤلاء مقاومة غير رشيدة سببا فى اتساع الهوة وجرأة المخالفة جرأة عصفت بالشعور الدينى فى قلوب أولئك المتعلمين ، بل وأضعفت هذا الشعور عند غيرهم .

وإذا كان الأمر هكذا فمن الواجب أن يتعاون أهل الأديان على تقوية الشعور الدينى ، وإعادته يعمر القلوب ويملأ النفوس هيبة ورهبة من الله ، ورحمة ورفقا بعباد الله ، وعلى إعزاز مركز الأديان أمام العلم وأمام الفلسفة الأدبية والفلسفة الاجتماعية ، وأمام تيارات التقدم العقلى والتحرير الفكرى ، ولا شك فى أن تقوية هذا الشعور وإعزاز مركز الأديان يقى الحياة الإنسانية من خطر هؤلاء المستنيرين وقدرتهم حين تتحكم المادة وتقوى فيهم الرغبات غير الشريفة . ثم إذا استطاع أهل الأديان كسب هؤلاء وإيجاد الشعور الدينى فى قلوبهم ، فإنهم يكونون قوة فعالة فى تنمية وسائط الإخاء البشرى ، ذلك بقوة إحساسهم ودقة إدراكهم ، واستطاعتهم فهم مافى الأديان من معان روحية سامية مجردة عن المادة يصعب فهمها على أكثر العامة ممن لم يهذبهم العلم وتنر طريقهم الفلسفة .

الأغراض العلمية هى على الإجمال جل التدين أداة فعالة فى تهذيب الجماعة ، وتمكين العوامل المعنوية التى تشترك فيها الأديان ، من التأثير فى الحياة الإنسانية الواقعية ، وتصيير الفضائل العلمية

التى تدعو إليها الأديان كلها نظما عملية . بذلك يقل فتك الشرور بالإنسانية فى الأمم ، وتتقارب أنظارها ، وتدنو من الإخاء الإنسانى بتقارب غاياتها وسلامة نفوسها .

١١ ــ ومما يثير العجب ويضاعف الألم ، أن أهل الأديان يحشدون جنودهم ويعدون عدتهم لمقاتلة بعضهم بعضا مقاتلة أسرفوا فيها ، وجعلتهم ضعفاء أمام عدوهم المشترك ، وسلكوا طرقا فى التناحر مخالفة لأبسط قواعد المنطق ، مما جعلهم سخرية أمام العلماء وأمام الفلاسفة ، وجعل كل جهودهم عقيمة النتائج ، فقد تركوا التأثير على الإنسان من ناحية عقله الذى هو موضع الشرف وموطن العزة والكرامة ، واستعملوا طرق الإكراه والإغراء بالمال وغيره من الوسائل ، وركن بعضهم إلى القوى المادية للدول ، ونسوا أن الإيمان لا يحل القلب بالإكراه ، وأن العلم لا ينال إلا بالدليل ؛ ونسوا أن العدو جاد فى إنزالهم من مكانهم اللائق بهم ، وأن شرور العالم تغمر الإنسانية وتطغى على ما بقى فى النفوس من هيبة واحترام للنظم الإلهية . وكان عليهم بدل هذا كله أن يتعاونوا على درء الخطر ، وأن يحاربوا هذه الشهوات الجامحة ، وهذه الإباحية التى يئن منها العقلاء ، وهذه العادة المستحكمة التى تجر الويلات على الآمنين بين حين وآخر ، وتستعار لها أسماء كاذبة من المدنية والنظام والحرية .

لكن ما الذى كان ينتظر غير هذا وعوامل التفريق تعمل فى أهل الأديان كما تعمل فى غيرهم ، وتغريهم زخارف الحياة الدنيا كما تغرى غيرهم ، ويحافظون على الجاه والرتب كما يحافظ عليها غيرهم ، ويفترى بعضهم على بعض فى الدين كما يفترى غيرهم ؟

لكنّ قبسا من النور لا يزال باقيا للمتقين ، وهو أن الله أرحم بعباده مَن أن يتركهم فى هذه الشرور المتلاطمة أمواجها ، وأقدر على إيجاد الوسائل التى ترد إلى مواطن الشرف والفضيلة . وأنتم موطن الأمل ومعقد الرجاء .

الوسائل التى تحقق بها الأغراض :

١٢ ــ وسأعرض هنا لبعض الوسائل التى تساعد على تحقيق الغرض ، مكتفيا بالإجمال ، تاركا التفصيل لحضرات السادة أعضاء المؤتمر ، وللابتكارات المتجددة التى ينتجها التعاون الصادق بين الأعضاء وبين محبى الإنسانية :

(أ) إيجاد هيئة تعمل على تنقية الشعور الدينى من الضغائن والأحقاد ، ولذلك وسائل ، منها :

١ ــ توجيه الوعظ الدينى فى الأديان المختلفة إلى هذا الاتجاه الإنسانى ، بالأساليب التى يقررها أهل كل دين لوعاظه .

٢ ــ جمع كل ما فى دين من المعانى الإنسانية السامية العامة ، من الرفق بالبشر والبر بهم ، من حيث هم أفراد من نوع الإنسان ، دون نظر إلى الفوارق الأخرى ، وإذاعة ذلك بمختلف الوسائل فى مختلف اللغات .

٣ ــ جعل الدعاية للأديان والتبشير بها قائما على أساس عقلى محض ، وحب للحقيقة ورغبة صادقة فى الوصول إليها ، مع البعد عن الاحتيال لذلك والاعتماد على وسائل غير بريئة فى توجيه الاعتقاد والإغراء به ، وقصر الجهد على إبراز ما فى الدين المدعو إليه من محاسن .

وهذه الهيئة تقوم بحسم كل إشكال أو نزاع ينشأ عن اعتداء الدعاة حسما شريفا نزيها صادق الرغبة كفى المسالمة .

(ب) إيجاد هيئة تقوم بتقوية الشعور الدينى ، وبخاصة فى الطبقات المستنيرة ، فتعنى بتأييد مركز الدين أمام البحث العلمى والتفكير الحر ، تأييدا يقوم على احترام العقل وإعطائه حقه الكامل فى البحث النزيه التماسا للمعرفة ، فيعتمد هذا التأييد على مقابلة الدليل بالدليل ، وعلى الإقناع بطرق الإقناع الصحيحة ، مع البعد عن الوسائل الإرهابية والتضليل ، وعن الارتكان على السلطة الروحية المستنيرة ،وبالجملة يبتعد عن الأخطاء الماضية التى دفعت الإنسانية ثمنها باهظا مرهقا .

ويكون لهذه الهيئة شُعَب ، شعبة تحدد ما بين العلم التجريبى والدين من خلاف قائم أو خلاف يجدّ ، وتتبع ذلك فى الدوائر العلمية المختلفة ، وتتصدى لحسمه على أساس ما أسلفناه من حب للحقيقة وحرص عليها ، فى لباقة لا تدع الدين يجهر بما يخالف المحسوس المشاهد . وشعبة تحتفى بالآراء الخلقية وبيان الفضائل ، وما يكون من ذلك جائرا على الحياة المعنوية ، متأثرا بأغراض نهمة ومطامع شريرة ، فتبحث ذلك فى عمق ودقة ، ويذاع منه الآاء المقنعة التى تنال تأييد المفكرين المخلصين ، وتحفظ على الحياة غاياتها النبيلة . وشعبة تتبع الدراسات الاجتماعية وما ترسمها مذاهبها من غايات للحياة وأساليب فيها ، كالاشتراكية والشيوعية وما إلى ذلك ، تبين منها موضع الخير وناحية الحق ، وتكشف عن موضع الهوى الجامح والرغبة النهمة المفسدة لشرف الغرض من الحيـــاة . كل ذلك يذاع فى الأسلـــوب الصحيح ، ليسمع الناس الرأى الصالح مؤيـدا بالبرهان ، موفقا بينه وبين التدين ، مراعى فى كل هذا وجـه الله ، ووجـه الحق ، ووجـه الخير للإنسانية .

١٣ ـ ونظرا لأن الإنسانية قد نالها عسف كثير نرى (بحق أو بغير حق) أن سببه السلطة الروحية وأصحابها .

فمن الحق أن تظفر بالطمأنينة الكاملة من هذا الخطر لتدع للتدين ورجال الدي أن يعملوا على إسعادها . وأرى أن تؤكد الوحدة الدينية قولا وعملا ، وأن تجد فى إقناع الأجيال الحاضرة بأن رجال الدين لايطمحون إلى رغبات مادية ، ولا إلى سيطرة الحكم والجاه والنفـوذ ، وأنهم إنما يشاركون فى الحياة بمقدار ما يتمكنون من أداء رسالتهم الكريمة لإسعـاد الإنسانيـة وترفيههـا ، وصيانة معنوياتها الملائمة لشرفها ، وأنهم قُوّام على تفسير الناموس الإلهى بالحق والدعوة إليه ليس لهم من الأمر شيء ، ثم تحافظ على ذلك أشد المحافظة ، وتقوّم من يندّ عن هذا المبدأ ويخالفه .

إذ ذاك تستفيد الأجيال الحاضرة والأجيال المقبلة ، وتفسح الطريق للقوة الدينية تعمل على الإخاء الإنسانى ، وتكتسب المبـادىء الدينيـة والفضائل الخلقية والمعـانى الاجتماعيـة الساميـة بوحدة الأساليب العملية التى تنصر بها المذاهب والآراء الصالحة ، سلطة عملية تمكن من السعى إلى حماية النظم والقوانين ، ووضعها بحيث تحمل تلك الأصول الصالحة .

وكما يعمل أصحاب المذاهب الاجتماعية على توجيه التشريع إلى تأييد مبادئهم وقواعدهم ، يجب أن يعمل أهل الأديان على توجيه التشريع إلى تأييد الأصول العامة المشتركة فى الأديان ، فيقاوم الزنا ، وتحمى الأسرة ، ويعاقب على الكـذب والغيبة والنميمة والدس والوقيعة ولو لم تصور فى جرائم مادية ، وتحد الحرية فى التمتـع وأسبـاب

الشهوات ، وتحرم المنافسة غير الشريفة ، وتراقب المكاسب المادية ، ويحرم الخبيث منها ، ويعاقب على الجشع والخداع والتغرير ، إلى غير ذلك مما جاءت الأديان لاستئصال شروره وتطهير الإنسانية من أدناسه ، فساء التطبيق ، وانحرفت وجهة التدين أو ضعفت ، بحيث لم تستطع مقاومة الذين لا ضمائر لهم ، والذين خلت قلوبهم من رهبة الله ورحمة عباده .

١٤ ـ وما من شك فى أن وحدة رجال الدين وفروعها المختلفة ستبتكر على يد رجالها الذين يزين الإيمان قلوبهم ، وتطمئن نفوسهم روحانية الدين الصادقة ، وسائل ناضجة فعالة لهذه الأغراض ، ولكن يجب ألّا ننسى أن تلك الوسائل ينبغى أن تكون بعيدة عن التدخل فى أصول السياسة والاصطدام بها ، وأن تعتمد على تأييد الجماعات وتنمية الشعور الدينى والشعور بالفضيلة ، وعلى إنماء روح الكره لما يغمر العالم الآن من المفاسد والشرور التى نزلت بالإنسانية إلى مستوى منحط لا يفكر فى غير قضاء الشهوات وسد حاجة الغرائز البهيمية ، وإشباع نهم القوى الشرسة ، وصفات العدوان .

١٥ ـ ذلك ما رأيته لتنمية الزمالة العالمية ، وقد قام على أساسين صحيحين ، وهذه الوسائل وإن كانت دقيقة فهى ممكنة وفعالة ، وإن كانت تحتاج إلى جهد ودأب طويلين ، لكن المطلب نبيل والخطب جليل . وإن الإسلام يمنحها تأييده القوى .

وفى أصول الإسلام أقوى الدعائم التى ترتكز عليها الفكرة ، فهو يقرر أنه لا إكراه فى الدين ، ويقول للرسول صلوات الله عليه :

﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

ويقرر أن الدعوة إلى الله تكون بالحكمة والموعظة :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ (٤)

ويخاطب العقل وينبه إلى التفكير فيما خلق الله ، ويرفع العلم والعلماء . ويقول نبى الاسلام : ﴿ **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** ﴾ ، ويقول له الله تعالى :

﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (٥) .

ويحث على البر والرحمة ، وعلى مواساة الضعفاء والفقراء ، بل وعلى الرفق بالبهائم ، حتى جعل نفقة البهيمة الضالة واجبة فى بيت المال ، وجعل للفقراء حقا لازما مفروضا فى أموال الأغنياء ، وجعل الجناية على نفس واحدة جناية على الانسانية ، ووضع قواعد صارمة للعبث بالنظام .

ولا أطيل عليكم أيها السادة ، فليس من غرضى ولا من غرضكم شرح أصول الإسلام وعرض مبادئه ، ولكنى بما ذكرته أردت لفت نظر حضراتكم إلى أن الغرض الشريف الذى تسعون إليه لا ينافى قواعد الاسلام العامة .

١٦ ـ وإنى أيها السادة فى ختام كلمتى هذه أبتهل إلى الله أن يؤيدكم فيما تسعون إليه من خير للانسانية ، وأن ينير لكم الطريق ويهديكم سواء السبيل .

---

(٣) سورة يونس آية ٩٩ (٤) سورة النحل آية ١٢٥ (٥) سورة آل عمران آية ١٥٩

الشعر والشعراء

إعداد وتقديم : د. محمد عبد الحكيم محمد

ربنا إياك ندعو

للمرحوم مصطفى صادق الرافعى

ربنا إياك ندعو ربنا … آتنا النصر الذى وعدتنا
إننا نبغى رضاك إننا … ما ارتضينا غير ما ترضى لنا
أنفسنا طاهرة طهر الحرم … تملأ التاريخ مجدا وكرم
وافيات بِعهودٍ والذمم … راقيات للمعالى والهمم
للعلا إن العلا … واجبات المسلم
خير عالم خلا … كان فينا ينتمى
للعلا فإننا … أمة التقدم
للعلا وها أنا … بحياتى ودمى
يا شباب العالم المحمدى … ينقص الكون شباب مُهتدى
فأرُوهُ دينكم كى يقتدى … دين عقل وضمير ويد
يا شباب العزمات المبرمة … عرفوا الكون العلا والمكرمة
عرفوا الكون الهدى والرحمة … عرفوا الكون النفوس المسلمة

● ● ●

إننا الطهر الأماجيد الألى … نزّلت فينا السما مذ أنزلا :
ذلك القرآن أخلاقا على … كوكب الأرض محمد العلا
ليس كالمسلم فى الخلق أحد … ليس خلق اليوم بل خلق الأبد
إنما الإسلام فى الصحرا امتهد … ليجىء كل مسلم أسد
فى ضميرى دائما صوت النبى … آمرا : جاهد وكابد واتعب
صائحا : غالب وطالب وادأب … صارخاً : كن أبداً حراً أبى
كن سواء ما اختفى ، وما علن … كن قويا بالضمير والبدن
كن عزيزا بالعشير والوطن … كن عظيما فى الشعوب والزمن

● ● ●

رب بالإسلام قد هديتنى … رب من نورك قد آتيتنى
فعلى العهد ما أحييتنى … أحرس الكنز الذى وهبتنى
أو أموت دونه موت البطل … ثابتا أحيا بقلب من جبل
نيرا أحيا بروح من شُغل … جاهداً أحيا بجسم من عمل

مِنْ وَحْيِ الأُمُومَةِ

للشاعرة جليلة رضا

من نبع قلبى ومن دمع الهوى الجارى ... ومن مداد دمى ... من قلبى النارى
رسمت « لوحة حبّ » كان من زمن ... قد حطّمته يدى فى ليل أقدارى
ولم أشأ أن أراعى فى الهوى ثمنا ... أو أخْرِمَ الحبّ من عطفى وإيثارى
فجئته بضيا عينى وبهجتها ... حتى يرى أفقه فى ظل أبصارى
ورحت أرسم تاجا فوق هامته ... ومن دعائى وألحانى وأشعارى
وخشية الريح أن يمتد ساعدها ... فيمحو الرسم فى لطم وتزآر
أحطته بإطار صغت أضلعه ... من الوفاء ومن عزمى وإصرارى
وإذ بدا الرسم تياها برونقه ... ولم يعد فيه من عيبٍ وأوزار
عودته بدعاء الروح بارئَهَا ... حتى يبوح بأشواقى وأسرارى
وقلت عد لى فإن النفس موحشة ... وأنت لحن حياتى .. أنت قيثارى
ورحت أرقب رسمى فوق « لوحته » ... وأرهف السمع كى أحظى بأخبار

● ● ●

وران صمت على الأجواء منتشر ... وظللت غفوةُ عينى بإنكار
ثم انتبهت فإذا بالضوء منهمر ... يَندىَ عبيرا فمن ورد وأزهار
وراعنى ما رأت عيناى فى دهش ... رسما تبسم لى ..! يا قدرة البارى
رسما تبدّل أنثى فى ملامحها ... خَفَرُ العذارى .. وحسن هادىء سارى
أنثى تراءت كأن الله أودعها ... سرّ الملائك من طهر وأنوار
تقطر النور تقطيرا جدائلُها ... وتنثر الورد كفاها بمدرار
وتحت أقدامها تجرى مسلسلة ... جداول الماء فى تيار أنهار
ثم انثنت بجناحيها مرفرفة ... حولى متمتمة فى همس أطيار
أنا الأمومة لا حب يجابهنى ... ولا جمال يحاكى حسنى العارى

● ● ●

وحينذاك خفضت الطرف خاشعة ... ولهى ... أسبّح فى حمد وإكبار

قلق الأشواق

من وحى المولد النبوى الشريف

شعر: إبراهيم عيسى

طاف بالأرض ظلامٌ كافرُ القلبِ غوِىْ
كَفَّنَ الليلُ ضحاه .. وهَذى كل شقِىْ
وانتَشَى كلُّ جهولٍ من ضلال أزلِىْ
وانحَنَى للاّتِ والعُزَّى ضعيفٌ وقَوِىْ
وطَغَتْ أغلالُ رِقٍّ تفْرِضُ الذلَّ البَكِىْ
ظُلْمةٌ فى النفس ما أبقَتْ مع الخير تَقِىْ
أزهَرَ الشرُّ وغَنَّاهُ غرورٌ آدمِىْ
فَسَرَتْ روحٌ من الله بإشعاعٍ سَنِىْ
وأتى نورٌ من الرحمن فى طفلٍ نَقِىْ
أى نورٍ طاف فى مكةَ من هذا الصَّبِىْ
ونَمَا .. حتى غَدَا بدراً .. بأفقٍ هاشِمِىْ
خطْوُهُ .. شلالُ ضوءٍ فى ظلامٍ وَثَنِىْ
قَوْلُهُ .. أنهارُ ظِلٍّ فى هجيرٍ بَشَرِىْ
رأيُهُ .. شطُّ غديرٍ لمشوقٍ وَظَمِى
اصطفاه الله يَنْبوعاً لنورٍ أبَدِىْ
فهَمَى غَيْثٌ من الرحمةِ والخيرِ النَّدِىْ
من ضياءٍ عانَقَ الأكوانَ لله العَلِىْ
من ترانيمِ الهُدَى فى لجَّةِ الليلِ العَصِىْ
جئتَنَا يا خاتَمَ الرسلِ .. ويا خير نَبِىْ
جئتنا بالكون مسطوراً .. ومقروءاً .. وَحَىْ
تغْرِس الإيمانَ فى الروح بوحْىٍ قُدُسِىْ
قَبساً من فيْضِ إيمانِك يطوِى البيدَ طَىْ
تَجْتَبى الإنسانَ بالأمْنِ على الموج العَتِىْ
فسَمَوْنا .. وعَلَوْنا .. فى هُدَى القلبِ الرَّضِىْ
والزمانُ الكهلُ .. أضحَى بين أيدينا فَتِىْ
إنما دارت بنا الدنيا وذُقْنا الويلَ كَىْ
أمةُ الإسلامِ صارت فى زمانٍ بَرْبَرِىْ
كلُّ جبَّارٍ بها أمسى كبركانٍ بَغِىْ
دَمَوِىُّ الحقدِ ضَلَّالٌ ضَلَالَ السَّامِرِىْ

هو تابوتٌ من الليلِ .. ينادينا إلَيّ
وبَنُو الإسلامِ تاهوا فى الزمان الهَمَجِيّ
سَفَحُوا النورَ وعاشوا فى أسَى ظُلْمٍ دَجِيّ
والدمُ المُسْلِمُ حِلٌّ بِيَدِ المسلمِ ... غَبِيّ
أهِ يا قابيلُ .. قد عَلَّمْتَنِى قَتْلَ أخِيّ
وخجِلْنا كلما نادَى فَتَى : يا عَرَبِيّ
وكأنَّا لعنة أو عورة فى كلِّ حَيّ
عربيٌّ !! بالجُرْحِ نازِفٍ تحت العَشِيّ
والضحى يَرْسُفُ فى أغلالِ جبَّارٍ عَتِيّ
سيدى .. ياخيرَ خلقِ الله .. والنور السَّنِيّ
أدركِ الحقَّ فقد أوشك أن يَمْحُوه غَيّ
يانَبِيّ .. كلُّ خيرٍ أنتَ فيه كلُّ شَيْء
ياحبيبى .. جُدْ بفضلٍ هو للظمآنِ رِيّ
قَلَقُ الأشواقِ فى صدرى دعاءٌ ودَوِيّ
فاجْتَبِينى .. واحْتَوِينى .. فأنا قلبٌ نَجِيّ
حَنَّ قلبى لحبيبى .. وارتَوَى مِنْ عَبْرَتَيّ
إنْ أنَلْ قربَكَ أهتِفْ : أىُّ قُرْبٍ نِلْتُ أىّ
ويقينى .. بيقينى فيكم فضل عَلَيّ
واختوائى فى حِرائى يكشف السرَّ الخَفِيّ
يا فؤادى .. كم أنادى ... فاستمع صوت الرضِيّ
قل لروحى .. لا تبوحى .. وكفى بالشوق عِيّ
فاحتراق .. فى اشتياق .. آه ما أحلا الهُوَيّ
يارسول النور إنى صرت من ذكرك ضِيّ
أنت فى قلبى قلبٌ .. وسنا فى مقلتيّ
أنت فى روحى كلى .. وأنا جزءٌ صبِيّ
لستُ أنساك حياةً .. آلآنا .. أنساك وَىْ ؟
فأنا أهواك هَدْياً وصفَاءً وصَفِيّ
وأنا أهواك فَضْلاً وعَطاءً سَرْمَدِيّ
وأنا أهواك إيماناً وإشراقاً وفِيّ
وأنا أهواك نُوراً للبرايا .. يانَبِيّ
والهوى ما كان منِّى .. إنَّه منكُمْ إلَيّ

العلوم الكونية

من دلائل القدرة الإلهية فى تنوع الأصوات

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا
أستاذ الفيزياء بكلية العلوم جامعة القاهرة

مقـــدمة :

إن التنوع فى خلق الكائنات دليل من دلائل القدرة الالهية ، ومن كانت عقيدته هى التوحيد الإسلامى ، فإنه يعنى دائماً بالبحث عن الوحدة التى تؤلف بين الكثرة أيا كان الموضوع ، كما أنه يجد فى نفسه دافعاً أقوى مما يجد سواه نحو الكشف عن محور الوحدانية من خلال مظاهر التنوع والكثرة ، إيماناً منه بأن كل ما فى الكون من موجودات وسنن مستمد من إرادة الخالق ومتوقف عليها ، ولنا فى قصة خلق السلالات البشرية من نفس واحدة أوضح برهان وأقوى دليل على قدرة الخالق ووحدانيته ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١) .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل التنوع فى السلالات البشرية من ذرية آدم ـ عليه السلام ـ حتى يسهل التعارف بينهم ، فإنه ـ سبحانه ـ جعل معيار التفضيل عنده لايكون إلا بالتقوى ، مصداقاً لقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾(٢) .

(١) سورة النساء : ١ .
(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

وقد أشار القرآن الكريم فى مواضع كثيرة إلى ضروب مختلفة من تنوع المخلوقات فى عالم الأحياء وعالم الجماد على حد سواء ، من ذلك قوله تعالى :

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[٣] **ويوافق هذه الآية الكريمة ماأكده أهل الاختصاص فى علوم الأحياء ، الذين يدرسون كل مايتعلق بالحياة الاجتماعية لكل حيوان يسعى فى الأرض أو يطير فى السماء ، من أن الكائنات الحية شعوب وقبائل وأمم تربطها صلات وعلاقات وثيقة ، فهى لاتختلف فى أسلوب حياتها ونشاطها عن أمم الجنس البشرى الذى يعمر الأرض إلا بقدر مايميزها عن باق الأنواع فى عالم الأحياء .**

والمتأمل فى جنبات الكون الفسيح يجد من صور التنوع مايشمل الأجناس والألوان والأشكال والطبائع والغرائز والعادات واللغات والأصوات وغير ذلك .

تنوع الأصوات :

التنوع فى أصوات الكائنات آية تستوجب التأمل والتفكر ، فهناك العديد من الأصوات المتباينة التى تطرق أسماعنا فى حياتنا اليومية ليلاً ونهاراً ، وهى تنتقل إلينا على شكل تموجات تضاغطية تنشأ عن اهتزاز الأجسام المسببة لها ، على نحو ما نجد فى وتر العود أو الكمان ، أو فى الأوتار الصوتية عند الإنسان . وعندما تقع التموجات الصوتية على « طبلة الأذن » فإنها تؤدى إلى اهتزازها ، ويكون الإنسان قادراً على سماعها والتمييز بينها إذا كان تردد ذبذباتها فى المدى ٢٠ و ٢٠٠٠٠ هرتز[٤] ، وهو مدى الاستجابة الترددية للأذن البشرية العادية ، أو المدى المسموع Audible range .

أما الأصوات ذات الترددات الأعلى من ٢٠ ألف هرتز ، وتعرف بالموجات فوق السمعية Ultrasonic waves ، وكذا الأصوات ذات التردد الأقل من ٢٠ هرتز ، وتعرف بالموجات تحت السمعية Infrasonic waves ، فإن الأذن البشرية لاتستطيع سماعها على الاطلاق .

ويختلف المدى السمعى من شخص لآخر ، فهو يتراوح عند الشبان البالغين مثلا بين ١٦ و ١٥٠٠٠ هرتز ، بينما يستطيع الأطفال سماع ترددات تصل إلى ٢٠٠٠٠ هرتز أو أكثر ، أما كبار السن فإنهم لايستطيعون سماع أصوات يزيد ترددها على ٣٠٠٠ هرتز . وفى جميع الأحوال تقل القدرة على سماع الأصوات ذات الترددات العالية مع تقدم العمر نتيجة التعرض المستمر للضجيج والضوضاء فى المساكن وأماكن العمل ، واحساس الأذن بالصوت يماثل الى درجة كبيرة احساس العين بالتموجات الضوئية ، فنحن نستطيع رؤية

---

(٣) سورة الأنعام : ٣٨ .

(٤) الهرتز HWRTZ وحدة تستخدم لقياس التردد الموجى ، وقد اختيرت بهذا الاسم تخليدا لذكرى الفيزيائى الشهير « هيرتز » الذى عرف بأبحاثه فى دراسة الأمواج الكهرومغناطيسية وعادة ما نسمع عن البث الاذاعى بوحدات أكبر لقياس تردد الموجات ، أو عدد الذبذبات فى الثانية ، مثل الكيلوهرتز ، الذى يساوى ألف هرتز ، والميجاهيرتز (أو الميجاسيكل) الذى يساوى مليون ذبذبة فى الثانية .

جميع درجات ألوان الطيف التى تصل إلى أعيننا ونميز منها الأشعة الحمراء والصفراء والبرتقالية والخضراء والزرقاء والنيلية والبنفسجية وهى ألوان ما يسمى «قوس قزح» السبعة التى نراها عادة فى الأفق بعد سطوح الشمس فى يوم مطير ، أما

الأشعة تحت الحمراء والأشعة فوق البنفسجية فلا يمكن للعين البشرية رؤيتها ، مع أنها موجودة فعلا مع الأشعة الملونة لألوان الطيف المرئى ، وذلك لأن تردداتها تقع خارج حدود المدى المسمـــوح للإحساس بالرؤية .

وهكذا يتضح لنا أن هناك أصواتاً مسموعة وأصواتا أخرى غير مسموعة مثلما أن هناك ألوانا مرئية وألواناً أخرى غير مرئية . وقد تكون الأصوات المسموعة جيدة يطرب لها الإنسان مثل صوت العود والناى والكمان وغيرها من الألات الموسيقية ، ومثل صوت البلبل والكروان وغيرهما من الطيور المغردة أو تكون هناك أصوات قبيحة ومنفرة تتأذى الأذن من سماعها ، على نحو ما نجد فى «عواء الذئب» أو «نباح الكلب» أو «نهيق الحمار» الذى وصفه القرآن الكريم بأنه أنكر الأصوات على الاطلاق ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾(٥) .

تنوع أصوات الحيوانات :

كان لعلماء الحضارة الإسلامية دور رائد فى تصنيف الحيوانات بحسب الأصوات التى تحدثها الى : حيوانات ذوات الرئة ، وهى التى تختلف أصواتها باختلاف أطوال اعناقها وسعة حلا قيمها وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها الهواء وقوة دفع أنفاسها من أفواهها ومناخرها ، وحيوانات ليس لها رئة ، ولكن لها أجنحة كالزنابير ، وهى التى تحدث الأصوات نتيجة لتحـــرك الهواء بالأجنحة ، وحيوانات ليس لها رئة ولاأجنحة كالديدان والسلاحف ، وهى تسمى الحيوانات (الخرس)، وتختلف الأصوات التى تحدثها باختلاف يبسها وصلابتها .

وفى كتاب «الحيوان» صنف الجاحـــظ الحيوانات بحسب أصواتها المعروفة فى اللغة العربية ، فذكر أن من الحيوان الأعجم ما يرغو ويثغو وينهق ويصهل ويشمخ ويخور ويبغم ويعوى وينبح ويزفو ويصفر ويهدر ويصوص ويفوق وينعب ويزأر ويبح .

وفى معظم الحيوانات الثديية الكـــبيرة ، كالأسود والخيول والأغنام ، تصدر الأصوات المميزة لكل منها عن طريق «عضو الصوت» الذى يشبه إلى حد ما حنجرة الإنسان وهو يوجد فى مقدمة القصبة الهوائية بعد تجويف الفم مباشرة ، ويحتوى بداخله على «الأوتار الصوتية» التى تحدث تموجات الصوت عند اهتزازها .

أما الطيور على اختلاف أنواعها فقد أمدها الله سبحانه وتعالى بحنجرة مميزة تقع عند الجزء الأسفل من القصبة الهوائية بالقرب من الرئتين ، وينتج عن وجودها فى هذا المكان العميق داخل الصدر أن تمر الأصوات التى تصدر عنها قبل انطلاقها الى الخارج

(٥) سورة لقمان : ١٩ .

عبر القصبة الهوائية بأكملها ، مما يجعل هذه الأصوات أكثر قوة ونقاء .

وبالنسبة للحشرات ، كالذباب والبعوض والجراد ، فلا توجد لديها حنجرة على الاطلاق ، ومع هذا فإن لكل منها صوتاً مميزاً ينتج فى أغلب الأحيان عن طريق حك الأرجل الخلفية بالأجنحة[٦] .

ومن لطائف البحث العلمى الحديث فى هذا المجال أن علماء الحشرات كشفوا عن أكثر من ألفى (٢٠٠٠) نوع من « صراصير الغيط » لكل منها صوت لايفهمه أفراد الأنواع الأخرى ، وتلبى الأنثى نداء الذكر عندما تسمع الصوت الذى يصدره على بعد كيلو مترين ، وهناك نوع من الصراصير لايكف عن اصدار أصواته طوال ليالى الصيف ، حيث يكون النهار بمثابة فترة راحة له . ومن الاعجاز الإلهى الواضح فى خلق هذا النوع أنه يتمتع بأجنحة قوية تتحمل الاحتكاك لآلاف المرات لإصدار الصوت الخاص بها .

التخاطب بوسائل غير صوتية :

ليس بالضرورة أن يتم التخاطب عن طريق الصوت ، فقد عرف الانسان وسائل عديدة للاتصال ، كذلك أثبت العلم الحديث أن العديد من أنواع الحيوانات تتفاهم بوسائل مختلفة غير صوتية ذات دلالات خاصة ، وتظهر هذه الحقيقة واضحة جلية فى عالم الحشرات على وجه الخصوص .

فعلى سبيل المثال ، لاحظ الباحثون فى سلوك الحشرات ان جنود النمل الأبيض تضرب برؤوسها الكبيرة جدران الأنفاق إذا شعرت بهجوم على عشها أو أحست بأى خطر يتهددها ، فيفهم هذا التحذير باقى أفراد النوع ، ويأخذ كل حذره من الخطر المحدق به ، وهناك حشرات من رتبة الخنافس تسمى « ذباب النار » ، تعيش فى أواسط أفريقيا وأمريكا لها القدرة على إصدار ضوء قوى عبر غدد تقع فى الحلقات الخلفية من بطنها ، ويمكن رؤية هذا الضوء من مسافات بعيدة ، فهى أشبه ببطاريات صغيرة تتحكم الانثى فى اضاءتها وإطفائها عن طريق أحبال عصبية كلما شاءت فتأتى اليها الذكور . وفى بعض الأحيان يوجد لدى الذكر بطارية حية فى بطنه ليعلن للأنثى عن مكانه ولايحدث هذا النوع من التخاطب إلا بين الإناث والذكور التابعة لنفس النوع من الحشرات .

ولعل أكثر اللغات شيوعاً فى عالم الحشرات هى اللغة الكيميائية التى يتم التحكم فيها بواسطة أجهزة إرسال واستقبال متقدمة تماثل عملية نقل وتبادل المعلومات عن طريق « الشفرة » . أما أجهزة الإرسال فهى مكونة من غدد متخصصة على جسم الحشرات لإفراز مركبات كيميائية متطايرة متنوعة التركيب ومختلفة الأغراض ، ولكل منها مغزى معين لدى أفراد النوع الواحد . ويتم استقبال هذه المواد المتطايرة بواسطة جهاز مكون من شعيرات حسية متصلة بالجهاز العصبى للحشرة ، حيث يتم ترجمة الاشارات الكيميائية وتحديد الغرض منها ونوع الاستجابة المطلوبة .

ومن المركبات الكيميائية المعروفة التى تستخدمها الحشرات كوسيلة غير صوتية للتخاطب فيما بينها مواد تسمى « الفرمونات

(٦) د . محمد رشاد الطوبى ، « بسم الله الرحمن الرحيم وبث فيها من كل دابة » ، دار المعارف سلسلة اقرأ ٥٣٨ بدون تاريخ للنشر .

الجنسية » ، تفرزها الأنثى لتدل الذكر على مكانها والاتجاه نحوها دون أن يخطئها الى غيرها حتى فى الظلام ، بل إن إناث الحشرات تفرز أيضا مواد أخرى لتنشيط الذكر وإثارته عن اقترابه منها ، وقد لوحظ أن بعض الفراشات تصدر رائحة مميزة تجذب الذكور من مسافات بعيدة تصل إلى خمسة كيلو مترات ، ومن العجيب أن تفقد الأنثى القدرة على اجتذاب الذكور عندما يتم التلقيح .

والنحل الذى يهاجم من يقترب من خليته يفرز مادة متطايرة فى مكان اللدغ على جسم الانسان لتمييز الشخص الذى تمت مهاجمته فيطارده باقى أفراد الخلية ، كما أن لكل خلية رائحة مميزة لها فلا تضل عنها الشغالات عند خروجها لجلب الغذاء ، وعندما تعود الى الخلية فإنها ترقص رقصات خاصة لتدل زميلاتها على مكان الغذاء .

وجماعات النمل ايضا تحدد مسارها الطويل ذهاباً وإياباً بواسطة إفرازات مميزة ، كما أن بعض أفراد النمل تفرز رائحة خاصة لتحذير باقى الأفراد من وجود خطر فى الطريق .

وقد كشف العلماء عن أسراب الجراد التى تهاجر من بلد لآخر فى أعداد هائلة تبلغ عدة ملايين منتظمة المسار ومحددة الاتجاه والمأوى ، تتبادل الأشارات الكيميائية مع تجمعات الجراد التى هبطت على الأرض لتنسق معها مكان الغذاء والمزروعات وتستدل منها على إمكانية الهبوط من عدمه . وقد توصل الباحثون حديثاً الى تصنيع بعض المركبات التى تفرزها الحشرات لاستخدامها فى التشويش على اتصالها مع بعضها حتى يمكن تضليلها والقضاء عليها بدلا من استعمال المبيدات السامة .

وهكذا يجد المتأمل دلائل واضحة على قدرة الخالق الواحد سبحانه وتعالى متجلية فى تنوع أصوات الكائنات وتنوع وسائل التخاطب غير الصوتية بين الحيوانات ، سواء عن طريق حركات معينة ، أو بإصدار إشارات ضوئية أو روائح مميزة ذات دلالات خاصة .

فسبحان الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى

الصحة الإنجابية

البروستاتا ومتاعبها

للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

«فى حديث بين رئيس التحرير وسيادة الدكتور أحمد رجائى عبدالحميد مدرس الصحة الإنجابية بالمركز الدولى الإسلامى للبحوث والدراسات السكانية ، وإخصائى أمراض النساء والتوليد ـ عن أثر المشاهد الجنسية (الفيلم الجنسى) على الشباب ، ومدى ما يلحقه منه من ضرر ، رأى سيادة الطبيب أن يتحدث حديثاً علمياً مستفيضاً فى هذا الموضوع تبصرة وتوعية وثقافة ، فكان هذا الموضوع» .

البروستاتا ومتاعبها :

تقع غدة «البروستاتا» «الموثة» أسفل المثانة البولية ويخترقها مجرى البول عند خروجه من المثانة وهذه الغدة تقع أمام المستقيم الشرجى مباشرة ولذلك يمكن فحصها عن طريقه . وهى تتكون من ثلاثة فصوص ، إثنان جانبيان والثالث فى الوسط .

تزن «البروستاتا» حوالى ٢٠ جم ، وتتكون من ٣٠ ـ ٥٠ غدة ، وتفتح فى مجرى البول بواسطة ١٥ ـ ٣٠ قناة .

وظائف البروستاتا :

تفرز البروستاتا حوالى ٣٠٪ من السائل المنوى ، وهذا الجزء يحتوى على «أنزيمات» تساهم فى حركة ونشاط الحيوانات المنوية ، كما تحتوى غدة «البروستاتا» على ألياف عضلية تتحكم بها فى مرور البول والمنى . ففى الأحوال العادية يكون

مجرى البول متسعا ليسمح بمرور البول ، أما عند الإثارة الجنسية فإن هذه الألياف العضلية تنقبض لتغلق الجزء العلوى من مجرى البول لتسمح بمرور المنى ـ وحده ـ فلا يختلط بالبول .

التغييرات الطبيعية للبروستاتا :

عند البلوغ تؤثر الهرمونات الذكرية فى غدة « البروستاتا » وتساعد على نضجها فى حوالى سن (العشرين) ، ثم لاتحدث أى تغييرات فسيولوجية تذكر ، ولكن بعد سن الأربعين تبدأ بعض الحويصلات فى التكوّن فتنمو وتكبر .

تضخم البروستاتا :

تتضخم البروستاتا ويكون تضخمها : حميداً ، أو التهابياً ، أو خبيثاً .

١ ـ التضخم الحميد : ومنه نوعان

(أ) نوع يكبر فيه حجم الخلايا التى تكون نسيج الغدة نفسها .

(ب) نوع تتكاثر فيه الخلايا فيزيد عددها .

ومن أهم المناطق التى تكون أكثر عرضة للتضخم المنطقة المحيطة بمجرى البول مما يزيد من فرص الاحتباس البولى .

٢ ـ التهاب « البروستاتا » المزمن :

وهذا النوع يحدث نتيجة للاصابات المتكررة بالالتهابات الحادة وتلك الالتهابات التى لا يتم علاجها تماما ـ غالباً .

٣ ـ سرطان« البروستاتا » :

وفى هذا النوع يبدأ الورم عادة فى الأجزاء الطرفية بعيداً عن مجرى البول ومع النمو البطىء للخلايا السرطانية لايشكو المريض من أية أعراض (وأهمها احتباس البول) إلا فى المراحل المتأخرة أى عندما يكون الورم السرطانى قد انتشر تماما فى « البروستاتا » حتى يصل إلى مجرى البول .

احتقان « البروستاتا » : Congestion

يحدث هذا الاحتقان إما عن طريق كثرة ممارسة مايسمى (العادة السرية) ، وقد عولج هذا الأمر فى الماضى بطريقة مبالغ فيها وقد يؤدى هذا الاحتقان إلى سرعة القذف والضعف الجنسى .

ويحدث الاحتقان أيضا عن طريق الإثارة الجنسية المتكررة بدون إنزال . وهذا محتمل الحدوث هذه الأيام بالذات ، وذلك لكثرة انتشار « افلام » الإثارة وسهولة الوصول إليها ، مضافاً إلى ذلك مجلات العرى والإباحية ، وغيرها ، وبخاصة مع انتشار قنوات « الدش » وأفلام الفيديو ، وضعف الرقابة على هذه الوسائل .

وكذلك تفقد البروستاتا مرونتها عند كبار السن فتتصلب أليافها العضلية وتسبب الاحتقان .

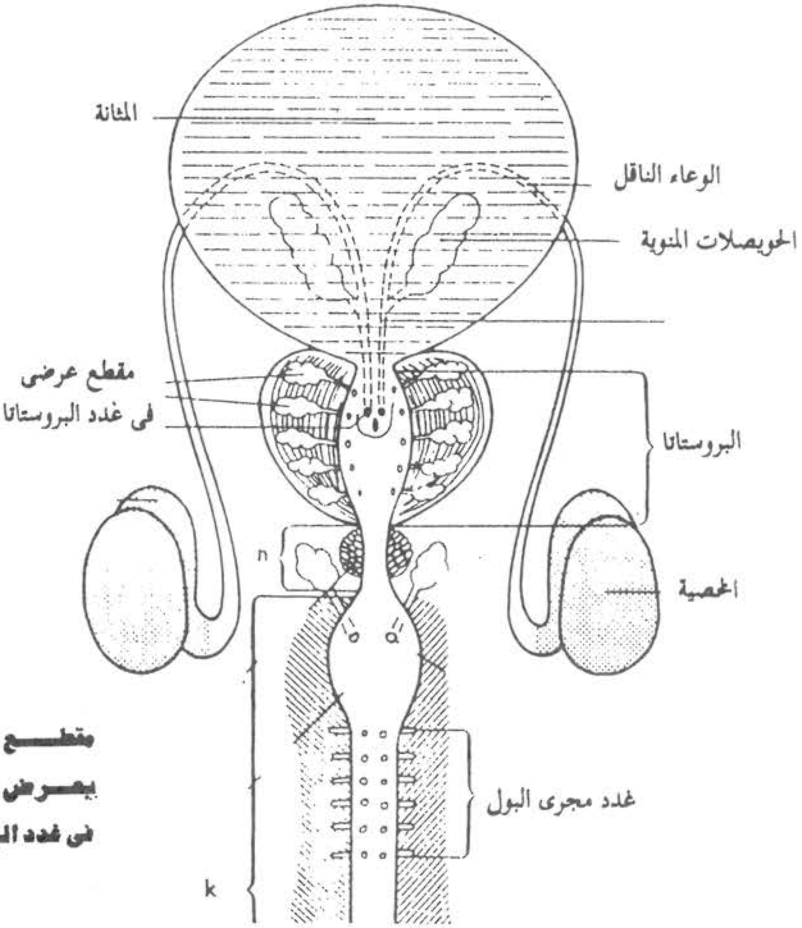

مقطع عرضى
يعرض البطن
فى غدد البروستاتا

أعراض الاحتقان والتضخم :

هناك أعراض كثيرة منها كثرة الرغبة فى التبول ، ونزول البول بصورة متقطعة ، وعدم التحكم فى البول فقد يبدأ نزوله قبل الوصول إلى دورة المياه ، كما يحدث التنقيط بعد انتهاء التبول وأخيراً احتباس البول وحرقان أثناء التبول ، كما يشعر المريض بأنه لايزال يريد التبول ، وأن هناك بولاً محتجزاً فى المثانة ، كما ينزل البول متفرقاً ويقل تدفقه ، وتبقى كميات من البول محتجزة داخل المثانة ـ فعلاً ـ وكلما تراكم البول داخل المثانة حدثت التهابات وتكونت حصوات مما يزيد الأمر سوءاً حيث إن هذه الحصوات قد تسد مجرى البول بدورها .

وإذا لم يتم علاج تضخم البروستاتا فإن أعراض الاحتباس البولى تزداد وتضغط على الحالب والكلى ، ويزداد تكون حصوات المثانة ، كما يزداد احتقان البروستاتا مما يسبب انفجار الأوردة المحتقنة ، وذلك يؤدى إلى نزول دم مع البول .

كذلك قد يحدث احتباس بولى حاد مما يستلزم إدخال قسطرة (أنبوب رفيع معقم) لإفراغ

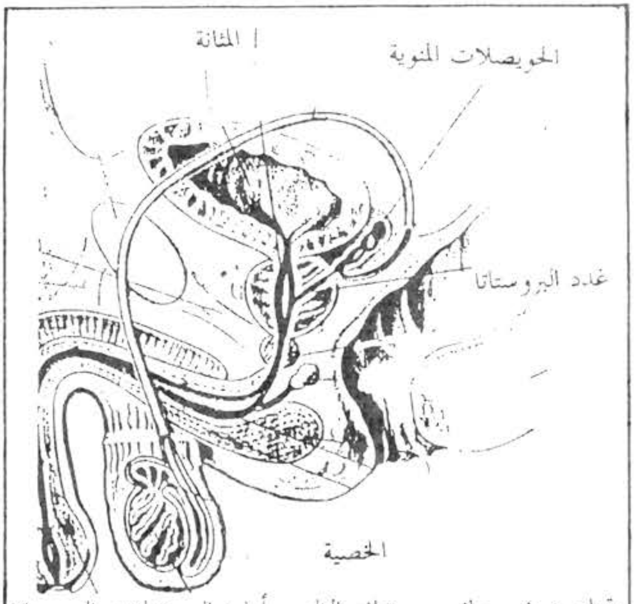

مقطع عرضى جانبى .. خلفه الظهر وأمامه الصرة لغدد البروستاتا

صورة
تبين مكان البروستاتا

المثانة . وإذا تفاقمت الحالة وأهمل علاجها فإن الكلى تبدأ فى التأثر مما يؤدى إلى ارتفاع نسبة (البولينا) فى الدم ، وارتفاع (ضغط الدم) ، و (الفشل الكلوى) .

أما عن الرغبة الجنسية فإنها تزداد عند بداية تضخم البروستاتا ، وإذا لم يتم علاج هذا التضخم فإنه يؤدى إلى فقدان الرغبة فى الجنس ، ثم ينتهى بالعنة : (عدم الإنتشار) .

البروستاتا والضعف الجنسى :

كثيراً ما تلام البروستاتا كسبب للضعف الجنسى بعد سن الأربعين ، وهذا خطأ حيث أن ٩٠٪ من أسباب الضعف الجنسى بعد سن الأربعين هى ـ فى الواقع ـ أسباب نفسية ، ونسبة الـ ١٠٪ الباقية تكون عضوية بسبب الإصابة بمرض السكر أو تضخم البروستاتا ، وكذلك إدمان الخمور والإفراط فى التدخين .

وهذه الحالة تؤدى إلى إحساس الشخص بالرغبة فى الجنس دون أن تكون عنده القدرة على مزاولته .

العلاج :

الوقاية أهم الأمور فى هذا الموضوع وذلك بالاعتدال الجنسى ، وكذلك إذا كانت هناك رغبة حقيقية فى الجنس فعلى الإنسان تحقيقها إذا كان متزوجاً ، وعليه البعد عن أية إثارة إذا لم يكن كذلك .

أما العلاج فهناك علاج جراحى أو دوائى . والعلاج الجراحى يتم بعدة طرق أهمها إزالة البروستاتا عن طريق فتح البطن ، أو عن طريق المنظار .

أما العلاج الدوائى فيتم عن طريق بعض العقاقير التى تؤدى إلى إراحة العضلات الملساء التى تحيط بمجرى البول ؛ أو مضادات الهرمونات الذكرية .

الرياضيات علم العلوم (١)

بقلم د. عبد الرحمن أحمد السمان

مدرس الرياضيات - بكلية العلوم (بنين) - جامعة الأزهر

يهاب كثير من المثقفين ذكر الرياضيات فى مجالسهم وترجع هذه الرهبة إلى ما استقر فى وجدانهم من صعوبة الرياضيات كمادة دراسية ، وليس لهذا الخوف سبب معقول لأن العلوم جميعها خلقت سهلة ميسرة ، ولكن المشقة تدخل عادة الى حرم أحد العلوم على أيدى غير المتمكنين من تدريسه أو على يدى من لم يتذوق علوم من سبقوه فترى علمه أجوفا ، يتلقاه المتعلم بشىء من الشك والارتياب فاذا كان المتعلم ضعيف الإرادة مشوش التفكير استقر فى نفسه الحكم بصعوبة المادة .

والعلوم جميعها كائنات ذات جسد وروح فالجسد مجموعة القواعد التى تشكل الهيكل التنظيمى للعلم أما الروح فهي المعانى والمقاصد التى ترمى إليها تلك القواعد والقوانين .

وأى علم ـ بهذا المفهوم ـ هو كائن مضىء سواء استمد إضاءته من وحى سماوى كعلوم التشريع الإلهى والهدى النبوى ، أو كانت علوما دنيوية ناتجة عن الأخذ بالأسباب المادية والعقلية فى مجال نفاذية هذه الأسباب وإطار فعاليتها فى الكون ، وهى بهذا الطريق أيضا ذات صلة وثيقة بالهدى الإلهى .

والمتأمل فى هذا الكون

﴿ قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾

سورة يونس

﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ العنكبوت

وفى عالم الكائنات الحية على وجه الخصوص نجد أن الله ـ تعالى ـ أودعها واحدا من أسراره هو قدرتها على استقبال المعرفة والانتفاع بها ، ويتميز الإنسان على سائر المخلوقات بأن الله ـ سبحانه ـ علم أباه آدم

﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾

سورة البقرة ـ آية : ٣١ ـ ٣٢

من هنا نجد أن تعلّم الرياضيات أو غيرها من العلوم ليس صعبا . كما أن صرامة علوم الرياضيات وما فيها من منطق وعقلانية لا ينبغى أن تفتن المسلم عن دينه كما يفعل بعض الجهلاء الذين يختلقون صراعا بين العلم والدين .

وعلى الجانب المضىء من مزيج الفكر والإيمان بالله على بصيرة . نقول إن : الرياضيات هى علم التقنين ، وإذا ذكرت الرياضيات يقفز إلى الذهن عالم المسائل والمشاكل استعدادا للبحث عن حلول لها ، ونظرا لأن حياة الكائنات فى هذا الكون هى مسألة أمام العقل البشرى ، فإن للرياضيات دوراً أساسيًا فى معالجتها واستخلاص الحلول لها ثم إسقاط هذه الحلول على مجال طبيعة المسألة .

وقد يتطلب ذلك بناء الأجهزة أو إنشاء المعامل وإقامة صروح البحث لإنتاج التقنيات وتطويرها .

وأساس الرياضيات فى الأزمنة الغابرة هو علم الحساب القائم على العد والإحصاء وما تبع ذلك من ابتكار نظم الأعداد واختراع (الصفر) ، ومسايرةً لتطور وسائل العيش ورغبةً من الإنسان فى الاستفادة القصوى من عناصر بيئته قام بحساب ما تحمله الأنهار من المياه فأنشأ من أجل ذلك السدود والمقاييس وتطلب ذلك إلمامًا ومعرفة بقواعد علم الهندسة الذى يقوم على عدة مفاهيم هى النقطة ، والمستقيم ، والمستوى ، والمعمور (الفراغ Space) الثلاثى . وتشهد على ذلك الحضارة التى قامت على ضفاف نهر النيل على سبيل المثال . وجدير بالذكر أن علماء المسلمين فى عصور النهضة الإسلامية قد أثروا الرياضيات بكثير من المفاهيم المبتكرة بعد دراستهم لعلوم الإغريق واليونان ، ولا يزال تراثهم فى الأندلس شاهدا على ما قدموه للبشرية من إسهامات أقام عليها الغرب خلال القرون الثلاث المنصرمة حضارته التى يزهو بها على المسلمين ؛ بل ويرميهم بالتخلف .

والذى يعنينا فى المقام الأول هو صورة الرياضيات فى العصر الحديث حتى يمكننا التعرف على آفاق الاستفادة من مختلف الفروع .

قبل مائتى عام — أو تزيد — أدخلت فكرة التجريد على علمى الجبر والهندسة فيما سمى بالرياضيات الحديثة ، وتنقسم الرياضيات إلى فرعين متمايزين هما : الرياضيات البحتة (Pure Mathematics) والرياضيات التطبيقية (Applied Mathematics) ، ويقوم الفرع الأول على فكرة التجريد التى هى استخدام المصطلحات بأوسع دلالة لها .

فكما نقول عن كلمة (الحج) فى اللغة إنها (القصد) فأى قصد يسمى حجا بينما تعنى هذه الكلمة شرعًا قصدا معينًا هو : قصد بيت الله الحرام لأداء مناسك الحج الذى هو ركن من أركان الإسلام .

وفى الرياضيات إذا قلنا إن **(س)** هى مجموعة فإننا نعنى أى طائفة من مفردات (تسمى عناصر) ذات صفات مشتركة محددة . ويلاحظ أن التعريف عام ويتسع لأى تجمع أى أنه يحمل معنى مجرداً من الخصوصية . وفائدة فكرة

التجريد هذه أننا نستطيع إسقاط الحقائق أو القواعد أو الأفكار التى ندخلها على المفهوم العام على أى مفهوم خاص طالما كان مندرجاً تحت المفهوم العام .

أما الشطر الثانى ــ وهو الرياضيات التطبيقية ؛ فهو القسم الذى يهتم أهله بحلول مشاكل الحياة العملية فى مختلف المجالات الصناعية والتجارية والزراعية والسياسية والعسكرية مستخدمين كثيراً من فروع الرياضيات البحتة كوسائل لحلول هذه المشاكل بعد صياغتها رياضيا .

أى أن الرياضى التطبيقى (The Applied Mathematician) لابد له من الإلمام بالرياضيات البحتة ، لأنها وسيلته للصياغة والحل ، ويضاف لذلك علمه بطبيعة المسألة التى يعالجها حتى يمكنه وضع الفروض المناسبة وقبول الحلول المعقولة ورفض الحلول غير المعقولة ، التى تتولد عن المعالجة الرياضية البحتة .

وفيما يلى نتعرض لعدد من المفاهيم الرياضية قاصدين الأخذ بيد القارىء إلى دائرة المعارف الرياضية حتى يألف هذه المفاهيم ويعتاد على طريقة بناء فكر رياضى أساسه المنطق ، ولعل الأسلوب الأمثل لعرض أية فكرة أو مفهوم رياضى يقوم على الأركان الآتية :

١ ــ تعريف المفهوم . وذلك بعدة جمل جامعة مانعة .

٢ ــ ترجمة التعريف رمزيا بحيث يسمى المفهوم باسم رمزى يحمل المعنى ويصبح علما عليه .

٣ ــ ضرب مثال أو أكثر لهذا المفهوم .

وسوف نلجأ إلى مجالى اللغة العربية وعلوم الفقة ــ ما أمكن ذلك ــ حتى يمكننا إنشاء جسر بين علوم الرياضيات وبقية العلوم .

ونبدأ بمفهوم المجموعة (Set) : وهى أى تجمع من مفردات ذات صفة مشتركة محددة تسمى عناصر .

فمثلا أركان الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلا .

فاذا سمينا هذه المجموعة (ر) ورمزنا لكل ركن بحرف ابجدى مناسب كأن نقول :

س : تعنى الشهادتين (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله) .

ص : (إقامة الصلاة) .

ز : (إيتاء الزكاة) .

صه : (صوم رمضان) .

ع : (حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا) .

فإننا نكتب **ر = { س ، ص ، ز ، صه ، ع }**

ويظهر ضرورة ترتيب ذكر العناصر لارتباط ذلك بحديث المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ولأن اكتساب صفة الإسلام لايتحقق إلا بالأخذ بهذه العناصر مرتبة ومجتمعة ، وقد يكون الترتيب غير ضرورى فمثلا مجموعة المحرمات زواجا ليس من الضرورى وجودهن جميعا حتى يحرمن .

وإذا سألنا سائل هل صوم رمضان واحد من أركان الإسلام فإننا نقول : نعم ، إنه ينتمى إلى

مجموعة أركان الإسلام واختصاراً نكتب ص ∈ ر وتقرأ ص تنتمى إلى ر) . واذا سئلنا هل امتلاك بيت (ونرمز له بالرمز هـ) ركن من أركان الإسلام . **فنقول : لا ونكتب** هـ ∉ ر وعلى ذلك فالرمز ∈ يعنى « انتماء » ، والرمز ∉ يعنى « نفى الانتماء » والصفة المشتركة هنا هى أن أى واحد من المفردات هو ركن من أركان الإسلام .

وعندما تكون عناصر المجموعة كثيرة بحيث يصعب ذكرها واحدا واحدا فإننا نرمز لأى واحد منها برمز عام س مثلا ، ونكتب المجموعة بالصورة : **ل** = { **س** : حيث س أحد ألفاظ اللغة العربية } .

ونقصد من ذلك أن **ل** هى مجموعة ألفاظ العربية المفيد منها وغير المفيد . فعلى الرغم من إحصاء ألفاظ اللغة إلا أنه يصعب ذكرها ؛ لذا رمزنا بالرمز س لأى واحد منها ، وذكرنا صفته المميزة والمقصودة .

وعند ذكر مجموعة أعضاء الحواس فى الرأس (ع) مثلا نلاحظ وجود عين يمنى وأخرى يسرى كما نجد أذنا يمنى وأخرى يسرى عندئذ يمكننا ترقيم الأعين والأذنين فنقول إن العين اليمنى $ع_1$ والعين اليسرى $ع_2$ والأذن اليمنى $ن_1$ والأذن اليسرى $ن_2$ ثم نكتب

ع = { أ ، ف ، $ع_1$ ، $ع_2$ ، $ن_1$ ، $ن_2$ } .

وعلى الرغم من مرونة تعريف المجموعة واتساعه إلا أننا نستخدم كلمة مجموعة لجماعة محددة بصفة معينة ، وهذا يدفعنا إلى ذكر طائفة من ألفاظ العربية التى تعنى مجموعة أو جماعة ، حتى نتبين ثراء اللغة العربية ودقة أدائها .

ففى اللغة العربية : أمة ، طائفة ، فصيلة ، حزب ، زمرة ، ثلة ، شرذمة ، قبيلة ، قوم ، قبيل ، معشر ، فريق ، جيل ، رابطة ، نقابة ، جمعية ، طابور ، تابور ، طبقة ، فيلق ، كتيبة ، جيش ، فوج ، جمع ، جماعة ، عصابة ، عصبة ، مملكة ، جنس ، نوع ، صنف ، جالية ، عشيرة ، شيعة .

وفى التنزيل العزيز :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ الآية ١٤٣ / البقرة

والأمة : جماعة من الناس أكثرهم من أصل واحد ، تجمعهم صفات موروثة وأمانى ومصالح مشتركة ، ولغة واحدة ، أو يجمعهم أمر واحد من دين أو مكان أو زمان .

﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ الآية ٢٠ / المزمل

الطائفة : جماعة من الناس يجمعهم مذهب أو رأى يتميزون به . **أو هى الجزء والقطعة وفى علم** الأحياء وحدة تصنيفية كالحشرات من الحيوان .

﴿ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ المجادلة

الحزب : جماعة فيها قوة وصلابة ، أو كل قوم تشابهت أهواؤهم وأعمالهم .

﴿ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ الآية ٨ / الملك

﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾ الآية ٢٢ / الفجر

الصف : جماعة من العسكر من ثمانمائة الى ألف .

﴿ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ الواقعة

الثلة : الجماعة من الناس .

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾

سورة الشعراء ـ آية : ٥٤

الشرذمة من الناس : الجماعة القليلة .

ومن دعاء المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد بعد اليوم » .

العصابة : الجماعة من الناس أو الخيل .

﴿ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ الآية ٤١ / غافر

القوم : الجماعة من الناس تجمعهم جامعة يقومون لها ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ الآية ٢٧ / الأعراف

القبيل : الجيل ... الجامعة .. الاتباع

﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴾ الآية ٣٣ / الرحمن

المعشر : طائفة من الناس .

﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الآية ١٢٢ / التوبة

الفرقة : جماعة من الناس تشتمل على عدة طوائف .

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ ﴾ الآية ٧٦ / القصص

العصبة : الجماعة من الناس أو الخيل .

ويندرج تحت مسمى الرياضة البحتة عدة فروع هى الجبر ، والتحليل الحقيقى ، والتحليل المركب ، والتحليل العددى ، والتحليل الدالى والتوبولوجى ، والهندسة التحليلية والهندسة التفاضلية ، والهندسة الإقليدية (نسبة إلى إقليدس) والهندس غير الإقليدية ، والهندسة الجبرية . هذا بجانب التفاضل والتكامل ، والمعادلات التفاضلية العادية والجزئية .

كما يندرج تحت مسمى الرياضة التطبيقية عدة فروع هى الميكانيكا التقليدية غير النسبية والميكانيكا التقليدية النسبية ، وميكانيكا الكم غير النسبية وميكانيكا الكم النسبية . والميكانيكا الهندسية ، والميكانيكا التحليلية ، وميكانيكا الموانع الساكنة والمتحركة والمرونة ، ونظرية الكهرباء والمغناطيسية الساكنة والمتحركة (الكهروستاتيكا والالكتروديناميكا) النسبية وغير النسبية والميكانيكا السماوية وعلوم الحاسبات .

ونتيجة للتطور السريع والتقدم النشط فى مختلف فروع العلم فقد ماعت الفروق الحادة بين شطرى الرياضيات وتداخلت المفاهيم بين القسمين وهذا يدعو إلى ضرورة إعادة النظر فى الخطط البعيدة المدى لبرامج الدراسات العليا والبحوث حتى يمكن بناء فكر موسوعى للباحثين يقوم على قاعدة عريضة من المعرفة المتواصلة بدلا من التقوقع والانغلاق حتى يمكن إعداد جيل من العلماء قادر على الأخذ بمقود التقدم .

التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/ عبدالسلام إبراهيم ناصف

تمهيد :

بينما ينازع أهل الغرب أهل الشرق فيمن أسس بنيان علم الاجتماع ومن مهد لتعميم آرائه ونظرياته ، ومن له فضل السبق فى هذا المضمار الإنسانى الرفيع ، متخذين من (دوركايم) مؤسسا له غامدين دور ابن خلدون فيما كتب فأبدع ـ تصر الولايات المتحدة الامريكية على دور « بارسونز » فى تأسيسه .

واذا كان من بدهيات النظرة فى هذا العلم أن الأسرة نواة المجتمع وأن المجتمع ما هو إلا مجموع الأسر فى كل مكان ، وأن الشذوذ الاجتماعى يتأتى غالبا من تكوين لا يتسم بالوضع الأسرى .. إذا كانت هذه هى الحقيقة ، فكيف نغفل عن دور الوالدين فيما يبثانه فى الطفل فينمو عليه من خير أو شر ... وهل يستطيع أن ينكر ذلك أحد ..؟!

واذا كانت هذه هى الحقيقة فكيف نغفل دور رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين يقول : ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه ـ رواه البخارى .

فهل تقدم على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أحد فى مضمار الاجتماع ..؟!

وفى قوله صلوات الله وسلامه عليه ما يشفى الغلّة حول هذا المبحث الإنسانى الذى يحدد خطوات عملية التنشئة الاجتماعية وما لها من أثر فى تربية الإنسان وتفاعله مع أعضاء مجتمعه وتكيفه معهم وتقبله لمعتقداتهم ومبادئهم ومُثلهم بل وحمايتها والدفاع عنها ، وبذل النفس والثمرات من أجل الذود عنها .

• • •

يولد الطفل ولديه إمكانيات سلوكية متعددة ، ويقوم مجتمعه : بأفراده ومؤسساته بتدعيم وتنمية هذه الإمكانيات على نحو يتفق مع ثقافته .. فسلوك الفرد محصلة للتفاعل بين رافدين أساسيين هما خصائص الفرد البيولوجية (إمكانياته) والبيئة الاجتماعية .

لذا فإن عملية التنشئة الاجتماعية التى يقوم بها المجتمع لأطفاله الصغار من أهم العمليات التى تعمل على استمرارية المجتمع وتواصله وتحافظ على

وحدته وتماسكه بتزويد أفراده الصغار بأنماط السلوك الانسانية التى تميزه عن غيره من المجتمعات وبمعنى آخر فهى تحوله من « كائن بيولوجى »[1] إلى إنسان اجتماعى إذ هو يتعلم الأساليب التى تساعده على البقاء والمحافظة على حياته معتمداً على نفسه وإمكانياته لتحقق له شخصيته وإنسانيته فيمتص قيم مجتمعه وعاداته وتقاليده ليصبح عضواً منسجما فيه يتقبل أحكامه وأعرافه بل ويدافع عنها .

(فأطفال الغابة) نتاج للتربية بعيداً عن التنشئة الاجتماعية حين يتركون فى عزلة مع الحيوانات بلا رعاية . فخصائصهم البيولوجية لا تمكنهم وحدها من اكتسابهم صفة الانسانية اذ لن يستطيعوا تنمية مهاراتهم اللغوية او الفكرية أو الحركية التى يتميز بها المجتمع الإنسانى نتيجة لعزلتهم عن التفاعل الاجتماعى مع بنى البشر .

وتقوم التنشئة الاجتماعية السليمة على التوازن بين حاجة الفرد ومطالب المجتمع فهو يكتسب من مجتمعه الاعتماد على نفسه والاتصال ببقية أفراد مجتمعه وإقامة علاقات ناجحة معهم بالتزامه بمعايير سلوكية طيبة والسير على مقتضاها فى مراحل حياته المتغيرة والمتطورة .

ومن ثم فالتنشئة الاجتماعية تتضمن تنمية وتدعيم أنماط سلوكية مرغوبة من جانب ؛ واقتلاع أنماط سلوكية غير مرغوب فيها لا تتناسب مع ثقافة المجتمع من جانب آخر .

ويختلف تأثير كل جماعة عن الأخرى فى حياة الفرد لكنها فى مجموعها تتحدد بالإطار الثقافى مهما اختلفت أساليبها فى عملية التنشئة الاجتماعية .

فالأسرة ــ التى تعتبر المؤسسة الأولى فى توفير فرص التفاعل الاجتماعى للفرد ــ هى البيئة الأولى التى يتم فيها تكوين نماذج السلوك المرغوب فيه اجتماعيا . حيث إنها تتميز بقوة الارتباطات العاطفية بين أفرادها التى تؤثر فى استجابة الفرد لعناصر التنشئة الاجتماعية فهو يتعلم أنماط سلوك التغذية والنظافة والعناية بصحته ثم يتعلم مهارات الاتصال الاجتماعى والمشاركة الاجتماعية كأساس لنجاحه فى علاقاته مع الآخرين . عن طريق التقليد والملاحظة والمشاركة والقدوة والرغبة فى الثواب والخوف من العقاب .

ولا تنتهى التنشئة الاجتماعية عند مرحلة معينة لكنها عملية مستمرة طوال حياة الفرد فلكل مرحلة أساليبها ومطالبها ولابد للفرد أن يتعلم أنماط سلوكها ويتكيف مع أعضائها وعاداتهم وسلوكهم . **والفرد لا يأخذ فقط وإنما يضيف ويحدد ويطور ويغير . خاصة فى المراحل السنية** التالية .

لذا يرجى من القائمين على عمليات التنشئة الاجتماعية أن يراعو التدرج فى المستويات الخلقية المطلوبة لكل مرحلة من مراحل سنىّ الحياة والموازنة بينها وبين قدرات الطفل وإمكانياته دون **مغالاة ودون تحيز أو تضارب حتى يشب الفرد** منسجما متكيفا مع مجتمعه .

وسوف نواصل بيان الأنماط السلوكية الاسلامية للطفل فى كلماتنا القادمة .

«وَيخلقُ مالا تعلمونَ...»

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (*)

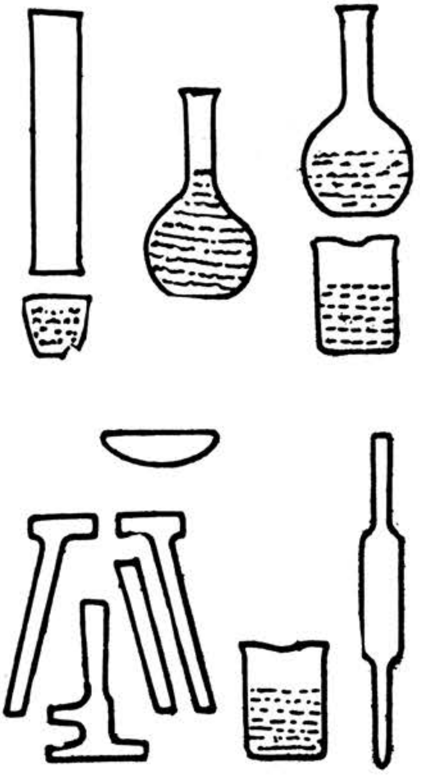

● الموجات الكهربائية للمخ لتشغيل الحاسب الآلى

أنتجت شركة أمريكية للتكنولوجيا برنامجا للحاسب الآلى يتم تشغيله عن بعد بالموجات الكهربائية للمخ ، وتعتمد هذه التقنية على فكرة رسام المخ الكهربائى الذى يسجل النبضات الكهربائية الدقيقة التى تحدث فى المخ ، فعن طريق أقطاب مثبتة فى طوق يوضع حول الرأس ترصد الموجات الكهربائية داخل المخ ، وتترجم التغيرات فى هذه الموجات إلى تأثيرات تظهر على شاشة الحاسب الآلى ، ويمكن استخدام هذه التقنية فى قيادة الطائرات بمجرد التفكير ، والتقاط نمط نشاط المخ بمجسات خاصة ونقله إلى الحاسب الآلى فى غرفة القيادة وتتحرك تبعا له الطائرة ، وبنجاح هذه التقنية ستساعد الكثير من الطيارين المعاقين على قيادة الطائرات الحربية بمجرد النظر .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدق ..

● خوذات (الكترونية) للممرضين لإسعاف المرضى

أعلنت إحدى الشركات البريطانية للاتصالات أنه فى غضون سنوات قلائل سيكون هناك متعاونون طبيون قادرون على فحص المصابين والتصرف الطبى بناء على تعليمات توجه إليهم عبر جهاز يربطهم بطبيب مختص فى إحدى المستشفيات المتخصصة ، والجهاز عبارة عن خوزة يرتديها رجال الإسعاف ومزودة بآلة تصوير وميكروفون ، ويتم نقل الصور واستفسارات رجال الإسعاف عبر الأقمار الصناعية إلى الطبيب المختص الذى يقوم بنقل إرشاداته الطبية إلى رجال الإسعاف دون الحاجة إلى تواجد الطبيب المختص فى مكان الحادث .

● أمراض يسببها الحاسب الآلى

تمكن فريق من الباحثين السويديين من التوصل إلى معرفة الأسباب التى تؤدى إلى أمراض الحاسب الآلى حيث تعود بالدرجة الأولى إلى الإجهاد والتوتر النفسى نتيجة متابعة نقاط الانبعاث على الشاشة وليست بسبب الإشعاع فقط كما كان رائجا من قبل ، وقد سجل الفريق الباحث زيادة ملحوظة فى نسبة بعض الهرمونات التى تسمى بهرمونات التوتر لدى تحليل دم بعض المصابين بمرض الحاسب الآلى ، ونصح الباحثون العاملين على الحاسب الآلى بالابتعاد عنه فور الشعور بهذه الأعراض والتأكد من زوالها قبل مزاولة العمل مجددا .

● نظام (الكترونى) لتوجيه السيارات

صممت شركة فرنسية لصناعة السيارات نظاما الكترونيا حديثا يوضع فى الجسم الخارجى للسيارة يلتقط إشارات المرور باستخدام الموجات اللاسلكية وتحت الحمراء ، ويتم بواسطته إرسال المعلومات والتعليمات إلى السيارة للإسهام فى توجيهها الكترونيا بالشوارع وضمان سلامتها .

● دراسة تكشف أهمية حشرة الجراد للنبات

اكتشف أحد علماء البيئة المتخصصين فى جامعة « جورجيا » أن الجراد بينما يشرع فى التهام بعض من أوراق النباتات التى يتوقف عليها يمنح للأوراق الأخرى التى يلامسها دون أن يأكلها نوعا من البروتين النادر المحفز للنمو ، وتوجد هذه الجزيئات البروتينية الدقيقة فى لعاب الجراد وتسمى « منشطات النمو » وتساعد النبات على الاستفادة القصوى من الهرمونات التى يفرزها ذاتيا لتحفيز نموه وتسمى « الأوكسينات » .

● مضخة طلاء جديدة

صنعت شركة أوربية مضخة طلاء جديدة تصلح لرش الدهان (اللاكيه) أو الوان الأثاث أو

الطلاء أو مزيج من الأصباغ المختلفة ، والمواد القابلة للتحلل فى الماء ، وتتكون المضخة من مرشح كبير وخراطيم للهواء وللمادة المستخدمة فى الرش ، وتحتوى على مسدس خفيف مزود برأس وأنابيب لضمان جودة الرش ، وتتميز هذه المضخة بأنها تحافظ على مادة الرش وتوفرها وتقلل نسبة التلوث ، كما أنها تعمل بدون صوت فلا تسبب أى ضوضاء أو تلوث للبيئة .

● جهاز آلى لتحويل العملة

أنتجت شركة فرنسية متخصصة فى الأجهزة البنكية جهازا آليا يقوم بتحويل العملات الأجنبية إلى عملة محلية طوال ٢٤ ساعة متواصلة يوميا ، ويتميز بصغر حجمه ، ويمكن وضعه أمام البنوك وفى الفنادق والمطارات ، ويتكون الجهاز من وحدة قبول العملات الأجنبية ، ووحدة توزيع الأوراق المالية ، ووحدة توزيع القطع النقدية المختلفة ، ووحدة طابعة لتسليم الايصالات ، وشاشة بزجاج مضاد للكسر .

● جهاز لتخفيف آلام المفاصل

تقوم شركة أوربية بتسويق جهاز لتخفيف الألم بعد أن أثبتت التجارب التى أجريت فى المستشفيات فاعليته فى تخفيف الآلام المزمنة فى الفقرات القطنية أو فى العنق ، يعمل الجهاز بالضغط على بلورتين من الكوارتز مما يولد تيارا كهربائيا ضغطيا ذا تردد عال وطاقة منخفضة آمنة للجسم البشرى ، ومسكنة لآلام المفاصل والعضلات ، ويكفى تمرير الجهاز على منطقة الألم لمدة دقيقتين فقط ، فيهدأ الألم لمدة ثلاث ساعات ، ويتميز الجهاز بعدم وجود آثار جانبية له ، كما يقلل من استهلاك الأدوية المسكنة للألم .

● الهندسة الوراثية لعلاج العقم

نجحت مجموعة من الأطباء بجامعة بروكسل ببلجيكا فى علاج عقم مجموعة حالات مستعصية باستخدام هرمون مصنع عن طريق الهندسة الوراثية يحفز عملية التبويض لإحداث التلقيح والحمل ، والهرمون الجديد نقى جدا ، ويمكن إنتاجه بكميات كبيرة ، ولكن البحوث عليه سوف تستغرق عدة سنوات قبل أن يتم إنتاجه على مستوى تجارى .

● جهاز آلى يعمل كجراح للمخ والأعصاب

تقوم حاليا شركة بريطانية للأجهزة الطبية ببناء أول جهاز آلى « روبوت » فى العالم يمكنه إجراء عمليات جراحية معقدة فى الدماغ البشرى ، وهو عبارة عن منظار مزود بكاميرا ذاتية الحركة تمكن الجراحين من استكشاف العالم الداخلى لأجسام مرضاهم ، ويستطيع هذا الجهاز استئصال أورام المخ بعد أن يأخذ منها عينات يقوم بتحليلها ومقارنة نسيجها المريض بأنسجة المخ السليمة .

اللغة والنقد

والأدب

نظرات
فى ألفاظ القرآن الكريم

مادة حج

بقلم الشيخ / عبد الفتاح السيد جمعان

ثانيا : «حِجَّة»

الصيغة الثانية من صيغ هذه المادة (حجة) ذكرت فى القرآن الكريم مرة واحدة مجموعة (حجج) فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا شعيب لسيدنا موسى .

﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾(١)

أى قال شعيب لموسى ـ عليهما السلام ـ بعد أن تأكد من عفته وأمانته وقوته ومروءته : أريد أن أزوجك إحدى بنتى اللتين رأيتهما عند الماء تذودان أغنامهما وسقيت لهما ، أزوجك واحدة منهما على أن ترعى غنمى ثمانى سنين فان تبرعت بزيادة فهو إليك وإلا ففى الثمان كفاية وما أرد أن أرهقك ولا أوذيك ولا أماريك وسترانى ان شاء الله من الصالحين .

فالحجج جمع بكسر الحاء وهى السنة الكاملة وقد استدل العلماء بهذه الآية على عدة أمور :

(١) جواز زيادة الثمن فى بيع الأجل على بيع النقد وهو مذهب الاوزاعى «رضى الله عنه».

(٢) جواز استئجار الأجير بطعامه وكسوته وهو مذهب الحنابلة واستأنسوا لهذا ما رواه ابن ماجه فى سننه ان رسول الله «ﷺ» قال:

(ان موسى أجر نفسه ثمانى سنين أو عشر سنين بعفة فرجه وطعمة بطنه) .

(٣) استدل أصحاب أبى حنيفة بهذه الآية على صحة البيع فيما اذا قال بعتك أحد هذين العبدين بمائة فقال اشتريت فإنه يصح .

(٤) وقالوا إن ذا المرؤة اذا وعد بأحد شيئين أدى أفضلهما وأكملهما لما رواه البخارى ـ ان ابن عباس لما سئل عن أى الأجلين قضى موسى عليه السلام قال:

---

(١) الآية ٢٧ من سورة القصص .

(قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله إذا قال فعل) .

ثالثا : الحُجّة

ومن صيغ هذه المادة فى القرآن الكريم لفظ الحجة وهى اسم مضعف على زنة فعلة لبرهان أهل الحق والدليل المقنع والبينة والبرهان البالغ درجة اليقين أو ما يحتج به الإنسان ليبين صحة رأيه ومن اشتقاقاتها المحجة وهو المقصد المستقيم وكأن صاحب الحجة سلك فى برهانه مقصدا اقتضى صحة أحد النقيضين أو المتخاصمين[٢] .

وقد جاء لفظ الحجة فى كتاب الله تعالى سبع مرات نستعرضها على النحو التالى :

(١) قوله تعالى فى معرض الحديث عن القبلة :

﴿ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[٣]

والمعنى :

عرفكم الله تعالى أمر القبلة لئلا يحتج عليكم اليهود فيقولوا يجحد ديننا ويتبع قبلتنا فتكون لهم حجة عليكم أو لئلا يتحجج عليكم المشركون فيقولوا يدعى محمد ملة ابراهيم ويخالف قبلته ومع وضوح الأمر على هذا النحو سيبقى الذين ظلموا على عنادهم[٤] ولجاجتهم وهم السفهاء الذين قال الله فيهم :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٥]

وكلامهم هذا لايعد حجة لأنه شبهة باطلة والحجة هى البرهان القاطع وقد عدها القرآن حجة لأنهم ساقوها مساق الحجة واحتجوا بها[٦] .

(٢) قوله تعالى :

﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[٧] .

أى أرسل الله رسلا يبشرون الطائعين بالجنة وينذرون العصاة بالنار ليقطع حجة الناس لو لم تأتهم الرسل اذ يقولون لو أرسل الله الينا رسلا لآمنا وأطعنا فقطع الله حجتهم بإرسال الرسل

---

(٢) بصائر ذوى التمييز جـ ٢ ص ٤٣١ وما بعدها والمعجم القويم جـ ١ ص ١٤٢ ومابعدها (بتصرف كثير)

(٣) الآية ١٥٠ من سورة البقر .

(٤) صفوة التفاسير للصابونى المجلد الاول ص ١٠٥ .

(٥) الآية ١٤٢ من سورة البقرة .

(٦) روح المعانى للألوسى جـ ٢ ص ١٧ (بتصرف) .

(٧) الآية ١٦٥ من سورة النساء .

والحجة المفترضة هنا برهان حقيقى لو كانت؛وهيهات لأن الله قطعها وهو العزيز الغالب فى المحاجة وغيرها الحكيم فى صنعه وتصرفاته.

(٣) قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴾(٨) .

والمعنى :

أن الله تعالى أيد خليله ابراهيم بالحجج الباهرة التى احتج بها على قومه فى اثبات وحدانية الله من أفول الكواكب والشمس والقمر لتكون له الحجة الدامغة على قومه لأنه سبحانه يرفع من اصطفاهم درجات بالعلم والفهم والنبوة لأنه حكيم يضع الأمور فى مجالها عليم لاتخفى عليه خافية، وقال مجاهد : الحجة هى قوله : ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٩) .

وقد صدق الله وحكم له بالأمن والهداية فقال :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾(١٠) .

(٤) قال تعالى :

﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾(١٢) .

والمعنى :

ان شبهتكم الباطلة التى تحتجون بها لشرككم حين قلتم .

﴿ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ ﴾ .

هذه الحجة الباطلة لاتقيم لكم عند الله عذرا ولاتدفع عنكم عقاب هذا الشرك الذى غرقتم فيه فقد أقام الله عليكم الحجة بأن جعل لكم سمعا وأبصارا وأفئدة وأرسل لكم الرسل فلله ــ أبدا ــ الحجة البالغة التى لاتنقض ولا تدحض فأنتم لم تقيموا على قولكم السابق برهانا من نقل أو عقل(١٣) .

---

(٨) الآية ٨٣ من سورة الأنعام .

(٩) الآية ٨١ من سورة الانعام .

(١٠) الآية ٨٢ من سورة الانعام .

(١١) تفسير ابن كثير المجلد الثانى ص ١٤٧ .

(١٢) الآية ١٤٩ من سورة الانعام .

(١٣) التفسير القرآنى للقرآن للأستاذ/ عبدالكريم الخطيب مجلد ٢ ص ٣٣٧ (بتصرف) .

(٥) قال تعالى : ﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١٤) .

وفى هذه الآية جاءت الحجة بمعنى مخالف لما سبق فالمراد بها هنا الخصومة والمنازعة والمحاجة أى أن الأمر واضح بغير محاجة فلا يحتاج إلى حجة فلا ينبغى أن تكون بيننا خصومة أو منازعة ومعنى الآية بايجاز أن الله أمر رسوله أن يدعو إلى الدين الحق وأن يستقيم عليه كما أمر ولايتبع أهواء الكافرين فى مفترياتهم وأن يعلن ايمانه بجميع الرسل والكتب وأن يقول لهم إن الله أمرنى أن أعدل بينكم فى الحكم فهو سبحانه المعبود لا إله غيره الذى يجمعنا جميعا يوم القيامة فيجازى كلا على عمله فلنا ثواب أعمالنا ولكم جزاء أعمالكم وإذا كان الأمر كذلك فلا محاجة بيننا وبينكم لأن الأمر واضح لا يحتاج إلى خصومة والى الله المرجع والمصير .

(٦) قوله تعالى بعد الآية السابقة .

﴿ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾(١٥) .

والحجة هنا بمعنى الدليل الباطل وسمى حجة مجاراة لهم لأنهم يعتبرونه حجة فى زعمهم. والمعنى أن الذين يجادلون فى دين الله من اليهود فيقولون للمسلمين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم وذلك بعد الاستجابة لهذا الدين ودخول الناس فيه أفواجا وبعد أن أقروا هم بصفات رسول الله فى كتابهم وبعد أن استجاب الله لرسوله فأيده بالمعجزات ، هؤلاء حجتهم باطلة ودليلهم واه وقد غضب الله عليهم وأعد لهم العذاب الشديد(١٦).

(٧) قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾(١٧) .

والمراد بالحجة هنا شبهة الكفار الباطلة فسماها حجة لأنها كذلك فى زعمهم الفاسد ، والمعنى والله أعلم : اذا تليت آيات الله الواضحات ناطقة بقدرة الله على البعث وإحياء الموتى ماكان للمشركين من شبهة الاّ أن قالوا للرسول ﷺ والمسلمين : أحيوا آباءنا وأسلافنا الذين ماتوا حتى نسألهم عن صحة ماتدعون من البعث إن كنتم صادقين فى دعواكم تلك(١٨) .

---

(١٤) الآية ١٥ من سورة الشورى .

(١٥) آية ١٦ من سورة الشورى .

(١٦) روح المعانى جـ ٢٥ ص ٢٥ (بتصرف) .

(١٧) آة ٢٥ من سورة الجاثية .

(١٨) التفسير الواضح جـ ٢٥ ص ٨٥ .

رابعا : المحاجة وما اشتق منها

وهناك ألفاظ من هذه المادة تتصل بالحجة بسبب قوى إذ هى من مشتقاتها وهى ألفاظ المحاجة وقد ذكرت فى الكتاب العزيز ثلاث عشرة مرة كلها أفعال منها خمس بصيغة الفعل الماضى وثمان بصيغة الفعل المضارع وكلها تفيد المحاجة وهى أن يورد كل خصم على صاحبه حجة وهذا يقتضى أن يكون مايورده المبطل حجة فى زعمه على الأقل أو من باب المشكلة كما سبق أن ألمحنا إلى ذلك فى استعراض ألفاظ الحجة .

ولنأخذ فى استعراض هذه الألفاظ بايجاز :

(١) قال تعالى : ﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[١٩] .

أى قال رؤساء اليهود لمن دونهم حين قالوا للمسلمين آمنا بمحمد مثلكم لأن أوصافه ثابتة فى كتابنا قال الرؤساء لهؤلاء أتحدثونهم بما فتح الله عليكم فى التوراة من وصف محمد لتكون بذلك الحجة عليكم أو ليحاجوكم فى ربكم لأنه ألزمكم باتباع محمد أو ليحاجوكم بذلك يوم القيامة[٢٠] .

(٢) قال تعالى :﴿ قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴾[٢١]

أى قل يامحمد لليهود أتجادلوننا فى نبوة محمد قائلين نحن أحق بالرسالة من العرب لأننا أهل كتاب وهم عبدة الأوثان فلو أرسل لكان منا فنحن أبناء الله وأحباؤه ويمكن أن يكون الكلام للعرب لقولهم: ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾[٢٢]

وقيل الخطاب للجميع[٢٣] .

(٣) قال تعالى:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ .... ﴾[٢٤]

والمعنى :

ألم تفكر يامحمد فى شأن هذا الطاغية الذى ادعى الألوهية لأن الله أعطاه الملك أربعة قرون

(١٩) آية ٧٦ من سورة البقرة .

(٢٠) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢١) الآية ١٣٩ من سورة البقرة .

(٢٢) الآية ٣١ من سورة الزخرف .

(٢٣) مفاتيح الغيب للرازى جـ ٢ ص ١٨٩ .

(٢٤) الآية ٢٥٨ من سورة البقرة .

فلما دعاه إبراهيم إلى الإيمان بالله حاجه وجادله ابراهيم بدوره فغلبه إذ قال له إن كنت إلها حقا فائت بالشمس ولو مرة واحدة من جهة الغرب فبهت اللعين لأن الله لايهدى الظالمين إلى البرهان الصحيح(٢٥) .

(٤) قال تعالى : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾(٢٦) .

والمعنى :

فإن جادلوك يامحمد فى شأن نبوّتك أو بشرية عيسى بعد العلم اليقين الذى جاءتهم به التوراة فى هذين الأمرين فإن جادلوك بعد ذلك بالمغالطات والأقاويل المزورة ففوض أمرك إلى ماكلفت به من الايمان والتبليغ وعلى الله نصرك ..(٢٧) .

(٥) قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(٢٨)

أى فمن حاجك وجادلك من أهل الكتاب فى شأن عيسى عليه السلام من بعد ماجاءك من العلم فيه بأنه عبد الله ورسوله وأن مثله كمثل آدم خلقه من تراب فمن خاصمك فقل لهم تعالوا ندع نحن وأنتم خاصتنا من الأزواج والذرية ثم نجتهد فى الدعاء باللعن على الكاذب من الفريقين ....(٢٩) .

(٦) قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾(٣٠) .

والمعنى :

يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى لم تجادلون فى ابراهيم ويدعى اليهود أنه كان يهوديا ويدعى النصارى أنه كان نصرانيا مع أن الديانتين وكتابيهما ورسوليهما كانا بعد ابراهيم بمئات السنين فكيف ينتسب السابق للاحق أفلا تعقلون(٣١) .

---

(٢٥) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٩٦ .

(٢٦) الآية ٢٠ من سورة آل عمران .

(٢٧) تفسير القرطبى ص ١٢٨٧ ـ ط. الشعب .

(٢٨) الآية ٦١ من سورة آل عمران .

(٢٩) تفسير القرطبى ص ١٣٤٦ ـ ط. الشعب .

(٣٠) الآية ٦٥ من سورة آل عمران .

(٣١) روح المعانى جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٧) قال تعالى :

﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٣٢)

والآية تتمة لإبطال محاجة أهل الكتاب فى ابراهيم عليه السلام فإذا جاز أن يجادلوا فى شأن موسى وعيسى لأن عندهم علم بهما فلا يجوز أن يجادلوا فى أمر إبراهيم إذ لا علم عندهم به وإنما علم ذلك عند الله أما أنتم فلا تعلمون(٣٣) .

(٨) قال تعالى : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ ﴾(٣٤) .

والمعنى :

ينهى طائفة من اليهود طائفة أخرى منهم أن لايؤمنوا إلا لمن كان على شاكلتهم وينهونهم عن إظهار ماثبت لديهم من أن المسلمين أوتوا كتابا سماويا مثلهم ولهم رسول كرسولهم حتى لايحاجوهم يوم القيامة فتلزمهم الحجة(٣٥) .

(٩) قال تعالى :

﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ ... ﴾(٣٦) .

والمعنى :

أن قوم ابراهيم عليه السلام جادلوه فى توحيد الله فأنكر عليهم ذلك وقال كيف تجادلوننى فى الله بعد أن هدانى إلى الإيمان به.

(١٠) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾(٣٧)

والمعنى :

والله أعلم إن الله تعالى يخبر عن تخاصم أهل النار فى النار فيقول الأتابع للسادة إنا أطعناكم فيما دعوتمونا إليه من الكفر فى الدنيا فهل تتحملون عنا اليوم جزءا من العذاب ...(٣٨)

هذا والله أعلم وبه التوفيق

---

(٣٢) الآية ٦٦ من سورة آل عمران .

(٣٣) روح المعانى جـ ٣ ص ١٩٤ .

(٣٤) الآية ٧٣ من سورة آل عمران .

(٣٥) روح المعانى للألوسى جـ ٣ ص ٢٠٠ (بتصرف) .

(٣٦) الآية ٨٠ من سورة الأنعام .

(٣٧) الآية ٤٧ من سورة غافر .

(٣٨) تفسير ابن كثير جـ ٤ صـ ٨٠ .

الجيل الثانى أو الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

الشيخ عبدالمتعال الصعيدى
« ١٨٩٤ ـ ١٩٥٨ »

هذا الشيخ العلامة اللغوى الثبت فضيلة الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، المؤلف ، المحقق الذى أثرى المكتبة اللغوية : النحوية والصرفية والبلاغية والتاريخية والنقدية بالكثير والكثير من المؤلفات النفيسة ، والتحقيقات القيمة على مدار ثلث قرن من الزمان تقريباً أو يزيد .

ولد ـ رحمه الله ـ سنة أربع وتسعين وثمانمائة وألف ، وتوفى رحمه الله سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف .

ولد الشيخ الصعيدى فى قرية (النجبة) ، أو (النجباء) من أعمال مديرية الدقهلية ، وأصل هذه القرية من صعيد مصر ، لكنها أشخصت إلى الوجه البحرى إذ ضربت بجرانها ، وألقت عصاها وعدنت فى هذه البقعة من محافظة الدقهلية ، وهى تتبع مركز أجا .

واسمه : عبد المتعال بن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد الصعيدى ، نشأ فى قريته فلاحاً مصرياً فى أسرة مسماة بأسرة الصعيدى . وهذا اللقب غالباً ما يطلق على كل أسرة نزحت من صعيد مصر ، تمييزاً لها عن باقى جيرانها .. لكن أسرة عبد المتعال الصعيدى نزحت من قديم ، والدليل على هذا انقطاع صلتها بالموطن الأصلى فى الصعيد انقطاعاً تماماً ، وقد عرف هذا أكثر معارفهم .

بيد أنه تنوقل أن أصلها من قرية تسمى : (التيتلية) بجوار بنى عدى ، وأنها منسوبة للأشراف إلى آل بيت رسول الله ﷺ .

كانت قرية (النجباء) التى ولد بها شيخنا محدودة صغيرة تحتوى على أعداد معروفة من الأسر وهى ـ لابد ؛ بل حتما ـ نجدُ فى هذه النجوع أو الدساكر والأصقاع ، حيث تتداخل الأسر فى بعضها بطبيعة الحال ، ويكثر الزواج من بعضها البعض ، وهذا المعهود فى كل القرى .

ولوحظ أن كل الأسر فى (كفر النجباء) ، وهى التى لا تربو على أربع تعيش كلها فى مستوى متقارب ؛ إذ تكاد تكون جميعها من الطبقة المتوسطة ، وربما كان هذا منطوياً على خير وسعادة ، وذلك لخلوها من الإقطاعيين ، فالناس فيها كلهم طبقة واحدة ، وفى مستوى واحد ، مما أورث الشيخ الصعيدى عزة وإباء نفسى .

كان أبوه يحفظ القرآن الكريم ، ويجيد القراءة والكتابة ، ولعله كان الوحيد فى أسرة الصعيدى الذى نال هذه الحظوة والبركة السابغة إذ أن أفراد الأسرة كانوا مشتغلين بالزراعة ، فقد كانت مصدر رزقهم الأوحد ، ولذلك اشتغل عبد المتعال أول حياته ، وفى الطوْر الأول من

عمره ، مع إخوته فى الزراعة وفلاحة الأرض .

وكان أبوه قد اختلف إلى طنطا للاشتغال بطلب العلم نحو سنة ، ثم انقطع عن ذلك متفرغاً للعمل بالزراعة مع باقى أفراد الأسرة .

ولم يمض على ولادة الشيخ عبد المتعال إلا شهر واحد حتى مات أبوه ــ رحمه الله ــ فيما بين العشرين والثلاثين من عمره فى شرخ شبابه .

لذلك فقد تعهدته أمه ــ رحمها الله ــ بالتربية وأعطيت نصيبها من ميراث أبيه ، وكان منزلا متواضعاً وقطعة أرض بسيطة ، وهو ــ وإن كان ميراثاً قليلاً ــ إلا أنه كان مباركاً فيه .

لكن لابد من شىء من المعاونة ، وكان جده لأمه حياً فشمله وأمه برعايته وحدبه ومكانفته ، وقد كان رجلاً شهماً طيباً مغداقاً .

وجدير بالذكر أن أباه الذى مات صغيراً فى عنفوان شبابه كان قبل وفاته بأيام يوصى زوجته بأن تحفظ وليدها القرآن الكريم ، وتدخله الأزهر فى حين أنه لم يكن متعلماً ولا أزهرياً .

لم يقف الأمر عند مجرد الوصية الشفوية لكنه كان يهددها بأنها إن لمن تنفذ هذه الوصية ، فإنه سوف يأتيها مناماً ويطبق على عنقها ويخنقها .

فقامت الأم ــ رضى الله عنها وأرضاها ــ جاهدة صابرة محتسبة تعمد إلى تنفيذ وصية هذا الزوج الراحل عن عالم الفانية إلى الباقية .

وهى فى سبيل إصرارها على تنفيذ هذه الوصية قدمت من التضحيات ما لايطاق من مثلها ، وهى فى صباها الباكر إذ صرفت عنايتها ورعايتها وجهدها لتنشئة ابنها تنشئة صالحة ، ليكون عالما أزهريا من أعلام عصره ، كما كان يرجو أبوه أن يكون ، وقد كان .

وبعد أن قضى عبد المتعال طرفاً من عمره الباكر فى الفلاحة تحول عنها ، وأشاح بوجهه عن طريقها واستدبرها تماماً منصرفاً إلى الكتاب فى القرية حيث حفظ القرآن الكريم ، وكان ذلك وهو فى سن التاسعة من عمره .

كان الصعيدى محوطاً بعناية الله ، مرعياً بالتوفيق والتسديد ؛ إذ سارت حياته ميسرة فى كتاب القرية الذى أدركته نهضة تجديدية مثيرة ، وفيه تعلم الخط وتجويده عل قواعده الثلاث : النسخ والرقعة والثلث . ثم تعلم المطالعة فى كتاب (الفوائد الفكرية) من تأليف على فكرى باشا ، وهو كتاب نفيس شائق .

ثم سورع بإنشاء مدرسة أولية حديثة فى ذلك الوقت بدعوة نظارة المعارف العمومية فى قرية النجبا ، وكان من حظ عبد المتعال أن يكون واحداً من تلاميذ تلك المدرسة العصرية المتطورة آنذاك ، وكان لعبقريته ونبوغه أول زملائه فى تلك المدرسة ، وقد شهد له مفتش وزارة المعارف العمومية بالتفوق والتبريز حتى أنه ناداه أمام زملائه بقوله : يا عبد المتعال بك .

ثم أتم دراسته بالمدرسة الأولية فى سنوات أربع إلى أن بلغ عمره ثلاث عشرة سنة تماماً ، كان فيها مكبا على العلم مقبلا على التحصيل بشغف ونهم لتشجيع أمه ورعاية جده ــ رحمهم الله جميعاً .

انتقل الصعيدى ــ بعد ذلك ــ إلى النظام الحديث الذى يجمع بين العلم الأزهرى القديم ، وبين العلم الحديث ، فالتحق بالجامع الأحمدى بطنطا ، وكان كدأبه وعادته متفوقاً على كل أترابه وأقرانه .

ثم إنه قد بلغ من نبوغه وتبريزه أنه لم يكتف ــ فى السنة الأولى له بالمعهد الأحمدى ــ بمذكرة شرح الأجرومية فى علم النحو ، وقد كان هذا

الكتاب مقرراً على السنة الأولى ، بل اشترى كتاب : (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك) وهو لم يكن مطلوبا منه فى تلك السنة الأولى .

ولما تقدم للامتحان فى علوم الشهادة الأولية كان الممتحن له هو الشيخ حسنين محمد مخلوف ـ مفتى مصر الأسبق ـ وكان هو الآخر صعيدياً من (بنى عدى) فلما مثل أمامه سأله الشيخ مخلوف :

ـ هل أنت صعيدى ؟

قال عبد المتعال :

ـ نعم .

ـ من أى بلد فى الصعيد ؟

ـ من بلدة التيتلية .

فاستغرب الشيخ حسنين مخلوف من عجيب المصادفة إذ إن هذه البلدة تجاور قريته « بنى عدى » ، فهش لعبد المتعال واغتبط اغتباطاً شديداً لذلك :

حصل على الشهادة الثانوية من المعهد الأحمدى ، وكان وهو فى السنة الرابعة بالمعهد يعد نفسه لامتحان العالمية التجريبى حتى يتسنى له بعد ذلك التقدم لامتحان العالمية فى الأزهر الشريف ، وكان امتحاناً عسيراً له هيبته ورهبته وروعته وترويعه .

اجتاز امتحان العالمية بنجاح وتفوق إذ كان ترتيبه الأول بالنسبة إلى طلاب معهد طنطا والثالثة بالنسبة إلى طلاب معهدى طنطا والإسكندرية .

تم تعيينه بعد ذلك مدرساً بالمعهد الأحمدى ، وكان قد حاول أن يسلك طريقاً حديثة فى تدريس النحو العربى تخالف وتباين الطريقة الأزهرية المألوفة ، وفى المعهد الأحمدى كان موكولا إليه تدريس متن الأجرومية لطلاب السنة الأولى بالقسم الأول ، مع شرح الشيخ الكفراوى عليها .

وقد تجلت آية ابتكاره للوسيلة التعليمية الحديثة فى كتابه الموسوم بـ « الأجرومية العصرية » وكتابه (نقد نظام التعليم الحديث للأزهر) وقد كان فى قرارة نفسه وفى معتقده أنه يحاول أن يقدم جديداً مشروعاً ، وقد نُعِىَ عليه بأنه يهدم التراث ويخرج إلى دائرة المحظور ، ولكنه مضى ـ فى طريقه ـ يتوخى ما يراه حقاً .

ثم تزوج الشيخ عبد المتعال الصعيدى ، وأعقب من الأبناء والبنات تسعاً : ستة ذكور ، وثلاث بنات .

نُقل الشيخ ـ بعد ذلك ـ إلى كلية اللغة العربية فى الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد ، وكان نقله هذا بإرشاد من الشيخ مصطفى عنانى مفتش العلوم العربية بالمعاهد الدينية الأزهرية لشيخ كلية اللغة العربية .

وينتقل الشيخ إلى القاهرة ويترك طنطا ، وهذا ما كان يرجوه ويصبو إليه ؛ لأن مكثه ولبثه فى القاهرة يرضى طموحه العلمى ، ويقضى به نهمته فى التزود من العلم بغير حدود .

وكان له ما أراد ... ثم عمد إلى الاجتهاد ، وذلك بإدخال وسائل تعليمية جديدة من محض أفكاره وابتكاراته الشخصية تيسيراً على طلبة العلم والدارسين لعلوم العربية .

وقد عهد إليه بتدريس كتاب الإيضاح فى علوم البلاغة للخطيب القزوينى ، وهو الكتاب المشهور ، وفيه هذب كثيراً من طريقة السكاكى فى كتاب « المفتاح » فى علوم البلاغة الثلاثة . وقد وضع الصعيدى شرحاً على متن هذا الكتاب

جارياً على طريقته وفى مضماره ، متمما فيه ما وسعه الجهد تهذيب ما بقى من آثار طريقة السكاكى .

ولم يكن هذا الكتاب مقصوراً على كلية اللغة العربية ، أو المعاهد الدينية فى مختلف أرجاء مصر وحسب ، ولكن فى متباين أقطار الأمة العربية والإسلامية ، ولذلك فقد تعددت نشرات هذا الكتاب وطبعاته ، بل إن كل من له عناية باللغة العربية وآدابها وبلاغتها لا شك كان معنياً بأمر هذا السفر النافع ، ولابد أن يكون الشيخ الصعيدى مذكوراً ، محفوظ المكانة ملحوظ المنزلة مهما خولف فى بعض آرائه أو اختلف على كثير من مؤلفاته ، إنما لايمكن أن يكون هذا الخلاف والاختلاف فى يوم من الأيام داعياً لأن يجحد فضله فقد كان علماً من أعلام مصر الخصيبة وعنصراً مورقاً كل الإيراق من دوحتها العالية ، وسرحتها الظليلة الأفياء .

رحم الله عبد المتعال الصعيدى ، وأفسح له فى قبره ونور له فيه ، وجعل حسناته مقبولة ، وصفحته منفوحة بالرضا والرضوان آمين آمين .

مخطوطات مؤلفات المرحوم عبد المتعال الصعيدى

اسم الكتاب	الفن	الصفحات
الفهارس القرآنية	علوم قرآن	٥٨٣
مفاتيح كنوز القرآن	علوم قرآن ـ جزءين	١٥٠٠
فى الحدود الإسلامية	فقه عام	١٥٠
دائرة المعارف الخاصة أو جامع الأسفار	الجزء الأول عدد صفحاته من ١ـ٥٣	٥٣
ومورد الأفكار أو الكتاب المفتوح إلى	الجزء الثانى عدد صفحاته من ١ـ٥٧	٥٧
آخر الرحمن (الكتاب مضمون ثلاثة	الجزء الثالث عدد صفحاته من ١ـ٤٨	٤٨
عناوين)	الجزء الرابع عدد صفحاته من ١ـ٦١	٦١
	الجزء الخامس عدد صفحاته ١ـ٥٠	٥٠
	الجزء السادس عدد صفحاته ١ـ٦٩	٦٩
	الجزء العاشر عدد صفحاته ١ ـ ٤٨	٤٨
	الجزء الحادى عشر عدد صفحاته ١ـ٤٨	٤٨
	الجزء الثانى عشر عدد صفحاته ١ـ٦٧	٦٧
مع الأزهر التقدمى من الشيخ السبكى إلى فولتير	معارف عامة	١٠٢
الإصلاح الإسلامى فى أدب صدر الإسلام	أدب	٢١٦

الثورة الأدبية لقدامى المولدين	أدب	٣٠٩
الرجعية الأدبية فى العصر المروانى	أدب	٤٠٠
النهضة الأدبية قبل الإسلام	أدب	٦٩
معلومات تاريخية عن العرب وغيرهم	تاريخ	٥٢
أضواء على فلسفة ابن خلدون	فلسفة	١٨٠
الرسالة العروضية	عروض	٢٩٤
كتاب فى دروس النحو	نحو	٣٦
بحوث وتعريف دائرة معارف وجدى البستانى	معارف عامة	٧٣
مصحف شريف ويسمى المصحف المبوب	مصاحف	
الشكل المصرى للخط العربى (نسختان)	خط	٣٣
رسالة فى التصورات	منطق	
البلاغة العالية فى علم البيان	بلاغة	١٨٠
ثقافات دينية وأدبية	معارف عامة	١٢٩
فى ميدان التجديد	معارف عامة	١٤٤
حياة مجاهد فى الإصلاح	تاريخ	١٤٩
الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية الوضعية	ميراث	

١ ـ الأجرومية العصرية :
أول كتاب ظهر لى ، وهو للمبتدئين فى النحو ، ألفته على الطريقة الاستنتاجية قبل ظهور كتاب النحو الواضح ، فثار علماء الجامع الأحمدى ـ مطبوع .

٢ ـ أبو تمام بين قدامى المولدين والمتأخرين
دراسة لأبى تمام ومدرسته فى توجيه الشعر لتقليد الشعر القديم ـ مخطوط .

٣ ـ أبو العتاهية الشاعر العالمى
دراسة له وموازنة بينه وبين شعر أبى نواس لتقديمه على شعراء عصره ـ مطبوع .

٤ ـ الأزهر وكتاب دراسة قرآنية
ومعه تكملة لهذه الدراسات ـ مخطوط .

٥ ـ أسرار التمثيل بين الطريقة الأدبية والتقريرية
دراسة عالية للتمثيل عند عبدالقاهر وعلماء البلاغة قبله والمعاصرين له والمتأخرين وكيف صرفوا مذهب فيه ـ مطبوع .

٦ ـ الإصلاح الإسلامـــى فى أدب صدر الإسلام

دراسة لتاريخ الأدب فى هذا العصر على أساس التوجيه الإسلامى فيه ـ مخطوط .

٧ ـ أضواء على فلسفة ابن خلدون

دراسة لمذاهب ابن خلدون فى مقدمته التى وضع فيها علم العمران ـ مخطوط .

حـرف البـاء

٨ ـ بنية الإيضاح لتلخيص المفتاح

شرح للإيضاح فى علوم البلاغة يجارى طريقته فى تهذيب المفتاح للسكاكى ، ويتمم ما فاته من تهذيبها ـ مطبوع .

٩ ـ بغية أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك فى علم النحو ـ مطبوع .

١٠ ـ البلاغة العالية فى علـم المعـــانى ـ مطبوع .

١١ ـ البلاغة العاليــة فى علـم البيـــان ـ مخطوط .

حـرف التـاء

١٤ ـ تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب

تعليقات جديدة على هذا الشرح تجمع بين المنطق القديم والحديث وتوازن بينهما ـ مطبوع .

١٥ ـ (تجديد علم الوضع) كينونة الوضع فى اللغة دراسة له تشتمل على تجديدات فيه ـ مخطوط .

١٦ ـ تعليقات على سر الفصاحة فى علم البلاغة ـ مطبوع .

١٧ ـ تعليقات على شرح السراجية فى علم الميراث ـ مطبوع .

١٨ ـ تعليقات على تفسير النسفى فى علم التفسير ـ مخطوط .

١٩ ـ تعليقات على المنتهى فى علم الأصول ـ مخطوط .

٢٠ ـ تهذيب كشف الظنـــون عن أسمى الكتب والفنون

يجمع كل فن وكتبه فى باب واحد بدل تفريقها فى كشف الطنون على ترتيب الحروف الأبجدية ـ مخطوط تم منه نحو الثلث ولم يكمل .

٢١ ـ تهذيب الكفاية فى فقه الشافعيـــة ـ مخطوط ومودع فى المكتبة المحمودية التجارية لطبعه .

٢٢ ـ التوجيه الأدبى للعبادات فى الإسلام فى حكمة التشريع لبيان أن المقصود الأول من العبادات ما فيها من آداب ـ مطبوع .

٢٣ ـ توجيهات نبوية فى أربعين حديثا

اختيار وشرح يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٤ ـ توجيهات وتحقيقات فى عشرين حديثا

اختيار وشرح يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٥ ـ ثقافات إسلامية

يشتمل على بحوث إسلامية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٢٦ ـ ثقافات دينية وأدبية

يشتمل على بحوث دينية وأدبية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مخطوط .

٢٧ ـ ثلاثون حديثا نبوية

اختيار وشرح لها يشتمل على توجيهات جديدة فيها ـ مطبوع .

٢٨ ـ الثورة الأدبية لقدامى المولدين

دراسة لتـــاريخ الأدب فى عصر قدامـــى المولَّدين .

حـرف الحـاء

٢٩ ـ الحرية الدينية فى الإسلام

يبين أنه لا إكراه على الإسلام لغير المسلم وللمسلم المرتد ـ مطبوع .

٣٠ ـ حرية الفكر فى الإسلام

يقصد منه إثبات الحرية الدينية والعلمية والسياسية فى الإسلام مع تراجم لبعض أحرار الفكر من قدامى المسلمين ابتداء من عثمان بن عفان ـ مطبوع .

٣١ ـ حياة مجاهد فى الإصلاح ـ مخطوط .

حـرف الـدال

٣٢ ـ دائرة معارف على الهوامش

تجمع كل ما يهم معرفته من تقييداتى بهوامش الكتب والمجلات وغيرها مما طالعته مع نقد ما يستحق النقد منه ـ مخطوط .

٣٣ ـ دراسة كتاب فى البلاغة

نقد لشرح للإيضاح فى علوم البلاغة على الطريقة الأزهرية .

٣٤ ـ دراسات إسلامية

بحوث إسلامية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٣٥ ـ دراسات دينية وأدبية

بحوث إسلامية وأدبية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات ـ مطبوع .

٣٦ ـ دراسات قرآنية

بحوث قرآنية فيها توجيهات تفسيرية جديدة ـ مطبوع .

حـرف الـراء

٣٧ ـ الرجعية الأدبية فى العصر المروانى

دراسة للأدب فى هذا العصر وترتيب على أساس النكسة الرجعية الأدبية فيه ـ مخطوط .

٣٨ ـ الرسالة العروضية

فى علم العروض ـ مخطوطة .

٣٩ ـ روائع النظم والنثر

مختارات من روائع النظم والنثر للقدامى والمحدثين ـ مطبوع .

حـرف الـزاى

٤٠ ـ زبد العقائد النسفية مع شرحها وحواشيه

من تأليفى فى عهد الطلب على الطريقة الأزهرية ، وهو مما كان يعتمد عليه طلاب العالمية الأزهرية فى الاستعداد لامتحانها ـ مطبوع .

٤١ ـ زعامة الشعر الجاهلى بين امرىء القيس وعدى بن زيد

دراسة وترجمة للشاعرين لبيان زعامة عدى لشعراء الجاهلية دون امرىء القيس ـ مطبوع .

حـرق السـين

٤٢ ـ السياسة الإسلامية فى عهد النبوة

٤٣ ـ السياسة الإسلامية فى عهد الخلفاء الراشدين

عرض سياسى جديد لتاريخ الخلفاء الراشدين أبوبكر وعمر وعثمان وعلى والحسن وعمر بن عبدالعزيز ـ لبيان مثلها العليا وأثرها فى فتوحاتهم ـ مطبوع .

حـرف الشـين

٤٤ ـ شباب قريش فى بدء الإسلام

وكان يسمى فى الطبقة الأولى ـ تاريخ الجماعة

الأولى للشبَّان المسلمين برياسة النبى ﷺ – وفى الطبقة الثانية – شباب قريش فى العهد السرى للإسلام – وقد اعترضت الرقابة على التسمية الثانية فسميته بذلك ، وهو يؤرخ لفكرة جديدة شرحتها فيه – مطبوع .

٤٥ – شرح ديوان مجنون ليلى

برواية أبى بكر الوالبى – مطبوع .

٤٦ – شرح ديوان مجنون ليلى

برواية ابن طولون الدمشقى المسمى – بسط سامع المسامر فى اختيار مجنون بنى عامر – مخطوط .

٤٧ – الشرح الجديد للأجرومية على الطريقة الاستنتاجية

مخطوط مودع عند المكتبة المحمودية التجارية لطبعه .

حـرف الفـاء

٤٨ – فى الحدود الإسلامية

٤٩ – فى ميدان الاجتهاد

بحوث دينية متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات – مطبوع .

٥٠ – فى ميدان التجديد

بحوث متنوعة نشرت فى الجرائد والمجلات – مخطوط .

يقصد منه إثبات أن القطع فى السارق واجب على التخيير لا التعيين ، وكذلك رجم الزانى وجلد القاذف وشارب الخمر – مخطوط .

حـرف القـاف

٥٣ – القضايا الكبرى فى الإسلام

وهو أول كتاب فى أمتنا درست فيه أشهر القضايا الإسلامية من عصر النبوة إلى عصرنا الحديث – مطبوع .

٥٤ – قضية مجاهد فى الإصلاح

شكوى إلى مجلس الدولة من ظلم الرجعية مع بحوث دينية وعلمية ومقالى فى الحدود الإسلامية وتحقيق اللجنة الأزهرية فيه – مطبوع .

٥١ – القرآن والحكم الاستعمارى

دراسة قرآنية جديدة فى هذا الموضوع – مطبوع .

٥٢ – القصص القرآنية ونواحيها التاريخية

يقصد منه دراسة القصة القرآنية وروايتها التاريخية لتحقيق ما بينهما من مطابقة أو مخالفة – سيشرع قريبا فى تأليفه .

حـرف الكاف

٥٥ – الكميت بن زيد شاعر العصر المروانى وقصائده الهاشميات

دراسة للكميت وشرح هاشمياته وإثبات زعامته بها على سفراء عصره – مطبوع .

حـرف اللام

٥٦ – لماذا أنا مسلم ؟

مناظرات بين قَسٍّ من المبشِّرين المسيحيين وطالب بالمدارس الثانوية ، دفعت فيها بأسلوب قصصى أقوى طعونهم .

حـرف الميم

٥٧ – المجددون فى الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر

وهو أول كتاب درست فيه أحوال المسلمين والمعاصرين لهم من الأمم فى هذه القرون مع بيان المجدِّدين فى كل قرن على ضوء هذه الدراسة – مطبوع .

٥٨ – مختارات الشعر الجاهلى أو دواوين الشعراء الستة الجاهليين .

شرح لدواوين امرىء القيس وعلقمة الفحل وطرفة بن العبد والنابغة الزبيانى وزهير بن أبى سلمى وعنترة بن شداد ، وبآخره فهارس علمية لها ـ مطبوع .

٥٩ ـ مشروع المجلة الأزهرية

العدد الأول من المجلة الأزهرية ، وفيه نقد لمتن الأجرومية ـ مطبوع .

٦٢ ـ مع زعيم الأدب العربى فى القرن العشرين بحوث فى نقد بعض كتب الأستاذ طه حسين وبحوثه الأدبية والعلمية ـ مطبوع .

٦٣ ـ مع الأزهرى التقدمى من الشيخ السبكى إلى فولتير نقد لبعض كتب الأستاذ خالد محمد خالد ـ مخطوط .

٦٤ ـ المصحف المبوّب والمفسر تبويب للمصحف بهامشه على أساس كتاب النظم الفنى للقرآن ، وتفسير بباقى الهامش خلاصة دراسات واسعة قديمة وحديثة ـ مخطوط .

٦٥ ـ المصحف ومراجعات آياته إرشادات بهامش المصحف لمراجعات فى آياته من الكتب بأرقام صفحاتها ـ مخطوط .

٦٦ ـ المقرر من تاريخ أدب اللغة لطلاب السنة الرابعة هو من تأليفى ، وإن أضيف إليه مدرس من إخوانى بالجامع الأحمدى لأنه كان يشاركنى فى دراسة هذا المقرر ـ مطبوع .

٦٧ ـ مفاتيح كنوز القرآن فهارس علمية لما يشتمل القرآن عليه .

٦٨ ـ تعليق حديث على هذا الشرح ـ مطبوع .

٦٩ ـ من أين نبدأ ؟ دراسة لكتاب من هنا نبدأ للأستاذ خالد محمد خالد وكتاب من هنا نعلم للأستاذ محمد الغزالى فى الرد عليه مع بيان خطأ الكتابين ـ مطبوع .

٧٠ ـ الميراث فى الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية ظهر فى طبعته الأولى باسم الميراث فى الإسلام والرد على الفيلسوف بنتام دراسة جديدة لبيان الميراث بتوسع فى الإسلام وبإجمال فى غيره من الشرائع مع موازنات تبين فضل الميراث فى الإسلام على غيره ـ مطبوع .

٧١ ـ النحو الجديد نقد للمحاولات الحديثة لتجديد علم النحو ، ووضع نحو جديد قريب إلى المقصود من وظيفة الإعراب فى النحو ـ مطبوع .

٧٢ ـ النظم الفنى فى القرآن ظهر فى طبعة الأولى باسم ـ الأقوال الحسان فى نظم القرآن ـ ويقصد منه بيان مقصد كل سورة وانتظام آياتها فيه للرد على من يطعن على نظمه من أعداء الإسلام فى عصرنا ـ مطبوع .

٧٣ ـ نقد نظام التعليم الحديث للأزهر الشريف أول كتاب عنى بنقد هذا النظام ـ مطبوع .

٧٤ ـ نقد كتاب فى الشعر الجاهلى تقسيمة لكتاب الأستاذ طه حسين ـ فى الشعر الجاهلى ـ وبيان سرقاته من كتب المفسرين المسيحيين ـ مطبوع .

٧٥ ـ النهضة الأدبية قبل الإسلام .

حرف الواو

٧٥ ـ الوسيط فى تاريخ الفلسفة الإسلامية دراسة لمنهج الفلسفة الإسلامية فى كلية اللغة العربية مع تلخيص ونقد كتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال لابن رشد ـ مطبوع .

شياطين الشعر في الأدب بين العربي والغربي

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

كلمة تمهيدية :

اقترح عليَّ فضيلة الأستاذ الدكتور على أحمد الخطيب ـ أثناء تناقُلنا شجون الأحاديث ، كعادتنا ، بين الحين والحين ، حول الشعر والإلهام ـ أنْ أتخذ هذا الموضوع الطريف ، مادة للبحث ، عسى أن أنتهى فيه إلى نتيجة ما تكون أدنى إلى الموضوعية .. ومن ثم ، طفقت ألتمس المصادر والمراجع ، التى تُعين على تعمق الدراسة ، وأنا أستعيذ بالله من همزات الشياطين ، وأن يحضرون ، وخشية أن تحيد بى عن قصد السبيل ، جاعلا نصب عينى قوله ـ تعالى ـ فى محكم آياته :

﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ
كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾
وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ
يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ ﴾ سورة الشعراء

الإنسان والشيطان

وتذكرت ـ بادىء ذى بدء ـ قول الإمام أبى العزائم فى بعض مواجيده :

أميل ـ ونفسى لاتميل ـ إلى الهدى ... هل النفس إلا شعلة من نارٍ ؟

وقول الإمام البوصيرى فى (البردة) :

وَخالِف النفس والشيطان ، واعصهما ... وإن هما مَحَّضاك النُصح ، فاتهم
ولا تُطع منهما خصما ولاحكما ... فأنت تعرف كَيْدَ الخصم والحكم

وكيف لا .. ونحن نعلم أن الشيطان يأخذ موقف العداوة الراسخة ، منذ بدء الخليقة ، من الإنسان ، ومن ثم فمن المحال أن يكون الشيطان ، فى نفثاته ، يقصد خيرا بشاعر ما ، وهو يجرى منه مجرى الدم فى العروق ، كسائر البشر ، إلا من عصم الله عز وجل .

وقد اتفق لكاتب هذه السطور ، أنه قال فى هذا المعنى ، مخاطبا (الشيطان) ، فى قصيدة له تحمل عنوان : (فى رحاب الإيمان)[1]

كم قلت نأيت عن البلــــــوى وخشعت بصومـــــــــى وصلاتى
والبلـــوى .. أن يفتـــر عزمـــى وأحـــــــوم بساح الشبهات
ويـوسوس شيطـــانى :ـــــ أبـــدا لن تظفـــر يومـــا بنجـــاة
أتبـــعك كظـــــلك فى دأب بالغـــدوة أو .. بالروحـــات
بشهيـــــــــــــق وزفير أسرى بنخـــاعك ، بل .. بالخطـــرات

***

وأجـــيب : اخـــنس ياملعـــون قد بؤت بسخـــــط وشتـــات
مطـــــــــــــرود من رحمة ربى ومـــآ لك عظــــة لتقـــاة
إخـــنَسْ ! فقصاراك الدنيـــا كجنـــاح بعـــوض البرقـــات
وعبـــاد الـــرحمن بمنـــأى عن بغـــيك .. بتمام ثبـــات

***

وقد جاء فى كتاب (تلبيس إبليس) لابن الجوزى « ص ١٢٨ ــ ١٢٩ » فى حديثه عن إيحاء إبليس للشعراء :

إنه ــ لعنه الله ــ قد لبس عليهم ، وأراهم أنهم أهل الأدب ، وأنهم قد خصوا بفطنة تميزوا بها عن غيرهم .. فتراهم يهيمون فى كل واد من الكذب والقذف والهجاء ، وهتك الأعراض ، والإقرار بالفواحش ، وأقل أحوالهم ، أن الشاعر يمدح الإنسان ، فيخاف أن يهجوه ، فيعطيه اتقاء شره ، أو يمدحه بين جماعة ، فيعطيه حياء من الحاضرين . وجميع ذلك من جنس المصادرة .. إلى أن يقول :

وجمهور الأدباء والشعراء ، ــ إذا ضاق بهم رزق ــ تسخطوا فكفروا وأخذوا فى لوم الأقدار ، كقول بعضهم :

لئـــن سمت همتـــى فى الـــفضل عاليـــة فإن حظـــى ببطـــن الأرض ملـــتصق
كم يفعـــل الدهـــر بى مالا أسر به وكم يسىء زمـــان جائـــر حنـــق

وقد نسى هؤلاء ، أن معاصيهم تضيق أرزاقهم ، فقد رأوا أنفسهم ، مستحقين للنعم ، مستوجبين للسلامة من البلاء ، ولم يتلمحوا مايجب عليهم ، من امتثال أوامر الشرع ، فقد ضلت فطنتهم ، فى هذه الغفلة .

ورأى ابن الجوزى ، فى الشعراء ، ليس صحيحا على إطلاقه .

---

(١) انظر ديوان (أنداء وظلال) ط الهيئة العامة للكتاب سنة ١٩٨٦ ص ٨٠ ــ ٨١ .

ليس كل الشعراء كذلك

ولئن انطبق على بعضهم ، فإنه لا يتسحب عليهم جميعا ، والمولى ـ عز وجل ـ قد استثنى بعضهم ـ بكتابة الكريم ـ بقوله عز من قائل : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ « الشعراء »

وقد أورد ابن الجوزى نفسيه ، فى ثنايا كتابه هذا (ص ٢٢٤ وما بعدها) قول عامر بن الأكوع :

لا هم لولا أنت مااهتدينـــــا ولاتصدقنـــــا ولاصلينـــــا
فألـــقين سكينـــة علينـــا وثـــبت الأقـــدام إذ لاقينـــا

وقد سأل رسول الله ﷺ ـ بعد سماعه لهذين البيتين ـ عن قائل هذا الشعر ، ومن هو ؟
فقيل له (ﷺ) ـ هو عامر بن الأكوع .
فقال ﷺ :ـ يرحمه الله .

وكذلك أورد نشيد الاستقبال والترحيب الخالد ، من أهل المدينة ، لرسول الله ﷺ عند قدومه ـ عليه الصلاة والسلام ـ إليهم :

طلـــع البـــدر علينـــا من ثنيـــات الـــوداع
وجب الشكـــر علينـــا مادعـــا لله داع

وأورد قول الشاعر :

ياغاديـــا فى غفلـــة ورائحـــا إلى متـــى تستـــحسن القبائحـــا
وكم إلى كم .. لاتخاف موقفـــا يستنطـــق الله به الجوارحـــا
ياعجبـــا منك ! وأنت مبصر كيـــف تجنـــبت الطريـــق الواضحـــا

بل وذكر ـ فى مجال حديثه عن مآثر كبار العباد ماكان من أمر الإمام ابن حنبل ، حين سمع هذين البيتين :

إذا ماقـــال لى ربى أمـــا استحيـــيت تعصينـــى
وتخفـــى الـــذنب عن خلقـــى وبالعصيـــان تأتينـــى ؟

إذ طلب إعادة سماعها ثم قام ودخل بيته ، ورد الباب .. وقد سمع انخراطه فى البكاء وهو يرددهما .

ومن ثم ، فقد كفانا ابن الجوزى مئونة أن نورد العديد من شواهد الشعر السامى وشوارد وأوابد الشعر الأخلاق والاجتماعى ، بما أثبته بكتابه ، لكثير من الشعراء فى جولات رحيبة فى ميادين سمو الروح وصدق الدين ، مع روعة الفن وجلال الأداء .

وقد جاء على ألسنة بعض الشعراء ـ منذ أقدم ماوصلنا من الشعر العربى ، وحتى عصرنا هذا ـ ذكر لشياطين يستلهمهم هؤلاء الشعراء ـ فى اعتقادهم ـ فيما يدعون من شعر :

فورد فى جمهرة أشعار العرب لابن أبى الخطاب القرشى ٨١/١ :

إن شيطان أمرىء القيس كان يدعى : (لافظ بن لاحظ) وشيطان عبيد بن الأبرص كان يدعى (هبير) ، وشيطان زياد بن معاوية الذبيانى ، كما يدعى (هادر) وهو الذى استنبغه ، حتى سمى بـ (النابغة) الذبيانى .. وقد ذكر الذبيانى أن الجن هى التى شيدت لسيدنا سليمان ـ عليه السلام ـ هياكل بعلبك بمدينة تدمر ، كما جاء فى قوله :

إلا سليمـــــان إذ قال المليـــــك له قم فى البريـــة فاحددهـــا عن الفنـــد[1]
وخـــــيس الجن إنى قد أذنت لهم يبنـــون تدمـــر بالصُّفَّـــاح والعمـــد[2]

وهذا يذكرنا بقول الشاعر المعاصر فخرى أبو السعود ، وهو بإزاء منظر ربيعى خلاب :

أهــــذه الأرض مازالت كما عهــــدت أم بدلتها جنـــود من سليمانـــــا !؟

ويقول الجاحظ بالجزء الأول من كتابه الحيوان ص ١٤١ ، فى رواية عن ابن عباس رضى الله عنه :

إن الجنى إذا كفر وظلم وتعدى وأفسد ، قيل : شيطان .

وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع ، قيل : مارد .

وإن زاد فهو : عفريت ،

فإن زاد ، فهو : (عبقرى) .

وربما كان (وادى عبقر) ، الذى زُعِمَ أن الجن كانت ـ أو مازالت ـ تسكنه ـ قد أخذ مسماه من كلمة (عبقرى) السالف ذكرها ، بقول ابن عباس رضى الله عنه .

وقد ذكر ابن الأثير فى كتابه (النهاية) أن « الخيتعور » وهو أحد أبناء الشيطان ، هو من الجن الذين كانوا يسكنون الأرض قبل خلق آدم ـ عليه السلام ـ ثم آمن برسول الله ﷺ بعد بعثته ـ وينسب إليه أنه قال ـ واصفا حاليْه : قبل الايمان ، وبعده :

حمدت من حط أوزارى ومزقهـــــــا عنى ، فأصبـــح ذنبـــى الآن مغفـــورا
وكـــنت آلـــف من أقطـــاب قرطبـــة خودا ، وبالصين أخرى .. بنت تعبورا
أزور تلك ، وهـــذى .. غير مكتـــرث فى ليلـــة قبـــل أن أستـــوضح النـــورا

---

(١) أنظر (ديوان نابغة الذبيانى)بتمامه ، صنعة ابن السكيت بتحقيق الدكتور شكرى فيصل ط دار الفكر ببيروت سنة ١٩٦٨ ص ١٣ واحددها : أى صفها ورد عنها الفند : خطل الرأى يقال أفند فلان : إذا أخطأ .

(٢) خيس الجن : أى سيطر عليها وذلك لخدمته الصفاح جمع : صفاحة أى الحجر العريض الرقيق .

ولا أمـــــــر على وحش ولا بشر إلا وغادرتـــــه ولهان مذعـــــورا

إلى أن يقول :

وأحضر الشرب أغـــويهم بآبـــده يرجـــون عودا ومزمـــرا وطنبـــورا
فلا أفارقهـــم حتـــى يكـــون لهم فعـــل يظـــل به (ابلـــيس) مسرورا

إلى أن يقول واصفا توبته :

ثم اتعـــظت ، فصارت توبتـــى مثـــلا من بعد ماعشت بالعصيان مشهـــورا[3]

***

يقول المستشرف جوستاف فون جرنباوم فى كتابه (دراسات فى الأدب العربى) ترجمة الدكتور إحسان عباس وآخرون ، « وكان الناس يعتقدون أن للشاعر الجاهلى شيطانا أو رئيا من الجن يلهمه ، وأحيانا كان يدفعه بفظاظة إلى الانشاد[4] » ويضيف بعد ذلك فى الفصل الذى تحدث فيه عن (روح الإسلام كما تبدو فى الأدب العربى) : « فلما جاء الإسلام ، اقتضى الوضع الجديد أن يميز الناس بين الوحى ، الذى يختص به النبى ﷺ والإلهام الذى يتصل بالشعر ، وهذا حال دون رفع الشعر إلى مستوى الإلهام الصادر عن قوة لا إنسانية »

وهنا نتساءل عن أمر لم يفصح عنه جرنباوم ، أعنى « القوة اللاإنسانية » فإن كان يريد بها « القوة الإلهية » فقوله حق ؛ إذ أنَّ إلهام القوة الإلهية للأنبياء وحى فوق قدرة البشر والجن وغيرهما من خلق يعلمه الله ، وبالتالى ؛ فإن الشعراء أعجز من أن يحوموا حول هذا المستوى ؛ فهذا هو المرتقى المستحيل فأما إن كان تصوره ـ فى هذه المقولة ـ قوة لا إلهية ـ فذلك فى اعتقادى تصور خاطىء ؛ لأن الشاعر حينما يستغرق فى تأملاته ، فى لحظات التجلى ، يجىء إلهامه خارج دائرة الشعور غير متأثر بشىء يشغله عن رؤى وتجليات « معملة السحرى » ـ وفق تعبير الشاعرة جليلة رضا ـ أو يحدد له ماينبغى : ومالاينبغى أثناء انثيال زخات الإلهام بواعيته الباطنة ، وهى بسبيلها إلى الانسياب ، والتماس الأزياء اللفظية للمعانى المنبهمة التى تسعى جاهدة إلى الوضوح والاتساق بعد استنزال الشاعر لها أثناء تحليقاته فى تلك اللحظات النادرة ، وهنا يأتى الشاعر بالروائع العجيبة مستفيدا من القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف فى مجالى :

ا ـ الألفاظ والمعانى والأسلوب البلاغى .

ب ـ ومجال آخر متعدد الميادين فى الكتاب العزيز والسنة الشريفة من مثل : حقيقة التكوين الإنسانى التى تشير إليها بعض الآيات من مثل قوله ـ تعالى :

(٣) أنظر كتاب (لقط المرجان فى أحكام الجان) للإمام جلال الدين السيوطى ط سنة ١٩٨٨ ص ١٦٢ .
(٤) أنظر الكتاب المذكور ص ٤٤

﴿ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ « النساء ـ ٢٨ »

﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴾ « الكهف ـ ٥٤ »

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ « الأنبياء ـ ٣٧ »

﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ ﴾ « العلق ٦ ، ٧ »

وغيرها كثير فى تبيان طبيعة النفس البشرية بيانا ما كان الإنسان أن يدركه بطبيعته أبدا إلى ميدان آخر ، كميدان الوصف ، وهو شر فى هذين المصدرين الجليلين ، وانظر فى ذلك وصف بعض ماجاء فى الجنة .. وفى النار .. وغيرهما .. مما فتق فى العقلية الشاعرة طرقا استفادت منها الكثير فى براعة الوصف مستهدفة فى ذلك هذه الآثار الإسلامية .. كذلك ميدان التاريخ الحق لأهم مواقع الحودث البشرية وتغيير مسارها .. إلى آخره .

***

لقد أدرك منزلة القرآن الكريم والحديث الشريف ، ليس أدباء العربية وفحولها فحسب ، بل أدباء كثير فى الغرب من أمثال جوتة فى ألمانيا ، وملتون فى انجلترا .. وغيرهما كثير .

وصفوة القول إن (هوميروس) أقدم وأكبر شعراء اليونان ، يقول فى مستهل (الإلياذة) ، بترجمة البستانى الشعرية لها ، وهو يثنى على (أخيل) بطل الملحمة الهومرية :

ربة الشعر ، عن أخيل بن فيلا أنشدينا ، وارو احتدامًا وبيلا

وكأنه يتوسل إلى مادة الإلهام ، أو (ربة) الشعر وهى ـ أو هو ـ شيطانه عند العرب وعندهم كما جاء فى معتقدات اليونان القدماء فى جاهلية من الشرك تشبه تلك التى كانت فى العرب ـ تعالى الله عنها علوا كبيرا .

وقد ذكر البستانى فى مقدمة ترجمته للإلياذة ، إنه تحرى الصدق فى الترجمة ، مع مراعاة قوام اللغة ، قائلا : « وطدت النفس على أن لا أزيد شيئا على المعنى ولا أنقص منه ، ولا أقدم ولا أؤخر ، إلا فيما اقتضاه تركيب اللغة ، فكنت أعمد إلى الجملة سواء تناولت بيتا أو أكثر أو أقل ـ وأسكبها بقالب عربى ، أجلو رواءه على قدر الاستطاعة » .

ومن ثم أبقى (البستانى) أسماء معبودات اليونان القدماء فى وثنيتهم على حالها .

وفى المقال التالى نتحدث بالتفصيل عن شياطين الشعراء ، بين الشرق والغرب ، مع ذكر النماذج الدالة ، بجلاء ووضوح .

(للبحث بقية)

تقديم : أحمد تقى الدين

من القضايا التى تشغل بال الكثير ، بل الغالبية من أبناء أمتنا الإسلامية قضية « الدعوة الإسلامية » بعد أن دلف إلى هذا الميدان من ليسوا أهلا له ، بل ـ أيضاً ـ العاطل الذى لم يجد عملاً ، والجاهل الذى لم يتلق تعليماً حتى اختلط الصالح بالطالح حتى كاد الناس يفقدون الثقة فى الداعية .

ومن ثم كانت العودة إلى أسلوب وفكر السلف فى الدعوة إلى الإسلام مطلباً ملحاً لنرى كيف جاهد رجال عظماء ونجحوا .

ومن هنا يكتسب مؤلف الدكتور محمود محمد رسلان ، الأستاذ المساعد بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر وعنوانه : « الدعاة الأول فى أرض الكنانة » أهميته .

يقع الكتاب فى ٣٩٦ صحفة من القطع العادى وطبع سنة ١٩٩٤ بدون اسم الناشر

صدر المؤلف كتابه بمقدمة خصصها للحديث عن أهمية بحثه ، حيث أكد على أن حلول المسلمين فى أرض الكنانة كان حلول خير ورحمة ، فهى جديرة بهم وبرسالتهم التى قاموا بنشرها ، وأن مصر التى احتضنت الإسلام وسعدت به ، واستمتعت منه بدفء الإيمان وحرارة اليقين فانتصرت به على أعدائها فى الداخل والخارج ، ليسعدها اليوم أن تعاود الكرة وأن تتحمس لاحياء دور الدعاة الذين وفدوا إليها فاتحين ناشرين ألوية العلم والخير والفضيلة .

وأضاف الباحث أن الصحابة الذين نزلوا أرض الكنانة كانوا يحملون مجموعة ضخمة من الأحاديث النبوية والحكم التربوية التى أثروا بها الفكر الروحى والعقدى مما كان لها التأثير الطيب فى نفوس المصريين .

« ولم يمكث الدعاة الأوائل فى عاصمة البلاد جبارين يسخرون المصريين لمآربهم كما فعل الرومان والفرس ، بل نزلوا القرى والأرياف يعملون ويكدحون يحرصون الحرص كله على أداء شعائر الإسلام ، فكانت علاقتهم بأهل مصر علاقة الحب والوفاء » .

وعرض المؤلف فى مقدمته لمنهج الدعاة المسلمين الأوائل فى مصر ذاكرا أنه كان منهجاً فريداً ، حيث أزاحوا القوى الغاشمة التى تحجب عن العقول حرية الفكر والعقيدة وعدم الاكراه فى بسط تعاليم الإسلام ، وجعلوا من أرض الكنانة مجتمعاً يشعر بإنسانيته فى إيمانه وروحانيته فى عقيدته ، ولقد ظهر أثر الصحابة الطيب فى أرض مصر .

وتحت عنوان « لمحة عن أرض البحث » تحدث المؤلف عن دخول أنبياء الله ــ عز وجل ــ ابراهيم ، ويوسف ، ويعقوب ، وموسى ــ عليهم السلام ــ أرض مصر عارضاً سيرتهم فيها من خلال القرآن الكريم .

ثم تحدث المؤلف بعد ذلك عن محمد ﷺ وصحابته ــ رضى الله عنهم ــ حيث كان من حكمة العليم الخبير أنه ربى محمداً ﷺ ليربى به العرب ، وربى محمد صحابته ليهذبوا الناس جميعاً ، فهم ــ رضوان الله عليه أجمعين ــ تلامذة مدرسة النبوة وأساتذة العالم كله .

والصحابى ــ فى بعض التعريف به : هو من لقى النبى ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام .

تسامح عجيب

ثم يقدم المؤلف نبذة عن عمرو بن العاص فاتح مصر ، عارضاً نسبه ولمحة من سيرته ودوره فى فتح مصر ثم تحدث عن نظرة ابن العاص إلى الواقع الاجتماعى فى مصر ، حيث وجد أن العاملين على زراعة الأرض كانوا يعملون بلقمتهم الجافة ، ولم يكن معترفاً لهم بالحرية الإنسانية فكان من نتائج الفتح الإسلامى لمصر أن أصبح هؤلاء العمال أحراراً يتملكون الأرض على قدر مالديهم من مال .

وتحدث الباحث عن (حرية العقيدة) التى تمتع بها المصريون فى ظل الفتح الإسلامى حيث كان المتوقع أن يشن المسلمون الفاتحون حملة دينية لبسط عقيدة الإسلام وفرضها فرضاً حيث إنهم

ألفوا من الرومان الاضطهاد الدينى حتى أن بطريرك الكرازة المرقسية نفسه كان مشرداً فى تلك الأيام لاختلاف مذهبى بينه وبين الرومان . ولكن الأيام كشفت عن تسامح الإسلام العجيب بحيث اتيح للبطريرك المختفى فى الصحراء قرابة ثلاثة عشر عاماً أن يحضر ليلى أمر طائفته وهو آمن على نفسه وعلى أتباعه .

ووجد المصريون المسلمين أكثر تنـــزيها لأنبيائهم ، يكنون لهم الحب والتعظيم للمسيح عليه السلام وأمه الطاهرة البتول وراعى المسلمون حقوق أهل الذمة ، وخاصة فى العقيدة والمال والجوار ، بل وانتسبوا إلى أهل مصر ، وهذا تواضع من قوم غلبوا الفرس والروم فى الوقت الذى أنف فيه الفرس أو الروم أن يتسموا بالمصريين ترفعاً وتكبراً .

وهكذا أحاطت الدعوة وأحاط الدعاة الأول بمصر من جميع الجهات فصبغوها بالضبغـة الإسلامية ، فلم تعارض مصر وكأنها كانت على موعد مع الإسلام .

الدعوة فى أرض الكنانة

ثم تحدث المؤلف عن : « نشر الدعوة فى أرض الكنانة » حيث اتخذ المسلمون منهجاً فريداً فى نشر الدعوة فى مصر تمثل فى إزاحة القوى الغاشمة المتمثلة فى الرومان ومن على شاكلتهم والتى تحجب عن العقول حرية العقيدة والفكر ، مع عدم الإكراه فى بسط تعاليم الإسلام حتى مَكَنُّوا لشرائع الله فى الأرض عن طريق التطبيق العملى لشرع الله .

لقد جاء الإسلام ليدفع عن المظلومين الأذى والفتنة التى كانوا يسامونها ويكفل لهم الأمن على أنفسهم وأموالهم والنجاة الأخروية وما شرع الإسلام الجهاد إلا لتقرير حرية الدعوة بعد تقرير حرية العقيدة « لا إكراه فى الدين » .

وقد أخذ الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ على عاتقهم اقامة حكم الله فى الأرض قولاً وعملاً ، فقد حكم المسلمون القرآن الكريم فأحلوا حلاله ، وحرموا حرامه ، وأقاموا حدوده وطبقوا شريعته بادئين بأنفسهم ثم من يليهم ، فحازوا إعجاب المصريين حتى تحول الإعجاب إلى اقتناع ثم اعتناق لدين الفاتحين .

وامتاز الصحابة بأنهم كانوا جامعين للدين والخلق متأسين بمحمد ﷺ إيماناً وعقيدة ، وعدلاً وخلقاً ، وتربية وتهذيباً ، ومن ثم كانوا سبب نهضة الإسلام وعلو كعبه .

صفات الدعاة

ثم تحدث المؤلف عن « صفات الدعاة الأول فى أرض الكنانة » فقال أن صلتهم بالله سبحانه وتعالى تميزت بالقوة كان إيمانهم ارتباطاً مطلقاً بالله تعالى . مع التوكل الراسخ عليه والتسليم الكامل لكل مايأتى به من غير شك أو ريب فكانت دعواتهم نابعة من أفعالهم ، وبمثل هذه الصلة الصادقة مع الله ــ عز وجل ــ كان اكتمال عقيدة الدعاة فى أرض الكنانة فكانوا الخير كله لأهلها .

ثم تتبع المؤلف صحابة رسول الله ﷺ الذين دخلوا أرض الكنانة فاتحين ، أو اتخذوها قاعدة لفتوحاتهم الخارجية إلى إفريقية والأندلس أو الذين دخلوها بعد الفتح مستوطنين ، مركزاً على ذكر أسماء الصحابة وألقابهم وكُناهم ووفادتهم على رسول الله ﷺ وأشهر أعمالهم مرتباً أسماءهم على حروف المعجم معتمداً على كتب الرجـــال كالاستيعاب ، وأسد الغابة ، وتاريخ البخارى الكبير ، والإصابة ، وتقريب التهذيب لابن حجر المصرى ، وحسن المحاضرة للسيوطى الخ .

وهؤلاء الدعاة الأول الذين شملتهم الدراسة كان منهم من المهاجرين عمرو بن العاص وابنه عبدالله ، والزبير ، وعبدالله بن عمر ، وسعد بن أبى وقاص ، وخارجة بن حذافة ، وقيس بن أبى العاص السهمى ، والمقداد بن الأسود ، وعبدالله بن سعد بن أبى سرح ، ونافع بن عبد قيس الفهرى ، وأبو رافع مولى رسول الله ﷺ ، وابن عبده ، وعبدالرحمن ، وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة .

وكان منهم من الأنصار : عبادة بن الصامت ، ومحمد بن مسلمة ، وأبو أيوب خالد بن يزيد ، وأبو الدرداء عويمر بن عامر ويسمى عويمر ابن يزيد .

وما من شك فى أن هؤلاء الصفوة وضعوا أسس مدرسة الحديث الشريف بمصر .

واستطاع المسلمون أن يسوسو مصر حتى دانت بالإسلام وصارت قاعدة لفتح بلاد إفريقية والأندلس .

تعقيب

الذى يظهر من عنوان البحث أنه يحمل مضموناً جديداً فى بابه « الدعاة الأول فى أرض الكنانة » فهو ـ على قدر علمى ـ موضوع لم يطرق خاصة وان الباحث قدم كما هائلا من أسماء الصحابة رضوان الله عليهم ممن دخلوا مصر فاتحين داعين الى شهادة : الا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقد كان غريباً ألا يضم البحث اسم عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ خليفة المسلمين وصاحب قرار فتح مصر والذى كانت له مواقف مشهودة أسهمت بلاشك فى توطيد حركة الدعوة إلى الإسلام فى مصر .

ألم يكن هو الذى اقتص للمصرى من ابن عمرو بن العاص .

كذلك كان ينبغى للباحث أن يتعقب الأسباب التى أتت بمنهج أو أكثر فى طريقة الحكم حتى يشرق من بين هذه الصفحات الوجه الكريم لأصحاب رسول الله ﷺ ورضى الله تعالى عنهم .

ونرجو أن يهتم الباحث بمعالجة الأخطاء المطبعية حيث جاء خطأ فى الآية ٥٥ من سورة يوسف ﴿**قال : اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم**﴾ ص١٣ وليس من الصواب السكوت عليه .

وفى ص١٤ غفل عن ذكر المصدر فى الهامش رقم ٣ وتركه خاليا . وفى ص٣٥٦ قال : « أن أبا هريرية » بدلا من « أن أبا هريرة » .

نسأل الله ـ تعالى ـ أن ينفع بهذا البحث

دوحة الكتب

إعداد الأستاذ محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الاشعاع الثقافى ..

ومجلة الأزهر إيمانا منها بأهمية الودر الذى يؤديه الكتاب تقدم هذا المقال الذى يعرف بعض الكتب بعنوان « دوحة الكتب » .

نقدمها دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة نود منها تعريف القارىء بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية والله الموفق .

المحـــرر

مثانى الألفاظ الفريدة

معجزة جديدة للقرآن

تأليف / حمدى العليمى

الناشر : مطابع دار الفتح بالدقى

هذا الكتاب يُعد علماً جديداً من العلوم التى تبين إعجازاً لا مثيل له فى وحدة السورة القرآنية من جهة المحتوى والمضمون - أى وحدتها الموضوعية .. فمن قائل بأن السورة القرآنية - ويعنى هنا بوجه خاص السورة الطويلة نسبياً - ليس لها موضوع رئيسى موحد تدور حوله ، بل تتعدد موضوعاتها وتتنوع أغراضها . ومن قائل بأن للسورة موضوعاً رئيسياً وأن الموضوعات الأخرى الواردة فيها تخدم هذا الموضوع

الرئيسى ، بوجه أو بآخر، وتدور فى فلكه أو ترتبط به ارتباط الجنين بأمه .

هذا الكتاب حصل مؤلفه على الإجازة والموافقة على الطبع والنشر من الأزهر الشريف، ويقع فى ٨٠ صفحة ، تعرض الآراء ورد المؤلف ..

كذلك تحدث المؤلف عن نزول القرآن منجماً والحكمة منه (والطريقة العجيبة فى ترتيب آيات السورة) ثم يورد الباحث رسما تخطيطيا لروابط سورة المائدة ممثلاً بمحيط الدائرة ..

وينتهى المؤلف إلى ذكر المراجع التى استعان بها. والخلاصة فى هذا الكتاب : أنه ترك سور القرآن ذاتها تقوم بالرد على المشككين فى وحدة السورة ، وذلك بطريقة إعجازية مبهرة .

كيف ذلك .؟؟ إنها مثانى الألفاظ الفريدة ، أو الألفاظ والتعبيرات التى تنفرد السورة الواحدة بذكرها ، ثم تقوم بتكرارها مرة ثانية أو أكثر لتؤكد بذلك مصداقيتها .

جدد حياتك

المؤلف / فضيلة الشيخ محمد الغزالى
الناشر : دار نهضة مصر
الطبعة الثانية ١٩٩٥

هذا الكتاب يلفت الجاهلين بالاسلام والقاصرين فى فقهه إلى الخاصيَّة الأولى فى هذا الدين ، وهى أنه دين الفطرة فتعاليمه المنوعة فى كل شأن من شئون الحياة هى نداء الطبائع السليمة والأفكار الصحيحة ، وتوجيهاته المثبوتة فى أصوله متنفس لما تنشده النفوس من كمال ، وتستريح اليه من قرار .

هكذا بدأ مؤلف هذا الكتاب الذى جمع فيه كثيراً مما يتعلق بدين المسلم ودنياه من منظور إسلامى معاصر ..

يقع الكتاب فى (٢٠٨) صفحات بدأها بمقدمة طويلة تلاها بفصول تناول فيها : تجديد الحياة ، عش فى حدود يومك ، إزالة القلق ، حياتك من صنع أفكارك ، العمل بين الأثرة والايثار وبين الايمان والإلحاد . وأخيرا حاسب نفسك .

وخاتمة انتهت بهذه الكلمة الطيبة :

إنَّ أنفسنا وبلادنا وحياتنا وآخرتنا فى ظمأ هائل ، إلى مزيد من المعرفة والضياء بمهارة فائقة وعين بصيرة .

استطاع الشيخ محمد الغزالى رحمه الله فى مؤلفه هذا إن ينقل القارىء إلى الحياة الإسلامية ليرد السائب للأصل الراسخ .

محمد عبده أديباً وناقداً

تأليف الأستاذ الدكتور / السيد تقى الدين السيد
الناشر : دار نهضة مصر
الطبعة الأولى ١٩٨٩

لا شك أننا فى عصر التخصص ، وأن كانت كل جماعة منا اليوم تخصصت فى ناحية من نواحى الإصلاح، بعد أن كان محمد عبده، ومن سبقوه من رجال القرن الماضى على وتيرة مخالفة .. والشباب المصرى فى مستهل القرن العشرين كان فى حيرة من أمره أخذ يقلب البصر فى الظلام الكثيف ، يتلمس بصيصا من نور ، وينطلق الى رائد يرشده .

سرعان ما وجده فى شخص رجل قد زانته الحكمة وصقلته الثقافة وحنكته التجارب ، دون أن تفقده حدة الذهن وتأجج العاطفة وعزيمة الشباب .

وقد خلف لنا هذا الامام تراثاً إنسانيا خالداً ، مضت عليه عشرات العقود منذ بدأ رحمه الله جهاده فى الميدان العام .

وقد توزع فى أطواء الزمن بين حياته وهو تلميذ وحياته فى رياسة الوقائع المصرية ، واشتراكه فى الثورة العرابية ، وجهاده فى المنفى ببيروت وباريس، ثم فى مصر إلى أن توفى .

نهج مؤلف هذا الكتاب نهجاً جديداً فى تحليل وبيان حياة الامام لتصبح دراسة جديدة تنير الطريق أمام الشباب والشيوخ الذين لم يعاصروا هذا الامام العالم .

قسم المؤلف منهجه إلى أصول ثلاثة :

« تاريخى » ويعنى به دراسة الوسط الذى أحاط بالإمام من مناخ وبيئة طبيعية وأحوال سياسية واجتماعية ونحوها .

« نفسى » من حيث تأثر أدب الإمام ونقده بشخصيته ، لأن نفس الإمام هى المنبع الذى صدرت عنه أعماله الأدبية والنقدية .

« نقدى » يبحث الأداء الفنى عند الإمام بين النظرية والتطبيق .

والكتاب : يقع فى (٤٠٨) صفحات .

استعان المؤلف بأكثر من ١٠٨ من أدق المراجع العربية ثم بعض المخطوطات والدوريات وقسم هذه الدراسة المستفيضة إلى ستة فصول تناولت :

آراء وأحاديث ؟ حياته وبيئته، آثاره، الاتجاه الأدبى عند الإمام شكلاً وموضوعاً . ثم نظرية الأنواع الأدبية عند الإمام .

وأخيراً :ــ النقد بين النظرية والتطبيق .

ومن ذلك نرى أن المؤلف قد سلك مسلكاً واضحاً جلياً فى توضيح مفهوم الإمام الذى بين لنا فيه أن محمد عبده قد حوّل النقد الأدبى إلى حركة اجتماعية تربوية عملية، ولم يجعله مجرد نظرية أو فكر، كما لم يجعله قاصراً على فرد، بل وجهه إلى خير المجموع .

قبسات من السنه

تأليف الشيخ / أحمد البسيونى

هذا الكتاب يقع فى جزأين : الجزء الأول (٣٢٠) صفحة والجزء الثانى (٤٥٠) صفحة وقد اشتمل هذان الجزآن على عدة مقدمات لكبار العلماء .

والكتاب يقدم وجبات روحية على مائدة رسول الله (ﷺ)

سلك فيه المؤلف منهجاً فريداً فى بابه مزج فيه بين الفقه والوعظ واختار الأحاديث فى إطار موضوعات اجتماعية دوت غُلة ، وأزالت شبهه ، وحررت أحكاماً . وألقت فى القلوب طمأنينة وسكينة .

بدأ الجزء الأول بالبيان والتعريف لعلم الحديث ثم كلمة فى حديث: (إنما الأعمال بالنيات) وتلاه بأحاديث أخرى كثيرة تناولها بالشرح والتوضيح والإفاضة ومزجها بالموعظة الحسنة والقص الهادف .

وأنهى طائفته الأولى من القبسات بموجبات الجنة، وأفرد فى تقديمها وتوضيحها أكثر من ثلاثين حديثا فى هذا الجزء .

وحوى الجزء الثانى موضوعات عدة بدأت بكلمته (اتباع لا ابتداع) وانتهت بموضوع (الحلال والحرام) . وفى هذا الجزء تناول أكثر من أربعين حديثا نبوياً شريفاً تعتبر زاداً للدعاة وتوجيهاً للمثقفين ، ولمن أراد أن ينتفع بعلم الحديث الشريف والعمل به . ومن أراد الله به خيراً فقهه فى الدين .

بين المجلة والقراء

تقديم الأستاذ **عادل رفاعى خفاجة**

موقف الإسلام من تعليم المرأة

حرص الإسلام على العناية بالمرأة ، فأعطاها حقوقاً لم يعطها إياها أى قانون أو تشريع شهدته البشرية ، ولم ينصفها مثلما أنصفها الإسلام .

فهانحن بين أيدينا حديث رسول الله ﷺ إذ يقول : « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها ، وعلمها فأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله الذى أسبغ عليه ، كانت له منعة وستراً من النار » رواه الطبرانى . وقوله ﷺ : « استوصوا بالنساء خيراً » رواه مسلم . ومن هذه الوصية يتفرع الاهتمام بالمرأة تعليماً وتأديباً . وحول هذا المعنى وردت إلينا رسالة القارىء ناصر مصطفى عبد الحميد ـ محافظة الشرقية ـ قرية شوبك اكراش ـ يقول فيها :

للعلم مكانة فى الإسلام لم تكن فى غيره قط ، وهذا نراه واضحاً فى الآيات الكريمات بداية من أول سورة أنزلت « ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ »(١) حتى انبسط أمره فى القرآن الكريم فى قوله تعالى :

« قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ »(٢) .

(١) سورة العلق ١ .

(٢) الزمر ٩ .

وفى الحديث الشريف الذى يرويه أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ يقول : قال رسول الله ﷺ : « **طلب العلـــم فريضة على كل مسلم** »[٣] ولفظ « مسلم » **هنا يقصد به الرجل** والمرأة ؛ لأن فيها تعميم ولذلك **يرى بعض العلماء** أن الإسلام حث على تعليم المرأة **حيث يقول الله** ـ تعالى :

« **واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة** »[٤] .

ويقول الرسول ﷺ : « **أيما رجل كانت عنده وليدة فعلمها فأحسن تعليمها وأدبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران** »[٥] .

وكانت عائشة ـ رضوان الله عليها ـ أفقه نساء العالم وأكثرهن رواية للحديث عن رسول الله ﷺ .

إذن : فالإسلام لا يمنع تعليم المرأة ، ولكن المشكلة هى نوعية العلم الذى تتلقاه المرأة .

إنه العلم بأصول دينها أولًا .

ثم العلم بشئون الأسرة وتربية الأولاد وتدبير المنزل والشئون الصحية وسياسة الأطفال وغير ذلك مما تحتاجه فى بيتها .

أما أن تتعلم المرأة الجيولوجيا والتنقيب عن البترول ، وغير ذلك مما لا يتفق وصبغتها فلا لزوم له ، وللمرأة حقوق فى التعليم والتربية ، وأولى **بالمرأة أن تعرفها وتلم بها ، مصداقاً لقول الله تعالى :**

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[٦]

وكيف يقى المسلم أهله وبناته من النار إن لم تتعلم المرأة ما ينفعها فى دنياها وآخرتها ، ويجعلها أكثر قدرة على المشاركة فى الحياة الزوجية ، وأعرف بأصول تربية أطفالها .

ومن هنا يقول الرسول ﷺ : « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** » ويشمل مدلول الحديث كل مسلمة ـ أيضاً ـ إلا أن التعبير بالمسلم من باب التغليب »[٧] .

ومن المستحسن أن تلم فتياتنا بالطب والتدريس ليكون الذى يعالج المرأة والذى يعلمها امرأة مثلها ، وقيام المرأة بمثل هذه المهام من طب وتدريس وتربية للنشء ودعوة لغيرها من النساء يستدعى إلمامها بما استجد من علوم فى هذه المجالات مثل : علوم الكائنات الحية والصيدلة وعلوم النفس والاجتماع وعلوم تنمية شخصية الطفل ... إلخ .

وتستطيع المرأة أن تمارس الرياضة فى بيتها ، وما تشاء من علم لم يحرمه الإسلام ، فقد استعاذ أسلافنا من علم لا ينفع .

---

(٣) أخرجه ابن عدى والبيهقى فى شعب الإيمان ، والطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن مسعود وصححه الألبانى فى الجامع الصغير ٣٨٠٨ .

(٤) الأحزاب ٣٤ .

(٥) رواه البخارى .

(٦) التحريم ٦ .

(٧) أختى المسلمة .. انتبهى فقد خلطوا عليكالحقائق للدكتور سعد الدين السيد صالح ص ٩ ، ١٠ الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ دار الأرقم ـ الزقازيق .

فضـــل تعليـــم المـــرأة :

وفى الحديث الشريف « **من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان ، فأحسن صحبتهن ، واتقى الله فيهن ـ وفى رواية ـ فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة** »[٨] .

وهـذا الإحسان الـذى يشير إليـه الحديث الشريف هو إحسان التربية والأدب ، والنشأة ، ولا يكون ذلك إلا مع العلم الذى يكفل ثقافة العقل وتهذيب النفس[٩] .

ولقد تقدمت المرأة فى طلب العلوم الإسلامية حتى صارت فقيهة .. من أولئك ابنة الإمام أحمد ابـن حنبـل ، وفاطمـة بنت محمـــد بن أحمد السمرقندى صاحب « تحفة الفقهـاء » ، فقـد تفقهت على أبيها ، وحفظت تحفته ، وتزوجها علاء الدين بن أبى بكر صاحب البدائع ، وكان زوجها يخطىء فترده إلى الصواب ، وكانت الفتوى تأتى ، فتخرج وعليها خطها وخط أبيها فلما تزوجت ، بصاحب البدائع ، كانت تخرج وعليها خطها وخط أبيها وخط زوجها .

العــدل فى المجتمــع الإســلامى

كما أرسل القارىء : محمد على البلجيهى ـ أويش الحجر ـ المنصورة ـ تلك الكلمة عن العدل فى المجتمع الإسلامى ـ يقول فيها :

لقد بلغت العدالة فى المجتمع الإسلامى الأول أوجهها لا سيما فى عصر النبى ﷺ والخلفاء الراشدين ، ففى هذه الحقبة الزمنية تحققت أحلام المصلحين وآمالهم ، فى مجتمع تظلـه العدالـة ، وتحكمه الرحمة والمودة فصار المثل الأعلى للعدالة واقعاً حياً فى دنيا الناس .

إن المجتمعات التى تدين بالإسلام فى عصرنا الراهـن ، لازالت تجد فى المجتمـع الإسلامـى الأول ، الأسوة والقدوة فى كل تشريع ، تستهدف به جوهر العدالة لتصون الحق وتقاوم الفساد .

لقد أمر الله حكام الأمة الإسلامية بالعدل ، وكذلك كل من يتولى شأنا من شئون المسلمين ، ويتأمر على جماعة صغيرة كانت أو كبيرة ، قال ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ **٥٨ النساء**

قال محمد بن كعب وزيد بن أسلم :

« إن هذه الآية نزلت فى الأمراء » أ . هـ انتهى

(٨) رواه أبو داود وابن حيان فى صحيحيهما ، والترمذى واللفظ به .

(٩) الإسلام وقضايا المرأة المعاصرة للملبهى الخولى ص ٢١٠

هدى القران الكريم يحقق الأمن

كما وردت رسالة القارىء : عبد العظيم محمد إبراهيم شيخ مقرأة الشيخ الدرديرى . يقول فيها :

يقول الله تعالى فى كتابه الكريم :

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

سورة المائدة ـ آية ١٥ ، ١٦ .

اننا نقرأ الآن ونسمع عن حوادث مؤلمة ومفجعة تشتمئز منها القلوب وتقشعر منها الأبدان ، ومن العجيب أن هذه الحوادث تحدث فى أهم البلاد وأعظمها تقدماً وحضارة فى هذا العصر الحديث . وكان المفروض أن تقدم هذه البلاد وحضارتها يقفان مانعاً حصيناً من حدوث مثل هذه الحوادث . ولكن الواقع يثبت غير ذلك ، فما هو السبب الحقيقى فى وقوع مثل هذه الحوادث ؟

القرآن الكريم يجيب على هذا السؤال إجابة صريحة يقرها الواقع الملموس :

فيقول الله تعالى فى صفة القرآن الكريم ، أنه تعالى يهدى به من اتبع رضوانه سبل السلام أى طرق الأمن والسلامة ، والمقصود بكلمة الرضوان فى الآية الكريمة هو اتباع ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه لأن ذلك يرضى الله تعالى فاسماه بالرضوان . ولم يكتف الله تعالى فى وصف القرآن الكريم بأنه يهدى إلى طرق الأمن والسلامة بل زاد على ذلك فى وصفه فقال واصفاً متبعى رضوانه بان الله يخرجهم من الظلمات إلى النور أى يخرجهم من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الإيمان واليقين ، ويهديهم إلى الطريق المعتدل الموصل إلى الجنة فلو أن الناس جميعاً عملوا بهذا الهدى الكريم لأراحوا أنفسهم من الشحناء والبغضاء والكراهية التى تسبب العدواة بين الناس وتحفزهم إلى التقاتل والحروب .

فما أحورج الناس فى هذا الزمن بل فى كل الأزمان إلى تفهم القرآن الكريم وتدبر معانيه كما قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴾

سورة الحجرات ـ آية ١٣

والمقصود بالتعارف فى الآية الكريمة هو التقارب وجمع الشمل والتعاون فى البر والتقوى لا التباعد والتنافر المفضى إلى الكراهية والبغضاء . فهل آن لنا أن نعمل بكتاب الله فنتعاون فيما بيننا على البر والتقوى ونعيش فى أمن وسلام ، ونعمل أيضاً بحديث رسول الله ﷺ « **أحب لأخيك مل تحب لنفسك تكن مؤمناً** ».

أرجو أن يوفقنا الله إلى ذلك :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾

سورة هود ـ آية : ٨٨

ثمـــرة شـــجرة الإيمـــان

كما حمل إلينا البريد رسالة القارىء : أحمد محمود الطباخ ـ مدرس علوم عربية بالمعهد الثانوى بأبى حمص ـ بحيرة ـ وفيها يقول :

إن الإيمان شجرة طيبة تضرب بجذورها فى الأصول الثابتة المتينة ، وهذه الشجرة لها فروع وغصون وأفنان هى تلك الأعمال الصالحة ، فالإيمان قوة دافعة للخير ، وشاحنة للبر ، محلها القلب الذى بمثابة التربة الصالحة التى تنمى الإيمان وترعاه وتزيده طالما كان القلب طاهراً من الذنوب ، مبرءاً من الأمراض ، ولذلك سنرى الشجرة قد أثمرت الاستقامة ولذلك سأل سفيان بن عبد الله ـ رضى الله عنه ـ الرسول ﷺ ليقول له قولًا لا يسأل عنه أحداً غير الرسول ﷺ فقال له الرسول ﷺ : « قل آمنت بالله ثم استقم » رواه الترمذى وقال حسن صحيح ـ إن الإيمان إذا وقر فى القلب اطمأن الإنسان فعندئذ يكون مؤمناً إيماناً حقيقياً منسجماً مع ظاهر الجوارح لأن حياته لن يكون فيها غش ولا تدليس ، من أجل ذلك كان جزاؤهم يوم الحساب الجنة ونعيمها

فيقول ـ تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

إن المجتمع لو استقام ما رأينا هذه الصور المخزية التى يندى لها الجبين . وتقطع لها نياط القلب لأننا نتمنى أن نرى مجتمعا يسوده الحب والوفاق والترابط كالجسد الواحد ، فاللهم حقق آمالنا .

الحكمة الإلهية من إرسال الرسل

كما أرسل القارىء : سالم مهنى عبد العظيم محمد ـ قرية شبرا النونة ـ إيتاى البارود :

اقتضت حكمة الله ـ تعالى ـ أن يرسل الناس رسلاً منهم مبشرين ومنذرين لإنقاذ البشرية من الضياع والتخبط والحيرة ، أرسلهم ليرشدوا العقول إلى معرفة الخالق ـ سبحانه ـ وإدراك ما يتصف به من كمالات ، وليجمعوا كلمة الحق على توحيده وأفراده بالعبادة والتقديس وليبينوا للناس أحوال الآخرة وما فيها من ثواب يرغب فى الخير وعقاب يرهب من الشر وما يجب عليهم عمله لتجنب العذاب واكتساب الثواب ويعبرون عن ذلك بأسلوب يناسب طاقة العقول والمفاهيم أرسلهم الله ليبلغوا شرائعه التى تحدد للناس كيف يقومون أنفسهم وكيف يكبحون جماح شهواتهم وليضعوا قواعد العدل التى يخضع لها عباد الله ، يشرعون الحدود العامة التى يسهل رد أعمال

الناس إليها وينظمون العلائق والصلات بين الأفراد والجماعات فى الدين والمعاملات ويبينون مع ذلك الصفات الفاضلة ، كرعاية الحقوق واحترام الأعراض والاعتراف لكل مخلوق بحقه وأن يعين قويهم ضعيفهم ويهدى راشدهم ضالهم .

أرسلهم الله لبيان الخلق الفاضل وأيدهم بمعجزات باهرات حتى تذعن العقول لهم وتصدق بما يخبرون ، ويركن الجميع لما جاوا به ويتم الإقناع بصدق رسالتهم لتقوم بهم الحجج فتنقطع معاذير الخلق وتعليلاتهم وتبطل حججهم أمام الله ـ عز وجل .

قال ـ تعالى :

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾

سورة الإسراء ـ آية : ١٥

فإرسال الرسل إذن من أهم ما تحتاج إليه البشرية فى بقائها ويتوقف عليه صلاح معاشها ومعادها لذلك أرسلهم الله :

﴿ رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ﴾

سورة النساء ـ آية ١٦

الإسلام وحقيقته ومنزلته

كما وردت رسالة القارئة : أم هاشم حسين يوسف ـ قنا ـ إسنا ـ الزاوية البيضاء .. تقول فيها :

الإسلام فى اللغة : الانقياد ، والخضوع ، والتسلم وهو بذلك :

دين الله على لسان جميع الأنبياء لجميع الأمم هو الإخلاص لله تعالى والرجوع عن الهوى إلى حكمه .

والمسلم : هو من أسلم وجهه لله ورضى بقدره وبطاعته وانقاد لحكمه قال ـ تعالى :

﴿ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة لقمان

والإسلام : دين سمح ، تكاليفه واضحة وسهلة وميسرة ، فهو دين كامل من جميع النواحى قال تعالى :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾

سورة المائدة ـ آية : ٣

فمن أجل ذلك انتشر الإسلام بذاته لا بجاه ولا بقوة .

والإسلام : دعوة عامة إلى الثقلين « الجن والإنس » قال تعالى :

﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾

سورة الأنعام ـ آية : ١٩

فيدخل الجن مع الانس فى عموم قوله **﴿ ومن بلغ ﴾** وكذلك الإنس .

والإسلام : عقيدة معتدلة وسطية تخاطب الروح والعقل معاً وتدعو إلى تهذيبهما .

قال ـ تعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا ﴾

سورة البقرة ـ آية : ١٤٣

وقال ﷺ « الوسط : العدل » رواه الترمذى .

والزيادة على العدل إفراط والنقص عنه تفريط وكلاهما مذموم ، والفضيلة فى الوسط .. ويقال : خيرُ الأمور الوسط .

والإسلام : آخر الأديان وخاتمها لأن رسوله الكريم خاتم الأنبياء والمرسلين .

قال ـ تعالى :

﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴾

سورة الأحزاب ـ آية : ٤٠

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

القرآن الكريم

ومن القارىء محروس عبد الفتاح يس ـ الإسماعيلية ـ حى السلام ـ وردت هذه الرسالة عن القرآن الكريم يقول فيها :

القرآن كتاب عربى أتى على نسق ما ألفه العرب فى لغتهم ، ومن حيث المفردات والجمل ومن حيث القواعد والقوانين التى تصاغ بها هذه المفردات ، وتتكون منها تلك الجمل :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1]

فينبغى ـ علينا ـ حين قراءته الالتزام بالطريقة الصحيحة فى نطق ألفاظه ، ومراعاة ضبط آياته وتشكيلها بالصورة التى تلقيناها من سلفنا الصالح ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ .

وذلك للابتعاد بالقرآن الكريم عن اللحن : خفية وجلية ، ولإظهار ما له من جلال وجمال وحلاوة وطلاوة . « عن حذيفة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **اقرأوا القرآن بلحون العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق والكبائر فإنه سيجىء أقوام من بعدى يرجعون القرآن ترجيع الغناء والرهبان والنوح مفتونة قلوبهم وقلوب من يعجبهم شأنهم** »[2] .

والتهاون فى هذا الجانب يخل بمعنى اللفظ المقروء ، وقد يفهم على عكس مراد الله من ذكره . فيؤدى إلى إنكار حقائق إيمانية ثابتة ، أو قلب مفاهيم عقائدية واضحة .

وأوضح مثل على عدم الدقة والالتزام بتشكيل الحرف ؛ قراءة لفظ « ورسوله » من قوله ـ تعالى ـ :

﴿ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ ﴾[3]

بكسر اللام . فذلك يفيد أن الله برىء ـ حاشا لله ـ من رسوله ، مع أن القرءة السليمة التى يستقيم بها الفهم ، ويتضح معها المعنى الحق : القراءة بضم اللام .

(١) آية رقم ٢ من سورة يوسف .

(٢) موطأ الإمام مالك ، وسنن النسائى .

(٣) آية رقم ٣ من سورة براءة « التوبة » .

رسائلكم وصلت

وحيد حامد الدهشان ـ المطرية
أحمد محمود الشريف ـ الملك فيصل ـ جيزة
محسن عبد المعطى عبد ربه ـ المحلة الكبرى
سعيد ربيع ـ حلمية الزيتون
صالح غانم أحمد راشد ـ سوهاج ـ ادفو
طلعت نصر الدين عبد الوهاب ـ المنصورة
يحيى السيد النجار ـ دمياط
داود الطيب خليفة عثمان ـ كلية اللغات
محمود عبد الوهاب محمد ـ الاسكندرية

على حمدون أحمد ـ كفر الشيخ
جمعة شعبان غريانى ـ أبو الوقف البلد
عبد الرحمن حمدى عبد التواب ـ القاهرة
محمد أحمد جمعة السحرى ـ الغربية
ياسر محمود مصطفى ـ معهد الدعاة
السيد الشافعى ـ الرحمانية
السيد التحفة ـ بحيرة
كامل جيلانى ـ جرجا
إسماعيل حاتى ـ الجزائر

بمشيئة الله ـ تعالى ـ تواصل المجلة اهتمامها بعرض الرسائل التى تتلقاها تباعاً .

تنـــويه

تود إدارة المجلة أن تؤكد على اهتمامها بتخريج الأحاديث النبوية ، وأنــه كثيراً ما تحجب موضوعات جيدة عن النشر لعــدم تخريج الأحاديث الواردة بها ، لذا نذكر السادة القراء الذين يراسلون المجلة بضرورة الاهتمام بذلك .

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين/ عمر البسطويسي • مصطفى عبد المجيد

الإمام الأكبر يفتتح المخيم الدولى الثانى لشباب العالم الإسلامى

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بإفتتاح المخيم الدولى الثانى لشباب العالم الإسلامى الذى أقيم هذا العام بمحافظة الإسماعيلية تحت شعار « دور الشباب فى تحقيق التضامن الإسلامى » ونظمه المجلس الإسلامى العالمى للدعوة والاغاثة بالتعاون مع الندوة العالمية للشباب الإسلامى بحضور لفيف من شباب العالم الإسلامى الدارسين بالأزهر الشريف .

وقد تحدث إليهم فضيلته مطالبا إياهم بالتمسك بالتكاليف الشرعية وأداء العبادات التى فرضها الله تعالى حتى تستطيع الأمة الإسلامية أن تنهض بهذا الشباب المسلم المتمسك بدينه ، مشيرا إلى أن الشباب إذا تمسك بدينه وبحب العلم النافع وعشقه عرف السعادة وسار على الطريق الصحيح .

ووجه فضيلته نصيحته للشباب قائلا : إننى أنصح الشباب بالتسلح بالعلم ، حتى يكونوا قد وقفوا على أرض صلبة وقد أسسوا أنفسهم تأسيسا صحيحا كما ينبغى منهم لأن العلم يزيد الإنسان إيمانا وثباتا ويعمق صلتنا بخالقنا .

وأضاف فضيلته : أيها الشباب والأبناء يجب عليكم أن تتسلحوا بسلاح الخلق القويم لأن العلم إذا استعمل فى الشر والمعصية يكون مدمرا والاخلاق تحمى العلم من الانحراف ، والإسلام يتميز بأنه دين سهل وواضح فى الأخلاق والعبادات والمعاملات وهذا الوضوح الذى ييسر على أتباعه الالتزام به يأتى من أنه دين الفطرة ودين الوسطية وليس فيه طلاسم ولا غموض .

وأكد فضيلته فى ختام كلمته أن اجتماع الشباب من مشارق الأرض ومغاربها من أجل إحياء التضامن الإسلامى هو عمل جليل ومهم وهو يمثل للأمة دور القلب بالنسبة للجسد .

شهد اللقاء فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والسيد كامل الشريف الأمين العام للمجلس الإسلامى العالمى للدعوة والإغاثة والدكتور مانع الجهنى أمين عام الندوة العالمية للشباب الإسلامى .

ويشهد معسكر إعداد الدعاة بالإسماعيلية

أكد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف ان تعاليم الشريعة الإسلامية اهتمت بتربية الفرد دينيا وخلقيا وعلميا واجتماعيا ونفسيا وبدنيا ، وأن هذه التعاليم فيها كل اعتدال وعدالة وسماحة .

جاء ذلك خلال لقاء فضيلته بالطلاب المشاركين فى معسكر إعداد الدعاة الذى نظمته جامعة الأزهر بمدينة الإسماعيلية حيث ألقى كلمة حملت أمانيه بمستقبل زاهر لهم من أجل خدمة دينهم وأمتهم ، ومن أجل أن يعيشوا فى هذه الحياة يبنون ولا يخربون ، يصلحون ولا يفسدون .

وقال فضيلته إن الأزهر بفضل دراسته الإسلامية كفيل أن يخرج منه الذين ينشرون النور فى الأرض وينشرون الحق والعدل ومكارم الأخلاق ، يعتنقون الفضائل ويتجنبون الرذائل ويتعاونون على البر والتقوى .

وأكد فضيلته على أن أبرز مميزات الشريعة الإسلامية الوضوح فليس فيها طلاسم أو الغاز ولكنها شريعة واضحة وضوح الشمس تقف بجانب المظلوم حتى يحصل على حقه ، وتقف فى وجه الظالم حتى يرتدع عن ظلمه ، وتأمر المسلمين بأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى .. واشتملت على القضايا والوصايا الهامة الكريمة التى تسعد الفرد فى دينه ودنياه وفى كل حال من الأحوال : يقول الحق تبارك وتعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ

سورة النحل ــ آية : ٩٠

فهذه الآية الكريمة اشتملت على مكارم الأخلاق وعلى ما يسعد الإنسان فى عقيدته وسلوكه وصلته بغيره ويسعده فى حياته كلها .

وأوضح فضيلته أن الأمر بالعدل فى الآية الكريمة معناه أن ننشر الحق بين الناس ونعدل بينهم بمعنى أن ننطق بالكلمة التى لا ظلم فيها لأحد ، والله أمرنا أن نعدل فى أقوالنا ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ وفى أحكامنا ﴿ وإذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ﴾ وفى شهاداتنا ﴿ واشهدوا ذوى عدل منكم ﴾ لأنه بالعدل قامت السموات والأرض .

وفى ختام كلمته أشار فضيلته إلى أننا فى حاجة إلى أن نغرس فى نفوس شبابنا مكارم الأخلاق ، والصدق ، والعفاف والطهارة ، وعشق الاطلاع

والقراءة ، لأن العلم ينفعك فى دينك ، ودنياك حيث قال رسول الله ﷺ فى الحديث الشريف الصحيح « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم » والعلم كما قال على بن أبى طالب لكمى بن زياد العلم خير من المال ، فالعلم يحرسك وأنت تحرس المال والمال تنقصه النفقة ، والعلم يزكو على الانفاق ، والمال محكوم والعلم حاكم .. وحينما نطلب العلم لله سيعطينا الله من فضله ، والاخلاص فى العلم يغرس التقوى فى القلوب .

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ .

سورة الطلاق ـ آية : ٢

شهد اللقاء فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر والأستاذ الدكتور جعفر عبدالسلام نائب رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات جامعة الأزهر الشريف .

ويؤكد فى مؤتمر إسلامى بمحافظة الشرقية: رسالة الأزهر لا تقتصر على مصر وحدها

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ولفيف من قيادات الأزهر والأوقاف وجامعة الأزهر بزيارة لمحافظة الشرقية حيث قاموا جميعا يرافقهم الدكتور حسين رمزى كاظم محافظ الشرقية بافتتاح مسجد النادى الرياضى بمدينة ههيا الذى أقيم بالجهود الذاتية وتكلف أكثر من ربع مليون جنيه .

وفى نهاية الزيارة شهد فضيلته ومرافقوه المؤتمر الذى عقد بديوان عام المحافظة حيث ألقى فضيلته كلمة أكد فيها ، على أن الأزهر الشريف مؤسسة تعليمية لتخريج الدعاة والأئمة والمستنيرين الذين يقومون بنشر المفاهيم الصحيحة للإسلام بعيدا عن التعصب والتطرف .

وأكد فضيلته أن الأزهر يقوم بإيفاد بعثات دينية إلى دول العالم الإسلامى حيث أن رسالته لا تقتصر على مصر وحدها ، بل تمتد إلى جميع دول العالم حيث يستقبل سنويا عشرات الآلاف من أبناء العالم الإسلامى بمذاهبهم المتعددة ، ويتيح لهم فرصة التعليم المجانى المعتدل ليعودوا إلى بلادهم لنشر كلمة الحق والعدل .

وأضاف فضيلته بأن الأزهر الشريف يضم آلاف المعاهد الدينية التى تنتشر فى جميع أنحاء مصر وتقوم بنشر التعليم الدينى بين أبناء مصر .

وتحدث فى المؤتمر فضيلة الدكتور وزير الأوقاف الذى أعلن أن أكثر من ١٥٠ إماما يعملون حاليا بصفة دائمة فى معسكرات الشباب لتوعيتهم بأهم القضايا التى تشغل الوطن وللإجابة على الاستفسارات المتعلقة بالمسائل الدينية .

كذلك تحدث الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وأعلن أنه تقرر قبول جميع الناجحين هذا العام فى الثانوية الأزهرية بالجامعة دون التقيد بشرط المجموع .

وقال فضيلته تقرر قبول الطالبات الحاصلات على الثانوية العامة هذا العام بقسم اللغات والترجمة بكلية الدراسات الإنسانية بالجامعة فرع البنات وذلك من الحاصلات على مجموع ٧٥٪ على الأقل .

معاهد جديدة تنضم للأزهر الشريف

كما وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ضم المعاهد الآتية للأزهر الشريف .

١ ــ معهد البوها الابتدائى ــ ميت غمر ــ محافظة الدقهلية .

٢ ــ معهد عبدالغفار الشرقاوى ــ قطور ــ محافظة الغربية .

٣ ــ معهد نزلة العريان ــ قطور ــ محافظة الغربية .

٤ ــ معهد قسطا الاعدادى بنين ــ كفر الرنايا ــ محافظة الغربية .

٥ ــ معهد سنبو الكبرى الاعدادى ــ زفتى ــ محافظة الغربية .

الأزهر فى لجنة تحكيم بالجزائر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على سفر فضيلة الشيخ حسن عبدالنبى عبدالجواد عراق ــ موجه القراءات بقطاع المعاهد الأزهرية إلى الجزائر ممثلا للأزهر الشريف فى لجنة التحكيم لمسابقة القرآن الكريم التى تجريها لجنة مسجد الأمير عبدالقادر والجامعة الإسلامية بقسطنطينة بالأزهر بمناسبة المولد النبوى الشريف لسنة ١٤١٧ هـ .

ويشهد ختام الدورة التدريبية لأئمة العالم الإسلامى

شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الحفل الختامى للدورة الثالثة والثلاثين للسادة الأئمة والوعاظ من العالم الإسلامى ضمن الدورات التدريبية التى تنظمها اللجنة العليا للدعوة بالأزهر الشريف ، شارك فى هذه الدورة أئمة ودعاة يمثلون دول : المالديف ــ زامبيا ــ البانيا ــ جنوب افريقيا ــ الفلبين ــ النيجر .

وقد ألقى فضيلته كلمة دعا فيها الأئمة والدعاة إلى أن يكونوا دعاة خير ورسل سلام وأن ينقلوا لأهليهم وذويهم فى بلادهم ما تلقوه من علم ومعرفة فى رحاب الأزهر الشريف ، وأن تكون دعوتهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة وأن يجمعوا الناس على كلمة سواء ، وأن يبتعدوا عن مواطن الخلاف والشقاق مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ .

وقوله تعالى :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ .

وفى نهاية الحفل قام فضيلة الإمام الأكبر بتوزيع شهادات التخرج على الخريجين وأهدى كل واحد منهم مكتبة إسلامية .

حضر الحفل السيد مساعد وزير الخارجية للشئون الثقافية والعامة والدينية بوزارة الخارجية وسفراء الدول الإسلامية المشاركة فى هذه الدورة ورجال السلك الدبلوماسى ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

الإمام الأكبر يوقع اتفاقية تعاون بين الأزهر ووزارة الأوقاف الكويتية

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بتوقيع إتفاقية التعاون بين الأزهر الشريف والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت .

وقع الاتفاقية عن الجانب الكويتى معالى وزير الأوقاف الكويتى الدكتور على فهد الزميع . تتضمن الاتفاقية الاطار العام للتعاون بين الأزهر الشريف والأمانة العامة للأوقاف بدولة الكويت فى مجالات البحث العلمى وخدمة الطلاب الدارسين بمعاهد الأزهر الشريف وجامعته .

إعلان نتائج شهادات الأزهر الشريف

● اعتمد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف نتائج امتحانات الشهادات الأزهرية حيث جاءت على النحو التالى :

بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الاعدادية ٤٨,٤٪ .

بلغت نسبة النجاح فى الشهادة الثانوية للبعوث ٣٣,٢٪ .

بلغت نسبة النجاح العامة فى الشهادة الثانوية الأزهرية بشعبها الثلاث على النحو التالى :

الأدبى ٥٠,١٪ .

علوم ٦٤,٩٪ .

رياضيات ٦٠,٥٪ .

من ناحية أخرى أدى طلاب النقل بمختلف مراحل التعليم بالأزهر الشريف امتحانات الدور الثانى حيث أعلنت النتائج تباعا بمختلف المعاهد على مستوى الجمهورية .

كذلك يؤدى طلاب الشهادتين الاعدادية والثانوية امتحانات الدور الثانى اعتبارا من يوم ١٧ أغسطس ١٩٩٦ حيث تستمر الامتحانات وفق الجداول المعلنة بالمعاهد الأزهرية .

ومن المنتظر إعلان النتائج فور الانتهاء من عمليات التصحيح وتقدير الدرجات والرصد وذلك بعد الانتهاء من أداء الطلاب للامتحان .

ويتلقى برقية شكر من رئيس الجمهورية

● هذا وقد تلقى فضيلته برقية شكر من السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ردا على البرقية التى بعث بها فضيلته لسيادته بمناسبة نجاح مؤتمر القمة العربية التى عقدت بالقاهرة مؤخرا هذا نصها :

فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف .

أشكركم على تهنئتكم الرقيقة بنجاح مؤتمر القمة العربية ومشاعركم الصادقة نحوى داعيا المولى سبحانه وتعالى أن يسدد على طريق الخير خطاكم مع أطيب التمنيات .

الإمام الأكبر يهنئ رئيس الجمهورية

بعث فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ببرقية التهنئة التالية للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف .

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس الجمهورية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد .

بمناسبة المولد النبوى الشريف يسعدنى أن أهنىء سيادتكم بهذه المناسبة الطيبة داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم عليكم بموفور الصحة والسعادة .

وباسم الأزهر الشريف وجميع هيئاته وعلمائه وطلابه والعاملين فيه وباسمى أعبر لكم عن أسمى آيات التهنئة .

داعيا الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا الحبيبة وشعبنا وأمتنا العربية والإسلامية بالسلام والأمان والرخاء فى ظل قيادتكم الرشيدة .

إنه سميع مجيب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

● كما بعث فضيلته ببرقية تهنئة للسيد الرئيس محمد حسنى مبارك بمناسبة الاحتفال بعيد ثورة يوليو هذا نصها :

السيد الرئيس محمد حسنى مبارك

رئيس جمهورية مصر العربية

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

فبمناسبة عيد ثورة يوليو المجيدة يسعدنى أن أقدم لسيادتكم وشعب مصر أصدق آيات التهنئة والأمانى الطيبة .

وباسم الأزهر الشريف بجميع هيئاته وعلمائه وطلابه والعاملين به وباسمى أدعو الله سبحانه وتعالى أن ينعم على مصرنا وأمتنا العربية بالأمن والأمان والسلام والرخاء .

إنه نعم المولى ونعم النصير .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

استقبالات فضيلة الإمام الأكبر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف سعادة السفير محمد حسن الصدر بمناسبة تعيينه سفيرا لدى دولة الفاتيكان ، حيث رحب فضيلة الإمام الأكبر بسيادته داعيا له بالتوفيق والسداد فى أداء مهمته وأن يكون خير خلف لخير سلف وأن تزداد المودة والتعاون بين الديانات وأن توجه للوجهة التى تخدم الوطن فى الداخل والخارج .

وأعرب الضيف عن شكره وتقديره لفضيلة الإمام الأكبر ووعد فضيلته بأن يعمل جاهدا من أجل خدمة الوطن ورفع شأنه فى الداخل والخارج .

● كما استقبل فضيلته السيد / كوستيس موسوف المستشار الثقافى لسفارة اليونان بالقاهرة حيث قدم سيادته الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لحضور لقاء (الدين والعلم والبيئة) المزمع عقده فى العام القادم وينظمه البطريرك فارثولوميوس مسئول الكنيسة الأرثوذكسية فى استانبول والسيد/ جاك سانتر رئيس الاتحاد الأوروبى .

● واستقبل فضيلته بمكتبه السيد الأستاذ أفديا حسن القائم بأعمال سفارة البوسنة بالقاهرة .

فى بداية اللقاء قدم الضيف شكره وتقديره للأزهر الشريف وأساتذته لمساعدته لبلاده وتقديمه العون الدائم والمستمر لطلاب البوسنة المتمثل فى المنح الدراسية وكذلك المساعدات المادية والعينية التى قدمتها حكومة جمهورية مصر العربية لبلاده .

كذلك تم خلال اللقاء بحث زيادة المنح الدراسية المخصصة لطلاب البوسنة ، ومعادلة المناهج الدراسية بما يتفق ومناهج الأزهر الشريف حتى يكون الطريق ممهدا أمام الوافدين للأزهر الشريف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعا فى تقديم أى عون سواء ماديا أو معنويا معربا عن استعداد الأزهر الشريف لدراسة كافة المطالب التى تقدم بها الضيف تمهيدا للعمل على تلبيتها .

شهاد اللقاء سعادة الأستاذ/ إسلام فارس المستشار لسفارة البوسنة بالقاهرة .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه السيد/ نور الله خان القائم بالأعمال بسفارة باكستان بالقاهرة حيث تسلم فضيلة الإمام الأكبر الدعوة الموجهة لفضيلته من السيدة / بنظير بوتو رئيسة وزراء باكستان لزيارة جمهورية باكستان ، وقد اقترح فضيلة الإمام الأكبر موعدا مبدئيا لهذه الزيارة فى الفترة من ١٤ ــ ٢١ أكتوبر ١٩٩٦ .

متفرقات

شهد الأزهر توقيع عدة إتفاقيات إسلامية هامة :

● حيث تم توقيع اتفاقية بين الأمانة العامة للأوقاف بالكويت والمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة الإسلامية (الاسسيكو) لدعم التعاون فى مجالات العلوم الإسلامية المختلفة وإنشاء بنك للمعلومات وتنظيم منتدى إسلامى للباحثين فى الفكر الإسلامى والتنمية وقع عن الجانب الكويتى الدكتور على فهد الزميع وزير الأوقاف الكويتى وعن المنظمة الدكتور عبدالعزيز التويجرى المدير العام للمنظمة .

● كذلك تم توقيع ثلاثة برامج تنفيذية بين جامعة الأزهر والأمانة العامة للأوقاف بالكويت وقعها فضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر وعن الجانب الكويتى الدكتور / عبدالمحسن محمد الأمين العام للأمانة العامة للأوقاف بالكويت ، تتضمن هذه البرامج رعاية خمسمائة طالب من الطلاب المتفوقين بجامعة

الأزهر لمدة أربع سنوات بالاضافة إلى تنظيم مسابقة بحوث ثقافية لطلاب الجامعة والمعاهد الأزهرية .

وكذا توفير المنح الدراسية لطلاب الدراسات العليا الكويتيين للدراسة بجامعة الأزهرالشريف .

وقد حضر مراسم توقيع الاتفاقيات فضيلة الشيخ سيد سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من قيادات الأزهر .

● أكد فضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف رئيس الادارة المركزية لمكتب شيخ الأزهر والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر أن الأزهر يقوم بمجهودات مستمرة فى مجال العملية التعليمية بأريتريا من خلال إيفاد المبعوثين أو استقدام الطلاب على منح الأزهر الشريف كما يقوم الأزهر بدعم المؤسسات التعليمية الأريترية بالمناهج والكتب الدراسية ، كذلك يتم استقدام الأئمة والوعاظ للمشاركة فى الدورات التدريبية التى ينظمها الأزهر من خلال اللجنة العليا للدعوة الإسلامية .

وأضاف فضيلته أنه تم إرسال بعثة تعليمية من الأزهر تضم عشرة مدرسين خلال العام الدراسى ٩٥ ـ ١٩٩٦ يعملون بالمعهد الدينى بأسمرة ، كما يقوم الأزهر بدفع مرتبات (١١) مدرسا أرتيريا بنفس المعهد .

وأضاف أنه فى مجال استقدام الطلاب من أريتريا للدراسة بالأزهر تم قبول أكثر من مائة طالب على منح الأزهر وبيت الزكاة الكويتى وهيئة الاغاثة .

● ومن ناحية أخرى انتظم حوالى (١٤) إماما وواعظا من أريتريا فى الدورات التدريبية التى عقدت خلال هذا العام عن طريق اللجنة العليا للدعوة .

أنباء العالم الإسلامى

إعداد الأستاذ / مجدى عبد الحميد بشير

القاهــــــرة

تلقى الرئيس محمد حسنى مبارك ، اتصالا هاتفيا من الملك حسين أطلعه فيه على نتائج محادثاته مع الرئيس السورى حافظ الأسد ، وكان العاهل الأردنى قد اجتمع فى دمشق مع الرئيس السورى بعد طرح خلافاتهما السابقة جانبا ، وذلك للتركيز على مسيرة السلام فى الشرق الأوسط ، وهذه أول زيارة يقوم بها ملك الأردن لسوريا منذ سنتين .

وقال لدى عودته للأردن من زيارة استمرت بضع ساعات إن زيارته لدمشق كانت ناجحة .

وصف الرئيس حسنى مبارك اجتماعاته التى عقدها مع الرئيس الأمريكى ولقاءاته بالمسئولين الأمريكيين من شيوخ ونواب خلال زيارته الأخيرة لواشنطن الشهر الماضى بأنها كانت هامة للغاية وضح فيها وجهات النظر العربية حيال السلام فى المنظقة . ونقل السيد وزير الإعلام فى تصريح للصحفيين عن الرئيس قوله خلال ترأسه جلسة مجلس الوزراء السبت ١٨ ربيع الأول الماضى أن هذه الاجتماعات كانت للتأكيد على : المبادىء والقيم والرؤى الواقعية والمستقبلية التى تتمسك بها الدول العربية لتحقيق السلام العادل والشامل .

وأضاف أنه لم يطرأ أى تغيير على الموقف الأمريكى ، وأكد ضرورة الإسراع فى عملية السلام وأن السلام لا يتحقق إلا باستعادة الأرض .

رأى حـــــــر

وصف المفكر الفرنسى المسلم « رجاء جارودى » القرار الإسرائيلى الذى يسمح بالتوسع فى بناء المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة بأنه تكريس للسياسات والأيديولوجيات الصهيونية والأفكار التوراتية التى تزعم أن هذه الأرض هى هبة أعطاها الله لليهود .

وقال فى مؤتمر عقده فى عمان يوم السبت ١٨ من ربيع الأول الماضى : إن مفهوم عملية السلام تنتهكه إسرائيل التى ترفض قرارات الشرعية الدولية التى تنص على الانسحاب وإعادة القدس ومرتفعات الجولان ، وجنوب لبنان ، وقيام الدولة الفلسطينية المستقلة .

وأكد أن إسرائيل تتنكر لأبسط حقوق الإنسان .

وقال : إن زيارتى لبلدة « قانا » ـ بجنوب لبنان ـ أكدت الكثير من القناعات كما أنها جعلتنى ألمس عزم الرجال على استرداد حقوقهم .

أصـــداء

قال وزير الخارجية المصرى : إن قرار إسرائيل برفع الحظر عن توسيع المستوطنات فى الأراضى العربية المحتلة قد يعرض مستقبل محادثات السلام فى الشرق الأوسط للخطــر ، وأضاف فى تصريحات للصحفيين قائلا : نحن لا نعبر إلا عن الدهشة ومشاعر الإحساس بالخطر التى يمكن أن تؤثر فى العملية السلمية إزاء ما سمعناه فى موضوع الاستيطان .

واستنكرت اليمن قرار إسرائيل برفع القيود واستئناف الاستيطان اليهودى على أراضى الغير واعتبرت ذلك تهديدا للسلام وناشدت راعيى السلام الضغط على الحكومة الإسرائيلية المتطرفة للتراجع عن قراراهــا غير الحكيم والوفـــاء بالالتزامات التى تحتمها عليه العملية السلمية .

قلادة الجمهورية لاسم المرحوم شيخ الأزهر «السابق»

كرم الرئيس حسنى مبارك اسم فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر السابق أمس بمنحه قلادة الجمهورية . تسلم القلادة من الرئيس مبارك نجل الإمام الراحل . يأتى هذا التكريم من الرئيس مبارك للإمام الأكبر الراحل كاحتفاء بمكانته الإسلامية بعد ان كان مقرراً ان يمنح الإمام الأكبر وسام العلوم والفنون .

garçon qu'Al Khidr-à lui salut- avait tué. Allah-gloire à Lui- dit dans le Coran: [Nous avons voulu que leur Seigneur le leur remplace par un fils plus pur et plus digne de tendresse].Surate 18"Al-Kahf" La caverne V.81.Ainsi Allah-gloire à lui- nous montre l'importance des droits des parents en disant:[Les parents ont cependant priorité de droit les uns sur les autres, dans le livre d'Allah. Allah est l'omniscient].Surate 8"Al-Anfal" Les butins V.75.Une des obligations envers les proches parents c'est de leur recommander de faire le bien et de leur interdire de faire le mal. Il est reprouvé de laisser son frère égaré loin d'Allah ou de voir ses proches commettre un péché sans les admonestrer par la raison, les conseils et les bonnes exhortations. Allah-gloire à lui- nous éclaire en disant:[Ordonne à ta famille de faire la prière et fais la toi même régulièrement].Surate 20"Taha"V.132Allah-gloire à lui- fait l'éloge d'Ismaïl-à lui salut-en ces termes:[Il recommandait à sa famille de s'acquitter de la prière et de faire l'aumône et il était satisfait auprès de son Seigneur].Surate 19 "Maryam"Marie V.55. Certains prétendront que les problèmes de la vie quotidienne, et les soucis les empêchent de contacter leurs proches ou de les visiter; mais c'est là un prétexte peu valable car les moyens aujourd'hui ont facilité les contacts. Il y a le téléphone, le télégramme, le courrier, les fleurs qu'on envoie aux malades chez eux ou dans les cliniques, ainsi que tout ce qui entretient l'amour familial et l'affection qui unit les coeurs pour maintenir des relations durables.Une seule cause peut justifier la rupture des liens de parenté: c'est lorsque le proche est un libertin pervers, dont on ne peut éviter la méchanceté, et qui refuse tout conseil; lorsqu'on se rapproche de lui davantage il n'en devient que plus aggressif et plus entêté. Dans ce cas on a recours à la rupture tout en invoquant Allah de le guider et de lui pardonner. Nous en avons un exemple dans la conduite du Prophète d'Allah, Ibrahim-à lui salut- qui dit à son père après avoir désespéré de le convertir:[Paix sur toi, j'implorerai mon Seigneur pour qu'Il te pardonne, Il a toujours été généreux envers moi].Surate 19"Maryam" MarieV.47.Le Prophète-b.s-a dit:"Celui qui voudrait qu'Allah lui accorde la prospérité et allonge le terme de sa vie qu'il consolide les liens de parenté". Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Le respect des liens de parenté *(Cilat Al-Rahim)*

par Hoda Hussein Chaâroui

Quels sont ces liens entre le serviteur et Allah ? C'est le fait d'être guidé par Lui et de mériter Sa Miséricorde; quant à la rupture avec Lui, elle signifie qu'on a mérité Son courroux et Son Châtiment. Or, quel est celui d'entre nous qui peut supporter cela?A maintes reprises, le coran signale l'importance des liens de parenté. En voici un exemple: lorsque Moussa.à lui salut. se mit en colère contre son frère Aaron, et le gronda d'avoir laissé son peuple adorer le veau, **Aaron, voulut attendir** son frère en lui rappelant les liens de parenté qui les lient. Il lui dit"[Ô fils de ma mère! ne me prends ni par la barbe ni par la tête].Surate 20"Taha",V.94.Aaron ne s'adressa pas à son frère en lui disant:"mon frère" mais en lui disant"fils de ma mère", ou plutôt mon frère utérin.De même, lors de la prise de la Mecque, Om Hani fille de Abou Talib alla se plaindre au Prophète-b.s-de son frère Aly. Elle lui dit:Ô Prophète d'Allah, j'ai promis ma protection à un homme et le fils de ma mère prétend qu'il le tuera". Le Prophète-b.s-lui dit:" Nous accordons notre protection à celui que tu as protégé Om Hani".Hadith rapporté par Al- Bokhary.On raconte aussi que le Prophète-b.s-visita un jour sa fille Fatma et la trouva fâchée contre son mari qui avait quitté le foyer conjugal et s'était dirigé vers la mosquée. Pour attendrir le coeur de sa fille, le Prophète-b.s-lui dit:"où est ton cousin?", pour lui rappeller les liens de parenté et adoucir son coeur. Elle lui dit:"Il s'est mis en colère contre moi, m'a quitté et n'a pas fait sa sieste". Le Prophète-b.s-alla le chercher et le trouva endormi à la mosquée; un pan de sa chemise était retombé et la poussière l'avait sali. Le Prophète-b.s-nettoya la poussière et lui dit:"Lève toi le poussiéreux". Ce surnom plut tant à Aly qu'il lui plaisait d'être interpelé ainsi. Nous voyons comment le Prophète-b.s-ne se mêla pas de l'objet de la dispute entre les époux ni ne la reprocha à son gendre.Voici un autre exemple tiré du Coran: c'est l'histoire du

en leur expliquant qu'il n'y a rien d'embarrassant et rien de mal en cette situation.

Il voulait par là protéger ces deux compagnons ainsi que les autres humains - contre les instigations de Satan. Ce dernier risquait, en effet de jeter dans leur coeur des pensées qui les menèraient à leur perte. Car celui qui pense du mal du Prophète -b.s.- est coupable d'incroyance, d'autant plus que Mohammad -b.s.- craint pour sa communauté les dangers auxquels les expose Satan.

Aussi expliqua-t-il à ces deux Ançars que c'était son épouse Safiya qu'il raccompagnait afin qu'ils sachent qu'il ne commet point de péché et qu'Allah l'a préservé de Satan.

Mohammad -b.s.- connaissait pourtant la force de la foi et la fermeté de la conviction de ses deux compagnons. Néanmoins, il craignit pour eux qu'ils ne soient victimes des instigations de Satan. En outre il voulait exhorter la nation en leur personne et leur apprendre que Satan coule comme le sang dans les veines des humains tant ses instigations sont puissantes et dangereuses. Sa puissance réside également dans la multitude de ses acolytes.

C'est pourquoi le croyant doit leur bloquer toutes les voies et ne pas laisser à Satan le moindre accès à son coeur. Seul celui dont la foi est ferme et qui est un serviteur soumis et fidèle jouit de la protection et des soins d'Allah. C'est lui - qu'il soit exalté - qui dit :

[Tu n'as point d'emprise sur Mes serviteurs, à l'exception des égarés qui t'ont suivi].

Si le Messager d'Allah -b.s.- a agi de la sorte alors qu'il jouit d'une grande dignité auprès d'Allah, c'est pour que tout croyant évite de se mettre dans une situation douteuse et qu'il fournissent si c'est nécessaire toutes les explications susceptibles de dissipper les doutes qui peuvent naître dans l'esprit d'autrui par les instigations de Satan. Cela est meilleur pour la religion, l'homme et la réputation.

Nous avons ainsi pu voir au moyen d'un exemple vivant, comment le Messager d'Allah éduquait sa nation en leur offrant un modèle à suivre par ses paroles, son comportement et ses actions.

"Le Prophète prévient sa nation contre les instigations de Satan"

(suite)

par : Dr. Rokeya Gabr.

Voici un exemple de ce qu'il a dit pour prévenir sa nation contre les pièges de Satan :

La Mère des croyants, Safiya bint-Huyay- qu'Allah soit Satisfait d'elle - a rapporté ceci: "Le Prophète -b.s.- était dans une retraite et je me rendis pour le visiter durant la nuit. Je lui parlui puis je me levai pour rentrer; alors il se leva avec moi pour me. A ce moment raccompagner, ce moment deux hommes des Ançars -A.s.- passèrent. Lorsqu'ils virent le Prophète -b.s.- ils pressèrent le pas; mais le Messager d'Allah les interpela en ces termes: "C'est Safiya -bint-Huyay"; ils ripostèrent. "Qu'Allah soit Exalté, O Messager d'Allah!". Alors il répliqua: "Satan court dans les veines du fils d'Adam tout comme le sang circule dans son corps et j'ai craint qu'il ne jette quelque mal dans vos coeurs" (ou il dit: quelque mauvaise pensée".

Hadith rapporté par les deux Sahihs, par Ahmad, Abou Daoud et autres.

Par ce Hadith on voit comment le Prophète prévient sa nation contre les situations douteuses, afin qu'ils veillent à éviter les actions qui peuvent offrir à Satan l'occasion de semer, le doute dans le coeur de l'homme.

En effet dans le hadith cité ci-dessus, le Prophète s'étant levé pour ramener son épouse qui était aller le voir dans sa retraite comme deux des Ançars passaient, ils le virent et par pudeur envers le Messager d'Allah -b.s.- et par respect pour lui, ils pressèrent le pas. Mais le Prophète -b.s.- les interpela pour leur recommander de ralentir le pas

REVUE AL-AZHAR

Vol 69 Part IV

Rabi' Al Akhar 1417 H. Aug./Seb. 1996 -

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

history thrown open. Later, discoveries of the Royal tombs has demonstrated that mummies of kings could be kept intact - through mummification (embalming)- to the present times. Particularly, the mummies of the 18th dynasty Pharoahs, who witnessed the struggle between the Prophet Moses and the Pharoah, were all intact. These include the well-known Thotmoses, Ramses, and Mernbetah. The latter is beleived by most historians to be the so-called "Pharoah of Exodus", who was drowned while chasing Moses and the Israelites. The Quraan, however, revealed that, after drowning, the Pharoah's mummy has been kept as is, for future generations to witness:

***This day shall We save thee in thy body, that thou mayest be a Sign to those who come after thee* [10/92]**

Tooth brushing with natural (Siwaak), or artificial brush, and gargling the mouth after meals and before prayers are also enacted.

Moderation in food intake, eating slowly in a seated upright position, fetching the proper medication, avoiding infected areas, and even the principle of holding carantines during epidemics have been ordained by the Prophet (pbuh).

Protection of the environment from the uncontrolled spread of parasites, and the avoidance of rabies infection from dogs are two more examples of practices prescribed in Islam, much earlier than human civilization could grasp the reasons for that. Citations from Quraan and the Prophet's "Hadiith" (sayings and deeds) are too numerous to include in this concise work.

18-Natural history:

Paleantology is the science that deals with investigating prehistoric forms of life on earth, through the survey and study of extinct plant and animal fossils. The Quraan has referred to precisely this same concept:

***Say: Travel through the earth and see how Allaah did originate creation* [29/20]**

19-Moses and Pharoah:

The history of ancient Egyptians remained buried for tens of centuries. Only in this century, with the discovery of the Rosetta Stone, were the gates of this

follow the ways of Thy Lord, made smooth: there issues from within their bodies drink of varying colours, wherein is healing for men* [16/69]

On the other hand, modern scientific discoveries have confirmed the medical wisdom of prohibiting certain foods and drinks. These include dead animal meats; that were not given the time to bleed off completely. This can only be guaranteed by the Islamic slaughtering practice of cutting the throat, in such a manner as to allow for the drainage of the blood. Animal blood, also prohibited in Islam, easily absorbs and promotes bacteria from within and outside sources.

The prohibited pork meat carry a list of dangerous parasites. Tinea, that seriously damage the human organs, including the brain and intestines, is only one type of these parasites. Also pork fat is the most indigestible and highest in cholestrol.

Alcohol, prohibited in Islam, is considered a great threat to civilization, medically, psychologically and socially, next only to AIDS. Adultery and homosexuality, the main sources of AIDS and other venereal diseases, are also prohibited. Besides, all venues leading to such practices are discouraged.

Much of modern hygienic practices, essential for personal and community health care, have been prescribed by the Prophet (pbuh), who was an illiterate living in a primitive community 14 centuries back. These include the periodic washing of the whole body (at least once a week and after every intercourse), and ablution i.e. washing of hands, face, arms and feet; and wiping the hair with water. This is repeated up to five times a day, as a prelude for the five prayers.

WHY ISLAM
Proofs of Modern Science
Part VI

By : Nabil Abdel-Salam Haroun

Proofs why we choose Islam to be our religion can be also found in topics related to breast feeding, food and hygiene, natural history and Moses an Pharaoh. These topics will be discussed in this article with evidence related to each from Qur'anic Verses.

16-Breastfeeding:

The Quraan prescribes breastfeeding of infants for a full two year period, in accordance with the most modern health practices. Only recently, the vital importance of breastfeeding is realized. Breastmilk is perfectly balanced, easily digested food, that also provides antibodies essential both for immunization and anti-allergy:

***The mothers shall give suck to their offspring for two whole years, for him who desires the complete term* [2/233]**

17-Food and hygiene:

The Quraan emphasizes the medical benefits of honey, confirmed by modern medical knowledge, for the treatment and well-being of humans:

***And thy Lord taught the Bee to build its cells in hills, on trees, and in (men's) habitations; then to eat of all the produce (of the earth), and**

(praise be to Him) included in it laws and regulations for several aspects of life and behaviour. The human community cannot operate without those laws, for they were prescribed by The Most Knowing, Most Wise (praise be to Him). It is an inclusive system for man himself, and his relation with Allah, and to the society in which he lives. It also covers the relations between a Muslim country and others, including laws, regulations, and general principles, which are suitable, reasonable and acceptable. Thus, the Muslim Ummah (population) does not need to imitate or follow others, unlike the non-Muslims.

(I) ISLAM: DECREES HUMAN RIGHTS:

Human rights were decreed in Islam over fourteen centuries ago, and that included also the rights of animals. Those rights were complete and all inclusive, and were instigated by human conscience and the fear of Allah, before any laws were drafted for man's liberties and rights. They were clearly and strongly stated, and were revealed to the unlettered prophet as mercy to manking. They were universal and not restricted to the Muslims only, or just to the pious ones among them.

Islam prescribed mercy on animals so that their slaughter should not be performed with a dull knife, or while other animals are watching the event and waiting for their turn. Animals and birds should not be driven to the slaughter in a cruel or forceful way, and should not be wrestled down, or thrown and tormented, or confined in a cage without proper nourishment.

Human rights were prescribed to all people without regard to their rank or religion. Islam respected the beliefs of the other people of the Book (Christians and Jews) and let them practise their beliefs, and recommended special care for the neighbours, even the non-Muslims among them. They all had the right to education, medical treatment, help, accommodation, marriage and raising of offspring, justice and fair treatment (refer to 17:70, 2:256, 49:11, and 10:99).

Thus, humanitarianism needed the wisdom of Islam, and righteously, Islam is the last (and seal) of all religions.

have men who are holy or infallible except the Prophets and Messengers. It does not have holy men of religion, but has theologians who are like other men but specialists in Islamic beliefs and laws.

Every man is directly and fully responsible for his deeds; no one else shares with him that responsibility as long as he is of sound mind and has been fully warned. Everyone prays directly to Allah without a mediator, as stated in the Quran (refer to 17:13-15, 99:7-8, and 2:186).

Therefore, let us study Islam from its sources, the Quran and the Sunnah, so that we may follow its righteous ways and avoid any pitfalls and errors, and get closer to the right way by knowledge and deeds.

(F) ISLAM: THE RELIGION OF FREEDOM AND EQUALITY:

Freedom is the predominance of good tendencies over bad ones. It is man's self control, and the liberation of the mind from straying and superstition. It is protecting the freedoms of others and liberating oneself from falling (into sin) and slavery (except to our Creator). It is the respect for oneself and the worship of nothing but the Truth, without threat or intimidation, as stated in the Quran (refer to 2:256 and 3:64).

People are all equal in humanity, with the same rights and duties, and the female and male are equal, as in the Quran (refer to 3:195 and 4:1).

(G) ISLAM: THE RELIGION OF ALL HUMANITY:

The Islamic teachings are suitable for all times and places, because of their generality, flexibility, and for being the final Scripture. It is rich with what humanity needs in this world and the Hearafter: in this world in the areas of belief, politics, and sociology. Thus Islam became the last of all religions, and its Prophet became the last Messenger and Prophet, and the Quran the last of all Scriptures. The Quran tells us that each of the prophets ..as sent to his people, but Prophet Mohammad was sent to all humanity to the Day of Judgement, as seen from the quotations from the Quran (refer to 26:10-11, 26:69-70, 26:105-110, 26:123-126, 26:141-145, and 26:160-163).

And the Quran describes the message of Prophet Mohammad and its generality (refer to 7:158 and 21:107-108).

Thus, Islam is for the entire humanity till the Day of Judgement.

(H) ISLAM: A RELIGION AND A GOVERNMENT:

Islam is not just a religious belief, or just a moral system, but it is a combined religion and government. Being the religion of all humanity and the final message, Allah

united, as in the case of the tribes of Aws and Khozrog in Medina who ended their enmity and united together, in the days of Prophet Mohammad (peace be upon him). Similarly, after the death of the Prophet, the Muslims united under the Muslim Khalifes even after the spread of Islam to extensive geographical areas. This unity brought to them and to humanity peace, dignity and prosperity (refer to 5:2, 3:103, 3:61-63 and 21:92).

(C) ISLAM: THE RELIGION OF SOCIAL UNITY:

In Islam, Muslims are equal like the teeth of a comb, without any superiority of one race over another, or one tribe over another, or one person over another, or a white person over a black one, or a poor person over a rich one, etc... They are all equal except according to their humanitarian deeds, and piety which leads one towards the good and keeps him away from evil. Islam also prohibited boasting by one's relations and ancestors; because all people are of one origin, and their best is the one who does the most good (refer to 49:11-13).

Thus, division and disunity lead to weakness, defeat, torment and eventual loss. The Muslims and non-Muslims in a given country have the same rights and duties. The non-Muslims should also be allowed to apply their own religious laws (in personal matters), because the Prophet Mohammad (peace be upon him) ordered us to respect their religious beliefs. The Khalifa Omarbin-Khattab ordered that a non-Muslim be allowed as much relief and support as he and his family need as long as he is living in a Muslim country.

(D) ISLAM: THE RELIGION OF REASON AND THOUGHT:

Islam advocates knowledge, respects thoughts, and makes it a duty for every Muslim man and woman to learn and seek education; so that he can by himself discover the belief in the one God. It condemns those who refuse the messages of the Prophets just because they want to imitate blindly their parents and grandparents. In Islam, learned people are successors to the Prophets, and one should learn what is of benefit to mankind, not what would destroy it, as mentioned in the Quran (refer to 2:164, 35:27-28, 2:269, and 43:21-25).

Thus, in the past, the Muslims and the Arabs excelled in the sciences and inventions, when they followed the blessings of the Quran. Their knowledge and contributions were of great benefit to the recent scientific and technological advances in the world.

(E) ISLAM: THE RELIGION OF ORIGINALITY AND CLARITY:

Everything in Islam is clear, for Islam communicates with the brain, the heart and the soul. Islam has no secrets, or mediators between man and his Creator, and does not

THE NEED FOR ISLAM

It is not possible for man, with his physical limitations, to ascertain the reason for his being, or the reason for which he was created, or what is good or bad for him, except with the aid of the message from Allah (praise be to Him). And Allah has bestowed His mercy on mankind from the time of Adam to the Day of Judgement by sending prophets for guidance and warning; so that each person will be responsible for his deeds and follow in the light of Allah's Messages and their guidance.

As some long time passes after one Prophet's message, people tend to forget its basic beliefs and instructions, and change or replace parts of the message so that it eventually becomes quite different from Allah's original message. At such a time, Allah bestows His mercy by sending another prophet with another Message for guidance, clarity and direction to the truth and overall well-being.

The concluding Message is that of Islam, which was revealed some long time after the Message of Jesus (peace be upon him), at which time it was urgently needed, as stated in the Quran (refer to 4:163-165).

Islam orders us to believe in Allah and His Prophets, and not to distinguish between His Prophets (refer to 4:150-152).

The Quran also states that Prophet Muhammad is (refer to 33:40).

SOME ATTRIBUTES OF ISLAM

Each religion has certain attributes that distinguish it from all the others, and being the concluding heavenly Message, Islam has the following attributes:

(A) <u>ISLAM: CALLS FOR RELIGIOUS UNITY</u>:

Islam prescribes the belief in the one God "Allah", praise be to Him, as stated in the Quran (refer to 112:1-4 and 59:22-24).

Islam has shown to us that all of Allah's earlier Messages complete each other in beliefs, similar to continued education; so that it is all one and the Muslims believe in it all (refer to 2:136).

(B) <u>ISLAM: THE RELIGION OF POLITICAL UNITY</u>:

Islam promotes political unity for its followers to achieve prosperity and well-being for them and all humanity, and all of Allah's creations. In the days before Islam, the Arabs belonged to different warring tribes, but after acceptance of Islam, they became

The Message of Islam

By : Tawfiq Mohammad Shahin, Ph.D

Religion was communicated by Allah (praise be to him), to His gracious Messengers, to guide His creations to the straight path, for their benefit in this world and the Heareafter. It also defines the relationships, the duties and rights to Allah the Creator and to man himself and mankind.

The basic beliefs in religion have not changed from one prophet to the other, throughout the time when Allah The Supreme blessed His people with messages to Adam, Noah and all the Prophets and Messengers who followed them, until the messages were finally completed with the revelations to Prophet Mohammad (peace be upon him).

The basic beliefs in all the revelations are: the belief in the One God Who has no partner; the belief in the angels and the holy books; the beliefs in the Prophets and Messengers whom He sent to mankind; and the belief in the Day of Judgement. They are described in the Quran (refer to 2:285 and 42:13-14).

And that is what Muslims and believers believe.

"Islam" is the final heavenly message, and the exalted "Quran" and the Prophet's "Sayings" (Hadith) help explain the beauty of Islam. The Quran also was equitable to the Torah and the Bible, and confirmed the Scriptures that came before it and guarded them in safety, as stated in the Quran (5:44-48).

This means that the Quran is the last Book of God, the Seal of all His Books. The Quran exists as a guardian and a watcher to set up the facts, and its message is always to ensure these facts.

The Quran is very specific in stating that all prophets are humankind and Jesus (p.b.u.h.), is also a messenger of God and he and his mother are a miracle of God (refer to 112:1-4).

The Quran also states that all mankind is equal in humanity, however, they differ according to their good deeds.

The Quran also states what God has allowed and what God has prohibited.

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Rabi' Al Akhar 1417 H.

Vol 69 Part IV

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah :
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

● الإفتتاحية « هذا الشباب »
للدكتور على أحمد الخطيب ٤٤٩
● كلمة رئيس الجمهورية فى
مولد الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٥٢
● كلمة الإمام الأكبر فى مولد الرسول
صلى الله عليه وسلم ٤٥٧
● رسالة رئيس الجمهورية فى
المؤتمر العالمى الإسلامى ٤٥٩
● كلمة الامام الأكبر فى المؤتمر
العالمى الاسلامى ٤٦٣
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر . ٤٦٧
● نظرات فى رسم المصحف
للدكتور / على إبراهيم محمد ٤٧٧
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبدالرحيم ٤٨٦
● الحكم الشرعى لعقد التأمين التجارى
للدكتور / عبدالله مبروك النجار ٤٨٩
● من تراث محمد أبو الفضل إبراهيم (٢). ٥٠١
● القمة العربية وواقع الأمة
للدكتور / محمد عبدالحكيم محمد ... ٥٠٥
● استفتاءات القراء
للشيخ/السيد العراقى شمس الدين ... ٥١٧
● طرائف ومواقف
للشيخ / عبدالحفيظ محمد عبدالحليم . ٥٢٠
● من أعلام الأزهر
للدكتور / محمد رجب البيومي ٥٢٢
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للشيخ / عبدالفتاح حسين الزيات ٥٣٠

● الشعر والشعراء ●

● ربنا إياك ندعو
للمرحوم / مصطفى صادق الرافعى ٥٣٨
● من وحى الأمومة
للشاعرة / جليلة رضا ٥٣٩
● قلق الأشواق
شعر / إبراهيم عيسى ٥٤٠

● العلوم الكونية ●

● من دلائل القدرة الإلهية
للدكتور / أحمد فؤاد باشا ٥٤٢
● الصحة الإنجابية
للدكتور / أحمد رجائى عبد الحميد .. ٥٤٧
● الرياضيات علم العلوم (١)
للدكتور / عبدالرحمن أحمد السمان . ٥٥١
● التنشئة الاجتماعية
للأستاذ / عبدالسلام ناصف ٥٥٦
● الجديد فى العلم والتقنية
للدكتورة / نجوى السيد أحمد ٥٥٨

● اللغة والنقد والأدب ●

● نظرات فى ألفاظ القرآن الكريم
للشيخ / عبدالفتاح السيد جمعان ٥٦٢
● طبقات المحققين والمصححين (٧)
للدكتور / السيد الجميلى ٥٦٩
● شياطين الشعر
للأستاذ / أحمد مصطفى حافظ ٥٧٧
● الدعاة الاول
تقديم / أحمد السيد تقى الدين ٥٨٤
● دوحة الكتب
للأستاذ / محمود الفشنى ٥٨٨
● بين المجلة والقارىء
للأستاذ / عادل رفاعي خفاجه ٥٩١
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
للأستاذين : عمر البسطويسى
مصطفى عبدالمجيد ٥٩٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ / مجدى عبدالحميد
بشير ٦٠٧
● القسم الفرنسى ٦١٣
● القسم الإنجليزى ٦٢٣

٢٢٢٢٦٤ دوريات

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

في مطلع كل شهر عربي

رئيس التحرير

دكتور / على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

العلم أمانة مؤداة

لعل من أندر النصوص - إن لم يكن أندرها مطلقًا فى موضوعنا - هذا النص الفريد الذى يقدم لنا أعرق مدرستين فقهيتين فى صدر الإسلام نشأتا بين أئمة كرام من مُقَدَّمِى صحابة رسول الله ﷺ رضى الله - تعالى - عنهم أجمعين .

جاء بـ « الآثار » لأبى يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصارى عن الإمام أبى حنيفة - بسنده قال :

« تَفَقَّهَ من أصحاب النبى ﷺ ستة رهط : ثلاثة منهم يلقى بعضهم على بعض ، وثلاثة يلقى بعضهم على بعض ؛ فكان ابن مسعود وعُمر بن الخطاب وزيد بن ثابت يلقى بعضهم على بعض ، وكان على بن أبى طالب ، وأبو موسى الأشعرى ، وأبىّ بن كعب يلقى

بعضهم على بعض(١) » .

● ويقضى الله – عز وجل – فينتقل فرعان جليلان من هاتين المدرستين إلى «الكوفة» من العراق إلى الجنوب من بغداد وشمال النجف ؛ فيستقر بها ابن مسعود من مدرسة عُمر ، وأبو موسى من مدرسة علىّ ، يعلّمان الناس ويفقهانهم ، وإذا بتلك القضية تُطرح على كل منهما :

روى يوسف عن أبيه عن أبى حنيفة عن حماد [هو ابن أبى سليمان مسلم الأشعرى الكوفى الفقيه] عن إبراهيم [النَّخعَى] : «أن أعرابيا ولدت امرأته ، فمات ولدُها ، فَكَثُرَ اللبنُ فى ثديها ، فقالت له : امْصُصْهُ ثُمَّ امْجُجْهُ » .

فهى تطلب إلى زوجها أن يمتص اللبن من ثديها حتى يشق لنفسه طريقاً فيسيل فتتخلص من ألم تجمعه ، ثم ترشده أن يقذفه من فيه عقب امتصاصه .

« ففعل ذلك ، فدخل بعضُهُ فى حلقه ، فأتى أبا موسى فسأله عن ذلك ، فقال – رضى الله عنه : حَرُمَتْ عليك امرأتُك » !!!

ثم أتى ابن مسعود – رضى الله عنه – فسأله عن ذلك ، وأخبره بقول أبى موسى ! فقال [ابنُ مسعود] : إنما كنتَ مداويا ، وأنه لا رضاعَ بعد فطام ، وإنما يحرم من الرضاع ما أنبت اللحم والعظم ؛ فأمسك عليك امرأتك . فأتى [الرجلُ] أبا موسى فأخبره بقول عبد الله . فقال [أبو موسى] :

لا تسألونى ما دام هذا الحَبْر فيكم »(٢) .

هاتان فتويان ، ولا غرابة فى تضادهما ، ولا فى جمع الخبر لهما معاً ؛ فإنه عِلْمٌ يتسع حتى ... الكلمة الأخيرة ، ولا غرابة أيضاً فى هذا التواضع العظيم الذى صدر عن أبى موسى فى إقراره بعلم ابن مسعود ، ودقة فتواه ؛ فأولئك أصحاب رسول الله ﷺ الذين اختارهم المولى – عز وجل – لرسوله – عليه الصلاة والسلام – جُنْداً وقادة ومعلمين عظام .

● وبعـد :

فلقد اضطرب الناس فى أمر «ختان البنات المسلمات» ، وأحدث شأنه ثغرةً بينهم ، وإمامنا الأكبر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى هو لها – بمشيئته تعالى – يصلح أمرها

---

(١) أبو يوسف يعقوب – الآثار ص ٢١٢ ط الاستقامة سنة ١٣٥٥ هـ وانظر معه :
للإمام شمس الدين بن القيم – إعلام الموقعين عن رب العالمين ١/ ١٥ . ط – السعادة سنة ١٣٧٤ هـ .
والإمام محمد بن الحسن الشيبانى – الآثار ص ١٤٥ ط أنوار محمدى لكنهو – الهند – بلا تاريخ .

(٢) آثار أبى يعقوب – نفس المصدر الأول ص ١٣٤

ويستأصل شأفتها . حتى تهدأ الخواطر ، ويثوب الناس إلى رِضًا حكيم ، وإن فضيلته ليرضى لى أمانــــة العلـــم ، ومـــن أمانتـــه هذا الـــذى أراه :

لقد كان الختان موجودًا بمكة ميراثا طويل الأمد فى حياة الناس ، وقد روى الإمام البخارى - فى صحيحه- قَالَ حمزة عم النبى ﷺ لِسِبَاعِ بن عبد عَمرو بن ثعلبة بن غُبْشان بن سليم بن ملكان بن أفْصَى - يوم أُحُد : ياسِبَاع ، ياابن أُمِّ أنمار مُقَطِّعَةِ البظور ، أتُحَادّ الله ورسوله ﷺ ؟ .. ثم شَدَّ عليه فكان كأس الذاهب [أى صَيَّرَهُ عَدَما] .

وجاء فى سيرة ابن إسحاق - وقد وقعت لنا والحمد لله - وهى أقدم السير الموجودة على الإطلاق : « هلم إلَيَّ ياابن مُقَطِّعَةِ البظور »(٣)

قال ابن حجر - فى « فتح البارى » : أم أنمار كانت مولاة لِشَرِيق بن عَمرو الثقفى والد الأخنس : ثم قال ابن حجر - عن البظور : جمع بَظْر ، وهى اللحمة التى تقطع من فرج المرأة عند الختان ، قال ابن اسحاق : كانت أُمُّهُ ختانة بمكة تَختن النساء » ١ هـ .

ومعنى « مولاة » أنها كانت - أصلا - أَمَة ، وكذا ذكر عُمر بن شبة فى « كتاب مكة »(٤)

فإذا كان بمكة أيضاً خاتنة أخرى تسمى أُمَّ حبيبة فلا غرابة ، كما لا غرابة فى أن تكون من المهاجرات وتزاول نفس العمل بالمدينة ، وأخرى ، أو أخريات يشاركنها المهنة .

والدارس لمذهب الحُمْس القرشى ، ولنا - فيه والحمد لله - دراسة مستفيضة ، يعلم أن العرب كانت تقتدى بمكة فى معظم شئونها ، وبخاصة الدينية ؛ بل لم تكن مكة تزوّج بناتها فى القبائل الأخرى خارجها حتى يعتنق الزوج « حُمْسَها » هذا ، وإلا مارضيت به صهراً لها ، ومن هنا انتشرت شئون المكيين الدينية فى القبائل .

هذا ... وإذا كانت الأحاديث الأخرى ضعيفة ... فلتكن .. فحسبنا حديث حمزة - رضى الله تعالى - عنه - وهو وارد فى الصحيح ، ولست فى هذا البحث أريد أكثر مما دَلَّ عليه .

---

(٣) انظر : أ - صحيح البخارى - كتاب المغازى - غزوة أحد ، ومسند أحمد ٣/ ٥٠١ نشر المكتب الإسلامى . بيروت . لبنان

ب - فتح البارى شرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى ٧ / ٢٨٣ ← دار المعرفة - بيروت - لبنان

ج - محمد بن إسحاق بن يسار - كتاب المبتدأ والمبعث والمغازى - تحقيق د. محمد حميد الله - نشر : معهد الدراسات والأبحاث للتعريب - المغرب ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م ← ص٣٠٨

د - أبو محمد عبدالملك بن هشام - سيرة النبى ﷺ - ٣/ ١٧ ط دار التراث .

هـ - ابن كثير - السيرة النبوية ٣/ ٣٨ ط عيسى البابى الحلبى ١٣٨٥هـ

و - الإمام على برهان الدين الحلبى - السيرة الحلبية ٢/ ٢٢٦ ط البهية - القاهرة ١٣٢٠هـ

ز - الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى - سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد ٤ / ٣١٩ نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٤١٤/ ١٩٩٣ .

ح - ابن حزم - جمهرة أنساب العرب ص٢٤٢ - دار المعارف ١٣٩١ / ١٩٧١ مصر

ودلالته واضحة فى وجود الختان بمكة عصر الرسالة كما هو واضح من رواية الإمام البخارى التى رواها فى « كتاب المغازى » : « باب غزوة أُحُد »

● ثم .. ما السُنَّة .. ؟

إن سُنَّةَ رسول الله ﷺ تكوَّنت للأمة من وجوه ثلاثة : قوله ﷺ وفعله وتقريره .

وتقريره – عليه الصلاة والسلام – هو عدم إنكاره لأمر رآه ، أى سكوته ﷺ إزاءه ، فلا ينهى عنه ، وفى هذا السكوت تقرير لهذا الأمر بأنه جائز ، بل هو سُنَّة ؛ لأنه ﷺ لا يسكت على منكر أو حرام ، وصارت تلك الثلاثةُ : الضروبَ التى يُستدل بها على هذا الدين .

قال صاحب « فتح الملهم » بشرح صحيح مسلم ـ فى مقدمته فى بيان سنة التقرير وكيف يكون : « وصورته أن يسكت النبى ﷺ عن إنكار قول قيل بين يديه ، أو فى عصره وعَلِمَ به، أو سكن عن إنكار فعل فُعِل بين يديه، أو فى عصره وعلم به، فإن ذلك يدل على الجواز ... قال ابن القشيرى : وهذا مما لا خلاف فيه .

ومما يندرج تحت التقرير إذا قال الصحابى : كنا نفعل كذا ، أو كانوا يفعلون كذا ، وأضافه إلى عصر رسول الله ﷺ وكان مما لا يخفى مثله عليه ... قال : ولابد أن يكون المقرِّر منقاداً للشرع ، فلا يكون تقرير الكافر على قول أو فعل دالًا على الجواز .

وجاء فى « إرشاد الفحول » : وإذا وقع من النبى ﷺ الاستبشار بفعل أو قول فهو أقوى فى الدلالة على الجواز »(٥) .

□ وتلك أمثلة ثلاثة للسنة :

أمره ﷺ كما فى قوله : تَوَضَّأْ كما أُمَرَك الله .(٦)

ونهيه ﷺ كما فى نحو قوله : لاتكونوا إِمَّعَة .(٧)

ولقد أقر ﷺ أشياء بسكوته عن النهى عنها ، فأقر المضاربة ، وأقر غناء الجاريتين ..الخ .

---

(٤) ابن حجر – فتح البارى ٧/ ٢٨٣

(٥) شيخ الإسلام الإمام شبير أحمد العثمانى ـــ مقدمة فتح الملهم بشرح صحيح مسلم ص١٠٧ ـــ ١١٠ . الناشر : مكتبة الحجاز ٢١٩٤١ ـ بلاك سى ، شمالى ناظم آباد ـ كراجى .

(٦) سنن الترمذى – «الجامع الصحيح» ٢/ ١٠٢ ط مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٦/ ١٩٣٧

(٧) نفس المرجع ٤/ ٣٦٤

وهنا نتساءل – ونحن نفترض فى تحفظ شديد : أن الأحاديث الواردة فى ختان البنات ضعيفة – فهل ثبت عن رسولنا ﷺ النهى عن ختان البنات – ولا جدال فى وجوده كما لا جدال فى ممارسته فى مكة بين من أسلم من الأسر المؤمنة والمشركة على السواء ، وهذا قدر ليس لإنكاره سبيل، وبين أيدينا ختانة ذكرت فى حديث صحيح ، ولانستطيع أن نقول: إن المكية ـ إذا آمنت ـ لم تختن بناتها ، ويعنى ذلك أن الرسول ﷺ بلغه أمر ختان البنات عن مؤمنين ، كما علمه من غيرهم شأن علم حمزة ـ رضى الله تعالى عنه ـ وسكت ﷺ والمقرّر فى أحد الفريقين مؤمن لا محالة ؛ فهو ـ فى حقه ـ سنة ، وسَمِهِ ما شئت فى حق غير المؤمنات ، فعموم أمره واضح .

لقد سكت ﷺ عنه طيلة ثلاث عشرة سنة بمكة بافتراضنا ضعف الأحاديث الواردة ، وسكت عشرا بالمدينة ، فهو سنة تقريرية لها حكمها ، وذلك ما عليه الأئمة الأربعة الذين أجمعوا على إقراره ، وذهب بعضهم إلى وجوبه ، ولقد سُمى ختانهن خِفاضا لما هو مطلوب فيه من عدم المبالغة فى القطع إلا إذا زاد زيادة فاحشة يعرفها جيداً أطباؤنا وغيرهم .

والله أعلم وأجل وأعظم .

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١)
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

فى هذه الآيات ، وصفهم الله تعالى ــ بجملة من الرذائل والقبائح مضافة إلى قبائحهم السابقة ، منها :

الفساد : وهو خروج الشىء عن حالة الاعتدال والاستقامة ، وعن كونه منتفعاً به ، وضده الصلاح ، يقال : فسد الشىء ، فساداً ، وأفسده إفساداً .

والمراد به هنا كفرهم ، ومعاصيهم ، ومن كفر بالله وانتهك محارمه فقد أفسد فى الأرض ، لأن الأرض لا تصلح إلا بالتوحيد والطاعة .

ومن أبرز معاصى هؤلاء المنافقين ، ما كانوا يدعون إليه فى السر من تكذيب الرسول ﷺ وإلقاء الشبه فى طريق دعوته ، والتحالف مع المشركين ضد المسلمين كلما وجدوا إلى ذلك سبيلا .

وسلك القرآن هذا الأسلوب فقال : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ بالبناء للمفعول دون أن يسند الفعل إلى فاعله ، لأن مصدر القول المعبر عن النهى عن الإفساد ليس مصدراً واحداً ، فقد يصل آذانهم هذا النهى مرة من صريح القول . وأخرى مما كانوا يقابلون به من ناحية الرسول ﷺ وأصحابه من تجهم وإعراض .

وعلق بالفعل الذى هو الإفساد قوله : ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ إيذاناً بأن الإفساد مهما ضاقت حدوده ، فإنه لابد يوماً أن يتعدى الحدود إلى ما وراء ذلك فقد يعم ويشمل إذا لم يشتد فى الاحتياط له ، لذلك جعل ظرف إفسادهم الأرض كلها مع أنهم موجودون فى بقعة محصورة هى المدينة المنورة .

ولقد حكى القرآن جوابهم على نصيحة الناصحين وما فيه من تبجح وادعاء فقال : ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ . فقد بالغوا فى الرد فحصروا أنفسهم أولا فى الإصلاح مبالغة المفجوع الذى أذهلته المفاجأة بكشف أستار حقيقته ، فتراهم لم يقتصروا على أن يقولوا : **﴿إنا مصلحون﴾** بل قالوا **«إنما»** . ثم أكدوا الجملة بكونها اسمية ليدلوا بذلك على أن شأنهم فى الإصلاح ثابت لازم . قال الراغب : صوروا إفسادهم بصورة الإصلاح لما فى قلوبهم من المرض ، كما فى قوله - تعالى : ﴿فَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا﴾ . فاطر - ٨

وقوله :

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ .

الأنعام - ٤٣

وقوله : ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾

الكهف - ١٠٣ : ١٠٤

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

فأنت ترى أن القرآن الكريم قد وضع فى الرد عليهم جملة صدرها بأداة الاستفتاح إيذاناً بأن ما قالوه يجب أن يهمل إهمالا ، بل يجب أن يكون وصفهم بالإفساد قضية مبتدأة مقررة حتى يتلقاها السامع وهو منتبه النفس ، حاضر الذهن .

ثم أكد الجملة بعدة تأكيدات منها : وصل **«ألا» بـ «إن»** الدالة على تأكيد الخبر وتحقيقه ، ومنها تأكيد الضمير بضمير منفصل حتى يتم التصاق الخبر بالمبتدأ ، ومنها اسمية الجملة ، ومنها إفادة قصرهم على الإفساد فى مقابل تأكيدهم أنهم هم المصلحون .

ولما كان هذا الرد المؤكد عليهم يستدعى عجباً ، لأنهم زعموا أنهم لا حال لهم إلا الإصلاح ، مع أنهم فى الحقيقة لا حال لهم إلا الإفساد ، لما كان الأمر كذلك ، فقد أزال القرآن هذا العجب بقوله :

﴿وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ .

أى : أنهم ما قالوه إلا عن غباء استولى على إحساسهم ، ونفى عنهم الشعور بما يصدر عنهم من الفساد ، فأمسوا لا يدركون من شأن أنفسهم شيئاً ، ومن أسوأ ألوان الجهل أن يكون الإنسان مفسداً ولا يشعر بذلك ، مع أن أثر فساده ظاهر فى العيان ، مرئى لكل ذى حس . فعدم شعورهم بالفساد الواقع منهم منبىء باختلاف آلات إدراكهم ، حتى صاروا يحسبون الفساد صلاحا ، والشر خيراً .

وليس عدم شعورهم رافعاً العقاب عنهم ، لأن الجاهل لا يعذر بجهله خصوصاً إذا كان جهله يزول بأدنى تأمل لوضوح الأدلة ، وسطوع البراهين .

ثم بين القرآن أن الناصحين قد أمروهم بالمعروف بعد أن نهوهم عن المنكر فقال :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾ .

المراد من الناس : المؤمنون بالرسول ﷺ الصادقون فى إيمانهم .

السفهاء : جمع سفيه ، وأصل السفه : الخفة والرقة والتحرك والاضطراب يقال : ثوب سفيه ، إذا كان ردىء النسج خفيفه ، أو كان باليا رقيقاً . وتسفهت الريح الشجر . أى : مالت به . وزمام سفيه : كثير الاضطراب ، لمنازعة الناقة إياه ، وشاع فى خفة العقل وضعف

الرأى . وهو المعنى المقصود بالسفهاء فى الآية . فقد كان المنافقون يصفون المسلمين بذلك فيما بينهم . وروى أنهم كانوا يقولون : أنؤمن كما آمن سفيه بنى فلان ، وسفيه بنى فلان ؟! فأوحى الله للنبى ﷺ بهذا الذى كانوا يقولونه .

قال صاحب الكشاف : فإن قلت : لم وصفوهم بالسفه وهم العقلاء المراجيح ؟! قلت لأن المنافقين لجهلهم وإخلالهم بالنظر ، اعتقدوا أن ما هم فيه هو الحق ، وأن ما عداه باطل ، ومن ركب متن الباطل كان سفيهاً ، ولأنهم كانوا فى رياسة من قومهم ويسار ، وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال مثل (صهيب وبلال وخباب) . فدعوهم سفهاء تحقيراً لشأنهم [1] ا هـ ملخصا .

وقد رد الله عليهم بما يكبتهم ويفضحهم فقال :

﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ يفيد أن السفه مقصور عليهم فلا يتجاوزهم إلى المؤمنين ، وقد تضمنت هذه الجملة من المؤكدات ما تضمنته الجملة السابقة فى قوله ـ تعالى ـ ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ .

وإنما قال فى الآية السابقة «ولكن لا يشعرون» وقال فى هذه الآية ﴿وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ لأن الآية السابقة وصفتهم بالإفساد ، وهو من المحسوسات التى تدرك بأدنى نظر فيناسبه نفى الشعور الذى هو الإدراك بالمشاعر : الحواس ، أما هذه الآية فقد وصفتهم بالسفه ، وهو ضعف الرأى والجهل بالأمور ، وهذا لا يدركه الشخص فى نفسه إلا بعد نظر وإمعان فكر . فيناسبه نفى العلم .

ثم بين القرآن ما هم عليه من سلوك ذميم ، وأنهم يقابلون الناس بوجوه مختلفة فقال :

﴿وَإِذَا لَقُوا۟
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ
بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ .

---

(1) تفسير الكشاف جـ1 ص64 .

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يقال لقيته ولاقيته إذا استقبلته وصسادفته وكان قريباً منك . والمصدر اللقاء واللقى واللقية . والمقصود : استقبلوهم وكانوا فى مواجهتهم وقريبا منهم . ومرادهم بقوله «آمناً» أخلصنا الإيمان بقلوبنا لأن الإقرار باللسان معلوم منهم .

وإذا خلوا إلى شياطنهم ، أى : انفردوا مع رؤسائهم وقادتهم المشبهين الشياطين فى تمردهم وعنوهم وصدهم عن سبيل الحق . يقال : خلابه وإليه ومعه ، خلوا وخلاء وخلوة : سأله أن يجتمع به فى خلوة ففعل وأخلاه معه .

أو المعنى : وإذا مضوا وذهبوا إلى شياطينهم ، يقال : خلا بمعنى مضى وذهب ، ومنه قوله تعالى :

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ﴾ سورة آل عمران آية ١٣٧

أى مرضت .

وعدّ عن حالهم مع المؤمنين بالملاقاة ، وعن حالهم مع الشياطين بالخلوة إيذانا بأن هؤلاء المنافقين لا أنس لهم بالمؤمنين ولا طمأنينة منهم إليهم ، فهم لا يجالسونهم ولا يسامرونهم ، وإنما كل ما هناك أن يلقوهم فى عرض طريق ، أما شأنهم مع شياطينهم ، فهم إليهم يركنون وإليهم يتسامرون ويتحادثون ، لذلك هم بهم يخلون .

والمعية فى قولهم ﴿إنا معكم﴾ ، المراد منها موافقتهم فى دينهم ، وأكدوا ما خاطبوا به شياطينهم بحرف التأكيد ، إذ قالوا ﴿**إنا معكم**﴾ ليزيلوا ما قد يجرى فى خواطراهم من أنهم فارقوا دينهم وانقلبوا إلى دين الإسلام بقلوبهم .

ولم يؤكدوا ما خاطبوا به المؤمنين ، إذ قالوا لهم ﴿**آمنا**﴾ ولم يقولوا «**إنا آمنا**» ليوهموهم أنهم بمرتبة لا ينبغى أن يترددوا فى إيمانهم حتى يحتاجوا إلى تأكيد .

وقوله ـ تعالى ـ حكاية عنهم : ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ . **وارد مورد الجواب عما قد يعترض به عليهم شياطينهم إذا قالوا لهم : كيف تدعون أنكم معنا مع أنكم توافقون المؤمنين فى عقيدتهم وتشاركونهم فى مظاهر دينهم ؟**

فكان جوابهم عليهم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ والاستهزاء : السخرية والاستخفاف بالغير ، يقال : هزأ منه وبه ـ كمنع وسمع ـ واستهزأ به ، أى : سخر .

والمعنى : إننا نظهر للمؤمنين الموافقة على دينهم استخفافاً بهم وسخرية منهم ، لا أن ذلك

صادر منا عن صدق واخلاص ثم بين ـ سبحانه ـ موقفه منهم فقال : ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ .

حمل بعض العلماء استهزاء الله بهم على الحقيقة وإن لم يكن من أسمائه المستهزىء ، لأن معناه : يحتقرهم على وجه شأنه أن يتعجب منه ، وهذا المعنى غير مستحيل على الله ، فيصح إسناده إليسه ـ تعالى ـ على وجه الحقيقة .

ويرى جمهور العلماء أن الاستهزاء لا ينفك عن التلبيس كأن يظهر المستهزىء استحسان الشيء وهو فى الواقع غير حسن ، أو يقر المستهزأ به على أمر غير صواب ، وهذا المعنى لا يليق بجلال الله ، فيجب حمل الاستهزاء المسند إليه تعالى على معنى يليق بجلاله ، فيحمل على ما يلزم على الاستهزاء من الانتقام والعقوبة والجزاء المقابل لا ستهزائهم ، وسمى ذلك استهزاء على سبيل المشاكلة[1] كما فى قوله تعالى :

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾

الشورى ـ ٤٠

وهذا دليل على غيرة الله على عباده المؤمنين ، وانتقامه من كل من يستهزىء بهم أو يؤذيهم . وعبر بالمضارع فى قوله ﴿**يستهزىء**﴾ للإيذان بأن احتقاره لهم ، أو مجازاتهم على استهزائهم يتجدد ويقع المرة بعد الأخرى :

ثم بين ـ سبحانه ـ لونا آخر من ألوان غضبه عليهم فقال : ﴿وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ .

المد : الإمهال والمطاولة والزيادة ، من المد بمعنى الإمهال ، يقال : مده فى غيه ـ من باب رد ـ أمهله وطوَّل له ، ويقال : مد الجيش وأمده إذا ألحق به ما يقويه ويكثره ويزيده ، وقيل : أكثر ما يستعمل المد فى المكروه ، والإمداد فى المحبوب ، والطغيان : مجاوزة الحد ، ومنه طغا الماء ، أى : أرتفع .

ويعمهون : يعمون عن الرشد ، أو يتحيرون ويترددون بين الإظهار والإخفاء ، أو بين البقاء على الكفر وتركه إلى الإيمان . يقال : عمه ـ كفرح ومنع ـ عمها ، إذا تردد وتحير ، فهو عمه وعامه ، وهم عمهون وعمه كركع **والمعنى** : أن الله تعالى يجازى هؤلاء المنافقين على استهزائهم وخداعهم ، ويمكنهم من المعاصى أو يملى لهم ليزدادوا إثماً . حال كونهم يعمون عن الرشد ، فلا يبصرون الحق حقاً ولا الباطل باطلا .

ثم بين ـ سبحانه ـ لونا من ألوان غبائهم وبلادتهم فقال :

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ﴾ .

الاشتراء : أخذ السلعة بالثمن . **والمراد** : أنهم استبدلوا ما كره الله من الضلالة بما أحبه من الهدى ، قال ابن عباس : أخذوا الضلالة وتركوا الهدى .

والمشار إليه بـ «أولئك» هم المنافقون : الموصوفون فى الآيات السابقة بالكذب والمخادعة ، والإفساد فى الأرض ، ورمى المؤمنين بالسفاهة واستهزائهم بهم .

والسر فى الإشارة اليهم والتعبير عنهم بأولئك تمييزهم وتوضيحهم بأكمل صورة وأجلى بيان إذ من المعروف عند علماء البلاغة أن اسم الإشارة إذا أشير به أشير به إلى أشخاص وصفوا بصفات يلاحظ فيه تلك الصفات ، فهو بمنزلة إعادة ذكرها وإحضارها فى أذهان المخاطبين . فتكون تلك الصفات ، وهى هنا الكذب والمخادعة وما عطف عليها ، كأنها ذكرت فى هذه الآية مرة أخرى ليعرف بها علة الحكم الوارد بعد أسم الإشارة ، وهو هنا اشتراء الضلالة بالهدى . أى : اختيارها . واستبدالها به .

وعبرت الآية بالاشتراء على سبيل الاستعارة ليتحدد مقدار رغبتهم فى الضلالة ، وزهدهم فى الهدى ، فإن المشترى فى العادة يكون شديد الرغبة فيما يشترى ، رغبة تجعله شديد الزهد فيما يبذله من ثمن . فهم راغبون فى الضلالة ، زاهدون فى الهدى .

وقوله تعالى :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾

لا يقتضى أنهم كانوا على هدى من ربهم فتركوه ، بل يكفى فيه أن يجعل تمكنهم من الهدى لقيام أدلته . بمنزلة الهدى الحاصل بالفعل .

ثم بين ـ سبحانه ـ نتيجة أخذهم الضلالة وتركهم الهدى فقال :

﴿ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ ﴾ أى : أنهم لم يحصلوا من أشترائهم الضلالة بالهدى على الربح ، وإذا كانت التجارة الحقيقية قد يفوت صاحبها الربح ، ولكنه لا يقع فى خسارة بأن يبقى له رأس ماله محفوظاً ، فإن التجارة المقصودة من الآية هى استبدال الضلالة بالهدى ، لا يقابل الربح فيها إلا الخسران ، فإذا نفى عنها الربح فذلك بعنى أنها تجارة خاسرة .

ثم قال ـ تعالى : ﴿ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ أى : وما كانوا مهتدين إلى سبيل الرشاد وما تتجه إليه العقول الراجحة من الدين الحق ، وما كانوا مهتدين إلى طرق التجارة الرابحة ، فهم إولا لم يربحوا فى تجارتهم بل خسروها ، وهم ثانياً ذهب نور الهدى من حولهم فبقوا فى ظلمة الضلال .

وما أوجع أن يجتمع على التاجر خسارته وتورطه ، وما أوجع أن يجتمع عليه أن ينقطع عن غايته ، وأن يكون فى ظلمة تعوقه عن التبصر .

« يتبــع »

مع سورة يس

من أدلة قدرة الله ووحدانيته خلق الأنعام وتذليلها للإنسان

بقلم د. ابراهيم خميس

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله ـ تبارك وتعالى :

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا
مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا
مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

بعد أن ذكر ثلاثة من أصول الدين وهى : الوحدانية فى قوله ـ تعالى : ﴿وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾

والبعث والحشر فى قوله : ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ﴾ والرسالة فى قوله : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾ ..الآية . اعاد الكلام على الوحدانية وأقام الأدلة عليها فى هذه الآيات .

والهمزة فى « أَوَلَمْ يَرَوْا » للإنكار والتعجيب والواو للعطف على جملة منفية مقدرة ، أى : ألم يتفكروا ، أو ألم يلاحظوا ولم يروا ، والرؤية هنا

بصرية لأن الناس يرون الأنعام بأعينهم ، ويجوز أن تكون الرؤية علمية والمعنى ألم يعلموا علما يقينياً مشابها للمعاينة .

وهذه الآيات سبقت لتقرير دلائل الوحدانية مع تعداد نعم الله فى الأنعام وتذكير العباد بها .

ومعنى **خلقنا لهم** . أوجدنا وأنشأنا لأجلهم وانتفاعهم .

« مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا » من المعلوم أن الله تعالى منزه عن صفات الحوادث ، وظاهر هذا يفيد أن لله « يدا » . وقد اختلف السلف والخلف فى المراد من « أيدينا » فالسلف يفوضون ويرون أن لله تعالى يدا لا كيد المخلوقين ، الله أعلم بها بناء على قوله تعالى « ليس كمثله شيء » وأما الخلف فيؤلون ويرون أن معنى « مما عملت أيدينا » مما تولينا إحداثه وانفردنا بإيجاده لم يشاركنا فى ذلك أحد ، والكلام عندهم من قبيل الاستعارة التمثيلية ، **وفى رأيى أن الخطب سهل والأمر يسير مادام كل من السلف والخلف يقصد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث** .

والأنعام هى : الأزواج الثمانية الإبل والبقر ويدخل فيه الجاموس ، والغنم وتشمل الضأن والمعز ، وقد سمى الله ـ تعالى ـ سورة باسم الأنعام وهى السورة السادسة فى ترتيب المصحف ، وخصها بالذكر لما فيها من بدائع الفطرة وكثرة المنافع ، قال تعالى:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ﴾ الأنعام ١٤٢

وقال ـ تعالى :

﴿ ثَمَـٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ ﴾ سورة الأنعام

﴿ فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

الفاء تفريعية ، وإنما جىء بها جملة إسمية للدلالة على استقرار ملكيتهم لها واستمرارها ، وفى هذه الجملة معنيان :

الأول : فهم لها مالكون ملكا شرعيا بحيث يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات من بيع وإجارة ورهن وغير ذلك .

الثانى : أن يكون المراد بملكها ضبطها أى قهرها والاستيلاء عليها وكلا المعنين مراد .

﴿ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾

يعنى صيرناها سهلة غير مستعصية عليهم فى شىء مما يريدون بها ، حتى الذبح ، وقد يملك الشىء ولايكون مسخرا ، ومن الذى يقدر على تذليل الإبل لولا أمر الله بتسخيرها ؟

والفاء فى قوله : « فمنها ركوبهم » لتفريع أحكام التذليل عليه وتفصيلها ، وهى طريقة قرآنية بارعة حيث يذكر الشىء مجملا ثم يذكر مايترتب عليه مفصلا ، و« ركوب » فعول بمعنى مفعول ، وهو مايركب والتاء للمبالغة ، ومن للتبعيض أى وبعض منها يأكلون ، وغير الأسلوب . فجعل الجملة الأولى « فمنها ركوبهم » اسمية وجعل الثانية « ومنها يأكلون » فعلية لأن الأكل عام فى الأنعام بخلاف الركوب فإنه فى الإبل خاصة .

« وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ »

الضمير فى « فيها » يعود على الأنعام .

وفى هذه الآية بيان أن فى الأنعام منافع أخرى غير الركوب والأكل ، كالجلود والأصواف

والأوبار وغيرها كالحراثة . قال تعالى:

﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾

« ومشارب » جمع مشرب ، والمراد اللبن المأخوذ من الضرع ، وخص بالذكر مع دخوله فى المنافع لشرفه واعتناء العرب به وخروجه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين .

قال ـ تعالى ـ ممتنا على عباده :

﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ المؤمنون ٢١ ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ « النحل ٦ ، ٧ »

وقد زاد فى هذه الآية مايستلذ به الانسان من الجمال فى الغدو والرواح وحمل الامتعة إلى بلاد نائية يشق الوصول إليها .

« **أفلا تشكرون** » الهمزة للاستفهام الإنكارى ، والفاء للعطف على محذوف تقديره : أيشاهدون هذه النعم فلا يشكرون المنعم بها ويخصونه ـ سبحانه بالعبادة ، وفى هذه الجملة توبيخ لهم على ترك العبادة شكرا ، ولو شكروا لزادهم من فضله ولو كفروا لسلبها منهم .

والغرض منها : استدامة الشكر لهذه النعم والاستزاده منه . قال ـ تعالى : « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ » سورة إبراهيم

إن آيات الله فى الأنعام التى خلقها الله لهم وملكهم إياها وذللها لهم يركبونها ويأكلون منها ويشربون ألبانها وينتفعون بها منافع شتى كثيرة وكل ذلك من قدرة الله تعالى وتدبيره .

ومايملك الناس أن يصنعوا من ذلك شيئا ومايملكون أن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وما يملكون أن يذللوا ذبابة لم يركب الله فى خصائصها أن تكون ذلولا لهم .

إن الانسان حين ينظر بعين الاعتبار فى خصائص هذه الأنعام التى تحدث عنها القرآن الكريم يحس أنه مغمور بفيض من نعم الله تعالى يتمثل فى كل شيء حوله وفى كل مرة يركب فيها دابة ، أو يأكل قطعة من لحم أو يشرب جرعة من لبن أو يتناول قطعة سمن أو جبن ، أو يلبس ثوبا من شعر أو صوف أو وبر ، لمسة وجدانية يشعر فيها قلبه بوجود الخالق ورحمته ونعمته ، وتعود حياته كلها تسبيحا لله وحمدا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار ، ولكن أكثر الناس لايشكرون ولايخصون الله بالعبادة والاستعانة ، ولذا قال الله بعد هذا .

﴿ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴾

والغرض من ذكر هذه الآية زيادة توبيخهم وتبكيتهم . فقد وضعوا الشرك مكان الشكر فلا أظلم منهم ، حيث راوا منه ـ تعالى ـ تلك القدرة الباهرة والنعم الظاهرة ، وعلموا أنه المتفرد بها واتخذوا آلهة من الأصنام وغيرها آملين منها النصرة فيما نزل بهم من الشدائد ، وآملين أن يشفعوا لهم فى الآخرة وهيهات هيهات .

وجملة واتخذوا من دون الله آلهة معطوفة على

محذوف يفهم من سياق الكلام ، تقديره : ما شكروا النعم ولاوجدوا المنعم واتخذوا ..

« لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ » الخ جملة مستأنفة للرد عليهم ولبيان بطلان رأيهم وخيبة رجائهم وانعكاس تدبيرهم فلا تقدر الهتهم على نصرتهم .

﴿ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴾ . تحتمل معانى كثيرة منها : أن يكون العابدون جند للمعبودين ، ومنها : أن المشركين جند لآلهتهم فى الدنيا محضرون للنار فى الآخرة ، ومنها : أن المشركين لآلهتهم جند محضرون يوم القيامة على أثرهم فى النار ، وجعلهم « جندا » من باب التهكم والاستهزاء .

ومعنى « وهم لهم » أى الآلهة معدون محضرون لعذاب أولئك المشركين يوم القيامة لأنهم يجعلون وقود النار ، ومحضرون عند حساب الكفرة وذلك لإظهار عجز الآلهة ولاقناط المشركين وتيئيسهم من شفاعتهم . قال ـ تعالى ـ فى سورة البقرة ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ ٢٤ ، وقال فى سورة « فاطر » : ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ ١٣ ، ١٤ ..

وقال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ الأنبياء

وهذه الآية تفيد أن العابدين والمعبودين فى جهنم إلا عيسى والملائكة فقد عبدوا وكانوا غير راضين بعبادتهم .

قال ـ تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ « الأنبياء ١٠١ »

إن الإنسان ليعجب كل العجب من هؤلاء الذين عمروا بنعمة الله وأحاطت بهم من كل جانب ومع ذلك لم يشكروا المنعم عليهم بل أشركوا به ما لاينفع ولايضر ولايسمع ولايبصر ولايغنى عنهم شيئا . والشرك ألوان تختلف باختلاف الزمان والمكان . ففى الماضى كانت الآلهة أصناما وأوثانا أو شجرا ونجوما أو ملائكة أو جنا . ولاتزال الوثنية فى بعض بقاع الأرض حتى يومنا هذا .

ولم يرتق بعض الناس اليوم عن هذا التصور إلا من حيث الشكل فقط ، فهم لايبعدون كثيراً عن الشرك حيث إنهم يؤلهون الطغاة ويحمون طغيانهم ويدافعون عنه وينسون خالقهم فهؤلاء مشركون وإن تظاهروا بالإيمان قال تعالى :

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ « يوسف

إن الوثنية هى الوثنية فى شتى صورها وحينما اضطربت عقيدة التوحيد الخالص جاءت الوثنية وجاء الشرك ولاعصمة للبشرية الا بالتوحيد الخالص الذى يفرد الله وحده بالألوهية والعبادة والتوجه والاعتماد والطاعة والتعظم .

﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾

الخطاب فى هذه الآية لرسول الله ﷺ ولكل داعية وهو يواجه الذين اتخذوا من دون الله آلهة والذين لايشكرون ولايذكرون ؛ ليطمئنوا بالا من ناحيتهم فهم مكشوفون لعلم الله ، وكل مايدبرونه ويملكون مكشوف لقدرة الله القادرة ، والله من ورائهم محيط ، ولقد هان أمرهم بهذا وما عاد لهم

من خطر يحسه مؤمن يعتمد على الله وهو يعلم أن الله يعلم مايسرون ومايعلنون وأنهم فى قبضته وهم لايشعرون .

والغرض من ذكر هذه الآية تسلية رسول الله ﷺ وتهوين الخطب عليه وعلى كل داعية يدعو إلى الله ، وهى أيضا تهديد ووعيد للمشركين وتخويف لهم .

والفاء فى قوله ﴿فَلَا يَحْزُنكَ ..﴾ فصيحة أفصحت عن شرط مقدر . أى إذا كان هذا حالهم مع ربهم – عز وجل – فلا تحزن بسبب قولهم عليك هو شاعر ، أو إذا كان حالهم يوم القيامة ما سمعت فلا تحزن بسبب قولهم على الله – سبحانه – أن له شركاء تعالى عن ذلك علوا كبيرا . أو قولهم على الله – تعالى – وعليك ما لايليق بشأنه – عز وجل – وشأنك ، والنهى وإن كان بحسب الظاهر متوجها إلى «قولهم» لكنه فى الحقيقة متوجه إلى رسول الله ﷺ والمراد نهيه – عليه السلام – عن التأثر من الحزن على أبلغ وجه .

وقوله – تعالى ﴿**إنا نعلم مايسرون ومايعلنون**﴾ تعليل صريح للنهى بطريق الاستئناف .

والمعنى إنا نجازيهم على جميع جناياتهم التى منها : العقائد الزائفة والعداوة لك ، والذى يعلنونه من كلمات التكذيب والاشراك ونحوها من اتهامك بالسحر والشعر والجنون ، وإنما قدم السر على العلن فى قوله : ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ لأمور كثيرة منها : بيان إحاطة علمه – سبحانه وتعالى – بحيث إن علم السر عنده كأنه أقدم من علم العلن ، ومنها أن مرتبة السر متقدمة على مرتبة العلن فما من شىء يعلن إلا وهو مضمر فى القلب قبل ذلك ، ومنها الإشارة إلى الاهتمام بإصلاح الباطن فإنه ملاك الأمر كله .

مايؤخذ من الآيات :

١ – من أدلة وجود الله ووحدانيته خلق الأنعام ومن فضله ونعمته على الناس تذليلها لهم وتسخيرها لمنافعهم فى الركوب وأكل اللحوم وشرب الحليب وصنع الجبن والسمن .

٢ – أن الآلهة المزعومة حجرا كانت أو شجرا أو بشرا أو نحوها لاتستطيع نصر عابديها . ومع ذلك فهم يخدمونها ويدفعون عنها ويغضبون لها فى الدنيا وستكون تلك الآلهة جند للعابدين يوم القيامة محضرون معهم فى النار يعذبون بها وهذا المعنى ثبت فى صحيح مسلم وكذا فى جامع الترمذى . عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : **يجمع الله الناس يوم القيامة فى صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول : ألا ليتبع كل إنسان ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبة ، ولصاحب التصاوير تصاويره ، ولصاحب النار ناره فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون** .

هذا الحديث أخرجه الترمذى فى كتاب صفة الجنة باب ما جاء فى خلود أهل الجنة وأهل النار ج٤ ص٦٩١ رقم ٢٥٥٧ وقال عنه هذا حديث حسن صحيح .

٣ – أن الله تعالى مطلع على مايسر الكافرون ويظهرون من القول والعمل فيجازيهم بذلك يوم القيامة .

وبالله التوفيق

– يتبع –

ولا تتخذوا آيات الله هزوا

للأستاذ / عبد العزيز أحمد رضوان (*)

كثيرا ما يتلاعب البعض بآيات القرآن فيضعونها على غير موضعها ، ويلتمسون لها تفاسير توافق أهواءهم ، وتناصر أباطيلهم .

وكثيرا ما يعتدون ـ فى وضح النهار ـ على الأحكام فينكرونها ؛ ويخترعون لأنفسهم (شرعا) ما أنزل الله به من سلطان .

وأكثر ما تكون الجرأة على الأحكام المالية ، فالحقوق مأكولة والرحم مقطوعة ، والأهلية منعدمة .

وما رتب الإسلام أداء الحقوق المختلفة من دين وزكاة ومواريث وهبات ووصايا وغيرها ، إلا ليصون العلاقات بين جماعات المسلمين وليؤكد أواصر القربى والأخوة بينهم .

﴿ قُلْ
تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ
شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ
إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ

(*) الكاتب ـ مفتش أول وعظ كفر الشيخ .

﴿ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾(١) .

تلك وصايا المولى – عز وجل – وكثير من الناس أبعد ما يكون عنها ولو أننا تتبعنا صور هذا التلاعب لطال بنا المقام فهذه الصور كثيرة بدليل تراكمها على المحاكم ودور العدالة ، والقصور فى سرعة متابعتها وإصدار الحكم العادل فيها فى زمن يسير يقضى على شهوات المتلاعبين .

ويكفينا – فقط – ضرب بعض الأمثلة :

١ – هذه طائفة من المسلمين تنكر توريث البنات ، فإذا مات المورث استولى الذكور على التركة واقتسموا حق البنات فيما بينهم ، وحين تتزوج البنت ويكبر أولادها ، وتنوء بمسئولياتها ، وتطالب أخاها بحقها لا يمكّنها منه ؛ فإذا لجأت للقضاء تحايل – كسبا للوقت – بإنكار أخوّتها ، وتطالبها المحكمة بإثبات النسب والميراث ، فتلف وتدور هنا وهناك ، والأهل كلهم يعرفون الحق كما يعرفون أبناءهم ، ومع ذلك لا يشهدون ولا يخشون الله .

هذا مع أن الإسلام أوصى بالنساء على وجه الخصوص ؛ سواء كن بنات أو زوجات أو أمهات .

قال – تعالى – :

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ﴾(٢)

وقال :

﴿ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ﴾(٣) .

وقال :

﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾(٤) .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : (**من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضم أصابعه**)(٥) .

رواه مسلم

---

(١) سورة الأنعام : الآيات من ١٥١ – ١٥٣ .

(٢) سورة النساء : من الآية ١ .

(٣) سورة البقرة : من الآية : ٢٣١ .

(٤) سورة لقمان : الآية : ١٤ .

(٥) رواه مسلم .

وقال : (**أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا ، وخياركم خياركم لنسائهم**)(٦)

رواه الترمذى

٢ ـ وهذه طوائف تتلاعب بكيفية توزيع الميراث ولا ترضى بتقسيم الله ـ عز وجل ـ ، فهذا أب لم يعقب ذكورا ، وذريته من البنات ، ولا يحب ـ بعد موته ـ أن يؤول شيء من تركته لأقرب ذكر من عصبته بعد حظ بناته وزوجته ـ مع أنه شيء يسير ـ فينشيء عقد بيع صوريا ، كأنه باع لبناته وزوجه كل ما يملك ويقوم بتسجيل البيع حتى يقطع الطريق على الأقربين من بعد المستحقات من ولده ، مع أن الله ـ سبحانه ـ وصية بمن يحضر قسمة من المعوزين ليعطى منه يقول ـ تعالى ـ :

﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴾(٧)

ويشدد على وجوب إنفاذ أحكامه فيقول :

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٨)

٣ ـ وهذه طوائف تعطى الذكور نصيبا أكبر من الإناث أو تعطى بعض الأولاد الذكور نصيبا أكبر من غيرهم دون سند من دين أو شرع ، وقد نهى الله ـ عز وجل ـ عن هذا فقال :

﴿ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ﴾(٩) .

٤ ـ وهذه طوائف تعطى التركة كلها لأبناء زوجة له محظية أثيرة ، وتحرم أبناء الزوجة الأخرى .

وغير هذا كثير وكثير !! .

وبسبب ذلك يحدث الهرج والمرج وقطع الأرحام وإذكاء العداوات ، وترتفع الصيحات ثم يكون الضرب والاقتتال الذى ينجلى عن قتلى ومشوهين ونزلاء سجون وأرامل ويتامى وخصومة إلى الأبد .

فهل لنا أن نطيع ربنا عز وجل ولا نتخذ آياته هزوا ؟ .

---

(٦) الترمذى وقال : حسن صحيح .

(٧) سورة النساء : الاية : ٨ .

(٨) سورة النساء : الآيتان : ١٣ ، ١٤ .

(٩) سورة النساء : من الآية : ١١ .

قبس من أنوار النبوة

دخول الجنة برحمة الله وفضله

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن أنس بن مالك - رضى الله عنه - عن النبى - صلى الله عليه وسلم - قال :

« يخرج لابن آدم يوم القيامة ثلاثة دواوين : ديوان فيه العمل الصالح ، وديوان فيه ذنوبه ، وديوان فيه النعم من الله عليه . فيقول الله لأصغر نعمة - أحسبه قال - فى ديوان النعم : خذى ثمنك من عمله الصالح ؛ فتستوعب عمله الصالح ، ثم تنحى وتقول : وعزتك ما استوفيت ، وتبقى الذنوب والنعم ، وقد ذهب العمل الصالح ؛ فإذا أراد الله أن يرحم عبداً قال : يا عبدى قد ضاعفت لك حسناتك ، وتجاوزت عن سيئاتك - أحسبه قال : « ووهبت لك نعمى » . [رواه البزار]

من صفات أهل الإيمان ، أهل التقوى ، وأهل المغفرة ؛ أنهم يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ، كما قال عنهم رب العالمين فى محكم كتابه :

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴾ [الاسراء / ٥٧]

وحيث قال عنهم خالقهم :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء / ٩٠]

أهل الإيمان الذين يتوجهون إلى الله بكليتهم فى كل ما يفعلون وما يتركون

﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾

[السجدة / ١٦ ، ١٧]

عن عائشة أم المؤمنين – رضى الله عنها – قالت : « قلت يارسول الله . قول الله – تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾

[المؤمنون / ٥٧ – ٦١]

أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق ، قال : لا ياإبنة الصديق ، ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف ألا يقبل منه »

رواه أحمد والترمذى

عن أم سلمة – رضى الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ فى بيتى ، وكان بيده سواك ، فدعا وصيفة له ــ أو لها ــ حتى استبان الغضب فى وجهه فخرجت أم سلمة إلى الحجرات فوجدت الوصيفة وهى تلعب بِبَهْمَة –أى ولد الضأن– فقالت : ألاأراك تلعبين بهذه البهمة ورسول الله ﷺ يدعوك ؟ فقالت : لا والذى بعثك بالحق ماسمعتك ؛ فقال ﷺ : « لولا خشية القود لأوجعتك بهذا السواك »

وفى رواية : « لولا القصاص لضربتك بهذا السواك » رواه أبو يعلى

فهذا الحديث الشريف يصوّر منهج الذين يأخذون من سيرة رسول الله ﷺ المثل الأعلى والقدوة الحسنة ، والأسوة الطيبة . سئل أحدهم – حاتم الأصم – عن صلاته ، فقال : إذا حان وقت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت المصلى فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ، ثم أقوم إلى صلاتى ، وأجعل الكعبة بين حاجبىَّ ، والصراط تحت قدمىَّ والجنة عن يمينى ، والنار عن شمالى ، وملك لموت ورائى ، وأظنها آخر صلاتى ؛ فأتمها بين الخوف والرجاء فى أتم خشوع ، ثم لاأدرى بعدُ أمقبولة منى أم مردودة علىَّ ؟!

إن العبد المؤمن الذى يعيش حياته بين الخوف والرجاء . يبشره رسول الله ﷺ : « قال الله تعالى : وعزتى ، لاأجمع لعبدى خوفين ولاأمْنَيْن ، فإن هو خافنى فى الدنيا أمَّنته يوم القيامة ، وإن هو أمِنَنِى فى الدنيا أخَفْتَهُ يوم القيامة »

رواه أبو نعيم ، والبزار وابن حبان

ولقد دخل النبى ﷺ على شاب وهو يموت ، قال : « كيف تجدك ؟ فقال : أرجو الله وأخاف ذنوبى . فقال عليه الصلاة والسلام : ما اجتمعا فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجوه وأمَّنَهُ من الذى يخاف » .

اتحاف السادة المتقين جـ١٠ ، ص٢٧٧ .

على أن العمل لا يُدخل أحد الجنة ، ولكن بفضل الله ورحمته .

روى واثلة بن الأسقع - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ - قال : يبعث الله يوم القيامة عبدًا لا ذنب له ، فيقول الله : أى الأمرين أحب إليك ؟ أن أجزيك بعملك أو بنعمتى عندك ؟ قال : يارب إنك تعلم أنى لم أعصك . قال : خذوا عبدى بنعمة من نعمى ؛ فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة فيقول : رب بنعمتك ورحمتك ، فيقول : بنعمتى ورحمتى »

[رواه الطبرانى]

وهاهو رسول الله ﷺ يعلن لأمته هذه الحقيقة - فيما رواه البخارى ومسلم - عن عائشة - رضى الله عنها - أنها كانت تقول : قال رسول الله ﷺ : « سددوا وقاربوا وأبشروا ، فإنه لم يُدْخِلَ أحدًا الجنةَ عَمَلُهُ ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته »

إن عمل ابن آدم مهما عظم - كما تقدم - لا يكافىء أدنى نعم الله عليه .

عن محمد بن أبى عميرة - رضى الله عنه - وكان من أصحاب النبى ﷺ أحسبه رفعه إلى النبى ﷺ ، قال : « لو أن رجلا خر على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرما فى طاعة الله - عز وجل - لحقره ذلك اليوم ، ولود أنه رُدَّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب »

[رواه أحمد]

إنه رجل يقضى حياته منذ وُلِدَ إلى أن يموت ساجدًا خاشعًا خاضعًا لربه ، يقضى عمره كله . من مهده إلى لحده فى طاعة ربه ؛ فإذا حاسبه الله على فضله الذى غمره به فى حياته لاستصغر عمله ، وتمنى لو يرجع إلى الدنيا ليزداد من الصالحات والطاعات . ومع كل هذا لا يدخل الجنة إلا برحمة الله .

من رجال الحديث الشريف

عثمان بن سعيد الدارمي

تقديم الأستاذ / أحمد تقى الدين

هو الإمام الحافظ الناقد أحد الأعلام الثقات أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد التميمى الدارمى السجستانى نزيل « هراة » ومحدثها .

ولادته :

قال الذهبى : ولد قبل المائتين بيسير .

رحلته فى طلب العلم وشيوخه :

كان الدارمى واسع الرحلة طاف بالأقاليم طلبا للحديث . سمع لكبار المحدثين بالحرمين والشام ومصر والعراق والجزيرة وبلاد الشام ..

مثال من سماعاته :

فسمـــع بمصر : سعيـــد بن أبى مريم ، وعبد الغفار بن داود الحرانى ، ونعيم بن حماد ، وأبا صالح عبد الله بن صالح (كاتب الليث) .

وسمع بالعراق : سليمان بن حرب ، وموسى ابن إسماعيل التبوذكى ، ومحمد بن كثير ، وسهيل ابن بكار بالبصرة (وبها كتب الحديث مع يحيى ابن معين) ، ويحيى بن عبدالحميد الحمانى .

وسمع بالشام : هشام بن عمار ، وسليمان ابن عبد الرحمن التميمى ، وهشام بن خالد .

ومحمد بن عبد الله بن بكر الخزامى المقدسى ، ومحبوب بن موسى الأنطاكى ، وكتب معه بالشام ، الحسن بن على ، وأبـــو على الخلال الحُلوانى ، ومحمد بن صالح كيلجة البغدادى .

(*) رجعنا فى إعداد هذ المقال إلى كتاب : تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم ، تحقيق الدكتور أحمد محمد نور سيف من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة .

وسمع بالحجاز : إسماعيل بن أبى أويس .

وسمع بخراسان : إسحاق بن راهويه .

ودخل جرجان وأقام بها سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

وروى من خلائق فى رحلاته هذه ، منهم عبد الله بن رجاء الغدانى البصرى وفروة بن أبى المغراء الكوفى ، ومحمد بن المنهال الحزامى ، وعمرو بن عون الواسطى ، ومسلم بن إبراهيم البصرى ، ومسدد بن مسرهد وغيرهم .

وعاد الدارمى من رحلاته بعلم جم ، فاق أهل زمانه ، فقد جالس يحيى بن معين ، ودون عنه سؤالاته فى الرجال ، وأخذ عنه وعن على بن المدينى ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه علم الحديث وعلله ونقد الرجال .

كما أخذ الفقه من أبى يعقوب البُوَيْطى صاحب الشافعى ؛ والآداب عن ابن الأعرابى .

رأى العلماء فيه :

قال أبو داود السجستانى عندما سُئِلَ عن عثمان ابن سعيد الدارمى : منه تعلمنا الحديث .

وقال أبو الفضل يعقوب بن إسحق الهروى القرّاب : ما رأينا مثل عثمان بن سعيد ، ولا رأى عثمان مثل نفسه .

وقال أبو حامد الأعمشى : ما رأيت فى المحدثين مثل : محمد بن يحيى، وعثمان بن سعيد، ويعقوب ابن سفيان الفَسَوِى .

وقال أبو عبد الله بن أبى ذهل : قلت لأبى الفضل القراب : هل رأيت أفضل من عثمان بن سعيد الدارمى ؟ فأطرق ساعة ثم قال : نعم إبراهيم الحربى .

وسُئِلَ أبو زرعة الرازى عن عثمان بن سعيد ؟ فقال : ذاك رُزِقَ حسن التصنيف .

وقال أبو الفضل الجارودى : كان عثمان إماما يُقتدى به فى حياته وبعد مماته .

اعتزازه بمكانته فى العلم :

كان الدارمى مثلا لاعتداد العلماء العاملين بعلمهم ، والترفع بتلك المكانة عن الابتذال ومواطن الذلة والصغار ، فقد كرمه الله بالعلم ، فيجب أن يكرم العلم من أن يُمتَهن أو يكون سلما لمغنم أو جاه .

قال أبو الفضل القراب : كنا فى مجلس عثمان ابن سعيد غير مرة ، ومر به الأمير عمرو بن الليث ، فسلم عليهم ، وقال : وعليكم . ولم يزد على رد السلام .

مقومات المحدث عند الدارمى :

كان الدارمى يقول : من لم يجمع حديث : شعبة ، وسفيان ، ومالك ، وحماد بن زيد ، وابن عيينة ، فهو مفلس فى الحديث .

مؤلفاته :

- المسند الكبير .
- كتاب فى الرد على الجهمية .
- كتاب فى الرد على بشر المريسى صاحب فتنة خلق القرآن .
- سؤالات عن الرجال ليحيى بن معين .

تلاميذه والآخذون عنه :

روى عنه ابن خزيمة - وهو من شيوخه - وروى عنه أبويحيى زكريا بن أحمد بن يحيى البلخى ، وأحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى ، والمؤمـــل بن الحسن بن عيسى الماسرجسى ،

وأبوعمرو أحمد بن محمد الحيرى ، وأبوالعباس أحمد بن محمد بن الأزهرالسجزى ، ومحمد بن يوسف الهروى نزيل دمشق ، وأبو عبد الله محمد بن إسحق الهروى ، والحسن بن على بن نضر الطوسى ، وأبوالنضر محمد بن محمد الطوسى الفقيه ، وحامد الرفاء ، ومحمد بن إبراهيم الصرام ، وأبوالفضل يعقوب بن إسحق القراب ، وخلق كثير من أهل هراة ، وأهل نيسابور .

وفاته :

فى ذى الحجة سنة ثمانين ومائتين كانت وفاة عثمان بن سعيد الدارمى وكانت وفاته فى مدينة هراة .

تاريخ عثمان بن سعيد الدارمى

والكتاب الذى بأيدينا عن هذا الحبر الجليل هو – فى الواقع – أسئلته – الموجهة إلى شيخه يحيى ابن معين ، ويحمل عنوان : «تاريخ عثمان ين سعيد الدارمى عن أبى زكريا يحيى بن معين فى تجريح الرواة وتعديلهم» وحتى نعطى فكرة عن قيمة هذا الكتاب نقول :

فى الكتاب أحد عشر فصلا اشتملت أسئلة عثمان الدارمى الموجهة إلى يحيى بن معين عن : أصحاب الزهرى . ثم يليها أسئلته عن أصحاب قتادة ، فالأعمشى ، فأيوب السختيانى ، فأصحاب عمرو بن دينار ، فالشعبى ، فإبراهيم ، فأبى إسحاق السبيعى ، فأصحاب منصور ، فسفيان الثورى ، فشعبة ، يتلقى فى كل ذلك حكم يحيى عليهم وما فى هذا الحكم من بيان لمنازلهم فى التحديث .

يلى ذلك ستة وعشرون بابا منتظمة مع الحروف الهجائية سقط منها حرفا التاء ، والظاء ، وفى كل منها يسأل عن محدثين تبدأ أسماؤهم بالحدث الذى عُنونَ له بابه .

وهذان نموذجان من اللونين :

(ا) جاء فى (أصحاب الزهرى) عن رواى الكتاب وهو أبو يحيى زكريا بن أحمد البلخى قال : حدثنا عثمان بن سعيد الدارمى ، قال : سألت يحيى بن معين عن أصحاب الزهرى ، قلت له :

١ – معمر أحب إليك فى الزهرى أو مالك ؟ فقال : مالك .

٢ – قلت : فيونس أحب إليك وعقيل أم مالك ؟ فقال : مالك ... الخ ص٤١ .

(ب) باب الألف :

قال الراوى عن عثمان : « أخبرنى عثمان قال : قلت ليحيى بن معين :

١١١ – إبراهيم بن ميسرة . ما حاله ؟ فقال : ثقة .

١١٢ – قلت : هو أحب إليك عن طاووس أو ابن طاووس ؟ فقال : كلاهما .

وهكذا حتى ينتهى إلى الياء .

ولذلك نجد أن فهرس الأعلام بالكتاب جمع من المحدثين ثبتا يقع فى إحدى وخمسين صفحة متوسط ما تحويه الصفحة منها نحوا من أربعة وعشرين محدثا ومحدثة .

لذا يعتبر هذا الكتاب إحدى نوادر التراث الإسلامى الأمينة فى هذا الفن الشريف .

أثر الأخلاق فى بناء الفرد والمجتمع

فضيلة الشيخ
محمد حافظ سليمان

الأخلاق قاعدة أساسية فى بناء الأفراد والأمم ، وركيزة راسخة فى تكوين المجتمعات النافعة الراقية لأن الحياة لا تستقيم إلا بمكارم الأخلاق ، ولأهمية الأخلاق فى حياة المسلم جعل الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ أهم أهداف رسالته أن يتمم مكارم الأخلاق ، فقال : « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » .

ولقد أعده ربه وأكمله وهيأه لتحمل أعظم رسالة وأضخم مهمة ، فأدبه فأحسن تأديبه ، وتولاه واجتباه واصطفاه ، وشرح صَدْرهُ ، ورفع ذكره وأعلى شأنه وقدره ، ومنحه أكرم وصف ظهر على الأرض فقال ربه :

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ .

سورة القلم ـ آية : ٤

فكان خلقه القرآن الذى بنى به صاحب الخلق العظيم أمة الإسلام التى قال لها ربنا :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ .. ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١١٠

والله عز وجل جعله أسوة حسنة للمسلمين أجمعين فى كل وقت وحين ، وإن اختلفت الأوطان والألوان :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ .

سورة الأحزاب ـ آية : ٢١

● مدير عام الوعظ والإرشاد سابقا .

والإسلام قد انتشر بالقدوة كما انتشر بالدعوة : وبين أيدى المسلمين المنهج والقدوة : أما المنهج فهو كتاب الله الخالد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأما القدوة فرسول الله ﷺ الذى قال له ربه :

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ . سورة الجاثية

وبالسلوك المستقيم والخلق القويم ، وبالقول الطيب الكريم ، وبالعمل الصالح تتحقق وتتأكد للمؤمنين حياة طيبة .

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ... ﴾

سورة فاطر ـ آية : ١٠

وبمكارم الأخلاق يستقر الأمر ويستتب الأمن .

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ٩٧

والله عز وجل يمنح الأَمْنَ للذين آمنوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فيقول :

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ . **سورة الأنعام**

وبمكارم الأخلاق تظهر الأمم وتسعد الأمم :

وإنما الأمم الأخــلاق ما بقــيت

فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

لأن الإسلام عقيدة وسلوك ، اعتقاد ومنهج ، عقيدة ونظام متكامل شامل ، وهو كل لا يتجزأ وهو دين أكمله الله ، أكمل به الملة وأتم به النعمة فقال :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ .

سورة المائدة ـ آية : ٣

وذلك لأن مكارم الأخلاق ثمرة الإيمان ، فلا إيمان لمن لا أمان له ، ولا دين لمن لا عهد له ، والمؤمن مَنْ أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده .

صلاح أمرك للأخلاق مرجعه

فقوم النفس بالأخلاق تستقم

ولقد جاء الإسلام بكل ما يهذب النفوس ويربيها ويؤدبها ويرقيها ويطهرها ويزكيها لأن الأفراد لبنات فى بناء الأمة المؤسس على تقوى من الله ورضوان .

يقول رسول الله ﷺ : « **ما من شىء أثقل فى ميزان العبد المؤمن يوم القيامة من خلق حسن** » رواه الترمذى .

والنفس البشرية إذا أصابها غيث الهدى تطهرت وأثمرت بالخير وأفلحت .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ ﴾ سورة الشمس

والنفس إذا تجردت للاستقامة والبر فهى المطمئنة الراضية المرضية ، لأنها جبلت على صالح الأعمال فى كل المجالات والاتجاهات ، لأنها موصولة بالله لا تعبد إلا إياه ولا تذل لأحد سواه ولا تقول لغير الله :

﴿ **إياك نعبد وإياك نستعين** ﴾ .

عملا بقول الله ـ تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ **سورة الأنعام**

فلا ملجأ من الله إلا إليه ولا اعتماد إلا عليه .

﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) ﴾ سورة النازعات

وهذه النفس الطاهرة التقية النقية البريئة من دنس الذنوب ورجس العيوب لا يصدر منها إلا ما يرضى الله من قول وفعل وفضائل ، وهى التى يقال لها ترحيبا بها وتقديرا لها :

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾ .

سورة الفجر ـ آية : ٢٧ ـ ٣٠

وما أحوج المسلم إلى أن يحمل نفسه على الطاعة والبر ومراقبة الله سرا وعلانية ، لتطمئن بذكر الله سبحانه .

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ (٢٩) ﴾ . سورة الرعد

ما أحوج الناس إلى التوبة قبل فوات الأوان .

والندم توبة

وأما النفس اللوامة ، فهى التى تلوم صاحبها وتُشْعِرُهُ بوخزات الضمير إذا اقترفت سوءا بجهالة فأنابت ورجعت إلى رشدها وثابت إلى ربها من قريب ، ولم ترجع إلى ذنبها لإصرارها على رضا ربها .

﴿ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) ﴾ سورة النساء

وقد ابتليت المجتمعات بشرذمة من أصحاب النفوس الخبيثة الشريرة ، التى جبلت على اللؤم والخسة والإيذاء والإضرار بالناس من نفاق مضلل وكذب كريه وغش وخديعة ، ودس ووقيعة ، فهم شياطين الإنس يعيشون فى الأرض فسادا وأولئك هم شر البرية : وهم أصحاب النفوس الأمارة بالسوء التى تدمر صاحبها وتعصى خالقها وقد جاء ذكرها بوصفها فى سورة يوسف :

﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ . سورة يوسف

والإسلام يريد من المسلم أن يكون سليم الصدر عف اللسان طاهر القلب نقى السيرة طيب السريرة يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا يمشى على الأرض هونا : يقصد فى مشيه ويغضض من صوته ومن بصره ، لأن الإسلام شديد الحرص على صون الأعراض وطهارة الأنساب ، فشرع الضمانات الكافية الشافية والله يقول :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ . سورة النور (٣٠)

ويقول عز وجل :

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ﴾ . (٣١)

وقد فرض الله الاستئذان وحرم اقتحام البيوت بغير إذن أهلها ولو كان من ذوى القربى : وجعل للوالدين حقا مفروضا ، وجعل للأبناء عليهما واجبا معلوما بينته شريعة الإسلام التى جاءت بكل ما فيه سعادة الناس فى دنياهم وأخراهم ، وذلك لأن الله قد كرم الإنسان وخلقه فى أحسن

تقويم ومنحه العقل السليم وبين له الخلق القويم والصراط المستقيم ، لأنه لم يخلق عبثا ولن يترك سدى وإنما وُجد ليعبد الله .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ .

سورة الذاريات

ثم ما هى العبـادة ؟

والعبادة ، معناها الواسع تشمل كل ما يرضى الله ورسوله ، كالصلاة والزكاة والحج والصوم والأمر بالخير والنهى عن الشر ، وإتقان العمل والإخلاص فى السر والعلانية والعدل فى الغضب والرضا والقصد فى الفقر والغنى والصدق فى القول والفعل وأداء الأمانات إلى أهلها لأن الإنسان والوقت قوتان عظيمتان تسير بهما عجلة الحياة وتعمر بهما الأرض إذا استثمرا استثمارا نافعا لتمتلىء الأرض خيرا فيه منافع للناس ، لأن الوقت هو عمر الإنسان ، ويجب أن يقدر من قدره ، لأن الحركة دليل الحياة والركود دليل الممات وفقدان الشعور وضعف الإحساس بالمسئولية .

من يهن يسهـل الهوان عليـــه
ما لجرح بميت إيــــــــلام

والمسلم لا يكون كسولا خاملا خائبا خائنا لنفسه ولوقته (خيركم من طال عمره وحسن عمله وشركم من طال عمره وساء عمله) .

لأن الإسلام يربى أتباعه على صدق الإرادة وقوة العزيمة ليعرفوا للحياة قيمتها ، فلا عبث ولا ألاعيب ولا إهمال ولا أكاذيب ، لأن كل إنسان مسئول عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه ، وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل فيه .

ومن الأعمال الصالحة : تربية الأولاد على الفضائل ومكارم الأخلاق « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » ولا يخفى أن العبادة تخرج بالإنسان من ظلمة الشهوات الحيوانية الكثيفة إلى السمو الإنسانى ليمشى فى الحياة سويا على صراط مستقيم .

وصراط الله المستقيم هو الذى أمرنا الله باتباعه فقال :

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ . **الانعام ـ ١٥٣**

الإسلام منهاج متكامل

الإسلام هو المنهاج المتكامل الشامل للحياة الفاضلة المثالية إذا استجاب الناس لما يحييهم بطاعة الله ورسوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ « الانفال/ ٢٤ » .

فلقد جاء الإسلام مكملا لرسالات النبيين والمرسلين السابقين ودعوات المصلحين الاقدمين التى تهدى إلى الصراط المستقيم ، وذلك لأن للعقيدة الإسلامية جلالها وجمالها فهى قاعدة الإيمان السليم والخلق القويم الذى يهدى إلى الفضائل والشمائل التى صنعت من المؤمنين رجالا صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فعمرت بهم الدنيا وسعدت بدينهم البشرية ، وامتلأت الأرض عدلا وأمنا وسلاما .

وقد جاءت الفضائل واضحة فى القرآن الكريم الذى أنزله ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ، ثم

هدى وبينه للناس خاتم رسله الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، والأخلاق الإسلامية جاءت من عند الله فهى التى جعلت السلوك ثمرة الايمان :

﴿ **قل آمنت بالله ثم استقم** ﴾ .

إن التوتر النفسى الذى يصيب السلبيين والمتعطلين قد يجرهم إلى الانحراف وضعف الانتماء لدينهم الإسلامى القيم ، ويترتب على ذلك عدم الوفاء وعدم الولاء لشريعته المطهرة ، ومن هان عليه دينه هان عليه شرفه ، ومن هان عليه شرفه فقد أهان نفسه وفقد حسه ودمر شخصه « المكرم الإنسانى » فقد كرم الله بنى آدم والله بقوله :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾

سورة التين

ولقد اقترن الأمر بالتقوى بالأمر بالخلق الحسن فى قول الرسول صلوات الله وسلامه عليه « اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن » (رواه الترمذى) .

فلا انفصال بين العبادات والمعاملات لأن الإسلام لايتجزأ وشريعته اقترنت العقيدة فيها بالأخلاق والسلوك والله يقول :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

سورة الأنعام

فاقترن الإيمان بالإصلاح فى هذه الآية :

كما بين لنا ديننا أن العفة والعزة والسماحة والشهامة والمروءة والسخاء كل هذا من أعظم القربات عند الله ، وبالإيمان والأخلاق يصلح البال وتستقيم الأحوال :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾

سورة محمد

إن الإسلام لا يأمر إلا بكل خير ولاينهى إلا عن كل شر : فهو ينهى عن الخداع والغش والايذاء .

والنفس إذا لم تطهرها اخلاق الاسلام ضلت وزلت وانحرفت واتبعت هواها وقادها شيطانها !!

ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته
أتطلب الربح مما فيه خسران
أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس لابالجسم إنسان

وما أحوج الناس إلى أن تسود فيهم الأخلاق فى كل شئونهم : لأن مكارم الأخلاق من مميزات الإسلام التى جعلته يشق طريقه إلى قلوب الملايين وعقولهم ، فقد انتشر بقوته الذاتية ، لأنه لم يخالف فطرة الله التى فَطر الناس عليها إذا صادفت قلوبا نقية لايهيمن عليها إلا الحق الواضح المستبين :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

سورة الروم

المساواة خلق إسلامى

ولقد جاء الإسلام وجاءت معه حقوق الإنسان كاملة : فقد سوى الإسلام بين بلال الحبشى وصهيب الرومى وسلمان الفارسى ، وبين كبار الصحابة من أبناء الإسلام فى أيام الإسلام

الأولى وأولئك هم خير البرية : وقد اجتمعوا على كلمة لا إله إلا الله وفيها تكمن القوة ، وفى كلمة « محمد رسول الله » الإيمان بالقدوة والقيادة ، لأن الله قد جعل طاعة رسوله من طاعته ، ورتب محبته على اتباعه :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾

آل عمران ــ ٣١

والإسلام يريد من المسلمين أن يقتدوا به فى أفعاله وأقواله ويتبعوه فى كل ماجاءت به رسالته المقدسة التى جاء بها القرآن لهداية البشرية جميعها، والله يقول :

﴿ الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١ ﴾ .

سورة إبراهيم

« **الحقد آفة المجتمعات** »

الحقد سبب الويلات والنكبات والحوادث والخصومات والضغائن والمؤامرات وفقدان المودة والمجاملات والشهامة والمروءات ، وسبب الوقيعة والقطيعة وتمنى زوال النعمة عن الآخرين

داريت كل الناس لكن حاسدى
مداراته عزت وعز نوالها

وكيف يدارى المرء حاسد نعمة
إذا كان لايرضيه إلا زوالها

وقد يبتلى المرء بحاقد قد يسبب له الضوائق والمكاره إذا ميزه الله بفضل منه ونعمة عمن حوله فلا علاج إلا بالصبر . (استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين)

اصبر على كيد الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ماتأكله

وحينما تجتمع الأنانية والطمع والحقد فى قلب جهول ، يصبح مصدر أذى لغيره لأنه فقد الحياء فلا خير فيه ، فهو يطلق لسانه بقول الزور وبالسوء والأذى ، لأن الخسيس الخبيث الحقود إذا ارتفع جافا أقاربه وأنكر معارفه . واستخف بالاشراف وتكبر على أهل الفضل والانصاف ، فكن على حذر من اللئيم إذا أكرمته ومن الكريم إذا أهنته ، وكن على حذر من صحبة الاشرار المطرودين من رحمة الله تعالى

إن الكــريم إذا تمكــن من أذى
جاءته أخلاق الكــرام فأقلعــا

وترى اللئيم إذا تمكن من أذى
يطغى فلا يبقى لصلح موضعا

القربات وإهداؤها للموتى

دكتور أحمد محمود كريمة

يشغل بال الكثيرين قضية فقهية يثار حولها الجدل وتتباين فيها الآراء ، ألا وهي «قيام الإنسان الحى بعمل قربة من القربات الشرعية ـ قولية كانت كالدعاء والاستغفار ، أو فعلية كالصدقة وما أشبه ذلك ـ مما ليست واجبة على الميت ثم يهب ثوابها إليه ، فهل ينتفع الميت بهذا الثواب أم لا ؟

بطبيعة الحال فإن مسألتين فقهيتين تبرزان فيما نحن بصدده وهما :

الأولى : حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحى .

الثانية : حكم بانتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحى مثل قراءة القرآن الكريم والحج والعمرة والصيام ، وما أشبه ذلك.

وقبل بيان ما يجب بيانه فى المسألتين أعرض معنى القربة لغة وشرعاً :

أ ــ معنى القربة لغة : القربة ــ بضم القاف وسكون الراء ــ هى كل شىء يتقرب به العبد إلى الله ــ تعالى ــ وتجمع على قُرَب وقُرُبَات[1] .

ب ــ معناها شرعاً : هى فعل مايثاب عليه بعد معرفة من يتقرب إليه ، وإن لم يتوقف حصولها على نية[2] .

جـ ــ ألفاظ ذات صلة :

١ ــ العبادة : ومايثاب على فعله ويتوقف على نية.

٢ ــ الطاعة : فعل مايثاب عليه ، توقف على نية أم لا ؟ عارفاً من يفعل لأجله أم لا ؟

بشىء من النظر فى تعريف القربة والعبادة والطاعة يتضح أهم الفروق بين القربة والعبادة والطاعة. فالقربة ــ على ضوء ما ذكر ــ ما يفعله العبد لله ــ تعالى ــ مما يترتب عليه مثوبة شريطة أن تكون لله ــ تعالى ــ مما شرعه الشارع وليس بالضرورة توقفها على نية فى جميع صورها وأنواعها.

---

(١) لسان العرب مادة ((قرب)) .

(٢) حاشية ابن عابدين ٧٢/١ طبعة احياء التراث العربى .

أما الطاعة فلا يشترط فيها معرفة الطائع لمن يطيع ، والعبادة تتوقف على نية[٣] وعليه فالقربة تفارق ماذكر على النحو التالى :ـــ

• القربة لابد فيها من معرفة من يتقرب إليه وهو الله ـــ تعالى ـــ .

• القربة لاتتوقف ـ غالباً على نية[٤] .

إذا علم هذا : فإن إهداء القربات من الحى للميت تشتمل على عدة مسائل أبرزها ما سلف إيراده وتفصيل ذلك فيما يلى :ـــ

المسألة الأولى : حكم انتفاع الميت بالدعاء والصدقة من الحى .

• اتفق الفقهاء على أن الحى إن تصدق أو دعا بخير للميت ووهب ثواب ذلك إليه فإن الثواب يصل إليه وينتفع به[٥] .

سند الاتفاقية : دليل القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع :

أولاً : دليل القرآن الكريم : آيات منها :ـــ

أ ـ قول الله ـــ تعالى ـــ

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[٦] .

وجه الدلالة : امتدح الله تعالى المؤمنين على دعائهم لمن سبقهم من إخوانهم المؤمنين فدل على انتفاع السابقين بدعائهم[٧] .

ب ـــ قول الله ـــ تعالى ـــ ﴿وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا﴾[٨] .

وجه الدلالة : أمر الله ـــ تعالى ـــ الأبناء بالدعاء لأبائهم وأمهاتهم[٩] فدل على انتفاع الأبوين بالدعاء وأنه من وسائل البر بهما بعد موتهما من الأبناء .

ثانياً : دليل السنة النبوية : أخبار كثيرة منها :ـــ

أ ـ خبر ﴿إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له﴾[١٠] .

وجه الدلالة : ـــ أخبر الصادق المصدوق ـــ ﷺ ـــ أن الميت ينقطع عمله إلا من عدة أمور عد منها دعاء ولده الصالح له ، فدل على وصول دعاء الإبن لأبيه وانتفاعه به بعد وفاته .

ب ـــ خبر ﴿استغفروا لاخيكم فإنه الان يُسأل﴾[١١] .

وجة الدلالة : أمر النبى ـــ ﷺ ـــ شهود الجنازة الأحياء بالاستغفار للميت فدل على انتفاعه بذلك .

جـ ـــ ما رواه أصحاب السنن بسندهم أن النبى ـــ ﷺ ـــ كان يقول ـــ فى أدعيته ـــ ﴿اللهم اغفر لحينا وميتنا ... ﴾ الحديث[١٢] .

---

(٣) المرجع السابق، ٢٣٧/٢ .

(٤) القربات د./ حسين عبدالمجيد ص٨ مطبعة الأمانة .

(٥) فتح القدير ١٤٢/٣ طبعة الحلبى ، الشرح الكبير للدردير ١٠/٢ طبعة الحلبى ، مغنى المحتاج ٦٩/٣ طبعة الحلبى ، المغنى لابن قدامه ٥٦٦/٢ طبعة مكتبة ابن تيمية .

(٦) الآية ١٠ من سورة الحشر .

(٧) تفسير الرازى ٤٨٠/١٥ طبعة دار الغد العربى ، تفسير ابن كثير ٤٧٥/٣ دار القرآن ببيروت .

(٨) الآية ٢٤ من سورة الاسراء .

(٩) تفسير القرطبى ١٦٠/١٠ طبعة دار الكتب العلمية ، تفسير ابن كثير ٣٧٣/٢ .

(١٠) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٧/٢ طبعة الشعب

(١١) سنن ابى داود ـــ كتاب الجنائز ـــ ٢١٥/٣ .

(١٢) سنن النسائى ٧٤/٤ ـــ باب الجنائز .

وجه الدلالة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ الدعاء للموتى وأرشد إليه يدل ذلك على وصول الثواب وانتفاع الموتى به .

د ـ ما روى أن النبى ـ ﷺ ـ كان يدعو لاهل بقيع الغرقد[١٣] .

وجه الدلالة : أنه ـ ﷺ ـ كان يزور قبور المسلمين للدعاء لهم والترحم عليهم والاستغفار لهم[١٤] فدل على انتفاعهم بهذا .

هـ ـ ما روى أن النبى ـ ﷺ ـ سئل :ـ ﴿إن أبى مات وترك مالاً ولم يوص فهل يكفر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : نعم﴾[١٥] .

و ـ ما روى أن سعد بن عبادة ـ رضى الله عنه ـ توفيت أمه وهو غائب عنها فقال للنبى ـ ﷺ ـ إن أمى توفيت وأنا غائب عنها أينفعها شىء إن تصدقت به عنها ؟ قال : « نعم » ، فقال : إنى أشهدك أن حائطى والمخراف[١٦] صدقة عليها[١٧] .

وجه الدلالة : أذِنَ رسولُ الله ـ ﷺ ـ وقرر لأصحابه الصدقة عن الميت يدل على وصول الثواب عن الصدقات للموتى وانتفاعهم به .

ثالثاً : دليل الاجماع : أجمع العلماء سلفاً وخلفاً فى شتى الأعصار والأمصار على أن ثواب الدعاء والصدقة يصلان إلى الميت وينتفع بهما[١٨] .

المسألة الثانية :ـ حكم انتفاع الميت بغير الدعاء والصدقة من الحى كقراءة القرآن الكريم والصيام والحج والعمرة ، وما أشبه بذلك .

* اتفق الفقهاء على أن العبادة البدنية المحضة كالصلاة والصوم والوضوء والغسل تمتنع فيها النيابة عن الحى[١٩] .

وسند الاتفاقية : دليل الأثر والمعقول والإجماع :ـ

أ ـ دليل الأثر : ما روى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال (لايصلى أحد عن أحد ولا يصوم أحد عن أحد)[٢٠] وروى مثل ذلك عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ[٢١] .

ب ـ دليل المعقول : أن التكاليف البدنية مقصودها الابتلاء والمشقة وتحصل باتعاب النفس والجوارح بالافعال المخصوصة ، وهو أمر لايتحقق بفعل نائبه فلم تجز النيابة ، وهذه العبادات يتوقف أصل حصولها على النية ، والمقصود منها إمتحان عين المكلف بها ، وغيره لا يقوم مقامه فيها ، وكذلك الخضوع بها لله ـ تعالى ـ والتوجه إليه ، والتذلل بين يديه ، والانقياد لحكمه ، وعمارة القلب بذكره ، ولايحصل ذلك إلا من المكلف نفسه[٢٢] .

جـ ـ الاجماع : أجمع العلماء على امتناع النيابة عن الحى فى العبادة البدنية المحضة[٢٣] .

أما عن الميت فلا تجوز النيابة فى العبادة البدنية المحضة إلا ما أخرج بدليل كالصوم وفيما كان واجباً على الميت .

---

(١٣) صحيح مسلم بشرح النووى ٦٣٥/٢ .
(١٤) زاد المعاد ٥٢٦/١ طبعة الرسالة .
(١٥) صحيح مسلم بشرح النووى ١٦٥/٢ .
(١٦) المخراف المكان المثمر: فتح البارى ٣٨٦/٥ ـ باب الوصايا
(١٧) المرجع السابق .
(١٨) بداية المجتهد ٣٣٧/٢ طبعة الحلبى ، المغنى ٥٦٦/٢ .
(١٩) المنثور للزركشى ٣١٢/٣ طبعة الفليج بالكويت .
(٢٠) سنن البيهقى ٢٥٧/٤ طبعة حيدر آباد .
(٢١) مغنى المحتاج ٣٤٤/٢ طبعة الحلبى .
(٢٢) المرجع السابق .
(٢٣) المنثور ٣١٢/٣ .

وأختلفوا فى حكم وصول ثواب القراءة للقرآن الكريم والحج والعمرة وغيرها من الطاعات أو القربات ولم يوص الميت بها له من الحى وذلك على أقوال أشهرها قولان :ــ

القول الأول : جواز فعلها من الحى للميت وانتفاعه بثوابها وذهب إلى ذلك الحنفية والحنابلة ومتأخرو المالكية والشافعية فى قول[٢٤] .

القول الثانى : عدم الجواز وعدم وصولها للميت من الحى وعدم انتفاع الميت بها ذهب الى ذلك جمهور المالكية والشافعية فى المشهور عندهم[٢٥] .

الأدلـــة

استدل أصحاب القول الأول القائلون بالجواز وانتفاع الميت بهذه القربات بدليل السنة والأثر والمعقول :

أولا : دليل السنة النبوية : منها :

أ ــ خبر ((أن رجلاً سأل النبى ــ ﷺ ــ فقال : كان لى أبوان أبرهما حال حياتهما فكيف لى ببرهما بعد موتهما ؟ فقال ــ ﷺ ــ: إن من البر بعد الموت أن تصلى لهما مع صلاتك وأن تصوم لهما صيامك))[٢٦] .

وجه الدلالة: أمر النبى ــ ﷺ ــ للسائل بالصلاة والصيام عن والديه الميتين يدل على الجواز والمشروعية وانتفاع الميت بهذه القربات .

ب ــ خبر ((مر النبى ــ ﷺ ــ بحائط من حيطان المدينة فسمع صوت انسانين يعذبان فى قبورهما ......)) إلى أن قال ((.... ثم دعا بجريدة رطبه فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة فقيل له : لم فعلت هذا ؟ لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا))[٢٧] .

وجه الدلالة : إذا كانت الجريدة الرطبة ينتفع بها الميت اذا وضعت على قبره فالقراءة للقرآن الكريم أولى ويقاس على ذلك سائر القربات[٢٨] .

ثانيا : دليل الأثر : ((ما رواه محمد بن قدامه قال لأبى عبدالله أحمد بن حنبل ــ رحمه الله تعالى ــ ما تقول فى مبشر الحلبى ؟ قال : «ثقة ، قال : فأخبرنى مبشر عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عنده بفاتحة البقرة وخاتمتها» وقال سمعت ابن عمر ــ رضى الله عنهماــ يوصى بذلك ...))[٢٩] .

وجه الدلالة : ظاهر.

ثالثا دليل المعقول : قياس وصول القراءة للقرآن الكريم ونحو ذلك على وصول ثواب الصدقة والدعاء بجامع أن كلا عبادة .

** استدل أصحاب القول الثانى القائلون بعدم الجواز وعدم انتفاع الميت بالقربات ــ غير الدعاء والصدقة ــ بدليل القرآن الكريم والسنة والمعقول

أولاً : دليل القرآن الكريم : آيات منها :

(أ) قوله ــ تعالى ــ

﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[٣٠] .

---

(٢٤) حاشية ابن عابدين ٣٤٣/٢ ، الانصاف ٥٥٧/٢ ، بلغة السالك ١٨٩/١ ، قليوبى ١٧٥/٣ .

(٢٥) الشرح الكبير وحاشية الدسوق ١٠/٢ ، مغنى المحتاج ٦٩/٣ .

(٢٦) الفتح الربانى لمسند أحمد ١٠٨/٨ ، نيل الأوطار ١٠٥/٤ .

(٢٧) فتح البارى ١١٠/٢ طبعة الكليات الأزهرية .

(٢٨) المرجع السابق .

(٢٩) السنن الكبرى ٥٦/٤ .

(٣٠) من الآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

وجه الدلالة : ليس للإنسان إلا كسبه خيراً أو شراً وعلى هذا فعمل غيره لا ينفعه .

(ب) قوله ـــ تعالى ـــ

﴿ وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[٣١] .

وجه الدلالة : الإنسان لايجازى إلا على عمله إن خيراً وإن شراً ولايجازى على عمل الغير .

(جـ) ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[٣٢] .

وجه الدلالة : أخبر الله تعالى بأن الإنسان ليس له فى يوم الجزاء إلا ما عمله وعليه فلا ينتفع ولا يؤاخذ بعمل أو سعى غيره .

ثانياً : دليل السنة النبوية : أخبار منها :

(أ) ما روى أن النبى ـــ ﷺ ـــ قال ((إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته : علماً علّمه ونشره ، أو ولداً صالحاً تركه ، أو مصحفا ورثّه ، أو مسجداً بناه ، أو بيتاً بناه لابن السبيل ، أو نهراً أجراه ، أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته ....))[٣٣] .

وجه الدلالة: دل الحديث الشريف على أن انتفاع الميت بالقربات إنما ماكان بسبب فعله حال حياته ، فدل على عدم انتفاعه بفعل غيره لحصر هذه القربات فى هذا الحديث .

(ب) قوله ـــ ﷺ ـــ ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ....))[٣٤] .

وجه الدلالة : أخبر النبى ـــ ﷺ ـــ بأن الميت ينقطع عمله إلا ما كان سبباً فيه حال حياته من صدقة جارية أو علم ينتفع أو ولد صالح يدعو له ، فدل على أن غيرها مما ليس من عمله لاتصل إليه وبالتالى لاينتفع به .

ثالثاً : دليل المعقول : بوجوه منها :

١ ـــ أن إهداء قراءة القرآن الكريم وما شاكلها من القربات إلى الميت حوالة وهى إنما تكون بحق لازم[٣٥] ، والأعمال لاتوجب الثواب وإنما هو مجرد تفضل من الله ـــ تعالى ـــ فكيف يحيل العبد ثواب عمله إلى الميت على مجرد الفضل الذى لا يجب على الله ـــ تعالى ـــ بل ذلك تابع لمشيئته ـــ سبحانه ـــ.

٢ ـــ الإيثار بالقرب مكروه[٣٦] فكيف يجوز الايثار بنفس الثواب .

المناقشة :

يناقش أصحاب القول الأول بما يلى :

أولا : مناقشة دليل السنة

١ ـــ المقصود بالصلاة فى الحديث الشريف الدعاء لا الصلاة بمفهومها الشرعى ، والمقصود بالصيام قضاء صيام النذر وقضاء صوم الفرض عنهما .

يجاب : لفظ (الصلاة) فى الخبر يحتمل المعنين ولابد من مرجح يرجح أحدهما وهو غير موجود فيبقى على عمومه الدعاء والشرعى معاً ، ويجوز ترجيح الثانى ـــ الصلاة بمعناها الشرعى ـــ لأن قوله ((أن تصلى لهما بصلاتك) يدل على أن المراد الصلاة بمعناها الشرعى ، أما الصيام فهو هنا عام يتناول القضاء للفرض والنذر وغيره .

---

(٣١) من الآية ٥٤ من سورة يس .
(٣٢) من الآية ٣٩ من سورة النجم .
(٣٣) سنن ابن ماجه ١٠٦/١ .
(٣٤) سبق ذكره وتخريجه .
(٣٥) عون المعبود ٨٧/٨ .
(٣٦) الأشياء والنظائر للسيوطى ص١٢٩ طبعة الحلبى .

٢ ــ وضع الجريدة الرطبة على القبرين إنما هو خصوصية لرسول الله ــ ﷺ ــ.

يجاب : لم يرد مايفيد أنه خصوصية فبقى على إطلاقه .

ثانياً : مناقشة دليل الأثر : ما نسب لابن عمر ــ رضى الله عنهما ــ قول صحابى وهو محل خلاف فى حجيته .

يجاب : ما ذكروه صحيح فيما لو انفرد بقوله لكن هناك الأحاديث والآثار التى تقوم بمجموعها على مشروعية وصول ثواب القربات وانتفاع الميت بها .

•• يناقش أصحاب القول الثانى بما يلى :

١ ــ مناقشة دليل الكتاب : قوله ــ تعالى ــ ((ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون)) لايدل على نفى وصول ثواب القربات للموتى بل نفى عقوبة الإنسان بعمل غيره ومؤاخذته بجرم غيره والسياق يدل على هذا ((فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ))(٣٧) .

٢ ــ مناقشة دليل السنة :

(أ) خبر ((أن مما يلحق المؤمن من عمله ...)) ليس على سبيل الحصر فلا دلالة إذن على انتفاع الميت بعمل غيره من القربات وإهدائها له .

(ب) خبر ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث ....)) ليس فيه ما يدل على عدم انتفاع الميت بعمل غيره وإهداء هذا العمل له من الحى بل فيه انتفاعه لأن انتفاع الناس بعلمه ودعاء الولد الذى يشمل قراءته للقرآن الكريم والإستغفار والذكر الشرعى وما أشبه يصل إليه وينتفع به .

٣ ــ مناقشة دليل المعقول :

(أ) قياس حوالة المخلوق على مثله ، وحوالة المخلوق على خالقه قياس مع الفارق يعضده أن قيام الورثة بأداء ديون مورثهم التى عجز عنها يبرئه أمام الله ــ تعالى ــ، وعمل وقف له وما أشبه ذلك مشروع فينقض ما قالوه .

(ب) القول بأن الإيثار بالقرب مكروه خارج عن محل النزاع لأن ما نحن فيه إهداء الثواب للموتى أما هذا القول فمعناه إيثار القرب من الحى للحى بمعنى التباطؤ فيها وعدم المبادرة إليها والاتكال على الغير فى فعلها .

•• الرأى المختار : وبعد عرض القولين بالأدلة والمناقشة اتضح أن ماذهب إليه أصحاب القول الأول من مشروعية فعل الحى للقربات وإهدائها للموتى وانتفاعهم بها ووصل ثوابها إليهم والأصل فيه ما ورد فى صحيح مسلم بسنده (جاءت إمرأة إلى النبى ــ ﷺ ــ فقالت يارسول الله ــ ﷺ ــ إن أمى ماتت وعليها صوم نذر أفأصوم عنها ؟ فقالت (أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته أكان ذلك يؤدى عنها ؟ فقالت (نعم) فقال : (فصومى عن أمك)(٣٨) .

فدل الحديث الشريف على مشروعية قضاء الديون عن الميت وتبرئة ذمته بهذا القضاء وأداء صيام النذر عنه فدل على انتفاع الميت بعمل الحى..

يضاف إلى ذلك أن هذا القول يحقق مصالح شرعية والمصالح معتبرة .

والله أعلى وأعلم

---

(٣٧) من الآية ٥٤ من سورة يس .

(٣٨) صحيح مسلم ٢/٨٨٠ طبعة الحلبى .

الإسلام وصلة الرحم

لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور

الإنسان مدنى بطبيعته ، آلف مألوف لايستطيع أن يعيش وحيدا فى مجتمعه ولا انعزاليا فى دنياه .

والدين الإسلامى الحنيف مبناه العدل المطلق المنصف القائم على البر والتقوى والرحمة والتراحم والعطف والتعاون .

وأولى الناس ببرك ـ أخى المسلم ـ ومودتك وعطفك الصق الناس بك وهم بنو رحمك ، وكل من كان بينك وبينه قرابة من أخوة وأعمام وأخوات وعمات وخالات وأخوال وأبناء كل رحم ، فالرحم هو الخيط الذى يجمع الحبات المتفرقة من أبناء العائلة الكبيرة فيكون من ذلك الجمع والضم عقد واحد هو الأسرة ، ومن الأسرة يكون المجتمع ومن المجتمع تكون الأمة .

وإذا كانت الأسرة مترابطة متآلفة كانت الأمة كذلك مترابطة متماسكة قوية عزيزة .

صلة الأرحام ولغة القرآن :

حث القرآن الكريم على صلة الأرحام ، وأصل الصلة هى الوصلة من وَصَلَ الشىء بالشىء ، يَصِلُهُ وَصْلاً وصِلَةً بالكسر والضم إذا ربطه به ووصلهُ .

ولصلة الأرحام منزلة عالية وشأن عظيم من بين سائر الصلات والروابط والعلاقات فهى تؤدى ـ فى الأسرة ـ إلى الصلاح والفلاح والتعاطف والمودة والوئام والتراحم والتآلف .

وصلة الأرحام تعتبر من أهم علامات الإيمان البارزة لأنها ركن من أركان العلاقات الإنسانية وجاء الأمر باتقاء قطيعة الرحم مقرونا بالتقوى ، فقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَ ﴾(1)

الرحم المأمور بصلتها ثلاث :

الرحم التى أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ باتقاء قطيعتها ثلاث ، هى : رحم عامة ورحم خاصة وثالثة ليست بعامة ولا خاصة .

فالرحم العامة هى الروابط الدينية الإسلامية التى تربط جميع أفراد مجتمع الإسلام بعضهم ببعض فى جميع أقطار الأرض ، وهذه الرابطة لمسناها عمليا فى رحلتنا لأمريكا الشمالية فقد وجدنا شبابا ـ من جنسيات مختلفة عربية وغيرها شرقية وغربية ـ مترابطا بهذا الرباط الدينى العظيم اتحد الجميع فى هذا الدين الذى هو نعمة الله التى أنعم بها على المسلمين فقال :

---

* الكاتب : مفتش عام الوعظ بالأزهر

(1) سورة النساء من الآية (1)

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾(٢)

والرحم الخاصة هى رابطة الدم والقرابة التى تربط أفراد الاسرة بعضهم ببعض وتدعو إلى التحامهم وتضامنهم كالأبوة والبنوة والعمومة والخئولة فالآباء والأبناء والأخوة والأخوات تربط بينهم رابطة الرحم .

والرحم الثالثة يمثلها أقارب المسلم غير المعتنقين للإسلام من أصحاب الديانات الأخرى وهى رحم واجبة البر مادام طرفها غير المسلم لايمثل عدوانا على المسلمين ولا يبيته قال الله تعالى

﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾(٣)

وتكون الصلة بهم بالتزاور والتهادى وقضاء حوائجهم والتسامح معهم فى غير الطعن فى الإسلام والوقوف بجانبهم فى الشدائد والملمات . وقد كانت السيدة صفية أم المؤمنين ـ رضى الله تعالى عنها ـ تبر رحمها .

صلة الأرحام والإسلام :

لاخلاف فى أن صلة الأرحام واجبة فى الشريعة ؛ لأنها من أهم أسباب الصلة بين العبد وربه ، وهى من طيب الخصال وكريم الخلال التى تجعل المسلم قريبا من رحمة الله وحفظه والإحسان إلى ذوى القربى والبر بذوى الأرحام وصلة الأرحام من الواجبات الأولية التى أمر الشرع الحنيف بالمحافظة عليها فيجب أن نحافظ عليها ولانفرط فيها .

صلة الأرحام من سمات الإيمان :

إن من سمات الإيمان باليوم الآخر ومافيه من ثواب لمن أطاع ربه وآثر مايبقى على مايفنى لذا يقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى كلماته النورانية : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت »(٤) وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأله فى أثره فليصل رحمه » .

الصدقة غير المقبولة :

وثمة أخبار تبين أن الصدقة لاتقبل إذا أنفقها المسلم فى غير قرابته المحتاجين ، كذلك أوضح رسول الله أن من أسباب القرب من دار السلام والبعد عن فيح جهنم صلة الرحم ؛ فعن أبى أيوب ـ رضى الله عنه ـ أن أعرابيا عرض لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها ، ثم قال : يارسول الله ، أخبرنى بما يقربنى من الجنة ويباعدنى عن النار قال : فكف النبى ـ صلة الله عليه وسلم ـ ثم نظر فى أصحابه ، ثم قال : لقد وقف ـ أى فى السؤال ـ قال : كيف قلت ؟ فأعادها فقال النبى ـ صلى الله عليه وسلم : تعبد الله ولاتشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة ، وتصل الرحم ، فلما

(٢) سورة الحجرات من الآية (١٠)
(٣) سورة الممتحنة الآية (٨)
(٤) رواه مسلم فى صحيحه .

أدبر قال رسول الله : « أن تمسك بما أمرته به دخل الجنة »[٥] .

صلة الأرحام ووصايا الرسول :

لقد حظى أبو ذر الغفارى – رضى الله عنه – بالكثير من وصايا رسول الله الجامعة لكل معانى الخير .

يقول – رضى الله عنه – أوصانى خليلى – صلى الله عليه وسلم – بخصال من الخير : أوصانى ألا أنظر إلى من هو فوق ، وأن أنظر إلى من هو دونى ، وأوصانى بحب المساكين والدنو منهم ، وأوصانى أن أصل رحمى وإن أدبرت ، وأوصانى ألا أخاف فى الله لومة لائم ، وأوصانى أن أقول الحق وإن كان مرا ، وأوصانى أن أكثر من « لاحول ولاقوة إلا بالله » فانها كنز من كنوز الجنة[٦] .

وحسب صلة الرحم منزلة عند قيوم السموات والأرض أن الله العلى الحكيم يصل عبده بالعناية والرعاية والرحمة لأنه هدى إلى الطيب من العمل فوصل رحمه ، وأما الذى تنكب الطريق وبعد عن رحاب الاستقامة وتأبى نفسه عن صلة رحمه وقطع مابينه وبينهم فجزاؤه من جنس عمله ، فلا ينال رحمات رب العالمين ؛ فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم ، فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . قال : أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت : بلى قال فذلك لك، ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – اقرأوا إن شئتم : فهل عسيتم إن توليتم ان تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم[٧] .

الإسلام والقاطعون لمن يصلهم :

أمام هذا الواقع المحسوس نرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو الصورة الحية المشرفة يوجهنا أن تكون أيدينا دائما مبسوطة ممتدة بالعطاء وان نتخلق بخلق الإسلام فنقابل سيئة القريب بالحسنة ، وقطيعته بالوصال ، وجهله بالحلم ، ومرض قلبه بسلامة أفئدتنا ، وبذلك نقتلع من نفوسهم الحقد والحسد والضغينة . وهدا هو الإمام أبو هريرة – رضى الله عنه – يقول لنا ماشاهده من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : إن رجلا قال : يارسول الله ، إن لى قرابة أصلهم ويقطعونى وأحسن إليهم ويسيئون إلى ، أحلم عليهم ويجهلون على فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ ولايزال معك من الله ظهير عليهم مادامت على ذلك »[٨]

إن ديننا الحنيف يحثنا على صلة القريب ولو لم يتفيأ ظلال حلاوة الإيمان ولم يشرح الله صدره للإسلام فعن أسماء بنت أبى بكر – رضى الله عنها – قال : قدمت علىّ أمى – وهى مشركة – فى عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم : فاستفتيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلت : قدمت على أمى وهى راغبة أفأصِلُ أمى يارسول الله ؟ قال : نعم صلى أمك .

(٥) الاحاديث القدسية .

(٦) رواه أحمد والطبرانى .

(٧) رواه البخارى ومسلم .

(٨) رواه مسلم فى صحيحه .

من تراث محمد أبو الفضل إبراهيم

أئمة التصنيف فى الإسلام

أبو العباس المبرّد وكتابه الكامل

١ - هو ـ على ما ذكره الزُّبيدىّ فى الطبقات ـ محمد بن يزيد عبد الأكبر بن عمير بن حسان ابن سليم بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك بن الحارث بن عامر بن عبدالله بن بلال بن عوف بن أسلم ـ وهو ثمالة ـ ابن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبدالله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوش .

وكان مولده بالبصرة سنة ٢١٠ هـ ، على المشهور وبها نشأ وتأدّب ، وثقف المعارف والآداب على شيوخها وأعيانها وكان ـ كما وصفه عبدالله بن حسين بن سعد الكاتب ـ من العلم وغزارة الأدب وكثرة الحفظ وحسن الإشارة وفصاحة اللسان وبراعة البيان وملوكية المجالسة وكرم العشرة وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخط وصحة القريحة وقرب الإفهام ووضوح الشرح وعذوبة المنطق على ماليس عليه أحد ممّن تقدّمه أو تأخّر عنه .

٢ - ثم انتقل من البصرة إلى (سُرّ من رأى) ، وكان لانتقاله قصة ذكرها الرواة قالوا : قرأ الخليفة المتوكل على الله يوما ، وبحضرته الفتح بن خاقان : (ومايُشعِرُكُمْ أنّها إذا جاءتْ) ، فقال له الفتح بن خاقان : ياسيدى (إنّهاَ إذا جَاءتْ) بالكسر ، ووقعت المشاجرة ، فتبايعا على عشرة آلاف دينار ، وتحاكما إلى (يزيد بن محمد المهلبيّ) ـ وكان صديقا للمبرّد ـ فلما وقف (يزيد) على ذلك خاف أن يسقط أحدهما ، فقال : والله ماأعرف الفرق بينهما ، وما رأيتُ أعجب من أن يكون باب أمير المؤمنين يخْلُو من عالم متقدّم . فقال المتوكل : فليس هاهنا من يُسأل عن هذا ! فقال : ماأعرف أحداً يتقدم فتىً بالبصرة يعرف بالمبرّد ، فقال : ينبغى أن يُشخص مكرّما .

قال الراوى : فحدّثنى محمد بن يزيد ، قال : وردتُ سرّ من رأى ، فأُدخلت على الفتح بن خاقان فقال لى : يابصريّ ، كيف تقرأ هذا الحرفُ : (وما يُشْعِرُكُمْ إنّهَا إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُون) بالكسر ، أو (أنّها إذا جاءتْ) بالفتح ؟ فقلت : (إنّها) بالكسر ، هذا هو المختار ، وذلك أن أول الآية :

﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ ﴾ .

(سـورة الأنعام)

ثم قال ـ تبارك وتعالى ـ : يامحمد : ﴿ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ .

باستئناف جواب الكلام المتقدم ، قال : صدقت ، وركب إلى دار أمير المؤمنين . فعرّفه بقدومى ، وطالبه بدفع ماتخاطرا عليه وتبايعا فيه ، فأمر بإحضارى فحضرت ، فلماً وقعت عينُ المتوكل عليّ قال : يابصرى ، كيف تقرأ هذه الآية : ﴿ ومايُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ ﴾ بالكسر ، أو (أنّها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين ، أكثر الناس يقرؤها بالفتح ، فضحك وضرب برجله اليسرى ، وقال : احْضَر يافتح المال ، فقال : إنه والله ياسيدّى قال لى خلاف ماقال لك ، فقال : دعنى من هذا ، أحضر المال . وأُخرجت فلم أصل الى الموضع الذى كنت أُنزلت فيه حتى أتتنى رسل الفتح ، فأتيتُه ، فقال لى : يابصرى ، أول ماابتدأتنا به الكذب ! فقلت : ماكذبت ، فقال : كيف وقد قلت لأمير المؤمنين : إن الصواب (ومايُشْعِركُمْ أنّها إذا جاءت) بالفتح ؟ فقلت : أيّها الوزير ، لم أقل هكذا ، وإنّما قلت : أكثر الناس يقرؤها بالفتح ، وأكثرهم على الخطأ ، وإنّما تخلّصت من اللائمة ، وهو أمير المؤمنين ، فقـال لى :

أحسنت .

قال أبوالعباس : فما رأيت أكرم كرما ، ولا أرطب بالخير لسانا من الفتح .

٣ – وظلّ أبو العباس بـ (سرّ مَنْ رأى) ، حظيًّا عند المتوكل ، كثير الغشيان لمجالسه ، مغمورا بعطاياه ، وله فى ذلك قصص وأشعار ، إلى أن قُتِل المتوكل ، فضاق بـ (المبرد) عيشه ، واضطربت أسباب حياته ، قال (القفطى) : ولما قتل المتوكل بـ (سرّ مَنْ رأى) دخل (المبرد) بغداد ، فقدم بلداً لاعهد له بأهله ، فاختلّ وأدركته الحاجة ، فتوخى شهود صلاة الجمعة ، فلما قُضيت الصلاة أقبل على بعض من حضره ، وسأله أن يفاتحه السؤال ليتسبّب له القول ، فلم يكن عند من حضره علم ، فلمّا رأى ذلك رفع صوته ، وطفق يفسرّ ويُوهم بذلك أنه قد سُئِل فصارت حوله حلقة عظيمة وأبو العباس يصل فى ذلك كلامه ، فتشوّف (أحمد بن يحيى ثعلب) إلى الحلْقة ، وكان كثيرا مايرد الى الجامع قوم خراسانيون من ذوى النظر ، فيتكلمّون ويجتمع الناس حولهم ، فإذا أبصرهم (ثعلب) أرسل من تلاميذه من يفاتشهم ، فإذا انقطعوا عن الجواب انفضّ الناس عنهم . فلماّ نظر (ثعلب) إلى من حول أبى العباس المبرّد أمر إبراهيم بن السرىّ الزّجاج وابن الخياط بالنهوض وقال لهما : فضّا حلقة هذا الرجل ، فنهض معهما مَنْ حضر من أصحابه ، فلمّا صاروا بين يديه قال له إبراهيم بن السرىّ : أتأذن : أعزك الله فى المفاتشة ؟ فقال له المبرّد : سلْ عماّ أحببت ، فسأله عن مسألة فأجابه عنها بجواب اقنعه ، فنظر الزّجاج فى وجوه أصحابه متعجبا من تجويد أبى العباس للجواب ، فلما انقضى ذلك قال أبو العباس : أقنعت بالجواب ؟

فقال : نعم ، قال : فإن قال قائل فى جوابنا هذا كذا ، ماأنت راجع إليه وجعل أبو العباس يوهن جواب المسألة ويفسده ويعتلّ فيه . فبقى إبراهيم بن السرىّ سادرا لا يجُيد جوابا ، ثم قال : إن رأى الشيخ ـ أعزه الله ـ أن يقول فى ذلك ، فقال المبرد : فإن القول يكون على نحو كذا ، فصحّح الجواب الأول وأوهن الاعتراض ، فبقى الزّجاج مبهوتا ، ثم قال فى نفسه : قد يجوز أنه كان حافظا لهذه المسألة مستعدا للقول فيها فسأله مسألة ثانية ، ففعل (المبرد) فيها مافعله فى الأولى حتى سأله أربع عشرة مسألة ، وهو يجيب عن كلّ واحدة منها بما فعله فى المسألة الاولى .

فلما رأى ذلك الزجاج قال لأصحابه : عودوا إلى الشيخ ، فلست مفارقا هذا الرّجل ، ولا بدّ لى من ملازمته والأخذ عنه ، فعاتبه أصحابه وقالوا : تأخذ عن مجهول لا يُعرف إسمه وتدع من شهر اسمه وعلمه ..وانتشر فى الآفاق ذكره ! فقال : لست أقول بالذكر والخمول ، ولكنى أقول بالعلم والعمل . قال : فلزم الزجاج أباالعباس ، فسأله عن حاله ، فأخبره برغبته فى النظّر ، وأنه قد حبس نفسه على ذلك ، إلا ما يشغله من صناعة الزجاج فى كل خمسة أيام من الشهر ، فيتقوّت بذلك الشهر كلّه . ثم أجرى عليه فى الشهر ثلاثين درهما ، وأمره (أبو العباس المبرد) بإخراج كتب الكوفيين ، ولم يزل ملازما له ، وآخذا عنه حتى برع من بين أصحابه . وكان أبو العباس لايقرىء أحدا «كتاب سيبويه» حتى يقرأه على إبراهيم ،

ويصحح به كتابه فكان ذلك أول رياسة أبى إسحاق ألزجاج .

٤ – وفى بغداد تألق نجمه وعظم شأوه وذاع صيته وإليه انتهى علم العربية بعد (الجرمى) و (المازنى) قال القفطى : قرأ المبرد كتاب (سيبويه) على (الجرمى) ثم توفى (الجرمى) فابتدأ قراءته على المازنى وقيل : سمع (أبو العباس) الكتاب على (الجرمى) وعمله على (المازنى) . وقيل رأينا (محمد بن يزيد) وهو حدث السنّ متصدرا فى حلقة أبى عثمان المازنى يقرأ عليه كتاب (سيبوبه) و (أبو عثمان) فى تلك الحلقة كأحد مَنْ فيها .

وقال (اليوسفى) الكاتب : كنت يوما عند (أبى حاتم السجستانى) إذْ أتاه شاب من أهل نيسابور فقال : ياأبا حاتم إنى قدمت بلدكم وهو بلد العلم والعلماء وأنت شيخ هذه المدينة وقد أحببت أن أقرأ عليك كتاب (سيبويه) فقال : الدين النصيحة إن أردت أن تنتفع بما تقرؤه فاقرأ على هذا الغلام (محمد بن يزيد) فتعجبت من ذلك .

٥ – وكان أكبر نظراء (المبرد) وأنداده أحمد بن يحيى المعروف (بثعلب) وكانا لعلمهما وفضلهما يتعذر الحكم بينهما ، سئل (أبوبكر بن السراج) أى الرجلين أعلم ؟ ثعلب أم المبرد ؟ فقال : ماأقول فى رجلين العالم بينهما .

وقال : محمد بن عبيد الله بن عبدالله بن طاهر : قال لى أبى : حضرتُ مجلس أخى محمد بن عبدالله بن طاهر وحضره أبوالعباس المبرد وثعلب فقال لى أخى : قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا قال : فتناظرا فى شيء من علم النحو مما أعرفه فكنت أشركه فيه إلى أن دققا فلم أفهم ثم عدت إليه فلم أعرف ما المجلس فسألنى فقلت : إنهما نكلما فيما نعرف فشركتهما ثم دققا فلم أعرف ما قالا ولا والله ياسيدى مايعرف من أعلمهما إلا من هو أعلم منهما !

وقال أبوبكر بن الأزهر :

أيا طالب العلـم لاتجهلـن
وعـذ بالمبرد أو تعـلب

تجد عند هذين علم الورى
فلا تك كالجمل الأجـرب

علـوم الخلائـق مقرونـة
بهذين فى الشرق والمغـرب

ولكن على الأيام نشب بينهما مايكون بين المتعاصرين من المنافسة والمنافرة قال بعض الأدباء :

كفى حزنا أنناَ جميعا ببلده
ويجمعنا فى أرضها شرُّ مشهد

نروح ونغدو لاتزاور بيننا
وليس بمضروب لنا يوم موعيد

فأبداننا فى بلدة والتقاؤنا
عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وكان (المبرد) يحب الاجتماع بثعلب وثعلب يكره ذلك حكى أبوالقاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلى – وكان صديقهما – قال : قلت

لأبى عبدالله الدينورى ختن ثعلب: لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟

فقال : لأن المبرّد حسن العبارة حلو الإشارة ، فصيح اللسان ، ظاهر البيان ، وثعلب مذهبُه مذهب المعلمين فإذا إجتمعنا فى محفلَ حُكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن .

وجاء رجل إلى ثعلب فقال له : ياأبا العباس قد هجاك المبرد :

فقال : بماذا ؟ فأنشده :

أقسم بالمبـــتسم العــــذبِ
ومشتكى الصبِّ إلى الصبِّ
لو أخذ النحو عن الـــرّبِّ
مازاده إلا عمَـــى القــــلَبِ

فقال ثعلب متمثلا :

أسمعنى عبدُ بنـــى مِسْمـــع
فصنتُ عنه النفس والعِرضَا
ولم أُجِبـــه لاحتقـــارى له
ومَـنْ يعضّ الكلب إنْ عَضَا

وكان لكل منهما أنصار ، ألفّ كل من ابن فارس وأبوبكر بن الأنبارى فى الإنتصار لثعلب ، وانتصر ابن درستويه والزجاج للمبرد ، وقال أحمد ابن عبدالسلام :

وكان الشعر قد اودى فأحيا
أبـو العبـــاس داثـــر كل شعـــر
وقالوا ثعــلب رجـــل عليم
وابـنَ النجـم من شمس وبـدر
وقالوا ثعلب يُفْتِى ويُمْلـِـى
وأيـن الثّعلبـــان من الهِزَبْــــرِ
وهـذا فى مقـالك مستحيــــل
نشبّـــه جدولا وشلًا ببحـــر

وانتهت المنافسة بما روى أن ثعلبا نال من المبرد بكلام قبيح ، فبلغ ذلك المبرد فقال :

رُبَّ مَنْ يعنيـــــــه حالى
وهـــــو لايجرى ببـــــالى
قلبُـــــه ملآن مِنـــــِّـى
وفـــؤادى منــــــه خالى

فلما بلغ ثعلبا لم تُسمع منه بعد ذلك فى حقه كلمة قبيحة ، قال الزبيدىّ : وكانا بعد إذا تلاقيا على ظهر الطريق ، تساءلا وتواقفا ــ رحمهما الله ــ .

وفى سنة ٢٨٥ هـ مات المبرد ، بعد أن ملأ الدنيا علما وأدبا ، وممن رثاه ابن العلاف قال :

ذهب المبرد وانقضت أيامه
وليذهبن إثـــر المبرد ثعــلبُ
بيت من الآداب أضحى نصفه
خربا وباق النصف منه سيخرب
فتزودوا من ثعلب فبكأس ما
شرب المبرد عن قريب يشربُ
أوصيكُـمُ أن تكتبـوا أنفاسه
إن كانت الأنفـاس مما يكتب

٦ ــ وكان للمبرد شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به مذكور فى الكتب التى ترجمت له ، وله مصنفات كثيرة ، وهى على ما ذكره (القفطى) فى إنباه الرواة كتاب الكامل ، وكتاب الروضة ، وكتاب المقتضب ، وكتاب الاشتقاق ، وكتاب الانواء والازمنة ، وكتاب الخط والهجاء ، وكتاب المدخل الى سيبويه ، وكتاب المقصور والممدود ، وكتاب المذكر والمؤنث وكتاب معانى القرآن ، والكتاب التام ، وكتاب احتجاج الْقَرَأة ، والرسالة

الكاملة ، وكتاب الرد على سيبويه ، وقواعد الشعر ، وإعراب القرآن ، وكتاب الحث على الأدب والصدق ، وكتاب عدنان وقحطان ، والزيادة المنتزعة من سيبويه ، والمدخل فى النحو وشرح شواهد كتاب سيبويه ، وضرورة الشعر ، وأدب الجليس وكتاب الحروف ومعانى القرآن الى سورة طه ، وصفات الله جل اسمه ، وكتاب المدائح والمقابح ، والرياض المونقة ، واسماء الدواهى عند العرب ، وكتاب الإعراب ، والجامع ، وكتاب التعازى ، وكتاب الوشى ، وفقر كتاب سيبويه ، والناطق ، ومعنى كتاب الأوسط للأخفش ، وكتاب البلاغة ، والعروض ، وشرح كلام العرب وتلخيص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب معانيها ، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه فى القرآن وكتاب الفاضل ، وطبقات النحويين البصريين وأخبارهم ، وكتاب العبارة عن أسماء الله ـ تعالى ـ ، وكتاب الحروف وكتاب التصريف .

وطبع القليل من هذه الكتب ، والكثير لم يطبع .

٧ - ومن أشهر كتبه كتاب الكامل ، اشتمل كما يقول مؤلفه : « على ضروب من الأدب ما بين كلام منثور وشعر مرصوف ومثل سائر وموعظة بالغة واختيار من خطبة شريفة ورسالة بليغة » كما ان به قدرا من مختار الشعر ، وخاصة المراثى وكثيرا من أخبار العرب وحروبهم وخاصة أخبار الخوارج ، واستطرد إلى ذكر كثير من أشعارهم ثم فسر ما فيه من كلام غريب أو معنى مستغلق وشرح ما يعرض فيه من الإعراب شرحا شافيا ، وغرضه فيما يقول : أن يكون هذا الكتاب بنفسه مكتفيا وعن أن يرجع إلى احد فى تفسيره مستغنيا .

وهو بهذا الاختيار قد اشتمل على عصارة ماجادت به أخيلة الشعراء ، وهدرت به شقاشق الخطباء ، ورشحت به أقلام الكتاب والمترسلين فكان غنية المتأدب ومراد القارىء ومتعة النفس والخاطر .

وقد ذاعت شهرته ، وتعددت فى مشارق الارض ومغاربها نسخه ، وشاعت طبعاته ، وتناوله القدماء بالشرح والنقد والتعليق .

من هؤلاء :

١ - أبو القاسم على بن حمزة البصرى ، نبه على الأغلاط الواردة فيه ، مع بقية تنبيهات على كتاب النبات لأبى حنيفة الدينورى والنوادر لأبى زياد الكلابى والمتصور والممدود لابن ولاد ، ومن مجموعة هذه التنبيهات نسخة مخطوطة نادرة فى دار الكتب .

٢ - أبو الوليد الوتسكى الأندلسى وضع ٠ حا عليه سماه نكت الكامل .

٣ - ابن السيد البطليوسى ، ذكر تعليقات على أبياته ، كما فعل فى أبيات أدب الكاتب لابن قتيبة وسماه الاقتضاب .

٤ - التنبيهات لأبى عبيد البكرى ، وضع على كتاب الكامل تنبيهات على نحو تنبيهاته على نوادر القالى . ومن هذه الكتب الثلاث نسخة مخطوطة بمكتبة الحمزاوية بالرباط .

٥ - وفى العصر الحديث عمل العالم اللغوى الكبير سيد بن على المرصفى كتابا شرحا وتعليقا عليه أسماه « رغبة الآمل من كتاب الكامل » أكمل القصائد وشرح الشواهد ، وملأه بكثير من الفوائد ، يقع فى ثمانية أجزاء ، وطبع فى سنة ١٩٢٧ م .

أهمية العمل في الإسلام

بقلم الأستاذ/ السيد أحمد المخزنجي

اهتم الإسلام بالعمل وأعلى من قيمته فى المجتمع ، لما له من دور أولى فى بناء الأمة الإسلامية ، وتحقيق نهضتها بين الأمم والمجتمعات المعاصرة . والعمل فى الإسلام ـ بقصد التكسب ـ فرض عين على المسلم ، لأن إقامة الفرائض تقتضى حتما قدرة بدنية ونفسية ، وهذه لاتتأتى إلا بطعام ونفقة ، ومن المعلوم أن مايتوصل به إلى إقامة الفريضة ، هو ـ بدوره ـ فرض يثاب فاعله ويأثم تاركه ، كما يقول الفقهاء :

كذلك هو : أى العمل ـ فى الإسلام ـ واجب لتوفير حاجة المجتمع مما أحله الله ـ عز وجل ـ فقد قال رسول الله ﷺ : إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة ، فإن استطاع أن لايقوم حتى يغرسها فليفعل(*) .

هذا ، ويعرف أحد أساتذة الاقتصاد « العمل » فى الفكر المعاصر بأنه : (المجهود الإرادى الواعى الذى يستهدفِ منه الإنسان إنتاج السلع والخدمات لإشباع حاجاته ، ومن ثم فإن مجهود الحيوانات أو مجهود الإنسان لغير هذا الهدف لايعتبر عملا)[1] . بالمعنى المقصود .

* رواه أحمد عن أنس بن مالك ـ مسند أحمد ١٩١/٣ ، والفسيلة : الجزء من النبات يفصل عنه ثم يغرس .

١ ـ الإسلام والاقتصاد .. للدكتور عبد الهادى على النجار ، (عالم المعرفة) ، الكويت العدد ٦٣ ـ ١٩٨٣م ، ٢٦ .

فالعمل إذن هو العنصر الفعال للكسب الذى أباحه الإسلام ، وهو الدعامة الأساسية للإنتاج ، وعلى قدر عمل المسلم واتساع دائرة نشاطه يكون نفعه وجزاؤه .

قال ـ تعالى :

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
(سورة النحل/٩٧)

ومن هنا أمر الإسلام بتحصيل الأموال من طرق فيها الخير للناس ، وفيها النشاط والعمل ، وعمارة الكون والتقلب فى الأرض ، ففيها الاختلاط والتعارف والتعاون والمبادلة(٢) .

وجه القرآن الكريم المسلمين إلى تحصيل الأموال بطرق الكسب الحلال ، وسمى طلبها ـ بذلك ـ ابتغاء من فضل الله ، وقد بلغت عنايته بالأموال أن طلب السعى فى تحصيلها بمجرد الفراغ من أداء العبادة المفروضة .. قال ـ تعالى

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾
(الجمعة/١٠) .

وقال ـ سبحانه :

﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴾
(النبأ/١٠ ، ١١) .

فإن النهار مسرح المعاش بجانب شعائره الدينية .

على أن الإسلام لايعتبر العبادة قاصرة على الشعائر ، فالحياة كلها خاضعة لشريعة الله ، ومن ثم تعد كل خدمة اجتماعية ، وكل عمل من أعمال الخير فيه عبادة . قال ﷺ : (الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار) رواه الشيخان والترمذى والنسائى .

وبعد أن بين القرآن الكريم أسلوب تحصيل الأموال وكيفيته التى يجب على المسلم اتباعها ، حدد لهذه الأموال طرقاً ومجالات للانتفاع بها والمحافظة عليها وإنفاقها كذلك ، فنهاه عن الإسراف فيها ، أو البخل بها ، وجعل الاعتدال فى صرفها من صفات المقربين عباد الرحمن ،

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾
(الفرقان/٦٧) .

لقد سبق الإسلام ـ إذن ـ إلى تقرير الحاجات الأساسية ذات الطبيعة الاقتصادية فأوردها على سبيل الحصر ، وجمع فى تقريره لها بين الدقة الكاملة وبين تكريمه للإنسان على سائر المخلوقات . ويستفاد ذلك من قوله ـ تعالى :

٢ـ منهج القرآن فى بناء المجتمع ، للشيخ محمود شلتوت ، كتاب الهلال ، القاهرة العدد ٣٧٠ لسنة ١٩٨١م ، ص ٧٦ .

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ ﴾

سورة طه

ومن الحاجات الأساسية التى نستخلصها من هذه الآيات ما يلى :

أن العمل فى سبيل تدبير المعاش هو أول الأسباب التى يتخذها الفرد لكسب الرزق ، أو ما يعرف « بالدخل » ، ومن الدخل ما ينفقه الفرد فى إشباع حاجاته ومنه ما يدخره .. ومن المدخرات تبنى رؤوس الأموال الخاصة ورؤوس أموال الشعوب ، ومن ثم يكون العمل هو السلوك الفطرى لحصول الناس على الأرزاق أو الدخول أو الثروات[٣] .

وفى القرآن دلالة واضحة مشيرة إلى اقتصاد شىء من الدخل يقول ـ تعالى : ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة/٣) ، فهم لا ينفقون كل ما يرزقون .

ومن ثم فللعمل دور إيجابى وخصب ـ أيضا ـ فى الشريعة الإسلامية فى استثمار المال وحيازته لتحقيق مجتمع الكفاية والعدل ، فبالعمل يكون الإنتاج وزيادته ، حيث تتحقق بفضله الكفاية والإنتاجية ، وبالتالى يزيد الفائض الادخارى .

دعا الإسلام إذن إلى العمل والسعى فى الأرض ، وأنحى على البطالة ونفَّر منها ، واعتبر الكسب عن طريق الصدقة ـ مع القدرة على العمل والتمكن منه ـ سحتا .

على أن الإسلام أولى العامل المادى للمشكلة الاقتصادية مركز الصدارة ويؤيد ذلك آيات كثيرة وردت فى القرآن الكريم ، منها قوله ـ تعالى :

﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا .. ﴾ (سورة الكهف/٤٦) .

وورد فى الأحاديث النبوية الشريفة قول النبى ﷺ : (أطيب الكسب عمل الرجل بيده) .

رواه الإمام أحمد فى مسنده والحاكم فى المستدرك .

و (من فقه الرجل أن يصلح معيشته) رواه البخارى .

وخير الناس من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ولم يكن كلا (أى عبئا) على الناس[٤] .

ومن فقهاء الإسلام من يرى أن الصنعة (الاحتراف) أطيب المكاسب ، ويدلل على ذلك بقول النبى ﷺ : (ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبى الله داود ـ عليه السلام ـ كان يأكل من عمل يده) رواه البخارى .

كذلك يجب أن يوفر للفرد أن يؤدى عملا ذا عائد فيه الكفاية لمن يعولهم ، إلى جانب إنتاج جزء من احتياجات المجتمع .

ويعلق ابن حجر العسقلانى شارحا : « وفى

---

٣ ـ موسوعة الاقتصاد الإسلامى .. للدكتور محمد عبد المنعم الجمال ص ٢٧ ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة ، ط/ ١ ، ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠م ، ص ٢٧ .

٤ ـ راجع موسوعة الاقتصاد الإسلامى ، د. الجمال ، المرجع السابق ص ٣٧ .

الحديث فضل العمل باليد ، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره ، والحكمة فى تخصيص داود ـ عليه السلام ـ بالذكر أن اقتصاره فى أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة (أى شدة العوز) لأنه كان خليفة فى الأرض ، كما قال الله ـ تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (سورة ص ٢٦) .

وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل ، ولهذا أورد النبى ﷺ قصته فى مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد[٥] ..الخ .

يؤكد ذلك قوله الشريف : (إن الله يحب العبد المؤمن المحترف[٦]) . وفى الحديث ـ أيضا ـ عن النبى الكريم ﷺ أنه قال : (طلب الحلال فريضة بعد الفريضة)[٧] . وفى رواية أخرى : (طلب الحلال جهاد)[٨] .

إن كل إنسان فى مجتمع الإسلام مطالب بأن يعمل ، مأمور أن يمشى فى مناكب الأرض ويأكل من رزق الله ، كما قال ـ تعالى :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ﴾ (الملك/١٥

إن العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر ، وهو السبب الأول فى جلب الثروة ، وهو العنصر الأول فى عمارة الأرض التى استخلف الله فيها الإنسان ، وأمره أن يعمرها[٩] ، كما قال ـ تعالى ـ على لسان صالح لقومه :

﴿ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (هود/٦١) .

فالعمل أحد عناصر الإنتاج والكسب الأساسية فى النشاط الاقتصادى وهو المشاركة إيجابية للإنسان بجهده فى العملية الإنتاجية ، وأساس العمل فى الإسلام هو مبدأ الاستخلاف ـ كما بينا ـ فالإنسان مسئول عن إعمار الكون ، ومسئول عن العمل فى مال الله من طيبات وثروات واستثمارها وتنميتها بهدف إشباع الحاجات البشرية ، وبالتالى فإن العمل « تكليف إلهى »[١٠] . قال ـ تعالى .

﴿ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ١٢٩ ﴾ سورة الأعراف

وتشير آيات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وآثار السلف إلى قيمة العمل والإنتاج ووجوبهما على القادرين ، وجعل الله ـ تعالى ـ العمل سبباً للجزاء فى الدنيا والآخرة .

فالأصل أن يشبع الإنسان حاجته المعيشية من ثمار عمله ونتاج سعيه إذا كان قادرا على ذلك ،

٥ ـ عن ابن عمر رضى الله عنهما ، وانظر : المناوى ، فيض القدير ، شرح الجامع الصغير للسيوطى ، ج ٣ ، ص ٢٩٠ .

٦ ـ رواه عبد الله بن مسعود وأورده البيهقى فى شعب الإيمان : « مشكاة المصابيح » ، وانظر المناوى : المرجع السابق ، جـ/٤ ، ص ٢٧٠ .

٧ ـ رواه ابن عباس وأورده القضاعى : انظر المناوى نفس المرجع .

٨ ـ وانظر للمزيد : « دراسة إسلامية فى العمل والعمال ، تأليف : لبيب السعيد سلسلة « قضايا إسلامية » ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥م ، ص ٢٠ ـ ٢٦ والمراجع المشار إليها فيها .

٩ ـ المناوى : المرجع السابق جـ ٤ ، ص ٢٧٠ .

١٠ ـ دراسة إسلامية فى العمل والعمال تأليف : لبيب السعيد ، لسلسلة «قضايا إسلامية » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٥ م ، ٢٠ ـ ٢٦ .

وإلا فإن حمايته من العوز تكون مسئولية الدولة ، فالعمل فرض عين على كل مسلم قادر على العمل والإنتاج ، وذلك لكفاية احتياجاته الذاتية سواء بإنتاجها مباشرة ، أو بالعمل والكسب لشراء ما يحتاج إليه وهو غير قادر على إنتاجه(١١) .

فالعمل سيدر على صاحبه غلة أو ربحا أو أجرا ، يمكنه من إشباع حاجاته الأساسية وتحقيق كفايته وكفاية أسرته مادام النظام الإسلامى هو الذى يحكم الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ويوجهها وفقاً لأحكامه ووصاياه(١٢) .

إن الفرد الذى ينتج ما يزيد عن حاجته يساهم فى ازدهار مجتمعه ، فالعمل فى أى باب مشروع تعود ثمرته النافعة على المجتمع ، وذلك هو فرض الكفاية الذى لا يسقط إلا بعدم حاجة المجتمع إليه .

ولهذا كانت بعض الأعمال فرض كفاية فى نظر الإسلام ، كالزراعة والحدادة والنسيج والتجارة والطب والهندسة ...الخ ، أى أن المجتمع كله كوحدة متضامنة يتحمل مسئولية أداء هذه الأعمال وفقا لاحتياجاته الأساسية وأن كان يتفاوت مقدار الوجوب فى هذه الأعمال حسب درجة أهميتها لتحقيق خير المجتمع ، الأمر الذى يتعين على المجتمع الإسلامى أن يعمل على إظهار ذوى الكفاءة فيه ، وأن يكفل لهم سبل الراحة والاستقرار لتمكينهم من أداء هذه الأعمال على خير وجه .

وهكذا نجد أن كل الأرزاق والأقوات والمعايش التى يسرها الله للإنسان فى الأرض ، لا تنال إلا ببذل الجهد ، وقد رتب الحق ـ سبحانه ـ الأكل من رزقه على المشى أو الضرب فى مناكب الأرض ، فمن مشى أكل من رزق الله ، ومن قعد وتكاسل وكان قادرا على الكسب والعمل كان جديرا بألا يأكل(١٣) .

وقد روى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رأى بعد الصلاة جماعة فى المسجد لا يهمون إلى عمل خارجه ، فعلاهم بدرته (أى ضربهم بعصاه) وقال لهم كلمته المشهورة : « لا يقْعدن أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم أرزقنى ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة ، وأن الله ـ تعالى ـ يقول :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾(١٤) (الجمعة / ١٠) .

وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الحث على ممارسة العمل المشروع : « من بات كالا من طلب الحلال ، بات مغفورا له »(١٥) .

فمحصلة ذلك كله أن الله ـ تعالى ـ هو الكفيل بالرزق ، وليس على الإنسان إلا أن يسعى إلى ذلك ، مطيعا ربه ومجتنبا نواهيه ، وتأسيسا على ذلك نجد أن العمل منوط بشدة بالإنسان فى الإسلام ، وخصوصا أن فائدته لا تعود على العامل وحده ، بل عليه وعلى المجتمع كله .

١١ ـ تنمية المال فى الاقتصاد الإسلامى ، للدكتورة أميرة عبداللطيف مشهور ، كتاب الأهرام الاقتصادى ، القاهرة ، ١٩٨٨م ، ص ٢٣ .

١٢ ـ الزكاة ودورها فى التنمية ، د. أحمد البقرى ص ١٧ .

١٣ ـ السياسة الشرعية ، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، دار الشعب ، القاهرة ، ١٩٧١م ، ص ١٩ ـ ٢١ .

١٤ ـ الإسلام والاقتصاد ، د. عبدالهادى النجار ، مرجع سابق ذكره ، ص ٢٨ ـ ٢٩ .

١٥ ـ رواه ابن عساكر فى كنوز الحقائق ، وفى الجامع الصغير رواية ابن عساكر عن أنس .

هذا وقد يختلط العمل برأس المال كعنصر من عناصر الإنتاج ، وقد يتم القيام بالعمل دون اعتماد على رأس المال ، وفى هذا يكون أبر طرق الكسب فى الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : (إن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الصوم ولا الصلاة قيل : فما يكفرها يارسول الله ؟ قال : الهموم فى طلب المعيشة(١٦) .

وإذا كان القيام بهذه الأعمال مسألة واجبة تقع على عاتق الدولة والمجتمع ، فإن مسئولية الدولة تتصرف كذلك إلى مكافحة الأعمال غير المشروعة التى تضر بالمجتمع وقيمه ، إذا مارسها أو اشتغل بها بعض الأفراد دون وازع من تقوى أو ضمير .

فالإسلام يبيح للمسلم ان يختار من مجالات العمل المشروع ما تؤهله له كفايته واستعدادته وميوله وقدراته ، وخبراته ، ولا يفرض عليه عملا معينا إلا إذا كان على علم به ، وتعين ذلك لمصلحة المجتمع على النحو الذى أشرنا إليه من قبل .

مما سبق نخلص إلى حقيقة جوهرية بالغة الأهمية وهى أن « الإنسان المسلم إذا قام بعمله فى المجتمع حسب منهج الإسلام الذى حدده له ، فهو بذلك يحقق أمرين :

أولهما : إغناء نفسه وحفظ كرامته من ذل المسألة ، وسد حاجته وحاجة أسرته بعيدا عن اللجوء إلى معونة فرد أو مؤسسة .

وثانيهما : أنه يسهم بنصيب ما فى إغناء المجتمع ـ أو على الأقل ـ المساهمة فى تسيير عملية التنمية الاجتماعية فيه .

ومن ثم يجوز لولى الأمر فى الإسلام أن يؤدب كل سليم البنية قادر على التكسب ، يريد أن يعيش عالة على المجتمع ، متخذا من سؤال الناس حرفة له ، أو معتمدا على أن له حقا ـ فى زعمه ـ من مال الزكاة .

فالزكاة على مثله حرام ، لأنها لو أعطيت له فستساعده على القعود والكسل عن أداء دوره فى تنمية المجتمع . كما أن سؤاله الناس يعد فى حقه معصية ، وكل معصية لاحد فيها ولا كفارة ، يجوز للحاكم المسلم أن يعزر عليها (أى يوقع عقوبة التعزير على المخطىء) وأن يؤدب من يقترفها بما يراه مناسبا من أنواع العقوبات .

وإذا كانت الزكاة لا تؤخذ إلا ممن يكون لديه مال يسمح بإخراج النصاب الشرعى منه ، زكاة لهذا المال وطهرة له . فمن المعلوم بداهة أن المال « أو الأجر » هو النتيجة المباشرة المترتبة على (العمل) المشروع الذى يقوم به المسلم فى المجتمع ، أداء لوظيفته فى الحياة ، وتحقيقا للرسالة التى فرضها الله ـ عز وجل ـ عليه لعمارة الكون .

من هنا كان لابد أن نتناول بيان قيمة العمل فى الإسلام ، باعتباره أول طريق مشروع لإشباع حاجات الإنسان الضرورية والمعيشية ، إلى جانب دوره الاجتماعى فى تحقيق مصالح الناس ، إذ اعتبر الإسلام بعض الأعمال فرض كفاية على أفراد المجتمع أن يتحملونها ، كل حسب كفاءته وقدراته ، كوحدة متضامنة لتحقيق الخير والاستقرار فيه .

---

١٦ ـ رواه الإمام الشيبانى فى كتابه : الاكتساب فى الرزق المستطاب ص ٣٧ ـ مطلعة الانوار ـ ١٩٣٨م .

مدينة السلام

القدس

لفضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم
رئيس جامعة الأزهر

الإسلام والقدس

سجل القرآن الكريم ، مكانة القدس ، حين وضح أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أسرى بعبده وحبيبه سيدنا محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، حيث قال جل شأنه :

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[(١)]

وسمى بالمسجد الأقصى ، لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة[(٢)] .

والمراد بالبركة المذكورة فى الآية الكريمة ، فى قوله تعالى : ﴿ الذى باركنا حوله ﴾ البركة الحسية والمعنوية ، فأما الحسين فهى ما أنعم الله ـ تعالى ـ به على تلك البقاع من الثمار ، والزروع والأنهار ، وأما المعنوية فهى مااشتملت عليه من جوانب روحية ودينية ، حيث كانت مهبط الصالحين ، والأنبياء والمرسلين ، ومسرى خاتم النبيين وقد دفن حول المسجد الأقصى كثير من الأنبياء والصالحين .

---

(١) سورة الإسراء آية : ١ .
(٢) تفسير القرطبى جـ ١ ص ٢١٢

والمسجد الأقصى : هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال ، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى »[٣] .

ومعنى هذا الحديث : أنه لا يسافر أحد لمسجد للصلاة فيه إلا لهذه المساجد الثلاثة ، لأنه لا يسافر أصلا إلا لها ، وقد بنى المسجد الأقصى بعد المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الحديث الصحيح : عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : قلت : يارسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أولا ؟ قال المسجد الحرام ، قلت .. ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : كم بينهما ؟ قال أربعون سنة ، وأينما أدركت الصلاة فصل ؛ فهو مسجد[٤] .

وللمسجد الأقصى مكانته الجليلة فى الإسلام ، فهو أولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين .

روى الطبرى فى تاريخه ، عن قتادة قال : كانوا يصلون نحو بيت المقدس ورسول الله ﷺ بمكة قبل الهجرة وبعد ما هاجر رسول الله ﷺ صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا .

ومما يدل على فضل بيت المقدس ومكانته ، أنه أرض المحشر والمنشر ، وعن ميمونة مولاة رسول الله ﷺ قالت : قلت : يا رسول الله أفتنا فى بيت المقدس ، قال : « أرض المحشر والمنشر » إئتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة فى غيره[٥] .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « من أراد أن ينظر إلى بقعة من الجنة فلينظر إلى بيت المقدس » .

وفى مدينة القدس دفن عدد كبير من الصحابة والتابعين ، منهم : الصحابى الجليل عباده بن الصامت وشداد بن أوس ، فهى مهد النبوات والشرائع والرسل الذين وجدوا هناك فى هذا العصر ، ولقد كان المسجد الأقصى قبلة لهم ، وهذا كله يمثل البركة الدينية التى أحاطت به ، وأما البركة الدنيوية : فكثرة الأشجار والأنهار وطيب الأرض ، وهذا ما يراد بقوله تعالى :

﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ .

وروى أن الذى أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن اسحاق ـ صلى الله عليهما وسلم ـ بعد بناء إبراهيم الكعبة ، وقد قام سليمان ـ عليه السلام ـ بتجديده ، وقد أشكل ذلك ، لأن بانى البيت الحرام إبراهيم ـ عليه السلام ـ وبانى المسجد الأقصى داوود وابنه سليمان بعده ، وبينهما مدة طويلة تزيد على الأربعين التى ذكرت فى الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى ذر ـ رضى الله عنه ـ قال : « سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع على الأرض، فقال: المسجد الحرام ، قلت : ثم أى ؟ قال : المسجد الأقصى ، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاما

---

(٣) رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبوداوود والنسائى وابن ماجه .

(٤) رواه مسلم .

(٥) رواه ابن ماجه .

ثم الأرض لك مسجد ، فحيثما أدركت الصلاة فصل فيه فإن الفضل فيه » .

وأجاب عن هذا الإشكال أبو جعفر الطماوى فى شرح معانى الآثار : بأن الوضع غير البناء ، والسؤال فى الحديث السابق عن مدة ما بين وضعهما لا عن مدة ما بين بنائهما ، فيحتمل أن يكون واضع الأقصى بعض الأنبياء قبل داوود وسليمان ، ثم بنياه بعد ذلك .

وللمسجد الأقصى ارتباط وثيق بعقيدتنا وله ذكريات عزيزة وغالية على الإسلام والمسلمين ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحى ومنتهى رحلة الإسراء ، وبداية رحلة المعراج .

وقد مر الرسول ﷺ فى رحلته إلى المسجد الأقصى بالبقعة المباركة التى كلم الله فيها موسى عليه السلام ، وهى طور سينـــاء فصلى بها ركعتين .

ومر بالبقعة المباركة التى ولد فيها عيسى عليه السلام ، وهـــى : « بيت لحم » فصلى بها ركعتين ، ثم وصل إلى بيت المقدس فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى فى جمع من الأنبياء والرسل فصلى بهم جميعا ، ثم عرج به إلى السماء فرأى من آيات ربه الكبرى .

وقد عاد رسول الله ﷺ من هذه الرحلة المباركة ، وأخبر قومه ، فكان منهم من صدق ، ومنهم من كذب .

وذهب بعضهم إلى أبى بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ ، وأخبروه ، فما كان جوابه إلا أن قال لهم : والله لئن كان قاله فقد صدق ، قالوا : تصدقه على ذلك ؟ قال : إنى أصدقه على أبعد من ذلك أصدقه على خبر السماء ، وقد تمادى القوم فى لجاجهم وحوارهم ، يسألون الرسول ﷺ فى تعنت عن بيت المقدس ، ومنه من كان قد رآه ، وظنوا أنهم بهذه الأسئلة سيوقعون الرسول ﷺ فى حرج ، ولكنه ــ وهو المؤيَّد من قبل ربه ــ وصف لهم بيت المقدس وصفا كاملا فى غاية الدقة ، وأخبرهم عن آياته .

يقول الرسول ﷺ :

« فجعلت أخبرهم عن آياته ، فالتبس على بعض الشىء فجلى الله لى بيت المقدس ثم جعلت أنظر إليه دون دار عقيل ، وأنعته لهم » فقالوا : أماَ النعت فقد أصاب ، وكان أبو بكر الصديق ــ رضى الله عنه ــ كلما وصف لهم الرسول ﷺ وصفا ــ يقول : صدقت أشهد أنك رسول الله ثم أخبرهم عن عيرهم ، وعن أحمالها ، وعن دقائق الملابسات ووصفها أكمل وصف ، وقال لهم : تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس ، وفيها فلان وفلان ، يقدمها جمل أورق عليه غرارتان مخيطتان ، ومع وضوح الأدلة فقد لج القوم فى عنادهم ولم يصدقوا تلك المعجزة الواضحة فقد طمس الله على أبصارهم وبصائرهم .

﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ .

سورة النور ــ آية : ٤٠

وفى رحلة الإسراء والمعراج فرض الله ــ سبحانه وتعالى ــ الصلاة ، وهى الصلة القوية بين العبد وربه وكانت القبلة آنذاك هى صخرة

بيت المقدس حيث أمر الرسول ﷺ باستقبالها وكان بمكة يصلى بين الركنين فتكون بين يديه الكعبة وهو مستقبل صخرة بيت المقدس ، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة تعذر عليه أن يجمع بينهما ، عندئذ أمره الله - تعالى - أن يتوجه إلى بيت المقدس واستمر على ذلك نحو ستة عشر شهرا .

وكان يدعو ربه ويبتهل إليه أن تكون وجهته إلى الكعبة قبلة إبراهيم عليه السلام ، فأجيب إلى ذلك ، وأمر بالتوجه إلى البيت الحرام ، فخطب الناس وأعلمهم بذلك ، وكانت أول صلاة : صلاة العصر ، وفى هذا يقول الله تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾(٦) .

وعن البراء - رضى الله عنه - أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ، وكان يعجبه أن تكون قبلته - قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون فقال :

أشهد بالله لقد صليت مع النبى ﷺ قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت ، وكان قد مات على القبلة قبل أن تحوّل رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله :

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٧) .

ومما يؤكد عاطفة المسلمين نحو القدس الشريف كواحد من أهم معالم الإسلام أنه قد أسرى الله برسوله ﷺ إليه ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام دخل المسجد الأقصى وصلى فيه ، ففى رواية أنس - رضى الله عنه - :

« .. ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر ، وإناء من لبن ، فاخترت اللبن » فقال جبريل :

« أخذت الفطرة » وقال الإمام النووى رحمه الله : المراد بالفطرة هنا : الإسلام والاستقامة .

وفى رواية ابن مسعود : ... ثم دخلت المسجد فعرفت النبيين ما بين قائم وراكع وساجد ، ثم أذن مؤذن ، فأقيمت الصلاة فقمنا صفوفا ننتظر من يؤمنا ، فأخذ بيدى جبريل فقدمنى فصليت بهم .

وفى رواية أبى أمامة - عند الطبرانى - ثم أقيمت الصلاة ، فتدافعوا حتى قدّموا محمد ﷺ . فصلى إماما بالأنبياء جميعا فى المسجد الأقصى ، ولقد أطلع الله - سبحانه وتعالى - رسوله ﷺ فى هذه الرحلة المباركة على نماذج لثواب الطائعين ، وعقاب العاصين ، ومن هذه النماذج ما رآه من ثواب المجاهدين فى سبيل الله :

« مر على قوم يزرعون ويحصدون فى يوم ، كلما

---

(٦) سورة البقرة الآية ١٤٤ .

(٧) سورة البقرة الآية ١٤٣ .

حصدوا عاد كما كان ، فقال لجبريل ـ عليه السلام ـ : ما هذا ؟ .

قال : هؤلاء المجاهدون فى سبيل الله تضاعف لهم الحسنة إلى سبعمائة ضعف .

﴿ وما أنفقوا من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ﴾(٨)

وفى هذا المشهد توضيح لمكانة الجهاد والمجاهدين ، وفى هذا النموذج المحسوس لمثوبة الجهاد ، تجيش فى نفوسنا عواطف الإيمان ، لتدفعنا لتطهير القدس الشريف واسترداده ، وتطهير كل بقعة فى الوطن الإسلامى ، ونجاهد من أجل إعادة الحق إلى أصحابه الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله.

وكما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ﴾ .

سورة البقرة ـ آية : ١٩١

وقد اختارت الإرادة الإلهية أن يكون الإسراء برسول الله ﷺ إلى المسجد الأقصى ، وصلا للحاضر بالماضى ، وتقديرا لمنزلة هذه البقعة المباركة ، التى عاشت عمرا كبيرا تنتشر على ظهرها الهداية ، وتستقبل فى رحابها النبوات ، وظل بيت المقدس مهبط الوحى الإلهى سنين عديدة .

فلما عصا اليهود أمر ربهم ، وتنكروا لوحى السماء تحولت النبوة عنهم ، وانتقلت إلى ذرية إسماعيل ، وتحولت بالتالى القيادة الروحية إلى خاتم الأنبياء والمرسلين ، فانتقل الرسول ﷺ إلى هذه البقعة المباركة تقديرا لإخوانه السابقين من الأنبياء والمرسلين ، وإعلانا عن إكباره لهم وللدين الذى انتشر نوره وسناه فى هذه البقاع المباركة ؛ لأن الرسول ﷺ والمؤمنين يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله ، كما قال سبحانه :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ ﴾ (٩)

ولقد جمع الله تعالى له الرسل السابقين ، فاستقبلوه ، وصلى بهم إماما ومضى فى ليلة الإسراء والمعراج وفى رحاب المسجد الأقصى ذلك العهد والميثاق الذى أبرمه منذ القدم مع الأنبياء أن يصدق بعضهم بعضا ويمهد بعضهم لبعض ، وأن يؤمنوا بمن سيرسله وأن ينصروه ، كما قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾

سورة ال عمران ـ آية : ٨١

وهكذا كانت إمامة الرسول ﷺ للأنبياء والمرسلين فى هذا المكان المقدس إعلانا لختم رسالات السماء وأن رسالته خاتمة الرسالات ،

(٨) رواه الطبرى والبزار .

(٩) سورة البقرة الآية ٢٨٥ .

ودستوره السماوى وهو القرآن كلمة السماء الأخيرة ، وأنه ﷺ هو خاتم الأنباء والمرسلين .

وصلاة رسول الله ﷺ بالأنبياء لا ينافيها كون الأنبياء كانوا قد ماتوا من قبل ، لأن الذى أسرى هو الله الخالق القادر على كل شىء فهو القادر على تغيير بشرية الرسول ﷺ ليصلى بالأنبياء ، وهو القادر على تغيير قانون برزخية الأنبياء السابقين ليصلى بهم .. فما أراده الله تعالى حدث ، وبالكيفية التى أرادها رب العزة ـ سبحانه وتعالى ـ.

وفى هذا إعلان لعالمية الإسلام ، وإعلان بأنه التشريع الخاتم والرسول الذى ختم الله به الأنبياء والمرسلين .

وإن حادث الإسراء والمعراج ليضع فى أعناق المسلمين فى كل الأرض أمانة القدس الشريف ، وأن التفريط فيه تفريط فى دين الله وسيسأل الله تعالى المسلمين عن هذه الأمانة إن فرطوا فى حقها أو تقاعسوا عن نصرتها وإعادتها .

فعلينا أن نوحد جهودنا ، وألا نتفرق ، لنكون بوحدتنا ، قوة إسلامية لا يستهان بها ، ولا نضعف فى المطالبة بحقوقنا ، فطريق الوحدة ومناشدة القوة هو طريق الحفاظ على مقدساتنا التى هى جزء من عقيدتنا وديننا .

إن القدس مسرى خاتم الأنبياء ، وبوابة الأرض إلى السماء ، وأولى القبلتين ، وثالث الحرمين الشريفين ، ولكم تعرض إلى العدوان والتخريب ، فلماذا ؟ وهو الموطن الإسلامى ، ولولا الصفة الإسلامية للقدس وفلسطين ما كانت لتعانى كل هذه المعاناة .

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ .

سورة البروج ـ آية : ٨

ألكونها مسلمة تحتل وتكثر المستوطنات اليهودية بها يوما بعد يوم ؟!

ولكون شعبها مسلم يضطهد ويشرد ويتعرض للإبادة والتفكيك ؟! هل أصبحت هذه سمة البلاد والشعوب الذين يتعرضون لتهاون النظام العالمى ؟!

فنرى أمثال هذه المعاناة فى البوسنة والهرسك والشيشان !!

أقول : إن الجهاد فرض عين فى الدفاع عن القدس ، كما أنه فرض عين فى الدفاع عن البوسنة والهرسك والشيشان وكل وطن إسلامى على ظهر الأرض .

وفرضية الجهاد للدفاع عن الأوطان ليست مقصورة على ساكنى هذه الأوطان المسلوبة أو المنهوبة فحسب ، بل إن فرضية الجهاد على جميع المسلمين فى كل الأرض ، ومن هنا فإن كل معونة جهاد والحكم الشرعى الذى قرره الفقه الإسلامى أن أعداء الإسلام إذا دخلوا بلدا يقيم فيه المسلمون فيجب الخروج لقتالهم ولايجوز لأحد أن يتخلى عن هذا الواجب ، قال الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ ﴾ سورة التوبة ١٢٣

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا »[10]

فإذا نادى الواجب المسلمين ، لتحرير أوطانهم ورفع العدوان عنها ، واسترداد الحق ، فإنه يجب عليهم أن يخفوا لتلبية هذا النداء وألا يتثاقلوا ، قال الله سبحانه :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[11]

وفى سبيل إقرار الحياة الآمنة المستقرة ، ونشر الإسلام فى ربوع الأمة يجب علينا ألا نتفرق وألا نختلف ، بل نتوحد فلا نتنازع .

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ .

سورة الأنفال .. آية ٤٦

وأن نتجمع ولا نتفرق .

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٠٣

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل .

التوصيات

لقد تكررت المآسى فى القدس الشريف من جراء انتهاك السلطات الإسرائيلية لحقوق هذه المدينة وحقوق الفلسطينيين ، حيث تعددت المجازر البشرية ، والاستمرار فى زيادة المستوطنات اليهودية ، كما تعرضت إلى حوادث الإحراق والعدوان على الأنفس والأموال ، واستهانت إسرائيل بالشرائع السماوية ، والمقدسات الدينية والحقوق الإنسانية ، وكانت لها ممارسات إرهابية فى المنطقة ، باشرت من خلالها كل وسائل العدوان والعربدة !! .

ولما كانت القدس لها منزلتها الاثيرة فى قلوب المسلمين والمسيحيين والعرب جميعا فهى مسرى رسول الله سيدنا محمد ﷺ ، وأولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين وعاش فيها المسيح عليه السلام .

ولما كان السلام الشامل والدائم فى المنطقة رهنا بالتسوية العادلة والكاملة ، واسترداد الحق لأهله ولما كانت القدس البلد الوحيد الذى عانى الأمرين وكان الشعب الفلسطينى أكبر من تحمل فى سبيل الدفاع عن وطنه من معاناة وقتل وتشريد وضياع أوصت ندوة القدس بالتوصيات التالية :

١ ـ تأكيد الدعوة إلى استمرار صمود المجاهدين من أبناء فلسطين ، دفاعا عن الحق والشرعية ووقوف الدول العربية والإسلامية مع هذا الشعب المظلوم استردادا لحقه ، وانتصارا للشرعية والحق .

٢ ـ الدعوة إلى توحيد القوى العربية والإسلامية والإنسانية عامة المحبة للسلام الواقفة

---

(١٠) رواه البخارى .

(١١) سورة التوبة الآية ٣٨ .

بجانب العدل والحق ، فلا يضيع الحق إلا بضعف أهله ، ولا قوة لنا إلا فى وحدتنا ، استجابة لقول الله تعالى :

﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ .

سورة آل عمران ـ آية : ١٠٣

٣ ـ تحريك الرأى العام الدولى بإظهار الحق ومناشدة الضمير الإنسانى فى كل الأرض لمناصرة الحق ومناهضة الباطل والظلم .

٤ ـ مطالبة النظام العالمى بإيقاف الهجرة اليهودية وإيقاف المستوطنات ، وإعادة الحق لأهله حتى يسود السلام الدائم والشامل .

٥ ـ تضميد الجراح العربية والإسلامية بين الأشقاء العرب والمسلمين حتى تتم وحدة الصف والهدف ، وتقوى الأمة فى مواجهة التحديات .

٦ ـ مطالبة النظام العالمى ومجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامى بتحقيق القرارات التى سبق أن أبرمت مطالبة بحقوق القدس وفلسطين والشعب الفلسطينى .

٧ ـ دعوة الأمة أفرادا وجماعات وأمما وشعوبا إلى توثيق الصلة مع الله ، وتأكيد تطبيق التعاليم الإسلامية التي فيها انتصار لدين الله مما يترتب عليه انتصارنا مصداقا لقوله تعالى :

﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

وقوله :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

سُورَةُ الحَجِّ

٨ ـ تشكيل لجنة دولية تمثل أهم الشخصيات الدولية الذين يمكنهم متابعة توصيات هذه الندوة ، حتى تأخذ طريقها إلى العمل الجاد ، ولا تبقى كغيرها من التوصيات حبرا على ورق .

وبالله التوفيق ...

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أمين .

فتوى

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى

فى ختان البنات

تلقى فضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى ــ أثناء توليه مهام منصب الإفتاء لجمهورية مصر العربية ــ استفتاء حول ختان البنات من السيد الدكتور محمود ابراهيم القسط مدير عام الادارة العامة للثقافة والإعلام الصحى وقد أجاب فضيلته بالفتوى التالية :

السيد الأستاذ الدكتور/على عبد الفتاح
وزير الصحة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فبناء على الخطاب المرسل من السيد الدكتور/محمد ابراهيم القسط ــ مدير عام الإدارة العامة للثقافة والإعلام الصحى .

بشأن الحكم الشرعى بالنسبة لختان البنات ، نفيد سيادتكم بما يلى :

(أجاب)

١ ــ اتفق الفقهاء على أن الختان بالنسبة للذكور من شعائر الإسلام ، ومن الأحاديث النبوية الشريفة التى اعتمد عليها الفقهاء فى ذلك ، مارواه الحاكم والبيهقى عن السيدة عائشة ــ رضى الله عنها ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم ختَن الحسن والحسين فى اليوم السابع من ولادتهما .

وأما الختان ــ أو الخفاض ــ بالنسبة للإناث ، فلم يرد بشأنه حديث يحتج به ، وإنما وردت آثار حكم المحققون من العلماء عليها بالضعف ..

ومنها حديث (الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) وحديث (لا تُنهكى فإن ذلكِ أحظى للمرأة وأحب إلى البعل) ومعنى : (لا تنهكى) لا تبالغى فى استقصاء الختان . وفى رواية (أشِمِّى ولا تنهَكى) أى : اقطعى شيئا يسيرا . ومنها حديث (الق عنك شعر الكفر واختتن) وحديث (من أسلم فليختتن) .

وقد ذكر هذه الاحاديث جميعها الإمام الشوكانى فى كتابه (نيل الأوطار) ج١ من ص١٣٧ ، ١٤٠ وحكم عليها بالضعف ــ بعد الكلام المفصل عن أسانيدها ــ وذكر قول الإمام ابن المنذر : (ليس فى الختان خَبَر يُرجع إليه ولا سُنّة تتبع) .

وقال صاحب كتاب عون المعبود شرح سنن أبى داود ج ١٤ ص ١٨٣ وما بعدها ــ بعد أن ذكر ماجاء فى الختان ــ (وحديث ختان المرأة رُوى من أوجه كثيرة ، وكلها ضعيفة معلولة . مخدوشة لا يصح الاحتجاج بها كما عرفت) .

ثم قال : وقال ابن عبد البر فى التمهيد والذى أجمع عليه المسلمون أن الختان للرجال .

٣ — وجاء فى كتاب (الفتاوى ص ٢ ، ٣ لفضيلة المرحوم الشيخ محمود شلتوت تحت عنوان : (ختان الأنثى) قوله (وقد خرجنا من استعراض المرويات فى مسألة الختان على أنه ليس فيها مايصح آن يكون دليلا على (السنّة الفقهية) فضلا عن (الوجود الفقهى) وهى النتيجة التى وصل لها بعض العلماء السابقين ، وعبر عنها بقوله : (ليس فى الختان خبر يُرجع إليه ولا سنة تتبع) .

٤ — وقال فضيلة الشيخ سيد سابق فى كتاب (فقه السنة) ج١ ص٣٣ (أحاديث الأمر بختان المرأة ضعيفة لم يصح منها شيء) .

٥ — وكتب فضيلة المرحوم الشيخ محمد عرفة — عضو جماعة كبار العلماء — بحثا عن الختان بمجلة الأزهر المجلد ٢٤ لسنة ١٩٥٢ ص ١٢٤٢ جاء فيه : (وخفاض المرأة موضوع يبحث فيه العالم الشرعى لبيان حكمه فى الشرع ، ويبحث فيه العالم بوظائف الأعضاء ليبين وظيفة هذا العضو الذى يقع عليه الخفاض ، ويبحث فيه العالم الاجتماعى ليبين آثار الخفاض الاجتماعية ، أهى آثار حسنة أم آثار سيئة .

وعلم وظائف الأعضاء يرى ، أن هذا العضو حساس ، وأنه معين على إتمام عملية التخصيب ، وأن قطعه وإنهاكه يبعد الشهوة .

وبعض علماء الاجتماع يرى أن الخفاض سبب فى انتشار المخدرات فى البلاد التى تزاوله ومنها مصر ، لأن الزوج يجد شهوته أقـرب من شهوتها .. فيستعين ببعض العقاقير التى شاع خطأ أنها تبطىء موافاة الماء من الرجل .

ويزيدون فيقولون : (إذا أريد القضاء على آفة استعمال الحشيش والأفيون والمواد المخدرة ، فينبغى القضاء على أسبابها ، وهو ختان المرأة لتكون طبيعية ، ويكون الرجل طبيعيا) ..

ثم قال فضيلته : فإذا ثبت كل ذلك ، فليس على من لم تختتن من النساء من بأس ، ومن اختتنت فيجب ألا ينهَك هذا العضو منها . واذا مُنِع فى مصر كما منع فى بعض البلاد الإسلامية كتركيا وبلاد المغرب فلا بأس .

٦ — والذى نراه بعد أن استعرضنا اراء بعض العلماء القدامى والمحدثين فى مسألة (الختان) أنها سنة أو واجبة بالنسبة للذكور ، لوجود النصوص الصحيحة التى تحض على ذلك .

أما بالنسبة للنساء ، فلا يوجد نص شرعى « صحيح يحتج به على ختانهن ، والذى أراه أنه عادة انتشرت فى مصر من جيل الى آخر وتوشك ان تنقرض وتزول بين كافة الطبقات ، ولا سيما طبقات المثقفين .

ومن الأدلة على أنها عادة ، ولا يوجد نص شرعى يدعو إليها ، أننا نجد معظم الدول الإسلامية الزاخرة بالفقهاء — قد تركت ختان النساء ، ومن هذه الدول : السعودية ومعها دول الخليج وكذلك دول اليمن ، والعراق ، وسوريا ، ولبنان ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، وليبيا ، والجزائر ، وتونس ، والمغرب ... الخ .

ومادام الأمر كذلك ، فإنى أرى أن الكلمة الفاصلة فى مسألة ختان الإناث مردّها إلى الأطباء فإن قالوا : فى إجرائها ضرر تركناها لأنهم أهل الذكر فى ذلك وإن قالوا غير ذلك فعلى وزارة الصحة فى مصر أن تتخذ كافة الإجراءات القانونية لإجراء هذه العملية بالنسبة للإناث بطريقة يتوفر فيها الستر والعفاف والكرامة الإنسانية ، التى تصون للفتاة أنوثتها السوية ، وبالله التوفيق .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

● **السؤال : من السيد/ زكريا عبدالعزيز السيد ـ مدير عام شركة الرواد للسياحة :**

يوجد فى منطقتنا ضريح لأحد الصالحين اعتاد الناس زيارته ، ولكن البعض يجهل آداب وشروط زيارة الأضرحة ، فنود التفضل بذكرها تجنبا لأية مخالفات شرعية ، وهل يجوز غلق الضريح أو استخدامه فى مشروع ذى نفع عام ؟ وهل يجوز زيارة المرأة للضريح ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله .

أما شروط زيارة الأضرحة فهى شروط زيارة مقابر المسلمين ، فنبدأ بالسلام على أهل القبور وندعو لهم بالخير ، ونسأل الله أن يلحقنا بهم على خير ، وأن يرزقنا ما رزقهم من تقوى وعمل صالح ، ونعتبر بالموت واعظًا ، ولايجوز للمرأة زيارة القبور المعتادة ، ويجوز لها زيارة أضرحة الأنبياء كقبر نبينا ﷺ بل يسن لها ذلك ، وقبر الخليل إبراهيم عليه السلام وقبور العلماء والصالحين كالحسين والشافعى ، بدون اختلاط ولا فعل منكر ولا اعتداء فى الدعاء ، ولا يجوز إغلاق المكان إلّا سياسة شرعية من قبل المسئولين ولوقت مؤجل بأجل ، ويجب تعليم الناس عن طريق الخطبة والدرس والكتب النافعة التى تبين آداب الزيارة والموعظة الحسنة ، ولايجوز تحويل الضريح إلى مشروع آخر ، ويجوز عمل المشروع بجواره .. والله أعلم .

● **السؤال : مقبرة فى مدينة حيفا كانت وقفا من أوقاف المسلمين وحتى يومنا هذا ، ثم هجرت ، وأفتى علماء الشرع الشريف بجواز نبشها ونقل قبورها لذلك الهجر ولمنفعة المسلمين ، فهل يجوز البناء عليها لمصلحة الوقف واستغلالها حتى تدر إيرادا وثمرة تعود على وقف المسلمين بالخير ، ويستعمل ذلك الإيراد فى شئون المسلمين بتلك البلاد ، وتسدد ديونها التى عليها لحكومة البلاد ، ويصرف بعد ذلك على جهات الخير التى تراها نظارة الوقف لصيانة المساجد والمدارس والصحة ونحوها ؟ .**

الجواب : الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وآله وبعد. فيجوز والحال كما ذكر فى السؤال البناء على هذه الأرض بالاتفاق ، ولا نعلم خلافا فى الحالة على ذلك ، ويجوز لنظارة الوقف أن تتصرف فى الإيراد والثمرة الناتجة من البناء وغيره على تلك الأرض فيما ذكر ونحوه .

ولا يجوز إنهاء وقف المسلمين ، ولا أن يذهب لغيره ، ولا أن يضع أحد من غير المسلمين يده عليه أو على ثمرته لا رتبة ولا انتفاعا .

ويجوز أن يشترك المسلمون مع غيرهم فى بناء مبنى يؤول فى النهاية إلى الوقف ، وينتفع الوقف بما يقدمه غير المسلمين من مشاركة وإيراد ، دون أن يمتلكه أحد من غير المسلمين لا حالاً ولا مآلاً .

● **ورد استفتاء إلى السيد صاحب الفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وحول إلى لجنة الفتوى للإجابة عليه .. وهذا نصه :**

الهيئة العامة للاستعلامات
الإدارة العامة للاتصال الداخلى

مكتب المدير العام

السيد صاحب الفضيلة الدكتور / أمين عام مجمع البحوث الإسلامية
تحية طيبة وبعد ...

نتشرف بالإجابة بأنه ورد للهيئة العامة للاستعلامات خطاب من مكتبنا الإعلامى فى كانبرا يطلب فيه موافاته بمعلومات وافية عن :

موقف الأزهر الشريف فيما يتعلق بأطباق الاستقبال الفضائى (الدش) للاستفادة بها فى البحث الذى يعده السيد/ ستيفن باراكلوشن من مركز دراسات الشرق الأوسط ووسط آسيا بالجامعة الوطنية الاسترالية .

برجاء موافاتنا بالمعلومات المطلوبة حتى يتسنى لنا الرد على مكتبنا الإعلامى المذكور .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام
مدير عام الاتصال بالمؤسسات
عبدالرحمن هلال

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد ، فنفيد بأن الأحكام الشرعية من حل وحرمة .. إنما تتعلق بأفعال البشر ولاتتعلق بزوال الأشياء ، فزوال الأشياء لا حكم لها ، إنما الحكم على تناولها واستعمالها ونحوها من الأفعال البشرية .

والدش آلة من الآلات وهى كجهاز « التليفزيون والفيديو » لها استعمالات متعددة بعضها مباح كنقل الأخبار والتعلم والترفيه الحلال ، وبعضها حرام كإثارة الشهوات ونشر الإلحاد والأمر بالفساد ، فشأنها كشأن السكين تستعمل فى المباح وتستعمل فى قتل النفس التى حرم الله قتلها ، وإذا تركب فى آلة المعنيان ولم تتعين الحرمة فاتخاذها حلال . واستعمالها فى الخير حلال ، ويمنع استعمالها فى الشر ، لأن القاعدة المقررة لدى الفقهاء « أن الحرمة إذا لم تتعين حلت » .

ويصح مثل هذا فى كل ما كان له استعمالان فأكثر واختلط الحلال بالحرام ، كالمكياج والعطور والملابس النسائية التى تتبرج بها المرأة ، وقد تتزين بها فى بيتها ، ومثل بناء المبانى التى قد تستعمل لإدارة الحرام ، كالقمار وشرب الخمر ، وللحلال كالاستضافة والاجتماع فكل ذلك يدخل تحت قاعدة « أن الحرمة إذا لم تتعين حلت » ، ويفتى بحل صناعة وبيع واتخاذ أمثال ماذكر ، أما إذا تعينت الحرمة كالثلاجات التى تحفظ بها الخمر أو الخنزير فقط ، ولا تصلح لحفظ غيرها . وكالملاهى الليلية التى لاتصلح إلا لذلك – مع ماهو معروف ومشهور عنها من ارتكاب المنكر بها – فإنه لا يحل بناؤها أو اتخاذها أو تأجيرها أو العمل بها ، حيث قد تعينت الحرمة .. والله تعالى أعلم .

● **السيد صاحب الفضيلة رئيس لجنة الفتوى**

بالأزهر الشريف

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته... وبعد فمقدمه لفضيلتكم الدكتور : ع. ع. ع. ص.

الموضـــــــوع

أنا وزوجتى مصريان مسلمان مقيمان فى أمريكا ونحمل الجنسية الأمريكية ولسبب ما طلبت زوجتى الطلاق وأصرت عليه وقدمت شكوى أمام المحكمة فى أمريكا ، وهى محكمة مكونة من قضاة غير مسلمين ، فمنهم يهود ومسيحيون . أرجو إصدار الفتوى الشرعية الإسلامية فى الآتى :

١ – هل يجوز أن تقوم هذه المحكمة بالفصل فى منازعات الزوجية بين زوجين مسلمين ، علما بأن الشهود فى هذه القضية غير مسلمين ، وكذلك المحامين ؟ .

٢ – وإذا حكمت هذه المحكمة المدنية الأمريكية بالطلاق ، وتزوجت زوجتى من شخص آخر زواجا مدنيا دون أن أطلقها طلاقا شرعيا ، فما حكم هذا الزواج الثانى وما هى عقوبته فى القانون المصرى ؟ .

٣ – وإذا اختلت برجل غيرى وأنا لم أطلقها شرعيا فما هو حكم الدين ؟ .

٤ – وإذا حضرت إلى مصر وهى ما زالت زوجتى شرعيا ماذا يكون تصرفى لأطبق الشرع وما الحكم ؟ وهل يجوز لى الزواج من أكثر من واحدة .

الجـــــــواب

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد فنفيد :

١ – بأنه لا يجوز لمحكمة من غير المسلمين الحكم على مسلمين فى مسائل الأحوال الشخصية ، بل ولا فى غيرها حيث لا ولاية لغير المسلم على

المسلم قال تعالى :

﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ ﴾ (ســورة النساء)

وأجمعت الأمة على عدم جواز سريان حكم غير المسلم على المسلم .

٢ ـ فإذا حكمت محكمة هذا شأنها بالتطليق على زوجة مسلمة فحكمها لا يعتد به شرعا وهى على حال الزوجية كما هى ، فإن تزوجت بناء على ذلك الحكم فزواجها باطل ، وصلة الرجل الجديد بها زنى ، تأثم به عند الله إن علمت الحكم ، وهو وطء شبهة إن لم تعلم وعليها المبادرة بتركه عند العلم ، والتوبة من ذلك .

٣ ـ فإن حضر الزوجان دار الإسلام فليترافعا بما شجر بينهما أمام قاضى المسلمين ، وهو يحكم بينهما بما أنزل الله ، وبذلك يعرف الجواب على البنود ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ من السؤال .

٤ ـ يحق للمسلم أن يجمع بين أكثر من امرأة واحدة حتى أربع قال تعالى :

﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً .. ﴾

بعض آية ٣ سورة النساء .. والله تعالى أعلم .

إعــــلان للقــــارىء

تأسف إدارة المجلة لما وقع من خطأ فنى فى ترتيب ملازم بعض نسخ (عدد ربيع الآخر ١٤١٧ هـ) . وتعلن إدارة المجلة استعدادها لإعطاء كل قارىء حصل على نسخة بها خطأ نسخة سليمة من نفس العدد ، يتقدم بها مشكوراً إلى إدارة الأزهر - بحى الحسين - رضى الله عنه - ليتسلمها ، على أن يقدم النسخة التى حصل بها الخطأ المذكور .

وسيبدأ صرف هذه النسخة ابتداء من يوم ١٦ من جمادى الأولى ١٤١٧ هـ .

طرائف ومواقف

للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

« من أدّبك ؟ »

قيل لسيدنا عيسى ـ عليه السلام ـ : من أدبك ؟

قال : ما أدبنى أحد ؛ رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته .

« الظلم وتخريب الديار »

ذكر الظلم فى مجلس ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ فقال كعب : إنى لأجد فى كتاب الله المنزَّل أن الظلم يخرب الديار .

فقال ابن عباس ـ رضى الله عنه ـ إنى أجده فى القرآن الكريم ؛ قال الله ـ عز وجل ـ : ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓا ﴾ . سورة النمل ـ آية : ٥٢

« الذى يخدع نفسه »

قالوا : من طلب الرخص من الإخوان عند المشاورة ، ومن الأطباء عند المرض ، ومن الفقهاء عند الشبه فقد خدع نفسه .

« علامات حسن الخلق »

جمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال :

هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى ، كثير الصلاح ، صدوق اللسان ، قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، برا وصولا ، وقورا صبورا شكورا رضيا حليما ، رقيقا عفيفا ، لا لعانا ولا سبابا ولا نماما ولا مغتابا ولا عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا ، بشاشا هشاشا يحب فى الله ويبغض فى الله ويرضى فى الله ، ويغضب فى الله فهذا هو حسن الخلق .

« حقا »

من لم يكـن عنصره طيّبا ... كل امـرىء يشبهه فعلـه

لم يخرج الطـيب من فيـه ... وينضح الكـوز بما فيـه

« ما أخذتم بواحدة من اثنتين »

مرت أعرابية بقوم من بنى نمير ، فأداموا النظر إليها فقالت : يابنى نمير ، والله ما أخذتم بواحدة من اثنتين : لا بقول الله ـ تعالى ـ :
﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾

ولا بقول جرير :

فغض الــــبصر إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابــا

فاستحى القوم من كلامها وأطرقوا .

« حازم .. وأحزم منه »

الناس حازمان وعاجز ؛ فأحد الحازمين الذى إذا نزل به البلاء لم يبطر ، وتلقاه بحيلته ورأيه حتى يخرج منه ، وأحزم منه العارف بالأمر إذا أقبل يدفعه قبل وقوعه ، والعاجز فى تردد وتثن ، حائر بائر لا يأتمر رشدا ، ولا يطيع مرشدا .

ستة لا يخلون من الكآبة

رجل افتقر بعد غنى ، وغنى يخاف الفقر ، وحقود ، وحسود ، وطالب مرتبة لا يبلغها قدره ، ومخالط الأدباء بغير أدب .

« كان من خالصة الله »

عن عون بن عبدالله قال : كان يقال : من كان فى صورة حسنة ، ومنصب لا يشينه ووسع عليه فى الرزق ، كان من خالصة الله .

« ثلاثة جبال »

لقد أكرم الله ثلاثة جبال بثلاثة نفر :
« الجودى » بسيدنا نوح ـ عليه السلام ـ .
« وطور سيناء » بسيدنا موسى ـ عليه السلام ـ .
« وحراء » بسيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

« دعــاء »

لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، اللهم إياك نعبد وإياك نستعين ، اللهم اكف عنا بأس الذين كفروا إنك أشد بأسا وأشد تنكيلا .

من أعلام الأزهر

الشيخ كمال الدين محمد بن موسى ابن عيسى بن على الدميرى

سنة ٧٤٢هـ إلى سنة ٨٠٨ هـ - سنة ١٣٤٤ م إلى سنة ١٤٠٥ م

للمستشار محمد عزت الطهطاوى

فقيه من كبار الفقهاء ومن علماء تفسير القرآن الكريم ، ومن رجال الحديث ومن المكثرين الاطلاع فى كتب الأدب والتاريخ ، كما كان من الزهاد الأتقياء فى عصره .

ذلك هو الشيخ الأزهرى كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى بن على وكنيته أبو البقاء وينسب إلى دميرة ، بلدة من أعمال محافظة الدقهلية بالديار المصرية وإن كان ولد بالقاهرة فى سنة ٧٤٢هـ التى توافق ١٣٤٤م .

قال عنه الحافظ ابن حجر (نبغ فى الفقه والحديث والأدب ووعظ وأفاد وخطب فأجاد ، وكان ذا حظ من العبادة تلاوة وصياما ومجاورة بالحرمين ، سمعت من فوائده واجتمعت به مرارا وكنت أحب سمته) .

ويصفه المقريزى المؤرخ فيقول عنه :

(صحبته سنين وحضرت مجلس وعظه مرارا لإعجابى به ، وأنشدنى وأفادنى ، وكنت أحبه ويحبنى فى الله ، لسمته وحسن هديه وجميل طريقته ومداومته على العبادة)[1] .

نشأته وشيوخه :

كانت نشأته فى القاهرة وتكسَّب فى أول أمره بصناعة الخياطة ، ثم أقبل على العلم فدرس فى

---

١) مجلة العربى الكويتية العدد ١٥٢ جمادى الأولى سنة ١٣٩١هـ يوليو (تموز) سنة ١٩٧١م فى مقال بها تحت عنوان الدميرى فى كتابه ــ حياة الحيوان الكبرى بقلم الأستاذ عبد الستار فراج

الأزهر وتفقه على مذهب الإمام الشافعي وجعل يأخذ ذلك من كبار العلماء فى زمانه فقرأ على أحمد بن التقى السبكى وأبى الفضل النويرى والجمال الأسنوى وابن الملقن والبلقينى

وأخذ الأدب عن القيراطى والعربية وغيرها عن البهاء بن عقيل فبرع فى التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وغير ذلك من العلوم(٢)

رحلاته فى طلب العلم :

لم يقتصر الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى على ما حصله من علماء مصر ، بل رحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة سنين متفرقة وتلقى هناك من علمائهما ، كما روى الحديث من كتب الحديث المشهورة سماعا على الأئمة المتخصصين فى الحرمين الشريفين وحتى بعد تحصيله للعلم داوم على التردد بين القاهرة ومكة المكرمة حتى توفى بالقاهرة سنة ٨٠٨هـ التى توافق سنة ١٤٠٥م

تصدره للتدريس

بعد أن اكتملت حصيلته العلمية وعاد إلى مصر حيث قام بالتدريس بالجامع الأزهر فكانت له فيه حلقة يوم السبت من كل أسبوع ، كما درَّس فى القبة البيبرسية علم الحديث .

أما فى يوم الجمعة فكان يقوم فيه بوعظ الناس بمدرسة البقرى داخل باب النصر وبعد عصر الجمعة يدرس بجامع الظاهر فى الحسينية(٣)

المصنفات التى قام بتأليفها

ألف مصنفات جيدة نذكر منها :

١ ـــ شرح سنن ابن ماجه فى نحو خمس مجلدات سماه الديباجة .

٢ ـــ شرح المنهاج فى أربع مجلدات سماه النجم الوهاج ، لخصه من شروح السبكى والأسنوى وغيرهما وزاد ذلك زوائد نفيسة .

٣ ـــ كما نظم فى الفقه أرجوزة مفيدة .

٤ ـــ اختصر شرح الصَّفَدى للامية العجم

٥ ـــ أما أهم مؤلفاته فهو كتاب (كتاب الحيوان الكبرى) فى جزئين كبيرين الأول منهما يصل فى صفحاته الى ٦٠٢ صفحة والجزء الثانى إلى ٤٠٠ صفحة تقريبا(٤)

المراجع التى رجع إليها عند تأليفه لكتبه

لو تم إحصاء ما يذكره الشيخ كمال الدين محمد ابن موسى الدميرى من كتب نقل عنها وبعضها فى عدة أجزاء ضخمة لعرفنا مقدار ما كان عليه ذلك العالم الجليل من ذكاء ومن تنظيم دقيق ومن حشد لقواه الفكرية فى استحضار ما يتصل بموضوع مؤلفه المشار إليه (حياة الحيوان الكبرى) المتشعب الأطراف فهو ينقل :

١ ـــ من القرآن الكريم وتفسيره : كتفسير الزمخشرى وتفسير الثعلبى وغيرهما من التفاسير

٢ ـــ ومن كتب الحديث للأئمة البخارى ومسلم وسنن الترمذى والنَّسائى وأبى داود وابن ماجه ومسند الإمام أحمد ومسند أبى يعلى والطبرانى

---

٢) ملخصة من كتاب البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع للشوكانى مثبتة بكتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى

٣) مجلة العربى الكويتية المرجع السابق

٤) ملخصة من كتاب البدر الطالع المرجع السابق

٣ ـــ ومن كتب الأدب كالأمالى للقالى والكامل للمبرد وغيرهما من الكتب الأدبية

٤ ـــ ومن كتب التاريخ كالنهاية لابن الأثير وكتاب تاريخ بغداد ووفيات الأعيان لابن خلكان وكتاب حليه الأولياء لأبى نعيم

٥ ـــ ومن كتب الطرائف ككتاب الفرج بعد الشدة للتنوخى ، والأذكياء لابن الجوزى

٦ ـــ وأيضا من كتب التصوف والزهد ككتاب إحياء علوم الدين لأبى حامد الغزالى وكتاب سراج المريدين لابن عربى وكتاب الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى وكتاب سراج الملوك للطرسوسى

٧ ـــ هذا إلى جانب كتب اللغة وما يتصل بها

منهجه فى تأليفه كتاب حياة الحيوان الكبرى

خط لنفسه منهجا سليما فى تصنيف ذلك الكتاب ، وكانت طريقته غاية فى التنظيم وفى رعاية التأليف المفيد ، إذ رتبه ترتيبا معجميا يبدأ بما أوله همزة فإذا انتهى منه بدأ بما أوله باء ثم ما أوله تاء وهكذا إلى أن ينتهى بما أوله ياء

وهو فى عرضه لكل حيوان يبدأ بتعريف الحيوان ووصفه حسب ما وصل إليه من معلومات فى عهده وحسب ما قرأه فى كتب السابقين ولا ينسى التصريف اللغوى للفظ الحيوان يعتمد فى كل كل ذلك على ماجاء فى كتب اللغة

ثم يأتى بحكم أكل هذا الحيوان هل هو محرم أو حلال أو مكروه وأقوال الفقهاء فى ذلك ، ويتلو ما كتب بذكر ما قيل فيه من أمثال عربية ثم يذكر خواصه والمنافع التى تجلبها أجزاؤه

ثم يفسر معنى رؤية الحيوان المشار إليه فى المنام فى أوضاعه المختلفة ناقلا ذلك من كتب تفسير الأحلام تحت عنوان (التعبير)

ويبلغ الغاية فى الإبداع عندما يورد فى ترجمته للحيوان ما يكون له من ذكر فى آية قرآنية أو حديث نبوى أو حكمة ومثل أو نثر أدبى أو فى حادثة تاريخية أو قصة مروية[٥]

مثال مما أورده فى كتابه فى باب الحاء المهملة حسب ما يقتضيه المقام فى هذا المقال

(الحيوان) هو جنس الحى ، وهو ماء فى الجنة ، وقال الزمخشرى فى تفسير قوله تعالى (وإن الدار الآخرة لهى الحيوان)[٦] أى ليس فيها إلا حياة دائمة مستمرة خالدة لا موت فيها ، والحيوان مصدر حيى وقياسه حييان ، فقلبوا الياء الثانية واوا ، وقال ابن عطيه : الحيوان والحياة بمعنى واحد وقال **الجاحظ** الحيوان على أربعة أقسام : شىء يمشى وشىء يطير وشىء يعوم وشىء ينساح فى الأرض وضرب أمثلة على الحيوانات التى تمشى وتلك التى تطير دون ذكر لباقى الأقسام ثم قال : إن الملائكة تطير ولها أجنحة لكنها ليست من الطير وكذلك جعفر بن أبى طالب ذو جناحين يطير بهما فى الجنة وليس من الطير

وفى الصحيحين وغيرهما عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لعن الله من مثَّل بالحيوان)

---

٥) مجلة العربى الكويتية المرجع السابق
٦) جزء من الآية ٦٤ من سورة العنكبوت

والخواص ، أجوده حولى المعز ، ومنفعته سرعة الانهضام ، ومضرته أنه يرخى المعدة ، ودفع مضرته شرب مياه الفواكه القابضة ، ويجب أن يعلم أن أفضل لحوم الحيوان ماكان معتدلا فى الهزال والسمن وأجود اللحوم على الإطلاق لحم الضأن المتناهى الشباب ، والبقر لم تبلغ سن الشباب

والتعبير : من كلَّمه حيوانٌ من الدواب أو الطير وفهم كلامه فإنه كما قال ، وإن لم يفهم ماقاله فليحذر على مال يذهب منه لأن الحيوان مأكله ، وقد تكون هذه الرؤيا باطلة فلا ينبغى أن يفتش عنها ، وجلود سائر الحيوان ميراث ، وقيل الجلود بيوت لمن يملكها لقوله تعالى :

(وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا)[٧]

وأما الأصواف والأوبار والأشعار فكل ذلك دال على الفوائد والأرزاق والملابس وأموال موروثة أو مغتصبة ، وأما القرون فتدل رؤيتهما على الأعوام والسنين أو السلاح أو ما يتحمل به من الأموال والأولاد والعِزّ والجاه

مثال آخر فى باب الدال المهملة

الدابة ــ وهى ما دب من الحيوان كله ، وقد أخرج بعض الناس منها لقوله تعالى :

(وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم)[٨] .

وفى قوله جل وعلا :

(وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين)[٩] .

قال الشيخ تاج الدين بن عطاء الله رحمه الله تعالى إن هذه الآية مصرحة بضمان الحق ــ تبارك وتعالى ــ الرزق وقطعت ورود الهواجس والخواطر عن قلوب المؤمنين .

وفى شفاء الصدور لابن سبع السبتى عن أبى سعيد الخدرى ــ رضى الله عنه ــ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تضربوا وجوه الدواب فإن كل شيء يسبح بحمده) ،

وقال الإمام أحمد : من شتم دابة قال الصالحون لا تقبل شهادته لحديث المرأة التى لعنت الناقة ، وفى صحيح مسلم عن أبى الدرداء ــ رضى الله عنه ــ (لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة) ويستحب أن يقول ــ عند ركوب الدابة ــ ما رواه الحاكم والترمذى وصححاه عن على بن ربيعة قال : (شهدت على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد أتى بدابة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب قال (بسم الله) فلما استوى على ظهرها قال (الحمد لله) ثم (سبحان الذى سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)[١٠] ثم قال (الحمد لله) ثلاث مرات ثم قال (الله اكبر) ثلاث مرات ثم قال (سبحانك اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) ثم ضحك فقيل : يا أمير المؤمنين من أى شيء ضحكت ؟ قال : رأيت

---

٧) جزء من الآية ٨٠ من سورة النحل

٨) جزء من الآية ٣٨ من سورة الأنعام

كتب الحيوان ــ الجزء الأول لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون ــ مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

٩) سورة هود الآية رقم ٦

١٠) الآية ١٣ والآية ١٤ من سورة الزخرف

النبى - صلى الله عليه وسلم - فعل كما فعلت فقلت يا رسول الله من أى شىء ضحكت قال (إن ربك تعالى يعجب من عبده إذا قال رب اغفر لى ذنوبى يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى) .

ويجوز الإرداف على الدابة إذا كانت مطيقة ولا يجوز إذا لم تطقه ففى الصحيحين عن أسامه بن زيد - رضى الله عنه أن النبى - صلى الله عليه وسلم - أردفه حين دفع من عرفات الى مزدلفة ثم أردف الفضل بن العباس - رضى الله تعالى عنهما - من المزدلفة الى منى وأنه - صلى الله عليه وسلم - أردف معاذا - رضى الله عنه - على الرحل وأردفه على حمار يقال له عفير

وإذا أردف صاحب الدابة فهو أحق بصدرها ويكون الرديف وراءه إلا أن يرضى صاحبها بتقديمه لجلالته أو غير ذلك

وروى الطبرانى عن جابر - رضى الله عنه - أن النبى - صلى الله عليه وسلم - نهى أن يركب ثلاثة على دابة وأما دابة الأرض التى ذكرها الله - تعالى - فى سورة سبأ .

(فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته)[11] فدابة الأرض هذه هى الأَرضة وقيل سوسة الخشب ، ثم ذكر الدَّابة التى هى أحد أشراط الساعة وذلك فى قوله تعالى .

(وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم)[12] .

فقد روى أنها تخرج حين ينقطع الخير ولا يؤمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ولا يبقى منيب ولا تائب ،

وفى الحديث أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول أشراط الساعة وكذلك الدَّجال وقد اختلف المفسرون فى تفسير قوله تعالى (تكلمهم) فقال السدى : (تكلمهم ببطلان الأديان سوى دين الإسلام) وقيل : كلامها أن تقول لواحد هذا مؤمن وتقول لآخر هذا كافر وقيل : كلامها ما قاله الله عز وجل :

(أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون)[13] .

ويكون كلامها بالعربية ، (هكذا جاء فى كتابه)[14]

ملاحظات على كتاب حياة الحيوان الكبرى

يرى بعض النقاد أن الشيخ كمال الدين محمد بن موسى الدميرى وإن بلغ فى مؤلفه المشار إليه الغاية فى القدرة ، والنهاية فى الإبداع عما يورده فى ترجمة كل حيوان مما يمر له من ذكر فى آية قرآنية أو حديث نبوى أو حكمة أو مثل أو نثر أدبى أو فى حادثة تاريخية ، فإن ما يورده من المسائل التاريخية قد يكون بعضه من كتب غير دقيقة فى أخبارها أو من كتب أدبية ملفقة غير وثيقة فينقل ذلك دون تمحيص

ومهما يكن من أمر فإن الكتاب حتى إذا طرحت منه أخبار الخرافة فإنه بحق يعتبر موسوعة تحتوى على كثير من العلم والأدب والتاريخ والطرافة ؛ لذلك لقى رواجا بين عامة الشعب وطبع طبعات كثيرة كانت أول طبعة منها فى مطبعة بولاق سنة ١٢٧٤ هـ ثم توالت طبعاته بعد ذلك .

١١) جزء من الآية ١٤ من سورة سبأ
١٢) جزء من الآية ٨٢ من سورة النمل
١٣) جزء من الآية ٨٢ من سورة النمل

١٤) كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين محمد بن موسى الدميرى الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٦هـ سنة ١٩٥٦م - مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

من روائع الماضى بمجلة الأزهر

الميراث فى الجاهلية والإسلام وحال الناس منه الآن

لصاحب الفضيلة الشيخ / محمد مصطفى شادى

إعداد وتقديم : د. عبد الفتاح حسين الزيات

هوى النفس هو اللبنة الأولى للانحراف الأخلاقى ، لأن النفس فى مجملها أمارة بالسوء ، حيث إنها تنزع إلى الهوى غالبا .

وإذا تسلط هوى النفس على الإنسان أصبح أسير هواه .

فقد كانت هناك قديما عادات تستحكم فى عقول أهلها حتى أصبحت تقليدا موروثا ، وأبرز هذه العادات عادة التوريث فى الجاهلية ، وهى عادة تجافى الواقع ، وتقطع أواشج الروابط الأسرية ، فلما جاء الإسلام نظر إلى تلك الاعتبارات الظالمة ، وعمل على إلغائها تدريجيا ، حتى لا يحدث صدمة فى النفوس ، ووضع ضوابط لهذه المسألة الهامة نزل بها القرآن محددا أنصبة المواريث وأصحابها ، وجاءت السنة النبوية فزادت الأمر إيضاحا حتى لا يكون لأحد حجة بعد الرسل .

ومن أظلم ممن يجاهر اليوم بالمساواة بين الرجال والنساء فى الميراث ناسيا أو جاهلا حكمة الله ، زاعما أن النظام الأسرى فى عالم اليوم يتطلب إعادة النظر فى نظام التوريث وحجته أن لا فرق بين الرجال والنساء فى عالم اليوم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

قال الأستاذ :

نظام توريث المال بين الأقارب من النظم الإسلامية الهامة ، المؤسسة على خير الأسس الصالحة لكل الأزمان ، الموافقة لحاجات الجماعات والبيوت والشعوب ، لأنه تشريع الله

الذى يعلم من أمر الخلق مالا يعلم الخلق من أمر أنفسهم ، فاذا كان قد ران على بعض القلوب جحود حجبها عن الحقيقة ، وحجبت الأبصار غشاوة حالت بينها وبين النور ، ووصلت إلى العقائد أثارة من الإلحاد والشك ، بعدت بها عن الرجوع إلى حُجز الإيمان الثابت واليقين الصادق ، والطريق القويم ، مما أدى إلى شيوع روح التمرد من بعض الذين يكمن فى طبائعهم التمرد والجموح على الدين ، وإلى ذيوع البحث فى هذه القاعدة الهامة من قواعد الدين الإسلامى بين كثير من المسلمين وغيرهم ، بحثا تعدوا فيه حدود الله ، وخرجوا على ما افترض ، وناقضوا ما وصى به ـ فإنى أجلو الحقيقة فى نظام توريث المال فى الجاهلية والإسلام ، لعلى أحول بين هذه القلوب وبين الجحود والظلمة والشك والالحاد :

لقد كان أهل الجاهلية يتوارثون بشيئين : أحدهما النسب ، وثانيهما العهد ، أما توريثهم بالنسب فلم تكن تنتظمه المساواة الحقة بين الذكور والإناث والصغار ، فإنهم ما كانوا يورثون الصغار ولا الإناث ، وإنما كانوا يقصرون الميراث على الرجال الذين يشنون الغارات ، ويقودون المعارك ، ويظفرون بالغنائم والأسلاب . وأما العهد فمن ناحيتين : الحلف والتبنى . أما الأول فقد كان الرجل فى الجاهلية يقول لصاحبه : دمى دمك ، وهدمى هدمك ، وترثنى وأرثك ، وتطلب بى وأطلب بك . فإذا تعاهدا على هذا الوجه فأيهما مات قبل صاحبه كان للحى ما اشترط من مال الميت . وأما التبنى فإن الرجل منهم كان يتبنى ابن غيره فينسب إليه دون أبيه من النسب ، فإذا مات مدعى البنوة ورثه الإبن المتبنى . والتبنى نوع من أنواع التعاهد .

ولما بعث رسول الله ﷺ وأعلن الدعوة للإسلام بين الجاهليين ، لم يكن نظام الميراث بالشىء الذى يوضع له التشريع قبل تصحيح العقائد ، وإعداد النفوس ، فترك نظام التوريث على ما كانوا عليه فى الجاهلية . ورأى بعض العلماء أنه لا مانع من أن يكون الله سبحانه وتعالى قد أقرهم على ذلك ، لقوله تعالى :

﴿ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ .

ولقوله :

﴿ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ﴾(١) .

إذ المفهوم من الآية الأولى التوارث بالنسب ، ومن الثانية التوارث بالعهد .

وقد وضع النبى ﷺ للوراثة بين المسلمين الأولين نظاما وقتيا مبنيا على الهجرة والمؤاخاة .

فأما الهجرة فقد كان المهاجر يرث أخاه المهاجر ، على شريطة أن يكون كل منهما مختصا صاحبه بمزيد المخالطة والمخالصة . وأما المؤاخاة فقد كان المتآخيان اللذان يؤاخى بينهما رسول الله ﷺ يرث أحدهما الآخر .

---

(١) النساء آية ٣٣

واستمر الحال على هذا المنوال فى الميراث إلى أن استشهد سعد بن الربيع ـ رضى الله عنه ـ وترك ابنتين وزوجا وأخا ، فأخذ الأخ المال كله . فجاءت زوجه إلى الرسول ﷺ وقالت : يارسول الله هاتان ابنتا سعد ، وإن سعدا قد قتل ، وإن عمهما أخذ ما لهما . فقال رسول الله ﷺ : « ارجعى فلعل الله سيقضى فيه » . وبعد فترة من الزمن عادت باكية إلى النبى ﷺ ، فنزل قوله تعالى :

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَـٰدِكُمۡ ۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصۡفُ ۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾(٢) .

إلى آخر آيات التوارث . فدعا رسول الله ﷺ عمهما وقال له :

أعط ابنتى سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقى فهو لك .

وهذا أول ميراث وقع فى الإسلام .

وقضى الله على التوارث بالتبنى بقوله ـ جل شأنه :

﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ ۚ ﴾(٣) .

وأبطل التوارث بالهجرة والمؤاخاة أيضاً بقوله تعالى :

﴿ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلۡكِتَـٰبِ مَسۡطُورًا ﴿٦﴾ ﴾

بهذه الآيات بطل نظام التوارث فى الجاهلية وصدر الإسلام ، وقام النظام الجديد مقامه ، وهو المعمول به بين المسلمين إلى اليوم .

وصية الله ووجوب تنفيذها :

فنظام توريث المال بين الأقارب ـ كما قلنا ـ أعدل نظام وأحكم دستور ، لأنه من صنع خالق البشر ، والمسيطر على القوى والقدر ، والعليم بحاجات الأسر ، وما يتركز فيها من عناصر النفع والضرر ، ولذا فقد صدره الله بكلمة الوصية فقال جل شأنه :

﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم** ﴾ الآية ، وختم هذه الوصية بقوله :

﴿ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّـٰتٍ تَجۡرِى مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٥) .

وفى هذا بيان للناس أن التمرد على هذا النظام ، والخروج على قوانينه ، تمرد على المشرع الأعظم ، وخروج على وصيته التى داين بها الآباء نحو أبنائهم ، وفرضها على أولى الأرحام بعضهم نحو بعض

(٢) سورة النساء آية ١١

(٣) سورة الأحزاب آية ٥

(٤) سورة الأحزاب آية ٦

(٥) النساء ١٣ ، ١٤

الشاكون فى هذا النظام هم العادون :

ليس من شك فى أن الذى يعطل هذا القانون إنما يتعدى حدود الله التى حددها ، ويخرج على شريعته التى اشترعها ، سواء كان أبا أو ابنا ، فالآباء الذين يحبسون أموالهم على أبنائهم الذكور ، والأبناء الذين يحملون آباءهم على حبس المال عليهم ، خارجون على وصية الله ، معطلون لأحكامه .

الإسلام أنصف المرأة فى الميراث :

يخطىء كثيرا أولئك الذين ينقمون من الإسلام حكمه بين الرجل والمرأة فى الميراث ، ولو تجردوا من تعصبهم وراموا الاقتناع والخضوع للحق ، لأيقنوا أن الإسلام أكرم المرأة بهذا التشريع وأغدق عليها من الفضل ما تستحقه ، يقول الله تعالى :

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾(٦)

هذه القوامة التى للرجال على النساء إنما راعى فيها الشارع أصل الطبيعة البشرية ، فإن الرجل أكمل من المرأة فى الصفات الخلقية والعقلية وأصلح منها للاضطلاع بالوظائف العامة وأقبل منها على البذل فى المشروعات الكبيرة والمرافق الهامة ، وأقدر منها على تجشم المشاق فى سبيل إسعاد أسرته وأمنه . ونصيب المرأة من الميراث سبيله الادخار والجمع ، ونصيب الرجل موزع على زوجه وأولاده ، فالرجل مكلف بالمرأة وليست المرأة مكلفة بالرجل ، فإذا جعل الإسلام نصيبها على النصف منه فقد أكرمها وساعدها ، ورفق بها وأسعدها .

عدل الإسلام فى الميراث يتجلى فى حظره المفاضلة والمحاباة فيه ، كما يؤخذ فى الأحاديث الصحيحة المأثورة عن صاحب الشرع ﷺ :

١ ـ فعن النعمان بن بشير قال : قال النبى ﷺ : « اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم » رواه أحمد وأبو داود والنسائى .

٢ ـ وعن جابر قال : قالت امرأة بشير : انحل ابنى غلاما وأشهد لى رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ فقال : « إن ابنة فلان سألتنى أن أنحل ابنها غلامى . فقال النبى : له إخوة ؟ قال نعم ، قال : فكلهم أعطيت مثل ما أعطيته ؟ قال بشير : لا . قال : فليس يفلح هذا وإنى لا أشهد إلا على حق » رواه أحمد ومسلم وأبو داود ، ورواه أبو داود من حديث النعمان بن بشير ، قال فيه : « لا تشهدنى على جور ، إن لبنيك عليك من الحق أن تعدل بينهم » .

انقسم أولو الرأى فى النظر إلى هذه الأحاديث وفهمها وتحرى وجه الحق فيها إلى قسمين : مجوزين للتفاضل ، وما نعين له ، أما المجوزون فقد سلكوا مسالك فى التأويل والتخريج سدها المانعون عليهم بما أوضح الحق ، وبين المعالم ، وترجم عن الروح الحقيقى الذى قصد إليه الشارع ، وقضى فيه بالنصر والظفر والسلامة من الضعف والتعصب .

طغيان المادة على العقيدة فى هذا العصر قد ولد حالة اجتماعية ينكرها الإسلام :

---

(٦) النساء آية ٣٤

إن الذين تحرروا من قيود التعصب المذهبى أو الطائفى أو الجنسى من العلماء والباحثين ، ليعتقدون عن حق لامرية فيه أن الترقيات المادية التى تمت فى هذا العهد الأخير قد زجت بالناس فى حالة من الشذوذ والانحراف ، والخروج على العقائد ومقومات الأخلاق ، تجعلهم عرضة للفوضى الطاغية ، وقذفت بهم إلى معام من التزاحم والتناحر لا تتفق وشرف الإنسانية ، ولا المدنية الفاضلة ، هذه الحالة الشاذة التى خلقها التنازع على المال قد عالجها الإسلام بنظامه المالى القيم ، فجعل أمته متكافلة متعاونة فى الاستفادة والافادة من الثروة العامة ، وسن للوراثة قسمة عادلة لا يستطيع المتمردون على الدين أن يجدوا فيها عوجا ولا حيفا .

على أن الإسلام لم يعتبر المال كل شىء فى الحياة ، ولم يجعله الثمرة الشهية ، والنتيجة الطيبة بعد هذه الحياة ، بل إنه نظر إليه كقوام للحياة يدور به دولابها ، ويتقدم به سيرها ، وينال به ما فيها من متاع وعرض ، وآمال ورغائب ومطالب ، ولكن الإسلام جعل العقيدة والعمل الصالح الجواز الذى يوصل إلى السعادة الحقيقيه ، والخلق الكريم العامل المهم فى الدنيا والآخرة . ولما كان مجال التوريث يمكن أن يتسرب منه شر مستطير ، وضع الإسلام له نظاما محكما وحظر على أهله تعديه ، فالذين يحبسون أموالهم على بعض أولادهم ، والذين يستكتبون آباءهم فى الأيام الأخيرة لهم ليستأثروا بأموالهم ، أو يزورون عليهم وثائق ، أو يطمعون فى أخواتهم يمنعونهن النصيب الذى قدره الله لهن ، إنما هم خارجون على وصية الله وحكم الله فى الأموال ، مسيئون إلى الإنسانية ، مقطعون أرحامها ، عادون على قوانينها ونظمها ، راجعون بها إلى عهود البداءة والغارات ، هادمون لدعائم المجتمع ، لما يترتب على ذلك من حقد القلوب ، وحنق الصدور ، وتقطيع صلات المودة والقربى ، وشيوع العداء بين الأسر والجماعات .

ولقد بين القرآن الكريم أن إيثار يعقوب عليه السلام ليوسف بالحب والحنان ، قد دفع إخوة يوسف – عليه السلام – إلى الجرأة على أبيهم وعقوقه حتى قالوا : « **إن أبانا لفى ضلال مبين** » ، ودبروا القتل لأخيهم ، فكيف بالتفضيل المادى فى أمة ملكها حب المال ، وجعلت إلهها هواها ، وأسرفت فى المتاع والشهوات ؟!

وكذلك فإن الدولة الإسلامية الأولى ، وحياتها الاجتماعية ، وما قام عليه الناس على عهدها من المثل العليا والسمو الروحى وما جبلت عليه نفوسهم ، وامتلأت به قلوبهم من الإنسانية الرشيدة المعرضة عن لذائذ الجسد ، ومطامع النفس ، وزخارف الدنيا ، ووساوس الشيطان ، كل ذلك ليقوم دليلا على أن الأمة الإسلامية الأولى ، ورائدها كتاب الله وشرع رسوله ، لم تعبد المال كما يعبده أهل هذا العصر ، بل قصرت عبادتها على الله ، ولم تحكم بالمال كما يحكم به أهل هذا الجيل ، بل حكمت بكتاب الله ، ولم تشرع لأنفسها تبعا لهواها كما يشرع أهل هذا العهد لأنفسهم ، بل ارتضت وأذعنت وصدقت بشرع الله ، ولذلك مكن الله لها فى الأرض ، وسلمت لها كل عناصر الحياة وأسبابها ، وارتبطت كلها برباط واحد هو حب الله تعالى .

الشعر والشعراء

اعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

بك أستعين

للشاعر / رشاد محمد يوسف

بك أستـــعين ومـــــن سواك يعين ... ويعـــــز معتصمـــا به ويصون
بك أستـــعين على المكــــاره والأسى ... وأنـــا بأغـــلال الحيـــاة سجين
بك أستـــعين إذا تشابــكت الـــرؤى ... وتكحـــلت وهـــم السراب جفـــون
بك أستـــعين إذا تلـــفت خاطـــر ... أو طاش لبّ شارد مجنــــــــون
بك أستـــــعين فأنت نور بصيرتى ... تعنـــو إلـــيك مشاعـــــر وعيـــون
لك فى عبـــادك يا كريم شئـــون ... وبهم إلـــــيك تضرع وحـــنين
يا عالم النجـــوى وكل سريـــرة ... يا مدركا للغـــيب كيـــف يكـــون
سويتنـــــى جلت يداك بحكمـــــة ... تجلـــو لأصحـــاب النهى وتـــبين
كرمتنـــــى دون الخلائـــــق شامخا ... تختـــال منـــى هامـــة وجـــبين
من نطفـــة كونت أصل حكايتـــى ... ماء بأصلاب الرجــــــال مهين
فحفظتنـــى ورعيتنـــى فى مأمـــن ... وانـــا بأكنـــاف الظـــلام جنين
احيـــا على درب الحيـــاة مسافـــراً ... مهمـــا تطـــاول أعمـــر وقـــرون
لابـــد من موت وضجعـــة راحـــل ... لم تغـــن عنـــه قلعـــة وحصون
يا رب والدنيـــا صراع دائـــــر ... تقسو علينـــــا تارة وتـــــلين
والفكـــر أثقلـــه الصراع مشتت ... تبـــدو عليـــه حيرة وظنـــون
يارب جنبنـــا العثـــار ونجنـــا ... فبـــــغير نورك لن تسير سفين
وامنـــن علينـــا من رضاك تكرمـــا ... فرضاك كنـــــز للقلـــوب ثمين
يارب يا رحمن صرخـــة حائـــر ... بك يستـــعين ومـــن سواك يعين

الإمام الشافعي

رضى الله عنه

المتوفى سنة ٢٠٤ هـ

هو الإمام أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعى القرشى المطلبى ، يجتمع مع رسول صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف .

كان الشافعى ـ رضى الله عنه ـ كثير المناقب ، جم المفاخر ، وكان من أعلم الناس فى عصره بكتاب الله ـ تعالى ـ وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ـ وكلام الصحابة رضى الله عنهم وآثارهم واختلاف أقاويلهم .

ويعتبر من أعرف أهل زمنه بلغة العرب وهو الذى استنبط الكثير فى (أصول الفقة) وأيقظ أهل الحديث .

قال أحمد بن حنبل ـ رضى الله عنه ـ « ما من أحد ممن بيده محبرة وورق إلا وللشافعى فى رقبته منّة » .

واتفق كافة العلماء من أهل الحديث والفقة والأصول واللغة وغيرهم على ثقته وأمانته وعدالته ، وسخائه ، وزهده ، وورعه ، ونزاهة عرضه ، وعفة نفسه ، وحسن سيرته ، وعلو قدره .

وللشافعى شعر كثير فى أغراض مختلفة اجتهد البعض فى جمعه ـ كله أو معظمه ـ فى ديوان سمى باسمه ومن شعره فى المؤاخاة

إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة ... فلا خير فى ود يجىء تكلفا
ولا خير فى خل يخون خليله ... ويلقاه من بعد المودة بالجفا
وينكر عيشا قد تقادم عهده ... ويظهر سرا كان بالأمس فى خفا
سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق يصدق الوعد منصفا
إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفا ... فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
ففى الناس أبدال وفى الترك راحة ... وفى القلب صبر للحبيب ولو جفا
فما كل من تهواه يهواك قلبه ... ولا كل من صافيته لك قد صفا

السِّحرُ والسَّاحر

للشاعر / محمد عبد الرحمن صان الدين

هل صحيـــح يعتـــرى الاحيـــاء فوق الأرض سحـــر
هل به يلتـــاث فى الإنسان إحساس وفكـــر
هل به يعمـــى بصير أو يصيب السمـــع وقـــر
هل به قد جف ماء أو به ينشق نهر
إنـــه فى محكـــم القـــرآن تخيـــل وكفـــر

• • •

هل أقـــام السحـــر ملكـــا. أو به قد هار ملك
هل به قد حل ضنك أو به قد زال ضنك
هل جرى حقـــا بأيـــدى ساحـــر عقـــد وفك
لا وربى ليس فى بطـــلان دعـــوى السحـــر شك
كل ما يجريـــه أو يرويـــه أهـــل الزيـــغ إفك

• • •

أيها الانسان إن الطبـــع فى الأحيـــاء فِطْـــرهْ
ليس للمخلـــوق فى تغـــيير صنـــع الله قدره
ينـــفث المحتـــال فى أوداج بعض النـــاس هَذْرَه
سحـــره الإيهام والتخييـــل فى إبَّـــان سكـــره
ثم يصحـــو بعدهـــا المخدوع فى هم وحسرة

●●●

عالم فى الكيميـــــاء قالـــــوا قديما عنـــــه : ساحـــــرْ
إنـــــه فى أعين الجهـــــال والأغـــــرار قادر
يجعـــــل الحصبـــــاء دررا ومضةً كالنجـــــم باهـــــر
ويشع النـــــور منـــــه فى ظلام للنواظـــــر
بعـــــد أن يُطلى (بفسفـــــور) خفـــــى غير ظاهـــــر

●●●

كان هذا فى زمـــــان الجهـــــل والعهـــــد القـــــديمْ
كيـــــف يبقـــــى ساريـــــا كالـــــداء فى بعض الحلـــــوم
فى زمـــــان فيـــــه تجلـــــو اللـــــبس أضواء العلـــــوم
فإذا الأسرار تبـــــدو ساطعـــــات كالنجـــــوم
فى وضوح ذمه الاسلام فى الذكر الحكيم

●●●

لا يصيب السحـــــر إلا كل فَجٍّ الفكـــــر جاهـــــل
أو سقيم النـــــفس غِر غائب الإدراك غافـــــل
ما رأينـــــا أن سحـــــرا منـــــه عانى أى عاقـــــل
مستـــــنير ليس يغويـــــه بمين قول قائـــــل
إن نور العلـــــم والايمان يأبى كل مائـــــل

توضيح :

ـ بعض الدجالين ومدعى الولاية كان يدهن جسمه بالفسفور فيظهر للناس مشرقا فيعتقدون أن هذا من نور التقوى .

ـ الحلوم = العقول ـ فج = غير ناضج ـ غر ـ غير مجرب ـ بمين = بكذب وبهتان

حَنِينُ المغتَرِبْ

شعر: د. ربيع محمد صادومه (*)

بمصر تركت فلذات الفؤاد   بنىّ وأمهم وثرى بلادى
رُبيتُ بها وأبنائى وأهلى   وبين رُبوعها ممسى وغادى
يسَابقنى بَنىّ إلى رُباها   يناغون الجنى يوم الحصاد
فهام القلب بعد النأى عنها   هُياما مسَّه ألم البعاد
فأعقب لوعة نكأتْ جراحا   وأعقب لذعة قدحت زنادى
أحِنُّ مع الصباح إلى شذاها   وأشقى بالعشقّ مع السُّهاد
وكيف النوم والذكرى رياحٌ   تبثُّ صريرها تحت الوساد ؟
فيبكى السَّاهر الأرِق اشتياقا   ويسلبه النوَّى برْد الرُّقاد
تمكـن حبك العذرى منى   وما لهوى الأحبة من نفاد
إذا سكنتْ ملوك الأرض قصرا   فمسكنك المشيَّد فى فؤادى

• • •

فيا مصر الكنانة كيف أسْلو   وصوتك ساحرّ أذن الجماد ؟
بألحان سَرَتْ فى كل ليل   وأنغام رَبَتْ فى كل نادى
وآثار حوتْ من كل فن   صُنوفا من وثائقه التّلاد
وآطام علتْ حصنا منيعا   حمى مجد الجدود من الأعادى
فشُردتْ الطغاة بكل فج   ومُزقت البُغاة بكل وادى
منحت حضارة الدنيا سِجِلا   يعزُّ مثاله بين العباد

(*) الشاعر أستاذ مساعد بجامعة الأزهر ، قالها ، وهو معار إلى السعودية .

فسطَّرت العلوم قُبيل « روما » وشيدت المعالم بعد « عاد »
على البردى مخطوطات « مينا » مُنمَّقةُ بألوان المِداد

• • •

تيمَّمت القريض أزيل بثى لعلّ من القريض شفاء شادى
فما بلَّتْ بحور الشعر غصنى ولا روت المياه عروق صادى
أبعد النيل للظمآن غيثٌ يغيث الحب فى جوف الرماد ؟
فترتسم القفار عروس نهر وتبتسم الأباطح والبوادى
فيا أم القرى من غير مَنٍّ ، وكم لك فى البريَّة من أيادى !
فديتكِ ما حييتُ فأنت روحى وعافيتى وترياق وزادى
إذا أيامنا افترقتْ فإنى لذو أملٍ أرد إلى مَعاد

ضراعة للشاعرة روحية القلينى

أنا عند بابك يا حبيبى لم أجد إلَّاه بابا
أنا ما لجأت لغيره بضراعتى أرجو الثوابا
فاشمل بعطفك يا إلهى من إليك أتى وتابا
إنى أرى الدنيا بغير رضاك - يا ربى - سرابا

أنا ما قصدتك مرة إلا وذللت الصعابا
وإذا لجأت إليك يصبح مطلبى أملا مجابا
إن قلت يا ربى ترد مع الرضاء لِىَ الجوابا
الليل يعرفنى سهادا بالتقى دمعا مذابا

والفجر يشهد كيف أتلو بالضراعات الكتابا
فإذا عفوت فعفوك المرجو يلهمنى الصوابا
أنى اتجهت أراك يا ربى فتكشف لى الحجابا
فأرى الحقيقة فى ضمير الكون تمحو الارتيابا

ناديت بالقرآن يا رحمن قلبى فاستجابا
وأطاع أمرك مسلما فامنحه يارب المثابا

شعر: عبد الغفار الدلاش

المنتصرون

سلــــــوا الشيشان عن أمـــــــره
ومـــــــا يلقـــــاه من عَصْره ! ؟
ولـــــــلإلحاد والشُّــــــذَّاذِ
إصـــــــرارٌ على دَحْـــــــرِه
فيـــــا للمســـلـــم العمــــلا
ق من فخــــــر على صـــــبره !
يُرَوِّعُ دولـــــــة عظمــــــى
فلـــــم تقـــــدر على قهـــــره !

● ● ●

يُمِــــــــدُّ الحقُّ من والاه
بالأمـــــداد من بِـــــــرِّه
ويخـــذل باغـــــى العـــــدوان
مهمـــــا كان من مكـــــره
يمضى البغـى مندحـــــــــراً
يريح النـــــــاس من شره
وَيَخفُـــــزُ جاهـــــلا بالكيـــــد
والعـــــــدوان فى قبره !
وتعلــــو رايـــــةُ الإيمـــــان
يوم الـــــنصر فى ظَفـــــرِه !!

العلوم الكونية

كيف نتعامل مع العلوم الكونية

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

إن العلم ـ بتطبيقاته وتقنياته ـ يصب مباشرة فى نفس الإنسان ووعيه وتجربته ، ويلقى بظلاله على أنماط العلاقات والسلوك بين الأفراد والمجتمعات ، ويسهم إسهاماً مباشراً فى رسم تصورات الإنسان عن هيئة الكون الذى يعيش فيه ، ويؤثر فى كل مرحلة يبلغها من تطوره على مناهج التفكير وطبيعة التحول فى مختلف ضروب النشاط الإنسانى . ولقد تشعبت القضايا المتعلقة بصناعة العلم فى عصرنا بحيث أصبح من الضرورى البحث عن أسلوب أمثل فى التعامل معه لفهم طبيعة نموه ومجالات تأثيره وآفاق تسخيره لخدمة حياة الأحياء كما أراها الله ـ سبحانه وتعالى ـ على الأرض .

ونشأ نتيجة لهذا مبحث جديد يسمى « علم العلم Science of Science » ، ويقوم على تحليل لغة العلم من جوانب مختلفة لايمكن للعلم أن ينسلخ عنها هى :

١ ـ تاريخ العلم :

وهو أحد فروع « علم العلم » المعنى بوصف وتقويم حركة العلم عبر مراحله التاريخية المتعاقبة للوقوف على عوامل تقدمه أو تعثره من وجهات نظر متعددة ، ويتميز تاريخ العلوم الكونية عن تاريخ الأحداث الماضية للأشخاص والحضارات بأنه يتكون دائما من حقائق قابلة للتحقيق والاختبار والاستنتاج إذا ما توفرت لها نفس الظروف أو اتبع فى استنتاجها نفس الأسلوب .

وسرد هذه الحقائق تحكمه نظرة انتقائية منظمة لها وفقاً لمحور أساسى يضمها ويجذبها إلى مسار له اتجاهه الخاص ، ذلك لأن الحقائق العلمية ليست كلها على درجة متكافئة من الأهمية والدلالة عندما يتناولهاالمؤرخ بالتحليل والتفسير فى أى عصر من العصور .

من هنا تتضح أهمية تاريخ العلم فى صياغة نظريته العامة ، حيث يستحيل انفصال العلم عن تاريخه ، باعتباره عملية ممتدة خلال الزمان ، وإذا

---

(١) د. أحمد فؤاد باشا ، فلسفة العلوم بنظرة إسلامية ، القاهرة ١٩٨٤م

د. صلاح قنصوه ، فلسفة العلم ، القاهرة ١٩٨١م .

ما ران على العلم جهل بتاريخه ، فإنه لامحالة مخفق فى مهمته . ومايهمنا فى هذا المبحث الهام أنه يشمل جزءاً كبيراً من التاريخ العلمى والحضارى يخص الحضارة الإسلامية ودورها الرائد فى ترقية الحياة البشرية وتطوير العلوم ومناهجها .

٢ ـ «سيكولوجية العلم» :

وهى التى تبحث فى العمليات النفسية والعقلية التى تتعلق بالكشف العلمى ، وما يقترن بها من القدرات الإبداعية والخيالية الموجهة لحل المشكلات العلمية . فالكشوف العلمية تأتى فى المقام الأول تأملات عقلية يوشيها الخيال العلمى السليم ، ثم تخضع بعد ذلك لمنهج التحليل والتحقيق . والمسائل العلمية لها أصول عميقة فى الوعى البشرى . قد تصعب ـ أحيانا ـ على مستوى التحليل ، ولكنها سرعان ماتبدو للعباقرة فيلتقطوها بالحدس أو البداهة ، ثم يفرغوها فى نظريات علمية تتطور مع الزمن شيئاً فشيئاً . وتاريخ العلوم حافل بالكثير من أقوال وسير العلماء الذين صنعوه ، وفيها مايتضمن إدراكهم الواعى لأثار تجاربهم واكتشافاتهم ، وثقتهم المسبقة فى سلامة نظرياتهم على المدى البعيد .

٣ ـ «سوسيولوجية العلم» :

وتعنى بالحبث فى التفسير الاجتماعى لتطور النظريات العلمية ومدى تقبل المجتمع لها ، بالإشارة الى أسلوب التنظير العلمى ونمطه الذى يعكس الصبغة السائدة فى مجتمع ما . وهنا يأتى دور المعايير الثقافية والسلوكية والعقائدية فى التأثير على تحديد الاتجاهات العقلية . وما حدث لجاليليو وغيره من علماء أوروبا يدل على أن حالة الثقافة السائدة فى زمن ما ومكان ما يمكن أن تكون عقبة تحول دون صياغة الفروض التى تؤدى مباشرة إلى توجيه ملاحظات وإجراء تجارب تدور حول وقائع قد سبق تحديدها تحديداً يجعل منها علما ، وهنا أيضا تبرز أهمية التربية السليمة فى بناء المزاج العلمى للمجتمع وتكوين الثقافة العلمية المتكاملة والارتقاء بالذوق العلمى العام ، لما لها من أثر بالغ فى تحديد الاتجاهات العقلية بما فيها التفكير العلمى ومنهجية البحث فى العلوم المختلفة . وعندئذ نجد الملاذ فى المنهج الإسلامى الذى يحرر العقل من الخرافات والأوهام ويطلقه للتفكير بغير حدود للكشف عن آيات الله فى الوجود[1] .

٤ ـ «اكسيولوجيا العلم» :

وهى ما يعرض للبحث فى القيم والمثل العليا ومدى ارتباطها بالعلم وخصائص التفكير العلمى باعتبار المعرفة العلمية واحدة من أهم فاعليات النشاط الإنسانى وأرقاها . إن كثيرين من العلماء والمفكرين يتوقون الى الانفلات من النظام المحكم الصارم القائم على العلم الواقعى لكى يستشعروا نشوة التأمل فى النواحى الجمالية والجوانب الانسانية المتعلقة بقيم الحق والخير ، ولذا نجد أن كتب التأمل التى يكتبها العلماء بعد كل كشف علمى يوسع نطاق معرفتهم قد حظيت باهتمام كبير ، ولانعجب من قول «اينشتين» بأنه أفاد من الروائى الروسى «دستويفسكى» بأكثر مما أفاد من العالم الرياضى المعروف «جاوس» . كما أن الاطلاع على الفيزياء المعاصرة مثلا يسوغ ـ من ناحية أخرى ـ الإعراب عن آراء لاتقتصر على موضوع بناء المادة وعلاقتها بالطاقة وحسب ، بل تعدوها الى طبيعة الحياة ووجود الارادة الحرة وغيرهما .

وتظهر أهمية هذا الجانب «الأكسيولوجى» من «علم العلم» واضحة جلية فى هذا العصر الذى نعيشه أكثر من أى عصر مضى ، لأن الفلسفات العلمية المعاصرة ، باستخدامها لرمزية اللغة ، ساعدت على ظهور فئات عديدة منفصلة انفصالاً فكرياً بعضها عن بعض ، بما تعانيه من تجارب وما تستعمله من ألفاظ ، وما نعلقه على الرموز من معانى . ومن ثم فإن فلسفات العلوم المعاصرة تنتظر من يأخذ بيدها ويفرغها فى صيغة جديدة ، فى نطاق معانى إنسانية واسعة تتفق مع مطالب الذهن المثقف بكل ما أنجزته هذه العلوم من حقائق علمية . والمنهج الإسلامى هو ما يجد فيه هذا المنقذ المنتظر عناصر الفهم الكامل للحقيقة المطلقة التى يسعى الإنسان إلى إدراكها من وراء بحثه فى ظواهر الكون والحياة ، وهو ما يجد فيه ـ أيضا ـ الأجوبة الشافية على المسائل التى تؤرق العقل عن الكون ومصير الإنسان . بل إن هذا المنقذ المنتظر سوف يجد فى المنهج الإسلامى متسعا لكل أنواع القيم النبيلة التى تجعل من المعرفة غاية سامية لخدمة المجتمع الإنسانى بأسره .

٥ ـ «أبستمولوجيا العلم» :

وتعنى البحث فى نظرية العلم من حيث إمكان المعرفة العلمية ومصادرها وطبيعتها والبحث فى إمكان المعرفة يتضمن النظر فى إمكان العلم بالوجود أو العجز عن معرفته ، وفيما إذا كان فى وسع الإنسان عن طريق العلوم المختلفة أن يدرك الحقائق اليقينية وأن يطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته ، أم أن قدرته على معرفة الأشياء مثار للشك وعدم اليقين . أما البحث فى مصادر المعرفة فيتعرض للنظر فى منابعها وأدواتها المتمثلة فى العقل والحس والحدس وغيرها من الملكات الإدراكية التى أنعم الله بها على الإنسان ، وكذا للنظر فى أنواع المناهج العلمية المستخدمة لوسائل المعرفة ومدى مقدرتها على ضمان سلامة التحصيل المعرفى . وأما البحث فى طبيعة المعرفة فيمس حقيقتها وقيمتها وحدودها بين الاحتمال واليقين ، وكذا ماهية العلاقة بين الباحث وموضوعات بحثه فى مختلف العلوم . وهناك يحسم التصور الإسلامى كل أشكال الجدل المثار بشأن قضية المعرفة ومصدريها فى الوحى والكون وغاياتها فى بلوغ الحقيقة الناصعة بعيداً عن أوهام الفلسفات الوضعية الرديئة .

٦ ـ «أنطولوجيا العلم» :

وتعنى البحث فى كشف طبيعة الوجود اللامادى فى القضايا «الميتافيزيقية» المترتبة على التصورات أو المفاهيم والقوانين العلمية ، مثل : المادة والطاقة والزمان والمكان والكيف والعلة والقانون وغيرها ، فمثل هذه المفاهيم تشكل وحدات أساسية فى نسيج المعرفة العلمية ، بالإضافة إلى أنها تدخل فى رسم الصورة التى يتخيلها الإنسان عن الكون وفق ما ترتضيه هويته الثقافية ونزعته الفلسفية أو الدينية .

وهكذا فإن كل ما يعنى من العلوم بالبحث حول العلم ولايكون جزءاً من لغته الموضوعية إنما يندرج تحت «علم العلم» بمعناه الأعم والأشمل ، وهو ضرورى لكل من يريد تعاملا واعيا وفهما حقيقيا لقضايا العلوم الكونية فى نطاق الثقافة السائدة وفى حدود أوضاع اجتماعية واقتصادية وروحية وأخلاقية لايمكن إغفالها .

الصحة الإنجابية

الأمراض التناسلية المنقولة جنسياً

٢

الدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

قدمنا ـ فى العدد الماضى ـ كلمة عن أمراض البروستاتا مع عرض لما يترتب على الإثارة الجنسية السلبية، ومثلها غير الطبيعية .. وأثر ذلك عليها ، ونواصل ـ فى هذا العدد ـ الحديث عن الأمراض التناسلية المنقولة جنسيا ، تلك التى حذر الإسلام منها ، ونقصد بها التى تنتقل بالجماع ، ويعتبر الوطء المحرم ـ بكل أنواعه ـ وبخاصة مع المحترفين والمحترفات هو أهم أسباب الإصابة بهذه الأمراض . وفيما يلى نقدم عرضا لبعض هذه الأمراض :

(ا) الكلاميديا : هو المرض التناسلى الأول فى العالم ، والميكروب المسبب لهذا المرض هو نفس الميكروب المسبب لمرض (التراكوما) بالعين.

الأعراض فى الأنثى :

١ـ حرقان بالبول مع كثرة التبول.

٢ ـ قد يكون هناك احمرار بالفرج مع حرقان.

٣ ـ التهاب فى عنق الرحم.

٤ ـ إجهاض مبكر.

٥ ـ عقم.

أما بالنسبة للذكر

فإن الأعراض هى كثرة التبول مع وجود افرازات صديدية من الذكر مع حرقان.

التشخيص :

هو مرض صعب التشخيص ويحتاج إلى تحليل من نوع خاص.

(ب) السيلان : الميكروب المسبب للمرض ، هو ميكروب يسمى Gonococcus وفترة حضانته تتراوح بين يومين إلى أسبوعين . (فترة الحضانة هى الفترة بين دخول الميكروب وظهور الأعراض).

الأعراض فى الأنثى :

١ ـ حرقان فى البول مع كثرة التبول.

٢ ــ إفراز صديدى مع قناة البول.
٣ ــ حرقان بالفرج واحمراره.
٤ ــ أعراض التهاب الرحم، أو التهاب قناة (فالوب) الحاد.

وفى الذكر :

حرقان فى البول مع كثرة التبول.
إفراز صديدى من قناة مجرى البول.
حرقان بفتحة الذكر مع احمرارها.

المضاعفات :

قد ينتشر الالتهاب فيمتد إلى الرحم والمبيض، وقد يمتلىء البوقان بالصديد وتحدث التصاقات لقناتى (فالوب) مما يؤدى للعقم، وتؤدى الالتهابات والالتصاقات الحادثة إلى آلام فى الحوض ، وآلام عند الجماع ، واضطراب الدورة الشهرية، وإمساك مزمن.

وبالنسبة للرجل: فإن أهم المضاعفات هى انسداد القنوات الناقله للمنى مما يؤدى الى العقم.

التشخيص :

يتم التشخيص بواسطة الأعراض، وأخذ عينات من عنق الرحم، وقناة غدة (بارثولين) بالنسبة للمرأة ، وقناة مجرى البول لدى الرجل، وبعض اختبارات الجلد فى الجنسين.

٣ ــ الزهرى : الميكروب المسبب للمرض ميكروب حلزونى الشكل يشبه (البريمة) ، وأكثر أماكن دخول الميكروب للسيدات تكون من الفرج، وعنق الرحم. وفى الرجل من قناة مجرى البول والشرج.

أعراض المرض :

يظهر المرض فى ثلاثة أطوار ...

أ ــ **الطور الأول** : بعد دخول (الميكروب) يظل فى فترة حضانة تتراوح بين عشرة أيام إلى ثلاثة أشهر، بعدها تظهر قرحة صلبة على الأغشية المخاطية، وعادة تكون القرحة غير مؤلمة، وتكبر معها الغدد الليمفاوية فى المنطقة، ويرشح سائل خفيف من هذه القرحة، وهو معد للغاية.

التشخيص :

يتم التشخيص بواسطة الأعراض (الإكلينيكية) وفحص السائل المرشح (ميكروسكوبياً) بواسطة طريقة إضاءة خاصة حيث يمكن رؤية (الميكروب).

ب ــ **الطور الثانى** : يختفى الطور الأول بعد أن يبقى عدة أسابيع، وبعد حوالى شهرين تغزو الميكروبات الدم، ويظهر طفح جلدى عام ذو لون نحاسى، وهذا الطفح لايسبب هرشاً، وتظهر التهابات وبقع بيضاء فى الفم والأغشية المخاطية مع ارتفاع بسيط فى درجة الحرارة، وقد تظهر ثآليل تناسلية زهرية على الفرج، وحول الشرج، وقد تستمر هذه المرحلة إلى سنتين، وإذا حملت السيدة ــ فى هذه الحالة ــ وضعت طفلاً مشوهاً أو ميتاً، أو يحدث لها إجهاض.

التشخيص :

يتم عن طريق الأعراض (الإكلينيكية)، وتاريخ المرض، وفحص السائل من البقع التى على الأغشية المخاطية (ميكروسكوبيا) بإضاءة خاصة، أو بعمل تحليل للدم مثل اختبار (وزرمان) أو (فى . دى . آر . ال V . D . R . L).

ج ــ **الطور الثالث** : إذا لم يعالج المرض أثناء طوريه: الأول والثانى، فقد يسكن المرض، ويكمن لعدة سنوات قد تصل إلى ثلاثين سنة، وفى هذه

الفترة الطويلة تهاجم الميكروبات أجهزة الجسم المختلفة، وبخاصة القلب والأوعية الدموية والمخ والأذن والعين والمفاصل والعظام، مما يؤدى إلى عدة أمراض خطيرة مختلفة مثل: تمدد الشريان الأورطى، وهبوط القلب، والشلل، والجنون.

التشخيص :

تحليل الدم والفحص (الباثولوجى) للأنسجة المصابة.

٤ ـ الهربس التناسلى :

هناك نوعان من الهربس البسيط :

النوع الأول : يصيب الشفاه والفم، ونراه غالباً مع الإصابة بالحميات.

النوع الثانى : يصيب الجهاز التناسلى.

أعراضه :

بعد فترة تتراوح بين يومين إلى سبعة أيام تظهر الأعراض لأول مرة. وقد تظهر الأعراض ـ بعد ذلك ـ على فترات نتيجة لنشاط (الفيروس) الكامن وهى:

١ ـ تنميل (numbness)وحرقان على الجزء من الجلد الذى سوف يظهر فيه المرض.

٢ ـ ظهور فقاقيع صغيرة، أو حويصلات مائية على أرضية حمراء، وتظهر هذه الفقاقيع على الفرج والمهبل وعنق الرحم.

٣ ـ تنفجر هذه الفقاعات وتترك قُرحاً سطحية مؤلمة للغاية.

٤ ـ حرقان وألم شديد عند التبول.

٥ ـ حرقان وألم شديد عند الجماع.

٦ ـ أعراض تشبه الأنفلونزا مثل: التعب، والإرهاق، وارتفاع طفيف فى درجة الحرارة.

٧ ـ إفرازات صفراء أو خضراء، أو شفافة.

٨ ـ احتباس فى البول نتيجة الالتهاب الشديد.

الهربس التناسلى والحمل :

تكون أعراض هذا المرض أكثر حدة أثناء الحمل، وقد ينتقل المرض إلى الطفل أثناء الولادة مما يؤدى إلى وفاته.

الهربس وسرطان عنق الرحم :

لوحظ ارتفاع نسبة حدوث سرطان عنق الرحم مع المصابات بالهربس.

أمراض تناسلية أخرى

١ ـ **القرحة الرخوة** : وتظهر على شكل قرحة لينة مؤلمة جداً على الأعضاء التناسلية ، مع تضخم الغدد الليمفاوية الموضعية، وقد يتكون بها صديد.

٢ ـ **الالتهاب الكبدى نوع (ب)** : ينتقل هذا المرض عن طريق الدم، والحقن، وكذلك عن طريق الاتصال الجنسى الطبيعى، وكذلك الشاذ ويسبب: مرض الصفراء، ثم تليف الكبد، ثم فشل الكبد ثم الوفاة.

ـ **(ليمفوجرانيولوما فينيروم)** : يبدأ المرض بقرحة صغيرة على الأعضاء التناسلية، ثم تتضخم الغدد الليمفاوية الأربية، وتحدث (خراريج) بها، ثم تحدث (نواسير) بين الغدد وسطح الجلد.

٤ ـ **(ليمفوجرانيولوما انجوينال)** : وهى عبارة عن قرح على الجهاز التناسلى مع تضخم الغدد الليمفاوية الأربية، وحول الشرج، مما يسبب انسداد المهبل والشرج، وقد يتحول إلى سرطان فى حالة إهمال العلاج

طرق الوقاية : من الممكن تحديد طرق الوقاية من الأمراض التناسلية فى طريق واحد وهو : الالتزام بتعاليم الدين الاسلامى الحنيف والتمسك بشرائع الله.

الأسرة ودورها فى عملية التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/ عبد السلام ناصف

يبدأ الإنسان نموه من خلية واحدة تنمو فى « قرار مكين » فى رحم الأم ـــ إلى عدة بلايين من الخلايا المتمايزة المتخصصة ، ثم يصير إلى ماأراد الله سبحانه وتعالى من نوع وصورة قال رب العزة ـــ سبحانه وتعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾ ﴾ سورة آل عمران

واهتم علماء النفس والاجتماع بدراسة النمو حيث تعتبر التغيرات التى تحدث فى هذه المرحلة ذات أثر بعيد فى حياة الفرد . ومن عجب أن يزداد وزن الجنين نحو ستة آلاف مليون ضعف منذ كان نطفة إلى أن صار وليداً ، بينما لا يتضاعف وزنه أكثر من عشرين ضعفا من بعد مولده حتى يبلغ رشده ففى الشهر السابع يتم نمو الجهاز العصبى للطفل ، ويكتمل نمو أعضاء جسمه ، وإمكانياتها الوظيفية وفى الشهر التاسع يكون الطفل مستعداً للحياة .

وتؤثر العوامل الوراثية والبيئية كالجنس واللون وتفاصيل الملامح فى سلوك الطفل إلى جانب حالة أمه الصحية والنفسية التى تهتم بها المؤسسات الأممية الدولية .

ويبدأ الطفل فى النمو جسمياً ، وحسياً ، وحركياً ، وانفعاليا وعقلياً ويرتبط هذا النمو بمستوى درجة ذكائه وصحته العامة وسلامة جهازه العصبى ، ودرجة ثرائه الاجتماعى والحضارى فى البيئة التى يعيش فيها .

ومع بداية اهتمامه بغيره فإنه يميل إلى تقليد الكبار والتعاون مع رفاقه ، فتتطور عواطفه وانفعالاته ومداركه ويعتمد على لغة بيئته للتعبير والتفاهم والتخاطب — ويؤثر فى ثروته اللغوية مستوى اسرته الثقافى والاجتماعى والاقتصادى — وان بدت بعض المشكلات السلوكية تبدو فى حياته كميله للعدوان وعدم الالتزام بالطاعة — ومن ثم وجب وضع مقاييس ومعايير وحدود لسلوكه ، تحدد له مسارات للالتزام بالسير عليها — أو بمعنى آخر : تعد له أنماطاً سلوكية تُصبُّ فيها السلوك السوى المختار للالتزام بحدودها والسير على هداها — وتختلف من طفل عن سواه فى هذا النمو داخل تلك الأطر .

لذا نود أن نفرد للاسرة حديثا يعنى بكل جوانبها كمؤسسة تساهم فى تنشئة الطفل تنشئة اجتماعية باعتبارها أول وأهم مؤسسة فى حياته باعتبارها نوعاً من المشاركة الإيجابية والقانونية بين الرجل والمرأة . فهى عبارة عن وحدة انتاجية عضوية تقوم على اساس العلاقة الزوجية بين رجل وامرأة لتكون أول مؤسسة تتعهد الطفل وتقوم بصبغ سلوكه بصبغة اجتماعية ، إذ هى البادئة بأول عملية تنشئة اجتماعية وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه فى ضوء المعايير الاجتماعية السائدة والقيم المتعارف عليها بين كل طبقة وبين كل مجتمع .

قال تعالى :

﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾

سورة الذاريات — آية : ٤٩

تمتاز الاسرة بخصائص معينة تقوم على أساس الود والاخاء والحرية والصراحة ، ومن ثم يتعلم الطفل كيف يعيش وكيف ينمى اتجاهاته وميوله فى جوى سوى باعتبارها النموذج الأمثل للجماعة الاولية التى يتفاعل فيها الطفل مع اعضائها وجها لوجه ، ويتوحد معهم ، ويعتبر سلوكهم نموذجاً يحتذى به .

لذا وجب أن يتم اختيار اعضائها — المؤسسين — بدقة واحتراس وعلى الرجل — خاصة فى مجتمعاتنا الشرقية التى تعطيه الحق فى الاختيار لشريكة حياته — فى بناء أسرته وفق تعاليم الإسلام . إذ يقول رسولنا صلى الله عليه وسلم : (تخيروا لنُطفِكم فانكحوا الاكفاء وانكحوا إليهم) (١)

ويقول : (تزوجوا الولود الودود فانى مكاثر بكم الأمم) (٢) .

ويقول : (ألا أخبركم بخير مايكنز المرء ؟ المرأة الصالحة ، إذا نظر اليها سرته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته) (٣) .

فالاسرة هى الأمة الصغيرة التى تعلم الطفل أفضل خلق فى جو مفعم بالرحمة والود والرأفة والغيرة والعزة والوفاء والمروءه والايثار ولولاها ماكان توارث وبها يحفظ النوع الإنسانى إذ لا أمة بلا أسرة بل لا آدمية فاضلة حيث لا أسرة .

(١) اخرجه ابن ماجه والبيهقى وصححه الحاكم .
(٢) رواه ابو داود ج٢/٢١٩ والنسائى والحاكم واحمد ج٣/١٥٨ .
(٣) اخرجه الطبرانى فى الاوسط ، والحاكم وصححه الذهبى ووافقه .

وتقوم الأسرة على انها كيان دائم ملىء بالود والوئام فقد قال الله تعالى .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾ (٤)

أسس قيام الأسرة فى الإسلام :

اكد الإسلام على اختيار الزوجة باعتبارها بيئة عضوية مؤثرة فى تكوين الجنين ونموه ، والمحافظة عليه فى الرحم وعند المولد وفى الرضاع والعناية بنظافته وتغذيته ، وتحصينه وعلاجه وتربيته وإعداده للمؤسسات التخصصية التى تليها بالرعاية والتربية والتعليم تحت اشرافها — فهو فى المدرسة او النادى أو الشارع أو مع الرفاق يكون تحت رعايتها . لذا فقد اشترط الإسلام حسن الاختيار وركز الدين بصفة خاصة على اختيار الزوجة من حيث الأصل والنشأة والمساواة والمودة والرحمة والتكافل الاجتماعى فقال صلى الله عليه وسلم : (تنكح المرأة لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فأظفر بذات الدين تربت يداك) (٥)

ويقول الامام مالك — رضى الله عنه — أهل الإسلام كلهم لبعضهم أكفاء ويقول صلوات الله عليه وسلامه : (أربع من السعادة — منها المرأة الصالحة) (٦)

إذ أن اختيار الزوجة الدقيق يؤثر فى ولدها ، إذ هى منوط بها تخريج جيل إسلامى يحمل على اكتافه عبء الدعوة إلى الله .

ولقد حثت السنة ولى أمر الزوجة بتحرى الدقة فى إختيار شريكها والتأكد من خلقه ودينه فلقد قال صلى الله عليه وسلم : (إذا خطب إليكم من ترضون دينه ، وخلقه فزوجوه . إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير) (٧)

وقال الحسن — رضى الله عنه — لولى أمر زوجة : (زوجها رجلا يتقى الله ، إن أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها)(٨) .

كذا يود الإسلام أن تؤسس الأسرة على الدين والخلق فيعلو بنيانها ، محتضنا فى داخله نفوساً ساكنة ، هادئة ، مطمئنة ، مستقرة ، يأنس بعضها الى بعض ومن بيت صلاح وتقوى لتكون الذرية طاهرة صالحة إذ ينشأ الاولاد على العفة والطهارة والاستقامة .

فعلى راغبى الزواج أن يحسنوا الاختيار إن ارادوا أن يكون لهم ذرية صالحة وسلالة طاهرة وابناء مؤمنين وبنات مؤمنات ، ففى سوء الاختيار — كتفضيل الجمال أو المال — لا تتحقق للحياة الزوجية غير الأذى والصراع والتنافر مادام الدين قد غاب ولم يؤخذ فى الاعتبار عند الاختيار — تعاليم ديننا الحنيف فى هذا المجال .

ولقد وضع الإسلام أسسا لصيانة الأسرة نجملها فيما يلى :

١ — غض بصر الزوج والزوجة عن كل ماحرم الله : فيقول رب العزة سبحانه —

(قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡ

(٤) الحجرات الآية ١٣ .

(٥) رواه البخارى وابو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم واحمد .

(٦) اخرجه ابن حبان واحمد والبزار والحاكم .

(٧) اخرجه الترمذى ١٠٩٠ وصححه الذهبى .

(٨) اورده البغوى فى شرح السنة ١١/٩ .

﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾)

سورة النور

٢ ـــ التزام الادب فى التعامل مع مختلف الأسر فيقول جل جلاله : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ) الاحزاب/٥٣ .

٣ ـــ الاستئذان فى دخول البيوت وتحديد مواعيد التزاور .

٤ ـــ الالتزام بعدم سفر المرأة الا مع محرم اذ ورد فى الحديث الشريف (لا تسافر المرأة ثلاثة ايام الا مع ذى محرم) البخارى ٦٥٩/٢ .

٥ ـــ النهى عن ابداء الزينة الا للزوج وذوى القرابة من المحارم سواء كانت الزينة مادية أو معنوية .

٦ ـــ النهى عن الاختلاط اذ هو باب لفوضى الاخلاق لما يحمله من وباء يكثر صرعاه ويزداد ضحاياه .

٧ ـــ النهى عن اشاعة الفاحشة بين المسلمين فيقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ ﴾ النور ١٩

وهكذا يلبى الاسلام بنظامه العام حاجات الاسرة الضرورية للحفاظ عليها وصيانتها من كل مايدنسها ويشوه صورتها ويعطل مسيرة نهضتها ويجعل منها خلية صالحة تهيىء للطفل جوا عائليا يساعده على النمو وتكوين شخصيته وعاداته واتجاهاته وميوله اذا ماالتزمت بالسير على هذه الركائز :

١ ـــ تحقق حاجة الطفل للحب وشعوره بأنه مرغوب فيه ، وقد يفقد الكثير من هذه الوجبة تحت مسمى عمل المرأة .

٢ ـــ تحقيق ذاتية الطفل وتنمية قدراته وامكانياته بالتشجيع والاستحسان .

٣ ـــ تخلصيه من حب ذاته واحترام حقوق غيره .

٤ ـــ تعويده على التحلى بالنماذج المثلى بصدق وواقعية .

٥ ـــ الاعتدال فى المعاملة والتعامل .

٦ ـــ التمسك بعادات المجتمع وتقاليده واعرافه .

ولقد اجريت بعض الدراسات الاجتماعية التى توضح دور الاسرة فى عملية التنشئة الاجتماعية خلصت الى بعض نتائج من أهمها :

أولا : نظام تغذية الطفل يؤثر فى حركته ونشاطه فعادة مص الاصابع عادة ما تكون نتيجة لعملية الرضاعة غير المستقرة ـــ كما ان الفطام المفاجىء قد يحدث نوعا من الاضطراب لديه ـــ كما ان التزمت فى عملية الرضاعة والقسوة فى الفطام قد تدفع الطفل الى الوهن النفسى اى الاعتماد على غيره .

ثانيا : قسوة الوالدين قد يؤدى الى الميل الى العدوان .

ثالثا : الوفاق بين الوالدين وقيام العلاقات السوية بينها يخلق جوا يشبع حاجة الطفل نفسيا واجتماعيا وينمى لديه الثقة والأمان وتقبل الآخرين .

رابعا : التوازن بين الحرية والانضباط والتدريب الحكيم عليها يخرج جيلا سويا من الاطفال .

خامساً : تصدع العلاقات الاسرية او انهيار الجو الاسرى قد يؤدى الى اضطرابات نفسية وفقد للثقة والأمان بما يزيد نسبة الجنوح إذ أثبتت بعض الدراسات الانجليزية أن هناك ٢٨٪ من الجانحين من أسر غير سوية .

« وَيَخلُقُ مَا لاَ تَعلَمُونَ ... »

الجديد فى العلم والتقنية

إعداد : د / نجوى السيد أحمد (*)

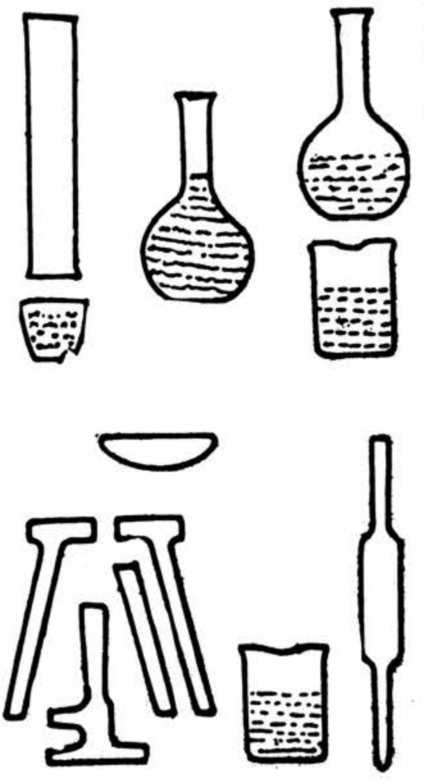

الإملاء على الحاسب الآلى بالعربية :

أعلنت إحدى الشركات العالمية للحاسب الآلى عن توافر نظام يتيح للمستخدم العربى إملاء الوثائق بصوته المجرد لإخالها إلى الحاسب الآلى ، وهذا النظام يتيح التعرف على ٣٢ ألف كلمة و ٢٠ ألف كلمة يضيفها المستخدم عبر عملية التدريب ، ويتطلب الإملاء الصوتى أن يكون كل كلمة عبر ميكروفون صغير حساس ، فيتحول الإملاء إلى نص مكتوب على الشاشة يمكن إخضاعه للتصحيح والتعديل والضبط ، ثم يعطى الإنسان بصوته ـ أيضاً ـ أمر الطبع فيتحول ما قاله إلى نص مكتوب .

٢ ـ تزويد السيارات آلياً بالبنزين :

تم تصنيع جهاز آلى « روبوت » فى ألمانيا لتزويد السيارات آلياً بالبنزين حيث يتحرك الجهاز بمجرد أن تلمس العجلات الأمامية للسيارة شريطاً خاصة بمحطة البنزين ، فتقوم ذراع فولاذية بمساعدة آلات تصوير بفتح غطاء الخزان وتعبئة البنزين خلال دقيقتين .

(*) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدقى

تحذيـر من خطـورة الأشعـة فوق البنفسجية :

حذرت دراسة علمية أمريكية من أن الأشعة فوق البنفسجية التى تسبب سرطان الجلد ومرض العيون المسمى بالمياه الزرقاء ، قد زاد تدفقها على الأرض خلال السنوات الأخيرة مع تآكل طبقة الأوزون التى تحمى الأرض من الأشعة الكونية الضارة ، وتؤكد الدراسة أن الزيادة فى معدلات نفاذ هذه الأشعة حدثت عند خطوط العرض المتوسطة والعالية حيث يعيش معظم سكان العالم وحيث تقع معظم الأراضى الزراعية وسوف تكون هذه الأشعة مدمرة ليس فقط للإنسان ، ولكن لبعض أنواع المحاصيل الزراعية والحياة البحرية .

جهاز تمييز درجات الألوان آلياً :

ابتكرت شركة بريطانية جهازاً صغيراً يساعد فى اختيار الألوان وفحص درجات اللون المطلوب فى الأقمشة والملابس ، والجهاز يحتوى على شاشة عرض من الكريستال السائل ، وزر للتشغيل ، والآلة تعمل ببطارية يعاد شحنها ، وفكرة الجهاز تعتمد على وضعه فوق قطعة القماش أو على الملابس ثم الضغط على زر التشغيل فيظهر على الشاشة إشارة إلى الاختلاف فى اللون أو مدى جودته ، وهنا تكون حرية الاختيار فى الألوان بعد عرض جميع درجاتها .

أكياس هوائية لحماية ركاب السيارات

صممت شركة أمريكية لصناعة السيارات أكياساً هوائية لحماية ركاب السيارات فى حالة التصادم ، وكيس الهواء موجود داخل أنبوبة فى حجم أنبوبة معجون الأسنان ويوجد حول حافة المقاعد الأمامية ، وعندما يحدث التصادم فإنه يضرب لوحة خاصة بتفجير الغاز الذى يملأ الكيس فى أقل من ثانية وبذلك يمنع التصادم بين الركاب والجسم المعدنى للسيارة .

أسطوانة ضخمة تسحب الفحم من المناجم :

أنتجت شركة بريطانية للصناعات الفولاذية أسطوانة ضخمة يمكنها سحب حوالى عشرة ملايين طن من الفحم سنويا من عمق يصل الى كيلومتر تحت الأرض ، وتقوم الشركة بتحويل الكتل المعدنية المصبوبة والمعدة للتشكيل إلى مجموعات كبيرة من المكونات الهندسية لمحطات الطاقة الكهربائية والتوربينات البخارية ومولدات القدرة الكهربائية من خلال ورش عملاقة للكبس والتشكيل الحرارى .

إنتاج البروتين من حرير القز :

حاول العلماء الفرنسيون إنتاج بعض الأدوية النادرة من حرير دودة القز عن طريق الهندسة الوراثية ، وقد كان الهدف الرئيسى من محاولاتهم هو انتقاء سلالات من دود القز تنتج حريراً أكثر

مقاومة وأكثر مناعة لأعراض متعددة ، كما يمكنها أن تنتج بروتينات قيمة مع ماتفرز من خيوط الحرير . وقد جذب هذا الاتجاه بعض الشركات العاملة فى مجال التقنية الحيوية ، فأولت اهتماما خاصا بتطوير معالجة دود القز وراثياً .

أسلوب جديد لتشخيص سرطان الرحم

اكتشف مجموعة من الأطباء فى النمسا أسلوبا جديدا لتشخيص سرطان تجويف الرحم فى مراحله المبكرة عن طريق وجود علاقة وثيقة بينه وبين نسبة هرمون الميلاتونين فى الدم ، وأثبتت الدراسة التى أجريت أن السيدات اللاتى يعانين من سرطان تجويف الرحم تنخفض لديهن ــ أيضا ــ نسبة الميلاتونين فى الدم الى مستويات أقل من الأصحاء بمعدل كبير ، وتكون نسبة هرمون الميلاتونين فى الصباح أكبر ما يمكن ، وفى الظهيرة أقل ما يمكن لتأثره بكمية الضوء .

علاج سرطان الدم بطريقة جديدة

تمكن العلماء ــ مؤخراً ــ من استخدام خلايا دم الأم الموجودة فى مشيمة الأطفال حديثى الولادة كعلاج لسرطان الدم ، وذلك بعد أن نجحوا فى استخدام هذه الخلايا كبديل فعال للنخاع العظمى الذى كان يتم الحصول عليه من المتبرعين ، ويتوقع العلماء أن تفتح هذه الخطوة المجال أمام إنشاء بنوك لخلايا دم الأم المأخوذة من المشيمة للمساهمة فى القضاء على ندرة الأشخاص المناسبين لمنح المرضى نخاعاً عظمياً صالحاً للزرع يشفيهم من المرض .

حليب جديد سهل الهضم

أنتجت شركة أمريكية حليبا يضاهى حليب البقر الطبيعى بل يتميز عليه ، فهو قليل الدسم وخال من الكلوسترول ، كما يحتوى على نسبة قليلة من سكر الحليب (اللاكتوز) الذى يسبب الغازات الهضمية فى الكبار فينفرهم من شرب الحليب الطبيعى ، والحليب الجديد مصنع من المادة السائلة الموجودة فى اللبن والتى تنفصل عنه فى صناعة الجبن مضافا إليها زيت نباتى ومغذيات ومشتقات بعض الأعشاب البحرية .

من فوائد العنب

أثبتت الأبحاث العلمية أن العنب يحتوى على نسبة لابأس بها من الحديد والكالسيوم وفيتامينات أ ، د ، هـ ، ج ، كما يحتوى على بعض الإنزيمات والأحماض العضوية التى تفيد فى معادلة الأحماض الضارة المتخلفة عن هضم بعض الأطعمة فى الجسم مثل : اللحوم والأسماك والدهنيات والحبوب فكلها مصادر غذائية هامة ولكن ينتج عن هضمها أحماض حرة ضارة بالجسم تؤدى إلى اضطرابات فسيولوجية والأحماض الموجودة فى العنب تعادل هذه الأحماض الضارة .

اللغة والنقد والأدب

أبو منصور الثعالبى

وكتابه فقه اللغة

د. محمد رياض السيد كريم (*)

أولا : أبو منصور الثعالبى :

هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبى ، ولم تزد كتب التراجم فى نسبه على هذا ، وقد ولد سنة ٣٥٠ هـ بإجماع من أرّخ له ، وكان مولده بنيسابور ببلاد فارس .

(*) الكاتب ـ أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر ـ الزقازيق .

نشأته وحياته :

سكتت كتب الطبقات والتراجم عن كثير مما يتعلق بهذه الشخصية الفذَّة ، فلم ترو لنا شيئا عن نشأة هذا العالم الجليل ، ولا عن أسرته وحياته .. والمصادر التى استقى منها معارفه وآدابه ، وما صادف من أحداث وأحوال ، وما عسى أن يكون قد تقلده من وظائف وأعمال ، كما صمتت أو كادت عن شيوخه وتلاميذه ، وصلاته بالسلاطين والملوك والأمراء والوزراء والعلماء والكتاب والشعراء من معاصريه ، فحياته تكاد تكون مجهولة أو شبه مجهولة ، وكل ما يُعرف عنه أنه صاحب التصانيف الكثيرة التى بعثر الزمن بعضها وانتهى إلينا منها جملة رائعة تشير إلى صاحبها ومكانته فى العلم واللغة والأدب .

ويظهر أن أبا منصور الثعالبى كان من أسرة متواضعة تعمل فى خياطة جلود الثعالب وعملها ، ولذا لقب بالثعالبى نسبة إلى هذه الصناعة ، فقد كان فراء[1] ، وإلى جانب ذلك عمل مؤدب صبيان فى مكتب[2] ، ويبدو أن « عمل الجلود لم يكن صناعة يعيش منها ، ويحيا لأجلها ، بل كانت من الأعمال التى يعالجها المؤدبون فى الكتاتيب وهم يقومون بالتأديب والتعليم ، وما أشبه هذه الحال بحال مؤدبى الصبيان فى مكاتب القرية المصرية فى عهد مضى ، وقد شد كل منهم خيوط الصوف إلى رقبته والمغزل فى يده[3] .

وقد ترقى أبومنصور بجهده وبما وهبه الله من عقلية واعية ، وذكاء بارع ، إلى مرتبة رفيعة ، فصار ـ كما يقال : إمام وقته[4] ، و « يلقب بجاحظ زمانه »[5] ، وسار فى زكاب السلاطين والملوك والأمراء والوزراء والرؤساء وأعيان العصر ، فهو القائل : « طال ما لقيت فى شيبتى وكهولتى وعند شيخوختى وعلو سنى أعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، ونجوم الأرض ، وبدور الصدر ، من أصحاب الأقلام والسيوف[6] » .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان : ٣٥٢/٢ واللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير : ٢٣٧/١ .

(٢) طبقات النحاة واللغويين لابن شهبة الأسدى : ١١٠/٢ ومن عيون التواريخ لابن شاكر الكتبى : ٤٦٠/١٣ ، وهما مخطوطان بدار الكتب المصرية الأول تحت رقم ٢١٤٦ تاريخ تيمور ، والثانى تحت رقم ١٤٩٧ تاريخ .

(٣) فقه اللغة وسر العربية للثعالى تحقيق مصطفى السقا وآخرين : ص ٥ .

(٤) المختصر فى أخبار البشر لأبى الفداء : ١٦٢/٢ .

(٥) من عيون التواريخ لابن شاكر (٤٥٧/١٣) وطبقات النحاة واللغويين لابن شهبة (١٠٨/٢) آ

(٦) تتمة اليتيمة للثعالبى : ٦٨/٢ .

وقد أصاب من وراء ذلك خيرا كثيرا ، فعاش فى نعمة عريضة ، وثراء واسع ، وأصبح من ملاك الضياع والرقيق ، فقد ذكر فى مقدمة كتابه (فقه اللغة) أنه استأذن الأمير (أبا الفضل الميكالى[7] صديقه فى الخروج إلى ضيعة له ، ليخلو إلى تأليف كتابه المذكور ، واستعمار تلك الضيعة ، ووجدناه يشكر هذا الأمير على سقيه كرماله بقوله :

يا بَدْرَ صدْرِ بنيسابـــورَ مطلعُـــــهُ   وبحرَ جود لأهــل الـــفضل مترعُـــهُ
سقَــيْتَ كرمـــى ماءً فيـــه أربعـــةٌ   من الميـــاه وخيـــرُ الماء أنفعُـــهُ
ماء الحيـــاة ومـــاء الوجـــه يشفعُـــهُ   ومـــاء الشبـــاب ومـــاء الـــورد يتبعـــهُ

ثم قال :

للعـــرف تصنعُـــهُ والخير تزرعُـــهُ   والمجد تجمعــــه والمدح تصنعـــــهُ[8]

ووجدناه أيضا يقول فى مملوك له باعه :

يا دهـــر حسبك قد أطـــلتَ نحيبـــى   وتركتنـــى فى موطنـــى كغـــريب
وسلبتنـــى ثوب السرور بجامـــــع   ما بين وصفـــى خادم وحبـــــيب[9]

شـــيوخه :

لم تشر كتب الطبقات والتراجم التى رجعت إليها إلى شيوخ أبى منصور الثعالبى الذين كان لهم فضل فى صنع هذه العبقرية التى كان لها أياد بيضاء على اللغة والأدب اللهم إلا ما ذكره أبوالبركات الأنبارى فى كتابه (نزهة الألباء) من أخذه عن أبى بكر الخوارزمى[10] ، وقد ذكر له الثعالبى ترجمة وافية فى الجزء الرابع من كتابه (يتيمة الدهر) وذكر نماذج من شعره ونثره ، وقد وجدته فى كتابه (فقه اللغة) يقدم لبعض فصوله بقوله : « فصل وجدته فى تعليقاتى عن أبى بكر الخوارزمى[11] » .

---

(٧) هو الأمير أبوالفضل عبيد الله بن أحمد بن على الميكالى ، أديب شاعر ، من أهل نيسابور ، من مصنفاته : مخزن البلاغة ، فضائل الموك ، ديوان شعره ، مات سنة ٤٣٦ هـ ، انظر ترجمته فى : يتيمة الدهر للثعالبى (٣٥٤/٤) ومعجم المؤلفين لكحالة (٢٣٧/٦) .

(٨) خاص الخاص للثعالبى : ص ١٩٠ .

(٩) المصدر نفسه .

(١٠) نزهة الألباء : ص ٣٦٥ .

(١١) فقه اللغة وسر العربية : ص ٤٤ .

وهو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى ، أصله من (طبرستان) ، ومولده ومنشؤه فى (خوارزم) ، وكان يتسم بالطبرى ، ويعرف بالخوارزمى ، ويلقب بالطبرخزمى ، وهو شاعر أديب ذو مكانة عند حكام عصره ، وقد استفاد من صلته بهم مالا وفيرا ، وقد توفى فى شوال سنة ٣٨٣ هـ ، وكان مولده فى سنة ٣٢٠ هـ[١٢] .

تلاميـــذه :

مما لا شك فيه أن أبا منصور كان له تلاميذه الدين ظفروا بالتلقى عنه ، والتأدب على يديه ، إلا أن كتب التراجم صمتت عن هؤلاء التلاميذ ، ولهذا لم نعرف له منهم سوى تلميذ واحد هو (أبوالحسن على بن الحسن الباخرزى) الأديب الشاعر المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ، صاحب كتاب (دمية القصر وعصرة أهل العصر) الذى يعد ذيلا لكتاب أستاذه (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) ، وقد حدثنا عن برّ أستاذه به فى كتابه المذكور بقوله : « وكنت وأنا بعد فرخ أزْغب فى الاستضاءة بنوره أزَغب ، وكان هو ووالدى بنيسابور لصيقى دار ، وقريبى جوار ، فكم جملة كتب تدور بينهما فى الإخوانيات وقصائد يتقارضان بها فى المجاوبات ، وما زال بى رءوفا ، وعلىّ حانيا ، حتى ظننته أبا ثانيا ، ــ رحمة الله عليه ــ كل صباح تخفق رايات أنواره ، ومساء تتلاطم أمواج قاره[١٣] » .

وعلى الرغم من اعترافه بفضل أستاذه عليه ، وبرّه به ، نجده قد قصر فى حقه حيث لم يذكر لنا شيئا عن حياته وكتبه (١٤) ، وشيوخه وتلاميذه ، ولو فعل لأزال كثيرا من الغموض الذى أحاط بحياة هذا العبقرى الذى ملأ صيته سمع الزمان وبصره .

منزلته العلمية :

لأبى منصور الثعالبى منزلة سامية ، ومكانة رفيعة عالية ، تشهد له بها كتبه ، فقد برع فى الأدب واللغة ، ونال حظوة عند ملوك وأمراء عصره ، وقد اعترف بفضله القدماء والمحدثون ، فهذا (أبوإسحاق الحُصرى القَيْروانى) صاحب كتاب (زهر الآداب) المتوفى سنة ٤٥٣ هـ يقول : « وأبو منصور هذا يعيش إلى وقتنا هذا ، وهو فريد دهره ، وقريع عصره ، ونسيج وحده ، وله مصنفات فى العلم والأدب تشهد له بأعلى الرتب[١٥] .

(١٢) انظر يتيمة الدهر : ٢٠٤/٤ وما بعدها .

(١٣) دمية القصر للباخرزى : ص ١٨٣ .

(١٤) زهر الآداب : ١٦٨/١ .

(١٥) دمية القصر : ص ١٨٣ .

ووصفه تلميذه أبو الحسن على الحسن الباخرزى المتوفى سنة ٤٦٧ هـ ، بأنه « جاحظ نيسابور » ، وزبدة الأحقاب والدهور ، لم تر العيون مثله ، ولا أنكرت العيون فضله ، وكيف ينكر وهو المزن يحمد بكل لسان ، أو يستر وهو الشمس لا تخفى بكل مكان ؟[١٦] .

و « قال ابن بسام صاحب الذخيرة (المتوفى سنة ٥٤٢ هـ) فى حقه : كان فى وقته راعى تلعات العلم ، وجامع أشتات النثر والنظم ، رأس المؤلفين فى زمانه ، وإمام المصنفين بحكم قرانه ، سار ذكراه سير المثل ، وضربت إليه آباط الإبل ، وطلعت دواوينه فى المشارق والمغارب طلوع النجم فى الغياهب[١٧] .

وقد علق الدكتور زكى مبارك على كلمة ابن بسام بقوله : « عبارة ابن بسام هذه قد تبدو وكأنها نوع من المدح الفضفاض الذى يقال بلا حساب ، ولكن الواقع أن (الثعالبى) فوق كل مدح ، وفضله على اللغة العربية أعظم من أن يقدر ، وماظنك برجل لو ضاعت مؤلفاته لفقدت اللغة العربية جزءا عظيما من ثروتها الأدبية ، ومن الذى يستطيع أن يجدد خسارة الأدب لو ضاعت (يتيمة الدهر) أو (ثمار القلوب)[١٨] .

وأهمية الثعالبى عنده ترجع إلى أنه « شغل بتدوين الفنون الأدبية واللغوية ، فقدم لأهل عصره ولقراء اللغة العربية فى مختلف الممالك وعلى اختلاف الأجيال غذاء قويا للعقول والمشاعر والأذواق ، ووضع أمام قرائه صورا مختلفة للقرائح والعبقريات التى عرفها بنفسه ، أو سمع بأخبارها ، أو قرأ آثارها ، حتى يمكن الحكم بأن القرن الرابع كان يمحى أو يكاد لو لم يظفر بذلك الحافظ الأمين[١٩] .

وفى أبى منصور يقول أبوالفتح على بن محمد البستى :

قلبى رهينٌ بنيسابور عند أخ ما مثله حين تستقرى البلادَ أخ
له صحائف أخلاق مهذَّبة من الحجا والعلى والظرف تنتسخ[٢٠]

(١٦) وفيات الأعيان (٣٥٠/٢) ومفتاح السعادة لطاش كبرى زاده : (٢٣٢/١) .
(١٧) من مقال للدكتور زكى مبارك فى مجلة البلاغ الأسبوعى (العدد ١٧٢ ـ السنة الرابعة ـ يوليو سنة ١٨٣٠ م) ص ١٤ .
(١٨) المصدر نفسه .
(١٩) زهر الآداب : ١٦٩/١ .
(٢٠) تتمة اليتيمة : ٦٩/٢ .

ويقول أبو الحسن مسافر بن الحسن الذى أهدى إليه أبومنصور الثعالبى كتابه (خاص الخاص) :

أفدى الإمامَ الأوحدَ الفرد الذى من شاء فردَ زمانه فليُسمه
لا زال منصورا كما يُكنى به ولتفتخر روحٌ غدتْ فى جسمه
ففداء أرواح الورى من كُتْبه والظرفُ فيهم من لطائف رسمه[٢١]

كتبه :

رزق أبومنصور الثعالبى البركة فى التأليف ، فألف كتبا كثيرة ، من أشهرها كتاب (يتيمة الدهر) وكتاب (فقه اللغة) ، وكتبه تدل على علو كعبه فى ميدان اللغة والأدب ، وترق به إلى أعلى الرتب ، فقد كان ـ رحمه الله ـ عبقرية فذة ، وعقلية نادرة ، صاغت الدرر والغرر ، والظرائف واللطائف ، فى عرض شائق ، وأسلوب راق رائق ، جعل نتاجه جديرا بأن يهدى للسلاطين والملوك والأمراء والوزراء فى وقته ، وحريا بإعجاب قراء العربية على مرّ القرون ، وتعاقب الأجيال ، فكتبه جذابة ممتعة ، تشدك إليها شدا ، وتأسرك بحسنها أسرا ، وهى وإن كانت كثيرة العدد إلا أن بعضها رسائل صغيرة ، ذات أوراق قليلة ، ولكنها ثقيلة الوزن ، كبيرة الغُنم .

وقد ظهر لنا أنه كان بعيد النظر فى بعض كتبه التى أخرجها للناس ، فيهذب فيها وينقح ، ويرتب وينظم ، ويضيف ويجدد ، كى تخرج مرة أخرى فى ثوب قشيب له رونقه وبهاؤه ورواؤه ، مما يدل على تطلعه إلى الجودة والكمال ، كما فعل فى كتابه (يتيمة الدهر) وغيره .

يقول فى مقدمة يتيمة الدهر بعد أن ذكر أنه ألفه فى صدر شبابه سنة ٣٨٤ هـ : « وحين أعرته على الأيام بصرى ، وأعدت فيه نظرى ، تبينت مصداق ما قرأته فى بعض الكتب أن أول ما يبدو من ضعف ابن آدم أنه لا يكتب كتابا فيبيت عنده ليلة إلا أحب فى غدها أن يزيد فيه أو ينقص منه ، هذا فى ليلة واحدة ، فكيف فى سنين عدّة ؟[٢٢] .

ثم يقول : « فاختلست لمعة من ظلمة الدهر ، وانتهزت رقدة من عين الزمان ، واغتنمت نبوة من أنياب النوائب ، وخفة من زحمة الشوائب ، واستمررت فى تقرير هذه النسخة الأخيرة ، وتحريرها من بين النسخ الكثيرة ، بعد أن غيّرت ترتيبها ، وجددت تبويبها ، وأعدت توصيفها ، وأحكمت تأليفها ، وصار مثلى فيها كمثل من يتأنق فى بناء داره التى هى عشه وفيها عيشه[٢٣] .

---

(٢١) يتيمة الدهر : ٥/١ .
(٢٢) المصدر نفسه : ٦/١ .
(٢٣) الكناية والتعريض : ص ٢ .

وقد ذكر أن الأمير أبا العباس مأمون بن مأمون خوارزم شاه طلب نسخة من كتابه (الكناية والتعريض) وإرسالها إلى خزانة كتبه ، فأعاد نظره فى الكتاب ، وهذّبه وذهّبه ، وأنشأه نشأة أخرى ، يقول فى مقدمته : « قد كنت ألفته بنيسابور فى سنة أربعمائة ، فلما جرى ذكره على اللسان العالى ـ أدام الله علاه ـ وخرج الأمر المتمثل ـ أدام الله رفعته ـ بإنفاذ نسخة منه إلى الخزانة المعمورة ـ أدام الله شرفها ـ أنشأته نشأة أخرى ، وسبكته ثانية بعد أولى ، ورددت فى تبويبه وترتيبه ، وتأنقت فى تهذيبه وتذهيبه ، وترجمته بكتاب الكناية والتعريض ، وشرفته بالاسم العالى ، ثبّته الله ما دامت الأيام والليالى[٢٤]

وذكر أيضا أنه أخرج كتابه (سحر البلاغة وسر البراعة) فى نسختين متقاربتى الكمية والكيفية ، متشاكلتى الصنعة والصيغة ، أهدى إحداهما إلى الشيخ الرئيس (أبى سهل أحمد بن الحسن الحمدونى) ، وأهدى الأخرى إلى صاحب الجيش (أبى عمران موسى بن هارون الكردى) ، ثم أخرجه مرة أخرى فى نسخة تجمع بينهما ، وتزيد فضل تنقيح وتهذيب ، وزيادة طرائف ولطائف ، وأهداها للأمير أبى الفضل الميكالى[٢٥] .

وفـــاته :

توفى أبومنصور الثعالبى ببلدة نيسابور[٢٦] بعد حياة حافلة بالتأليف والنتاج الأدبى الوفير ، وثمة خلاف يسير بين من أرخوا له فى تحديد السنة التى توفى فيها ، والمشهور أنه توفى سنة ٤٢٩ هـ ، وقد ذكر هذه السنة تاريخا لوفاته (ابن خلكان)[٢٧] وغيره[٢٨] ، وذكر (ابن شاكر الكتبى) وغيره أيضا أنه توفى سنة ٤٣٠ هـ[٢٩] .

وهذا الاختلاف اليسير فى تاريخ وفاته لا تترتب عليه نتائج ذات بال ، وقد يكون منشؤه أنه توفى فى نهاية سنة ٤٢٩ هـ فحدث هذا اللبس .

---

(٢٤) سحر البلاغة : ص ٥ ،٦ .

(٢٥) الموسوعة العربية الميسرة : ص ٥٨٠

(٢٦) وفيات الأعيان : ٣٥٢/٢ .

(٢٧) المختصر فى أخبار البشر (١٦٢/٢) والبداية والنهاية (٤٤/١٢) وهدية العارفين (٦٢٥/١) والأعلام (٦٠٠/٢) .

(٢٨) من عيون التواريخ لابن شاكر (٤٥٧/١٣) وانظر طبقات النحاة واللغويين (١١١/٢) والجنان (٥٣/٣) .

طبقات المحققين والمصححين

٨

الجيل الثالث أو الطبقة الثالثة من المحققين الأعلام

للأستاذ الدكتور السيد الجميلى

وهم تلاميذ الإبيارى ، وعبدالسلام محمد هارون ، ومحمد أبوالفضل إبراهيم ، من المعاصرين .

وكذلك الأستاذ الدكتور عبدالمجيد دياب ، وغيرهم من الأعلام الذين لهم إسهامات واضحة وبصمات مؤثرة فى نشر التراث العلمى والانسانى فى صورة علمية مشرقة ، ولنا ـ إن شاء الله ـ عودة أخرى للتعريج على مناهج هؤلاء جميعاً ، والجديد الذى أثروا به هذه النهضة الميمونة المباركة من تدقيق وتمحيص شهد له الصادر والوارد ، والله سبحانه وتعالى ـــ على كل خير وفضل مستعان به .

طبقات المصححين

● الطبقة الأولى من المصححين ، المقصودين من كلمة الأستاذ أحمد حسن الزيات – رحمه الله – التى تصدرت هذا المقال ، كان المقصود بهم هذه الطبقة الأولى من المصححين العلماء بـ « المطبعة الميرية » ، وكانوا نحو سبعة أو ثمانية كما أسلفت ، منهم : الشيخ قطة العدوى ، والشيخ حسن العدوى – رحمهم الله جميعاً رحمة واسعة .

كان هناك أيضا « الشيخ أحمد سعد على »، وكان أحد علماء الأزهر ، عمل رئيساً للتصحيح بشركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر .

حقق – رحمه الله تعالى – «سنن ابى داود» وهو أحد الصحاح الستة وقد عمد الشيخ أحمد سعد على إلى إخراج وضبط كثير من المتون إخراجا وضبطاً دقيقاً ، لعل أهمها كتاب (مجموع مهمات المتون) المطبوع فى المطبعة المذكورة ، وقد احتوى على متون عديدة فى : اللغة ، والنحو والصرف ، والأدب ، والفقــه ، والأصول ، والحديث ، والمنطق ، والحكمة ، وغيرها وهو مايصل عدده نحوا من ستة وستين متناً ، وقد نشر هذا المجموع سنة سبع وأربعين وتسعمائة وألف وهذا عمل جليل النفع ، عظيم العائدة والفائدة .

أيضا الشيخ عبدالوصيف محمد – رحمه الله – كان هو الآخر من علماء الأزهر الشريف ، وكان يعمل أيضاً شارحاً ومصححاً بمطبعة الحلبى فى حقبة الثلاثينيات وفى سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة وألف قام بضبط وتصحيح «التحفة السنية شرح الثمرات الجنية فى الأسئلة النحوية» من تأليف محمد بن محمد الأمير بن حسين ، مفتى المالكية . وهذا الكتاب النفيس نهل منه كثير من المؤلفين فى علم النحو والصرف والإعراب لما تميز به من أسلوب تعليمى يفيد المدرسين والدارسين على حد سواء ، وقليلون أشاروا إليه لكن الأكثر لم يشر إليه .

كان أبناء الأزهر من العلماء يدربون فى مطبعة بولاق على يد الشيخ العالم الجليل قطة العدوى – رحمه الله – ومنهم كانت الطبقة الأولى الذين صححوا كل كتب مطبعة بولاق ، والتى لاتزال نشراتها بين أيدينا حتى الآن ناطقة بحق وصدق على مدى إخلاصهم وإتقانهم .

الطبقة الثانية من المصححين

كانوا من أبناء الأزهر أيضا المجيدين للغة العربية والعلوم الشرعية ، وبجانبهم نخبة من أبناء دار العلوم ، الذين يجيدون اللغة العربية إجادة تامة ، كانوا يعملون مصححين فى دار المعارف ، ومكتبة الحلبى ، والمطابع الخاصة ، وكذلك مطبعة دار الكتب المصرية .

● من هذه الطبقة المرحوم الأستاذ عبداللطيف أبوحليمة وكان يعمل مفتشاً للغة العربية ، ثم موجها لها .

● والأستاذ كمال مصطفى – رحمه الله – وقد عرفته منذ خمس عشرة سنة تقريباً كان يقطن قريباً منى فى ضاحية المعادى ، وكان مدار حديثنا الدائم فيما بيننا التحقيق والنشر والطباعة .

وُلـدَ الأستاذ كمال مصطفــى فى الخامس والعشرين من يناير سنة ثلاث وتسعمائة وألف من

الميلاد.. وقد توطدت العلاقات الشخصية بيننا لدرجة كبيرة ، وكان يعتبرنى أحد أبنائه.. وقد عمل فترة خدمته ، مديراً للتفتيش بالنيابة الإدارية ، وأقام فى أول حياته بحلوان ثم انتقل إلى المعادى سنة ١٩٦٨ ، وكان قد عايش وعاين نهضة التحقيق الكبرى الشاملة مع أعلامه الكبار ، وكانت له مواقف مشهودة معهم .

وظللنا سنوات وسنوات نلتقى فى بيته أو فى مطبعة ابنه التى تعمل حتى الآن بالمعادى ، وكنت معه أكثر الوقت ، حيث كان يتمتع بطيبة القلب وسلامة الصدرة ورقة الشعور ، ودفء العاطفة.. وقد أسس مكتبة خاصة فى بيته تحتوى بضعة آلاف من الكتب النادرة والموسوعات الفريدة.. وقد قدم للمكتبة كثيراً من الكتب النافعة التى توفر على نشرها وتحقيقها مثل «نقد الشعر» لقدامة بن جعفر ، وكتاب «الاتباع والمزاوجة» لابن فارس، وغيره ، ولكنه كما حكى لى قد ضاق بالنشر ومعوقاته وصعوباته فترك المضمار مبكراً ، وأوى إلى الظل مكتفيا بالنشاط النشرى الذى يمارسه نجله فى هذا المجال ، مطمئناً إلى أن الولد امتداد لأبيه ، وإن كان قد ترك الساحة منذ سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف إلا أنه كان متابعا لها ، وقارئا ممتازاً لاتفتر له عزيمة ولم يهن له عزم فى مسايرة الباحثين بالمشورة والنصح والتوجيه من واقع خبرته البعيدة ، ودربته المديدة ، وممارساته القديمة .

وقد توفى – رحمه الله – فى ليلة الثانى من شهر أبريل سنة تسعين وتسعمائة وألف . رحمه الله رحمة واسعة .

● محمد محمود الشنقيطى : ولد رحمه الله فى شنقط وتبحر فى اللغة والأدب ، واشتهر بالفصاحة والبيان وقوة العارضة فى علم الأنساب . اتصل بالشريف عبدالله أمير مكة ، وقد اشتهر بالمجادلة وقوة الحجة ، فقد ناظر الشيخ سليم البشرى ، والشيخ البكرى ، وقد توفى بمصر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف للهجرة المشرفة . قام الأستاذ الشنقيطى بتصحيح كتاب الأغانى ، وقد عنى بنشره الشيخ محمد عبدالجواد الأصمعى ، نقلا عن نسخة الأستاذ الشنقيطى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وقد جمع به أغلاط نسختى بولاق والساسى . وطبع بمطبعة الجمالية سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة ، أى مايوافق سنة ست عشرة وتسعمائة وألف للميلاد .

وللشنقيطى : «الحماسة السنية الكاملة المزية فى الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية» وهى قسمان :

الأول : يحتوى على قصائد أربع ومقطوعة .

الثانى : يشمل قصائد خمساً ومقطوعة . مطبعة الموسوعات ١٣١٩ ص ٢٤ ، ٧٠ . راجع فهارس دار الكتب المصرية (٩٠/٣) ط ١٩٢٧م ، ومعجم إليان سركيس (١١٤٩/٢) ، والوسيط فى أدباء شنقيط (٣٧٤). رحم الله الشنقيطى لقاء ما أعطى وبذل وقدم .

والحمد الله رب العالمين ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم .

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٢

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

صنف (العقاد) كتابا برأسه أسماه (إبليس) استوعب فيه كدأبه فى دراساته وبحوثه — سيره هذا اللعين وتاريخه منذ بدء الخليفة ومرورا بأطوار الحياة المختلفة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وكما يصور ذلك كله قوله تعالى بسورة الإعراف :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا
لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)
قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ
وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢) قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ
فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣) قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ
(١٤) قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (١٥) قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ
صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ
وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧) قَالَ
اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ

أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ
شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ
لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ
مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا
مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾
فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا
يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ۖ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾
قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي
الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ
الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا
لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ . سورة الأعراف

وقد استهل العقاد كتابه آنف الذكر ببيان أن الإنسان يوم عرف الشيطان كان ذلك بمثابة فاتحة خير له للتمييز بين الخير والشر .

وهناك حقيقة راسخة ، لابد من الوقوف عليها ، متأملين متدبرين ، وهى أن إبليس اللعين ، مهما بلغت وساوسه من قوة تأثير فإنه ليس إلا مجرد مخلوق من مخلوقات الله ــ عز وجل ــ فما أهون شره إزاء قدرة الله سبحانه ــ وتعالى ــ على محوها وإنقاذ الناس منها فالله هو المهيمن الأعظم

على الحياة والأحياء جميعا . يقول عز من قائل فى محكم آياته : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾ . **سورة الأعراف**

ويقول ـ سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾

سورة النحل ـ آية : ٩٨ ـ ١٠٠

وبذلك فليفرح المؤمنون وتنشرح صدورهم ، ولا يخشون كيد الشيطان لأن حزب الله هم الغالبون .

والتزاما بطبيعة الموضوع الذى نعالج الكتابة فيه ، نقتصر فى بحثنا هذا على ماذكره العقاد فى كتابه « إبليس » عن : « الشيطان والفنون » .. الذى استهله ببيت لأبى العلاء المعرى يقول فيه : **وقد كان أرباب الفصاحة كلما رأوا حسنا عدوه من صنعه الجن .**

ويؤكد العقاد أن العبقرية عند الأوربيين منسوبة إلى الجن أيضا ، كما ينسبها العرب أي : « « الجاهليون » إليه ـ أيضا ـ سواء بسواءً بل ذهب هؤلاء العرب إلى اعتبار « وادى عبقر » مقرا لهم كما رأى الأوربيون جبل « أولمب » مقرا لشياطينهم وإن عدوهم آلهة ، فالعقلية تكاد تكون فى جاهليتها واحدة ومعنى العبقرى عند الأوربيين أنه صاحب الجنة أو الشبيه بالجنة فى القدرة والتفوق كائنا ماكان العمل الذى يتفوق فيه ، وكلمة جينياس **genius** أى : « عبقرى » تطلق على كل صاحب قريحة خارقة للمألوف ، فى الابتكار والابتداع سواء كان ابتداعها فى الشعر والنثر ، أو فى التصوير والنحت أو فى الانشاد والتلحين أو فى العلم « أو الصناعة » أو تدبير المال وسياسة الشعوب .

وعن عمل الشيطان فى الفنون يلاحظ العقاد أن ملكه .. الخيال تتقارب فى رواياته وأقاصيصه بين المشرق والمغرب كأنها تصدر عن إنسان واحد يتخيل الشيء الواحد فى أوقات مختلفة .. فالعرب يتحدثون عن شياطين الشعراء واليونان ـ ومن نقل عنهم ـ يتحدثون عن جنيات الفنون

التى اصطلح العقاد على تسميتها بالعرائس ولم يسلبها بذلك نسبتها إلى الجان . ولسنا مع العقاد فى قوله : «فالغالب على شياطين الفنون أنها شياطين قدرة وإبداع وليست بشياطين غواية وإفساد » إذ أن الشيطان هو الشيطان فى أى مجال من المجالات يمزج السم بالدسم فى جميع الأحوال ووسوسته شر محض لا يبغى بها « هداية » الإنسان أو إمتاعه بمتعة بريئة ، انظر ص ١٦٧

« ٥ » المصدر السابق ص ١٨٠

فلا شك أن له وحيه ووسوته وفى الكتاب العزيز :

﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾ **سورة الأنعام**

ولقد يوسوس الشيطان لإنسان ويوحى إليه بإبداع نشوى من مجالات حسية أو معنوية يفعل ذلك ليسوقه أو يسوق إلى فاحشة أو يغرى بها وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ ﴾ . **سورة « النور ــ ٢١ »**

ونعود لنسوق للعقاد رأيه حيث يستطرد فيقول : وإذا كان الفن من آلات الإصلاح والعظة فشيطانه من شياطين القدرة والجمال وإذا كان من آلات الفتنة والغواية فشيطانه من جند إبليس ..

ومحال فى تقديرنا أن يكون شيطان ما من آلات الإصلاح والفطنة فاسمه وطبيعته ونزعته مما يحول دون الإصلاح والفطنة ، وللعقاد كتاب آخر اختار له عنوان : « وعرائس وشياطين » . يقول فى التمهيد له « اتفقت الأساطير أن الشعر من وحى العرائس أو من وحى الشياطين فاختار الأوروبيون أن يتلقوا وحيهم من عروس واختار العرب أن يتلقوا وحيهم من شيطان ولا نراهم اختلفوا كثيرا فى نهاية المطاف وإن اختلفوا قليلا فى الخطوة الأولى فنهاية العروس أن تعمل بشيطان ، ونهاية الشيطان أن يعمل بعروس .

وما نظنهما عملا قط منفردين فى فؤاد إنسان ، ثم يختتم العقاد تمهيده بقوله : هذه الصفحات نخبة مجموعة من وحى العرائس ذوات الشياطين أو من وحى الشياطين ذوى العرائس تلقيناها من هؤلاء وهؤلاء وجعلناها هدية للقراء .

وحصيلة هذا الكتاب نخبة من القصائد التى اختارها العقاد من الشعر العربى وأضاف إليها بعض النماذج التى ترجمها من الشعر العالمى وأجاز العقاد لنفسه كما يقول ، الحذف والتبديل مداراة

لإسفاف فى العبارة أو إسفاف فى الذوق والأدب ، وعليه ـ أى العقاد ـ تبعة القليل الذى طرأ عليها من الحذف والتبديل .

ومن مختارات العقاد فى كتابه هذا قول ابن المعتز بعنوان : « الشعر » :

أن ذا الشعــر فيــه ضيــق نطـــاق   ليس مثـــل الكـــلام من شاء قالا
يكتفــى فيــه بالخفــى من الــوحس   ويختـــال قائلـــوه اختيـــالا

ويورد العقاد بعد ذلك ترجمة لرأى الشاعر الفارسى السعدى الشيرازى فى أن للشيطان صورة جميلة على العكس مما يعتقد الناس عن هيئة الشيطان يقول العقاد مقدما لهذه الترجمة .

الشيطان ما الرأى فيه ؟ جميل هو فى سيماه أو نميم ؟ هو على كل حال موصوف بين الناس بصفة لا اختلاف فيها وهى الغواية .. ولهذا قال الشيخ السعدى أنه جميل لأن الغواية لا غنى لها من مظهر خادع وصورة لا تنفر منها العيون ، أول نظرة ، وتلك هى وجهة نظر الشاعر الفارسى القديم حينما قال :

رأيت الشيطان فى حلم فيا عجبا لما رأيت ! رأيته على غير ما وهمت من صورته الشنعاء التى تخيف من ينظر اليها .

قامة كفرع البانة عينان كأعين الحور طلعة كأنها تضىء بأشعة النعيم .

قاربته وسألت : أحق أنت الشيطان المريد ؟

أحق ذلك ولا أرى ملكا له جمال محياك ؟

ولا عين نظرت إلى شبيه سيماك ؟

ما بال أبناء آدم يتخذونك لهم ضحكة فيما يصورونك ؟ وفى وسعك أن تجلو لهم وجها كصفحة البدر وابتسامة تشرق بالنعيم !

أولئك الرسامون يبغضونك إلى العين .. الخ .

سألت وتسمعت .

فتحرك الحلم الساحر وترفع له صوت فخور ولاحت على طلعته كبرياء وقال : لا تصدق يا صاح أنه مثالى ذلك الذى رأيت فيما يمثلون فإن الريشة التى ترسمنى ، تجرى بها يد عدو وحسود سلبتهم السماء فسلبونى الجمال ![1] .

وإلى لقاء ـــ بإذن الله تعالى ـــ إلى سائر الأعمال الشعرية العربية والعالمية ثم مثلها .. فى الأعمال المنتشرة لكلا الفريقين .

---

(١) انظر كتاب عرائس وشياطين للعقاد ص ٧ ـــ ٨

حول تعليق المجلة على بعض الأحاديث الواردة فى مقال

خصائص النبوة وأسماء النبى صلى الله عليه وسلم

للشيخ / عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

جاء فى تعليق مجلة الأزهر الغراء على بعض الأحاديث الواردة فى مقال « خصائص النبوة وأسماء النبى ﷺ ـ الذى صُدِّرَ به كُتَيِّب هدية المجلة ـ عدد ربيع الأول سنة ١٤١٧ هـ ، وعنوانه : « حكمة النبى ـ ﷺ ـ فى تغيير أسماء أصحابه » .

وهذه الأحاديث هى :

« أخرج الشيخان عن جبير بن مطعم : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **إن لى أسماء ، أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى ، وأنا العاقب »** .

« وأخرج أحمد والطيالسى فى مسنديهما وابن سعد والحاكم والبيهقى عن جبير : سمعت النبى ﷺ يقول : **أنا محمد وأنا أحمد وأنا الحاشر وأنا الماحى والخاتم والعاقب** » .

« وأخرج أحمد ومسلم عن أبى موسى الأشعرى قال : سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه أسماء منها ما حفظنا ، ومنها ما لم نحفظ ، قال : **أنا محمد** ، **وأنا أحمد** ، **والمقفى** ، **والحاشر** ، **ونبى التوبة** ، **ونبى الملحمة** ، **ونبى الرحمة** » .

« وأخرج أبونعيم وابن مردويه فى تفسيره والديلمى فى مسند الفردوس عن أبى الطفيل قال : قال رسول الله ﷺ لى عشرة أسماء عند ربى : **أنا محمد** ، **وأحمد** ، **والفاتح** ، **والخاتم** ، **وأبو القاسم** ، **والحاشر** ، **والعاقب والماحى** ، **ويٰس** ، **وطه** » .

قال تعليق المجلة : كثير من هذه الأحاديث نود أن نحظى بتقويم علمى بشأنها يبين درجتها فى مراتب الحديث .

وبالرجوع إلى « الجامع الكبير » الذى يسمى : بـ « جمع الجوامع » للسيوطى والذى يشرف مجمع البحوث الإسلامية على تحقيقه ، وهو كتاب يعتنى بمراجع الحديث وضبطه وبيان درجته وُجِد ما يأتى :

بالنسبة للحديث الأول قال السيوطى : أخرجه الطبرانى وابن مردويه عن جبير بن مطعم ، وابن سعد عن أبى موسى الأشعرى .

وأخرجه البغوى فى الجعديات ، وابن عساكر عن نافع بن جبير بن مطعم عن أبيه ، وقالت لجنة التحقيق : ذكره السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٢٧٠١ عن أبى موسى الأشعرى ورمز لصحته ، وبرقم ٢٧٠٢ ورمز لصحته ، وفى حديث لمسلم بلفظ « **أنا محمد وأحمد والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة** » .

وبالنسبة للحديث الثانى ذكره السيوطى فى «جمع الجوامع » برقم ٨٤٨٩ بلفظ « أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا المقفى ونبى الرحمة ونبى الملحمة » .

وقال : أخرجه مالك والبخارى من حديث جبير بن مطعم ، ومسلم عن أبى موسى الأشعرى .

وقالت لجنة التحقيق : أورده السيوطى فى الجامع الصغير برقم ٢٧٠١ ورمز له بالصحة ، ومعنى « نبى الملحمة » أى الحرب ، ووصف به لحرصه ﷺ على الجهاد ، « ونبى الملحمة » من رواية الطبرانى فقط ، ولم تعرف لأعلى منه ، هكذا ذكر الشيخ المناوى فى شرحه للحديث ، ورواية الصغير فى ألفاظها بعض مغايرة .

ولفظ رواية مسلم عن أبى موسى قال : كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه بأسماء ، فقال : « **أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر ، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على عقبى ، وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى** » .

ولمسلم رواية أخرى عن جبير كذلك جـ ١٥ ق ١٠٤ فى باب « أسماؤه ﷺ » **والمقفّى** بشدة الفاء وكسرها لأنه جاء عقب الأنبياء ، وفى قفاهم أو المتبع آثارهم .

والتعليق على الحديث الثانى يدخل فى نطاقه الحديث الثالث ، وقد ذكره السيوطى فى الجامع الصغير ورمز له بالصحة والحسن .

أما الحديث الرابع فقد أخرجه السيوطى فى جمع الجوامع برقم ٧٠٦٥ وقال : أخرجه ابن عدى فى الكامل وابن عساكر عن أبى الطفيل ـ ولم تذكر لجنة التحقيق شيئا عن درجة الحديث .. وكأنها اكتفت بما جاء فى نهاية كل عدد من سلسلة الكتاب حيث قالت : ما انفرد به ابن عدى فى الكامل وابن عساكر فى التاريخ وذكرت أسماء كتب أخرى ـ فهو ضعيف ، فيستغنى بالعزو إليها أو إلى بعضها عن بيان ضعفه .

وإن كان هناك من إضافة إلى ذلك فهى : أن الحديث الأخير ذكره السيوطى فى كتابه « الدر المنثور فى التفسير بالمأثور » فى سورة طه عن أبى الطفيل بلفظ : قال رسول الله ﷺ : « **إن لى عشرة أسماء عند ربى** » قال أبوالطفيل : حفظت منها ثمانية : **محمد وأحمد وأبو القاسم والفاتح والخاتم والماحى والعاقب والحاشر** » **وزعم سيف أن أبا جعفر قال : الاسمان الباقيان : طه ويٰس** .

وروى القرطبى فى تفسيره فى سورة طه هذا الحديث الذى رواه أبو الطفيل كما ذكره أبو نعيم وابن مردويه والديلمى .

ورواه القرطبى أيضا مرة أخرى فى تفسير سورة يٰس ، وروى حديثا آخر عن الماوردى ـ وكتاب الماوردى اسمه : معرفة الصحابة ، قال عنه السيوطى : لم أقف على سوى الجزء الأول منه وانتهى إلى حرف السين . قال ـ أى الماوردى ـ عن على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الله تعالى أسمانى فى القرآن سبعة أسماء : محمد وأحمد وطه ويٰس والمزمل والمدثر وعبدالله » .

وهناك **أقوال** أخرى حول هذه الأسماء وبخاصة « طه ويٰس » ، أوردها علماء الحديث وهم فرسان هذا الميدان ، وأولى بالتحدث فيه ، وشكرا لمجلة الأزهر على غيرتها المحمودة ، وحرصها على تحرى الصواب ، والله ولى التوفيق .

كتاب الجمهورية

رئيس مجلس الادارة: سمير رجب

رئيس التحرير: فاروق فهمى

يصدر عن دار التحرير للطبع والنشر

شرح ومعانى جزء تبارك

محمد محمد عتريس

عرض وتقديم: د. محمد عبد الحكيم محمد

□ تمهيـد

استوقفتنى عبارة للمؤلف ذات دلالة فى مقدمة كتابه(١) نصها :

« لقد توالت – ولسوف تتوالى – اجتهادات بنى البشر فى مجال تفسير القرآن العظيم، إلا أن اللفظ القرآنى يبقى فى كل مرة أكثر ثراءً وأوسع مدى ، ولا تزال إيحاءاته فى الذهن وآثاره فى القلب أكبر من كل التفاسير والاجتهادات ، وهكذا القرآن الكريم « لا يبلى على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه » .

وجدت – فى العبارة – مفتاحاً لشخصية مؤلف الكتاب الأستاذ محمد عتريس(*)، فهو يدرك بداية قبل التعرض لشرح ومعانى ألفاظ القرآن الكريم ، أن هذا الكتاب السماوى الخالد قد حظى بعناية فائقة من المسلمين وغيرهم لم يحظ بها كتاب آخر .

---

(١) شرح ومعانى جزء عم – القسم الأول – ص ٦

(*) حفظ القرآن مبكراً وعمل وتمرس فى حقل الترجمة ويعمل بمجلس الشعب على درجة وكيل وزارة .

كتابٌ يُعد نواة لمعجم لغوى معاصر فى القرآن الكريم

يعى المؤلف حقيقة ثراء القرآن الكريم، فهو الكتاب الذى فسره المفسرون، واستنبط منه الفقهاء مادة فقههم، ولازمه الأساتذة الأدباء محاولة الوقوف على بلاغته وفصاحته وسر إعجازه عبر القرون الإسلامية المديدة وأحتَجَّ به علماء اللغة والنحو وأرشد النحاة إلى لغات ما كانت لتخطر قواعدها لهم على بال كلغة لزوم المثنى الألف وغيرها. وطفق الكتاب والشعراء يزينون نثرهم وشعرهم بأقباس من معانيه وألفاظه.

كما تنبىء عبارة المؤلف – فى نفس الوقت – بأنه على يقين بأن القرآن الكريم أكبر من كل تفسير واجتهاد.

المؤلف وكتابه :

والذى يطالع قسماً من الأقسام السبعة التى صدرت للمؤلف عن جزء «عم» وجزء «تبارك» لا بد أن يسأل نفسه هل هذا الكتاب تفسير؟[٢] أو هل المؤلف هنا يعتبر مفسراً ؟

وإذا ثبت أنه كتاب تفسير، على الرغم من أنه لم يصدر منه سوى شرح لمعانى جزئين فقط من أجزاء القرآن الثلاثين؛ فما موقعه ومكانته المنتظرة بين القديم والحديث من كتب التفسير ؟

وهذا سؤال من الأهمية بمكان، وإحقاقاً للحق أقول : ان فضيلة الدكتور على الخطيب رئيس التحرير هو صاحب فكرة هذا السؤال، فقد قال لى : «عندما نعنى بتقديم كتاب جديد أحبُّ أن أعرف – ويعرف القراء معى – وجه التميز أو الإضافة فى هذا الكتاب بالقياس إلى ما سبقه من أشباه ونظائر».

وللإجابة عن هذا السؤال تجدر الإشارة إلى معنى : علم التفسير، وإعطاء لمحة عن تطور هذا العلم من الوجهة التاريخية، والمناهج التى سار عليها أشهر المفسرين فى بيانهم لكتاب الله –عز وجل– فهى خلفية مهمة لابد منها.

التفسير لغة واصطلاحاً

(١) **التفسير لغة** : البيان والإيضاح، وأصل كلمة التفسير «الفَسْر»، والفسْر هو : البيان وبابه : ضرب، و(التفسير) مثله، واستفسره كذا : سأله أن يفسره، وقد وردت لفظة التفسير فى كتاب الله – جل وعلا – :

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾

[الفرقان / ٣٣]

«والتفسير لغة يستعمل فى الكشف الحسي كما يستعمل فى الكشف عن المعانى، واستعماله فى الأخير أكثر من استعماله فى الأول»

[علم التفسير للذهبى : ٥]

---

(٢) وهو الكتاب الذى نعنى بعرضه والتعليق عليه.

التفسير فى اصطلاح علماء التفسر :

العلم الذى يفهم به كتاب الله .. وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحِكَمه وهو أيضاً : علم يبحث عن مُراد كلام الله – تعالى – بقدر الطاقة البشرية ، فهو شامل لكل مايتوقف عليه فهم المعنى وبيان مراده »

[علم التفسير للذهبى : ٦]

التفسير من الوجهة التاريخية :

مرّ علم التفسير عبر مراحل عدة قبل أن يستقر على صورته الحالية (٤) :

(١) المرحلة الأولى للتفسير ؛ كان أهم مصادرها : القرآن الكريم نفسه ، ثم مافسره الرسول ﷺ ، وتفسير الصحابة رضوان الله عليهم ، وذلك هو التفسير بالأثر ، وصحبه أسباب النزول ، غير أن علم التفسير فى هذه المرحلة لم يكن علماً قائماً بذاته ، بل كان عبارة عن روايات منقولة بالإسناد كالحديث النبوى الشريف .

(ب) المرحلة الثانية للتفسير :

وقد بدأت بنهاية عصر الصحابة فخلفهم التابعون الذين كان لهم فضل كبير فى إثراء علم التفسير وتطويره وتوضيح معانى القرآن الكريم التى مر عليها الصحابة ، حيث كانت لا تُشكِّل فى عصرهم حاجة إلى تفسير . ومن هؤلاء كان فى « مكة » مدرسة « عبد الله بن عباس » التى روّج لها : سعيد بن جبير ومجاهد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبى رباح ، وفى « المدينة » اشتهر من التابعين زيد بن أسلم وأبو العالية وابن كعب القرظى ، وغيرهم ممن كانوا ينتصرون للصحابى الجليل « أبى بن كعب » .

كما أسس عبد الله بن مسعود مدرسته التى نبغ فيها : الحسن البصرى وعامر الشعبى وعلقمة النخعى – رضى الله عنهم أجمعين – .

ولعل ما يُعكر صفو التفسير فى هذه المرحلة دخول بعض الإسرائيليات وتسامح بعض التابعين فى إدخالها ، وقد يكون دخولها – فيما بعد – على أيدى النُسَّاخ لدى الوراقين ويكون التابعون منها براء .

(ج) التفسير فى مرحلته الثالثة :

فى هذه المرحلة بدأت حركة التدوين لحديث رسول الله ﷺ ، وخلالها انفصل التفسير عن الحديث واستقل عنه ، وقيل : إن هذا الانفصال لم يتم إلا فى فترة متقدمة من المرحلة الثالثة على يد « ابن ماجه » ٢٧٣ هـ ، والطبرى ٣١٠ هـ .

(٣ ، ٤) مجلة الأمة – العدد الثامن والخمسون – شوال ١٤٠٥ هـ

ـ ابن جرير ـ الطبرى وكتابه ، ص ٦٧ بتصرف .

وقد قام المفسرون فى هذه الحقبة بجمع تفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، وهو مايُسمى : بـ « التفسير بالمأثور » ، وقد امتدت هذه المرحلة من أواخر عهد بنى أمية إلى أوائل عصر بنى العباس ، وخلالها خطا التفسير خطوات عظيمة إلى أن أصبح مرتباً على المصحف ، وقد تم ذلك على يد « الطبرى » فى حين تواصلت الخطوات الأخرى لعلم التفسير تباعاً ، ولا تزال متواصلة حتى عصرنا هذا ، فظهرت خلال هذه المرحلة - التى لما تنته بعد - أنواع عدة من التفسير يمكن حصرها فى خمسة مناهج :

(١) التفسير بالمأثور

وهو الذى يجمع تفسير الرسول ﷺ والصحابة والتابعين ، ومن ذلك : تفسير الطبرى ٢٢٤ هـ ، وهو يُعد من أئمة المفسرين بالمأثور ، وكذلك : تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير الدمشقى (٧٧٤) هـ . والدر المنثور لجلال الدين السيوطى (٩١١) هـ .

(٢) التفسير بالرأى أو التفسير العقلى .

(٣) التفسير الموضوعى .

وهو الذى يهتم فيه المفسر بموضوع خاص من القرآن ، ومنها : التبيان فى أقسام القرآن لابن قيم الجوزية (٧٥١) هـ .

(٤) التفسير الإشارى :

وهو الذى يقوم على تأويل آيات الذكر الحكيم ، على خلاف ظاهرها ، ركونا إلى أن « لكل آية ظهر وبطن » ، وهى قضية غير متفق عليها بين علماء الأمة .

(٥) التفسير العلمى :

وهو الذى يستخرج ما تحمله عبارات القرآن من آراء علمية ، وقد اهتم بهذا الجانب : حجة الإسلام : الغزالى ، والسيوطى فى كتابيه : الإكليل ، والإتقان ، وحديثاً : الشيخ : طنطاوى جوهرى ، والشيخ : مصطفى المراغى ، والشيخ : محمود شلتوت (٧) .

المؤلف ومنهجه :

بعد هذه التقدمة المهمة عن علم التفسير وتطوره ؛ نعود إلى مؤلف كتاب : « شرح ومعانى جزء تبارك » لنتعرف على منهجه وموقع كتابه ومكانته من مناهج المفسرين وكتبهم .

لقد عمل المؤلف فى حقل الترجمة ، وألجأه تمرسه فى هذا الحقل إلى التعمق فى دراسة اللغتين

(٥ ، ٦) التفسير بالمأثور والتفسير الاشارى للدكتور عبد الفتاح أبو سنة مجلة منبر الإسلام - عدد ربيع الآخر ١٤١٧ هـ ص ٢٢

والواقع أن هذا الوصف - أعنى كلمة « العلمى » تثير الدهشة بقدر ما تضعنا أمام استفهامات لا حصر لها ... فهل ما فات من ألوان التفسير خلا من العلم ؟

(٧) مجلة الأمة : مرجع سبق .

العربية والإنجليزية ، وإلى التعامل اليومى مع عشرات المعاجم الإنجليزية ، ومن ثم وجد أن المعاجم العربية قليلة التصنيف والاختصاص العلمى فيما بينها إذا ما قُورنت بمثيلاتها فى اللغات الأوربية . كذلك لاحظ أن المعاجم المتخصصة باللغة العربية لاوجود لها - تقريباً - لكن المعاجم الإنجليزية المتخصصة تغطى كل فروع العلم والفن والمعرفة .

ونظراً لأن المؤلف بدأ حياته التعليمية بحفظ القرآن الكريم ، فقد كانت تستوقفه منذ طفولته - كما نص على ذلك فى مقدمة كتابه جزء عَمَّ - « تتابعات صعبة وعجيبة للحركات والسكنات والشدات » . ثم بعد أن يسَّر الله له أسباب المطالعة والبحث فى كُتب التفسير ومعاجم اللغة تأكد لديه مدد القرآن الذى لا ينفذ ، وأنه يمكن للعاشقين أن يغترفوا مادة قشيبة لمعاجم قرآنية متخصصة ، بعضها فى العقيدة ، وبعضها فى الاحكام ، وبعضها فى التعبيرات القرآنية ، وغيرها .

ومن ثَمَّ ، عمد متوفراً على وضع كتاب « شرح ومعانى جزء عَمَّ » ثم تلاه بـ « شرح ومعانى جزء تبارك » . انتهج فيهما عمل كشاف لمعظم الكلمات والمفردات الواردة فى الجزئين .. سورة سورة وآية آية وكلمة كلمة ، لا سيما الغريب الذى يستعصى على الفهم فى وقتنا الحاضر ، فكأنه عمد إلى إرساء نواة لمعجم لغوى معاصر للقرآن الكريم، معجم يفيد من جهود السابقين يبنى عليهم ويضيف إليهم وهو ما يمكن أن يكون منهجاً جديدا فى بابه ؛ بعدما اشتهرت مناهج : التفسير بالمأثور ، والتفسير الإشارى ، والتفسير العقلى ، والتفسير الموضوعى ، والتفسير العلمى ، وظل التفسير اللغوى فى حاجة إلى جهد دءوب من العلماء والمتخصصين .

فما أمسّ حاجتنا إلى هذا الجهد الذى يُعد إضافة وتتمة لبناء سبق أن شيد صرحه ووضع لبناته مؤلفون عظام فى مؤلفات ومعاجم جمة الفائدة مثل : مفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ، بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادى، ومعانى القرآن وإعرابه للزجاج ، وإعراب القرآن ، وتفسير غريب القرآن للسجستانى ، وإعراب القرآن لأبى البقاء العكبرى ؛ وتفسير غريب القرآن لابن قتيبه ، والمخصص لابن سيده ، إلى جانب معجم ألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره مجمع اللغة العربية ، والقاموس القويم لألفاظ القرآن الكريم الذى أصدره مجمع البحوث الإسلامية وغيرهم ممن فتح الله عليهم لخدمة كتابه الكريم .

وبعد أن أوقفنا القارىء على مناهج التفسير ، وعلى مذهب المؤلف نقدم بعض نماذج من عمل المؤلف فى كتابه « شرح ومعانى جزء تبارك » :

بَلَوْنَاهُم :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾

[القلم - ٦٨]

بَلاهُ يَبْلُوه بَلْواً وبلاءً : اختبره .

جاء فى تفسير ابن كثير : هذا مثل ضربه الله

تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة ، وأعطاهم من النعمة الجسيمة ، وهو بعثة محمد ﷺ . فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ، ولهذا قال تعالى : « إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ » أى اختبرناهم ﴿ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ .

وبمناسبة الإشارة إلى المال والبنين ، والبطر الذى يبطره المكذبون ، يضرب لهم مثلا بقصة يبدو أنها كانت معروفة عندهم ، ويذكرهم فيها بعاقبة منع الخير والاعتداء على حقوق الآخرين . ويشعرهم أن ما بين أيديهم من نعم إنما هو ابتلاء لهم كما ابتلى أصحاب هذه القصة .

والأداء الفنى للقصة فيه حيوية فى العرض حتى لكأن السامع – أو القارىء – يشهد القصة حية تقع أحداثها أمامه وتتوالى .

أصْحابَ الجنـة :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾

[القلم – ١٧]

الجنة : البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه .

﴿ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ﴾ هم أصحاب بستان بأرض اليمن قريبا من صنعاء ورثوه عن أبيهم ، وكان يؤدى للمساكين حقَّ الله فيه ؛ فلما مات بخلوا به فكان من أمرهم ما قصه الله فى هذه السورة .

كان للمساكين كل ما تعداه المِنجل فلم يجذَّه من الكرم ، فإذا درسوا كان لهم أيضاً كل شىء انتثر . فلما مات أبوهم قالوا : قلّ المال وكثر العيال ، وتحالفوا ليغدون غدوة قبل خروج الناس ويقطعون الثمر ولا تعرف المساكين .

قال بعض العلماء : على من حصد زرعاً أو جَذَّ ثمرة أن يواسى منها من حضره ؛ وذلك معنى قولـه : ﴿ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ﴾ [١٤١ / الأنعام] وأنه غير الزكاة . وقال بعضهم : وعليه ترك ما أخطأه الحاصدون . وكان بعض العباد يتحرون أقواتهم من هذا .

لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَـٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ۝١٧ ﴾

[القلم – ٦٨]

صَرَمَ النخل – من باب ضرب – جَزَّه أى قطع ثمره . وأصل الصَّرْم القطع ، صَرَمَه يصرمَه صَرْما : قطعه .

المعنى : حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمر البستان فى الصباح الباكر قبل خروج الفقراء والمساكين ، فيتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقون منه بشىء .

﴿ مُصْبِحِينَ ﴾ أى داخلين وقت الصباح ، من أصبح أى دخل فى الصباح .

● ● ●

أَلَـمْ :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

١٦ – المرسلات

قال الراغب : « لَمْ » نفىٌ للماضى ، ويدخل عليه ألف الاستفهام للتقرير .

ومعنى الآية : قد أهلكنا الأولين السابقين جميعاً ممن كذبوا بالرسل ، مثل : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، وإهلاكهم وتدميرهم أمر ثابت مقرر قد وقع وحصل .

الأوَّلينَ :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

١٦ – المرسلات

قيل : « الأولين » هم السابقون جميعاً ممن كذبوا بالرسل ، مثل : قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم ، وإهلاكهم وتدميرُهم أمر ثابت قد وقع وحصل .

الآخرين :

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

– المرسلات

« الآخرين » : هم أهل مكة وأضرابهم .

هذا وعيد وزجر لأهل مكة ومن على شاكلتهم من المشركين والكافرين ، فمعنى « نتبعهم الآخرين » : سنفعل بهم مثل هذا النكال ، فهذه هى سنتنا الماضية التى لا تحيد ، وطريقتنا فى عقاب كل مجرم كافر : نأخذه ونهلكه مثلما أهلكنا من سبق من المجرمين ؛ وهو معنى قوله تعالى : كذلك نفعل بالمجرمين وفيه إنذار وتخويف من عاقبة الكفر ، فيرتدع وينزجر أهل الشرك والكفر .

قرأ العامة « ثم نُتْبِعُهُم » بالرفع على الاستئناف ، وقرأ الأعرج « نتبعْهُم » بالجزم عطفاً على « نهلك الأولين » . والمراد أنه أهلك قوماً بعد قوم على اختلاف أوقات المرسلين .

الكاف من « كذلك » فى موضع نصب ، أى مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مجرم .

وبعد .. فإن المؤلف يدرك أن : اللغة « لفظ ومعنى » فهو إلى جانب أخذه باجتهادات المفسرين فى سبيل شرح المعنى المراد من الآية ، نجد اهتمامه كبيراً بالألفاظ والمفردات القرآنية ، فهو يلح على إبرازها مع مشتقاتها وبيان دلالاتها المختلفة ، متوسلا فى ذلك بمعاجم اللغة وعلوم الإعراب .

ودعما لهذا التفسير اللغوى لألفاظ القرآن الكريم ، فإن المؤلف يدعم رؤيته لمعانى الألفاظ بالشواهد الشعرية العربية – إعانة منه للقارىء على فهم غريب القرآن .

من ذلك على سبيل المثال : أنه يدعم شرحه لمعنى كلمة (بَسَر) فى قوله تعالى : « ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ » المدثر / ٧٤ ، بعد أن ذكر أن العرب تقول : وجه باسر بيِّن البسور إذا تغير واسوّد ، نراه يقول : قال توبة بن الحمير :

وقد رابنى منها صدود رأيته
وإعراضها عن حاجتى وبُسورها

وفى شرحه لمعنى « يوفضون » فى قوله تعـــــالى : « كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ » المعارج / ٧٠ ، بأنها بمعنى : يسرعون ، يقول : قال الشاعر :

فوارس ذبيان تحت الحديـ ـد يوفضن من عبقر

ثم لا يترك كلمة (عبقر) بدون توضيح ، بل يذكر فى الهامش أن عبقر : موضع تزعم العرب أنه من أرض الجن .

وما أكثر الشواهد الشعرية المتناثرة فى تفسيره اللغوى .

وفى نهاية بحثه نراه قد جمع الكلمات التى تناولها بالشرح والمعنى فى كشاف مرتب ترتيبا « ألفبائيا » حسب نطق الكلمة فى سياق الآية دون اعتداد بأصل الكلمة التى اشتقت منه ، وذلك على طريقة المعاجم الانجليزية والفرنسية ، لا كما هو الحال بالنسبة لمعجمنا العربى ، على أنه قد وفق فى ذلك أيما توفيق لأنه الأيسر على القارىء للكلمة التى يبحث عنها فى حرفها الأول مباشرة ولعل من أهم ما يتميز به هذا التفسير اللغوى ، أو كما أسماه المؤلف « شرح ومعانى » أنه لم يعتمد فيه على اجتهاداته الشخصية بل استند إلى اجتهادات المفسرين والمعاجم العربية المعتمدة ، وفرق كبير بين رأيٍ عابر ورؤية مؤصلة للألفاظ والمعانى ، فنراه يعتمد على القديم والحديث معاً ، مثل :

القرطبى وابن كثير والجلالين والوسيط وفتح القدير للشوكانى وصفوة البيان لمعانى القرآن للشيخ حسنين مخلوف ، و « معجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الوسيط والمعجم الوجيز » لمجمع اللغة العربية ولسان العرب لابن منظور ، وغيرهم .

والكتاب فى مجمله يضم فوائد متعددة ومعلومات قيّمة موافقة لأهل التحقيق ، ليس فيه ميل إلى الفرق الضالة أو ذكر لشىء من الإسرائيليات .

دعوة لدراسة الإعجاز اللغوى

وأرجو المؤلف وأدعو غيره من الباحثين إلى مواصلة الجهد فى دراسة الإعجاز اللغوى فى القرآن الكريم ، وتكتيل الجهود وتسخير العزائم من أجل استمرار البحث فى دلالات الألفاظ قبل نزول القرآن الكريم وقياسها إلى دلالاتها نفسها فى القرآن الكريم ، وهناك بعض الملاحظات على هذا العمل النافع :

١ - خلو المقدمة من ذكر المنهج الذى سار عليه فى وضع الكتاب وتأليفه ، لاسيما وأنه كتاب مستقل عن « جزء عم » وكان حرياً به ذكر ذلك فى المقدمة ، كما تفضل وذكر ذلك فى مقدمة كتابه عن « جزء عم » .

١ - عدم تخريج كثير من الأحاديث النبوية وهذا ما نود مراعاته فى الطبعات القادمة لأهميته - كما يعلم - فى التوثيق العلمى .

ثم لا زلت أريد أن أفهم : لماذا جمع فى عنوان الكتاب هذين اللفظين : « شرح ومعانى »

وأخيراً اسأل الله - تعالى - لهذا العمل القبول والانتشار .

بين المجلة والقارئ

تقديم الأستاذ عادل رفاعى خفاجة

كيف نتقى الله عز وجل

فى كتاب الله العزيز الكثير من الآيات التى تحض على التقوى وتبشر المؤمنين المتقين ، وتشير إلى ارتباط التقوى بالصبر ، وارتباط الصبر بالفرج ، والوصول إلى المخرج من كل ضيق . وأن جزاء المتقين رضوان من الله ، وجنة عرضها السموات والأرض .

ومن هذه الآيات :

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴾ الطلاق ـ ٢

﴿ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴾ الطلاق ـ ٤

﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ يوسف ـ ١٢

وعن التقوى وردت رسالة القارىء مصطفى سعيد إبراهيم ألوكيل ـ كلية الخدمة الاجتماعية / حلوان بعنوان : كيف نتقى الله عز وجل ؟

يقول فيها :

إن التقوى هى أجل وصية من الله عز وجل ـ للأولين والآخرين إذ يقول سبحانه :

﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ ﴾

النساء ـ ١٣١

وهى وصية النبى ﷺ لأمته .

قال رسول الله ﷺ : «اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن»رواه الترمـــذى ٨ / ١٥٥ ورواه أحمد ٥ / ١٥٨

وقولــه ﷺ «حيثما كنت» أى : السر والعلانية ، حيث يراه الناس وحيث لا يرونه .

★ التقوى وصية جميع الرسل الكرام لقومهم مثال ذلك قول الحق تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٠٥ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ۝١٠٦ ﴾

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

★ والتقوى وصية السلف الصالح – رضى الله عنهم – ولذلك يقول الحافظ ابن رجب الحنبلى – رحمه الله – فى كتابه «جامع العلوم والحكم» ص ١٥٠ – ١٥١ :

(لم يزل السلف الصالح يتواصون بها ، فكان أبو بكر – رضى الله عنه – يقول فى خطبته : أما بعد فإنى أوصيكم بتقوى الله .

★ ويقول الإمام الثورى – رحمه الله – : «إن اتقيت الله كفاك الناس وإن اتقيت الناس لن يغنوا عنك من الله شيئاً» .

الفوائد المنسوب لابن القيم الجوزية

★ والتقوى ميزان الكرم – سئل رسول الله ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : «اتقاهم لله» رواه البخارى ٦ – ٤١٧ .

فكيف نتقى الله – عز وجل ؟

يقول فى ذلك الإمام الغزالى – رحمه الله – فى كتابه (منهاج العابدين) ص ٧٦ – ٧٧ «من أراد أن يتقى الله فليراع الأعضاء الخمسة ، فإنها الأصول : وهى العين والأذن واللسان ، والقلب والبطن ، فيحرص عليها بالصيانة لها عن كل ما يخاف منه ضرراً فى أمر الدين من معصية وحرام وفضول وإسراف من حلال ، وإذا حصل صيانة هذه الأعضاء .. ويكون قد قام بالتقوى الجامعة بجميع بدنه لله – تعالى .

التفرق والاختلاف انتكاس بالإنسانية

ويرسل القارىء/ سالم مهنى عبد العظيم محمد – قرية شبرا النونة – إيتاى البارود – بحيرة : يقول :

لقد كرم الله الإنسان وفضّله على كثير من خلقه واستخلفه فى الأرض وسخّر له ما فيها من النبات والحيوان والجماد ليتمكن من تحصيل معاشه وتحقيق رغباته وقد فطر الإنسان على أن يحيا فى جماعة تتبادل المنافع وتتعاون على دفع الضر ، وللفرد من العمل ما يخدم الجماعة وللجماعة من العمل ما لا يستغنى عنه الفرد ، ولذلك فإن عند الفرد شعوراً قوياً بحاجته إلى الجماعة ، وكلما ازدادت حاجته قويت الصلة بينه وبين أفراد الجماعة وتدرجت من الأسرة إلى العشيرة إلى الأمة إلى سائر بنى الإنسان ، ولذلك فإن ضعف هذه الصلة يؤدى إلى التفرقة والاختلاف اللذين يأباهما الإسلام الحنيف ويحاربهما ، لأنهما فى الحقيقة انتكاس بالإنسانية وتفويت لأسباب رفعة الأمة وعزتها الحقيقية يقول الله – تعالى :

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾

سورة المؤمنون آية ٥٢

ويقول :

﴿ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾

سورة الأنفال آية ٤٦

ويقول :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾

سورة الأنعام آية ١٥٩

ويقول :

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾

سورة آل عمران آية ١٠٣

على ضوء هذه القواعد الراسخة سار الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ومن بعدهم من القرون المشهود لها بالخير ولم يقع بينهم اختلاف أو تفرق لكن الناس فى هذا الزمن فترت هممهم وضعفت عزائمهم وقويت فيهم المطامع والشهوات فنرى الإنسان وقد حوَّل المحبة والأخوة إلى منافع ينتفع بها ويخيل إليه أن لذته تتحقق بالاحتيال للحصول على رغائبه بدون عمل ؛ فيجهد فكره فى استنباط الحيل لسلب ما فى يد الغير ويهىء وسائل استعمال القوة للحصول على ما يريد ولا يبالى بإهلاك من يقف فى طريقه ، نتيجة لذلك قام التنازع بين الناس مقام التسامح وحل الاختلاف والتباعد والتخاصم محل التوافق والتقارب والتصالح . فهل آن الأوان لنصبح إخوة معتصمين بدين الله ، نتحاب ولا نتباغض نتقارب ولا نتباعد ؟ وهل أذن الله لنوره أن يشرق على الأرض من جديد ؟ وهل أراد للإنسان أن يحيا حياة طيبة يسودها الإيمان والحب والعمل والإحسان ؟ هذا ما تشهد به الآيات قال ـ تعالى ـ :

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

سورة الفتح آية ٢٨

والحمد لله أولًا وآخراً .

العاقل يطيع الله ـ عز وجل ـ ولا يعصيه

القارىء / خيرى محمد إبراهيم أبو الروس ـ كفر الجرايدة ـ بيلا ـ كفر الشيخ :

يقتطف هذه الكلمة من كتاب : « الجواب الكافى » لابن القيم الجوزية تحت عنوان : « إلى أصحاب العقول » .

جاء فيها ما يلى :

« كيف يكون عاقلا وافر العقل من يعصى الله وهو فى قبضته وفى داره . وهو يعلم أنه يراه ويُشاهده ؟ فيعصيه وهو بعينه غير متوار عنه ، ويستعين بنعمه على مساخطه ، ويستدعى كل غضبه عليه ولعنته له ، وإبعاده من قربه ، وطرده من بابه »

فكن أخا الإسلام ذا عقل سليم ، وكن على حذر من المعاصى مبتعداً عنها حتى تصل إلى درجة الإحسان كما جاء فى حديث الرسول ﷺ لجبريل ـ عليه السلام : « اعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » الحديث من كتاب الأربعين النووية .

الخليل الصالح

أرسل القارىء/ مصطفى محمود مصطفى ـ كفر ربيع ـ منوفية :

يقول :

لا شك أن الخليل الصالح كنز ثمين نعتز به ، ونفخر ؛ فهو الساعد الأيمن الذى يعين فى النوازل والحوادث ، وينصح ويرشد ، وهو الذى نأتمنه على أموالنا وأسرارنا ، وها هى ذى نضيحة من لقمان الحكيم لابنه فى اختيار الخليل الصالح .

قال لقمان لابنه وهو يعظه : « اعلم ـ بنىّ ـ أن من الكلام ما هو أشد من الحجر ، وأنفذ من وخز الإبر ، وأن القلوب مزارع ، فازرع فيها طيب الكلام ، فإن لم ينبت كله نبت بعضه ، وليكن أول شىء تكسبه بعد الإيمان بالله هو الخليل الصالح ، فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة ، إن احتطبت من حطبها احطبتك (أى : أعطتك حطبا) وإن استظللت بظلها أظلتك ، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيباً » .

هؤلاء أدركوا حقيقة الدنيا

أما القارىء/ عبد الناصر مصطفى أحمد ـ أسيوط ـ موشا ـ ش الجلاء :

فقد اختار هذا الجزء من الإحياء جـ٣ ص٣٣٢ ، وقد جاء فيها :

(قال محمد بن الحسين : لما علم أهل الفضل والعلم والمعرفة والأدب أن الله ـ عز وجل ـ قد أهان الدنيا ولم يرضها لأوليائه ، وأنها عنده حقيرة قليلة ، وأن رسول الله ﷺ زهد فيها وحذر أصحابه من فتنتها ، أخذوا منها ما يكفى وتركوا ما يُلهى ، لبسوا من الثياب ما ستر العورة ، وأكلوا من الطعام ما سد الجوعة ، ونظروا إلى الدنيا أنها فانية ، وإلى الآخرة أنها باقية ، فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب ، وفخربوا الدنيا وعمروا بها الآخرة ، ونظروا إلى الآخرة بقلوبهم فعلموا أنهم سينظرون إليها بأعينهم فارتحلوا إليها بقلوب لما علموا أنهم سيرتحلون إليها بأبدانهم ، تعبوا قليلا وتنعموا طويلا).

فحق عليهم قول القائل :

إن لله عبـــــاداً فُطَنَـــــا
طَلّقوا الدنيـــا وخَافُـــوا الفتَنَـــا
نظـــروا فيها فلمـــا عَلمـــوا
أنها ليست لِحَـــى سَكَنَـــا
جَعَلُوهـــا لجَّـــةً واتخذوا
صَالــحَ الأعمـــال فيها سُفُنَـــا

مدرسة التواضع

أما القارىء / ربيع عبد العظيم الإكيادى ـ رابطة شباب الأزهر ـ بإكياد :

فقـــد كتب تحت عنـــوان : « مدرسة التواضع » كلمة نوجزها فيما يلى :

إن المتواضعين فى كل جيل هم دفعة تخرجت من مدرسة التواضع التى افتتحها الإسلام ، ففى الحديث الذى رواه الإمام مسلم : (..وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله) .

وقال ـ تعالى :

﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾

سورة الشعراء

وقال :

﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾

الإسراء / ٣٧ ، لقمان / ١٨

وقال فى جزاء المتواضعين :

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾

القصص / ٨٣

وقال رسول الله ﷺ فى الأمر بالتواضع : « إن الله أوحى إلىّ أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد » رواه مسلم .

سداسية

أما القارىء / محمد أحمد مكرم ـ الواسطى ـ أسيوط :

فيرسل هذه السداسية التى يقول فيها :

هناك ستة أشياء كفيلة بأن تغلق أبواب جهنم عن وجه من يتمسك بها ويعمل بها وهى : اللسان ، والقلب ، والنظر ، والبطن ، واليد ، والقدم .

١ ـ أما اللسان : فيمنعه المؤمن من الكذب والغيبة والنميمة والبهتان وكلام الفضول ويجعله مشغولا بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم .

٢ ـ القلب : فيُخْرج منه العداوة والحسد ولا دواء لهما إلا بالعلم والعمل .

٣ ـ النظر : فلا ينظر إلى الحرام من المأكل والمشرب والملبس ولا إلى الدنيا بالرغبة ، ويغض البصر عما لا يحل له .

٤ ـ البطن : فلا يدخل فى بطنه حرام ، فإنه إثم كبير فكل جسم نبت من حرام فالنار أولى به .

٥ ـ اليد : فلا يمد يده إلى الحرام بل يمدها إلى ما فيه طاعة الله ـ تعالى ـ .

٦ ـ القدم : فلا تمشى قدمه فى معصية الله ، بل تمشى فى طاعته ورضاه وإلى صحبة العلماء والصلحاء .

إما نعمة وإما نقمة

أما القارىء / السعيد السيد الريس ـ محافظة كفر الشيخ ـ دسوق ـ سنهور المدينة :

فقد بعث إلينا هذه الكلمات التى يتكلم فيها عن أثر المال الإيجابى والسلبى .. يقول :

المال سلاح ذو حدين ، يُتخذ فى أشياء كثيرة ، ويظن الناس أنه بالمال نمتلك كل شىء وغاب عنهم ما حدث لقارون فقد ملك المال الكثير ، وتكبر وتجبر على الناس حتى أنهم عندما نصحوه ووعظوه قال : لقد ورثته كابراً عن كابر ، وبطش بالناس وانضم إلى فرعون فخسف به وبداره الأرض وهذا مصير من يتكبر بالمال .

ومن الناس من يعلم أن المال نعمة ، يشكر الله عليها ، فها هو أبو بكر الصديق يأتى بكل ماله إلى رسول الله ﷺ فيقول له ﷺ : ماذا تركت لأولادك فيقول : تركت لهم الله ورسوله ، فعاد مال أبى بكر عليه وعلى المسلمين بالخير العميم .

ردود سريـــــعة

*** القارىء / محمد سعد لطفى على**
المنصورة ـ قرية طناح ـ دقهلية

نرحب بإنتاجك الأدبى ، وبخصوص الشعر فإننا نلتزم بنشر الشعر الجيد الذى يعالج الأفكار الجيدة ولايخرج عن ضوابط الشعر فى الوزن والقافية .

*** القارىء / محمد سيد أحمد محمد**

كلية التربية ـ جامعة الأزهر

نشكر لك اهتمامك بالمجلة ، واقتراحك جيد ولعلك تراه قريبا .

*** القارىء / إبو شرف الدين ـ طشقند ـ أوزبكستان**

نشكر لكم اهتمامكم بأمور المسلمين ، واهتمامكم بما ينشر عن هذا الموضوع ، وهو ما لمسناه بإشارتكم إلى مقال : « الإسلام فى الكتب المدرسية فى أوروبا الغربية » بقلم الأستاذ الدكتور عبد الجواد فلاطورى والذى نشرته مجلة الأزهر فى عددها الصادر فى شهر المحرم ١٤١٥ هـ . وهو ما لمسناه ـ أيضا ـ فى تعليقكم على كتاب « مصر والمصريون » الذى نأمل أن نقدمه فى عدد قادم بمشيئة الله ـ تعالى ـ وجزاكم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

أنباء وآراء

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى ● مصطفى عبد المجيد

اعتماد حركة رؤساء البعثات

اعتمد فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف حركة رؤساء بعثات الأزهر الشريف التعليمية إلى الدول العربية والافريقية والأسيوية للعام الدراسى ١٩٩٧/٩٦ شملت الحركة ايفاد رؤساء خمس بعثات جدد لأول مرة فى هذا العام وهم :

فضيلة الشيخ عبداللطيف سمعان . رئيساً لبعثة الأزهر فى لبنان

فضيلة الشيخ محمد عبدالرازق الجمل رئيساً لبعثة الأزهر فى النيجر .

فضيلة الشيخ مصطفى ضيف رئيساً لبعثة الأزهر فى مالى .

فضيلة الشيخ محمد عبدالفتاح عبدالدايم رئيساً لبعثة الأزهر فى اندونيسيا .

فضيلة الشيخ معوض محمد عويضة رئيساً لبعثة الأزهر فى اليمن .

تكريم أوائل الشهادات الأزهرية

قام فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بتوزيع الجوائز المالية وشهادات التقدير على أوائل الشهادات الأزهرية (الابتدائية ـ الاعدادية ـ الثانوية ـ معهد البعوث) للعام الدراسى ٩٥ ـ ١٩٩٦ على مستوى الجمهورية .

كذلك قام فضيلته بتوزيع الجوائز على الفائزين فى مشروع الجائزة الكبرى على مستوى الجمهورية للعاملين برعاية الطلاب بالأزهر الشريف .

وقد ألقى فضيلة الإمام الأكبر كلمة بهذه المناسبة حث فيها الفائزين على بذل الجهد والعرق والمثابرة للحفاظ على دوام الفوز والتقدم ، فهم علماء المستقبل وحاملو رايته .

حضر الحفل فضيلة رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة نائب رئيس جامعة الأزهر وفضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية ولفيف من قيادات الأزهر الشريف .

جـولة الإمـام الأكبـــر فى صـــعيد مصـــر

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر يرافقه فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف وفضيلة الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر بزيارة لعدد من محافظات الصعيد شملت المنيا واسيوط وسوهاج وقنا والأقصر .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر أن قافلة الدعوة التى تنظم أجهزة الدعوة فى مصر تعمل وفق منظومة واحدة ولا تعارض بينها مشيرا إلى الهدف الأسمى للدعاة فى الأزهر جامعاً وجامعة وفى الأوقاف توعية المسلمين بالفكر الدخيل على الإسلام ذلك الفكر الذى يدعو للعنف ويستحل دماء الابرياء وممتلكاتهم .

واشار فضيلته إلى أن قافلة الدعوة التى تجوب مدن ومحافظات الصعيد هدفها أمران :

الأول : تأكيد المودة والمحبة ووحدة الهدف والرسالة بين سائر أجهزة الدعوة .

الثانى : تجديد العهد على أن الدعاة سيظلون حماة للفضائل لنشر نعمة الأمان والاطمئنان والسلام والاستقرار والرخاء والسماحة وأن شريعة الإسلام هدفها نشر الخير والحث على فعله انطلاقا من قوله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) .

وجدد شيخ الأزهر حرص العلماء على الوقوف فى وجه الارهاب والافساد والتعدى على أموال الناس وحرماتهم وممتلكاتهم ايا كانوا مسلمين وغير مسلمين لأن الفضائل لا تتجزأ مع المسلم وغير المسلم .

وأوضح فضيلته ان القرآن الكريم حرم ارتكاب الفواحش على المسلم وغير المسلم فالظلم والعدوان والقتل حرام على المسلم وغير المسلم مشيراً إلى أن اختلاف الناس فى العقائد أمر يحاسب عليه الله وحده ولا يجوز لبشر أن يحاسب بشراً آخرين على عقائدهم ودياناتهم .. وعلى المسلم الا يسىء إلى من يحترم عقيدته وشريعته .

وأكد الدكتور وزير الأوقاف أن الدعوة فى مصر تعيش عصرها الزاهر متعاونة على خير هذا المجتمع ليس كما يكتب البعض متهما الهيئات الإسلامية بأنها تزرع بذور الكراهية والتعصب وأن الدعاة يحتقرون المرأة ويقللون من شأنها مؤكداً أن هذا كلام غير صحيح .

الإمام الأكبر يفتتح اللقاء الثانى للحوار بين الأديان

شارك فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف فى أعمال افتتاح اللقاء العام الثانى للحوار الإسلامى المسيحى الذى عقد بمدينة الاسكندرية فى الفترة من ٢٧ ـ ٢٩ أغسطس الماضى تحت عنوان (الإنسان المصرى وتحديات القرن الحادى والعشرين) كذلك شارك فى أعمال اللقاء فضيلة الشيخ أحمد عطا سعود وكيل الأزهر الشريف ولفيف من علماء الأزهر ووزارة الأوقاف .

وقد أكد فضيلة الإمام الأكبر فى كلمة ألقاها فى الجلسة الافتتاحية لهذا اللقاء على أن الأديان السماوية التى انزلها الله سبحانه وتعالى على انبيائه تدعو إلى الفضائل وتنبذ الرذائل وأن الإنسان المصرى عندما نقرأ تاريخه نرى أنه يقبل التحديات لأن الحياة ما هى إلا لون من ألوان التحديات وصراع بين الخير والشر بين العقلاء والسفهاء .. وأشار فضيلته إلى أن المصرى سواء كان مسلماً أو مسيحياً يتساوى فى الحقوق والواجبات .

وأضاف : أن جميع الأديان تأمرنا بالدفاع عن انفسنا ضد من يسىء إلينا .. وعملا بقول الحق تبارك وتعالى (لا إكراه فى الدين) لأن الاكراه فى العقائد لا يولد مؤمنين وإنما يولد منافقين .

وأكد فضيلته على أن العقيدة الدينية مستقرة داخل الإنسان المصرى منذ عصر الأهرامات .

وأكد فضيلة الدكتور محمود زقزوق وزير الأوقاف فى الكلمة التى القاها نيابة عنه فضيلة الدكتور عبدالرشيد سالم وكيل وزارة الأوقاف أن كل المصريين متساوون فى الحقوق والواجبات مشيراً إلى أن مصر كانت أرض تصحيح الانحرافات .

استقبالات الإمام الأكبر شيخ الأزهر

● استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف الدكتور محمد اليعقوبى مدير المركز الإسلامى بالسويد ومبعوث الحكومة السويدية للمشاركة فى المؤتمر الثامن للحوار الحضارى الذى نظمه المجلس الأعلى للشئون الإسلامية التابع لوزارة الأوقاف الذى عقد بالقاهرة فى الفترة من ٢٤ ـ ٢٧ يوليه الماضى .

وقد دار اللقاء حول مناقشة سبل التعاون بين الحكومة السويدية والأزهر الشريف وحاجة المسلمين فى السويد لعلماء الأزهر الشريف لتبصيرهم بأمور دينهم .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد البشارى رئيس وفد فرنسا لدى المؤتمر ورئيس الفيدرالية العامة لمسلمى فرنسا ، حيث اطلع سيادته فضيلة الإمام الأكبر على أحوال المسلمين فى فرنسا وسبل التعاون بينهم وبين الأزهر الشريف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور مهير متيلان محافظ جنوب الفلبين الذى قدم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة توليه مشيخة الأزهر الشريف وقدم كذلك الشكر للأزهر الشريف على مايقدمه من مساعدات ومنح دراسية لأبناء مسلمى الفلبين للدراسة بالأزهر .

● واستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف السيد السفير / محمد على محمود سفير كينيا بالقاهرة وذلك بمناسبة تسلمه لعمله كسفير لبلاده بالقاهرة .

وقد قدم سيادته التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة توليه مشيخة الأزهر الشريف ودار الحديث خلال اللقاء عن الدور البارز الذى يقوم به الأزهر الشريف فى كينيا لنشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

كذلك قدم السيد السفير شكره لفضيلة الإمام الأكبر لقيام الأزهر الشريف بانشاء المعهد الأزهرى فى كينيا وامداده بالمدرسين والكتب الدراسية وفق خطة ومناهج الأزهر مما سيكون له أكبر الأثر على ابناء المسلمين بكينيا فى تعليم اللغة العربية وعلومها .

وقد حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير تحياته للرئيس الكينى وحكومة وشعب كينيا مؤكداً على استعداد الأزهر لتقديم كل عون لابناء كينيا الدراسين بالأزهر .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف بمكتبه سعادة السفير كانوال سيبال سفير جمهورية الهند بالقاهرة .

تم خلال اللقاء بحث دور الأزهر البارز فى شتى بقاع الأرض فى مجال نشر الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله تعالى .

وقد قدم السيد السفير دعوة رسمية لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة الهند ، حيث شكره فضيلة الإمام الأكبر على تلك الدعوة ووعد ببحثها تمهيداً لتلبيتها فى القريب العاجل .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر السيد السفير شكر الأزهر الشريف لحكومة وشعب الهند الصديق .

● واستقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر السيد فاروق حسنى وزير الثقافة ، حيث تناول اللقاء إسهام هيئة الآثار فى ترميم الجامع الأزهر وتقديم الجوانب الفنية لعملية الترميم لكى يظهر مبنى الجامع الأزهر الشريف بالمظهر اللائق به كتراث دينى وعلمى وثقافى يزيد عمره على ألف سنة .

وقد شكر فضيلة الإمام الأكبر السيد الوزير على هذا الاهتمام وعلى الخدمات الفنية الرائعة التى تقدمها وزارة الثقافة وهيئة الآثار لمبنى الجامع الأزهر الشريف .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر وفد جامعة قطر برئاسة الدكتور محمد الابراهيمى نائب رئيس الجامعة .

تم خلال اللقاء بحث التعاون بين قطر والأزهر الشريف ومعادلة الشهادات المتوسطة فى قطر بالشهادات الأزهرية .

شهد اللقاء الدكتور يوسف عبيدان عميد كلية الادارة والاقتصاد بقطر والدكتور عبدالحميد الانصارى عميد كلية الشريعة السابق بجامعة قطر .

● كما استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر الشريف السيد السفير ف . ك . راجان سفير سنغافورة بالقاهرة ، وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة ذكرى المولد النبوى الشريف دار اللقاء حول دعم التعاون الثقافى والدينى بين الأزهر الشريف ودولة سنغافوزة وزيادة المنح الدراسية لأبناء سنغافورة للدراسة بالأزهر الشريف لما لذلك من أثر كبير على أبناء سنغافورة فى فهم أمور دينهم ، ولما للأزهر الشريف من دور بارز فى هذا المجال .

● كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر السفير / وكيلرن إسرافيل سفير دولة اذربيجان فى القاهرة وذلك لتقديم التهنئة لفضيلة الإمام الأكبر بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

وقد تلقى فضيلة الإمام الأكبر دعوة رسمية لفضيلته من أجل زيارة جمهورية أذربيجان وقد شكره فضيلة الإمام الأكبر على تهنئته الكريمة وحمله إبلاغ شكره وتقديره للرئيس حيدر بابيف والحكومة وشعب أذربيجان الشقيق ، كما وعده بدراسة الدعوة تمهيداً لتلبيتها .

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدى عبد الحميد بشير

مبـــارك يؤكـــد عـــلى وحـــدة العـــراق

أكد الرئيس حسنى مبارك ان موقف مصر ثابت ومبدئى من وحدة الأراضى العراقية حيث إنه لابد من الحفاظ على هذه الوحدة وقال : نحن نقف بشدة ضد كل محاولة لتقسيم العراق وقال سيادته فى حديث نشرته صحيفة مايو الصادرة يوم الإثنين ٢٥ من ربيع الآخر الماضى :

إن العراق شعب عربى شقيق ، ودولة عربية نحرص على كيانها ووحدتها شأن أية دولة عربية أخرى نكن لها هذه المشاعر الأخوية ، ونلتزم تجاهها بتلك المبادىء .

وقال سيادته : إن تجزئة العراق أمر خطير للغاية .

وتناول سيادته فى تصريحاته سياسة الإصلاح الاقتصادى فى مصر وما حققته من نتائج ، وأعلن أن الاتفاق الجديد مع صندوق النقد الدولى ، والخاص بإسقاط الشريحة الثالثة من الديون سيتم توقيعه يوم أول أكتوبر ١٩٩٦م ، وأكد سيادته التزامه بعدم تحميل أعباء جديدة على محدودى الدخل وأشار إلى أن مكانة مصر فى العالم تزداد رسوخاً ، وأن مصر بموقعها وبقوة إرادة شعبها قادرة على التأثير فى مجريات الأمور . بإذن الله ـ تعالى .

عـــودة لاجئـــى البوســـنة

تعهد الرئيس البوسنى على عزت بيجوفتش بعودة اللاجئين المسلمين المطرودين من بلدة برتشكو الواقعة تحت السيطرة الصربية إلى منازلهم وإلا حدثت اضرابات خطيرة ، جاء ذلك فى خطاب حماسى ألقاه أمام مظاهرة صاخبة نظمها

خمسة آلاف من مؤيدى حزبه على مقربة من بلدة برتشكو ، وذلك قبيل الانتخابات العامة التى ستجرى أوائل جمادى الأولى ١٤١٧ هـ .

مجلس التعاون يطالب إسرائيل بالانسحاب

أدلى وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجى فى بيان ختام اجتماعاتهم بالرياض الأحد ٢٤ ربيع الآخر الماضى : إن تحقيق السلام الشامل والعادل فى الشرق الأوسط يستوجب انسحاب إسرائيل الكامل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة إلى خط الرابع من يونيو ١٩٦٧ ، وكذلك الانسحاب الكلى غير المشروط من جنوب لبنان تنفيذاً لقرارات مجلس الأمن ٢٤٢ ، ٣٣٨ ، ٤٢٥ ، ومبدأ الأرض مقابل السلام والانسحاب الفعلى من كافة الأراضى الفلسطينية ، وتمكين الشعب الفلسطينى من إقامة دولته المستقلة وعاصمتها : القدس الموحدة ، ودعا راعى مؤتمر مدريد للسلام : للسعى تجاه استمرار العملية السلمية ، والمفاوضات ، وانضمام إسرائيل لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ، وإخضاع كل مرافقها النووية للتفتيش الدولى وجعل منطقة الشرق الأوسط خالية من أسلحة الدمار الشامل ، كما طالبوا العراق بتنفيذ القرار رقم ٨٦٩ المعروف بالبترول مقابل الغذاء والدواء .

انسحاب القوات الروسية من الشيشان

يقضى الاتفاق المبرم بين الشيشان وموسكو بانسحاب القوات الروسية من الشيشان وتشكيل حكومة ائتلافية من المقاتلين والموالين للروس وتأجيل المطالبة بالاستقلال مدة ٥ سنوات ، إلى جانب إعادة إعمار ما خربته الحرب .

مصر تحذر إسرائيل

طالبت مصر إسرائيل مجدداً بالتراجع فوراً عن « اللاءات » التى يطلقها اليمينيون فى وجه عملية السلام . وقال مصدر دبلوماسى فى القاهرة : إن الإسرائيليين بإنتهاكاتهم للاتفاقيات الموقعة ، ومراوغاتهم التى تهدد مسيرة السلام بالتوقف ، يشيعون التوتر الذى قد يؤدى إلى انفجار الموقف ، وإن إسرائيل تخطىء إذا تصورت أن صبر العرب ليس له حدود ، إذ أن استمرار تجميد عملية السلام وإطلاق حرية الاستيطان ما هو إلا مصادرة لمكاسب السلام الهش .

(a.s.e) au Prophète -b.s.- à qui dois-je donner? (aumône, présent...) -"Au çoisin dont la porte est la plus proche" lui dit-il.

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Si, par malchance, on a un mauvais voisin, qu'on use d'endurance, car la patience finira par en triompher. Un homme alla se plaindre au Prophète -b.s.- de son voisin. "Supporte-le,", lui dit-il.

A la 3e ou à la 4e fois qu'il se plaignit, le Prophète -b.s.- lui dit: "Sors tes meubles dans la rue". Ce qu'il fit. Les passants s'arrêtaient pour lui en demander la cause. "Mon voisin, m'a beaucoup nui," répétait-il à chacun. Alors ils repartaient en maudissant le voisin. Ce dernier, ayant vu cela, alla le trouver et lui dit: "Remet tes effets chez toi; je jure de ne plus recommencer".

"Hadith rapporté par Abu-Daoud."

On raconté qu'Abu Hanifa al-No'man[1] avait un voisin cordonnier qui passait toute le soirée à s'énivrer en chantant avec une voix discordante cette chanson :

"Ils m'ont perdu et n'ont pas connu ma valeur, Je pouvais les défendre en un jour de guerre, en surveillant les frontières".

L'Imam endurait avec patience toute cette gêne, sans dévoiler le secret de son voisin et son mauvais caractère. Un jour, le cordonnier fut arrêté et conduit en prison. Le soir, l'Imam attendit en vain la voix et le bruit, alors il s'informa des nouvelles de son voisin et apprit ce qui était arrivé à ce dernier. Alors, il intercéda en sa faveur et le cordonnier fut relâché. A son retour, l'Imam prit le cordonnier par la main et lui dit: "Est-ce que nous t'avons perdu, Ô jeûne homme? L'homme plein de honte, tout confus par la conduite de l'Imam, se repentit, s'orienta vers le Droit chemin et fut un bon musulman.

---

1) Un des quatre chefs des écoles jurisprudentielles.

insectes nuisibles. D'autos épient leurs voisins pour révéler leurs défauts et leurs imperfections. D'autre encore utilisent les hauts parleurs en différentes occasions (cérémonies, mariages ou autres), ce qui porte préjudice au malade, au vieillard, à celui qui passe sa nuit en actes d'adoration ou encore à l'étudiant. D'autres haussent la musique des cassettes de leurs autres si bien qu'ils dérangent les passants et les autres conducteurs; ou bien ils conduisent trop rapidement en effrayant les piétons, sans ce soucier des personnes âgées ou des autres autos.

Tout ceux qui ne respectent pas les lois du bon voisinage seront exposés au châtiment d'Allah et privés de l'intercession du Prophète - b.s.- Ils perdent leurs bonnes actions - s'ils en ont - sinon les péchés de ceux qu'ils ont offensés seront ajoutés aux leurs. De plus, dans le monde d'ici - bas, ils subiront toutes sortes de châtiments, d'après ce que nous apprend le Prophète -b.s.- : "Celui qui nuit à autrui, Allah se chargera de lui nuire, celui qui cause des difficultés à autrui Allah se chargera de lui causer des difficultés".

"Hadith rapporté par Al-Tirmizy."

Notre Prophète -b.s.- invoquait son Seigneur en cex termes: "Ô Allah! préserve-moi d'un voisin qui s'il voit un de mes bienfaits, le dissimule, et s'il voit un de mes méfaits, le divulgue".

"Ô Allah! préserve-moi d'un voisin malfaiteur dans ma résidence sédentaire parce que le voisin compagnard s'en va".

Il faut observer une conduite saine: en empêchant ses enfants de se vanter d'avoir des jouets, des vêtements neufs ou des fruits, devant les enfants des voisins - qui ne peuvent pas en acheter. Il faut aussi, les empêcher de prendre avec eux à l'école ce qui peut éveiller l'envie de ceux qui sont privés. D'autre part, cela les rend vaniteux et orgueilleux. Le Prophète -b.s.- a également défendu d'indisposer son voisins par l'odeur d'une viande grillé, sinon on doit lui offrir un plat ou l'inviter à sa table. Le bon musulman se montre déférent envers son voisin et doit lui rendre service. "J'ai deux voisins, dit Aïcha

maison est contigüe à la nôtre, le campagnon provisoire de route, le voisin qui partage avec nous un moyen de transport; Allah a exigé de notre part d'être bienfaisant envers tous ceux - la.

Le verset se termine par une conclusion qui nous fait sentir que le fait de ne pas être bienfaisant avec son voisin ou de lui faire du tort ne peut provenir que de la part d'un orgueilleux qui est fier et dont le coeur est plein de mépris pour autrui.

Le Prophète -b.s.- a recommandé dans plusieurs hadiths de conserver de bons rapports de voisinage, Il a dit: "L'Archange Jibril ne cessait de me recommander le voisin si bien que je crus qu'il allait lui assigner une part de la succession".

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Le Prophète -b.s.- a prévenu qu'il ne allait en aucune façon faire tort à son voisin, soit par la parole soit par les actes. Il a dit: "Je jure par Allah qu'il n'est point croyant, je le jure par Allah! Je le jure -mais qui donc?" lui demanda-t-on.

— "Le voisin dont on redoute la méchanceté dit-il.

"Hadith rapporté par Abou-Horaïra."

On rapporté qu'un homme alla trouver le Prophète -b.s.- et lui dit: "Ô messager d'Allah, une telle jeûne le jour, fait généreusement l'aumône, prie jour et nuit mais tourmente ses voisins". Le Prophète -b.s.- lui dit alors: "Elle ira en enfer".

Hadith rapporté par Abou-Horaïra.

De plus, le Prophète -b.s.- a montré que le croyant doit s'informer de l'état de son voisin, car ce dernier a plus droit à sa bienveillance et à ses soins. Il nous dit cela en ces termes: "Celui qui s'endort rassasié alors que son voisin a faim et qu'il le sait, n'a pas cru en mon message".

"Hadith rapporté par Al-Bazzar."

Ce qui chagrine, c'est que, de nos jours, les gens ne respectent pas cela et font des choses qui déplaisent à Allah et à Son Prophète -b.s.- en causant du tort à leurs voisins: Ils jettent les ordures par la fenêtre ce qui nuit aux voisins par les odeurs fétides et la propagation des

Les rapports de bon voisinage

par Hoda Hussein Chaâraoui

Le droit de voisinage est reconnu par le musulman, il doit être sauvegardé et respecté de part et d'autre. Allah - gloire à Lui - a prescrit ce droit en disant: [adorez Allah et ne Lui associez rien. Traitez avec bonté vos père et mère, vos proches, les orphelins, les pauvres, le voisin apparenté, le voisin étranger, le proche compagnon, le voyageur et les esclaves: Allah n'aime pas ceux qui sont orgueilleux et fiers].

"Surate 4. "Al-Nissa" des femmes V. 36."

Ce verset expose plusieurs sortes de relations de voisinage: il y a le voisin proche avec qui on a des liens de parenté, le voisin dont la

guer l'application des prescriptions de l'Islam des fausses prétentions des hypocrites qui, en fait, s'opposent à l'Islam.

Le premier de ces signes c'est que le musulman est celui dont les musulmans ne craignent ni les paroles ni les actions. Le Prophète entend par là que celui dont l'Islam atteint la perfection par l'accomplissement du culte et des prescriptions tout en évitant les interdits ne cause de tort à autrui. Il ne dit point du mal des autres ni par les paroles ni par les gestes ni même par des signes, qu'il agisse de vivants ou des morts. Il ne tend point la main pour nuire aux autres en les blessant de n'importe quelle façon.

La seconde partie du hadith où le Prophète -b.s.- dit que le vrai croyant est celui en qui les gens ont confiance et avec qui ils se sentent en sécurité — Ceci est en effet la conséquence naturelle de la conduite du vrai croyant qui inspire la confiance aux autres.

Bien plus, le Messager d'Allah -b.s.- dans certaines de ses recommandations explique clairement aux gens que celui qui ne se comporte pas toujours avec ses semblables, n'a pas le droit de prétendre être croyant ni faire partie de ceux qui portent l'étendard de l'Islam.

Le Musulman et le croyant

par Dr Rokeya Gabr

Le Message de l'Islam depuis qu'il fut transmis par Mohammad -b.s.- vise en premier le bonheur de l'humanité tout en assurant la paix et la sécurité au sein des sociétés humaines afin que ces dernières mettent toute leur énergie à peupler la terre en fonction des prescription d'Allah - gloire à Lui - En effet, Allah a placé les hommes en qualité de représentants d'Allah sur la terre, puis Il les observe afin de voir comment ils se comportent à cet égard.

Parmi les recommandations du Prophète -b.s.- à ce sujet, on trouve le Hadith d'Al-Tirmidhy rapporté d'après Abu Huraïra qui raconte que le Messager d'Allah -b.s.- a dit: "Le croyant est celui dont les croyants ne craignent ni les paroles ni les actes; le croyant est celui à qui les gens confient en toute sécurité leur vie et leurs biens". Par ce hadith, le Messager -b.s.- nous explique que l'Islam et la foi sont les deux aspects d'une même chose: qui est la vraie croyance en la religion d'Allah — qu'Il soit glorifié —

Le Prophète a montré que cette croyance a deux aspects :

Le premier aspect concerne le musulman lui-même et le second concerne les sentiments des gens à l'égard de cette personne. En effet l'individu ne vit pas isolé; il est un membre de la société humaine avec laquelle il est en perpétuelle interaction: il réagit donc avec cette société. Lorsque cet échange est correct il est fructueux; mais s'il ne l'est pas ses résultats ont un effet contraire et provoquent troubles des suspicions, l'insécurité et même ce qui déforme cette religion.

Afin de ne point laisser cela à l'appréciation individuelle ou aux penchants personnels, le Prophète -b.s.- a indiqué avec précision des signes visibles et apparents qui permettent de reconnaître les expressions de le vraie foi et du comportement de manière à pouvoir distin-

REVUE AL-AZHAR

Vol. 69 Part VII
Jumada Al-Ula 1417 H., Sep. Oct. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى
ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ
وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

" Alms are only for the poor and the needy, and the official appointed over them, and those whose hearts are made to incline to truth and the captives, and those in ordinance from Allāh, and Allāh is Knowing, Wise." (9:60)

Therefore the Holy Qur'ān classifies the eligible recipients of Zakāh as follows :

1. Poor Muslims, to relieve their distress.
2. Needy Muslims, to supply them with means whereby they can earn their livelihood.
3. New Muslim converts, to enable them to settle down and meet their demands.
4. Muslim prisoners of war to liberate them by payment of ransom money.
5. Muslims in debt, to free them from their liabilities incurred under pressing necessities .
6. Muslim employees, appointed by a Muslim governor for the collection of Zakāh to pay their wages.
7. Muslims in service of the cause of Allāh by means of research or study or propagation of Islam.
8. Muslim wayfarers who are stranded in a foreign land and in need of help.

Who pays Zakàh ?

Every Muslim who owns something beyond his basic needs at the end of the year should pay Zakàh . The amount to pay is based on the (excess) wealth of that person.

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا

"Take alms of their wealth so that you cleanse them thereby and cause to grow in purity...." (9:103).

Significance of Zakāh:

Briefly they may be summed up as follows :

1. Zakah purifies the property of the people and cleanses it from the shares which don't belong to it any more, the shares which must be distributed among the due beneficiaries.
2. Zakāh doesn't only purify the property of the contributor but also purifies his heart from selfishness and the greed for wealth.
3. Zakāh purifies the heart of the recipient from envy, jealousy and hatred.
4 Zakāh cultivates in the recepient's heart goodwill, and warm wishes for the contributor. Consequently, this will purify the society from ill feelings, distrust, corruption, disintegration and from all such evils.
5. Zakāh reduces the sufferings of the needy and poor members of society.
6. Zakāh is a healthy form of internal security against selfish greed, social dissension and against penetration of subversive ideologies.
7. Zakāh is a vivid manifestation of the spiritual and humanitarian spirit of responsive interaction between the individual and society.
8. Zakāh shows the general philosophy of Islam which adopts a moderate and middle course between capitalism and socialism, between materialism and spirituality.

The eligible recipients of Zakāh :

The items of utilization of Zakāh stated in Holy Qur'ān:

ALMS (ZAKAH) :

The Third Pillar of Islam

by: Sheikh Muhammad M. Gemea

Introduction :

Zakāh (almsgiving) is an important pillar of Islam. It is given by those Muslims who have wealth, for the benefit of those Muslims who are poor or in need . The important of Zakāh can be understood from the fact that the Holy Qur'an mentioned Zakāh many times with prayer e.g. Allàh says:

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَتِ وَأَقَامُوا
الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

"Those who believe and do good deeds and establish regular prayer and regular Zakāh will have their reward from their God." (2:277) .

Thus, in the Muslim community, Zakāh(alms), acts as developing the higher sentiments of man, the sentiments of love and sympathy towards his fellow man, while the other rigid systems of state ownership and equality of distribution helps to kill man's instincts.

Therefore, giving Zakāh cleanses and purifies the giver by making him aware that he should not be selfish with the wealth Allàh has given him Allàh says in Qur'ān:

Islam is a universal message, revealed to all humanity, irrespective of race, language or place:

This is no less than a reminder to (all) the worlds [38/87]

We have not sent thee but as a (Messenger) to all mankind, giving them, and warning them (against sin) [34/28]

To be a Muslim, you need no intermediary. Just think independently, you are free to decide:

Let there be no compulsion in religion: Truth stands out clear from error [2/256]

(It will be said:) "Thou wast heedless of this; now have We removed thy veil, and sharp is thy sight this Day"[50/22]

At such a time, you will be totally helpless, devoid of money, power, family or freinds:

The Day whereon neither, wealth nor sons will avail [26/88]

Nobody will be forgiven for blindly following the influence of parents, leaders, clergy or society:

Then would those who are followed clear themselves of those who follow (them) [2/166]

Then will the weak say to those were arrogant, "For us, we but followed you; can ye then avail us at all against the wrath of Allaah?" [14/21]

Nay! they say: "We found our fathers following a certain religion, and we do guide ourselves by their footsteps" [43/22]

In Islam, the doors of repentance are widely open, any time for anybody. So, do'nt miss a valuable chance:

Say: "O my servants who have transgressed against their souls! Despair not of the mercy of Allaah: for Allaah forgives all sins [39/53]

CONCLUSION

Dear Reader:

Once you have read the preceding simple presentation, scientifically and logically presented here, as a proof of the truth of the message of Islam, you are from now on: "responsible" before the "Source" of that Message, The One God: Allah. It is time for self reckoning. Please give yourself a few moments of truth, liberating yourself from all pre-conceived ideas. Think freely, and do'nt take the issue lightly, for you have not been created in vain, nor just by chance:

***Did ye then think that We had created you in jest, and that ye would not be brought back to us (for account)* [23/115]**

The matter is serious. Once you put your hands on the evidence, everything you think of or stand for, will be either rewarded or penalized. So do not hesitate . Act now, before you finish your term of life on this earth. This can come at any moment, regardless of your wish or plan; and beyond your control:

***But no one soul will Allaah grant respite when the time appointed (for it) has come* [63/11]**

These verses were revealed at a time when the new Muslim faith was at its lowest ebb, hardly surviving the deadly seige by all contemporary forces, in and outside the Arab Peninsula. Nevertheless, all of this and more (indeed much more) came true.

v-A few years before the death of the Prophet Muhammad (peace be upon him), Persia has given a strong blow to the Romans, that was culminated by the conquest of Jerusalem in 614-615 AC. The Quraan, however, has given a prophecy, against all odds at that time, that victory will swing back to the Romans, within less than 10 years:

***The Romans have been defeated - in a land close by: But they, (even) after (this) defeat of theirs, will soon be victorious - within a few years* [30/2-4]**

The surprise victory did occur, in the decisive battle of Issues in the year 622 AC. and the Romans struck into the heart of Persia in the year 624 AC. This gave a further confirmation to the truth of the Quraan.

vi-Environmental degradation of land and water, induced by human mishandling, was also predicted by the Quraan:

***Mischief has appeared on land and sea because of (the meed) that the hands of men have earned* [30/41]**

There may be nothing strange in predicting land spoiling or degradation, a usual consequence of wars, neglect and crimes in all ages. But spoiling of water does not normally ensue from such causes. It has become significant only recently, in the form of marine and fresh water pollution, threatening marine life. It is such an outstanding prophecy, being mentioned in the text of Quraan , that was revealed fourteen centuries ago.

revelation, is predicted in the following verses:

***Nay, they charge with falsehood that whose knowledge they cannot encompass, even before the interpretation thereof hath reached them* [10/39]**

***And ye shall certainly know the truth of it (all) after a while* [38/88]**

***Who will ... show you His signs, so that ye shall know them* [27/93]**

***For every Prophecy is a limit of time, and ... *ye shall* know it* [6/67]**

***... *We will* show them our Signs in the ... *horizons* ...., and *within themselves*, until it becomes manifest to them that this is the truth* [41/53]**

That this has gradually come true is the context of this booklet (paragraphs 1 to 19).

iv-The conquest of Mecca was prophesied in the Quraan:

***Verily He Who ordained the Quraan for thee, will bring thee back to the Place of Return**

(1:a title of Makkah; 2:the occasion when we shall be restored to the Presence of our Lord)* [28/85]

***Truly did Allaah fulfill the vision of his Messenger: Ye shall enter the Sacred Mosque, if Allah wills* [48/27]**

whether recited in the seventh or in the twentieth centuries; whether by Arabs in the Middle East or by Turks, Indonesians, Nigerians or Americans.

ii-The Quraan challenges everybody, anywhere, anytime to compose or imitate such a unique literary style, superb language, or perfect expression of the text of the Quraan:

***Or they may say, "He forged it". Say: "Bring ye then ten Suras forged, like unto it, and call (to your aid) whomsoever ye can, other than Allaah!- if ye speak the truth"* [11/13]**

***Or do they say, "He forged it"? Say: "Bring then a Sura like unto it, and call (to your aid) anyone you can, besides Allaah, if it be ye speak the truth"* [10/38]**

***And if ye are in doubt as to what We have revealed from time to time to Our servant then produce a sura like thereunto, and call your witnesses or helpers (if there are any) besides Allaah, if ye are truthful* [2/23]**

***Say: "If the whole of mankind and Jinns were to gather together to produce the like of this Quraan , they could not produce the like thereof, even if they backed up each other with help and support* [17/88]**

The proof of the history of the Arabic literature has been such that no other text, whatsoever, stood to the challenge.

iii-Humanity will, gradually, come to grasp the correct scientific interpretation of several Quraanic statements, beyond what was known at the time of

WHY ISLAM

Proofs of Modern Science
Part VII

by: Nabil Abdel-Salam Haroun

The last of the proofs: for why an intellectual should embrace Islam is the prophecies of history. These prophecies are found in the Quraan and by time were proven to be true.

20-Prophecies of history:

Prophecies given in the Quraan have been subsequently proven, one by one, with the march of history. Prophecies of such nature could have not all come true, unless their source was the All-Knowing Creator of this universe. Examples are:

i-Predicting that the text of the Quraan will be preserved forever:

***We have, without doubt, sent down the Message; and We will assuredly guard it (from corruption)* [15/9]**

In spite of the fact that it was first revealed in a community that was largely illiterate, and in the absence of modern documentation facilities, not a single word or letter has been changed or modified. In contrast to other scriptures, the Quraan is the Quraan,

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Ula 1417 H.,

Vol. 69 Part VII

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity): never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah:
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Dept . of English Language and Translation
Al. - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهرس

● الافتتاحية (العلم أمانة مؤداة)
للدكتور على أحمد الخطيب ٦٢٥
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٣٠
● مع سورة يس
أ.د. إبراهيم خميس ٦٣٧
● ولا تتخذوا آيات الله هزواً
للأستاذ عبد العزيز أحمد رضوان ٦٤٢
● قبس من أنوار النبوة
للشيخ على حامد عبد الرحيم ٦٤٥
● من رجال الحديث الشريف
تقديم الأستاذ/ أحمد تقى الدين ٦٤٨
● أثر الأخلاق فى بناء الفرد والمجتمع
للشيخ محمد حافظ سليمان ٦٥١
● القربات وإهداؤها للموتى
دكتور أحمد محمود كريمة ٦٥٧
● الإسلام وصلة الرحم
لفضيلة الشيخ زكريا أحمد نور ٦٦٣
● من تراث محمد أبو الفضل إبراهيم........... ٦٦٦
● أهمية العمل فى الإسلام
للأستاذ/ السيد أحمد المخزنجى ٦٧٢
● القدس مدينة السلام
للأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٦٧٨
● فتوى لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٦٨٦
● استفتاءات القراء
يقدمها الشيخ/ السيد العراقى شمس الدين ٦٨٨
● طرائف ومواقف
للأستاذ/ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٦٩٢
● من أعلام الأزهر
للمستشار محمد عزت الطهطاوى ٦٩٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
إعداد وتقديم أ. عبدالفتاح حسين الزيات ٦٩٩
● الشعر والشعراء ●
● بك استعين : للشاعر رشاد محمد يوسف ٧٠٤
● الإمام الشافعى – رضى الله عنه ٧٠٥
● السحر والساحر
للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ٧٠٦
● حنين المغترب : شعر د. ربيع محمد صادومة .. ٧٠٨
● ضراعة : للشاعرة روحية القلينى ٧٠٩
● المنتصرون : شعر عبد الغفار الدلاش ٧١٠
● العلــوم الكونيــة ●
● كيف نتعامل مع العلوم الكونية
بقلم أ.د. أحمد فؤاد باشا ٧١٢
● الصحة الإنجابية
للدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد ٧١٥
● الأسرة ودورها فى عملية التنشئة الاجتماعية
للأستاذ/ عبد السلام ناصف ٧١٨
● الجديد فى العلم والتقنية
إعداد : د. نجوى السيد أحمد ٧٢٢
● اللغة والنقد والأدب ●
● أبو منصور الثعالبى وكتابه فقه اللغة
د. محمد رياض السيد كريم ٧٢٦
● طبقات المحققين والمصححين
للأستاذ الدكتور/ السيد الجميلى ٧٣٣
● حول تعليق المجلة
للشيخ/ عبد الحفيظ فرغلى القرنى ٧٤١
● شرح ومعانى جزء تبارك
عرض وتقديم :د. محمد عبد الحكيم محمد ... ٧٤٤
● بين المجلة والقارىء
تقديم الأستاذ/ عادل رفاعى خفاجة ٧٥٢
● أنبــاء وآراء ●
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين :
عمر البسطويسى ومصطفى عبد المجيد ٧٥٩
● أنباء العالم الإسلامى
إعداد الأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ٧٦٤
● القسم الفرنسى ٧٧٢
● القسم الإنجليزى ٧٨٣

مجمع البحوث الإسلامية

الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تأسست عام ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م

وصدر العدد الأول فى المحرم ١٣٤٩هـ

تصدر عن

مجمع البحوث الإسلامية

فى مطلع كل شهر عربى

رئيس التحرير

دكتور/ على أحمد الخطيب

سكرتير التحرير

عادل رفاعى خفاجة

● المراسلات / باسم مدير التحرير - إدارة الأزهر بالقاهرة

ت ٢٦٣٨٥٩٩ - ٥٩٠٥٤٧٣

الاشتراكات / قسم الاشتراكات بالأهرام شارع الجلاء - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه وتابعيه - بإحسان - إلى يوم الدين

سلوا أهل الذكر

من ميراثنا الطيب قول رسول الله ﷺ : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن[1] » ويعنى الحديث الشريف أن الكلمة الدالة على نفع ، الهادية إلى خير التى لا يختلف أمام مضمونها عقلاء البشر . هذه الكلمة يطلبها المؤمن أشد الطلب كما يجّد بحثا عن شىء فقده ، أى كما يبحث عن ضالته .

ويحدد علماؤنا الحكمة فيقولون : « الحكمة وضع الشىء فى موضعه » .

والمؤمن يظلم نفسه ظلما فاحشا إذا هو وضع نفسه فى موضع ليس له ، وقضى بأمر فى شىء ليس من اختصاصه ، ولاهو من أهله ، ويوم ينبغ فى هذا الأمر إنسان نجده قطع شوطا عميقا فى دراسته ، وسلخ زمنا من أزهى حياته فى الوصول إليه ، ليحظى بالتخصص فيه .

---

(١) رواه الترمذى معقباً . العلم ١٩ ، ورواه ابن ماجه بلا تعقيب . زهد ١٥ .

ومن أعجب أخطائنا التى نمارسها فى بساطة ، وبلا مسئولية الحديثُ فى الطب وفى الدين ، ومن نحو عشر سنوات حملت إحدى افتتاحيات هذه المجلة كلمة لى فى هذا الشأن وددت بها لفت النظر إلى ما يترتب على ذلك من ضرر جسيم بدنى أو دينى .

ويحثنى — اليوم — للعودة إلى هذا الأمر « فتاوى » عجيبة تصدر من غير علماء فى هذا الدين ، تحمل معها جرأة الْمُفْتين العجيبة التى يغلفون بها حديثهم بقولهم : إن الدين ليس حكرا على أحد . نعم ، ليس الدين حكرا على أحد ، لكن علوم الدين من تفسير للكتاب الكريم وحديث صحيح شريف ، وفقه ، وأصول فقه .. الخ ليست أمراً مشاعا يدلى فيه أى الناس بدلوه .. بل كل منها علم له أسبابه وأهدافه ومراقيه وسنوات من العمر ليمكن التخصص فيه .

وأدوات المفتى تلك العلوم كلها إلى علوم أخرى دقيقة بجانب القرآن الكريم والحديث والفقه والأصول ، ومما يؤسف له أن يتجاوز بعض شبابنا هذا كله ليفتى الناس ، فتاوى ضالة مضلة .

— لبيت دعوة لبعض الأصدقاء فى « عقيقة » لكريمته .. وقد وفر الداعى لهذه العقيقة سنتها فذبح ذبيحتها ، ودعا أصدقاءه ، وإذا أحدهم يعتذر عن تلبية الدعوة .. وإلى هنا لا غرابة .. لكنه عقب اعتذاره بكلمة رهيبة تسود لها صفحة السماء .. إذ قال :

نحن لا نأكل ذبائحكم !!!

ويالهولها من كلمة .. لا تجد لها وجها مقبولا مهما ألحفت فى البحث لصاحبها عن مخرج ، وليست مساحة الافتتاحية — الآن — بالتى تسمح بالتحليل لهذا الخروج عن سنن الإسلام وإنها — على أى الأحوال — لكلمة ضالة مفرِّقة هدامة ، ليست من ديننا ولا من سماحته فى شىء ؛ وليس من سنته ﷺ أن يدعوه مسلم فيشترط فى إجابته أمراً بعينه .

● وآخر ضاقت زوجه بأيمان الطلاق التى يلقى بها بين حين وآخر وهى ـ أعنى الزوجة ـ على ثقافة ، وخشيت والحال هذا ـــ معاشرته ، وتجادلا فى أمرهما ، فقال يخاطبها : إننى درست القانون فى فرنسا ، وحظيت بالدكتوراه ، وهى أرفع شهاداته ، وإننى أعلم من أمر هذه الأيمان مالا تعلمين ..!

ازدادت الزوجة الشابة خوفا وحذراً ولجأت إلى لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .. فلم يكن الأمر يحتمل كل هذه المهانة .

● وثالثة الأثافى فتوى مضلة تحرم على الإنسان أن يستخدم « نظارة » ملونة بدعوى أنها تغير خلق الله ـــ تعالى .

قلت للسائل : أين هذا التغيير الذى تم فى جسد حامل النظارة حتى نقول : إنه بحمله النظارة غَيَّر خلق الله .. ياأخى لا تلتفت إلى هذا الضلال .

ولا أملك إزاء العُجاب الذى أسمعه من وقت لآخر إلا أن أقول :

﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴾ البقرة ـــ ١٥٦ ، فإنها مصيبة لو يعلمون .

وسبحان القائل : ﴿ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ النحل ٤٣ / الأنبياء ـــ ٧ .

د. على أحمد الخطيب

تفسير سورة البقرة

بعد أن وصف الله ــ تعالى ــ حال المنافقين فى الآيات السابقة ساق مثلين لتوضيح سوء تصرفهم ، وشدة حيرتهم واضطرابهم فى هذه الآيات .

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ــ تعالى ــ :

﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ (١٧) صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ (١٨) أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ (١٩) يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) ﴾

لفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور
محمد سيد طنطاوى شيخ الأزهر

وقوله تعالى : ﴿مَثَلُهُمْ﴾ أى : صفتهم ، وأصل المثل بمعنى المثل ــ بكسر الميم وسكون الثاء ــ والمثل النظير والشبيه ، ثم أطلق على القول السائر المعروف لمماثلة مضربه ــ وهو الذى يضرب فيه ــ لمورده الذى ورد فيه أولا ، ولا يكون إلا فيما فيه غرابة ثم استعير للصفة أو الحال أو القصة إذا كان لها شأن عجيب وفيها غرابة ، وعلى هذا المعنى يحمل المثل فى هذه الآية .

وإنما تضرب الأمثال لإيضاح المعنى الخفى وتقريب المعقول من المحسوس ، وعرض الغائب فى صورة الشاهد ، فيكون المعنى الذى ضرب له المثل أوقع فى القلوب ، وأثبت فى النفوس .

واستوقد النار : طلب وقودها بسطوع نارها واندلاع لهيبها ، أو أوقدها لأن أوقد واستوقد قد يكونان بمعنى واحد كأجاب واستجاب .

والنار : جوهر لطيف حار محرق ؛ من نار ينور إذا نفر لحركتها واضطرابها ، وأضاءت ماحوله : جعلت ماحوله مضيئاً ، أو أشرقت فيما حوله ، وحول الشىء : مايحيط به من جميع نواحيه ، ولذا قيل للعام حول ، للفّه ودورانه حتى يعود كما كان .

والنور : الضوء الذى يكون للشىء المضىء ، وهو مأخوذ من النار .

ومعنى : ﴿ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ ﴾ سلبه منهم ، وفى إسناد ذهب إلى الله ــ تعالى ــ إشعار بأن النور الذى سلب عنهم لن يستطيع أحد أن يرده عليهم ، لأن الذى سلبه عنهم إنما هو الله الغالب على أمره .

وقال : ﴿ بِنُورِهِمْ ﴾ ولم يقل بنارهم ، لأن إيقاد النار يكون للإضاءة وللإحراق ؛ والمقصود من إيقاد النار الواردة فى المثل إنما هو الإضاءة .

وقال : ﴿ **بنورهم** ﴾ ولم يقل بنوره ، مع أن الضمير يعود على ﴿ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾ وهو بحسب الظاهر مفرد ، لأن ﴿ **الذى** ﴾ قد يطلق أحيانا بمعنى الذين ، كما فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ﴾ أو لأن ﴿ **الذى** ﴾ أريد منه جنس المستوقد ، لا مستوقد بعينه ، فصار فى معنى جماعة من المستوقدين .. وصح أن يعود عليه ضمير الجمع فى قوله : ﴿ **بنورهم** ﴾ لذلك .

وأورد الظلمات بصيغة الجمع للمبالغة فى شدتها ، فكأنها لشدة كثافتها ظلمات بعضها فوق بعض ، وأكد هذا بقوله : ﴿لَّا يُبْصِرُونَ ﴾ أى : أن هذه الظلمات بالغة فى الشدة حتى أولئك المحاطين بها لا يتأتى لهم أن يبصروا ، كما أن الشأن كذلك بالنسبة للذين طمس على أعينهم .

وعبر ــ سبحانه ــ بقوله : ﴿ وَتَرَكَهُمْ ﴾ ولم يقل : ذهب بنورهم وبقوا فى ظلمات ،

ليدل بذلك على قطع الصلة بينهم وبين ربهم ، وأنهم متروكون غضباً عليهم ونكاية بهم .

هذا ، وللعلماء رأيان فى تطبيق هذا المثل على المنافقين :

أما الرأى الأول : فيرى أصحابه ، أن هذاالمثل قد ضرب فى قوم دخلوا فى الإسلام عند وصول النبى ﷺ إلى المدينة ، ثم تحولوا بعد ذلك إلى الكفر والنفاق فيقال فى تطبيق هذا المثل عليهم : إن قصة هؤلاء المنافقين الذين اكتسبوا بإيمانهم نوراً ، ثم أبطلوا ذلك بنفاقهم ، ووقعوا فى حيرة عظيمة ، كقصة من استوقدوا ناراً ؛ فلما أضاءت ما حولهم ، سلب الله منهم الضوء فراحوا فى ظلام لايهتدون إلى الخروج منه سبيلا .

وأما الرأى الثانى : فيرى أصحابه أن هذا المثل إنما ضرب فى قوم لم يسبق لهم إيمان وإنما دخلوا فى الإسلام من أول أمرهم نفاقاً ، فيقال فى تطبيق هذا المثل عليهم : إن قصة هؤلاء الذين دخلوا فى الإسلام نفاقاً ، فظفروا بحقن دمائهم وبغنائم الجهاد وسائر أحكام المسلمين ، وتمتعوا بذلك فى الدنيا قليلا ثم صاروا إلى ظلمات العذاب الدائم فى الآخرة ــ قصة هؤلاء كقصة من استوقدوا نارا لتضىء لهم وينتفعوا بها ، فأضاءت ماحولهم قليلا ، ثم طفئت وصاروا إلى ظلمة شديدة مطبقة .

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾

قال القرطبى : والصمم فى كلام العرب : الانسداد ، يقال : قناة صماء إذا لم تكن مجوفة ، وصممت القارورة إذا سددتها ، فالأصم من انسدت خروق مسامعه ؛ والأبكم الذى لا ينطق ولايفهم ، والعمى ذهاب البصر . وليس الغرض مما ذكرناه نفى الإدراكات عن حواسهم جملة ، وإنما الغرض نفيها من جهة ما .

والآية الكريمة خبر لضمير مقدر يعود على المنافقين ، أى هم : صم بكم عمى .

ووصف المنافقون بهذه الصفات لأنهم وإن كانت لهم آذان تسمع ، وألسنة تنطق ، وأعين تبصر ، إلا أنهم لا يسمعون خيراً ؛ ولا يتكلمون بما ينفعهم ولا يبصرون مسلكا من مسالك الهداية ، ومن كان كذلك كان هو ومن فقد حواسه سواء ، فقد صرف الله عنهم عنايته ووكلهم إلى أنفسهم .

ووردت هذه الصفات مجردة من حرف العطف ، فلم يقل : صم وبكم وعمى ، لما عرف من استعمالات البلغاء . أن تجريد أمثال هذه الأوصاف من حرف العطف يفيد تأكيدها ، حيث إن المتكلم قد قصد إلى تقرير كل صفة منها على حدة .

ومعنى : ﴿ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ ، لا يعودون إلى الهدى بعد أن باعوه ، أو لا يرجعون عن الضلالة بعد أن اشتروها .

والفاء فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ **فهم** ﴾ للتفريع أو التسبيب ، لأنها توحى بأن عدم رجوعهم عما هم فيه من النفاق متفرع على تلك الآفات ، ومسبب عن هذه العاهات .

ثم ساق ــ سبحانه ــ المثل الثانى فقال :

﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ .

« **أو** : » للتسوية بين الشيئين وهى : مفيدة أن التمثيل بأيهما أو بمجموعهما يؤدى إلى المقصود ، **فهى** مانعة خلو مجوزة للجمع بينهما .

و (**الصيب**) : كسيد ــ المطر ، من الصوب وهو النزول . يقال : صاب صوباً ، إذا نزل أو انحدر ، سمى به المطر لنزوله ، وفى الجملة الكريمة إيجاز بحذف ما دل عليه المقام دلالة واضحة . والتقدير : أو كمثل ذوى صيب . والمعنى أن قصة هؤلاء المنافقين مشبهة بقصة الذى استوقد ناراً ، أو بقصة ذوى صيب .

والسماء : كل ما علاك من سقف ونحوه ، والمراد بها السحاب .

والرعد : الصوت الذى يسمع بسبب اصطدام سحابتين محملتين بشحنتين كهربيتين إحداهما موجبة والأخرى سالبة .

والبرق : هو الضوء الذى يحدث بسبب الاصطدام ذاته .

وإيراد هذه الألفاظ بصفة التنكير للتهويل ، ويكون المعنى : أو أن مثل هؤلاء المنافقين كمثل قوم نزل بهم المطر من السماء تصحبه ظلمات كأنها سواد الليل ، ورعد يصم الآذان ، وبرق يخطف الأبصار ؛ وصواعق تحرق ماتصيبه . ثم قال ــ تعالى ــ :

﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

الصواعق : جمع صاعقة من الصعق وهو شدة الصوت الذى يصحبه ــ غالباً ــ قطعة من نار لا تأتى على شىء إلا أهلكته .

(ومن) فى قوله ــ تعالى ــ : ﴿ مِّنَ الصَّوَاعِقِ ﴾ **للتعليل . وإنما كانت الصواعق داعية إلى سدهم آذانهم بأصابعهم ، من جهة أنها قد تفضى بصوتها الهائل إلى الموت ، وجاء هذا مصرحاً به فى قوله ــ تعالى ــ** : ﴿ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ .

والمعنى : يسدون آذانهم من أجل الصواعق خوفاً من أن تقتلهم بشدة صوتها .

ومن المعروف أن الذى يجعل فى الآذان عند الفزع بعض الأصابع لا كلها ، إلا أنه عبر بالأصابع مبالغة فى فرط فزعهم وشدة اضطرابهم ، ومسايرة للمألوف فى اللغة من نسبة ما يكون لبعض الشىء إلى ذلك الشىء ، حيث يكون المراد جلياً واضحاً . وهو مجاز مرسل من باب إطلاق الكل وإرادة البعض .

وقوله : ﴿ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ﴾ يدل على أنهم لم يموتوا من تلك المفزعات وهذه المروعات . إمدادا فى عذابهم . ومطاولة فى نكالهم .

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ جملة معترضة فى أثناء ضرب المثل بذوى الصيب .

وإحاطته ــ سبحانه ــ بالكافرين على معنى أنهم لا مهرب لهم منه ، فهو محيط بهم إحاطة تامة وهو قادر على النكال بهم متى شاء وكيف شاء .

ولم يقل محيط بهم مع تقدم مرجع الضمير وهو أصحاب الصيب ، إيذاناً بأنهم إنما استحقوا ذلك العذاب بكفرهم .

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾ .

يكاد من الأفعال التى تدخل على اسم يسند اليه فعل بعده نحو : ﴿ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ ﴾ فتدل على أن المسند إليه وهو البرق قد قارب أن يقع منه الفعل وهو خطف الأبصار .

والخطف : الأخذ بسرعة ، والأبصار : جمع بصر ، وهو : قوة مودعة فى العين يدرك بها الألوان والأشكال .

والمعنى : أن البرق لشدة لمعانه يقرب من أن يخطف أبصارها ، وهو تصوير بليغ لشدة ذلك البرق ، وترك بيان شدة الرعد اكتفاء بما ذكره فى جانب البرق ، ولم يذكر توقيهم للأعين بوضع شىء عليها اكتفاء بما ذكره فى توقى الآذان أو لأنهم شغلوا بالآذان عن الأعين .

وقوله ــ تعالى ــ : ﴿ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ﴾ وصف رائع لما يصنعه أهل الصيب فى حالتى ظهور البرق واختفائه .

وكل ظرف ، وما مصدرية ولا تصالها بكل أفادت الشرط والعامل فيها هو جوابها وهو ﴿ مشوا ﴾ و ﴿ أضاء ﴾ بمعنى : لمع ، و ﴿ أظلم ﴾ من : الإظلام وهو اختفاء النور .

و ﴿ قاموا ﴾ أى وقفوا وثبتوا فى مكانهم ؛ من قام الماء إذا جمد ، ويقال : قامت الدابة إذا وقفت .

والمعنى : أنهم إذا صادفوا من البرق وميضاً انتهزوا ذلك الوميض فرصة ، فخطوا خطوات يسيرة ، وإذا خفى لمعانه وقفوا فى مكانهم ، فالجملة الكريمة تدل على فرط حرصهم على النجاة من شدة ماهم فيه من أهوال .

ثم قال ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ﴾ .

لو : أداة شرط ، وشاء بمعنى أراد . أى : لو أراد الله أن يذهب يسمعهم وأبصارهم لزاد فى قصف الرعد فأصمهم ، وفى ضوء البرق فأعماهم . أو يقال : إن قصف الرعد ولمعان البرق المذكورين فى المثل سببان كافيان لأن يذهبا بسمع ذوى الصيب وأبصارهم لو شاء الله ذلك . فيكون قوله ــ تعالى ــ : ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ ﴾ ، إشعاراً بأن الأسباب فى مسبباتها إنما هو بإرادته ــ تعالى ــ .

وخص السمع والبصر بالذهاب مع أنها من جملة مشاعرهم ، لأهميتها . ولأنها هى التى سبق ذكرها ، أو من باب التنبيه بالأعلى على الأدنى ، لأنه إذا كان قادراً على إذهاب ما حافظوا عليه ، كان قادراً على غيره من باب أولى .

ثم ختم الآية بقوله ــ تعالى ــ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

الشىء فى أصل اللغة كل : ما يصح أن يعلم ويخبر عنه ، ويحمل فى هذه الآية على الممكن خاصة موجوداً كان أو معدوماً ، لأن القدرة إنما تتعلق بالممكنات دون الواجب والمستحيل .

والقدير : الفعال لما يريد ، يقال : قدَّره على الشىء أقدره قدرة وقدراً .

وهذه الجملة الكريمة بمنزلة الاستدلال على ما تضمنته الجملة السابقة من أن الله ــ تعالى ــ قادر على أن يذهب بأسماع أصحاب الصيب وأبصارهم متى شاء .

وتطبيق هذا المثل على المنافقين يقال فيه : إن أصحاب الصيب لضعفهم وخورهم لايطيقون سماع الرعد الهائل ، ولا يستطيعون فتح أعينهم فى البرق اللامع ، فيجعلون أصابعهم فى آذانهم فزعاً من قصف الرعد ، وخوفا من صواعق تجلجل فوق رءوسهم فتدعهم حصيداً خامدين ، وكذلك حال هؤلاء المنافقين فإنهم لضعف بصائرهم ، وانطماس عقولهم ، تشتد عليهم زواجر القرآن ووعيده ، وتهديده وأوامره ونواهيه ؛ فتشمئز قلوبهم ويصرفون عنه أسماعهم خشية أن تتلى عليهم آيات تقع على أسماعهم وقع الصواعق المهلكة .

قال ابن كثير : « وذهب ابن جرير ومن تبعه من المفسرين إلى أن هذين المثلين مضروبان لصنف واحد من المنافقين ، وتكون « أو » فى قوله ـ تعالى ـ : ﴿ **أو كصيب** ﴾ بمعنى الواو ، كقوله ـ تعالى ـ : ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أو تكون للتخيير ، أى ، اضرب لهم مثلا بهذا ، وإن شئت بهذا ، أو للتساوى مثل : جالس الحسن أو ابن سيرين . قلت : وهذا يكون باعتبار أجناس المنافقين ، فإنهم أصناف ولهم أحوال وصفات كما ذكرها الله ـ تعالى ـ فى سورة براءة بقوله : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى ﴾ (الآية ٤٩) ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ ﴾ (الآية ٧٥) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ ﴾ (الآية ٥٨) الخ . فجعل هذين المثلين لصنفين منهم أشد مطابقة لأحوالهم وصفاتهم[١] .

هذا : ويرى فضيلة المرحوم الدكتور محمد عبد الله دراز . أن المثلين لطائفتى الكافرين والمنافقين ، فالمثل الأول وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ ينطبق تمام الانطباق على الأوصاف التى ذكرها الله للكافرين ، وأن الذى ينطبق على صفات المنافقين إنما هو المثل الثانى وحده وهو قوله ـ تعالى ـ : ﴿ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَـٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ ﴾ فقد ضرب الله لكلتا الطائفتين مثلا يناسبها

قال فضيلته : فضرب مثلا للمصرِّين المختوم على قلوبهم بقوم كانوا يسيرون فى ظلام الليل فيهم رجل استوقد لهم ناراً يهتدون بضوئها ، فلما أضاءت ما حوله لم يفتح بعض القوم أعينهم لهذا الضوء الباهر ، بل لأمر ما سلبوا نور أبصارهم ، وتعطلت سائر حواسهم عند هذه المفاجأة ، فذلك مثل النور الذى طلع به محمد ﷺ فى تلك الأمة على فترة من الرسل ، فتفتحت له البصائر المستنيرة هنا وهناك ، لكنه لم يوافق أهواء المستكبرين الذين ألفوا العيش فى ظلام الجاهلية ، فلم يرفعوا له رأسا بل نكسوا على رءوسهم ، ولم يفتحوا له عيناً بل خروا عليه صما وعميانا .

وضرب مثلا للمترددين المخادعين بقوم جامتهم السماء بغيث منهمر فى ليلة ذات رعد وبرق ، فأما الغيث فلم يلقوا له بالا ولم ينالوا منه نيلا ، فلا شربوا منه قطرة ، ولا استنبتوا به ثمرة .. وأما تلك التقلبات الجوية من الظلمات والرعد والبرق فكانت هى مثار اهتمامهم ، ومناط تفكيرهم ، ولذلك جعلوا يترصدونها ، ويدبرون أمورهم على وفقها ، لابسين لكل حال لبوسها : سيراً تارة ، ووقوفاً تارة ، واختفاء تارة أخرى .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٦ .

فكانوا إذا رأوا عرضاً قريباً وسفراً قاصداً وبرقت لهم (بروق) الأمل فى الغنيمة ساروا مع المؤمنين جنباً إلى جنب ، وإذا دارت رحا الحرب وانقضت ﴿ **صواعقها** ﴾ منذرة بالموت والهزيمة أخذوا حذرهم وفروا من وجه العدو قائلين : « إن بيوتنا عورة » حتى إذا كانت الثالثة فلم يلمحوا من الآمال بارقة ولم يتوقعوا من الآلام صاعقة ، بل اشتبهت عليهم الأمور فهناك يقفون متربصين لا يتقدمون ولا يتأخرون ، ولكن يلزمون شقة الحياد ريثما تنقشع سحابة الشك :

﴿ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓا۟ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . (النساء الآية ١٤١) .

ذلك دأب المنافقين فى كل أمرهم ، إن توقعوا ربحاً عاجلا التمسوه فى أى صف وجدوه ، وإن توقعوا أذى كذلك تنكروا للفئة التى ينالهم فى سبيلها شىء مكروه ؛ وإذا أظلم عليهم الأمر قاموا بعيداً لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ؛ أما الذى يؤمن بالله واليوم الآخر فإن له قبلة واحدة يولى وجهه شطرها ، هى قبلة الحق لايخشى فيها لومة لائم :

ولـــيس يـــالى حين يقتـــل مسلمـــا على أى جنب كان فى الله مصرعـــــه[1]

هذا هو رأى فضيلة الدكتور دراز ، وهو رأى مستساغ يتمشى مع روح الآيات وأهداف السورة ، وأيا ما كان فالمثلان يصوران أحوال المبطلين بصورة حسية واضحة تتجلى فيها بلاغة القرآن الكريم فى إبراز المعانى المعقولة فى صورة محسة واضحة من شأنها أن تهدى الناس إلى طريق الحق والرشاد .

– يتبـــع –

(٢) من كتاب النبأ العظيم ص ١٦٤ . لفضيلة المرحوم الدكتور الشيخ محمد عبدالله دراز .

مع سورة يس

قضية البعث والنشور

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا
خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨)
قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
(٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١)
إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)
فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣) ﴾

بقلم أ.د / ابراهيم خميس

بين الله تعالى فى الآيات السابقة الأدلة على قدرته عز وجل ووجوب طاعته وعبادته وبطلان الشرك به ، وفى هذه الآيات يذكر شبهة منكرى البعث ويرد عليهم بأجوبة أربعة هى :

أولاً : أن الإعادة مثل البدء بل هى أهون .

ثانياً : قدرة الله على ايجاد النار من الشجر الأخضر .

ثالثا : خلق ماهو أعظم من الإنسان وهو السماوات والأرض .

رابعاً : فورية ايجاد الأشياء بقوله « كن فيكون » .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾

كلام مستأنف مسوق لبيان بطلان انكارهم البعث بعد ما شاهدوا فى أنفسهم مايوجب التصديق به كما أن ما سبق مسوق لبيان بطلان اشراكهم بالله ـ عز وجل ـ بعد ما عاينوا من بأيديهم ومايوجب التوحيد والإسلام ، والغرض من ذكر هذه الآيات تسلية رسول الله ﷺ .

سبب النزول :

نزلت فى أبىّ بن خلف الجمحى خاصم النبى ﷺ فى إنكار البعث ، وأتاه بعظم قد رمّ وبلى ففتته بيده وقال : أترى يحيى الله هذا بعد مارم ؟

فقال النبى ﷺ نعم ويبعثك ويدخلك النار ، فأنزل الله هذه الآيات .

والاستفهام فى « أو لم ير » تقريرى ، و « أل » فى « الإنسان » للعهد ، والمراد به الكافر ، لأنه هو الذى يخاصم خالقة وينكر البعث .

والنطفة : الذرة من مادة الحياة ، وتطلق على اليسير من الماء ، مأخوذ من نطف إذا قطر .

وإذا للمفاجأة ، ووجهها أن ذلك الإنسان خلق ليعبد الله ، ويعلم مايليق به ، فإذا لم يجر على ذلك وكأنه فاجأ بما لم يكن مترقباً منه ، والخصيم . فعيل مبالغة فى معنى مفاعل أى مخاصم شديد الخصام .

وقد جاءت آيات كثيرة فى معنى هذه الآية ، قال تعالى :

﴿ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴾ .

سورة مريم ـ آية : ٦٦

وقال تعالى :

﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ ﴾ القيامة

خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصم مبين .

ولا تكرار فى هذه الآيات ؛ بل كل آية تعالج القضية بأسلوب مغاير .

والمعنى :

قد علم الإنسان علماً هو فى ظهوره كالمحسوس بالبصر انا أوجدناه من نطفة قذرة فإذا هو مخاصم بليغ الخصومة ، مبين . ويعنى فى غاية البيان عما يريده حتى إنه ليجادل من أعطاه العقل والقدرة فى قدرته تعالى . فما أجرأه على مَنْ خلقه وما أغباه ، قال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

وكـم علمتـه نظـم القـوافى
فلمـا قـال قافية هجـانى

وهذه الآية تواجه الإنسان بواقعه فى خاصة نفسه ، وهذا الواقع يصور نشأته وصيرورته مما يراه واقعاً فى حياته ، ويشهده بعينه وحسه مكروراً معاداً ثم لا ينبه إلى دلالته ولا يتخذ منه مصداقاً لوعد الله ببعثه ونشوره بعد موته ودثوره ، وخلقه من نطفة أمر لا يشك أحد فى أنها أصله القريب ، إنها نقطة من ماء مهين لا قوام لها ولا قيمة نقطة من ماء تحوى ألوف الخلايا . خلية واحدة من هذه الألوف هى التى تصير جنيناً ثم تصير هذا الإنسان الذى يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل ، والقدرة التى أوجدته على هذا النحو لا يعد أن تعيده وتنشره بعد البلى والدثور .

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾

ضرب . أورد وذكَر .

والمثل ، القصة الغريبة والحالة العجيبة .

والاستفهام فى قوله ﴿ **من يحى العظام** ﴾ ، إنكارى .

وجملة ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ ﴾ ، مستأنفة واقعة فى جواب سؤال مقدر نشأ من حكاية ضربه المثل كأنه قيل : أى مثل ضرب ؟ أو ماذا قال ؟ فقيل : ﴿ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴾ .

والمعنى : أورد فى شأننا قصة عجيبة فى نفس الأمر هى فى الغرابة والبعد عن العقول كالمثل ، وهى إنكار إحيائنا العظام فالمثل على هذا هو إنكار إحيائه تعالى للعظام فإنه أمر عجيب فى نفس الأمر حقيق لغرابته وبعده من العقول بأن يعد مثلاَ لأن العقول تجزم ببطلان الإنكار ، ووقوع المنكر لكونه كالإنشاء بل هو أهون منه فى قياس العقل .

ويصح أن يكون المعنى : أوجد لنا مثلاً وأظهره للناس .

وأتى لهم بتشبيه حال قدرتنا بحال عجز الناس . إذ جعل إحيائنا العظام محالاً بعد أن أرمت .

ومعنى : ونسى خلقه . نسى أننا خلقناه من نطفة ، ولم يهتد إلى أن ذلك أعجب من إعادة عظمه والله تعالى يحيى ما هو أضعف من العظام . فيحيى الإنسان بن رماده ومن ترابه ، ومن عِجْب ذنبه ، ومن لا شىء باقٍ منه ، إن إحياءه بعد موته على هذا النحو أيسر من أن يدور حوله سؤال فما بال الجدل الطويل .

ورميم . مأخوذ من رم بمعنى بلى ، وكان مقتضى الظاهر أن يقول وهى رميمة ؛ لأن « فعيلاً » بمعنى « فاعل » يفرق بينه وبين مؤنثه بالتاء ، وأجاب المفسرون عن هذا بأجوبة كثيرة :

منها أن فعيلا الذى تلحقه التاء شرطه أن يبقى على وصفيته ، وهو هنا انسلخ عن الوصفية وصار اسماً فلا تلحقه التاء .

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾

أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالجواب على سؤال أبىّ وأمثاله على طريقة أسلوب الحكيم وبيان ذلك أن استفهام القائل : ﴿ **من يحى العظام ؟** ﴾ لم يكن قاصداً تعيين المحيى وإنما أراد استحالة الإحياء فأجيب إجابة من يطلب تعيين المحيى .

والخطاب فى قوله : ﴿ **قل يحييها ...** ﴾ للنبى صلى الله عليه وسلم أو لكل من يتأتى منه الخطاب

والغرض من هذا القول لهم . التبكيت والتأنيب والتوبيخ بسبب نسيانهم خلقهم الأول وإرشادهم إلى قياس بعثهم على النشأة الأولى .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ﴾

سورة الروم ـ آية : ٢٧

ولا شك أن الإحياء يعد أهون من الإنشاء قبل فمن قدر على الإنشاء كان على الإحياء أقدر وأقدر .

وقد يقول قائل : قد يطرأ العجز مستقبلاً ، والجواب ، عن هذا أنه لا احتمال لعروض العجز لأن قدرة الله ذاتية أزلية لا تقبل الزوال ولا التغيير بوجه من الوجوه .

وهذه الآية ترد على منكرى البعث ، وهم فريقان :

فريق استبعد البعث بلا شبهة .

وفريق له شبهة على استبعاده ، فقوله : ﴿ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ رد على من استبعد البعث بلا شبهة .

وقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ رد على منكره وإبطال لشبهته التى هى قولهم : إن الإنسان بعد العدم لم يبق شيئاً . فكيف يصح إعادة المعدوم عقلاً ؟ أو كقولهم إن الإنسان إذا نشأ متغذياً بلحم إنسان آخر فلا بد أن لا يبقى للآكل وللمأكول جزء يمكن إعادته .. فأجاب الله ـ تعالى ـ عن الأول بقوله : ﴿ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ يعنى كما خلق الإنسان ولم يكن شيئاً مذكوراً فإنه يعيده وإن لم يكن شيئاً ، وأجاب عن الباقيتين بقوله : ﴿ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ فيجمع الأجزاء المتفرقة فى البقاع والسباع ... وهكذا ويعلم الأصلى من الفضلى فيجمع الأجزاء الأصلية للآكل والمأكول .

وبهذا الرد يبطل سؤال أبى بن خلف الذى سأله لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء بعظم قد رم وبلى كما تقدم فى سبب النزول ولو علم أن النطفة لا تزيد حيوية أو قدرة أو قيمة على العظم الرميم المفتت لما وقع منه هذا السؤال . أو ليس من تلك النطفة كان الإنسان أو ليست هذه هى النشأة الأولى ؟ أو ليس الذى حول تلك النطفة إنساناً وجعله خصيماً مبينا بقادر على أن يحول العظم الرميم مخلوقاً ؟

وهذه الجملة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ﴾ جملة تذييلية كالعلة لما قبلها ، والضمير فى « وهو » يعود على الله ـ تعالى ـ ، و ﴿ **بكل خلق** ﴾ يعنى بكل مخلوق ، ﴿ **عليم** ﴾ مبالغة فى « عالم » فالله يعلم جميع الأجزاء المتفتتة المتبددة لكل شخص من الأشخاص أصولها وفروعها ، وأوضاع بعضها من بعض من الاتصال والانفصال والاجتماع والافتراق فيعيد كلاً من ذلك على النمط السابق مع القوى التى كانت من قبل ، وإنما جيء بهذه الجملة أسمية للتنبيه على أن علمه ـ تعالى ـ بما ذكر أمر ثابت ومستمر .

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ ﴾

هذه الآية هى الجواب الثانى رداً على شبهة المنكرين للبعث ، فقد نبه الله ـ تعالى ـ فيها على وحدانيته ودل على كمال قدرته فى إحياء الموتى بما يشاهدونه من إخراج المحرق اليابس من العود الندى الرطب ، وذلك أن الكافر قال : النطفة

حارة رطبة بطبع الحياة فخرج منها الحياة ، والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة ؟ فأنزل الله ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ... ﴾ وإنما أعاد الموصول فقال : ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم ﴾ ولم يقل وجعل لكم : لأمرين :

التأكيد ، ولتفاوتهما فى كيفية الدلالة ، وفى المراد بالشجر . قولان :

الأول : أنه المرخ والعفار . يتخذ من المرخ وهو ذكر . الزند الأعلى ، ومن العفار ـ بفتح العين ـ وهو أنثى . الزندة السفلى ، ويسحق الأول على الثانى وهما خضراوان يقطر منهما الماء فتنقدح النار بإذن الله ـ تعالى ـ وهذا معنى قوله : ﴿ فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ أى فإذا أنتم من ذلك الشجر الأخضر توقدون النار لا تشكون فى أنها نار حقيقة تخرج منه لمشاهدتكم ذلك ورؤيتكم له بالعين المجردة . فمن قدر على إحداث النار من الشجر الأخضر مع ما فيه من المائية المضادة لها . فإن الماء بارد رطب ، والنار حارة يابسة كان أقدر على إعادة الغضاضة إلى ما كان غضاً فيبس وبلى .

الثانى : أن المراد من الشجر الأخضر هو جميع الشجر . قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ ليس من شجرة إلا وفيها النار إلا « العناب » ، وعلى ذلك ، فليس المراد من الأخضر . اللون ، وإنما المراد لازمه وهو الرطوبة ، لأن الشجر أخضر اللون ما دام حياً فإذا جف زالت منه الحياة استحال لونه إلى الغبرة فصارت الخضرة كناية عن رطوبة النبت وحياته .

والمعنى على هذا : الذى بدأ خلق الشجر من ماء حتى صار خضراً نضراً ذا ثمر يانع ثم أعاده إلى أن صار حطباً يابساً توقد به النار من قدر على ذلك فهو قادر على ما يريد لا يمنعه شىء فهذا التحول والتقلب من عنصر الرطوبة إلى عنصر الحرارة يدل على إمكان إعادة الرطوبة إلى ما كان يابساً .

والرأى الأول هو الأرجح ، وبناء على هذا فالمفاجأة فى قوله : ﴿ فَإِذَآ أَنتُم ... ﴾ دالة على عجيب إلهام الله ـ تعالى ـ البشر لاستعمال الاقتداح بالشجر الأخضر واهتدائهم إلى خاصيته ، والإيقاد هو إشعال النار ،وإنما قال : ﴿ تُوقِدُونَ ﴾ ، ولم يقل أوقدتم ؟ لإفادة تكرر ذلك واستمراره .

ويقول : صاحب الظلال مرجحاً الرأى الأول وشارحاً له .

والمشاهد الأولية الساذجة تقنع بصدق هذه العجيبة التى يمرون عليها غافلين ، عجيبة أن هذا الشجر الأخضر الريان بالماء يحتك بعضه ببعض فيولد ناراً ثم يصير هو وقود النار بعد اللدونة والاخضرار . والمعرفة العلمية العميقة لطبيعة الحرارة التى يختزنها الشجر الأخضر من الطاقة الشمسية التى يمتصها ويحتفظ بها وهو ريان بالماء ناضر بالخضرة ، والتى تولد النار عند الاحتكاك كما تولد النار عند الاحتراق هذه المعرفة العلمية تزيد العجيبة بروزاً فى الحس ووضوحاً ، والخالق هو الذى أودع الشجر خصائصه هذه ، والذى أعطى كل خلقه ثم هدى ، غير أننا لا نرى الأشياء بهذه العين المفتوحة ولا نتدبرها بذلك الحس الواعى فلا تكشف لنا عن أسرارها المعجبة ولا تدلنا على مبدع الوجود ولو فتحنا لها قلوبنا لباحت لنا بأسرارها ولعشنا معها فى عبادة دائمة وتسبيح .. ج ٥ ص ٢٩٧٧

﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ .

الهمزة . للإنكار والنفى ، والواو للعطف على محذوف تقديره . أليس الذى أنشأها أول مرة ، وليس الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً ، وليس الذى خلق السمٰوات والأرض بقادر والكلام فى هذه الآية استئناف مسوق من جهته تعالى لتحقيق مضمون الجواب الذى أمر عليه السلام بأن يخاطبهم به ، والمعنى أن من خلق السماوات السبع بما فيها من الكواكب السيارة والثوابت ، والأرض السبع بما فيها من جبال ورمال وبحار وقفار ، وهى أعظم من خلق الإنسان ، إن من خلق ذلك قادر على خلق مثل البشر وإعادة الأجسام وهى أصغر وأضعف من خلق السماوات والأرض ، بلى هو قادر على ذلك .

وكلمة « بلى » حرف جواب كنعم ، والفرق بينها وبين « نعم » أنه لا يؤتى بها إلا بعد كلام منفى لتحقيق ما بعدها وتثبيته . وهو جواب من قبله تعالى وتصريح بما أفاده الاستفهام الإنكارى من تقرير ما بعد النفى . أى بلى هو قادر ، وجملة « وهو الخلاق العليم » معطوفة على الجملة المحذوفة ، و « الخلاق » . صيغة مبالغة توحى بكمال القدرة ، و « العليم » كثير العلم يعلم الكليات والجزيئات ويعلم الخلايات والذرات لا يغرب عنه مثقال ذرة فى السماوات ولا فى الأرض .. ، والخلاصة . أن خلق الأشياء العظيمة برهان قاطع على خلق ما دونها كما قال تعالى : لخلق السمٰوات والأرض أكبر من خلق الناس .. » « غافر » ٥٧ ، وقال سبحانه « أولم يروا أن الله الذى خلق السمٰوات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى ؟ بلى إنه على كل شىء قدير » « الأحقاف » ٣٣ ، والسماوات والأرض خلق هائل عجيب دقيق . وهذه الأرض التى نعيش عليها ويشاركنا فيها ملايين الأجناس والأنواع ونحن لا نبلغ شيئاً من حجمها ، ولا نعلم عنها حتى اليوم إلا القليل ، هذه الأرض كلها تابع صغير من توابع الشمس التى تعيش أرضنا الصغيرة على ضوئها وحرارتها ، والله سبحانه وتعالى يخلق هذا الخلق العجيب وغيره بلا كلفة ولا جهد ، ولا يختلف بالقياس خلق الكبير وخلق الصغير .

﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

اختلف المفسرون فى المراد من « أمره » على أقوال . أحدها أن يكون المراد شأنه ، فليس هناك قول لفظى ، والثانى . أن يكون المراد . الأمر اللفظى فيوافق قوله تعالى « إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون » « النحل » ويراد به القول النافذ ،والصحيح أنه لاقول أصلا ، وإنما المراد تمثيل لتأثير قدرته تعالى فى مراده بأمر الآمر المطاع للمأمور المطيع فى سرعة حصول المأمور به من غير امتناع وتوقف على شىء وافتقار إلى أولية عمل واستعمال آلة . قطعاً لمادة الشبهة وقياس قدرة الله على قدرة الخلق ، فمعنى « أن يقول له كن فيكون » أن تتعلق به قدرته تعالى تعلقاً تنجيزيا .

وعلى هذا فالمراد بقوله « كن » توجه القدرة إلى إيجاد المقدور ، وقد شبه الشىء الممكن حصوله .

بشخص مأمور وشبه انفعال الممكن لأمر التكوين بامتثال المأمور لأمر الآمر ، وهذا الممكن الذى تتوجه إليه القدرة لإيجاده عام يشمل السماوات والأرض ، والبعوضة والنملة ، فليس هناك صعب ولا سهل وليس هناك قريب ولا بعيد . هذا وذاك سواء أمام الكلمة « كن فيكون » . فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون ، إنما يقرب الله للبشر الأمور ليدركوها بمقياسهم البشرى المحدود .

﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾

الغرض عن ذكر هذه الآية . تنزيه الله تعالى عما وصفوه به وتعجيب مما قالوا فى شأنه . وقوله « بيده ملكوت كل شيء » إشارة إلى المبدأ ، وقوله « وإليه ترجعون » إشارة إلى المعاد وإذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والرسالة فتكون هذه الآية كالنتيجة للمقدمات السابقة فى السورة .

والفاء فى قوله « فسبحان » فصيحة دلت على أن فى الكلام شرطاً محذوفا تقديره إذا ظهر كل ما سمعتم من الدلائل على عظيم قدرة الله وتفرده بالإلهية وأنه يعيدكم بعد الموت فيجب تنزيهه عما يقولون فى حقه . لأن بيده الملك الأتم لكل موجود .

والملكوت . مبالغة فى الملك « بكسر الميم » ولفظة ملكوت بصياغتها هذه تضخم وتعظم حقيقة العلاقة بين الوجود وخالق الوجود ، فهى علاقة الملكية المطلقة لكل شيء فى الوجود والسيطرة القابضة على كل شيء من هذا المملوك ، « وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » يعنى لا إلى غيره مرجع العباد بعد البعث فى الدار الآخرة فيجازى كل إنسان بما عمل فليعبده الناس جميعاً وليوحدوه ويطيعوه تحقيقاً لمصلحتهم .

ما ترشد إليه الآيات :

١ ــ التعجيب من أمر الإنسان كيف خلقه الله من يسير الماء وأضعف الأشياء ثم يصبح مخاصماً ربه مجادلا فى الخصومة .

٢ ــ لقد نسى هذا الإنسان المخلوق الضعيف أن الله أنشأه من نطفة ثم جعله إنسانا حيا سويا . فهذا دليل حاضر من نفسه على إمكان البعث .

٣ ــ من أدلة وحدانية الله تعالى وكمال قدرته على إحياء الموتى ما يشاهده الناس من إخراج المحروق اليابس من العود الندى الطرى . فإن الشجر الأخضر من الماء والماء بارد رطب ضد النار وهما لا يجتمعان ، فأخرج الله منه النار فيدل ذلك على أنه تعالى هو القادر على إخراج الضد من الضد وهو على كلى شيء قدير .

٤ ــ إن الذى خلق السماوات والأرض التى هى أعظم من خلق الناس قادر على أن يبعثهم مرة أخرى .

٥ ــ إذا أراد الله خلق شيء لا يحتاج إلى تعب ومعالجة وإنما أمره نافذ فوراً ولا يتوقف على شيء آخر .

٦ ــ إن الله تعالى نزه نفسه عن العجز والشرك لتعليم الناس وإبراز الحقيقة فبيده مفاتح كل شيء ومرد الناس ومصيرهم بعد مماتهم إليه تعالى ليحاسب كل امرىء على ما قدم فى دنياه من خير وشر .

الإمام الأكبر فى حديث صحفى عن قضايا الساعة

أجرى الحديث السيدة/ سناء السعيد

● إسرائيل باقتحامها المسجد الأقصى ، وقتلها للفلسطينيين ، وتجاهلها التام للمقدسات ، وضربها صفحا بالتزامات حكوماتها قبل المفاوضات تنتهك بذلك كافة المقدسات الدينية ، والأعراف الإنسانية ، والقوانين الدولية .

● الولايات المتحدة ينبغى أن تكون موضوعية ، ولا تساند العدوان .

● التطبيع الذى يضر بالقضية الفلسطينية خرافة ستجرف فى أثرها كل ألوان التطبيع .

● القدس عربية إسلامية أبداً .

الأرض الإسلامية

● فضيلة الإمام الأكبر مايحدث فى الأرض الفلسطينية ومايحدث فى باكستان أو أفغانستان أو الصومال يثير أسئلة شتى ، لماذا بات العالم الإسلامى مضطربا ومستهدفا إلى هذه الدرجة ؟

● ● سؤالك ينقسم إلى شقين :

الشق الأول أن المسلمين أصبحوا مستهدفين من جميع أعدائهم .

الشق الثانى : أننا نرى اضطرابا بين المسلمين فيما بينهم .

بالنسبة للأول فهو أمر واقع وموجود فى كل زمان ومكان ، ذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ جعل الحياة نزاعاً موصولاً بين الحق وبين الباطل ، بين الخير وبين الشر ، بين العقلاء وبين السفهاء ، هذه سنة الله فى خلقه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، منذ أن أوجد الله الناس فى هذه الحياة وهم فى صراع فيما بينهم ؛ بل عندما كانت الإنسانية تتكون من أب واحد وأم واحدة وعدد من الأبناء ، وجدنا أحد الأخوين يقتل الآخر . هذه سنة الحياة .

بالطبع إن أعداءنا لايريدون لنا الخير ، وهذه قاعدة موجودة فى كل زمان ومكان ، نعم المسلمون مستهدفون وهذا مانراه فى أماكن كثيرة مثل الصومال وأفغانستان ، ولكن إذا وجد هذا الاضطراب علينا أوَّلا أن نسأل أنفسنا عن أسبابه ولا نلصقه بغيرنا :

الاضطراب الداخلى قد يكون ناشئا عنا ، وقد نكون نحن من أسبابه ، كما نرى فى الصومال وأفغانستان ، هنا لاأستطيع القول بأن قوى خارجية هى التى تجعل المسلمين فى قتال بينهم وبين بعضهم كما هو حادث فى الصومال ولا أستطيع أن أجزم بأن هناك قوى خارجية فى أفغانستان هى التى جعلت المسلمين يقتل بعضهم بعضا .

ولو سلمنا بأن هناك قوى ، ففى هذه الحالة يجب أن نقول : إنه حتى لو وجدت ، فالعقلاء لا يستسلمون لهذه القوى ، وإنما يدافعون عن دينهم ويسلكون طريق العقل ، وطريق المنطق ، وطريق الاصلاح ، وطريق التعاون على البر والتقوى ، فسواء كان مايحدث فى أفغانستان أو

الصومال أو غيرهما من الدول الإسلامية من اضطراب فيما بينها ، وسواء كان هذا بسبب خارجي أو داخلي ؛ فإن أصحاب تلك الدول تقع عليهم المسئولية العظمى ؛ لأنهم لو كانوا عقلاء لما استجابوا للعدوان الخارجي .

فلسطين والقدس

● ماذا عما يجرى الآن فى الأرض الفلسطينية مع ممارسات إسرائيل العدوانية بما فيها تجميد عملية السلام ، وفرض الطوق الأمنى الشامل ، وفتح نفـق البـــراق ، واقتحام المسجد الأقصى ، وقتل الفلسطينيين ؟

● ● مايحدث فى فلسطين الآن هو عدوان سافر مجرم من إسرائيل ونحن نشجع إخواننا الفلسطينيين ونحمد لهم مواقفهم ؛ لأنهم قابلوا هذا العدوان بكل ما يستطيعون من ألوان المقاومة .

وإذا كان عدد الشهداء من إخواننا الفلسطينيين أكثر من عدد القتلى الإسرائيليين فهذا ـ أيضا ـ لا يخيفنا ولن يزحزحنا عن حقنا ، فطالب الحق عندما يثبت على مطالبته ، وعلى إيمانه ودفاعه عن وطنه ومقدساته وحقنا ـ نحن المسلمون فى المسجد الأقصى ـ فلابد أن تكون العاقبة له مهما كثر عدد شهدائه : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحج

● ألا يعد اقتحام المسجد الأقصى انتهاكا صارخا لحرمة الدين الإسلامى ؟

● ● اقتحام المسجد الأقصى بالصورة البشعة التى قامت بها إسرائيل عمل عدوانى إجرامى آثم يجب أن يقف المسلمون أمامه جبهة واحدة للدفاع عنه ـ المسلمون عامة والفلسطينيون خاصة .. موقفا مستميتا يذودون فيه عن مقدساتهم وعن المسجد الأقصى الذى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين ونحن معهم ؛ بل على كل المسلمين وعلى كل منصف فى العالم أن يقف إلى جوار المظلومين من أهل فلسطين وأن يقدم لهم العون ماديا كان أم معنويا ، وأن نقدم لهم السلاح الذى يمكنهم من الدفاع عن أنفسهم .

● ما الموقف الذى ينبغى أن تتخذه الدول الإسلامية ؟

● ● لا شك أن عقد مؤتمر إسلامى على مستوى القمة سوف يكون فيه خير كثير للمسلمين ، ولكن عهدنا أن هذه المؤتمرات تجتمع وتنفض ولا تسفر إلا عن نتائج محدودة ، ولكن لا بأس من عقده بشرط أن يكون مؤتمرا فيه من الشجاعة والقوة والتأثير مايجعل إخواننا الفلسطينيين يحصلون على كل حقوقهم كاملة غير منقوصة .

● المشكلة أن أمريكا تدعم إسرائيل ولا أدل على ذلك من أنها فى كل مرة تحول دون استصدار قرار من مجلس الأمن لإدانة إسرائيل ، وهذا ما حدث أخيرا فى أعقاب المصادمات التى جرت بعد فتح نفـق البـــراق ؟

● ● إذا كانت أمريكا أو غير أمريكا تشجع العدوان فهى ظالمة ويجب عليها أن تقلع عن هذا الظلم وأن تكون دولة موضوعية تؤيد الحق وتبطل الباطل ، ونحن ضد أمريكا فى هذا الموقف . ونحن نقول لها : أخطأت فى هذا الموقف الذى يشكل انحيازا إلى الظلم إلى الباطل وليس إلى الحق ، إلى العدوان وليس إلى السلام ، على أمريكا أن تكون موضوعية بما يتفق والدور الذى تضطلع به كراعية لعملية السلام فى المنطقة وكشريك أمين نزيه شريف .

● وما الذى يجب على المجتمع الدولى فعله ؟

● ● عليه طرح ازدواج المعايير ، وأن يناصر الحق والعدل ويدافع عن المظلوم بكل ما يملك .

● وما الدعوة التى يمكن أن توجهونها للعالم الإسلامى ؟

● ● أقول :علينا جميعا أن ننصر المظلوم ولو أدى هذا إلى أن نشهر فى وجه الظالم السلاح، وأن نقاتله مادام لم يستجب للنصح ومضى فى غيه يعمل ضد السلم. قال تعالى:

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾

الأنفال ـــ ٦١

إننا نمد أيدينا بالسلام لكل من يسالمنا ، ونكون على استعداد لأن نضحى بكل ما نملك من أجل الدفاع عن ديننا وأرضنا وعرضنا وكرامتنا .

يجب ألا نستضعف، فلا رحمة لمستضعف. نحن فى عالم القوة فيه فوق الحق ، وعلينا أن نستعمل قوتنا فى الدفاع عن معتقداتنا وأرضنا ، إننى أدعو الدول العربية والإسلامية إلى التكاتف ومناصرة دولة فلسطين ؛ لأن ما يحدث من إسرائيل يتنافى مع العدل والكرامة الإنسانية والتعاليم الدينية التى أمرتنا بعدم الاعتداء وبرد المعتدى .

● عندما قامت الأوقاف الفلسطينية بترميم فى المسجد الأقصى أخيرا احتجت إسرائيل بدعوى وجوب حصول الفلسطينيين على ترخيص من إسرائيل أولا حيث إن السيادة على القدس تؤول إليها ؟

● ● القدس إسلامية عربية وليست لإسرائيل. والمسلمون عندما يرممون مسجدا من المساجد بصفة عامة ، والأقصى بصفة خاصة فهم وحدهم ـــ دون غيرهم الذين يعرفون ما هو الخير وما هو الشر.. ما هو الصالح وغير الصالح ، وليس من حق إسرائيل أو غيرها أن تتدخل فى ترميم مقدساتنا الدينية ـــ كما أننا ليس من حقنا أن نتدخل فى ترميم مقدساتهم الدينية ..

● ما موقف الأزهر من نفق البـــراق الذى تم فى الرابع والعشرين من الشهر الماضى ؟

● ● سواء أكان نفقا أو غير نفق فكل ما يلحق ضررا بالمسجد الأقصى نحن ضده .

إن من يتولى إدارة وشئون المسجد الأقصى والمحافظة عليه هم المسلمون وحدهم ، وهم الذين يقيمون فيه. وهم : مفتى المسجد الأقصى ، وإخوانه العلماء من الفلسطينيين ، وأهل الرأى والسياسة والاقتصاد والسيد الرئيس عرفات ، فهؤلاء مسئولون مسئولية كاملة عن المسجد الأقصى ، وليس لأحد أن يتدخل فى شئونهم إلا على سبيل العون والمساعدة عندما يطلبون ذلك .

● إسرائيل تصادر الأرض العربية فى القدس ، لإحكام القبضة عليها بالتهويد والتأكيد على أنها العاصمة الموحدة الأبدية لإسرائيل .

● ● المحاولات التى تقوم بها إسرائيل لتهويدها يجب أن تقابل بمحاولات أشد من جانبنا ؛ لأننى كما قلت : الصراع بين الحق والباطل موجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . فعلينا أن نقابل المحاولات الباطلة بما هو أشد منها.. بمحاولات تعتمد على الحق والعدل والسلام والصراحة والشجاعة قبل ذلك . وهى التى تجعل الإنسان على استعداد لأن يضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته ودينه ومصلحة أمته .

● هناك من دعا إلى تشكيل لجنة دولية لتحرى الوضع والتأكد من أن فتح نفــق البـــراق يؤثر على المقدسات الإسلامية ويهدد بانهيارها .

● ● إذا كانت هذه اللجنة موضوعية محايدة تحق الحق وتبطل الباطل فمرحبا بها . لكن إذا كانت ممن يؤيد الباطل فنحن نرفضها ..

● اسرائيل تلجأ إلى مواقف مستفزة للعرب الفلسطينيين ومن ذلك ما فعلته عندما عززت وجود قواتها عند ضريح سيدنا يوسف بنابلس .

● ● نحن نعلم أن إخواننا فى فلسطين وعلى رأسهم الرئيس عرفات لا يفرطون فى حقهم ونحن نؤيدهم ونشجعهم ونقف إلى جوارهم ونمدهم بكل ما يحتاجون إليه من ألوان العون سواء كان مادياً أو معنوياً .

● ولكنهم مغلوبون على أمرهم ويكفى الحصار التجويعى الذى فرضته عليهم إسرائيل .

● ● ولهذا يجب علينا أن نعاونهم ونقف إلى جوارهم ونمدهم بكل ما هم فى حاجة إليه . ذلك أننا إذا لم نفعل نكون مقصرين فى حق ديننا وأمتنا. علينا أن نعمل بكل الوسائل على ردع الظالم ورده عن ظلمه .

● هل يأتى فى إطار ذلك وقف التطبيع مع إسرائيل ؟

● ● طبعا ، إذا وجدنا أن هذا التطبيع فيه ضرر بإخواننا فى فلسطين أو فيه ضرر بالأمة العربية أو الإسلامية فسحقا لهذا التطبيع .

● عشية يوم الغفران — ٢٣ من الشهر الماضى — وقبل فتح النفق قال نتنياهو .

إن الفلسطينيين لن يحصلوا على السيادة المطلقة .

ولن يكون للحكومة الفلسطينية الحق فى إبرام معاهدات عسكرية مع الدول .

ولن يسمح للفلسطينيين باستخدام احتياطات الماء فى الضفة .

● ● على أية حال فإن مثل هذه التصريحات مردود عليها بواسطة إخواننا الفلسطينيين — فهم على استعداد لمجابهتها بأفعال أشد وليس بمجرد تصريحات. إن كل تصريح فيه ظلم وضرر وعدوان علينا أن نقابله بالرفض وأن نضعه تحت أحذيتنا ، وأولى الناس بفعل ذلك هم إخواننا الفلسطينيون لأنهم هم الذين يعانون فأيديهم فى النار .

ليبيا والعراق

● ماذا عن الظلم الذى يشكله المجتمع الدولى فى فرض الحصار على دول كليبيا والعراق حتى الأن وهو ما يستهدف القضاء على مقدراتهم ؟

● ● كرجل شرعى أقول : إن كل حصار لدولة عربية إسلامية أو لغير عربية إسلامية — مبعثه الظلم والعدوان فهو حصار مرفوض مرفوض مرفوض . ويجب أن يقف العالم كله ضد هذا الحصار .

● ماذا نحن فاعلون إذا عم الظلم وشاع أكثر، ولم يستطع الإنسان أن يرده ؟

● ● لابد للإنسان أن يرد الظلم بكل ما يستطيع أن يرده به. وإذا وجب الأمر أن يحاربه بالسلاح فليحاربه ، نصرة للمظلوم لأن الحديث النبوى الشريف يقول: « **من وقف إلى جانب مظلوم لكى يثبت له حقه ثبت الله قدميه يوم تزل الأقدام** » .

الناس من خوف الذل فى ذل ومن خوف الفقر فى فقر . وفى ذلة المظلوم عذر الظالم ، نحن لا نبرر ظلما ولا نقبل الظلم ، والحياة مع الحرية أفضل من أن يعيش الإنسان مع الذل والاستعباد .

من تراث المحقق محمد أبى الفضل ابراهيم

أسباب النزول

بسم الله الرحمن الرحيم

نزل القرآن على قسمين : قسم نزل ابتداء ، وقسم نزل عقب واقعة وسؤال ، و« النزول » هنا لفظ مجازىّ ، ومعناه : إعلام النبىّ ﷺ بالقرآن عن طريق الوحى .

ومعرفة أسباب النزول وأثرها فى التشريع والتفسير وتوضيح الأحكام ، من المباحث الهامة التى وردت فى علوم القرآن ؛ وقد زعم بعضهم أن هذه الأسباب تجرى مجرى التاريخ ، وأنها لا تدخل فى هذا الفن ؛ ويرى الجمهور من علماء المسلمين أن معرفة أسباب النزول من الأمور الهامة لفهم القرآن ومعرفة مقاصده ، فى الإيمان والتشريع والدعوة إلى فضائل الأعمال .

وقد انفرد بالتصنيف جماعة من علماء المسلمين ، منهم علىّ بن المدينى شيخ البخارى ، وعلى بن أحمد الواحدى النيسابورى ؛ وكتابه مطبوع متداول ، قال فى أوله :

« والذى هدانى إلى إملاء هذا الكتاب ، الجامع للأسباب لينتهى إليه طالبو هذا الشأن ، والمتكلمون فى نزول القرآن ، فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ، ويجدّوا فى تحفظه بعد السماع والطلب » ؛ كما وضع السيوطى فيه كتابا آخر ، ذكر أنه اختاره من جوامع الحديث الأصول ، وأسماه : « لباب النقول فى أسباب النزول » ، وأفرد له الزركشى بابا جامعا فى كتابه البرهان ، وتأليف السيوطى فى ذلك أيضا فى كتابه « الاتقان » ؛ هذا عدا الأحاديث المروية فى كتب الصحاح من الحديث ، والروايات المحررة فى كتب التفسير :

ولمعرفة أسباب النزول فوائد مهمة :

منها الوقوف على المعنى الصحيح ، ودفع الإشكال :

١ ـ مثال ذلك ما أشكل على مروان بن الحكم فى معنى قوله تعالى : ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

آل عمران ـ ١٨٨

فقال : لئن كان كل امرىء فرح بما أوتى ، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل مُعذّبًا ـ لنعذّبن أجمعون ؛ فقال ابن عباس : إنها نزلت فى أهل

الكتاب حينما سألهم النبى ﷺ عن شىء فكتموه إياه ، وأخبروه بغيره ، وأَرَوْهُ أنهم أخبروه بما سألهم عنه ؛ واستحمدوا ذلك إليه ، فذلك قوله تعالى :

﴿ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .

٢ ـ زعم بعضهم أن الخمر مباحة ، يَحْتَجُّ بقوله تعالى :

﴿ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا ﴾ المائدة ـ ٩٣

وفى صحيح الآثار أن السبب فى نزول هذه الآية أن ناساً قالوا : لما حُرِّمت الخمر : كيف بمن قتلوا فى سبيل الله وماتوا وكانوا يشربون الخمر قبل تحريمها ، فنزلت الآية خاصة بهؤلاء .

٣ ـ قال تعالى :

﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ البقرة ـ ١١٥

ولو فسرت الآية على مدلول اللفظ لاقتضى أن المصلّىَ لا يجب عليه استقبال القبلة ، سفرا ولا حضرا ؛ وهذا خلاف الإجماع ؛ والذى ذكره المفسرون فى أسباب النزول ؛ أن هذه الآية نزلت فيمن صلىّ بالاجتهاد وأخطأ ، ثم بان له خطؤُه .

٤ ـ ومن فوائد أسباب النزول معرفة الحِكَمِ الباعثة على التشريع ، ومن ذلك ما ورد من الأسباب التى دعت إلى التدرج فى تحريم الخمر ؛ قال بعض المفسرين : إن الله تعالى لم يَدعْ شيئا من الكرامة إلا أعطاه هذه الأمة ، ومِن كرامته وإحسانه أنه لم يوجب عليهم الشرائع دفعة واحدة ؛ ولكن أوجب عليهم مرة بعد مرة ..

أتى عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار رسول الله ﷺ ، فقالوا : أفتنا فى الخمر والميسر ؛ فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ البقرة ـ ٢١٩

وإثم الخمر ما يصدر من الشارب من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش ، وإثم الميسر ضياع الأموال فى غير وجهها ، ونفع الخمر ما كانوا يجلبونه من الربح الوافر فى تجارتها ؛ إذ كانوا يجلبونها من الشام بثمن رخيص ، ويبيعونها فى الحجاز بثمن غال مرتفع . ومنفعة الميسر ، ما كان يجلبه أحيانا من كسب المال من غير كَدٍّ ولا تعب فكان قوله ـ تعالى :

﴿ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ .

إشارة إلى أنّ من كثر إثمُهُ حَرُم فعله ؛ فكانت هذه خطوة أولى فى التحريم ؛ إلا أن بعض المسلمين كان يشربها ، ويقول : نشربها للمنفعة لا للإثم . ثم حدث أن ناسًا شربوا الخمر ، وحضروا الصلاة وهم نشاوى ؛ ولم يدروا كم يصلون من الركعات ، ولا ما يقولون فى الصلاة ؛ بل روى أن بعضهم دخل فى صلاة المغرب ، فقرأ ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ، فلم يُقِمْهَا(١) ؛ فنزل قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾

النساء ـ ٤٣

---

(١) أى لم يقرأها قراءة صحيحة .

فامتنعوا عن شربها قبل الصلاة ؛ وكانت خطوةً ثانية فى التحريم . ثم ان فريقا من الأنصار شربوا وسَكِرُوا ، فاعتدى واحد منهم بالضرب على آخر ، وشهد عمر بن الخطاب ذلك فذهب الى النبى ﷺ وذكر عيوب الخمر ، وما ينزل بالناس من أجلها ؛ ثم دعا إلى الله وقال : « اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

المائدة ـ ٩٠

فقال عمر : انتهينا .. انتهينا .

* * *

ومن الأحكام التى سبقها بعض الأسباب : « تحويل القبلة » من المسجد الأقصى ببيت المقدس إلى المسجد الحرام بمكة ؛ روى أن النبى ﷺ لما قدم المدينة ، كان يصلى نحو بيت المقدس نحو ستة عشر شهراً أو نحو سبعة عشر شهرا ، أو تسعة عشر شهرا ؛ وكان يحب أن يتوجه نحو الكعبة .. وكان قد استمكن الإسلام بالمدينة واستحصر أمره ـ فأنزل الله ـ تعالى :

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾

البقرة ـ ١٤٤

فاعترض بعض اليهود ، وقالوا : « ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها » ، فنزل قوله ـ تعالى :

﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

البقرة ـ ١٤٢

* * *

ومن أسباب النزول ما تكون معرفتها سببا ، فى توضيح بعض الآيات ، وتمكينا لها فى افهام المؤمنين :

١ ـ فى « غزوة أحد » خرج النبى ﷺ والصناديد من قومه وعشيرته من المدينة لحرب المشركين من قريش ، وخرجت قريش من مكة برجالها . وأضغانها وأحقادها ؛ بعد أن وترهم المسلمون فى « غزوة بدر » ؛ وكانت معركة قتل فيها من المسلمين عدد وافر ؛ ومنهم حمزة بن عبدالمطلب سيد الشهداء وعم الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ ، قتله وحشى : غلام جبير بن مُطْعِم .

قال وحشى : كنت غلاماً لجبير بن مُطْعِم ، ولما شاءت قريش الخروج إلى أحد قال جبير إن قتلتَ حمزة بعمّى طعيمة ، فى « غزوة بدر » ، فأنت حرٌّ عتيق .. قال : وكنت حبشيا أقذف بالحربة قذف الحبشة فلا أخطىء بها شيئا ؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة ـ رحمه الله ـ حتى رأيته فى عَرْض الجيش مثل الجمل الأورق يهزّ النّاس هزّاً ، ما يقوم له شيء ؛ فوالله إنى لأتهّيأ له ، وأستتر منه بحجر ، وإذا به يدنو منى ، وتقدمنى إليه سباع بن عبدالعزى ، فلما رآه حمزة ؛ ضربه فوالله ما أخطأ رأسه . وهززت أنا حربتى حتى وصلت بها ؛ ودفعتها إليه ، فوقعت

---

(٢) يرى العلماء أن الآية الكريمة « سيقول السفهاء من الناس ... » نزلت قبل قوله تعالى . « قد نرى تقلب وجهك .... » .

فى بطنه حتى خرجت من بين رجليه ؛ فذهب لينافحنى فغلب على أمره فتركته حتى مات ..، ثم أتيتُه فأخذت منه حربتى ، ثم رجعت إلى الناس ، وعدت إلى العسكر ، ولم يكن لى بغيره حاجة ؛ إنما قتلته لأعتق ..

وجاء رسول الله ﷺ فرآه صريعا ؛ فلم يَرَ شيئا كان أوجع لقلبه من هذا المنظر ، رآه ممثلا به وقد شق بطنه ، واصطلم أنفه ، وجُدعت أذناه ، فقال : لولا أن يحزن النساء ، أو تكون سنة بعدى لتركته حتى يبعثه الله مِنْ بطون السباع والطير[٣] ؛ لأمثلن مكانه بسبعين رجلا ، ثم دعا ببردة وغطى بها وجهه ، فخرجت رجلاه ، فجعل عليها الاذْخِز ، وهو نوع من الحشيش طيب الريح ، ثم قدمه فكبر عليه عشرا ، ثم جعل يجاء بالرجل فيوضع وحمزة مكانه ؛ حتى صلى عليه سبعين صلاة ـ وكان القتلى سبعين ـ فلما دفنوا وفرغ منهم ؛ نزل قوله ـ تعالى :

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

النحل ١٢٥ ـ ١٢٧

٢ ـ ومن ذلك ما كان سببا فى الآيات التى نزلت فى شأن مسجد الضرار ؛ روى أن جماعة من بنى عوف وهم قبيلة من الأنصار ؛ بنوا مسجدهم المسمى مسجد قباء ، ودعوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم ، فأتاهم ، وصلى بهم ، فحسدهم جماعة من بنى عمومتهم ؛ وقالوا نبنى مسجدا ، ونرسل إلى محمد ليصلى فيه كما صلى فى مسجد بنى عمنا ، ثم نجعل هذا المسجد مقاما لأبى عامر الراهب حين يجىء .. وكان ابو عامر رجلا منهم ترهّب فى الجاهلية ولبس المسوح ، وأنكر الإسلام حينما جاء ، وخرج إلى الشام ، وقابل قيصر ، وأرسل إلى قومه ، ليبنوا له مكانا يقيم فيه سرًّا ، لحرب الرسول ﷺ فكان هذا هو المسجد الذى بناه قومه ليضاروا به المسلمين وذهبوا إلى رسول الله ﷺ منافقين وقالوا : يا رسول الله إننا بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والأمسية الشاتية وإننا نحب أن تأتينا فتصلى لنا فيه ، فدعا رسول الله بقميصه ليلبسه ويأتيهم ؛ فنزل عليه قوله ـ تعالى :

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

التوبة ١٠٧ ـ ١٠٩

وهكذا من الروايات المنثورة فى كتب الصحاح والتفسير ، مما يوضح ويبين مواضع العبرة ، ويعين على فهم كتاب الله الكريم .

(٣) أنظر للإمام على بن برهان الدين الحلبى ـ السيرة الحلبية ٢٤٨/٢ ط البهية ـ القاهرة ١٣٢٠ هـ .

قبس من أنوار النبوة

.. أضمن لكم الجنة

لفضيلة الشيخ / علي حامد عبد الرحيم

عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله عنه ـ قال : قال النبى ﷺ : « اضمنوا لى ستا من أنفسكم أضمن لكم الجنة أصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغُضوا أبصاركم ، وكفوا أيديَكم » .

جامع الأحاديث للإمام السيوطى جـ١ ص٦١٣ برقم ٣١٨٢ ، وقال : رواه : أحمد وابن حبان والحاكم والبيهقى .

□ البيـــان :

يضمن رسول الله ﷺ لمن حافظ على هذه الخصال الست بوحى من الله ـ أن يدخله الله الجنة دار النعيم ، وحين يكون الرسول هو الضامن وهو الكفيل فإنها ـ ولا شك ـ صفقة رابحة ، وميثاق قوىّ ، وجزاء مؤكد ممن لا ينطق عن الهوى .

ولنستمع إليه ـ عليه السلام ـ فى مثل ذلك من الضمان حيث يقول : أنا زعيم ـ أى كفيل وضامن ـ ببيت فى ربض الجنة ـ فى مدخلها ـ لمن ترك المراء (أى : الجدال) وإن كان محقا . وببيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحا . وببيت فى أعلى الجنة لمن حسَّن خلقه) (رواه أبو داود . عن أبى أمامة) .

ولنصغ إليه ﷺ حين يحدثنا فيقول : (فيما رواه الطبرانى عن أبى أمامة ـ رضى الله عنه ـ « اضمنوا لى ست خصال أضمنُ لكم الجنة : لا تظالموا عند قسمة مواريثكم ، وأنصفوا الناس من أنفسكم ولا تجنبوا عنه قتال عدوكم ، ولا تَغلُّوا غنائمكم ـ (أى لا تأخذوا من الغنيمة مثل قسمتها) وأنصفوا ظالمكم من مظلومكم » .

وها هو ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يضمن دخول الجنة لمن حفظ الأجوفين (الفم والفرج)

فيقول : ـ فيما رواه البيهقى عن جابر ـ رضى الله عنه ـ من ضمن لى ما بين لحييه ورجليه ضمنت له دخول الجنة » وفى حديثنا هذا يعرض ـ الرسول الكريم ـ ست خصال لو مارسها الإنسان وحافظ عليها ـ يضمن الرسول أن يدخله الله الجنة ، ودخول الجنة أعظم جزاء يطمع فيه الإنسان ، وخير مآب ينقلب إليه بعد أن تنتهى حياته .

وأولى هذه الخصال الست : الصدق : وهو الإخبار عن الحقيقة ، والصدق أساس الفضائل . كما أن الكذب مفتاح الرذائل . فإذا سئلت عن شىء أجبت بالصدق ، وأذا طُلبت فى شهادة ذكرت الحقيقة ، تقول الحق ولو على نفسك أو الأقربين ، ولا تتحدث إلا بما تعلم ، فلا تردد الشائعات وتكون بوقا للأكاذيب .

فمن أخبر عن شىء بما يطابق الواقع فهو من المتقين الذين قال لله ـ عز وجل ـ فى شأنهم :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ .

سورة التوبة ـ آية : ١١٩

ويقول الصادق المصدوق ﷺ فى الدعوة إلى الصدق : « **عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وإن البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا** » رواه مسلم .

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ لأن يضعنى الصدق ـ وقلما يضع ـ أحب إلى من أن يرفعنى الكذب ـ وقلما يفعل » .

وقال بعض الحكماء : الصدق منجيك وإن خفته ، والكذب مرديك وإن أمنته .

وإن الله عز وجل يحذرنا من الكذب وينفرنا منه حيث يقول :

﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ .

سورة النحل ـ آية : ١٠٥

﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ .

سورة الزمر ـ آية : ٦٠

ثم هو صفة المنافقين : قال ﷺ : آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان . متفق عليه .

ومن حكيم الشعر :

حسب الكـذوب من البليـــة
بعض ما يحكـــى عليـــه
فإذا سمعت بكذبـــــــة
من غيره نسبت إليـــه

وقال لقمان لابنه : « يا بنى إياك والكذب فإنه يفسد عليك دينك ويمحو عند الناس مروءتك ، ويضع منزلتك . ويضيع جاهك ،

فلا يسمع أحد منك إذا حدثت ، ولا يصدقك إذا قلت ، ولا خير لك فى الحياة إذا كنت كذلك ، وإذا اطلع الناس على ذلك فى أمرك ثم صدقت اتهموك وحقروا شأنك ، وأبغضوا مجلسك ، وأخفوا عنك أسرارهم ، وختموا حديثهم وكتموه ، وحذروك فى أمر دينهم ، ولا يأمنوك فى شىء من أحوالهم وهذه حالتك فى قلوب الناس ، وأكبر من ذلك مقت الله وعقوبته فى الآخرة » .

ومما يؤهل الإنسان لدخول الجنة هذه الخصلة الثانية : الوفاء بالوعد والعهد فلا تعد بشىء إلا إذا كان فى مقدورك ، فإذا وعدت وجب الوفاء ، فهذا موقف الإنسان الذى يحترم كلمته ، ويحافظ على كرامته بين الناس .

إذا قلت ـ نعم ـ فى شىء فأتممه
فإن (نعم) دين على الحر واجب

وإلا فقل ـ لا ـ تسترح وترح بها
لئلا يقول النـــاس إنك كاذب

إن الوعد الذى ترتبط به لدى الطرف الآخر مصلحة لا تتحقق إلا إذا وفيت بما وعدت ، فإذا أخلفت موعدك تعرض صاحبك لمتاعب أو مخاطرات أنت المسئول عنها أمام ضميرك وأمام الناس .

وأداء الأمانة ، **ثالثة** الخصال التى تُدخل الجنة ، فهى تشمل كثيرامن الأمور :

ـ العمل الذى تؤجر عليه أمانة بين يديك .

ـ أهلك وأولادك أمانة أنت راعيها ومسئول عنها .

ـ أجر العامل الذى تستخدمه أمانة يجب أن تؤديها قبل أن يجف عرقه .

ـ الوديعة أمانة واجبك أن تحافظ عليها وتردها عند طلبها .

ـ كلمة السر التى يفضى بها إليك صاحبك أمانةتفرض عليك الكتمان إلا أن تكون كلمة شر وبغى وعدوان .

ـ وكلام الرجل لزوجه ، والمرأة لزوجها سر يجب كتمانه .

قال الله ـ تعالى ـ :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ .

سورة النساء ـ آية : ٥٨

وفى وصف المؤمنين قال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ .

سورة المعارج ـ آية : ٣٢

والرسول ﷺ ينفى الإيمان عن كل من لا أمانة له .

والرابعة : من صفات أهل الجنة الذين ضمن لهم الرسول دخولها « غض البصر » عن كل ما حرم الله . وبخاصة العورات بين الجيران .

قال الشاعر :

وأغض الطرف إن بدت لى جارتى

حتـــى يوارى جـــارتى مأواهـــا

لأن فى غض البصر عن محارم الله مجاهدة للنفس عن الانزلاق وراء الشهوات ، وحماية لأعراض الناس ، ورعاية لتعاليم الإسلام .

والخامسة : حفظ الفرج عن غير ما أحل الله ـ تعالى ـ لك . والمقصود بذلك العفة والحصانة للرجل والمرأة على سواء . ولذلك كانت عقوبة التفريط وتعدى حدود الله فى هذه الخصلة عقوبة شديدة تصل إلى حد الإعدام بالرجم ، وما استهان قوم بذلك إلا فشت فيهم الأمراض التى لم تكن فى أسلافهم . واختلطت الأنساب ، وانحلت روابط المجتمع . وذلت كرامة الإنسان .

قال ـ تعالى ـ فى وصف المؤمنين :

﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴾ .

سورة المؤمنون ـ الآيات : ٥ : ٧

وقال ﷺ فيما رواه الترمذى ـ حين سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : تقوى الله وحسن الخلق . وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : الفم والفرج .

والسادسة : من الخصال التى ضمن الرسول أن يدخل الله صاحبها الجنة كف الأذى قال ﷺ : ـ وكفوا أيديكم ـ أى عن الأذى وما حرمه الله ، فليستخدم الإنسان يده فى الخير للبناء لا للهدم ، لإماطة الأذى عن الطريق لا لإلقاء القمامة والقاذورات وأذى الجيران ، ولمساعدة الضعيف لا لمدافعته ، للبذل والعطاء ، لا للسلب والاغتصاب . للدفاع عن الحق لا للبغـى والعدوان .. وفقنا الله لصالح القول والعمل وهدانا سواء السبيل .

من رجال الحديث الشريف

الإمام أبو سليمان الخطابى البستى

المتوفى سنة ٣٨٨ هـ.

تقديم الأستاذ / أحمد تقى الدين

كان الإمام أبو سليمان الخطابى فى مقدمة العلماء الذين قاموا بالتأليف فى الدين واللغة ابتغاء وجه الله .

والخطابى : هو الإمام العلامة أبو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البُستى الخطابى الشافعى ، من ولد زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى من أقدم المؤمنين صحبة لرسول الله ﷺ ولد بمدينة بست من بلاد الأفغان سنة ٣١٩ هـ .

أقام مدة بنيسابور يصنف ، فعمل (غريب الحديث) و(معالم السنن) ، و(العزلة) ، و(الغنية عن الكلام وأهله) ، وله تصانيف أخرى كثيرة .

وقال ياقوت : رحل إلى العراق والحجاز ، وجال فى خراسان ، وخرج إلى ما وراء النهر (معجم الأدباء ٢٦٨/١٠) .

وقال السبكى : سمع الحديث من أبى سعيد بن الأعرابى بمكة ، « وأبى بكر بن داسة » بالبصرة ، وإسماعيل بن الصفار ببغداد ، وأبى العباس الأصم بنيسابور (طبقات الشافعية ٢٨٢/٣) .

وقال السمعانى : ذكره الحاكم أبو عبدالله فى التاريخ فقال : أقام عندنا بنيسابور سنين ، وحدّث بها ، وكثرت الفوائد من علومه (الأنساب ١٥٧/٥) .

وكان يكسب قوته من التجارة ، وفى أخريات حياته مال إلى الصوفية ، فدخل خلوتهم ، وتوفى فى « بِسْت » سنة ٣٨٨ هـ . أو سنة ٣٨٦ هـ .

شيوخه :

ابن الأعرابى وهو الإمام الزاهد ، شيخ الحرم أبو سعيد ، أحمد بن محمد بن زياد بن بشر ، صاحب التصانيف .

وقال الذهبى عنه فى « التذكرة » : كان ثقة ، ثبتاً ، عارفاً ، عابداً ، ربّانيّاً ، كبير القدر ، بعيد الصيت . صنف معجماً لشيوخه ، وتاريخاً كبيراً للبصرة ، مات سنة ٣٤٠ هـ .

• اعتمدنا فى اعداد هذا المقال على كتاب « غريب الحديث » وهو واحد من أهم مؤلفات الإمام أبو سليمان حمد بن محمد ابن ابراهيم الخطابى البُستى تحقيق الدكتور عبدالكريم ابراهيم العرباوى ، من منشورات مركز البحث العلمى وإحياء التراث الإسلامى بكلية الشريعة جامعة أم القرى ط ١٩٨٢ وهو يقع فى ثلاثة أجزاء .

● ابن داسة : الشيخ الثقة العالم محمد بن بكر بن محمد بن عبدالرزاق ، أبو بكر بن داسة ، روى عن أبى داود السجستانى ، وأبى جعفر محمد بن الحسن بن يونس الشيرازى. توفى ابن داسة سنة ٣٤٦ هـ .

● مكرم بن أحمد القاضى ، أبو بكر البغدادى البزاز ، قال الخطيب : كان ثقة ، مات سنة ٣٤٥ هـ .

● أبو العباس الأصم : محمد بن يعقوب بن يوسف النيسابورى .

نقل الذهبى عن الحاكم : كان محدّث عصره بلا مُدافعة . وقال : حدَّث فى الإسلام ستًّا وسبعين سنة ، ولم يُختلف فى صدقه وصحة سماعه ، مات سنة ٣٤٦ هـ .

● الخُلْدِىّ : جعفر بن محمد بن نصير بن القاسم ، أبو محمد الخوّاص المعروف بالخُلْدِىّ ، شيخ الصوفية .

كان ثقة ، صادقاً ، ديّناً ، فاضلًا ، سمع الكثير ، وحدّث كثيراً ، وحج ستين حجة ، كان ديناً . مات سنة ٣٤٨ هـ .

● أبو على الصفّار : إسماعيل بن محمد بن إسماعيل .

وثّقه الدارقطنى وقال : صام أربعة وثمانين رمضاناً ، وكان متعصباً للسنة .

وله شيوخ غير هؤلاء . نقل الذهبى عن أبى طاهر السِّلَفِىّ قال : فى شيوخ الخطابى كثرة، وكذلك فى تصانيفه .

تلاميـــذه :

تلاميذه كثيرون ، نذكر منهم :

● أبو حامد الاسفرايينى : أحمد بن محمد بن أحمد ، شيخ طريقة العراق .

قال الخطيب : أقام ببغداد مشغولًا بالعلم حتى صار أوْحَد وقته ، وانتهت إليه الرياسة ، وعَظُم جاهه عند الملوك والعوام ، وقال : لو رآه الشافعى لفرح به .

وقال السبكى : حافظ المذهب وإمامه ، جبل من جبال العلم منيع ، وحَبْر مِن أحبار الأمة رفيع . مات سنة ٤١٠ هـ .

● أبو أحمد الحاكم : محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه الحافظ الكبير .

قال الخطيب : كان من أهل الفضل والعلم والمعرفة والحفظ ، وله فى علوم الحديث مصنفات عدة . وقال الذهبى فى الميزان : إمام صدوق . مات سنة ٤٠٥ هـ .

● أبو ذر : عبد بن أحمد بن عبدالله الأنصارى الهروى المالكى . قال الخطيب : كان ثقة ، ضابطاً ، ديناً ، فاضلًا . مات بمكة سنة ٤٣٤ هـ .

هذا ، إلى تلاميذ كثير يصعب حصرهم والتعريف بهم .

رأى العلماء فيه :

قال الثعالبى (٤٢٩ هـ) : كان يشبه فى عصرنا بأبى عبيد القاسم بن سلام فى عصره علماً وأدباً ، وزهداً ، وورعاً ، وتدريساً ، وتأليفاً ، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً ، وكان أبو عبيد مُفحماً .

قال السمعانى (٥٦٢ هـ) : « إمام ، فاضل ، كبير الشأن ، جليل القدر ، صاحب

التصانيف الحسنة . ونقل عن الحاكم أنه قال : الفقيه ، الأديب ، البستى : أبو سليمان الخطّابى ، أقام عندنا بنيسابور سنين ، وحدّث بها ، وكثرت الفوائد من علومه .

وقال ابن الجوزى (٥٩٧ هـ): له فَهْم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه ، وله أشعار جيدة .

وقال ياقوت الحموى (٦٢٦ هـ) : قال الحافظ أبو المُظَفَّر السمعانى : كان حُجَّـةً صدوقاً ، رحل إلى العراق والحجاز ، وجال فى خراسان ، وخرج إلى ما وراء النهر .

وقال أيضاً : كان محدثاً فقيهاً ، أديباً ، شاعراً ، لغوياً .

وقال : كان الخطّابى من الأئمة الأعيان .

وقال ابن خلكان (٦٨١) : كان فقيهاً ، أديباً ، محدثاً ، له التصانيف البديعة ، منها : غريب الحديث ، معالم السنن ، أعلام السنن ، كتاب الشجاج ، شأن الدعاء ، إصلاح غلط المُحَدِّثين .

ونقل الذهبى (٧٤٨ هـ) عن أبى طاهر السلفىّ (٥٧٦ هـ) قوله : وأما أبو سليمان الشارح لكتاب أبى داود ، فإذا وقف مُنصِف على مصنفاته ، واطلع على بديع تصرفاته فى مؤلفاته تحقق إمامته وديانته فيما يورده وأمانته ، وكان قد رحل فى الحديث وقراءة العلوم ، وطوّف ، ثم ألف فى فنون من العلم وصنف ، وفى شيوخه كثرة ، وكذلك فى تصانيفه .

وقال الذهبى : كان ثقة متثبتاً ، من أوعية العلم .

وقال السبكى (٧٧١ هـ) : كان إماماً فى الفقه والحديث واللغة . وذكره الإمام أبو المُظَفَّر السمعانى فى كتاب : « القواطع فى أصول الفقه » قال : قد كان من العلم بمكان عظيم ، وهو إمام من أئمة السنة ، صالح للاقتداء به والإصدار عنه .

وقال ابن كثير (٧٧٤ هـ) : أحد المشاهير الأعيان ، والفقهاء المجتهدين المكثرين ، سمع الكثير ، وصنف التصانيف الحسان ، وله فهم مليح ، وعلم غزير ، ومعرفة باللغة والمعانى والفقه .

[**مصنفاته**] :

- معالم السنن فى تفسير كتاب السنن لأبى داود .
- أعلام السنن فى شرح صحيح البخارى ، أو تفسير المشكل من أحاديث البخارى .
- كتاب شرح الأسماء الحسنى .
- كتاب غريب الحديث .
- كتاب العزلة .
- كتاب الغُنْية عن الكلام وأهله .
- كتاب إصلاح غلط المحدثين .
- كتاب الشّجاج .
- كتاب الجهاد .
- رسالة فى إعجاز القرآن .
- علم الحديث .

على أن الكتب الأربعة الأولى كانت هى أكثر مؤلفاته أهمية فى إثبات فضل الخطابى وغزارة علمه ، وقوة احتجاجه واقتداره ، وتجاوبه مع ما يجرى فى زمنه ، ولذلك نتناولها هنا فى شىء من الإيجاز :

معالم السنن فى تفسير كتاب السنن لأبى داود.

أوضح الخطابى فى هذا الكتاب ما أشكل من متون ألفاظ كتاب السنن ، وشرح ما استغلق من معانيه ، وأبان وجوه أحكامه ، ودل على مواضع الانتزاع والاستنباط من أحاديثه ، وكشف عن معانى الفقه المنطوية فى ضمنها ، ليستفيد تلاميذه .

وبين لتلاميذه منزلة كتاب السنن فقال :

« اعلموا – رحمكم الله – أن كتاب السنن لأبى داود كتاب شريف ، لم يصنف فى علم الدين كتاب مثله وقد رزق القبول من الناس كافة ، فصار حَكما بين فرق العلماء وطبقات الفقهاء على اختلاف مذاهبهم ، فلكل فيه وِرْد ومنه شِرْب ، وعليه معول أهل العراق ، وأهل مصر ، وبلاد المغرب وكثير من مدن أقطار الأرض .

ويذكر الخطابى فضل الكتاب فيقول :

« وقد جمع أبو داود فى كتابه هذا من الحديث فى أصول العلم ، وأمهات السنن ، وأحكام الفقه ، ما لا نعلم متقدما سبقه إليه ، ولا متأخراً لحقه فيه » .

ويبدو أن تلاميذه سألوه الكتابة عنه فقال يخاطب تلاميذه :

« وقد انتهيت من مسألتكم بقدر ما تيسرت له ، ورجوت أن يكون الفقيه – إذا ما نظر إلى ما أثبته فى هذا الكتاب من معانى الحديث ، ونهجته من طرق الفقه المتشعبة عنه ، دعاه ذلك إلى طلب الحديث وتتبع علمه ، وإذا تأمله صاحب الحديث رَغَّبه فى الفقه وتعلمه » .

ويختم كلامه معهم : « وقد كتبت لكم فيما أمليت من تفسيرها ، وأوضحته من وجوهها ومعانيها ، وذكر أقاويل العلماء واختلافهم فيها علماً جماً ، فكونوا به سعداء ، ونفعنا الله وإياكم برحمته » .

أعلام السنن فى شرح صحيح البخارى

وهو من الكتب الهامة التى شرحت كتاب الجامع الصحيح للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ، أو بعبارة أدق تفسير المشكل من الأحاديث التى احتواها ، وتبيين الغامض من معانيها .

وبين الخطابى الفرق بين ما احتواه كتاب البخارى ، وبين ما فى كتاب السنن لأبى داود فيقول :

« كان معظم القصد من أبى داود فى تصنيف كتابه ذكر السنن والأحاديث الفقهية .

وغرض صاحب هذا الكتاب ، إنما هو ذكر ما صح عن رسول الله ﷺ من حديث فى جليل من العلم أو دقيق ، ولذلك أدخل فيه كل حديث صح عنده فى تفسير القرآن ، وذكر التوحيد والصفات ودلائل النبوة ، ومبدأ الوحى ، وشأن المبعث ، وأيام رسول الله ﷺ وحروبه ومغازيه وأخبار القيامة والحشر والحساب ، والشفاعة ، وصفة الجنة والنار ، وما ورد منها فى ذكر القرون الماضية ، وما جاء من الأخبار فى المواعظ والزهد إلى ما أودعه بعد من الأحاديث فى الفقه والأحكام والسِّيَر والآداب ، ومحاسن الأخلاق وسائر ما يدخل فى معناها من أمور الدين ، فأصبح هذا الكتاب كنزا للدين ورِكازاً للعلوم ، وصار حَكَماً بين الأمة فيما يُراد أن يعلم من صحيح الحديث وسقيمه ، وفيما يجب أن يعتمد ويعول عليه » .

سبب تأليف المشكل

ثم يذكر السبب الذى من أجله اتجه إلى تفسير المشكل فيقول : « إنى أفكرت بعد فيما عاد إليه أمر الزمان فى وقتنا من نضوب العلم وظهور الجهل ، وما عليه أهل البدع ، وانحراف كثير من أنشاء[1] الزمان إلى مذاهبهم ، وإعراضهم عن الكتاب والسنة ، وتركهم البحث عن معانيها ولطائف علومها ورأيتهم حين هجروا هذا العلم وبخسوا حظا منه فأهبوا وأمعنوا فى الطعن على أهله ، وكانوا كما قال الله عز وجل : « وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ» (الأحقاف ١١) فوجدتهم قد تعلقوا بأحاديث من متشابه العلم قد رواها جامع هذا الكتاب ، وصححها عن طريق السند والنقل ، لا يكاد يعرف عوام رواة الحديث وجوهها ومعانيها ، إنما يعرف تأويلها الخواص منهم ، الراسخون فى العلم ، المتحققون به ، فهم لا يزالون يعترضون به عوام أهل الحديث والدَّخل والضَّعفة منهم ، فإذا لم تجدوا عندهم علما بها ومعرفة بوجوهها اتخذوهم سُلما إلى ما يريدون من ثَلْب جماعة أهل الحديث والوقيعة فيهم ، ورموهم عند ذلك بالجهل وسوء الفهم ، وزعموا أنهم مقلدون ، يروون ما لا يدرون ، وإذا سئلوا عنه وعن معانيه ينقطعون ويسمونهم من أجل ذلك : حمالة الحطب ، وزوامل الأسفار ، ونحوهما من ذميم الأسماء والألقاب .

فكم غُمِرَ بغيرهم من الأغمار والأحداث الذين لم يخدموا هذا الشأن ، ولم يطلبه حق طلبه ، ولم يقضوا فى علمه بناجز ، فيصير ذلك سبباً لرغبتهم فى السنن وزهدهم فيها ، لطرح كثير من أمر الدين عن أيديهم ، وذلك تسويل الشيطان لهم ، ولطيف مكيدته فيهم ، وتخوفت أن يكون الأمر فيما يناجز من الزمان أشد ، والعلم فيه أعز ، لقلة عدد من أراه اليوم يُعنى بهذا الشأن ويهتم به اهتماما صادقاً ويبلغ فيه من العلم مبلغاً صالحاً ».

ويختم كلامه بقوله « ورأيت فى حق الدين ، وأجر النصيحة لجماعة المسلمين إلا أمنع ميسور ماأسيغ له من تفسير المشكل من أحاديث هذا الكتاب ، وفتق معانيها حسب ما تبلغه معرفتى ، ويصل إليه فهمى ، ليكون ذلك نصرة لأهل الحق ، وحجة على أهل الباطل والزيغ ، فيبقى ذخيرة لَغابر »

كتاب شرح الأسماء الحسنى

وهو مخطوط ، ويسمى أيضاً تفسير الأسماء والصفات ، وكتاب الدعاء . ويذكر الخطابى سبب تأليف هذا الكتاب فيقول : « سألتمونى إخوانى عن الدعاء ، وما معناه ، وفائدته ، ومحله فى الدين ، وموضعه من العبادة ، وما حكمه فى باب الاعتقاد ، وما الذى يجب أن ينوى الداعى بدعائه ، وما يصح أن يدعو به من الكلام مما لا يصح منه ، إلى سائر ما يتصل به من علومه وأحكامه ، ويستعمل فيه من سننه وآدابه ، وطلبتم أن ألخص لكم ما شكل من ألفاظ الأدعية المأثورة عن النبى ﷺ التى جمعها إمام أهل الحديث محمد بن إسحاق بن خزيمة ــ رحمه الله ورضى عنه ــ إذ كان أولى ما يدعى به ويستعمل منه ما صحت به الرواية عن رسول الله ﷺ

(١) جمع نشىء .. أى أبناء الزمان .

وثبت عنه بالأسانيد الصحيحة ؛ فإن الغلط يعرض كثيراً فى الأدعية التى يختارها الناس لتباين مذاهبهم فى الاعتقاد والانتحال » .

إلى أن يقول : « وقد فعلت من ذلك ـ أكرمكم الله ـ ما تيسر لى ، وبلغه علمى ، وتوخيت الإيجاز والاختصار .. »

غريب الحديث

وقد كتب الخطابى له مقدمة وافية بين فيها فضل أئمة القرون الثلاثة الأولى على علم السنة ، وأنه لما ذهب هؤلاء الأعلام ، وتناقل الحديث العجم ، وكثرت الرواة ، وفشا اللحن ، ومرنت عليه الألسن ، رأى أولو البصائر والعقول أن يعنوا بجمع الغريب من ألفاظه ، وتفسير المشكل من معانيه ، وأن يدونوها فى كتب تبقى على الأبد لتكون لمن بعدهم قدوة وإماما ، ومن الضلال عصمة وأمانا .

ثم ذكر أن أول من سبق إلى ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام بكتابه غريب الحديث ، ثم انتهج نهجه أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة ، فألف كتابه فى الغريب أيضاً .

وبقيت بعدهما بقية من الأحاديث تولى الخطابى جمعها وتفسيرها فى كتابه « غريب الحديث » متيمما قصدهما ، ومتبعاً نهجهما ، بعد أن مضت عليه مدة من الزمان وهو يظن أنه لم يبق لأحد فى الحديث مقال ، مبتدئا أولا بأحاديث الرسول ﷺ ثم ثنى بأحاديث الصحابة ، وأردفها أحاديث التابعين ، وألحق بها مقتطفات من الحديث لم يجد لها سندا فى الرواية ، إلا أنها ـ كما يقول ـ قد أخذت عن المقانع من أهل العلم ، والأثبات من أصحاب اللغة ، وختم الكتاب بإصلاح ألفاظ من مشاهير الحديث ، يرويها عوام النقلة ملحونة ومحرفة عن القصد .

ولم يعرض الخطابى لشىء فسره أبو عبيدة أو ابن قتيبة فى كتابيهما ، إلا أن يتصل حرف منه بكلام ، فيذكر فى ضمنه ، أو يقع شىء منه فى استشهاد أو نحوه ، وإلا أحاديث وجد فى تفسيرها لمتقدمى السلف وأهل الاعتبار أقاويل تخالف بعض مذاهبهما .

وكان غرضه الأول من هذا أن يظهر الحق ويبين الصواب ، لا أن يكون القصد الاعتراض على ماضٍ أو الاعتداد على باقٍ .

ويسمو الخطابى إلى ذروة التواضع وإنكار الذات فيقول : « ولعل ما نأثره منها لو بلغ أبا عبيد وصاحبه ـ يعنى ابن قتيبة ـ لقالا به ، وانتهيا إليه وذلك الظن بهما يرحمهما الله » .

منهجه فى الغريب :

كان الخطابى يورد الحديث ، يتبعه بسنده ، وأحيانا كثيرة يأتى بسند آخر وبرواية أخرى ، ثم يفسر الكلمات اللغوية ، ويؤيد تفسيرها بحديث آخر ، أو بعض حديث ، أو آية قرآنية ، أو بيت من الشعر أو الرجز ، وكثيراً ما يستطرد ، فيشرح الكلمات الغريبة فى هذه الشواهد فى إفاضة ومقدرة . وإذا كان فى الحديث شىء من الفقه سجله بعد الشرح .

وكان منهجه ألا يذكر حديثاً أو شرحاً سبقه به أحد زميلية أبو عبيد أو ابن قتيبة إلا أن يكون الحديث قد خلا من الشرح ، فيذكره ليشرحه ، أو يكون هناك خلاف بين صاحبيه فى معنى كلمة فيذكر قولهما ، ويختار أحد الرأيين مستدلا

بآحاديث أخرى أو شعر ، وغالباً ما ينصر أبا عبيد ويؤيده ، لأن النصوص كانت تؤيده .

وننقل هنا من كتاب « غريب الحديث » للإمام الخطابى مثالا يشير إلى غزارة علمه ، وسعة إطلاعه ، وحدة ذكائه :

قال أبو سليمان فى حديث النبى ﷺ أنه قال : « أُريت فى المنام أنّى أنزع على قليب بدلو بكرة ، فجاء أبو بكر ، فنزع ذَنوبا أو ذنوبين ، فنزع نَزْعا ضعيفا ، والله يغفر له ، ثم جاء عمر ، فاستقى ، فاستحالت غَرْباً ، فلم أر عَبْقَرِيًّاً يَفرِى فَرِيَّه ، حتى روى الناس وضَربوا بعَطَن » .

قد وقع هذا الحديث أولا فى كتاب أبى عبيد ، وثانيا فى كتاب ابن قتيبة ، وفَسَّر كل واحد منهما طائفة من لفظه ، ولم يعرض واحد منهما لمعناه . وقد عَلِمنا أن هذا مَثَلٌ فى رؤيا أُريها ﷺ ، وإنما يُراد بالمَثَل تقريبُ علم الشَّىء وإيضاحه بذكر نظيره ، وفى إغفال بيانه والذهاب عن معناه ، وعن موضع التشبيه فيه إبطال فائدة المثل وإثبات التفضيل لعمر على أبى بكر ، إذ قد وصف بالقوة ، من حيث وُصِف أبو بكر بالضعف وتلك خُطّة أباها المسلمون .

والمعنى ، والله أعلم ، أنه ﷺ ، إنما أراد بهذا القول إثبات خلافتهما ، والإخبار عن مدة ولا يتهما ، والإبانة عما جرى عليه أحوال أمته فى أيامهما ؛ فشَبّه أمر المسلمين بالقليب ، وهو البئر العادية ؛ وذلك لما يكون فيها من الماء الذى به حياة العباد وصلاح البلاد ، وشبه الوالى عليهم والقائم بأمورهم بالنازع الذى يستقى ، ويقريه للواردة ، ونَزْعُ أبى بكر ذَنوباً أو ذنوبين على ضعف فيه ، إنما هو قَصَرُ مُدَّة خلافته ، والذنوبان مَثَلٌ فى السنتين اللتين وليهما وأشهراً بعدهما ، وانقضت أيامه فى قتال أهل الرِّدَّة واستصلاح أهل الدعوة . ولم يتفرغ لافتتاح الأمصار وجباية الأموال ، فذلك ضَعْف نَزْعه .

وأما عمر فقد طالت أيامه ، واتَّسعت ولايته ، وفتح الله على عهده العراق ، والسَّوادَ ، وأرض مصر ، وكثيراً من بلاد الشام وقد غَنِم أموالها فقَسَّمها فى المسلمين ، فأخصبت رحالهم ، وحَسُنت بها أحوالهم ، فكان جودة نزعه مثلا لما نالوه من الخير فى زمانه ، والله أعلم .

وما من كتاب ألف بعد « غريب الحديث » للخطابى ، يتصل بالحديث أو غريبه إلا رجع إلى هذا الكتاب ، وكذلك الكتب اللغوية التى الفت بعده ، سواء صرحت بذلك أم لم تصرح ؛ لأن النقل قد يكون عن طريق غير مباشر ، فمثلا نقل ابن الأثير فى « النهاية »(٢) الكثير عن الخطابى مسجلا ذلك فى كثير من المواد ، و« النهاية » إحدى المصادر الخمسة التى ألف منها ابن منظور كتابه « لسان العرب » .

كما نقل البيهقى عن الخطابى فى السنن الكبرى .

وكان مرجعا للزمخشرى فى كتابه « الفائق » .

ولو تتبعنا كتب اللغة والحديث والفقه والأدب التى ألفت بعد هذا الكتاب لوجدناها قد أفادت منه ، لأنه حوى الكثير القيم من هذه المواد جميعا .

---

(٢) النهاية فى غريب الحديث .

الكفالة وهل يجوز تقاضى الأجر عنها ؟

بحث موجز

للأستاذ الدكتور / محمد سيد غزلان

الكفالة فى اللغة معناها : الضم ومنه قوله تعالى ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ آل عمران / ٣٧

وفى الشرع : عبارة عن ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل فى المطالبة بدين أو عين أو عمل أو نفس .

والكفالة تسمى : حمالة وضمانة وزعامة .

وهى تقتضى : (كفيلًا وأصيلًا ومكفولًا له ومكفولًا به) .

فالكفيل : هو الذى يلتزم بأداء المكفول به ، ويجب أن يكون بالغاً عاقلاً مطلق التصرف فى ماله راضيا بالكفالة .

ويسمى الكفيل بالضامن والزعيم والحميل والقبيل .

والأصيل : هو المدين وهو المكفول عنه ، ولا يشترط بلوغه ولا عقله ولا حضوره ولا رضاه بالكفالة ، بل تجوز الكفالة عن الصبى والمجنون والغائب ، ولكن الكفيل لا يرجع على أحد من هؤلاء إذا أدى عنه ، بل يعتبر متبرعاً إلا فى حالة ما إذا كانت الكفالة عن الصبى المأذون له فى التجارة وكانت بأمره .

والمكفول له : هو الدائن ويشترط أن يعرفه الضامن .

والمكفول به : هو الدين أو العين أو العمل ، وغير ذلك مما وجب أداؤه على المكفول عنه[1] .

مشروعيتها :

الكفالة مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع .

وليس هنا مجال بسط الأدلة على ذلك .

موضعها من أقسام العقود :

يقسم العلماء العقود إلى أقسام بحسب طبيعتها ونوعها ، فمنها :

١ ــ عقود المعاوضات : ويندرج تحتها جميع عقود المبادلات سواء كانت مبادلة مال بمال كالبيع ، أو مبادلة مال بمنفعة كالإجارات أو مبادلة مال بغير مال ولا منفعة كالزواج والخلع .

٢ ــ عقود التبرعات : كالهبة والوصية والإعارة والإبراء من الدين والمحاباة فى البيع والشراء والكفالة والحوالة فى بعض صورها .

٣ ــ العقود التى تكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء : كالإقراض والكفالة بأمر المكفول عنه والحوالة فى بعض صورها .

وهناك أقسام أخرى لا داعى لذكرها لعدم تعلقها بموضوعنا .

وتأسيساً على ما تقدم نرى : أن الكفالة تتبع عقود التبرعات فى إحدى صورها ، وتتبع العقود التى تكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء فى صورة أخرى ، فهى من عقود التبرعات فى حالة ما إذا أدى الكفيل الدين عن المكفول ولم تكن الكفالة بأمره .

جاء فى كتاب (أحكام العقود فى الشريعة الإسلامية للشيخ على قراعة[2] ص ١١ ، ١٢ ط دار مصر للطباعة) تحت عنوان (بيان صور عقود التبرعات وأمثلتها) :

(٦) الكفالة ، ومعناها ضم ذمة إلى ذمته فى المطالبة وهى تفيد التزام الكفيل بأداء ما على المكفول ، وهى عقد تبرع ، ولهذا يشترط فى الكفيل أن يكون من أهل التبرع .

---

(١) فقه السنة للسيد سابق جـ ٣ ص ٢٨٣ ط مكتبة دار التراث .

(٢) رئيس المحكمة العليا الشرعية سابقا .

وصورتها : أن يكون على إنسان دين بسبب شراء عين لم ينقد ثمنها وأراد صاحب الدين أن يستوثق لنفسه للحصول على دينه ، فيأتى شخص آخر ملىء ويضمن لصاحب الدين دينه ، وحينئذ يكون لصاحب الدين الحق فى مطالبة الكفيل بالدين ، كما له الحق فى مطالبة الأصيل به ، وإذا أدى الكفيل الدين عن المكفول ولم تكن الكفالة بأمره لم يكن له الرجوع عليه بما أدى عند عامة العلماء ، لأن الكفالة بغير أمره تبرع بقضاء دين الغير فلا يحتمل الرجوع .

وجاء فى نفس المرجع ص ١٢ ، ١٣ تحت عنوان : (بيان صور العقود التى هى تبرع ابتداء .. معاوضة انتهاء) .

٢ ــ الكفالة بأمر المكفول فإنها تبرع ابتداء ولكنها إذ أدت إلى أداء الكفيل ما على المكفول من دين كان له الرجوع بما أدى عليه ، لأنه حيث كانت الكفالة بأمره لم يكن متبرعا بالأداء فتكون الكفالة فى هذه الحالة تبرعا فى الابتداء ومعاوضة فى الانتهاء .

وجاء فى مرجع آخر : (ضوابط العقود : دراسة مقارنة فى الفقه الإسلامى وموازنة بالقانون الوضعى وفقهه للدكتور عبد الحميد البعلى :[٣]

٣ ــ عقود التبرعات : وهى مايكون التمليك فيها بغير مقابل كالهبة والصدقة والوصية والوقف والإعارة والإبراء ، ويدخل فيها مايكون تبرعا ابتداء ومعاوضة انتهاء كالقرض والكفالة والحوالة .

وفيما يتعلق برجوع الكفيل على مضمون عنه ينص الشيخ سيد سابق ــ مرجع سابق ص ٢٨٧ ــ على أنه :

إذا أدى الضامن عن المضمون عنه ما عليه من دين رجع عليه متى كان الضمان والأداء بإذنه ، لأنه أنفق ماله فيما ينفعه بإذنه وهذا مما اتفق عليه الأئمة الأربعة .

واختلفوا فيما إذا ضمن عن غيره حقا بغير أمره وأداه .

قال الشافعى وأبو حنيفة : هو متطوع وليس له الرجوع عليه .

والمشهور عن مالك : أن له الرجوع به .

وعن أحمد روايتان .

قال ابن حزم : لايرجع الضامن بما أدى سواء بأمره أو بغير أمره إلا أن يكون المضمون عنه استقرضه .

قال : وقال ابن أبى ليلى وابن شبرمة وأبو ثور وأبو سليمان بمثل قولنا .

ويؤيد كونه عقد تبرع أيضا : ما جاء فى (المغنى لابن قدامة الحنبلى جـ ٤ ص ٥٩١ مكتبة ابن تيمية) .

(فصل) ولايعتبر أن يعرفهما الضامن (أى المضمون عنه والمضمون له) ، وقال القاضى : يعتبر معرفتهما ؛ ليعلم هل المضمون عنه **أهل**

(٣) مكتبة وهبة ص ٣٠٤ ، والمؤلف أستاذ الفقه المقارن والاقتصاد الإسلامى كلية الشريعة وأصول الدين ــ جامعة محمد بن سعود الإسلامية .

لاصطناع المعروف إليه أولا وليعرف المضمون له فيؤدى إليه .

وذكر وجها آخر : أنه تعتبر معرفة المضمون له لذلك ، ولاتعتبر معرفة المضمون عنه لأنه لا معاملة بينه وبينه ، ولأصحاب الشافعى ثلاثة أوجه نحو هذه .

ولنا حديث على وأبى قتادة ، فإنهما ضمنا لمن لم يعرفاه عمن لم يعرفاه ، **ولأنه تبرع بالتزام مال فلم يعتبر معرفة من يتبرع له به كالنذر .**

وجاء فى نفس الكتاب ص ٥٩٢ مانصه : (وعموم قوله ــ عليه السلام : « الزعيم غارم » **ولأنه التزام حق فى الذمة من غير معاوضة .**

وجاء فى كتاب (المجموع شرح المهذب للشيرازى تكملة الشيخ المطيعى جـ ١٣ ص ١٤ ط مكتبة الإرشاد بجدة) مايلى :

(والثانى) أنه لايصح حتى يعرف الضامن عنهما (المضمون عنه والمضمون له) لأن معاملته المضمون عنه فلابد من معرفته بعينه ليعلم هل هو أهل لأن يسدى إليه الجميل أم لا ؟ .

وجاء فى نفس الكتاب ص ٢٠ مانصه : (لأن الضمان رفق ومعروف) وفى ص ٢١ مانصه : (فصل : ولايثبت فى الضمان خيار ؛ لأن الخيار لدفع الغبن وطلب الحظ والضامن يدخل فى العقد على بصيرة أنه مغبون ، وأنه لاحظ له فى العقد) .

وجاء فى ص ٢٧ مانصه : (فصل : وإن قضى الضامن الدين نظرت ، فإن ضمن بإذن المضمون عنه وقضى بإذنه رجع عليه ؛ لأنه أذن له فى الضمان والقضاء ، وإن ضمن بغير إذنه وقضى بغير إذنه لم يرجع لأنه تبرع بالقضاء فلم يرجع ، وان ضمن بغير إذنه وقضى بإذنه ففيه وجهان :

الأول : من أصحابنا من قال : يرجع لأنه قضى بإذنه .

والثانى : لايرجع وهو المذهب ، لأنه لزمه بغير إذنه فلم يؤثر إذنه فى قضائه ، وإن ضمن بإذنه وقضى بغير إذنه فالمنصوص أنه يرجع عليه ، وهو قول أبى على بن أبى هريرة ، لأنه اشتغلت ذمته بالدين بإذنه فإذا استوفى منه رجع ، كما لو أعاره مالا فرهنه فى دينه وبيع فى الدين .

وهكذا يتضح أن الكفالة عقد من عقود التبرعات فى الأصل ؛ فهى تطوع ومعروف وجميل ، وهو من أعمال المروءة التى يبتغى بها صاحبها وجه الله ــ تعالى ــ وواسع ثوابه ، شأنها شأن القرض الحسن ، ولذلك روى عن النبى ﷺ قوله : (مامن مسلم فك رهان أخيه إلا فك الله رهانه يوم القيامة) كما أباح له أن يأخذ من غيره إذا تحمل وغرم ، جاء فى الحديث الشريف : (لا تحل المسألة إلا لثلاثة فذكر رجلا تحمل بحمالة فحلت له المسألة حتى يؤديها ثم يمسك)* .

---

* رواه مسلم وأبو داوود والنسائى ، والحمالة (بفتح الحاء) مايتحمله الإنسان عن غيره من مال ــ مثلا ــ يستدينه ويدفعه لإصلاح ذات البين ، وبهذه الحمالة يكون كفيلا وضامناً .

★ إذن فمدار الخلاف بين الفقهاء حول ما إذا كان للضامن أن يرجع على المضمون عنه بقيمة الدين أم لا ، ولم يقل أحد منهم قط : إنه يجوز له أن يأخذ على ضمانه أجرا .

وهنا قد يرد علىٰ الخاطر تساؤل :
أيشمل هذا الحكم الضمان على الدين بنوعيه :

الضرورى والاستثمارى ؟

أم أنه قاصر على الدين الضرورى فحسب ؟
وأقصد بالدين الضرورى : من يضمن من يقترض لإطعام أولاده مثلا ، وبالدين الاستثمارى : من يضمن من يقترض ليبنى مصنعا مثلا .

وللإجابة عن هذا التساؤل ، تجدر الإشارة إلى فتاوى هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى المصرى ، وإلى قرار المؤتمر الأول للمصرف الإسلامى بدبى ، وإلى فتوى هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى السودانى ، فبالنظر فى كتاب (مشكلة الاستثمار فى البنوك الاسلامية وكيف عالجها الإسلام)(٤) نجد تأصيلاً لهذه الرؤية ، وذلك على الوجه التالى :

هل يجوز للبنك الإسلامى أن يتقاضى أجرا على مجرد الكفالة ؟

إن الأصل فى الكفالة هو : التبرع ، فلم تكن فى فهم السلف الصالح موردا من موارد الكسب ، ولا بابا من أبواب الارتزاق ، بل عملا من أعمال المروءة يقصد به رفع الضيق عن الصديق إيمانا واحتسابا لوجه الله .

قال الحطاب : ولا خلاف فى منع ضمان بجعل ـ أى بأجر ؛ لأن الشرع جعل الضمان والقرض والجاه لا يفعل إلا لله بغير عوض ، فأخذ العوض عليه سحت(٥) .

وقد وجهوا ذلك بأن الضامن إذا أغرم الحق للطالب ، رجع على المدين بمثل ماغرم مع زيادة ما أخذه من الجعل ، فهذا لايجوز لأنه سلف بزيادة ، وإن لم يغرم بأن أدى الغريم ـ أى الدائن ما عليه من دين ـ كان أخذه الجعل باطلا إذ لا وجه لأخذه(٦) .

إلا أن اتساع النشاط التجارى قد اقتضى أن تنتصب هيئات متخصصة للقيام بهذا الغرض تسهيلا للتبادل التجارى وتوفيرا للوقت والجهد ، وهى تتكلف فى سبيل ذلك الجهد والمال ، وتحتاج إلى ما يغطى تكاليف قيامها بهذه المنفعة فهل يمكن قياسا على ما قلناه ــ من جواز تقاضى القرض ــ أن نقول : بجواز تقاضى نفقات الضمان ؟

لقد عرض هذا الأمر على هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى المصرى فأفتت

(٤) د / محمد صلاح محمد الصاوى ــ دار الوفاء ــ صفحات ٤٨٦ ــ ٤٨٨ (رسالة دكتوراه) .
(٥) مواهب الجليل لشرح مختصر خليل ٤ /٤٩١ .
(٦) راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ٣ /٣٤١ .

أنه لا يجوز أخذ الأجر على مجرد الضمان ، ولكن إذا كان (خطاب الضمان) سيكبد البنك جهدا قبل إصداره أو بعده ، من دراسة للعملية التى صدر بشأنها الخطاب ، أو تحصيل لمستحقاتها ، أو متابعة لأعمالها فإنه يجوز للبنك أن يأخذ أجرا عن هذه الأعمال التى يصبح وكيلا عن عميله فيها ، ويكون الأجر مقابل هذه الأعمال وليس مقابل الضمان[٧] .

وقريب من ذلك ما أجاب به الشيخ بدر المتولى عبد الباسط المستشار الشرعى لبيت التمويل الكويتى عندما سئل عن هذه القضية ؛ لم يجز أخذ الأجر على مجرد الضمان ، أما بالنسبة للأعمال التى قام بها البنك نيابة عن عميله لدى الجهة المضمون لها فقد أجاز أن يتقاضى عليها أجر المثل[٨] .

وفى المؤتمر الأول للمصرف الإسلامى بدبى صدر القرار التالى :

وخطاب الضمان يتضمن أمرين : وكالة ، وكفالة .

ولايجوز أخذ الأجر على الكفالة ، ويجوز أخذ الأجر على الوكالة ويكون أجر الوكالة مراعى فيه حجم التكاليف التى يتحملها المصرف فى سبيل أدائه لما يقترن بإصدار خطاب الضمان من أعمال يقوم بها المصرف حسب العرف المصرفى ، وتشمل هذه الأعمال بوجه خاص : تجميع المعلومات ، ودراسة المشروع الذى سيعطى بخصوصه خطاب الضمان ، كما يشمل ما يعهد به العميل إلى المصرف من خدمات مصرفية متعلقة بهذا المشروع ، مثل تحصيل المستحقات من أصحاب المشروع .

وتقدير ذلك الأجر متروك للمصرف بما ييسر على الناس شئون معاملاتهم وفقاً لما جرى عليه العرف التجارى .

كما يؤيد ذلك ما أقرته هيئة الرقابة الشرعية ببنك فيصل الإسلامى السودانى حيث ذهبت إلى (جواز أخذ أجر على إصدار خطابات الضمان ، شريطة أن يكون هذا الأجر نظير ما يقوم به البنك من خدمة لعملائه بسبب إصدار هذه الخطابات ، ولا يجوز أن يأخذ البنك أجراً لمجرد كونه ضامناً للعميل)[٩] .

والخلاصة : أنه لا أجر على مجرد الضمان ، لأنه يعتبر عملا من أعمال التبرع ، ولكن إذا صحب الضمان بعض الأعمال والخدمات التى يتكلفها المصرف الإسلامى بمناسبة إصداره لخطاب الضمان ، فلا بأس أن يتقاضى أجرا لاعن كونه ضامناً للعميل ، بل يكون الأجر مقابلاً لهذه الأعمال التى يقوم بها لمصلحة العميل ، ويعتبر فى أدائها وكيلا عنه .

---

(٧) محضر اجتماع هيئة الرقابة الشرعية رقم ٣٢ ، ٣٤ يوم السبت والاحد ١٢ ، ١٣ من شوال ١٤٠٠ هـ ـــ ١٤ /٨/ ١٩٨٠ .

(٨) الفتاوى الشرعية لبيت التمويل الكويتى : ٧٠

(٩) راجع : فتاوى بنك فيصل الاسلامى السودانى . النقود والمصارف الإسلامية . يوسف كمال ص ١٢٥ .

الحكم الشرعي لعقد التأمين التجاري

المطلب الثانى

شروط التحريم بالغرر ووجوده فى عقد التأمين

الفرع الأول
شـروط التحريم بالغرر

٨

للدكتور / عبدالله مبروك النجار

والغرر الموجود فى التأمين ، غرر من النوع الفاحش ، وهذا المعنى يستبين من شروط الغرر المحرم ، وهو يتوافر فى الغرر الموجود فى عقد التأمين كما أن الغرر اليسير الذى لا يؤثر فى المعاملة له شروط ، وهذه الشروط لا تنطبق ، ولا تتوافر فى الغرر الموجود فى التأمين ، وبيان ذلك يستدعى استجلاء شروط تحريم العقد للغرر بما يجلى أساس التفرقة ، بينه الغرر الفاحش الموجود فى عقد التأمين ، والغرر اليسير المعفو عنه والذى لا يوجد فى عقد التأمين ، وقد جاء فى ضابط الغرر المؤثر بأنه : « الغرر الكثير فى عقود المعاوضات المالية ، إذا كان فى المعقود عليه أصالة ، ولم تدع للعقد حاجة[1] » ، ويبدو من أقوال الفقهاء ، ومن الفروع الكثيرة المتعلقة بأحكام الغرر ، ومما يظهر من هذا الضابط أن الغرر المؤثر لا بد أن تتوافر فيه شروط هى أن يكون فاحشا وأن يكون فى عقود المعاوضات ، وألا يرد نص بالتجاوز عنه ، وبين ذلك :

* الكاتب أستاذ مساعد / كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

(١) د. الصديق محمد الضرير ـ الغرر وأثره فى العقود ـ ص٥٨٣ ، الطبعة الأولى ١٩٦٧م

الشرط الأول : أن يكون الغرر فاحشا لا يسيرا :

جاء النهى عن بيع الغرر عامّا ومطلقا ، وإن كان بعض الفقهاء قد خصوا الغرر اليسير بحكم مخالف ، والتجاوز عن الغرر اليسير جاء بمثابة استثناء على قاعدة ، ومن ثم فإنه فى وجوده وفى الحكم عليه ، يخضع لما يخضع له كل استثناء على قاعدة من ناحية الضبط والتوصيف الذى يحدده تحديدا قاطعا يجعله حريا باستحقاق حكم يخالف الحكم المقرر للأصل العام ومن هذا المنطلق حدد الفقهاء المقصود بالغرر اليسير ، كما بينوا شروطه ، وضربوا له الأمثلة التى تكشف عن حقيقته وتوضح ماهيته ، حتى إذا ما أردنا استبيان حكم الشرع فى معاملة لنعرف حكمها من ناحية الحل أو الحرمة ، كان علينا أن نبحث عما إذا كانت هذه المعاوضة تدخل تحت الغرر المنهى عنه ، أم أنها تمثل نوعا من الغرر اليسير الذى يستأهل حكما خاصا عما قضى به من أصل التحريم ؟ إن ذلك يستدعى بيان حقيقة الغرر اليسير وعناصره .

حقيقة الغرر اليسير :

يبدو من خلال استقراء أقوال أهل العلم فى المذاهب المختلفة ، أن المالكية هم أكثر الفقهاء تيسيرا فى موضوع الغرر ، ومن ثم ذهب كثير من الذين قالوا بالجواز إلى الاحتجاج برأيهم(٢) ، ولهذا يكون من المهم استجلاء حقيقة مذهب المالكية فى مسألة الغرر اليسير الذى لا يؤثر فى صحة المعاوضة عندهم ، فإذا ما استبان أن مثل هذا النوع من الغرر لا ينطبق على عقد التأمين التجارى كان القول بمشروعيته أمرا سائغا(٣) .

وفى هذا الصدد يقرر صاحب «مواهب الجليل» من فقهاء المالكية : « واغتفر غرر يسير للحاجة ، لم يقصد ، أى كون متعلق الغرر اليسير غير مقصود ، وضرورة ارتكابه ، من ذلك بيع الجبة المجهول قدر حشوها الممنوع بيعه وحده ، وجواز الكراء لشهر مع احتمال نقصه وتمامه ، وجواز دخول الحمام مع اختلاف قدر الماء ولبثهم فيه ، والشرب من السقاء إجماعا ، وهو دليل على إلغاء ما هو يسير غير مقصور دعت إليه الضرورة »(٤) .

وجاء فى الشرح الكبير للدردير : « واغتفر غرر يسير للحاجة ، أى للضرورة لم يقصد ، أى غير مقصود ، فخرج بقيد اليسارة : الكثير ، كبيع الطير فى الهواء والسمك فى الماء ، فلا يغتفر إجماعا ، وبقيد عدم القصد بيع الحيوان بشرط الحمل ، أى فإنه يقصد فى البيع عادة ، وهو غرر إذ يحتمل حصوله ، وعدم حصوله ، وعلى تقدير

---

(٢) ومن الملفت للنظر أن لفقهاء المالكية نصوصا فى هذا النوع من الضمان تفيد تحريمه من ذلك ما ذكره صاحب الشرح الكبير : من أن البيع بالنفقة على البائع من المشترى مدة حياة البائع ، هو بيع فاسد ، للغرر الناشىء عن عدم العلم بمدة الحياة التى سيحياها البائع ، وهذا يفيد أن الحكم الشرعى لعقد التأمين على الحياة ، باطل للغرر وذلك لعدم علم المؤمن بالزمن الذى سيعيشه المؤمن عليه ، راجع : حاشية الدسوقى على الشرح الكبير ــ جـ ٢ ــ ص٥٧ ، وقال الباجى فى المنتقى على موطأ مالك : من دفع إلى رجل داره على أن ينفق عليه حياته ، روى ابن المواز عن اشهب ، لا أحب ذلك ولا افسخه إن وقع ، وقال أصبغ : هو حرام ، لأن حياته مجهولة ويفسخ المنتقى على موطأ مالك ــ جـ ٥ ــ ص ٤١ .

(٣) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ــ السابق ــ ص ٧٥ .

(٤) مواهب الجليل للخطاب ــ جـ ٤ ــ ص ٣٦٥ ، والقوانين الفقهية لابن جزى ــ ص٢٥٦ وما بعدها ، وبداية المجتهد جـ ٢ ــ ص١٥٥ ، والفروق ــ جـ ٢ ــ ص ٢٦٥ ، والمجموع جـ ٩ ــ ص٢٥٨ ، والاعتصام للشاطبى ــ جـ ٢ ــ ص٤٣ ، ص١٤٤ ، وراجع : الغرر وأثره فى العقود ــ ص٥٨٧ .

حصوله فهل تسلم أمه أم لا ؟ »[٥] ، ويمثل لذلك بقوله : « كأساس الدار فإنها تشترى من غير معرفة عمقها ، ولا عرضها ، ولا متانتها ، وكإجارتها مشاهرة ، مع احتمال نقصان الشهور ، وكجبة محشوة أو لحاف ، والحشو مغيب ، وشرب من سقاء ، ودخول حمام مع اختلاف الشرب والاستعمال »[٦] .

عناصر الغرر اليسير :

ويبدو من أقوال فقهاء المالكية أن الغرر اليسير الذى يغتفر فى عقود المعاوضات وتكون معه صحيحة يجب أن تتوافر فيه عناصر ثلاثة إذا فقدت جميعها ، أو واحد منها ، كان الغرر مؤثرا ومبطلا للمعاملة ، وهذه العناصر تتمثل فى قلة الغرر ، وإن يكون غير مقصود لذاته فى المعاملة ، وأن تدعو إليه ضرورة ونبين تلك العناصر .

أولا : قلة الغرر :

يجب أن يكون الغرر فى المعاملة قليلا ، أو نادرا ، أو كما عبر الفقهاء عنه بـ « يسارة الغرر »[٧] ، وهو يعنى أن تكون الزيادة أو النقص المحتمل فى قيمة العوض عما اتجهت إليه إرادة الطرفين فى العقد تافهة أو قليلة أو نادرة على نحو لا يجعل للنفوس تعلقا بها ، ولا يجعلها حرية باتجاه قصدهما إليها ابتداء ، ويمكن أن يدرك ذلك بمقارنة قيمة الزيادة أو النقص المحتمل فيما يحصل من العوض بالقيمة الكلية لهذا العوض ، فإن كانت النسبة بينهما قليلة تافهة ، كان الغرر فى مقدار العوض يسيراً ، ففى حالة بيع الجبة المحشوة مع جهالة نوع حشوها ، فإن كانت قيمة الجبة جيدة الحشو مائة جنيه مثلا ، فلو أن هذا الحشو كان من نوع أقل من الجيد لصارت قيمتها تسعين جنيها مثلا ، أو خمسة وتسعين وبموازنة قيمة هذا النقص بمقدار الثمن الكلى ، نجد أنه يسير بالنسبة له ، ويمكن أن يتسامح الناس فيه عادة ، وإذا كان هذا النقص يمثل قيمة الغرر ، كان متسامحا فيه بالتالى ، ومثل تلك الحالة إجارة الدار شهرا مع احتمال نقص المدة يوما أو زيادتها يوما فإن نسبة اليوم بالنسبة للشهر يسيرة إذ هى لا تتجاوز واحدا على ثلاثين من قيمة المدة ، وقل مثل ذلك فى حالة بيع الدار مع الأساس ، والشرب من السقاء ، ودخول الحمام ، فإن الفرق فى القيمة فى هذه المعاوضات زيادة أو نقصا عما اتجهت إليه إرادة

---

(٥) الشرح الكبير للدردير ـ جـ٣ ـ ص٥٣ .

(٦) المرجع والمكان السابقان ، وراجع : الفروق للقرافى جـ٢ ـ ص٢٧١ حيث يقول : « والقسم الثانى : قليل جائز إجماعا ، كأساس الدار وقطن الجبة » .

(٧) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص٧٦ ، وراجع أقوال الفقهاء فى الغرر : المبسوط ـ جـ١٢ ـ ص١٩٤ ، تبين الحقائق للزيلعى ـ جـ٤ ـ ص٤٥ ، فتح القدير ـ جـ٥ ـ ص١٩١ وما بعدها ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار ـ جـ٤ ـ ص١١١ ، وبداية المجتهد ـ جـ٢ ـ ص١٥١ ، ١٥٦ وما بعدها ، ومغنى المحتاج ـ جـ٢ ـ ص٣١ ، ٩٠ ، ٩٣ ، والمهذب للشيرازى
جـ١ ـ ص٢٦٣ ، والمجموع للنووى ـ جـ٩ ـ ص٢٨١ ، ٣٧٤ ، والمغنى لابن قدامة ـ جـ٤ ـ ص٥٦ ، ٩٢ ، وسبل السلام للصنعانى ـ جـ٣ ـ ص١٩ .

المتعاقدين فرق تافه يسير إذا ما قورن بقيمة العوض في تقديره[٨] .

ثانيا : أن يكون الغرر غير مقصود :

ويجب أن يكون متعلق الغرر اليسير غير مقصود ، بمعنى ألا يرد الغرر على أصل محل المعاوضة ، أى العوضين أو أحدهما ، ولا على أمر تابع للعوض يقصد منه المعاوضة عادة ، وإنما يجب أن ينصب على أمر تابع لمحل المعاوضة غير مقصود للمتعاقدين غالبا ، ومن ثم فإن الغرر فى بيع السمك فى الماء ، والطائر فى الهواء ليس غررا يسيرا ، لأنه يتسلط على محل المعاوضة نفسه ، أو هو غرر فى الوجود أو الحصول .

ومن أمثلة الغرر غير المقصود لذاته ، ما ذكره فقهاء المالكية استشهادا لقولهم من بيع الدار من غير معرفة أساسها ، والجبة من غير معرفة حشوها وغيرهما من الأمثلة التى ضربوها للغرر اليسير ، فالغرر فى تلك المعاوضات لا ينصب على أصل العوض بحيث يكون هذا العوض محتمل الوجود والعدم، أو الحصول وعدم الحصول ، ولا على أمر تابع يتصل بهذا المحل ويقصده المتعاقدان عادة ، وإنما يرد الغرر على أمر تابع لا يتجه إليه قصد المتعاقدين عند الدخول فى المعاوضة ، حيث يدخل فى العوض الأصلى تبعا لا قصدا[٩] .

أما الغرر فى عقد التأمين ، فإنه يتعلق بأصل العوض ، وهو المحل المعقود عليه فى عقد التأمين ، حيث يتعلق بوجود العوض وبقدره وأجله ، وهذه كلها أمور تتجه إليها الإرادة قصدا ، فالمستأمن ما بذل الأقساط إلا فى مقابل الحصول على مبلغ التأمين عند وقوع الخطر ، وحصوله عليه أمر احتمالى قد يكون وقد لا يكون ، وكذلك قدر الوفاء وأجله كل ذلك من الأمور التى تتجه إليها إرادة المتعاقدين قصدا[١٠] .

ثالثا : أن يكون ارتكاب الغرر ضروريا :

والأمثلة التى ضربها فقهاء المالكية للغرر اليسير تشير إلى أن ارتكاب الغرر فيها مما تفرضه ضرورة التعامل ، وهذا يعنى أن تكون هناك معاوضة مشروعة ، كالبيع والإجارة وغيرهما مما يحتاج الناس إليه ، ويكون منعهم منه كلية مما يمثل حرجا شديدا ، ومشقة زائدة[١١] ، ويكون هناك غرر

---

(٨) د. حسين حامد ـ السابق ـ ص٧٦ وما بعدها ، وراجع تكملة المجموع ـ جـ٩ ـ ص٢٤٦ ، ونظرية الغرر فى عقد البيع للدكتور رمضان حافظ عبد الرحمن ـ منشور بمجلة كلية الشريعة والقانون العدد الثالث ـ ص٤٢ ، وراجع : المنتقى جـ١ ـ ص٤١ ، حيث وضع ضابط للغرر الكثير واليسير يقول : إن الغرر اليسير هو الذى لا تنفك البيوع منه ، وفسره الشيخ الدسوقى بأنه ما من شأنه التسامح فيه ، راجع : الدسوقى على الشرح الكبير ـ جـ٣ ـ ص٥٢ ، وراجع : فى ضابط الغرر الفاحش ، واليسير ، الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ـ ص٥٩١ وما بعدها .

(٩) د. رمضان حافظ عبد الرحمن ـ السابق ـ ص٤٣ ، وراجع : الغرر وأثره فى العقود ـ ص٥٩٤ ، حيث يبين شرط أن يكون الغرر فى المعقود عليه أصالة ، أى ما كان فى المعقود عليه أصالة ،أما الغرر فى التابع ، أى فيما يكون تابعا للمقصود بالعقد ، فإنه لا يؤثر فى العقد ، ومن القواعد الفقهية المعروفة : يغتفر فى التوابع ما لا يغتفر فى غيرها ، وراجع : مجلة الأحكام العدلية مادة ٥٤ ـ .

(١٠) فى هذا المعنى : د. حسين حامد ـ ص٨١ .

(١١) راجع : الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ـ ص٥٩٩ ، حيث يقرر أنه : يشترط التأثير الغرر فى العقد ، ألا يكون الناس فى حاجة إلى ذلك العقد ، فإن كانت هناك حاجة إلى العقد لم يؤثر الغرر فيه ، لأن العقود كلها شرعت لحاجة الناس إليها ، ومن مبادىء الشريعة العامة المجمع عليها رفع الحرج قال ـ تعالى : ﴿ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ﴾ (سورة الحج ٧٨) .

يسير فى أمر تابع غير مقصود لا ينفصل عن المعارضة غالبا ، ولو اشترطنا نفيه فى صحة المعاوضة نكون قد منعنا الناس منها ، فيبيع الدار مع الجهل بأساسها ، والجبة واللحاف المحشو مع الجهل بالحشو ، فإن البيع معاوضة مشروعة بالأدلة لضرورة الناس إليها ، وهو فى الحالات السابقة لاينفك عن غرر جهالة الأساس و الحشو ، واشتراط منع الغرر ، هنا يستلزم منع البيع فى تلك الحالات ، وهو ضرر يجب منعه ، أو يكلف البائع بإخراج الحشو والحفر على أساس الدار وهذا أمر متعذر لما فيه من اتلاف المال[١٢] ، ولذلك يقول الشيخ الدردير : واغتفر غرر يسير للحاجة ، أى للضرورة[١٣] ، ولكن ما هى الحاجة التى يبرر وجودها مشروعية الغرر حيث سيكون معها يسيرا ؟

المراد بالحاجة :

والحاجة ، هى أن يصل المرء إلى حالة بحيث لو لم يتناول الممنوع يكون فى جهد ومشقة ولكنه لا يهلك[١٤] ، فالحاجة إلى عقد من العقود تكون فى حالة ما إذا لم يباشر المرء ذلك العقد ، كان فى مشقة وحرج لفوات مصلحة من المصالح المعتبرة شرعا ، فعقد السلم مثلا تدعو إليه الحاجة ، لأن المزارع قد لا يكون عنده المال الذى ينفقه فى إصلاح أرضه وتعهد زرعه إلى أن يدرك ، ولا يجد من يقرضه ، فهو فى حاجة إلى نوع من المعاملة يتمكن بها من الحصول على مايحتاج إليه من المال ، وإلا فاتت عليه مصلحة استثمار أرضه وكان فى حرج ومشقة ، فمن أجل هذا أبيح السلم[١٥] .

الحاجة والضرورة :

ويلاحظ أن السيوطى ذكر فى تعريف الحاجة عبارة : ولكنه لا يهلك ، والغرض من هذه الجملة ، التفرقة بين الحاجة والضرورة ، فحالة الضرورة كما يعرفها السيوطى أيضا : « هى أن يبلغ المرء حدا إن لم يتناول الممنوع هلك أو قارب[١٦] ، وليس المراد بمقارنة الهلاك الإشراف على الموت ، إنما يكفى لوصول المرء حالة الضرورة إن يخاف على نفسه الهلاك ولو ظنا » ، يقول الزرقانى : « حد الاضطرار أن يخاف على نفسه الهلاك علما أو ظنا ، ولا يشترط أن يصير إلى حال يشرف معها على الموت »[١٧] .

الفقهاء يستعملون كلمة الضرورة مكان الحاجة :

ويلاحظ أن كثيرا من الفقهاء فى حديثهم عن الغرر لا يفرقون بين الحاجة والضرورة فيستعملون كلمة الضرورة فى موضع الحاجة ، بل إن من

---

(١٢) د. السنهورى ـ مصادر الحق فى الفقه الإسلامى جـ٣ ـ ص٤٥ ، د. رمضان حافظ عبدالرحمن ـ السابق .

(١٣) الشرح الكبير مع حاشية الدسوق ـ جـ٣ ـ ص٥٢ .

(١٤) الأشباه والنظائر للسيوطى ـ ص٧٧ .

(١٥) الغرر وأثره فى العقود ـ السابق ٦٠٠ .

(١٦) الأشباه والنظائر ـ السابق ـ وراجع : د. محمد سلام مدكور ، نظرية الإباحة ـ ص٣٤٢ ، حيث يقرر أن الاضطرار هو أقوى أنواع الحاجة وأبرزها ، وراجع : أيضا : الإكراه بين الشريعة والقانون ، للدكتور محمد زكريا البرديسى ـ مجلة القانون والاقتصاد ـ العدد الأول ـ س ٣١ ، ص ١ ومابعدها .

(١٧) الزرقانى على الموطأ ـ جـ٣ ـ ص٩٥ ، وراجع : د. وهبة الزحيلى ـ نظرية الضرورة الشرعية ـ ص٢٤١ وما بعدها ، وفى معنى الضرورة ـ ص٦٤ وما بعدها .

الفقهاء من فسر الضرورة بمجرد الحرج والمشقة ، وهو معنى الحاجة ، يقول الدسوقى قوله : « للضرورة ، أى لما فى حَلِ العدل من الحرج والمشقة على البائع من تلويثه »[١٨] ، ومنهم من فسر الحاجة بالضرورة ، يقول الشيخ الدردير فى شرحه لمتن خليل : واغتفر غرر يسير للحاجة ، أى للضرورة[١٩] ، كما أن بعضهم يعلل جواز الغرر فى عقد من العقود للحاجة[٢٠] ، بينما يعلله آخرون بالضرورة ، مما يدل على أنهم يستعملون الكلمتين فى معنى واحد ، هو معنى الحاجة يقول الباجى : وإنما جواز الجعل فى العمل المجعول والغرر ، للضرورة الداعية إلى ذلك[٢١] ، ويقول السيوطى : « الحاجة إذا عمت كانت كالضرورة »[٢٢] ، ويستوى بعد ذلك أن تكون الحاجة عامة أو خاصة .

شروط الحاجة :

ويشترط لقيام الحاجة شروط :

أولها أن تكون متعينة :

ومعنى أن تكون الحاجة متعينة : أن تنسد جميع الطرق المشروعة للوصول إلى الغرض ، سوى ذلك العقد الذى فيه الغرر ، لأنه لو أمكن الوصول إلى الغرض عن طريق عقد آخر لا غرر فيه ، فإن الحاجة للعقد الذى فيه غرر ، لا تكون موجودة فى الواقع ، ولهذا لم تجز إجارة الغنم لشرب لبنها ، كما لم يجز بيع لبنها فى ضرعها لأن الحاجة غير متعينة ، إذ فى الإمكان شراء اللبن بعد أن يحلب ، بينما جازت إجارة الظئر بإتفاق الفقهاء ، لأن الإرضاع لا يكون إلا عن هذا الطريق ، فالحاجة إلى هذا العقد متعينة[٢٣] .

ثانيهما : أن تقدر الحاجة بقدرها :

كما أنه من القواعد الفقهية المعروفة : أن الحاجة تقدر بقدرها ، أى ما جاز للحاجة يقتصر فيه على ما يزيل الحاجة فقط ، وتطبيقا لذلك يقدر الحنفية : أن خيار التعين لا يكون إلا فى ثلاثة أشياء هى الجيد والوسط والردىء لأن الحاجة تندفع بالتحرى فيها ، وكذلك تأقيت خيار الشرط بمدة ثلاثة أيام[٢٤] .

يتبـــع

---

(١٨) حاشية الدسوقى على الشرح الكبير – جـ٣ – ص٢٤ ، والعدل ، والعديل : مثل المبيع وقدره مما يجمع فى إعداد متساوية من جنس البيع وربط ، راجع : مختار الصحاح – ص٥١ وما بعدها ، والقاموس المحيط – جـ٤ – ص١٣ وما بعدها .

(١٩) المرجع نفسه – ص٥٢ .

(٢٠) المجموع للنووى – جـ٩ ص٢٥٨ ، وابن تيمية : القواعد النورانية الفقهية – ص١١٨ ، ١٣٢ وما بعدها والمبسوط جـ١٣ – ص١٠ ، وبدائع الصنائع – جـ٥ – ص١٧٤ ، وحاشية ابن عابدين على الدر المختار جـ٥ – ص٣٣٩ .

(٢١) الباجى – جـ٥ – ص١١٠ ، والقرطبى – جـ٩ – ص٢٣٢ ، والأشباه والنظائر ، ص٧٩ ، والمغنى لابن قدامة جـ٥ ص٦٥٦ .

(٢٢) السيوطى – الأشباه والنظائر – المكان السابق .

(٢٣) الغرر وأثره فى العقود – السابق – ص٦٠٤ .

(٢٤) بدائع الصنائع – جـ٥ – ص١٧٤ وما بعدها ، وراجع : الغرر وأثره فى العقود – ص٦٠٦ وما بعدها .

فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون

استفتاءات القراء

تجيب عنها لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

يقدمها / فضيلة الشيخ : السيد العراقى شمس الدين

● السؤال من السيد / عبد الحميد فتحى - المطرية

أقسمت على أم خطيبتى وقلت لها : إن فعلتِ هذا العمل تكون بنتك محرمة علىَّ / فما الحكم ؟ علماً بأننى لم أعقد على خطيبتى حتى الآن .

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعدفيقول النبى ﷺ : من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت - الأربعين النووية ولا يجوز للخطيب أن يحلف على أم خطيبته بمثل هذا اليمين ؛ لأنه لا يستطيع أن يحرم ما أحله الله فلو فعلت أم الخطيبة العمل الذى أقسم عليه فإن عليه كفارة يمين وهى : إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ؛ فإن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ولا تحرم عليه مخطوبته ؛ بل العقد عليها لا شىء فيه والله - تعالى - أعلم .

● السؤال من السيد / مصطفى عبدالله - المطرية يقول فيه :

١ - ما حد السفر الذى يبدأ منه قصر الصلاة ؟

٢ - ما المسافة التى تقصر لها الصلاة ؟

٣ - وهل يجوز قصر الصلاة لمن تكون مهمتهم دوام السفر . وما الحكم ؟

الجــواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد .

فنفيد عن الأول بأن من المعلوم أن قصر الصلاة الرباعية فى السفر بأدائها ركعتين أمر مشروع سواء جعل ذلك رخصة لا يضر الأخذ بها أو عزيمة يجب الأخذ بها قال تعالى :

﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ

﴿ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ النساء : ١٠١

وقد أجمع العلماء على أن مريد السفر له أن يقصر إذا خرج عن جميع بيوت القرية التى يخرج منها واستدلوا على ذلك بأن الرسول ﷺ لم يقصر فى سفر من أسفاره إلا بعد خروجه من المدينة .

وعن الثانى : جاء فى فقه المذاهب الأربعة أن المسافة التى تقصر فيها الصلاة فى السفر هى ستة عشرة فرسخاً ذهاباً فقط والفرسخ ثلاثة أميال والميل ستة آلاف ذراع بذراع اليد وهذه المسافة تساوى ثمانين كيلو ونصف كيلو ومائة وأربعين متراً .

والمالكية قالوا : أنت نقصت المسافة عن القدر المبين بثمانية أميال وقصر الصلاة صحت صلاته ولا إعادة عليه .

وعن الثالث : السفر يكون مؤقتاً وقد يكون دائماً والسفر المؤقت يُرَخِّصُ فى القصر . أما مديم السفر الذى معه أهله وكل حاجاته فهو كالمقيم لا يحق له قصر الصلاة .

أما الذى يسافر كثيراً بحكم عمله وليس معه أهله فله قصر الصلاة والله ــ تعالى ــ أعلم .

● **السؤال مقدم من السيد / مصطفى كامل إمبابى ــ أسيوط ــ الوليدية .**

س ١ : بعض الناس يزعمون أنهم ينتسبون إلى أهل البيت وأن لهم شفاعة ، ولهم وضع خاص فى الدنيا والآخرة .

(وهم يفعلون بعض الطقوس والعبادات) التى لم أسمع عنها . فما صحة هذا الزعم ؟

س ٢ : بعض الناس يدعون أن لهم أخوة بالجن وأنهم تابعون لهم ويفعلون أفعالًا يهددون بها الناس فما مدى صحة هذا الكلام ؟ وهل هناك آيات تقى من السحر وأعماله وغير ذلك ، وخاصة أن الناس تقع ضحايا للدجالين والأفاقين وجزاكم الله خيراً ؟

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وبعد ، فرداً على رسالة الأخ مصطفى كامل امبابى من أسيوط الوليدية نجيب بالآتى :

لا أحد من المسلمين ينكر فضل أهل البيت والحرص على تكريمهم ومحبتهم قال ــ تعالى :

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ الشورى : ٢٣

وقال سبحانه :

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ الأحزاب : ٣٣

والمعروف أن أهل البيت على رأى كثير من العلماء والفقهاء قد انحصروا فى ذرية سيدنا على ابن أبى طالب من زوجته البتول السيدة فاطمة الزهراء بنت سيدنا رسول الله ﷺ من نسل سيدنا الحسن والحسين ــ رضى الله عنهما .

وقد وردت أحاديث نبوية شريفة متعددة توضح أن أهل البيت كغيرهم من المسلمين لم يخصهم الرسول ﷺ بشىء أو أى أمر من أمور الدين أو الشريعة غير ما فى كتاب الله ــ تعالى ــ وسنة رسوله ﷺ وكان بعض الناس يميل إلى القول بأن الرسول ﷺ قد استأثرهم ببعض أسرار الرسالة وبعلم لم يطلع عليه غيرهم فسألوا فى ذلك سيدنا على ــ كرم الله وجهه . هل عندكم شىء غير ما فى كتاب الله وسنة رسوله فقال : والذى خلق

الحبة وبرأ النسمة ليس عندنا شيء إلا كتاب الله وسنة رسوله ومافى هذا الجراب (غمد السيف) ففيه أحكام الديات والقصاص وهذا يقطع بأنهم كباقى المسلمين .

وإذا كان بعض الأدعياء يفعلون بعض الطقوس والعبادات ولم تسمع عنها من قبل خاصة وأنك لم توضح لنا ما يفعلونه ولم تبين لنا نوع هذه الطقوس والعبادات فبالتالى لا يمكن الحكم على هذه الأمور بالصحة أو الفساد لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره وكما قلنا سابقاً : إن الرسول ﷺ قد ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك كما نهى عن أن يتشبه المسلمون باليهود والنصارى فيما ذهبوا إليه من تقديس بعض أوليائهم وصلحائهم .

وعن الثانى نفيد :

فيما يتعلق بزعم بعض الناس أنهم مُخاوُون للجن تابعون لهم يأتون بأفعال يهددون بها الناس فما مدى صحة هذا الكلام ؟

الاستعانة بالجن والشياطين تحدث عنها القرآن الكريم فى مواضع منه قال ـ تعالى ـ فى سورة « الجن » :

﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ ﴾ سُورَةُ الجِنّ

وقال ـ تعالى ـ فى سورة الأنعام :

﴿ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ﴾
الأنعام ١٢٨

وقوله ـ تعالى ـ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾ الأنعام ١١٢

وقال ـ تعالى ـ :

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ﴾
البقرة ١٠٣

وقد ذهب بعض أهل العلم قديماً وحديثاً إلى إثبات تسخير الإنسان للجن ومصادقته باستخدام الرقى والعزائم والطلسمات .

وفى القرآن الكريم ما يقى الإنسان شرَّ أولئك الخلق وأعمالهم السفلية وسحرهم الأسود الذى يزعمه كثير من الدجالين والمشعوذين ، من ذلك : آية الكرسى بسورة البقرة ، والمعوذتان ، سورة الفلق وسورة الناس ، وغيرهما من آيات التحصين والاستعاذة بالله ـ عز وجل ـ والتوكل عليه ـ عز وجل ـ والله أعلم .

من أعلام الأزهر

الدكتور محمد يوسف موسى

بين دروس الفلسفة والتشريع الإسلامي

للأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومي

قام الدكتور محمد يوسف موسى بتدريس الفلسفة فى كلية أصول الدين بالقاهرة قرابة عشرين عاماً ، ثم انتقل إلى تدريس الفقه الإسلامى بكلية الحقوق بالقاهرة قرابة خمسة عشر عاماً ، فكانت مؤلفاته فى الفلسفة والتشريع على مستوى واحد من القوة والإبداع ، وهى مسألة تدعونا إلى السؤال المؤلم عن جماعة من أساتذة الجامعات اليوم ، لا يكادون يعرفون شيئاً فى غير تخصصهم الدقيق ، أو فى غير فرع من فروع هذا التخصص الذى كتبوا فيه رسائلهم الجامعية ، وقد يعتذر أستاذ الأدب عن تدريس الأدب الأندلسى ، لأنه كتب رسائله فى شأن من شئون الأدب العباسى ، هذه الظاهرة الملحوظة تحتاج إلى علاج حاسم ، وإذا جاز التخصص الدقيق فى العلوم التجريبية فلن يجوز فى كليات الثقافة الإسلامية ، إذ يجب أن يكون الأستاذ ملماً بنواحى هذه الثقافة على وجه عام ، يتيح له أن يشارك فى مسائلها ! وهذا ما نفتقده كل الافتقاد .

لقد تخرج الأستاذ محمد يوسف موسى فى الأزهر ، قبل أن تنشأ نظام الكليات ، فدرس علوم اللسان كما درس علوم الشريعة وعلوم العقيدة ، وكانت هذه الدراسة من أسباب تميزه فى أستاذيته ذات الشعب المتفرقة ، وقد أوتى مع سعة الاطلاع طموحا نادراً دفعه للسفر إلى أوروبا ، لينال أعلى الدرجات العلمية من (السوربون) ، لم يُسافر فى بعثة حكومية ترعاها الدولة ! ولكنه سعى إلى ذلك فلم يوفق ، فرأى أن يسافر على حسابه الخاص ، فقضى السنوات ذات العدد ذاهباً آيباً من الشرق إلى الغرب ، ولم يقنع بالدكتوراه التى يحملها الدكتور طه حسين ، والدكتور منصور فهمى والدكتور زكى مبارك وأمثالهم بل طمح إلى دكتوراه الدولة ، وهى أعلى الدرجات العلمية فى فرنسا ، ولم ينلها غير قلة قليلة من دكاترة مصر ، نالها الدكتور محمد يوسف موسى فى حفل مشهود تحدث عنه الأستاذ الدكتور أحمد الشرباصى فى مجلة الرسالة فقال(١) تحت عنوان (أزهرى فى السوربون) :

فى قاعة (يديشيلو) الكبرى بالسوربون نوقش فضيلة الأستاذ الشيخ محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة فى الأزهر الشريف لنيل درجة دكتوراه الدولة فى الفلسفة ، وقد تقدم إلى تلك المناقشة برسالتين : الأولى موضوعها :

(الدين والفلسفة فى رأى ابن رشد وفلاسفة العصر الوسيط) .

وموضوع الثانية (التوجيه الفلسفى أو ما بعد الطبيعة فى القرآن) وكانت لجنة المناقشة مكونة من خمسة من أساتذة (السوربون) ، و(الكوليج دى فرنس) كما هو المتبع دائما فى دكتوراه الدولة وقد رأس المناقشة البروفسور (ليفى بروفنسال) ، وشهد الامتحان : الدكتور طه حسين ، كما شهده أكثر من مائتى طالب مصرى .

وكان الأستاذ موسى موفقاً كل التوفيق فى عرضه لنظريات رسالتيه ودفاعه عن آرائه فيهما واستمرت المناقشة خمس ساعات كاملة ثم أعلنت اللجنة أن الأستاذ موسى قد نال درجة دكتوراه الدولة فى الفلسفة بدرجة «مشرف جداً» .

وقد دعت السوربون الدكتور موسى لإلقاء محاضرات عن فلسفة التشريع الإسلامى فى القرآن باللغة العربية .

لقد كتب الأستاذ رسالتيه الجامعيتين وهو يقوم بأعباء التدريس فى كليته الأزهرية ، وكانت المواد التى يُدرِّسُها تخص شعبة الأخلاق ، فهى بعيدة عن موضوع الرسالة ، ولكنه كان يستعد للموقفين : موقف التدريس ، وموقف تحرير الرسالة .

(١) مجلة الرسالة ـ العدد ـ ٧٨٨ ـ ٩/٨/١٩٤٨م .

فهو فى الموقف الأول يصدر الكتب الجامعية لطلابه كتاباً بعد كتاب ، ويكتب فى الصحف الأدبية عن موضوعات تمس مايقوم بتدريسه ، وأذكر أنه كتب سلسلة مقالات عن تطور المفهوم الأخلاق ونشأته فى النفس الأولى ، كان بعضها مثار حوار شديد بين الباحثين ، لأن الأستاذ جعل الدين عاملاً أصيلاً فى نشأة الخلق وتكوين الضمير الإنسانى ، ولم يقنع بذلك بعض من ألفوا أن يقرءوا كتب الاحتجاج الفرنسية ، وفيها مايدل على أن الخلق الإنسانى قد تكَّون بالتدريج منذ غادر الإنسان الأول كهوفه السحيقة ليُكوِّن مجموعة بشرية ، فقد اضطر بهذا الاجتماع إلى أن يرعى قوانين مجتمعه ويرى الاعتداء عليها مصدر خطر يهدده .

ومن هنا أخذت الأخلاق تتكوَّن تدريجيا بحسب تطور النشأة البشرية ! فقامت مناقشات متعددة بين الأستاذ ومعارضيه ، ولكنها كانت ذات مستوى خلقى نادر يبتعد عن الإسفاف ومحاولة التهجم فهى مناقشة خلقية فى الصميم .

أما موقفه من تحرير الرسالة الجامعية بعيداً عن الأستاذ المشرف بباريس طيلة العام الدراسى فقد جعل يراسل أساتذته ما استطاع ، ليسأل فيجاب ، وقد حالت الحرب العالمية الثانية دون انتظام الرسائل فآثر أن يتتلمذ على الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق فى جلسات أسبوعية حددها له الأستاذ الأكبر مشكوراً .

ومن طرائف مايذكره الأستاذ موسى بصدد هذه الدروس الرازقية ، أن بعض أساتذة الفلسفة بالجامعة المصرية كانوا يزورون الشيخ الأكبر فرأوا مجلسه مع تلميذه ، فقال الزائر متعاظماً : إنك لا تجيد غير الفرنسية ، ويستحيل عليك أن تأخذ درجة علمية من السوربون إذا لم تدرس اليونانية والانجليزية ، لتفهم الفلسفة على وجهها الأصيل ورأى الشيخ الأكبر قسوة الزائر ، فقال فى ابتسام : أنا ياأخى أستاذ الفلسفة الإسلامية بالجامعة المصرية لمدة خمسة عشر عاماً ، وما احتجت إلى هذه اللغات ! فسكت الزائر خجلا ! وكانت هذه الجلسة مصدر قوة دافعة للأستاذ إذ صمم على أن ينال أعلى الدرجات فى الفلسفة تلك التى لم ينلها الزائر المتغطرس وممن ؟ ... من أساتذة السوربون .

وفى مجال العظة والاعتبار أذكر أن الأستاذ محمد يوسف موسى قد شكا ـ فى بعض مقالاته بالرسالة ـ أنه وهو فى فرنسا كان يطلب زيارة الأساتذة الكبار فى هيئة التدريس الجامعى بمنازلهم الخاصة فيرحبون بزيارته ويعطونه ما يريد أن يستعيره من الكتب والمراجع ، وقد كان الدكتور طه حسين فى إحدى زياراته لباريس ويستطيع أن يمهد له الاتصال ببعض المكتبات الباريسية ذات التخصص الفلسفى فجعل يطلب مقابلته ملحفاً ، ولايجد غير الإعراض التام وهى كما يقول الأستاذ موسى : (موازنة أليمة ترجح بها كفة أساتذة الغرب على أساتذة مصر) وفى ذلك كله ما

يصور جهاد الرجل الشاق فى إعداد رسالته الجامعية لأن الطريق لم يكن مفروشا بالورود والأزاهير ، بل يحتاج إلى قوة أولى العزم ممن لا تتعاظمهم الصعاب !

قلت إن الرجل ألف عدة كتب فى تاريخ الأخلاق وتطورها وصلة المفكرين العرب بالفلسفة اليونانية وقد اضطره المنهج الجامعى إلى أن يختصر بعض الأبواب ، وهذا ما أخذه عليه ـ فى أدب جمّ ـ أستاذنا الكبير العلامة محمد فريد وجدى حين تحدث عن بعض مؤلفاته فقال عن كتاب (تاريخ الأخلاق)(٢) :

«تتبع المؤلف تاريخ الأخلاق عند الأمم الشرقية القديمة ، وعند اليونانيين فى أدوارهم الثلاثة وفى القرون الوسطى وفى هذا الدور تحدث عن فلاسفة المسلمين ، ثم أتى على تاريخ الأخلاق فى العصر الحديث ، وعند الفلاسفة الذى يؤسسونها على علم الحياة ، أو على علم الاجتماع ، فجاء الكتاب على هذا النحو حافلاً بالمذاهب المختلفة للأخلاق بقلم عالم أزهرى يعرف اللغة الفرنسية ويتكلم بها ، ويستمد الآراء المتباينة من منابعها ، وهو فى نظرنا كتاب قيم يجب أن يعتمد عليه الذين يشتغلون بتهذيب الأخلاق ، ومما أعجبنا من مؤلفه أنه لم يدع لناقده سبيلًا حين قال فى مقدمته : (وقد أعلم قبل أن أخط كلمة فى هذه المحاولة . أن تاريخ الأخلاق ليس جمعا لأقوال أساتذة الأخلاق فى هذا الموضوع أو ذاك ، بل هو ما يعين القارىء على تتبع التطور لمسائل العلم المختلفة أعلم هذا كله ولكن الحاح الأيام والحاجة إلى شق الطريق جعلانى لا أفى بكل مانويت وقدرت ؛ والكمال لايكون الا بتعاون الجهود) .

ويقول الأستاذ وجدى تعقيباً على ذلك : لولا هذا لقلت كلمة فى نقد هذا الكتاب ، وهو إغفاله أكبر تطور حدث فى علم النفس وغيره» .

إننى أسجل هذه العبارات لأبين للقارىء كيف تكون شجاعة المؤلف حين يعترف أنه لم يبلغ كلّ ما يريد لأن إلحاح الأيام شديد لم يستطع معه أن يفى بما نواه ! كما يبين أدب الناقد حين يقول : إن هذا الاعتراف قد منعه أن يستطرد إلى ذكر مايراه ضرورياً فى تأليف مثل هذه الكتاب ! ... وشجاعة المؤلف وأدب الناقد مما يفرض علينا أن ننوه بهما فى مجال الأسوة والاحتذاء .

وليست هذه فريدة فى مناقشات الأستاذ وجدى للدكتور محمد يوسف موسى ، إذ كان يخصه وهو رئيس تحرير مجلة الأزهر بتعقيبات يراها ضرورية فى إيضاح وجهتى النظر المختلفتين فقد نشر الدكتور بحثاً تحت عنوان (بين رجال الدين والفلسفة) ذهب فيه إلى محاربة رجال الدين للفلسفة اليونانية بلا هوادة ، وكان المنطق يقضى تقبل هذه الفلسفة ولكنهم رفضوها جملة وتفصيلاً ورأوا فى رجالها وأشياعها أعداء للدين يجب الحذر منهم والتنكيل بهم ماوجدوا إلى ذلك سبيلاً»(٣) وقد تعقبه الأستاذ وجدى(٤) مقرراً أن المسلمين لم يجافوا الفلسفة اليونانية سذاجة وبلاهة

(٢) مجلة الأزهر : ربيع الأول سنة ١٣٦٣هـ ص ١٧٣

(٣) المصدر نفسه .

(٣) مجلة الأزهر جمادى الآخرة سنة ١٣٦٠ هـ

منهم ، ولكن لأن لديهم فلسفة ... تبتدىء من قواعد الآداب العادية . وموجباتها الحيوية ، لى الحالات العالية للنفس الإنسانية وبواعثها من العوامل الروحية ، ومن أوليات الأصول الاجتماعية ، إلى نهايات الوحدة الإنسانية ، بل العالمية ، ومن بسائط الأسس الإدارية إلى أعلى المبادىء الحكومية والدستورية .

وأفاض الأستاذ وجدى فى التدليل على ذلك بنصوص من كتاب الله ، وقد تلا الرد رد وتعقيب ؛ ولكن الذى نأخذه من ذلك كله هو حيوية النقاش واتجاهه إلى الأمور الفكرية بعيداً عن منازع الاستعلاء والتهجم ونحن مع الأستاذ وجدى فى أن للإسلام فلسفة مستقلة لاسبيل إلى إنكارها ... ولكن الدكتور موسى جارى المصطلح التاريخى المعروف الذى يجعل من كلام الكندى والفارابى وابن سينا ومن لف لفهم محوراً للفلسفة الإسلامية ومن السهل على ناقد أن يقول إن هؤلا قد نقلوا كلامهم عن أرسطو وأفلاطون وفلاسفة اليونان وقصارى أمرهم أن يكونوا شراحاً أو معقبين وإذن فلا فلسفة فى الإسلام بهذا الاعتبار وقد كتبت بحوث حديثه توضح مزايا الفلسفة الإسلامية مستقلة عن آراء اليونان وناهضة على النصوص الدينية ذات الطابع الصريح وبذلك انحسم الخلاف .

ولم يقصر الأستاذ فى هذه الفترة نشاطه على البحث العلمى أستاذاً بكلية أصول الدين ، وطالباً بالدراسات العليا بالسوربون ، بل جعل همه الإدلاء برأيه فى كل مشكلة إصلاحية تتنازع فيها الآراء ، فقد تحدث كثيراً فى مقالات بالرسالة والأهرام ومجلة الأزهر عن الإصلاح الأزهرى وضرورة الأخذ بالنظام الجامعى فى كليات الأزهر ، إذ لامعنى لأن يرسل الأزهر بعثات علمية للخارج يُكتب لأصحابها النجاح والتوفيق ، ثم يعودوا إلى جامعتهم الرءوم فلا يستطيعوا أن يفيدوا مما تعلموه لأن المناهج تقف أمامهم ! لقد كانت الكتب المقررة فى أكثر الكليات من كتب التراث وحده ووظيفة الأستاذ أن يقرأ النص ويشرحه للطلاب ، وقد يعترض على النص بما جاء فى حاشيته تعقبته من قبل ، وهذا يهدم الروح الجامعى الذى يجعل الموضوع هو أساس الدرس ويحتم أن تكون له عدة مراجع لامرجع واحد كما لايمنع أن يؤلف الأستاذ الجامعى كتاباً يضمن أحدث ما انتهى اليه العلم فى مادته ! لأن الكتاب المقرر حينئذ يقف عائقاً دون ذلك ! هذا ما انتقده الأستاذ محمد يوسف موسى مكرراً ومبدئاً ومعيداً ، وقد كنا نقرأ كلماته ونحن طلاب بالأزهر فنؤيدها تمام التأييد ثم كبرنا وصرنا أساتذة فى جامعة الأزهر بعد تطويرها فماذا وجدنا ؟ وجدنا أنفسنا نترحم على عهد التراث لأن المدرسين ــ فى أكثرهم ــ قد اكتفوا بطبع مذكرات ميّسرة ، وليس لدى الكثير منهم كفاءة تجعله مؤلفاً ممتازاً . فاكتفى بالنقل عن سواه ورصد همه فى توزيع الكتاب وهو على علاتية لايقدم شيئاً ذا بال مما جعلنا نضرب كفا بكف ونتذكر قول القائل .

ربّ يوم بكـــيت منـــه فلمـــا صرت فى غيره بكـــيت عليـــه !

وأعود فأكرر أننى أتحدث عن الطابع العام . ولا أنكر امتياز فريق جاء بالإتقان المبتكر والتحليل الدقيق ..

وإذا كان علم الكلام مما يتصل بأساليب المنطق الأرسطى بسبب واضح فى معالجة قضاياه فإن الدكتور محمد يوسف موسى كان أحد الأصوات الجهيرة التى انتقدت تدريس هذا العلم ، بوضعه المنتقل عبر العصور البعيدة فقد قال ــ صريحاً[٤] ــ إن كتب (علم الكلام) التى يشقى بدراساتها طلاب الأزهر . والذين ينفقون فى فك غامضها قدراً كبيراً من طاقاتهم العقلية ، إنما تتعرض لمن أصبحنا لانحس لهم وجوداً من أرباب المقالات المخالفة للدين الحق ، وعقائده الصحيحة ، ومن العجب أن نعكف على مناقشة قوم لانكاد نحس لهم ركزاً ، وأن نترك أمثال : القاديانية والبهائية وأزيد فأقول : الوجودية والماركسية والمادية والعلمانية لهم من النشاط الدينى والدعاية لمذاهبهم ما هو معروف فى العالم جميعه إن على علماء الكلام أو التوحيد أن يطولوا الإلحاد الذى استشرى من جانب من المثقفين ثقافة علمية عالية ، ممن يرون أن تفسير الوجود ممكن دون اللجوء إلى فرض وجود الله ، وإذا سألتهم عن الشبهات التى تحول بينهم وبين الوصول إلى اليقين بوجود الله مستعينا بكل ما عرفت من كتب علم الكلام لم تصل منهم إلى ما تريد ثم نقل الأستاذ محمد موسى قول العلامة الشيخ حسين والى فى كتابه (التوحيد) .

« إن هذا العلم نشأ فى زمن كانت الحاجة فيه ماسة إلى الرد على خصوم الإسلام من الدهريين والزنادقة والملاحدة ، أما الآن وقد ذهب هؤلاء الخصوم وجاء خصوم آخرون فلا يليق فرض الذاهب حاضراً وترك الحاضر الذى لايرده كتاب الله إذا بينه الرَّاد على وجهه وليس من الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومين وترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك » .

وكثير من الكتب التى نشرها المستشرقون فى هذا القرن تتجه إلى إحياء هذه الخصومات بنشر أقوال أهل الطوائف المتنازعة من الذين يحسنون الاعتراض ولايحسنون الجواب ، بل بنشر كتب المجاهرين بكفرهم الصريح كابن الراوندى ومن على شاكلته وهم يريدون إحياء هذه الشبهات القديمة لتضاف إلى ما جد من شبهات فى هذا العصر الحديث ! هؤلاء هم أعداء الإسلام ممن يتشحون برداء العلم فما بالنا لانلتفت إلى ما يريدون إذاعته من ترهات ! فنساعد نحن على إحيائها لتشغل الطلاب وتصدهم عن الصراط القويم .

(٤) مجلة الأزهر ــ المجلد الحادى والعشرين ص ١٣١ .

وقد دعا اتحاد طلاب معهد التربية العالى بالاسكندرية وقد كنت حينئذ أحد هؤلاء الطلاب الأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى أستاذ الفلسفة بجامعة الأزهر لإلقاء محاضرة علمية من محاضرات الموسم الثقافى للمعهد سنة ١٩٥٠م فلبى الدعوة مرتاحا وألقى علينا محاضرة رنانة تحت عنوان (لنكن قوة تفعل لامادة تنفعل)[٥] بدأها معترفا بأن التأثر بالقوى نافع مفيد ، إذا حسن استغلاله ولكننا اليوم نتأثر مبهورين بكل وافد ، والتأثر المفرط يضيع استقلال الفرد والجماعة ويذهب باستقلال الفكر وأصالة الرأى ذلك بأن من يتطلع دائما إلى غيره يسأله ماذا يرى وماذا يعمل ؟ يجعل من نفسه مادة يصورها ذلك الآخر وفق مايريد ويجعل نفسه بمرتبة البهيمة يقودها الحدث حيث شاء والذين يفعلون ذلك يجعلون من أجسامهم مقابر لنفوسهم التى أماتتها التربية السيئة بدل أن تكون هياكل لنفوس إنسانية لها حريتها واستقلالها فى هذا واضحة والجناية اثم ختم المحاضرة بقوله :

إن عامة الغربيين يرون فينا معشر الشرقيين جماعات لم يعد لها كيان مستقل ولاشخصية خاصة مادمنا نرى فى الغرب مثلنا الأعلى هؤلاء هم العامة ، أما الخاصة فيرون أن اتباع الشرق للغرب اتباع ظاهرى لأن للشرق روحه الخاصة التى لاتلبث أن تظهر من جديد ناصعة قوية يفيد منها الشرق والغرب معا ، بعد أن صار الغرب وقد أنهكت قواه الحضارة المادية بحاجة إلى بعث جديد يقوم على روح جديدة ، يتلمسها لدى الشرق والإسلام» .

وهكذا كان الدكتور محمد موسى فى المعهد العالى للتربية مربياً ممتازاً ، فقد بين العلة الموجعة التى جعلت الشرق يستسلم مبهوراً للغرب ولم يشأ أن يترك السامعين فى يأس من واقعهم الأليم ، فختم محاضراته بتفاؤل كبير حول مستقبل الشرق ، إذ أكد أن الخاصة من مفكرى أوروبا أخذوا بعد الحرب المهلكة ينقدون حضارتهم الزائفة التى قذفت بهم إلى هذه الأهوال وجعلوا يتطلعون الى الشرق من جديد ، وهو مشرق الديانات الصحيحة ، وحامل رسالات السماء !

---

(٥) نشرت المحاضرة بمجلة الرسالة العددان ٨٨٠ ، ٨٨١ سنة ١٩٥٠م .

طرائف ومواقف

للأستاذ/عبد الحفيظ محمد عبد الحليم

وكان المريض بخيلا

حكى الهيثم بن عدى ، قال : ماشيت الإمام أبا حنيفة ـ رضى الله عنه ـ فى نفر من أصحابه إلى عيادة مريض من أهل الكوفة ، وكان المريض «بخيلا» وتوصينا على أن نعرِّض بالغداء ؟ فلما دخلنا وقضينا حق العيادة ، قال : أحدنا « آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا » قال : فتمطى المريض ، وقال : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » .

فقال أبو حنيفة لأصحابه ، قوموا فمالكم هنا من فرج .

أخى

إذا جادت الدنيا عليك ، فجد بها
على الناس واعلم أنها تتقــلب
فلا الجود يفنيها إذا هى أقبلت
ولا البخل يبقيها إذا هى تذهب

إن فى العلل نعما

قال بعضهم : إن فى العلل نعما لا ينبغى للعقلاء أن يجهلوها ، منها :

تمحيص الذنوب ، وثواب الصبر ، والإيقاظ من الغفلة ، والإذكار بالنعمة فى حال الصحة ، والاستدعاء للتوبة ، والحض على الصدقة ، والرضا بقضاء الله وقدره .

أعط سيبويه كسرة

وقف بعض الفقراء على باب نحوى فقرعه ، فقال النحوى : من بالباب ؟

فقال : سائل .

فقال : ينصرف .

فقال : اسمى « أحمد » .

فقال النحوى لغلامه : أعط سيبويه كسرة .

رأيتك فى المنام

جاء رجل إلى الشيخ عزالدين عبدالعزيز بن عبدالسلام الشافعى ؛ سلطان العلماء ، فقال : رأيتك فى المنام تنشد :

وكنت كذى رجلين رجل صحيحة
ورجل رمى فيها الزمان فشلّت

قال :فسكت ، ثم قال : أعيش ثلاثا وثمانين سنة ؛ فإن هذا الشعر لـ «كثير عزة» وقد نظرت فلم أجد بينى وبينه نسبة ، فإنى سنى وهو شيعى ، وأنا طويل وهو قصير ، وهو شاعر ولست بشاعر ، وأنا سُلمى وهو خزاعى ، وأنا شامى وهو حجازى ؛ فلم يبق إلا السن فأعيش مثله ، فكان كذلك .

« دعاء أعرابية »

دعت أعرابية على رجل ، فقالت : أمكن الله منك عدوا حسودا ، وفجع بك صديقاً ودودا ، وسلط عليك هما يُضْنِيكَ ، وجاراً يؤذيك .

أنت بالخيار !!

سأل أعرابى رجلا فحرمه . (أى لم يعطه) .
فقال له أخوه : نزلت والله بواد غير ممطور ؛ وبرجل غير مسرور فارتحل بندم ، أو أقم بعدم .

نصيحة لناصح

نغمدنى بنصحك بانفرادى
وجنبنى النصيحة فى الجماعة
فإن النصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه

بيوت الشعر

قيل : إن بيوت الشعر أربعة : فخر ومديح وهجاء ونسيب ؛ وكان جرير أفحل شعراء الإسلام فى الأربعة .

فالفخر قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

والمديح قوله :

ألستم خير من ركب المطايا
وأندى العالمين بطون راح

والهجاء قوله :

فغض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

والنسيب قوله :

إن العيون التى فى طرفها حور
قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
وهن أضعف خلق الله إنسانا

دعاء

اللهم عافنى فى بدنى .
اللهم عافنى فى سمعى .
اللهم عافنى فى بصرى .
اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر .
اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر .
لا إله إلا أنت .

من روائع الماضي بمجلة الأزهر

دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الاتحاد

للأستاذ / إبراهيم الجبالى

اعداد وتقديم : أ / عبد الفتاح حسين الزيات

على مدار التاريخ ، لم نقرأ أو نسمع أن الفرقة تؤدى إلى الغلبة أو النصر ، وإنما كانت الوحدة دائما هى العزة والمنعة ، والواقع يؤيد ذلك دائما .

لقد جاء الإسلام سلما وسلاما ، هذا صحيح ، ولكنه لم يترك المسائل رهنا لظروفها ، وإنما وضع لها الأسس والضوابط ، خصوصا مايتصل فيها بمصائر الأمم والشعوب ، فشدد على الاتحاد مؤكدا على أن حياة الأمم تتوقف عليه ، ومصيرها معلق بالأخذ به ، وندد بالشقاق والفرقة والفردية باعتبارها عوامل قاتلة لحياة الشعوب ، وزاد هذا الأمر تأكيداً : قرآنا وسنة ، ويكفى أن تنظر فى العبادات بأنواعها ، لتأخذ صورة صادقة لمعنى الاتحاد .

وليس لمعترض أن يقول : فما بال المسلمين متفرقين شيعا وأحزابا تضرب فيهم معامل الهدم من كل اتجاه ـــ إلا قليلا منهم ـــ؟ والجواب : أن مرجع هذا ضعف النفوس ، واتباع الأهواء ، والانشغال بالفردية ، العدو اللدود للاتحاد الذى جاء به الإسلام .

قال الأستاذ ــ رحمه الله :

دعوته صلى الله عليه وسلم إلى الاتحاد

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(١)

الدعوة إلى الاتحاد شعار كل مصلح ، ومقصد كل ناصح ، وغاية كل واعظ ومرشد ، وقلما تجد امرءا يدعو إلى الفضيلة ، بل قلما تجد من يدعو إلى سلوك خطة ، وانتهاج شرعة ، مهما قام فى وجهه مخالف وعانده معاند ، إلا وهو يدعو إلى الاتحاد . غير أن الدعاة المختلفين إذا سئلوا : علام يتحد الناس ؟ فسر كل منهم الاتحاد الذى يدعو إليه بالاندماج فى خطتة والإذعان لرأيه وانتهاج منهجه ، ويقابله معاندوه بمثل دعوته ، ويفسرون الاتحاد فى رأيهم بالإقبال على ما هم عليه وترك ما عداه ، فتراهم دائما فى أمر مريج ، وترى دعوتهم غالباً تذهب أدراج الرياح ، وتراهم قد اتحدوا فى أن لا يتحدوا . ذاك أن كلا منهم حين يدعو إلى الاتحاد لم يترك أنانيته ، ولم يقصد بالاتحاد أكثر من أن يندمج رأى غيره فى رأيه ، ويترك كل امرىء ماعنده إلى ما عند ذلك الداعى ، وأنى له ذلك وعند كل منهم من الاعتداد بنفسه والحرص على تقديس رأيه ما عند صاحبه سواء بسواء ؟

فهل كانت دعوته ﷺ إلى الاتحاد على هذا الوجه الذى تكرر له الفشل وحق له أن يفشل ؟؟

لا .. لا ، ما كان مسلكه ﷺ هذا المسلك ، ولا نحا هذا المنحى ، ولكنه سلك مسلكا ممهدا ، وانتهج طريقاً معبدا ، أوضحه بالبينات والهدى ، ودعا الجميع إلى السير فيه عن بينة وبصيرة ، وبرهن عليه بالبرهان الساطع والحجة الدامغة ، فإذا السالكون فيه قد اتحدوا من تلقاء أنفسهم ، وإذا هم قلب واحد ، واتجاه واحد ، ووجدان واحد ، وإذا هم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر ، وإذا هم كالبنيان يشد بعضه بعضا .

هاك شريعته التى أوحاها إليه ربه ، وأمره أن يبلغها لكافة الخلائق ، فانظر إليها فى أصل عقيدتها وفروع عباداتها وأنواع معاملاتها ومظاهر أخلاقها ، انظر إلى كل قسم من ذلك على حدة ثم استوضحها جملة واحدة ، وانظر إليها متناسقة وبعد ذلك احكم عليها بما تراه من حكم عادل فى جملتها وتفصيلها .

تأمل فى خطابه للمعاندين المعتزين بما أوتوا من كتاب أنزل عليهم ، فهم لا ينفكون يدعون إليه لا لشىء سوى أن فى يدهم كتابا ، فلا تسمح نفوسهم بأن يتركوه إلى غيره مهما وضح الحق وقامت الحجة ، انظر إلى خطابه لهم تجده يقول فيما أوحى إليه ربه وأمره به :

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾(٢)

---

(١) آل عمران آية ١٠٣

(٢) سورة آل عمران آية ٦٤

ثم يقـــول عقبها :

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾
سُورَةُ آلِ عِمْرَان

فماذا ترى فى هذا ؟ تراه وقد اطرح الأنانية ، واطرح استمساك كل واحد بما عنده لمجرد أنه عنده ، وقال :

﴿ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾
(ســـورة آل عمران)

لأعلى وجه أنكم خضعتم لنا أو أنا خضعنا لكم ، وإنما على أنا جميعاً خضعنا لإله واحد لا نعبد إلا إياه ولا نشرك به شيئاً ، فنمتثل الأمر لأنه أمره لا لأنه أمر بعضنا بعضاً ، فإذا كان هذا الأمر قد علمتمـوه عن طريقنـا فلأنـه قد أمرنـا أن نبلغكموه ، وأيدنا وصدقنا فى دعوانا بما شاهدتموه من آيات بينة وحجة قاطعة لا تجد نفوسكم إلى الطعن فيها سبيلا ، ولا يجد الشك معها إلى النفوس المفكرة مسلكا ، فماذا يحول بينكم وبين أمر ربكم ؟ تعالوا ؛ أطيعوا الرسول لا لأنه هو فلان بن فلان ، وإنما لأنه رسول الله ، ومن أطاع الرسول فقد أطاع الله . وعلى هذا تجد الأنانية التى من شأنها أن تحول بين المرء وبين الإذعان للدعوة والاستجابة لها قد زالت وقضى عليها .

وينخرط فى هذا السلك ما تقرأ فى قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ .

(ســـورة البقرة)

ماذا تفهم منها بعد التأمل الصحيح والتفكر الصادق ؟ إنك حين تتأمل فيها وتفهمها حق فهمها تجدها تناديك باطراح الأنانية وإظهار أن المسألة ليست مسألـة : نحن ، وأنتم ، وهـم ، وأمثال ذلك مما يستمسك فيه كل فريق بما عنده ، حتى يقال عنهم : كل حزب بما لديهم فرحون ، وإنما الأمر أمر القانون العام والمحجة الواضحة التى يجب أن تكون الحكم الفاصل بين الجميع ، وهو أن من صدق عليه أنه آمن بالله حق الإيمان ، وآمن بيوم الجزاء حيث لا يفيد المرء إلا ما عمل ، وقام بالعمل الصالح حق القيام ، فهو الذى لاخوف عليه ولا حزن يلحقه ، فأينا يتحقق فيـه هذا الوصف فهو صاحب هذا الحكم حتما ، هل تجد من ينفر من حكم هذه القضية الصادقة العادلة ؟ كلا .. إذن فتعالوا نعرض إيماننا بالله وإيمانكم الذى تزعمون ، على محك النظر الصحيح . إنا نجد أنفسنا قد أسلمنا أمرنا لله ورضينـا بكـل ماحكـم الله ، وامتثلنـا كل ما أمرنـا به الله ، ولكنكم أنتم اتخذتم إلهكم أهواءكم ، وقلتم :

﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ﴾ .

(ســـورة المـائدة) ﴿٤١﴾

وآمنتم ببعض وكفرتم ببعض، إذن ليس الممتثل عندكم هو أمر الله ، وليس إيمانكم هو الإيمان بالله ، وإلا لاطرد الامتثال فى كل ماقامت الحجة عليه أنه أمر من الله ، وإذن فأنتم لم تؤمنوا حق

الإيمان باليوم الآخر ، وإلا لحذرتم خطر الجزاء العدل لمن خالف أمر ربه مالك يوم الدين ، وإذن فلم يكن القصد فى عملكم الى الصالحات ، ولا صالح إلا ما رضيه لكم ربكم وأمر به المهيمن عليكم ، وإنما أنتم تجيبون داعى أهوائكم وتقومون بما مالت إليه نفوسكم .

هذا نموذج واضح جد الوضوح فى بيان كيفية الدعوة إلى الله ، وأنها كانت تظهر على وجه اطراح الأنانية ، وأنها إنما كانت توجه إلى الحق من حيث هو الحق بقطع النظر عمن قام به ودعا إليه ، وهى أشبه شيء بقولهم : انظر إلى ما يقال لا إلى من قال . وهل بعد هذا منهج يرفع الخلاف وأسبابه ، ويمكن للاتحاد فى النفوس فضل تمكين ؟

تعال وانظر معى بعد ذلك فى فروع العبادات ، تجدها قد بنيت على ما يثبت روح الاتحاد فى القلوب ويمكنها من النفوس ، وها نحن أولاء نجلوها عليك فى أركان الإسلام الخمسة :

١ ــ شهادة أن لا إله إلا الله :

ماذا تقول فى قوم جزموا جزم اليقين ، وعلموا علم الشهود أن إلههم جميعاً واحد لا يعبدون إلا إياه ، فهم يشعرون جميعاً بأنهم خاضعون أمام عظمة واحدة هى مصدر وجودهم ، ومنشأ ما هم فيه من نعم جلت أو دقت ؟ إنها أكبر داع إلى توحيد قلوبهم ، وتوحيد اتجاههم ، وتوحيد غايتهم ، وهى الفوز بالزلفى إليه واكتساب مرضاته .

٢ ــ إقام الصلاة :

ماذا تشهد فى جموع متصافة متراصة كالبنيان تنطق بلسان واحد « الله أكبر » ، وتقوم فى وقت واحد بتحميده وتمجيده ،وتوجه إليه خالص العبادة ، وتسأله كلها فى آن واحد أن يمنحها معونته ، ويهديها إليه الصراط المستقيم ، فإذا ركعت خضوعاً لعظمته كانت جميعاً فى خضوعها ، وإذا استكانت أمام علو مجده كانت جميعاً فى استكانتها وذلتها ، وإذا وقفت قانتة لربها لمطيعة لأمره كانت كلها معا خاشعة قانتة ، ثم هى تتجه إلى جهة واحدة أمرها ربها أن تتجه إليها ، أليس الاشتراك فى هذا كله مدعاة إلى اتحاد الاتجاه ، واتحاد الأعمال والأقوال ، وبالتالى يثمر اتحاد القلوب ؟

٣ ــ إيتاء الزكاة :

ماذا تراه فى قوم تعاطفوا وتراحموا ، وشارك فقيرهم غنيهم فيما أنعم الله عليه به من رزق فأخذه من يده حلالاً طيبا : هذا يؤدى أمانة ائتمنه الله عليها ، وهى حق الفقير فى ماله ، طيبة بها نفسه ؛ وهذا يتسلم وديعة من الوديع عن طيب خاطر ، فيتفاصلان وكل منهما قد امتلأ قلبه محبة نحو أخيه : هذا بما استفاد من رزق ، وهذا بما كسب من أجر ، وكلاهما بما ساد بينهما من عطف ، أليس فى هذا أكبر داع إلى اتحاد القلوب ؟

٤ ــ صيام رمضان :

بخ بخ ! تصور يا رعاك الله قوما قد دعوا إلى توحيد أذواقهم ووجداناتهم الخصوصية : فكلفوا

أن يكفوا عن مشتهياتهم فى وقت واحد ، وأن يتناولوها فى وقت واحد ، كم يكون بينهم من الشعور باتحاد الوجدان واتحاد الميول والاتحاد فى المنح والحرمان ؟ إن من جرب حالة قوم جمعتهم ظروف خاصة قاسوا فيها معا مرارة ما فى الحياة وأفرج عنهم دفعة واحدة فنعموا معا فى وقت واحد ، يجد أنهم اعتبروا هذا الاشتراك جامعا بينهم لا يزالون يذكرونه طول حياتهم ولو صادفهم فى العمر مرة ، فكيف وهذا يتكرر على المسلمين فى كل عام مرة بل فى كل عام ثلاثين مرة ؟ إن قليلا من الانتباه يجلو لك هذا المعنى بمنتهى الوضوح إذا كنت من المنصفين .

٥ ــ حج البيت من استطاع إليه سبيلا :

ناهيك بهذا المؤتمر العام يعقده المسلمون فى كل عام ليشهدوا منافع لهم ، وليطوفوا بالبيت الحرام ، هل يخفى عليك ما فيه من توكيد الربط بينهم والوئام ؟ سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك ، والحمد لله الذى أنعم علينا بنعمة الإيمان والإسلام !

أما إذا نظرت إلى قسم المعاملات بين الناس فيكفيك منه اجتلاء ناحية عامة فيه ، هى أنه بنى على العدل ، ودعى فيه إلى الفضل ، وأى اتحاد ينبت من بين إقامة العدل وزيادة الفضل ؟

ارجع بنفسك أنت إلى أثر هذين المبدأين الجليلين فستعرف أنت بنفسك أكثر وأكثر مما نستطيع أن نسطره لك فى هذه الكلمة الوجيزة .

ولا يقتصر هذا على قسمة المعاملات المدنية ، بل تجده ساريا فى باب روابط الأسرة والحياة المنزلية ، انظر إلى أحكام الزوجين وما دعوا إليه ، واتل إن شئت قوله تعالى :

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ (٣)

ثم التفت إلى باب نفقات الأقارب وما تضمنه من مغزى ربط القلوب وتحبيب أفراد الأسرة بعضهم لبعض ، وتحبيب كل منهم أن يكون الباق فى نعمة ويسار ، إما ليكفى مؤنته أو ليستفيد معونته ، بل انظر إلى أحكام الجنايات والمقاصات تجد العدل فى قوله تعالى :

﴿ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ﴾ سورة البقرة (١٩٤)

وفى قوله تعالى :

﴿ فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴾ (٤)

وتجد الفضل يتجلى فى قوله تعالى :

﴿ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
(ســـورة البقرة)

(٣) البقرة آية ٢٢٨

(٤) الاسراء آية ٣٣

وتجدهما قد تجليا معا على وجه يأخذ بالألباب في قوله جل شأنه :

﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ ﴾ .

سورة النحل

هذا قليل من كثير من دواعى الاتحاد فى المعاملات ، وكلما تأملت فى باب منها وجدت ما يملأ قلبك اقتناعا ، ونفسك هدى ونورا . والأساس فيه كما قلنا تقرير العدل والترغيب فى الفضل ، ولايكون الفضل فضلا مثمراً إلا إذا نشأ عن رغبة واختيار .

فإذا أنت رجعت إلى الأخلاق التى بعث ﷺ لتتميمها فكم يتجلى لك هذا واضحاً جلياً . اقرأ إن شئت قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ سورة الحجرات

ومتى تعارفوا : تآلفوا ، واقرأ ما يحفها من آيات فى سورة الحجرات .

وليتك تراجع ما نشرناه على صفحات هذه المجلة من تفسير هذه السورة الكريمة ، واستعرض ماشئت من مثل حديث « **لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** » وحديث « **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** » وحديث « **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه .. الخ** » وحديث « **لا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا** » إلى غير ذلك مما لايكاد يأتى عليه الحصر فى مثل الكلمة .

نعم : لقد جاءت الدعوة إلى الاتحاد ، وقررت عوامل تنميته فى النفوس مستفيضة متفشية فى كل أبواب الشريعة الغراء ، وليس لمعترض أن يقول : فما بالنا نرى المسلمين متفرقين إلا قليلا منهم ؟ فإنا نجيبه بأن هذا كقولك : فما بالنا نرى الكثير من المسلمين قد تركوا العمل بأحكام دينهم وغرتهم ملاهى غيرهم ؟ والجواب عن هذا وذاك أن مرجع هذا إلى نفوسهم واتباع أهوائهم ، لا لنقص فى ضوء دينهم ونور هديهم :

ماضر شمس الضحى فى الأفق طالعة
ألا يرى ضوءها من ليس ذا بصر

نسأل الله أن يوفقنا برحمته إلى اتباع هدى شريعته ، والعمل بسنة نبيه ، إنه هو الفعال لما يشاء .

الشعر والشعراء

اعداد وتقديم :
د.محمد عبد الحكيم محمد

أيتها القمم العالية

للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين

تجلَّــىْ لعين النُّهَــى مِن أَمَــمْ ... وألقِى القنــاع عروسَ القِيَــمْ[١]
فقــد حار فيك رشيــد العقــول ... ومــوج الظنــون طغــى والتطِــمْ !
تُرَى أنتِ بنت الحقيقــة أم أنــ ... ـتِ نسج الخيال ، وطيــف الحُلُــم ؟
وفى الأرض تحيين أم فى السمــاء ... وراء البروج ، وفــوق السَّــدَمْ[٢]
ودونك عن أهــل هذى البقــاع ... حجــاب منيــع ، وليــل عَتَــم
تألــقتِ ذكــرا تُضَــوِّع عطــرا ... يثير الطمــوح ، ويذكــى الهمــم[٣]
فكــم فاض فيكِ لسان الخطــيب ... وكم خطَّ عنك بليــغ القلــم
وسار ابــن آدم عَبْــرَ القــرون ... يُسَبِّــح باسمك منــذ القــدم
فَلُــحْتِ لعَيْنَــىَّ طيفــا جميــلا ... تَرَدَّدَ فى الفكــر حتــى ارتسم
فَهِــمْتُ بحُــبِّكِ غَضَّ الإهــاب ... وحين اكْتِهَــالى ، وعنــد الهَرَم
وعَلَّــلْتُ نفسى طوال الحيــاة ... برؤيــاك تمشين بين الــنَّسَم[٤]
فسِــرْتُ أشيــمك أنَّــى حَلــلْتُ ... وأرهــف سَمْعِــىَ حيث أَلَــمْ[٥]
وأنشد ظلك بين الجمــوع ... سلالــةِ عرب ، ونَسْــلِ عَجَــم
قطيــنِ البَــوَادِى ، وأهــلِ الحوا ... ضِرِ تِرْب الشقاء ، وخِــدْنِ النَّعَــم[٦]
وفَــظِّ الطِّبَــاع ، وسمح الخصال ... شحيــح الأنامــل ، وابــنِ الكــرم
ورَبِّ اليراع ، ورب الحسام ... وعبدالإلــه ، وعبــد الصَّنَــم

(١) تجلى = أظهرى ، النهى = العقول ، أمم = قرب ، عروس = يا عروس .
(٢) السدم = المراد بها ما فوق الكواكب .
(٣) تضوع = فاح .
(٤) النسم = النفوس .
(٥) اشيمك = أتطلع إليك ، أنّى = حيث .
(٦) الترب = من ولد معه ، خدن = صديق .

وبين النساء، وبين الرجال فتيّ الشباب، وشيبِ اللِّمم
وخلف الشعارات ذات البريق تُدسُّ السموم بقلب الدسم
فَرَوَّع قلبي اقفرار النفوس وفرط الجحود، وموت الذمم
وشكٍ يَدمدِم بين الصدور وحقدٍ يؤجِّجُ نار النِّقم
وأسْرِ النُّضار أبيَّ النفوس وهتكِ السُّعَارِ سياج الحُرُم[٧]
وتزيين رِجْسٍ، ومَيْن حديث وتقديس زور، تَناهَى وطَمْ[٨]
وذئبٍ تَزَيَّا بسِرْبال نُسْكٍ وأفعم بالذكر أشداق فَمْ[٩]
وغولٍ تَعُبُّ دماء الحياة وتَفري الجسوم بناب النَّهَم
وَرَجْفِ الفرائس بين المخا لب تَضْغُو ضغاء يذيب الرُّجَم[١٠]
شهيق نحيب، ورَجْعُ أنين وسيل نَجيع، ودمع سَجَم[١١]
فمادت بيَ الأرض هولا ورعبا وسَحَّتْ دموعي كَسَحِّ الديَم[١٢]
وأنكرتِ عقلي، وضقت بنفسي كأني دُهِيتُ بِمَسِّ اللَّمَمْ[١٣]
فَوَاقِيَماه .. ترى أين أنت وفِيمَ اختفاؤك والذَّيْمُ عَمْ[١٤]
ورحتُ أُنَقِّبَ بين الكهوف ببطن الجبال، وفوق القمم
وأنفض عنك وجوه السهول وعمق الوهاد، ووعر الأَكَم[١٥]
وساءلت عنك عروس الرياض ومَلْكَ المروج، ووحش الأجم[١٦]
وماء الجداول بين الحقول وغَمْرَ الغدير، وموج الخضم[١٧]
وجلت بفكري خلال المذاهب ذات البريق، وذات الْجَهَم
وطوفت حتى لبست الضنَى ودب الكلال، وشف القدم[١٨]
فلم أحظ منك بصوت مجيب كأن المنادَى كفيف أصَمْ

(٧) النضار = الذهب ، السعار = نهم الجوع .
(٨) رجس = نجس ، مين = كذب .
(٩) سربال = ثوب ، نسك = عبادة .
(١٠) تضغو = تصيح ، الرجم = الحجارة .
(١١) نجيع = دم ، سجم = سال .
(١٢) مادت = اضطربت ، سحت = هطلت ، الديم = السحب .
(١٣) اللمم = الجنون .
(١٤) الذيم = العيب .
(١٥) انفض = أنظر ، الوهاد = المنخفضات ، الأكم = المرتفعات .
(١٦) الأجم = الشجر الكثيف الملتف .
(١٧) الغمر = الماء الكثير ، الخضم = البحر .
(١٨) شف = ضعف وهزل .

وعدت أخبُّ بموج الهموم … كيبَ الشعور ، رهيبَ الألم[١٩]
أهمهم أين ؟ وكيف ؟ وَلِم ؟ … وأضرب كفًّا بِكَفٍّ أخَمّ
فكيف يصح مسار الحياة ؟ … بأرض القتاد ، وداجى الظُلَم[٢٠]
وأنَّى يطيب المقام بغاب ؟ … لِناب الضَّوارى حَنَى واحْتَكَمْ
يجلجل فيه زئير السباع … وَفَحُّ الصِّلَال ، وخفق الرَّخَمْ[٢١]
ويذهب فيه بكل متاع .. … غليظ الشعور طغى ، واقتحم
آهذا هو العيش .. يا كائنات ؟! … أهذا ابن آدم رب الشَّمَم ؟!
وظل التَّسَاؤل دون جواب … وظَلَّ المُعَنَّى يلوك البَرَمْ ![٢٢]
فناديت أصرخ .. ياذا الوجود … أمَا ثَمَّ ضوء يزيح الغُمَمْ ؟!
أما ثَمَّ قول صَدُوق رشيد ؟ … يُجلِّى أمام الحِجَا ما انبَهَمْ ؟![٢٣]
وذاب ندائىَ بين الأثير .. … ومات الكلام ، وجف النَّأم .[٢٤]
وخيَّم حولى ضباب كثيف … وصمت رهيب كصوت العدم
ولف الفؤاد ظلام القنوط … ودَبَّ بجسمى صقيع السأم
ولكن صوتا عميق الصَّدَى … من الغيب جاء جَلِيَّ الرَّنَمْ[٢٥]
يَسَاقط فى الرُّوع عذب الحديث … سحر المعانى ، ودُرَّ الكلم :[٢٦]
دَعِ الهَذْرَ واكفف ، فما أنت إلَّا … حصاة تَنَزَّى بطود أشَمّ[٢٧]
وهل أنت إلا ورَيْقَة غصن … توجِّهها الريح حيث تهُمّ ؟
وعند المساء تكون هباء … بجوف الثرى أو بغيهب يَمّ ؟
وكم أنت تبلغ من ذا الوجود ؟ … وماذا تَعِى أنت مِمَّا ارتقم ؟
ورائد دربك عقل كليل … قصير الشعاع مداه قدم
فقد سار قبلك ركب الحياة … فَشَيَّد هذا ، وذاك هدم
وبعدك سوف يسير مَلِيًّا … وسوف تقوم ، وتفنى أمم[٢٨]

(١٩) أخب = أسرع .
(٢٠) القتاد = الشوك .
(٢١) فح = صوت الثعابين ، الصلال = أخبث الثعابين .
(٢٢) البرم = الضيق .
(٢٣) ثم = هنا ، يجلى = يكشف ، الحجا = العقل .
(٢٤) الرنم = الصوت الضعيف .
(٢٥) الرنم = الصوت الجميل .
(٢٦) الروع = القلب .
(٢٧) الهذر = الكلام الساقط ، تنزى = تتوثب ، بطود أشم = بجبل عالى . يم = بحر
(٢٨) مليا = طويلا .

خِضَمٌّ ابـــن آدم رحيب عميـــق ... عجـيب ، يجيش بشتـى الشِّيَـم(٢٩)
وفيـه السَّـوِى ، وفيـه الغَـوِىُّ ... وذلك تبر ، وهـذا حمم(٣٠)
ويقـذف فوق الشواطـىءُ منـه ... يسير اللآلِى ، وجـم الـرَّمم(٣١)
ومـا النـاس إلا زفير الطبيعـة ... منـه العـبير ومنـه الزَّهـم(٣٢)
وكل توجُّـهَ حيث هواه ... وكل بوسم نُهَـاهُ اتَّسَم(٣٣)
كذلك كان نظـام الإلـه ... ومَـنْ ذا يماريـه فيمـا نظـم(٣٤)
فدونك ذاتك ، والـزم مداهـا ... فمـا طاش عقـل بِهـذا التـزم
بأعمـاق نفسك كون رحـيب ... بَهِـىُّ الجمـال ، شَـذِىُّ النَّسَـم
ئرِفُّ عليـه ظلال الصفـاء ... وتشرق فيـه شموس الحكـم
وينبـع منـع جمال الحيـاة ... وسحر الوجـود ، وعـذب الشيم(٣٥)
فَمُـد إليـه عيـون حصيـف ... وحَلِّـق عليـه بفكـر الفَهِـم
وبـدد بنـور الرجـاء ضبابـا ... تلبـد دون الـرُّؤى ، وارتكـم
فمـا العيـش إلا بريـق المنـى ... ومـا الموت إلا قنـوط جثم
إذا المرء أقفـر منـه الفـؤاد ... تأجَّـجَ فيـه الأسى ، واحتـدم
وضاقت عليـه رحـاب الحيـاة ... فأهـوى صريـع الضَّنَـى والسَّقَـمْ
فلا العـيش طاب لذاك العليـل ... ولا الجرح بالموت فيـه انحسم
سماء الفضائـل حصن منيـع ... تَقاصَـر عنـه سهـام الـغشم(٣٦)
يكـون ابـن آدم فرقـد ليـل ... إذا هو لاذ بها واعـتصم(٣٧)
ومَـنْ يتفيـأ ظلال السكينـةِ ... يُلْـفِ الوجـود فسيـح التَّخـمُ(٣٨)
فعـدت لنـفسى أفـتش عَمَّـا ... توارى عن الفهـم ، حتـى نَجَـمْ(٣٩)

---

(٢٩) الشيم = الطبائع .
(٣٠) الغوى = الفاسد ، تبر = ذهب ، حمم = رماد .
(٣١) الزهم = الرائحة المنتنة .
(٣٢) وسم = علامة ، نهاه = عقله .
(٣٣) يمارية = يجادله .
(٣٤) الشيم = البارد .
(٣٥) الغشم = الظلم .
(٣٦) فرقد = نجم .
(٣٧) يتفيأ = يستظل ، يلف = يجد ، التخم = الحدود والمدى .
(٣٨) نجم = ظهر .
(٣٩) البنان = طرف الإصبع ، القنم = شجر لين تشبه بفروعه أصابع الحسان .

فشعَّت كواكب دنيـــا الجمـــــال بسحـــر الضيــــاء ، وزال القتِـــم
ورفَّت ملائكـــــــة الأنس تشدوا بحلـــو النشيــد ، وعـــذب النَّغَـم
وتمسح وجـــه الحيـــاة بكـــف رشيـــق البنـــان كرطب العنـــم[40]
وتعنفـــى على الكائنـــات وشاحـــا قشيبـــا من الحسن أوفى وتُـــمْ
فأحْسَسْت فى القـــلب بَرْدَ السلام ودفء اليـــقين ، وأمْــــنَ الحَـــرَم
وبَـــانَ عن الوجـــه ليـل العُبُـــوس فضاء بنـــور الـــرِّضَا وابـــتسم
أتعرفـــه ما وجـــدتُ بنـــفسى وكان شفـــــاء لكـــــل الألم
وجـــدت بها الديـــن ديـــنَ الحنـــ يفـــة طب النفـــوس ونـــور الظلـــم
له فى شغـــــاف الفـــؤاد قرار مكين ، فعـــــــيشى كما قد رسم
وهـــل تستـــقيم شئـــون العبـــاد بغير الخضوع لرب النعـــــــم ؟

خيوط العنكبوت

عقيد مهندس / عبد العاطى موسى عبد العاطى

نتينياهـــو .... نتينياهـــو كثيـــر مثلـــه تاهـــوا
أتى للحكـــم فى صلـــف ظـــلام الحقـــد أعمـــاهُ
وظـــنَّ « الضاد » واهيـــة ومـــا بالأرض إلا هـــــو
فـــلا عهـــد ليحفظـــه ولا ســـلم ليرعـــــاه
عروبتنـــا .... أرومتنـــا فخـــار قـــد عهدنـــاه
فإنـــا فى الوغـــى حمم جحيـــم ســـوف يصـــلاه
ذرا الأهـــرام ترقبـــه وذا «بارليـــــف» ينهـــاه
وبالإيمـــان ينصرنـــا وَلِيَغْلِـــى جنـــده الله

---

(٤٠) بان = بَعُدَ وانقشع .

العلوم الكونية

البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامي

بقلم أ.د أحمد فؤاد باشا

إن مشكلات البيئة المتزايدة والمتعددة تتصدر قائمة القضايا المعاصرة التى أفرزتها حركة التقدم العلمى والتقنى ، والإنسان ــ بطبيعة الحال ــ واحد من مكونات البيئة ، دائم التأثير والتأثر فى إطار التفاعل المستمر مع عناصرها المختلفة ، بما فيها من يمثل بنى جنسه . وقد عجزت المعاهدات الدولية والمؤتمرات العالمية ـ حتى الآن ـ عن تحقيق التوزان المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى ، ويمكن مواجهة هذا التحدى فى إطار من التصور الإسلامى الرشيد القادر على استيعاب حركة العصر وتقديم الحلول الشافية لمشكلاته المختلفة .

وسوف نتناول هذه القضية من جوانب عدّة ؛ فكرية وعملية .

مصطلحات ومفاهيم بيئية :

« البيئة » و« الباءة » و« المباءة » فى اللغة العربية : أسماء بمعنى المنزل الذى يأوى إليه الإنسان أو الحيوان ويقيم فيه ، وهى مشتقة من الفعل « بوَّأ » ، بتشديد الواو ، فيقال : أباءَه منزلًا وبوّأه إياه ، وبوّأه له وبوّأه فيه ، بمعنى هيأه له وأنزله ومكّن له فيه ؛ قال ــ تعالى ــ :

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾[1] .

وتوصف هيئة التبيُّؤ وحاله بالحُسن أو السوء ، فيقال : إنه لحسن البيئة ، أو إنه باء بيئة سوء[2] والبيئة ENVIRON MEMT فى العلوم الكونية .

---

(١) سورة العنكبوت : ٥٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور ، الجزء الأول ، مادة « بوأ » ، ص ٣٨٢ .

مصطلح يتسع مدلوله ليشمل مجموع الظروف والعوامل الخارجية التى تحيط بالكائنات وتؤثر فى العمليات الحيوية التى تقوم بها ، ويرتبط مدلول مصطلح « البيئة » بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها ، فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى ، والبيت بيئة والمدرسة بيئة ، والحىّ بيئة والوطن بيئة والكرة الأرضية بيئة ، والكون كله بيئة . أى أن بيئة الإنسان تكبر وتتسع مع نموه واتساع خبراته ، فبيئة ما قبل الولادة عبارة عن موقع يعيش فيه الإنسان جنينا ويستمد منه مقومات نموه ، ويتأثر بالبيئة الخارجية من خلال تأثر أمه بها ، وفى هذه البيئة الأولى تتحدد صفات الإنسان وفق ما يغترف من ثروة « المورثات » (أو الجينات Genes) التى هى « البيئة الوراثية »[٣] . لذا فإن العناية فى اختيار الإنسان لزوجه أصبحت من العوامل التى يجب مراعاتها لتحسين النسل وتفادى العيوب الوراثية .

أما بيئة مابعد الولادة ، فتندرج من البيت إلى الحى إلى المدرسة ، ثم الوطن والكرة الأرضية كلها ، من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، ثم الكون كله ، وهو البيئة الكبرى للإنسان ، فالطاقة الشمسية التى تصل إلى الأرض باستمرار وانتظام هى الأساس فى كون الأرض بيئة صالحة لبقاء الحياة واستمراها ، على أن الإنسان فى هذا التدرج لا يكون معزولا فى بيئة معينة ولا يتأثر بغيرها ، فكوكب الأرض يتأثر بمكونات الكون الأخرى ، وهذا يعنى فى الواقع أن هناك بيئة كبرى واحدة تتمثل فى الكون بأسره ، وما يحدث فى جزء منه يؤثر فى الكل ، إلا أن العلم فى اهتمامه بالجزئيات ، ينطلق من البيت والأرض لتحديد إطار البيئة الشامل ، لأن النظرة الكلية الشاملة مرة واحدة إلى بيئة الإنسان الكبرى متمثلة فى الكون بأسره من شأنها أن تقود إلى متاهة كثيرة القنوات تضيع فيها فرصة فهم المعنى الحقيقى للبيئة ؛ وهذه واحدة من أهم المشكلات الفكرية والمنهجية التى يواجهها الإنسان فى التعامل مع البيئة وقضاياها ، ويمكن معالجتها بهدى من تعاليم الإسلام الحنيف الذى حدد العلاقة السليمة بين الإنسان والبيئة فى مختلف مراحل نموّهما .

من ناحية أخرى ، يمكن النظر أيضا إلى تعريف « البيئة » من خلال الأنشطة البشرية المختلفة ، فنقول : البيئة الزراعية ، والبيئة الصناعية ، والبيئة الاجتماعية ، والبيئة الثقافية ... إلى آخره . وذلك لأن شخصية الإنسان ومسلكه واتجاهاته والقيم التى يؤمن بها فى بيئة ما بعد الولادة تحددها أنماط التفاعل مع عناصر ومكونات هذه البيئة ، بما فيها من يمثل بنى جنسه من البشر ، فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان ليستمد منها مقومات حياته ، وإنما تشمل « البيئة » أيضا علاقة الإنسان بالإنسان التى تنظمها المؤسسات الاجتماعية

(٣) المورثات (أو الجينات Genes) هى : تجمعات المواد الكيميائية التى تحتوى على شفرة الصفات الوراثية للكائن الحى ، وتنتظم المورثات فى جسيمات أو خيوط متشابكة فى داخل نواة كل خلية من خلايا الجسم (الشبكة النووية) ، وتعرف هذه الجسيمات بالصبغيّات (أو الكروموسومات) ، ويكون عددها ثابتا فى النوع الواحد من الكائنات الحية ، فالإنسان مثلا تحوى كل خلية من خلايا جسمه ٤٦ كروموسوما ، نصفها من الأم ونصفها الآخر من الأب ، وتتحدد الصفات الوراثية عند لحظة الإخصاب .

راجع : رشيد الحمد ومحمد سعيد صباريني ، البيئة ومشكلاتها ، عالم المعرفة ، الكويت العدد ٢٢ ، ذو القعدة/ذو الحجة ١٣٩٩هـ - أكتوبر ١٩٧٩م .

والعادات والأخلاق والقيم ؛ وإغفال هذه المعانى عند تعريف « البيئة » يزيد من تفاقم مشكلاتها ، ذلك أن الاقتصار على التفسير المادى للبيئة يعوق أى جهد يُبذل لتقديم الحلول الشافية لمشكلاتها . وهنا ، مرة ثانية ، يمكن أن تتدخل الرؤية الإسلامية ، بهدى من تعاليم الإسلام الحنيف ، إسلام القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة ، لتصحيح النظرة المادية للبيئة وتصويب الأخطاء التى وقع فيها الإنسان ، ومداواة الخلل الذى أحدثه فى منظومة العلاقة بينه وبين البيئة (الكون) .

علم البيئة ومشكلات التلوث البيئى :

علم البيئة ، أو « الإيكولوجيا » Ecology ، من العلوم البيئية الحديثة التى تتجـــاذبها اختصاصات علمية متعددة (طبيعية وإنسانية) ، وهو يعنى بالبحث فى العلاقات المتبادلة بين الكائنات والبيئة المحيطة بها ، ويتتبّع أسباب الخلل الذى يحدث فى التوازن البيئى للنظم البيئية المختلفة للوقوف على تأثيراته المباشرة وغير المباشرة ، ويحذر من أخطار عاجلة أو آجلة ، ويدل على أفضل الطرق لمكافحة التلوث والقضاء عليه .

وهكذا نجد أن علم البيئة (الإيكولوجيا) يتضمن مفهومين يحتاجان إلى إيضاح :

أما المفهوم الأول فيتعلق بمصطلح « النظام البيئى » Ecosystem ، ويطلق على أية وحدة تتكون من كائنات حية ومكونات غير حية ، تتفاعل مع بعضها البعض لتكوّن نظاما مستقرا فى إطار التوازن الكونى الشامل الذى قدّره الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ لقوانين البيئة المحكمة وموازينها الدقيقة . فالصحراء والواحة والنهر والبحر كلها أمثلة لنظم بيئية محدودة ؛ وأكبر النظم البيئية التى نعرفها فى الكون هو ذلك الحيز الذى تظهر فيه الحياة على سطح الأرض ، مشتملا على الإنسان والحيوان والنبات ، ويعرف باسم الغلاف (أو المحيط) الحيوى Biosphere . وكل شىء فى شبكة الغلاف الحيوى مرتبط بكل الأشياء الأخرى ، والخلل الذى يحدثه الإنسان فى مكان ما يمكن أن يسبب تأثيرات ملحوظة فى أماكن أخرى ، قريبة أو بعيدة ، بصورة فورية وعاجلة أو متأخرة وآجلة ، أى أن النظم لا توجد بمعزل عن بعضها البعض ، فهى جميعها تشكل كُلًّا متكاملا يتميز باستمرارية الأخذ والعطاء فى اتزان معجز دقيق .

وأما المفهوم الثانى فيتعلق بمصطلح « التلوث » Pollution الذى يعنى علميا وجود أيّة مادة أو طاقة فى غير زمانها ومكانها المناسبين بكميات غير ملائمة لاستمرار التوازن البيئى ؛ فالماء يعتبر مادة ملوِّثة إذا ما أضيف إلى التربة الزراعية بكميات كبيرة ، فيحل محل الهواء فيها ويسبب اختناق جذور النبات ؛ والسماد المضاف إلى التربة الزراعية لتحسين خصوبتها يكون ملوِّثا إذا ما أضيف بكميات غير مناسبة ؛ والنفط يلوث رمال الشواطىء ومياه الأنهار والبحار عندما يتسرب إليها ؛ وهكذا يشمل تعريف « التلوث » كل ما يكدر أو يفسد أيا من عناصر البيئة ، سواء كان هذا العنصر كائنا حيا : كالإنسان والحيوان والنبات ، أو مكوِّنا طبيعيا غير حىّ : كالهواء والماء والتربة وغيرها ، هذا بالإضافة إلى ما تتضمنه كلمة « تلوث » من معنى معنوى عندما

تدل على تغيُّر ينتاب النفس فكيدرها أو الفكْر فيفسده أو الروح فيضرها ، وهذا التغير يكون دائما إلى ماهو أسوأ ، أو يكون تغييرا من أجل غرض ما(٤) .

ولقد وجد الإنسان نفسه متورطا فى الانشغال الزائد بثورة العلم والتقنية دون النظر إلى آثارها الضارة على مختلف عناصر البيئة ، بما فى ذلك حياة الإنسان ذاته ، فهناك ـ على سبيل المثال ـ كميات هائلة من الطاقة الحرارية التى تنطلق إلى الجو مباشرة من المصانع ، ومحطات توليد الكهرباء التقليدية والنووية ، وحرائق الغاز الطبيعى فى مناطق البترول ومصافى تكريره ، والمراجل (الغلايات) المتنوعة ، وأماكن التفجير النووى ، ومراكز تحلية مياه البحر ، ووسائل النقل ، ومختلف أجهزة الاحتراق الداخلى والخارجى ، وغير ذلك من الآلات الحرارية والنووية . وهناك أيضا تزايد مستمر فى معدلات التلوث بالمواد الكيميائية والإشعاعات النووية والأمواج الكهرومغناطيسية والعناصر الثقيلة والضوضاء وغيرها(٥) .

وخلال العقود الأخيرة تعالت صيحات التحذير من أخطار التلوث البيئى التى تصيب الحرث والنسل . ففى عام ١٩٨٨م أعلن العلماء فى مؤتمر عقده « برنامج البيئة التابع للأمم المتحدة » أنهم يتوقعون لمستوى البحر الأبيض المتوسط أن يرتفع بسبب تزايد سخونة الجو بما يتراوح بين ١٣ و٥٥ سنتيمترا قبل حلول عام ٢٠٢٥م ، وأن يرتفع بحدود مترين خلال قرنين من الزمن ويغمر أغلب المدن الساحلية .

وفى عام ١٩٩٢م عقد أكبر مؤتمر قمة عالمية فى تاريخ البشرية بمدينة « ريودى جانيرو » البرازيلية (أطلق عليه اسم « قمة الأرض ») للنظر فى المشكلة البيئية التى تهدد سلامة الإنسان وحياته على كوكب الأرض ، والاتفاق على معاهدات تنظيم واجبات الدول فى مواجهة مختلف أشكال الخلل البيئى ؛ ولكن الضوابط والمعاهدات الدولية التى توصل إليها المجتمعون لم تحقق حتى الآن التوازن المطلوب بين الطموح الإنسانى علميا وتقنيا واقتصاديا من جهة ، وبين المحافظة على نظافة البيئة وسلامتها من جهة أخرى .

وصدق الله العظيم حيث يقول :

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٦)

ولا يزال للموضوع بقية فى العدد القادم ـ إن شاء الله ـ .

---

(٤) راجع : د. أحمد فؤاد باشا ، « الفلسفة الإسلامية ومشكلات البيئة » ، دراسة ألقيت فى المؤتمر العلمى الدولى الأول للفلسفة الإسلامية عن « الفلسفة الإسلامية والتحديات المعاصرة » ، كلية دار العلوم جامعة القاهرة ، ٢٠ ـ ٢٢ أبريل ١٩٩٦م .

(٥) لمزيد من التفصيل عن مختلف صور التلوث البيئى راجع :
ـ د. محمد عبده العودات ود. عبد الله يحيى باصهى ، التلوث وحماية البيئة ، الرياضة ١٩٨٥م .
ـ ود. أحمد مدحت اسلام ، التلوث مشكلة العصر ، « عالم المعرفة » ، الكويت عدد ١٥٢ ؛ ١٩٩٠ م .
ـ د. أحمد فؤاد باشا ، الإنسان ومشكلات التلوث البيئى ، مجلة الأزهر ، الأعداد : (٢) ١٩٩٢ ، (٣) ١٩٩٢ ، (٥) ١٩٩٣م .

(٦) سورة الروم : ٤١ .

الصحة الإنجابية

الأمراض المنقولة جنسيا
الأيدز والشذوذ الجنسي

٣

الدكتور/ أحمد رجائى عبد الحميد

من أخطر ما يواجه العصر الحديث تفشى الشذوذ الجنسى وفى دراسة حديثة على (أطفال الشوارع)[١] وجد أن كل الأطفال الذى تم سؤالهم قد تم انتهاكهم جسدياً ، وهم بدورهم مارسوا مع امثالهم نفس الدور (اللواط) ممن هم أصغر منهم سناً ، وللشذوذ الجنسى أنواع عديدة ولكن الذى يهمنا فى هذا الموضوع هو هذه الظاهرة.(سنقوم بتفصيل الشذوذ الجنسى وعواقبه وأخطاره فى مقال لاحق إن شاء الله) .

وقد فصل فضيلة الإمام الأكبر الراحل الشيخ جاد الحق على جاد الحق معنى اللواط (فى كتاب الأحكام الشرعية فى مسائل طبية نسائية)[٢] والذى اشتركت فى كتابة الجزء الطبى فيه قال ــ رحمه الله ــ تعالى :

جريمة اللواط من أشنع الجرائم وأقبحها ، وهى تدل على انحراف فى الفطرة وفساد فى العقل ، وشذوذ فى النفس .

ومعنى اللواط : أن ينكح الرجل الرجل ، ويأتى الذكر الذكر ، كما قال تعالى ــ عن قوم لوط :

﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾[٣] .

وسميت تلك الجريمة باللواط نسبة إلى قوم (لوط) الذين ظهرت فيهم هذه الفعلة الشنيعة ، وقد عاقبهم الله ــ تعالى ــ عليها بأقصى عقوبة ، فقلب الأرض بهم ، وأمطر عليها حجارة من سجيل جزاء فعلتهم القذرة ، وجعل ذلك قرآنا يتلى ؛ ليبقى عبرة للأمم والأجيال :

---

(١) المقصود بهم المشردون الذين فقدوا عائلهم ، أو فقدهم عائلوهم لسبب اجتماعى أو أكثر فلجئوا إلى الشارع الذى صار لهم مأوى على كل مافيه من حسن وقبح فنسبوا اليه فقيل : أطفال الشارع . أو الشوارع ..(مجلة الأزهر).

(٢) طبع المركز الدولى الاسلامى للدراسات السكانية .

(٣) سورة الشعراء الآيتان : ١٦٥ ، ١٦٦

﴿ فَلَمَّا
جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ
مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ
ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ﴿٨٣﴾ ﴾ . (سورة هود)

وأبرز عواقب اللواط مرض الآيدز

مرض الايدز

هو مرض حديث مميت ، وهذه الكلمة «الايدز» اختصار لجملة تعنى : «مرض نقص المناعة المكتسب» وهو يؤدى إلى إصابة الجهاز المناعى للجسم ، مما يؤدى إلى عدم قدرته على العمل بنفس الكفاءة السابقة على وجوده ، مما يجعل الشخص المصاب معرضاً للإصابة بكثير من العدوى التى لاتصيب الشخص السليم ، وحاليا ينتشر بسرعة كبيرة فى كثير من أنحاء العالم إن لم يكن فيها جميعاً .

ينشأ هذا المرض عن (فيروس) يدعى (HIV) أو «الفيروس» المسبب لفقدان المناعة فى الإنسان . هذا الفيروس يهاجم الخلايا الليمفاوية (ت٤) (T4) التى من وظائفها مهاجمة الميكروبات والتخلص منها . وعندما يهاجم الفيروس هذه الخلايا الليمفاوية يتكاثر بها مما يؤدى إلى قلة نسبتها فى الدم فتضعف مناعة المصاب ضد الأمراض المختلفة ، وهو ككل الفيروسات يتكاثر فقط فى الخلايا الحية المصابة ، ولكنه يختلف عن الفيروسات الأخرى فى أنه يفرز (أنزيم) خاصاً يسمح بطبع المعلومات الجينيه .

أعراض الإصابة :

قد يكمن المرض عدة سنوات بدون ظهور أية أعراض ، ثم تبدأ فى الظهور .

وحيث إن (مرض الايدز) عبارة عن نقص المناعة الذى يؤدى إلى الإصابة بمجموعة أمراض ؛ فكذلك أعراضه تختلف باختلاف نوع العدوى ولكن أشهرها مايلى :

١ ـ ارتفاع مستمر فى درجة الحرارة .

٢ ـ تقرحات وطفح جلدى

٣ ـ إسهال شديد لمدة أكثر من شهر مما يؤدى إلى هزال شديد (ولذلك يطلق عليه مرض (Slim) وتعنى النقص الشديد فى الوزن فى أوساط (أفريقيا) .

٤ ـ تضخم عام فى الغدد الليمفاوية .

٥ ـ التهاب مستمر بالزور والحلق .

٦ ـ نزلات شعبية حادة ومتكررة والتهاب رئوى حاد .

٧ ـ سرطان فى الجلد (يسمى سرطان كابوسى) .

٨ ـ التهابات فى شبكة العين قد تؤدى إلى الاصابة بالعمى .

٩ ـ اضطرابات فى وظائف المخ ، وكذلك التهابات فى الغشاء السحائى للمخ .

كيفية العدوى :

عن طريق سوائل الجسم (مثل الدم ، المنى ، لبن الأم المصابة ، أنسجة المخ ، السائل المحيط بالمخ والنخاع الشوكى ، اللعاب) .

طرق العدوى :

١ ـ الشذوذ الجنسى ؛ وذلك لأن الغشاء المبطن للشرج والمستقيم رقيق جدا يسهل تمزقه بسهولة مما يؤدى إلى سرعة انتقال العدوى .

٢ ـ عن طريق الحقن الوريدى بحقن غير معقمة ،

وهذا يحدث كثيراً فى حالات تعاطى المخدر عن طريق الحقن فى حالات إدمان المخدرات .

٣ ــ عن طريق الجنس العادى (وهذا النوع أكثر ماينتشر فى إفريقيا) .

٤ ــ عن طريق نقل الدم الملوث ، وبخاصة فى أمراض الدم التى تحتاج إلى نقل الدم باستمرار مثل (مرض سيولة الدم) .

٥ ــ الأطفال حديثى الولادة من أم مصابة بالايدز .

٦ ــ وأخيراً : توجد نسبة اصابة حوالى ٢٪ غير معروفة المصدر من الاصابة بالايدز .

التشخيص :

نظراً لكمون المرض فى الجسم عدة سنوات قبل ظهور الأعراض ، فإن أحسن وسيلة للتشخيص ــ عند الاشتباه ــ هى اختبار الدم ، لاكتشاف الأجسام المصابة . وهذا يجرى خاصة قبل إجراء عمليات نقل الدم ، وتوجد عدة اختبارات منها : اختبار «الإليزا» وهذا الاختبار يعتمد على تغيرات اللون لتوضيح وجود الأجسام .

كذلك يوجد اختبار «وسترن بلوت» الذى يظهر الأجسام المصابة ببروتين الفيروس .

وعادة إذا كانت نتيجة اختبار «الاليزا» إيجابية ، فإننا نلجأ إلى اختبار «وسترون بلوت» للتأكد ، فإذا أجريت هذه الاختبارات ــ قبل ستة شهور من الإصابة ــ وكانت النتيجة سلبية ، يجب أن تعاد ثانية حيث أن الأجسام المصابة تحتاج من شهر إلى ستة أشهر للظهور بعد الإصابة .

وحين تظهر الأعراض ؛ فإن التشخيص يسهل من الأعراض بالإضافة إلى اختبارات الدم ، ومجموع الأعراض فى شخص عمره أقل من ٦٠ سنة ، ولا يتعاطى أية أدوية مثبطة لجهاز المناعة مثل أدوية الكورتيزون التى تسهل عملية التشخيص .

طرق الوقاية :

١ ــ التمسك بما جاء فى الشريعة الإسلامية الغراء من تحريم الزنا واللواط وإتيان المرأة فى الدبر ، وكذلك تحريم المخدرات ؛ فلا يقرب ذلك كله مسلم .

٢ ــ اختبار الدم قبل إعطائه للمحتاج ، وعدم التبرع بالدم عند الشك فى الإصابة .

٣ ــ منع الحمل والولادة لمن ثبت إصابتها بالإيدز هى أو زوجها .

٤ ــ استعمال الواق « الذكرى أو الأنثوى » (العازل) فى حالة الشك فى الإصابة .

٥ ــ هناك أبحاث تجرى لإنتاج مصل يعطى لبعض المتعرضين للإصابة مثل الأطباء الذين يعنون بمثل هؤلاء المرضى لكنه ــ حتى يومنا هذا ــ لم يثبت نجاحه .

٦ ــ عدم التبرع بالأعضاء (مثل الكلى) قبل الاختيار ضد الإيدز .

العلاج :

لا يوجد فى الوقت الحالى علاج فعاًل ، لكن توجد بعض المحاولات لإنتاج مثل هذا العلاج .

أولاً : علاج الأعراض بالمضادات الحيوية وقابضات الإسهال ومضادات الفطريات ومضادات الطفيليات .

ثانياً : تقوية الجهاز المناعى باستخدام بعض الأدوية مثل (الأنترفيرون) .

ثالثاً : أدوية مضادة للفيروس مثل « زيدوفيودين » أو « زيدوتيميدين » أو « الرينيارين » .

الرفاق والزملاء

ودورهم فى التنشئة الاجتماعية

للأستاذ/عبدالسلام ناصف

اجتمع علماء الاجتماع على إن كلمة Sacialization تعنى التنشئة الاجتماعية أو التطبع الاجتماعى أو الاندماج الاجتماعى إذ هى تعنى الارتقاء من السلبية إلى الإيجابية فى المواقف الاجتماعية أو الانتقال من الانتمائية والاعتماد على الآخرين إلى الاستقلالية والاعتماد على النفس تبعا لما يكتسبه الفرد من خبرات خلال تفاعله مع أعضاء مجتمعه .

ولا تقف عمليات التطبع عند عمر زمنى محدد ، وإنما تمتد وتنشط على مدى الحياة ، بل إن أغلب علماء النفس الاجتماعى يرون ان سلوك الفرد ماهو إلا انعكاس لما يمر ، وأن القوى الاجتماعية فى موقف ماءهى التى تحدد أشكال وأنماط سلوكه كاد يقع الإجماع على ذلك بدءاً من ابن خلدون إلى (دور كايم) الذى أكد أن البيئة مسئولة عن تكوين شخصية الفرد وأنه مدين لها فى نموه العقلى والخلقى والجسمى ، والبيئة تبدأ منذ لحظة خلق الجنين فى رحم أمه حتى وفاته .

وعملية التنشئة عملية « ديناميكية » مستمرة وأطول مراحلها مرحلة الطفولة التى تعتبر فى البشر أطول طفولة عنها فى اى طفولة حيوانية أخرى ، لذا كان التصاق الطفل بوالديه وملازمة لهما أشد وأوثق من حاجة أى طفل فى حيوان آخر ، ليحسنا تربيته وإعداده لأدوار الحياة المستقبلية فدور الإنسان فى الأرض من أهم وأعظم الأدوار فعليه ـ وحده ـ عمارتها واستثمار مواردها وبناء حضارتها .

ولقد أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الأسرة هى البيئة الأولى التى يعول عليها فى هذا المضمار ، إذ هى النظام الفطرى الصالح الذى جعله الله مثابة للطفل وأمنا ، ولقد حرص الإسلام على توفير الوسائل التى تحقق تلك التنشئة السوية فى مراحل النمو المتعاقبة .

وإذا كنا قد عرضنا لدور الأسرة فى هذه العمليـة فلا يفوتنـا أن نعـرض للمــؤسسات والمؤثرات التالية فى حياة الطفل بادئين بالدور الذى يلى دورها زمنيا ألا وهو دور الرفاق فى الملعب واللهو والنادى والثلة والعصبة توضيحا لآثار كل منها على تنشئة الفرد ، فإن الطفل يحقق ذاته عن طريق رفاق عمره لمشاركتهم فى أوجه النشاط المختلفة مقارنا بين مظاهر نموه ومظاهر نموهم وبين قدراته وطاقاته وإمكانياتـه ، وبين قدراتهم وطاقاتهم وإمكانياتهم وتستمر هذه المقارنة فى مراحل النمو المتعاقبة ليعرف مكانته من مكانة غيره من البشر ، حيث تشير الدراسات الاجتماعية إلى حاجة الفرد إلى الانتماء إلى جماعة الرفاق أو الزملاء أو الأصدقاء لتحقيق نوع من التفاهم والتقـارب والاحساس المشتـرك لفهـم مشاكل الحياة ، ومحاولة ايجاد الحلول المناسبة والممكنة لها .

ومن العلماء الاجتماعيين من يبالـغ فى هذه النظرة الى حد القول بأن بغض الشباب قد يجد فى زملائه مالا يجده فى أسرته من التقارب والتآلف خاصة عندما تلجأ أسرته إلى توبيخه أو لومه أو تهديده عندما يسلك مسلكا لا ترتضيه مما قد يسبب له جرحاً لمشاعره أو النيل من كرامته أو طمس معالم شخصيته ــ بينما يجد فى سلوك أقرانه مايتفق مع أنماط سلوكه فيميل إليهم من أجل اكتشاف سمات شخصيته والاعتراف بذاته فى إطار جماعتهم وفى نفس الوقت يتخلص من السيف المسلط على رقبته الذى يتصوره فى قيود أسرته .

ولقد يكتشف فيما بعد أنه قد سقط فريسة لقيود وهمية من صنع أفكاره القاصرة التى زينتها له الاتجاهات العامة لجماعة الرفاق التى ينتمى إليها سواء كانت اتجاهات سوية او غير سوية والتى سايرها بعفوية، وقد تدفع به الى طريق مستقيم أو تلقى به فى متاهات التطرف والغلو والانحراف ، إذ لا يخفى أثر جماعة الرفاق على الفرد فى بعض السلوكيـات المنحرفـة كالهروب والـتشرد والانحراف والإدمان والسلوك الضار بالمجتمع .

ولقد وضع الإسلام الحنيف ركائز لسير الأباء والأمهات على هديها من أهمها :

١ ــ تربية الطفل على أسلوب المناقشة الموضوعية الجادة فى أى قرار أو معيار تتخذه ــ دون تردد أو خوف ، وتوضح للطفل مدى الإفادة المنتظرة منه بلا إجبار ولا قهر وإنما بتلقائية ومحبة واقتناع .

٢ ــ إبعاد الابن عن أية جماعة لا يتفق فكرها مع المنطق السليم والقيم والمثل النافعة بسبر أغوارها ومعرفة ما يدور فى فكر أعضائها وما تنتهى إليه مناقشتهم .

٣ ــ السماح بانضمام الطفل إلى من تطمئن إليهم قلـوبهم وتركـن إليهم مشاعرهـم بعـد دراسة سلوكهم وميولهم والتأكد من سلامتها وصحتها وسويتها وصحة اتجاهاتهم نحو الالتزام السليم .

٤ ــ تدريب الأبناء على الانتقال التدريجى من الاتكالية إلى الاستقلالية الموجهة داخل محراب آية جماعة تشبع رغبـاتهم ليتمكنـوا من المشاركـة الإيجابية والتفاعل المثمر بينهم وبين أعضائها .

٥ ــ تخير جماعات الرفاق من أطفال الأسر المسلمة النقية الصالحة المشهود لها بالالتزام والسمعة الطيبة والتى تهتم بالحرص على معايير الصلاح والانتماء إليه إذ لاتورد هذه الأسر إلا كل ماهو سوىّ .

وتأخذ جماعات الرفاق أشكالاً وصوراً عدة يمكن ملاحظتها فى واقعنا الاجتماعى على النحو التالى :

١ ــ جماعة اللعب واللهو وهى التى تتكون تلقائيا لممارسة نوع من اللعب أو اللهو وتنتهى بانتهائه .

٢ ــ جماعة النادى وتتكون فى وسط رسمى يشرف عليه متخصصون فى كل ميادينه لإتاحة فرص النمو السوى سواء كان جسديا بأنشطة التربية الرياضية أو اجتماعيا بالرحلات والمعسكرات والمخيمات أو ثقافيا بالقراءة والاطلاع وعقد الندوات والمؤتمرات ومنها ماهو ترويحى كشغل وقت الفراغ سواء كان سلبيا أو إيبجابيا .

٣ ــ جماعة الثلة : وهى الجماعة التى يتماسك أعضاؤها ــ رغم تباين وضعهم الاجتماعى ــ لوضوح هدفها ولوجود منهج لها يلتف حوله أعضاؤها يدافعون عنه ويستبعدون من بينم من لايلتزم به ومن لا يحترمه .

٤ ــ جماعة العصبة وهى أشد تعقيداً من كل الجماعات السابقة حيث يصل التماسك بين أفرادها إلى درجة التعصب والتحزب وبذل النفس والتضحية وعدم الخوف من مصادر السلطة واللامبالاة بها وقد تتخذ رموزاً أو شارات أو علامات تميزها عن غيرها من الجماعات وقد تصطدم بعضها بالبعض الآخر الذى يخالف فكرها ومنهجها وهدفها .

وتسهم هذه الجماعات زرافات ووجدانا فى إتاحة الفرصة أمام الطفل فى التجريب والتدريب على الجديد والمستحدث من معايير السلوك وتكوين معايير جديدة تنمى الحس والشعور والنقد نحو المعايير الجديدة وتمثيل ادوار القيادة وتبوئها واكتشاف انماط جديدة للقيادة وتنمية الولاء للجماعة والمساعدة فى تحقيق أهدافها مما يحقق للفرد استقلاله واعتماده على نفسه واكتساب مهارات جديدة .

كما تسهم فى تأكيد ذاتية الطفل بالمشاركة الإيجابية فى نشاط الجماعة بعيداً عن رقابة الكبار مما يساعده على تحمل المسئولية واشباع رغباته واحتياجاته إلى الانتماء والمكانة والاعتراف به ولهذه الجماعات فضل كبير فى سد الثغرات التى تتركها الأسرة واستكمالها فى المناقشات التى لايمكن مناقشتها وكذلك تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى قد يمنع الحياء مدارستها بالاختلاط والعمل مع الرفاق .

غير أنه ينبغى أن تكون هناك رقابة حكيمة واعية لتفهم أهداف هذه العصبات ، حتى لاتكون أداة تخريب وهدم لكل قيم المجتمع .

هذا وقد أبدت الدراسات الميدانية وجود علاقة وثيقة بين أساليب تنشئة الأطفال والصغار فى الشعوب البدائية وبين بناء الشخصية فتلك قبيلة تتسم شخصية أفرادها بالدقة والهدوء والمسالمة والصداقة والتعاون وعدم التنافس والتسلط بل يمقتون الصلف والغرور ولا يميلون إليه بسبب تنشئة أطفالها على المحبة والرعاية والمداعبة وتلبية المطالب بيسر دون تبرم .

بينما أظهرت هذه الدراسات ذاتها أن هناك قبيلة أخرى يتسم أفرادها بالتعصب والعنصرية والعدوان والارتياب نتيجة لتنشئة أطفالها على التنافس السلبى الملىء بالكراهية للآخرين وعلى تمجيد الشخصية العدوانية واعتبار المحارب فيها رمزاً للبطولة فشبوا على التوتر والكراهية والبغض فى عالم عدوانى عصيب .

كل ذلك يؤكد أن السنوات الأولى فى حياة الطفل أثر فعال فى وضع دعائم الشخصية ، وفى غرس بذورها ـــ ثم جاءت مدرسة (سيجموند فرويد) للتحليل النفسى لتؤيد هذه الدراسات الانثروبولوجية وتعتبر السنوات الخمس الأولى فى حياة الطفل هى الأساس فى بناء شخصيته وبقدر ما يكون الجو النفسى والاجتماعى الذى يحيا فيه الطفل فى الأسرة أو جماعات الرفاق الأولى متسما بمشاعر الأمن والاستقرار وبقدر حكمة والديه فى معاملته والتزامهما بمعاملته معاملة متزنة وبقدر اختياره لرفاقة وزملائه وأصدقائه ومخالطيه ومعاشريه ، وبقدر التقائه معهم على العفة والطهارة والحب والإخلاص والتعاون بقدر ذلك كله يكون تمتعه بكل مقومات الصحة النفسية فى المراحل التالية من عمره ـــ والعكس صحيح ـــ فالشخص المضطرب نفسيا ماهو إلا ذلك الفرد الذى نشأ فى بيئة شاذة مليئة بالعادات السيئة .

بل إن هذه المدرسة ترى أن السبيل الأمثل لفهم شخصية الفرد فهما صحيحا ودقيقا إنما يكون بفهم ودراسة طفولته من جميع جوانبها الإيجابية والسلبية على حد سواء لمعرفة ظروف نشأته أسريا وبيئيا .

«وَيخلق مَا لاتعلمون ...»

الجديد في العلم والتقنية

إعداد : د/ نجوى السيد أحمد (٠)

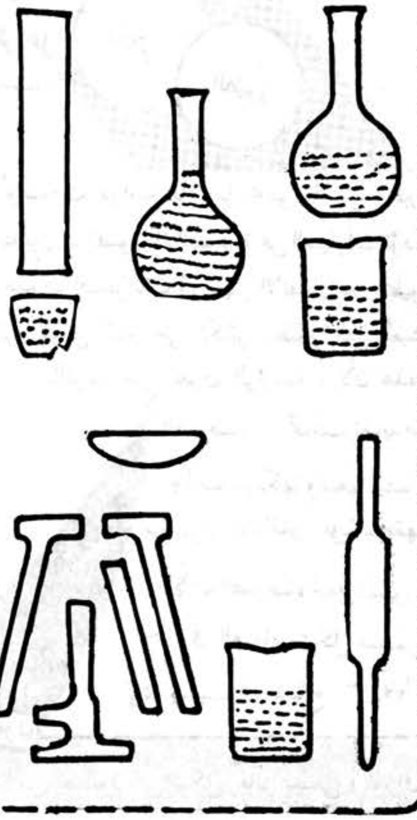

هاتف على هيئة ساعة يد

أنتجت إحدى الشركات الأوروبية هاتفا « تليفون » على هيئة ساعة يد يستطيع تحويل مكالمات من خلال قاعدته فى المحطة التى توضع فيه ، ويمكن استخدامه كوسيط اتصال مع حوالى ثلاثة من الأشخاص يلبسون نفس الساعة ضمن نطاق ٣٠٠ قدم من قاعدة « التليفون » ، كما يمكن استخدام سماعة للأذن فى حالة المكالمات الخاصة .

مشغل جديد لاسطوانات

الحاسب الآلى المضغوطة :

طورت شركة أمريكية مشغلا للاسطوانات المضغوطة يعمل بسرعة تبلغ أربعة أضعاف سرعة المشغلات التقليدية وبسعر منخفض وله القدرة على نقل البيانات بمعدل ٦٠٠ كيلو بايت فى الثانية الواحدة ، وهو مزود ببرنامج خاص بتشغيل الاسطوانات المضغوطة السمعية بالإضافة إلى البرامج الخاصة بنظام تشغيل « دوس » و « وندوز » .

(٠) أستاذ باحث مساعد بالمركز القومى للبحوث ـ الدق

خوذة مضيئة لسائقى الدراجات

أنتجت شركة أوربية خوذة مضيئة لسائقى الدراجات تسهل على سائقى السيارات ملاحظة مرتديها ، وتعمل ببطارية صغيرة وتحتوى على لمبات يمكن تغيير مكانها على الخوذة بحيث تحقق أفضل رؤية من قبل السائقين الآخرين ، وتتميز هذه الخوذة بأنها آمنة ورخيصة .

تصنيع الألماس من الجرافيت

نجح معهد لأبحاث المعادن فى « المانيا » فى تصنيع الألماس من الجرافيت بتعريض الأخير لدرجات حرارة شديدة الارتفاع تصل إلى ٧٠٠ درجة مئوية ، وذكر الباحثون أن هذه النتيجة تعتبر شيئا مثيرا للاهتمام من الناحية التقنية ، ويمكن أن تفتح الطريق أمام فهم جديد لطبيعة التحول المباشر من الجرافيت إلى الألماس ، ويتكون الألماس فى الطبيعة حين يتعرض الجرافيت إلى ضغوط بالغة الشدة على مر الزمان مثل ما يحدث تحت قشرة الأرض .

جهاز الكترونى لضبط أنوار السيارات

استطاعت شركة « فرنسية » تطوير نظام أنوار السيارات بحيث يتم ضبطه باستخدام جهاز الكترونى يعمل بأشعة الليزر ويسمح بضبط جميع أنواع الأنوار واختبار إشارات التقاطع وإشارات الطريق ، وعند الانتهاء من ضبط الإشارة الضوئية المطلوبة ، يضاء مؤشر أخضر مركزى فى الجهاز ذاتيا ثم تظهر العلامة الدالة على نوعية الإنارة .

الضوضاء تؤثر على تكاثر الطيور

أوضحت دراسة قام بها مجموعة من الخبراء الهولنديين أن الضوضاء الصادرة عن السيارات تؤدى إلى حدوث اضطرابات فى جهاز الاتصال بين الطيور ويؤثر بشكل كبير على تكاثر الطيور التى تعيش بالقرب من الطرق الرئيسية ، لأن هذه الضوضاء تحجب تغريدها لجذب شريكها وتمنعها أيضا من طرد المتطفلين على مناطقها ، كما أن الضوضاء تجعل الطيور تحلق فى السماء بشكل مستمر مما يتسبب فى ضياع حيويتها .

رقائق الصابون

ابتكرت إحدى شركات التجميل الأمريكية نوعا جديدا من الصابون على شكل رقائق تسمى « أوراق الصابون » وهى قطع صغيرة شفافة ومعطرة تكفى الواحدة للاستخدام مرة واحدة ، وهى معبأة بطريقة سهلة يمكن سحب ورقة واحدة منها بسهولة ، كما أنها متعددة الألوان والرائحة .

فيتامين « هـ » للحماية من الأزمات القلبية :

أثبتت دراسة أمريكية أن فيتامين « هـ » يحمى من أمراض الدورة الدموية والحد من مخاطر الموت بها ، وثبت من التجارب أن السيدات اللاتى يتناولن كميات كبيرة من فيتامين « هـ » تقل نسبة إصابتهم بالأزمات القلبية بنسبة ٤٠٪ بينما تنخفض نسبة الإصابة فى الرجال بنسبة ٣٧٪ ، ومن الأطعمة الغنية بفتامين « هـ » القمح والذرة والزيوت النباتية ، والنباتات ذات الأوراق العريضة .

العلاج الإشعاعى لتوسيع شرايين القلب .

أعلن فريق من أطباء القلب الأمريكيين أنهم بصدد تعميم النتائج التى توصلوا إليها باستخدام الإشعاع فى توسيع شرايين القلب المسدودة من خلال وصلات على هيئة أنابيب معدنية صغيرة يتم وضعها داخل الشرايين المسدودة بعد توسيعها لإبقائها مفتوحة ، ويؤكد الباحثون أن استخدام جرعات صغيرة من الإشعاع داخل الشرايين على قساطر البالونات الحاملة للوصلات المعدنية يؤدى إلى الحد من فرصة عودة الانسداد مرة أخرى للشرايين ويحسن حياة المرضى .

التقنية الحديثة لمحاولة استعادة البصر المفقود :

يقوم مجموعة من أطباء العيون فى « الولايات المتحدة الأمريكية » بإجراء التجارب لمحاولة استخدام التقنية الحديثة و« الكمبيوتر » فى إعادة تشغيل الشبكية والعصب البصرى المفقود ، وتعتمد هذه الطريقة على استخدام رقائق « الكمبيوتر » لكى تقوم بوظيفة الشبكية أى تحويل الضوء إلى إشارات كهربية وبثها للعصب البصرى ليقوم بدوره بنقلها للمخ ، أى نقل التغير الكيميائى والكهربائى إلى مركز الإبصار فى المخ فى صورة ذبذبات كهربائية ، وذكرت فى التقارير الطبية أنه على الرغم من عدم توصل هذه التجارب إلى نموذج أولى حتى الآن إلا أن الفكرة تمثل أكثر من بصيص أمل فى نظر الباحثين ، حيث أمكن التعرف على كيفية ذرع هذا الجهاز فى العين دون آثار جانبية ، كما حصل الباحثون على أدلة تشير إلى أن المواد المستخدمة فى الجهاز الجديد تتلائم مع الأعضاء الحية والفرصة ستكون أكثر تلاؤما مع فاقدى البصر الذين يحتفظون بشبكية سليمة .

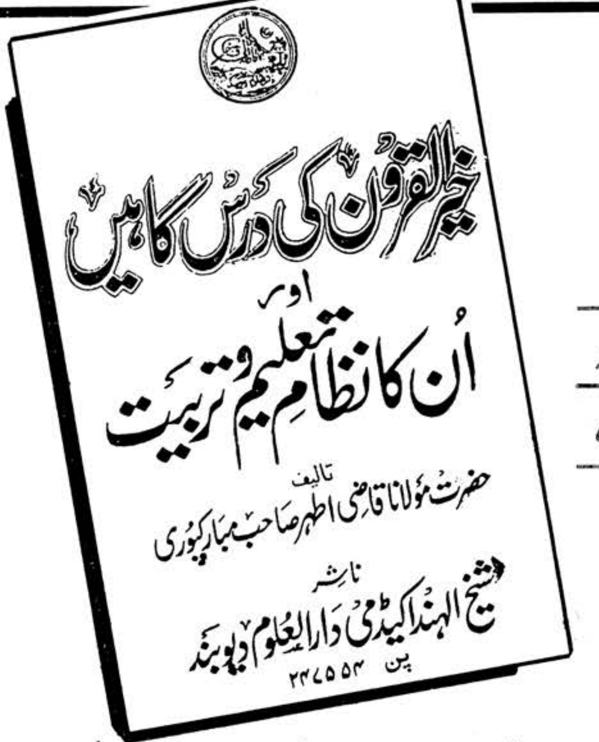

عرض لفضيلة الدكتور /
عبدالعزيز عزت عبدالجليل *

● قبل بضعة شهور أهدانى الأخ الفاضل الجليل أبو المعالى القاضى أطهر مبار كيورى مؤلفه الأخير « حلقات دروس خير القرون ونظام التربية والتعليم » للناشر شيخ الهند أكادمى دار العلوم ديوبند شعبان سنة ١٤١٥ هـ ـ يناير سنة ١٩٩٥ م .

● وللمؤلف الفاضل مصنفات عديدة فى اللغة الأردية ، وبعض منها فى اللغة العربية أذكر من بينها الآتى :ـ

١ ـ عرب وهند عهد رسالت مين	أردو ـ العرب والهند فى عهد الرسالة ترجمة د. / عبدالعزيز عزت عبدالجليل
٢ ـ هندوستان مين عربون كى حكومتين	الحكومات العربية فى السند والهند ترجمة د / عبدالعزيز عزت عبدالجليل
٣ ـ خلافت راشده أور هندوستان	الخلافة الراشدة والهند
٤ ـ خلافت أموية أور هندوستان	الخلافة الأموية والهند

* عضو لجنة الفتوى بالأزهر .

٥ ـ خلافت عباسية أور هندوستان	الخلافة العباسية والهند
٦ ـ سير ومغازى	أردو ـ السير والمغازى للرسول ﷺ
٧ ـ مآثر ومعارف	مآثر ومعارف ـ أردو
٨ ـ رجال السند والهند إلى القرن السابع	عربى ـ طبع دار الأنصار القاهرة

● وللقاضى الجليل بعض مؤلفات أخرى لم أحصل على نسخ منها ، علاوة على مقالاته الهادفة التى كان ينشرها فى جريدة ـ انقلاب ـ اليومية التى تصدر فى « بومباى » باب : أحوال ومعارف .

● يقول المؤلف فى مقدمة هذا الكتاب : لقد كتبت سابقاً عن نظام التعلم والتعليم فى الإسلام ، وكان أول عمل فى هذا المجال ما جمعته عن نظام التعليم فى عهد الرسالة ضمنته : مقالتين بمجلة البلاغ الأردية .

إحداهما بعنوان : دار الأرقم ومركز التعليم الإسلامى .

وثانيهما بعنوان : أدوار ترقى المدارس الإسلامية وقد ضممت هاتين المقالتين إلى كتابى : (مآثر ومعارف) ثم كتبت بعد ذلك كتاباً مختصرا بعنوان : (الأنشطة التعليمية فى عهد السلف) .

وكتابى الذى أقدمه اليوم « حلقات ومجالس الدروس فى خير القرون ، ونظام التعليم فى زمن خير القرون » يعنى فى العهد النبوى ، وعهد الصحابة ، وعهد التابعين كان يحتاج إلى مزيد من التوسع ، ويقتضى كذلك مزيدًا من الإحصاء والاستقراء ولكنه جاء نموذجاً كاشفاً عن مدى اهتمام الإسلام والمسلمين بالعلم والتعليم .

● وقد بدأ المؤلف كتابه هذا بتمهيد أُلقى فيه الضوء على المقامات والمراكز الأولى للعلوم الإسلامية ، وقيام المدارس ونشأتها فى عرض تاريخى للأدوار التى مرت بها فى مبدأ التاريخ الإسلامى .

● ثم تناول مجالس وحلقات الدروس فى العهد النبوى ، وعدَّ فيها فى مكة قبل الهجرة : حلقة مسجد أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ وحلقة بيت فاطمة بنت الخطاب ، وحلقة دار الأرقم بن أبى الأرقم .

وفى المدينة المنورة : حلقة المسجد النبوى الشريف ، وحلقة مسجد بنى رزيق ، وحلقة مسجد قباء ، وحلقة مسجد (نقيع الخضمان) ، وحلقة غميم بين مكة والمدينة .

● ثم تحدث عن أصحاب الصفة وصلة أطفال وشباب سكان هذه المناطق بهذه الحلقات ،

وكذلك صلة أطفال وشباب من خارج هذه المناطق بها ، وحالة المسنين ثم أبناء المعجم ، وتكلم عن بعض الصحابيات .

● وقد أوضح المؤلف طريقة التعليم التى كانت تتمثل فى السؤال والجواب تارة والإفهام والتفهيم تارة أخرى ، ومناقشة المتلقِّين بعضهم بعضا .

كما ذكر أنه كان من الأمور المعروفة فى هذه المجالس والحلقات بالنسبة لتعليم القرآن الكريم حفظ القرآن ، وزيادة أعداد الحفاظ ، والطريقة الثانية التجويد وحسن الصوت ، فضلا عن تعليم الكتابة ، وتشجيع دراسة علم الأنساب ، وغير ذلك من الأمور التى تتعلق بشئون الدارسين والمتلقين للعلم .

● وانتقل بعد ذلك إلى مجالس الدروس وحلقاتها فى عصر الصحابة وبدأ الحديث عن دور الصحابة فى أدائهم لهذه المهمة خاصة بعد أن انتشروا فى البلاد الإسلامية وعدم أخذهم أجراً على التعليم .

● وأوضح كيف كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يجمعون بين مختلف العلوم والفنون وعلم الدين والحديث .

● ومع عنوان : كيفية وهيئة الحلقات أو المجالس ؛ ذكر أن الرسول ﷺ كان يجلس عند عمود « أبو لبابة » ويتحلق الصحابة حوله فى مواجهته ، وأن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كانوا يتمثلون ذلك فى حلقاتهم ، وقد ورد عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال ـ لأحد المتابعين لهذه الحلقات : « عهدى بهذا المسجد ـ المسجد النبوى ـ كمثل الروضة اختر منها حيث شئت[(١)] .

● وقد اتسمت كل تلك المجالس أو الحلقات بالهيبة والوقار ، والذكر ، والدعاء ، فعن عبدالله ابن عُمر ـ رضى الله عنهما ـ أنه دعا فى إحدى هذه الحلقات بالدعاء الآتى : **اللهم اقسم لنا من خشيشك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما يبلغنا حبك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**[(٢)] .

● وبعد ذلك تكلم عن : « كتابة الحديث الشريف » ، وعن أصحاب الدروس من الصحابة ص ١٤٦ من الكتاب ونقل فى ذلك ما كتبه ابن خلدون فى مقدمته ص ٣٨٤ « ثم أن الصحابة لم يكونوا أهل فتيا كلهم ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاصلين

---

(١) المحدث الفاضل ص ١٨٥ .

(٢) عمل اليوم والليلة لابن السنى ص ١٢٠ .

منهم للقرآن الكريم ، العارفين بناسخه ، ومنسوخه ، ومتشابهه ، ومحكمة ، وسائر دلالته مما تلقوه عن النبى ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يُسَمَّوْن لذلك « القراء » أى الذين يقرءُون الكتاب .

● وأعقب ذلك بذكر أسماء خمسة وعشرين من حلقات ومجالس الدروس فى عهد الصحابة بدءاً من مجلس « أبىٍّ بن كعب الأنصارى ، وعبادة بن الصامت وسعد بن أبى وقّاص والبراء بن عازب ، وعائشة أم المؤمنين ، وانتهاءً بمجلس الخامس والعشرين منهم عقبة بن عامر الجهنى » .

● ثم ينتقل إلى عهد التابعين حيث أوضح مدى الاحتياط الذى ساد فى عهدهم بالنسبة لتحصيل العلم الدينى ، وضرورة ملاحظة النقد والجرح ، وبيان أهمية الحصول على السند أو الإجازة لمن يتصدى لهذا العمل ، وأبرز دور الأسفار العلمية التى قام بها نفر من التابعين .

● أورد بعد ذلك أسماء ثمانية وأربعين حلقة ومجلساً يأتى فى أولها حلقة « سعيد بن المسيب » وفى نهايتها حلقة « الليث بن سعد المصرى » .

● وتحدث بعد ذلك عن مكاتب التعليم والنظام الذى كانت عليه ، ونقل بعض الروايات التى تفيد أن أول من جمع الأولاد فى المكتب لتعليم القرآن « عمر بن الخطاب » — رضى الله عنه .

● كما نقل ما ورد فى « المحلى لابن حزم » من كلام مضين بن عطاء : كان بالمدينة ثلاثة معلمين يعلمون الصبيان فكان عمر يرزق كل واحد منهم خمسة عشر كل شهر[٣] .

● وذكر أن هذه المكاتب كانت تعطل يوم الجمعة وجاء ببيان حسن الرافعى بن أيوب الآتى : كنا نخرج كل يوم جمعة مع غلمان المدينة غلمان الكتاب » .

● ثم تحدث عن التأديب والعقاب فى سبيل تربية النشىء مستدلا بما ورد فى السنة .

● وفى آخر فصل من فصول الكتاب تناول عدداً من المجالس العلمية والدينية والأدبية فى المدينة المنورة على النحو التالى :

مجلس القلادة :

ومجلس القلادة هذا ذكره « محمد بن حسن بن زُبالة » المخزومى المتوفى سنة ١٩٩ هـ فى تصنيفه ـ تاريخ المدينة ـ « وأنه المجلس الذى يقال له مجلس القلادة وكان يجلس فيه سروات الناس قديماً » وقال عنه صاحب القاموس مجد الدين « وإنما سمى القلادة لشرف من كان يجلس فيه من بنى هاشم وغيرهم »[٤] .

(٣) المحلى لابن حزم جـ ٨ ص ١٩٥ وكنز العمال جـ ٢ ص ١٩٢ .
(٤) وفاء الوفاء جـ ١ ص ٤٤٩ ، ٤٥٠ .

وقال فى شأنه محمد بن حبيب البغدادى فى كتاب (المنمق) ص ٤٤٥ : « وكان ذلك المجلس يسمى مجلس القلادة يشبه القلادة المنظومة بالجوهر لحسنه وجماله وشرف أهله ، وفى قول لمعاوية ـ رضى الله عنه ـ لأحد المسافرين من الشام إلى المدينة : لن تبرح المدينة عامرة ما دام مجلس القلادة » .

● مجلس الفقهاء السبعة :

كان هؤلاء الفقهاء السبعة بمثابة المجلس الفقهى فى المسجد النبوى وهم كما أنشد الشاعر :

إذا قيــل : من فى العلــم سبعــة أبحر   روايتهم ليست عن العلــم خارجـــه
فقيـــل : هم عبيـــــد الله عروة قاسم   سعيـــد أبـــو بكـــر سليمـــان خارجــه

وفى بيان لعبد الله بن المبارك :

كان فقهاء المدينة سبعة ، وكانوا إذا جاءتهم المسألة دخلوا فيها جميعاً فنظروا فيها ولا يقضى القاضى حتى يرجع إليهم فينظرون(٥) .

● وحتى لا نطيل على القارىء فإننى أذكر المجالس الباقية التى تناولها باختصار مع الاقتصار على ذكر أسمائها : مجلس الشورى ، مجلس علماء المغازى والسير ، مجلس زين العابدين وعروة ، مجلس اللغة والأدب ، مجلس وادى عتيق ، مجلس بئر عروة ، مجلس قصر إسحاق بن يعقوب وأخيراً مجلس بنى المولى .

● كان ما سبق عرضاً موجزاً لما تناوله كتاب « حلقات دروس خير القرون » وهو فى الحقيقة كتاب ممتع لما اشتمل عليه من موضوعات نجدها مفرَّقة بين أمهات الكتب والمراجع فى السيرة والتاريخ . جزى الله مؤلفه خير الجزاء ، وجعله فى ميزان حسناته « يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ » . الشعراء ٨٨ ـ ٨٩

وهو وحده ولى التوفيق ،

---

(٥) تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٤٣٠ وسير أعلام النبلاء ذكر سالم بن عبدالله .

الشواهد النحوية بين الدلالة اللغوية والمتعة الأدبية

للأستاذ / عبد الحفيظ فرغلي على القرني

أنـا ابـن جلا وطـلاع الثنايـا   متـى أضع العمامـة تعرفـونى

تعود شهرة هذا البيت إلى استشهاد الحجاج بن يوسف الثقفى به فى مناسبة مشهورة ، وهى أنه حين وجهه عبدالملك بن مروان إلى العراق أميرا ، وكان أهلها قد شقوا عصا الطاعة .. وخلعوا الولاء للخليفة .. وشغبوا على الأمراء .. قصدوا إلى الكوفة فى إثنى عشر راكبا على النجائب ، حتى دخلها فجأة وقد انتشر النهار ، فدخل المسجد معتما بعمامة خز أحمر قد غطى بها وجهه .. وهو متقلد سيفا .. متنكب قوساً ، يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه ، حتى صعد المنبر ، ومكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس لبعضهم البعض : قَبّح الله بنى أمية . تستعمل مثل هذا على العراق !! .. حتى قال عمير بن ضابىء البرجمى : ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا له : أمهل الرجل حتى ننظر ، فلما رأى عيون الناس إليه حسر العمامة عن فيه .. ونهض فقال :

أنـا ابـن جلا وطـلاع الثنايـا
متـى أضع العمامـة تعرفـونى

والله يا أهل العراق .. إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها ، وإنى لصاحبها ، وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .. إلى آخر الخطبة المشهورة التى أرهبت العراقيين وأرعبتهم .

وغلبت مناسبة استشهاد الحجاج بهذا البيت حتى لا يذكره أحد إلا ويذكر قصة الحجاج مع أهل العراق وشدته عليهم وتأديبه لهم وبطشه بهم .

الشاهد النحوى فيه :

ولكن البيت مع ذلك شاهد من شواهد النحو المشهورة ، ذكره سيبويه فى كتابه ، وتبعه من جاء بعده من النحاة .. يستشهدون به على جواز منع صرف الاسم المنقول من الفعل بغض النظر عن كونه موازنا للفعل .

فقد قال عيسى بن عمر الثقفى ـ وهو من أئمة النحو المشهورين ، توفى سنة خمسين ومائة .

وهو صاحب الكلمة المشهورة التى تشهد بتقعر اللغويين : « مالكم تكأكأتم على تكأكؤكم على ذى جنة افرنقعوا » ـ قال : بأن « جلا » علم منقول من الفعل . وهو ممنوع من الصرف

لنقله ، فإذا سمى رجلٌ بقتل وضرب فإنه لا يصرف ، واستدل ببيت الشاهد .

ولكن بعض النحاة رد هذا القول ، وقال : إن « جلا » فى البيت ليست علما وحدها ، ولكن العلم هو الفعل مع ضميره المستتر ، فالعلم جملة محكية وليس مفردا .

ويُردَّ هذ الرد ـ ولو كان محكيا عن سيبويه ـ أن « جلا » ليس اسماً لأبى الشاعر الذى قال هذا البيت ، وليس لقباً له أيضا .. وذكر بعض النحاة أن هذه الجملة صفة لوالد الشاعر . ولكن ذلك مردود أيضا ، لأن شرط الجملة التى تقع وصفاً أن يكون الموصوف بعضاً من متقدم مجرور بـ «من » مثل قولك : مِناًّ ظَعَنَ ومِناًّ أقام . أى منا بعضٌ ظعن وبعض أقام . أو مجرور بـ « فى » مثل قولك : ما فى قومه يفضله أى أحد يفضله .

وقد ذكر صاحب الأمانى ـ أبو على القالى ـ فى كتابه : أن « جلا » فى اللغة معناه : المنكشف المشهور الأمر ، وذلك ما قرره المبرد أيضا فى كتابه الكامل حيث قال : إن معنى « جلا » المنكشف الأمر .

ويرجح الشيخ المرصفى فى شرحه على الكامل هذا الرأى فيقول : إن « جلا » ليس فعلا ، وإنما هو اسم مقصور من الجلاء ، فالمعنى : أنا ابن الواضح الأمر ، ويؤيد هذا أنهم يقولون : ابن جلا وابن أجلى .. وقيل جلا وأجلى معناهما الصبح .

ولكن يَرِدُ على هذا الرأى عدم تنوين جلا ، ولا موجب لمنع صرفه ، لذلك يرى بعض العلماء أنه لا مانع أن تكون هذه الكلمة علما محكيا .

وقد قال ابن منظور فى لسان العرب : ابن جلا رجل مشهور بالفتك : فيكون الشاعر قد قال ذلك على التشبيه « يعنى أنا كابن جلا فى الغارة والشدة » .

معنى آخر للاستعمال :

وهناك معنى آخر يذكره ابن الحاجب فى أماليه ، وهو أن يكون « جلا » اسماً لا فعلا .. وهناك مضاف محذوف وهو « ذو » ، والتقدير : أنا ابن ذى جلا ، والجلا هو انحسار الشعر عن مقدم الرأس ، أو نصف الرأس ، وهو ما يسمى بالصلع .

وقد جاء ذلك فى كتب اللغة ـ قال ابن منظور فى لسان العرب : الجلا بالقصر : انحسار مقدم الشعر ، يكتب بالألف ، وقيل : هو دون الصلع ، وقد جَلِيَ الرجل يَجْلَى جلًا . وهو أجْلَى ، وفى صفة المهدى ـ الذى يخرج آخر الزمان ـ أنه أجلى الجبهة .

ومواضع الصلع فى الرأس تسمى مجالى ؛ وهى مقاديم الرأس ، قال الفقهسى ـ وهو أبو محمد عبدالله بن رَبْعِى ـ يرثى حاله بعد أن اجتوته من يريدها :

قالت سليمى : إننى لا أبغيهْ
أراه شيخاً ذرئت مجاليه
يقلى الغوانى والغوانى تقليهْ

واحده مَجْلَى ، واشتقاقه من الجلا ، وهو ابتداء الصلع ، وذرئت مجاليه : شابت ، والصلع من سمات العبقرية ومخايل النجابة ، وهو من دلائل الكرم وأمارات الشجاعة ، والعرب يقولون : الذى ولد أصلع يكون كريما بحسب الغالب .

استعمال « جلا » فى لغة الشعراء :

وقد ورد لفظ « جلا » فى تعبيرات الشعراء مثل قول اللعين المنقرى(٭) يخاطب رؤبة بن العجاج :

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى
يا رؤبُ والحية الصمّاءُ والجبلُ
أبالأراجيز يابن اللؤم توعدنى ؟
وفى الأراجيز ـ خلت ـ اللؤم والفشل

يقول له : أنا ابن من لا ينكر يا رؤبة ، وأنا الحية الصماء التى تقتل من يتصدى لها ، وأنا الجبل الصعب المرتقى ، لا تحاول أن تخيفنى بأراجيزك المليئة باللؤم والفشل .

ومثل قول القلاخ بن جناب السعدى :

أنا القُلَاخُ بن جناب بن جلا
أبو خناثير يقود الجملا

والخناشير : الدواهى ـ كما جاء فى اللسان ـ .

معنى بيت الشاهد :

يقول الشاعر : أنا ابن رجل واضح الأمر كريم الأصل ، شجاع لا يهاب ، جلد يرتقى الصعاب ، إذا استعددت للحرب ولبست خوذتها (العمامة) رأيتم منى العجب .

والعمامة : يقصد بها خوذة الحرب ، ووضعها : يعنى لبسها وجعلها فوق الرأس .

وقد يكون وضعها بمعنى خلعها . ويؤيد هذا المعنى أن الرجل ـ كان ـ إذا قتل له قتيل لاث على رأسه عمامة ، وستر بها رأسه ، وخرج لطلب ثأره ، ومايزال هكذا متلثما حتى يأخذ بثأره ، فيضع أوزار الحرب ، ومن بينها العمامة ، ويساعد على هذا المعنى أن الحجاج بن يوسف الثقفى أنشد هذا البيت ، وهو يزيح اللثام عن وجهه .

قال ثعلب ـ وهو من أئمة النحو واللغة ـ : العمامة تلبس فى الحرب وتوضع فى السلم .

وعليه يكون المعنى : متى أضع العمامة تعلمون أنى الشجاع الذى لم أنم عن ثأرى .

من الشاعر ؟ :

والشاعر الذى قال هذا البيت هو : سُحَيْم بن وثيل بن أُعَيْفر بن أبى عمرو بن حمير الرياحى ، وهو شاعر مخضرم بين الجاهلية والإسلام ، عاش فى الجاهلية أربعين سنة ، وفى الإسلام ستين سنة ، وتوفى وهو ابن مائة عام .

وسُحَيْم : تصغير أسحم على الترخيم ، من السُّحْمَة وهى السواد .

ووثيل ـ بفتح الواو وكسر الثاء المثلثة ـ وهو فى اللغة : الليف والرشاد الضعيف ـ سُمِّىَ به ـ وقيل : هو بالتصغير ـ لضم الواو وفتح الثاء .

وأُعَيفر ـ تصغير أعفر .

وهو : شاعر يمنى الأصل لأنه منسوب إلى حمير ، وهو أبو قبيلة مشهورة فى اليمن .

وهو شاعر معروف فى الجاهلية والإسلام عَدَّه الجُمَحى فى الطبقة الثانية من شعراء الإسلام ، وقال : سُحَيم شاعر خِنْذِيذ(١) شريف مشهور الذكر فى الجاهلية والإسلام ، جيد الموضع فى قومه .

(٭) من شعراء بنى أمية ، اسمه : منازل بن زَمْعَه ، وكنيته : أبو الأكيدر .

(١) الخنذيذ بكسر الخاء : الشاعر المجيد المنقح المُغْلِق ، والخطيب المصقع ـ اللسان ـ .

مناسـبة القصـيدة :

والبيت المذكور من قصيدة مشهورة ذكرها الشيـخ عبدالـرحيم بن أحمد العبـاسى صاحب « معاهد التنصيص » بعد أن ذكر مناسبتها .. قال :

جاء رَجُلٌ إلى الأُبَيْرد الرياحى وابـن عمـه الأحوص ، وهما من رُدف[٢] الملاك من بنى رياح يطلب منهما قَطِرانا يهنأ به إبله ، فقالا له : إن أنت أبلغت سحيم بن وثيل الرياحى هذا الشعر أعطيناك ما تطلب .. فقال لهما : قولا ..

فقالا له : أبلغه :

فإن بداهتـــى وجـــــراء حولى
لذو شِـــقٍّ على الحَطِـــمِ الحروق[٣]

وهذا البيت تعريض لسحيم بأنه لا يبلغ غايته لكبره وعجزه .

فلما جاء هذا الرجل إلى سحيم وأنشده البيت أخذ عصاه ، وانحدر إلى الوادى يقبل فيه ويدبر ويهمهم بالشعر ، ثم قال له : اذهب فقل لهما :

أفاطـــم قبـــل بيـــــنك متعينــــــى
ومنـــعك ما سألتُ كأن تبينـــــى
فإن عُلَالتـــــى وجـــــراء حولى
لذو شق على الضرع الظَّنُـــــــون[٤]

أنـا ابـن الغُــرِّ من سلفــى ريــاح
كنصل السيـــــــف وضاح الجبين
أنـــا ابـــن جلا وطـــلاع الثنايـــا
متـــى أضع العمامـــة تعرفـــونى
وإن مكاننـــــــا من حِمْيَـــــرى
فكـــان اللـــيث من وسط العريـــن
وإنى لا يعـــــــــود إلى قِرنى
غداة الـــــغب إلا فى قريـــــــن[٥]
بذى لِبَــد يصد الـــركب عنـــه
ولا تؤتـــى فريستـــه لحيـــــن[٦]
عذرت البُــزل إذ هى صاولتنـــى
فمـــا بالى وبـــال ابنـــى لبـــونِ[٧]
ومـــاذا يبتغـــى الشعـــراء منـــى
وقـد جـــاوزت حـــد الأربعيـــن
أخـــــو الخمسين مجتمـــــع أشدى
وَنَجَّـــذَنى مداورة الشئـــــون[٨]

إلى آخر القصيدة ..

فجاء الرجل إلى الأبيرد والأحوص فأنشدهما ما قال : فذهبا إليه واعتذرا له ..

رأى لابن قتيبة فى نسبة القصيدة :

وقـال ابـن قتيبـــة فى كتابـــه « الشعـــر

---

(٢) ردف ـ بضمتين ـ جمع ردف ـ بكسر فسكون ـ وهو الذى يجلس على يمين الملك ويحل مكانه حين يغزو فيكون خليفته حتى يعود ، وله ربع الغنيمة .

(٣) البداهة : أول جرى الفرس ، والجراء : مصدر جاراه ، والحول : العام ، والحطم ـ بفتح الحاء وكسر الطاء ـ : الهرم المسن ـ والشن ـ بكسر الشين : المشقة ، والحرون : الفرس الذى لا يقاد ، وإذا اشتد به الجرى وقف .

(٤) العلالة : بقية جرى الفرس ، ضرع : ضعيف ، والظنون : قليل الحيلة .

(٥) غداة الغب : اليوم الذى يسوقون فيه إبلهم ، والقِرن : الكفء والقرين : المصاحب .

(٦) ذى لبد : أسد مفترس ، يقول : إن قرنى لا يجرؤ على لقائى إلا مع رفيق كالأسد .

(٧) البزل جمع بازل وهو البعير المسن ، وابن اللبون : ولد الناقة إذا دخل فى السنة الثالثة .

والشعراء »[٩] : مطلع هذه القصيدة مع أبيات آخر : هى للشاعر المُثقّب العبدى ، قال : لو كان الشعر كله على هذه القصيدة لوجب على الناس أن يتعلمه .. وهذا ما رواه ابن قتيبة :

أفاطم قبل بينك متعينى
ومنعك ما سألت كأن تبينى
ولا تبدى مواعد كاذبات
تمر بها رياح الصيف دونى
فإنى لو تخالفنى شمالى
بنصر لم تصاحبها يمينى
إذن لقطعتها ولقلت : بينى
كذلك أجتوى من يجتوينى[١٠]
فإما أن تكون أخى بحق
فأعرف منك غثى من سمينى[١١]
وإلا فاطرحنى واتخذنى
عدوًا أتقيك وتتقينى
وما أدرى إذا يممت أرضا
أريد الخير أيهما يلينى ؟
أألخيرُ الذى أنا أبتغيه
أم الشرُّ الذى هو يبتغينى ؟

والأبيات السابقة تقوى أنها لسحيم ، أما اتفاقهما فى المطلع فهو من باب توارد الخواطر .

شاهد بلاغى فى البيت :

ويستشهد البلغاء بهذا البيت على الإيجاز بالحذف ، ذكر ذلك صاحب « معاهد التنصيص »[١٢] .

فإن الشاعر أراد قوله : أنا ابن الذى جلا ، أو ابن رجل جلا ، فقد حذف الموصوف اكتفاء بالصفة أو حذف الموصول اكتفاء بصلته .

طرفة أدبية حول البيت :

أخذ بعض الشعراء الظرفاء معنى البيت وضمنه فى شعر له ، يعرض فيه برجل أصابه داء الثعلب وذهب بشعره وأصبح أقرع ، وكان هذا الرجل اسمه الرشيد ؛ فقال الشاعر :

عجبت لمعشر غلطوا وغَضُّوا
من الشيخ الرشيد وأنكروه
هو ابن جلا وطلاع الثنايا
متى يضع العمامة تعرفوه

ومن لطيف التورية ما قاله أحد الشعراء أيضا :

يُسَرُّ بالعيد أقوامٌ لهم سِعَةٌ
من الثراء ، وأما المقترون فلا
هل سرَّنى وثيابى فيه قومُ سَبَا
أو راقنى وعلى رأسى به ابن جَلَا ؟

فهو يعنى بقوله قوم سبأ قوله تعالى :

• ﴿ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ﴾ .

(سبأ : ١٩)

ويعنى بقوله « وعلى رأسى به ابن جلا » : أنه لا عمامة له ؛ لأن ابن جلا لم يعرف إلا بعد رفع عمامته .. أو ذهبت عمامته ..

---

(٨) نجدنى : هذبنى ، والشئون : الأحوال .
(٩) ص ٢٣٤ .
(١٠) أجتوى : أقلى وأهجر .
(١١) الغث : المهزول الذى لا غناء فيه .
(١٢) جـ ١ ص ٣٣٩ .

أبو منصور الثعالبي

- ٢ -

وكتابه فقه اللغة

د. محمد رياض السيد كريم (*)

كتاب فقه اللغة

هذا الكتاب من معاجم المعانى التى يؤمها من يعرف المعنى ويريد الوقوف على اللفظ الذى يعبر عن هذا المعنى ، وهو وإن كان الثعالبى فيه جماعاً لأقوال أئمة اللغة إلا أن هذا الجمع ونسجه وبناء أبواب وفصول منه تضم متناثر هذه الأقوال لتصير عقداً واحداً يزين به جيد فكره اللغوى كل محب للغة القرآن ـ لعمل رائع يستحق كل تقدير .

ولعلك تدهش معى إذا علمت أن أبا منصور الثعالبى حمل على تأليف هذا الكتاب حملاً ، وسيق إلى تصنيفه سوقاً من الأمير أبى الفضل الميكالى الذى كان صاحب فكرته ، والآمر به ، والمعين عليه .

---

* أستاذ مساعد بكلية اللغة العربية بالزقازيق

وقد أشار إلى ذلك الثعالبى نفسه فى مقدمته بقوله : «كانت تجرى فى مجلسه (أى مجلس الأمير أبى الفضل الميكالى) ـ آنسه الله ـ نكت من أقاويل أئمة الأدب فى أسرار اللغة وجوامعها، ولطائفها وخصائصها، مما لم يتنبهوا لجمع شمله، ولم يتوصلوا إلى نظم عقده، وإنما اتجهت لهم فى أثناء التأليفات، وتضاعيف التصنيفات، لمع يسيرة كالتوقيعات، وفِقَرٌ خفيفة كالإشارات، فيلوِّح لى ـ أدام الله دولته ـ بالبحث عن أمثالها، وتحصيل أخواتها، وتذييل مايتصل بها، وينخرط فى سلكها، وكسر دفتر جامع عليها، وإعطائها من النِّيقة[1] حقها، وأنا ألوذ بأكناف المحاجزة، وأحوم حول المدافعة، وأرعى روض المماطلة، لاتهاونا بأمره الذى أراه كالمكتوبات، ولا أميزه عن المفروضات، ولكن تفادياً من قصور سهمى عن هدف إرادته، وانحرافاً عن الثقة بنفسى فى عمل مايصلح لخدمته، إلى أن اتفقت لى فى بعض الأيام، التى هى أعياد دهرى، وأعيان عمرى، مواكبة القمرين، بمسايرة ركابه، ومواصلة السعدين، بصلة جنابه، فى متوجهه إلى فيروز آباد إحدى قراه الشامات، ومنها إلى خُداى داد، عمرها الله بدوام عمره، فلما :

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا
وسالت بأعناق المطىّ الأباطح

وعدنا للعادة عند الالتقاء فى تجاذب أهداب الآداب، وفتق نوافج[2] الأخبار والأشعار، أفضت بنا شجون الحديث إلى هذا الكتاب المذكور، وكونه شريف الموضوع، أنيق المسموع، إذ أُخرج من العدم إلى الوجود، فأحلت فى تأليفه على بعض حاشيته من أهل الأدب إذا أعاره ـ أدام الله قدرته ـ لمحة من هدايته، وأمده بشعبه من عنايته، فقال لى ـ صدق الله قوله، ولا أعدم الدنيا جماله وطوله، كما أذاق العدا بأسه وصوله :

إنك إن أخذت فيه أجدت وأحسنت، وليس له إلا أنت. فقلت له : سمعاً سمعاً. ولم أستجز لأمره دفعا، بل تقبلته باليدين، ووضعته على الرأس والعين[3]» .

وكان الأمير معه كالمشرف على رسالة علمية فى زمننا، يأخذ بيد الباحث، ويقدم له النصح ابتغاء النجح، حتى تخرج رسالته إلى الناس تامة الجودة، حسنة الرواء .

يقول الثعالبى : «فأقام لى فى التأليف معالم أقف عندها وأقفو حدها، وأهاب بى إلى ما اتخذته قبلة أصلى إليها، وقاعدة أبنى عليها، من التمثيل والتنزيل، والتفصيل والترتيب، والتقسيم والتقريب، وكنت إذ ذاك مقيم الجسم، شاخص العزم، فاستأذنته فى الخروج إلى ضيعة لى متناهية الاختلال، بعيدة المزار، فاجمع فيها بين الخلوة بالتأليف، وبين الاستعمار، فأذن لى ـ أدام الله غبطته ـ على كره منه لفرقتى، وأمر ـ أعلى الله أمره ـ بتزويدى من ثمار خزائن كتبه ـ عمرها الله بطول عمره ـ ما أستظهر به على ما أنا بصدده، فكان كالدليل يعين ذا السفر بالزاد، والطبيب

(١) فى القاموس (ن و ق) : «تنيّق فى مطعمه وملبسه : تجوّد وبالغ كتنوّق، والاسم : النِّيقة بالكسر» .

(٢) نوافج جمع نافجة وهى وعاء المسك . (القاموس : ن ف ج) .

(٣، ٤، ٥) فقه اللغة وسر العربية : ص ٢٨، ٢٩، ٣٣ .

يتحف المريض بالدواء والغذاء[٤] » .

وهذا الأمير هو الذى سمى الكتـاب (فقـه اللغة) ، واختار له هذا العنوان ، يقول الثعالبى فى مقدمته : «وقد اخترت لترجمتـه ، ومـاأجعلـه عنوان معرفته ، ما اختاره ـ أدام الله توفيقه ـ من (فقه اللغة) وشفعته بـ (سر العربية) ليكون اسما يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه[٥] » .

ويبدو أن هذا الأمير استمد تلك التسمية من أحمد بن فارس صاحب كتاب (الصاحبى فى فقه اللغة) الذى يعد «أول من سمى من العلماء بفقه اللغة ، إذ لم يعثر أحد من الباحثين إلى الآن على أن أحداً سمى بها قبله[٦] » .

عنوانه :

مرّ بك آنفا أن الأمير أبا الفضل الميكالى هو الذى اختار عنوان هذا الكتاب ، وسمّاه (فقه اللغة) ، وقد ذُكِرَ كتابٌ آخر للثعالبى ضمن كتبه تحت عنــوان : (سر الأدب فى مجارى كلام العرب) ذكـره له أبــو البركات الأنبــارى[٧] وغيره[٨] ، تناول فيـه الثعالبـى سنـن العـرب فى كلامها مع الاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثر ما يذكره .

وقد جمع الثعالبى نفسه بين كتابى (فقه اللغة) و(سر الأدب) فى كتاب واحد سماه : (فقه اللغة وسر العربية) نشر بتحقيق مصطفـى السقـا ، وابراهيم الأبيارى ، وعبدالحفيظ شلبى ، وقد مر بك قوله فى مقدمته : «وقد اخترت لترجمته ، ماأجعله عنوان معرفته ، ما أختاره ـ أدام الله توفيقه ـ (يعنى الأمير أبا الفضل الميكالى) من (فقه اللغة) وشفعته بـ (سر العربية) ليكون اسماً يوافق مسماه ، ولفظاً يطابق معناه» .

ويبدو لى أن أبا منصور الثعالبى رأى أن العنوان الذى اختاره الأمير أبو الفضل الميكالى للكتاب وهو (فقه اللغة) لايتناسب مع موضوع الكتاب ، فأضاف إليه (سر العربية) الذى هو كتاب (سر الأدب فى مجارى كلام العرب) الذى ينهج فيه نهج ابن فارس فى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها) ونقل فيه عن ابن فارس وإن كان لم يشر إليه عندئذ .

ومما يدل على جمعه بين الكتابين أيضا أنه عند حديثه عن النحت فى القسم الثانى من الكتاب وهو سر العربيـة فى مجارى كلام العـــرب وسننها والاستشهاد بالقرآن على أكثرها ، قال : «وقد تقدم فصل شاف فى حكاية أقوال متداولة من هذا الجنس[٩] » . وهذا الفصل الذى يعنيه موجود فى القسم الأول وهو (فقه اللغة) تحت عنوان فصل شاف فى حكاية أقوال متداولة على الألسنة[١٠] » .

وقد حمل هذا الكتاب الذى ضم الكتابين معاً عنوان (شمس الأدب فى استعمال العرب) أيضاً ، فقد ذكر بروكلمان لأبى منصور الثعالبى كتاباً بهذا العنوان ، وقال عنه : «كتاب فى المترادف ، ألفه وقد تقدمت به السنن ، وهـو مقسم إلى قسمين :

---

(٦) دراسات لغوية للدكتور أمين فاخر : ص١٧ .

(٧) نزهة الألباء : ص ٣٦٥ .

(٨) انظر : من عيون التـواريخ (٤٥٩/١٣) وطبقـات النحـاه واللغويين (١٠٩/٢) وكشف الظنون (٩٨٥/٢) وهدية العارفين (٦٢٥/١) .

(٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٧٨

(١٠) نفسه : ص٢١٦ .

١ ـ أسرار اللغة العربية وخصائصها ، المترادف بالمعنى الضيّق .

٢ ـ مجارى كلام العرب برسومها ومايتعلق بالنحو والإعراب منها ، والاستشهاد بالقرآن الكريم على أكثرها ، أو سر الأدب فى مجارى كلام العرب ، وهو ملاحظات أسلوبية ، ومعظمه مأخوذ حرفياً من فقه اللغة لأحمد بن فارس[١١] » .

ثم ذكر بروكلمان له كتاباً آخر بعنوان (فقه اللغة وسر العربية) وقال : «وهو يحتوى على الجزء الأول من الكتاب السابق[١٢]» .

ولفت نظرى إشارته إلى نشر مصطفى السقا وصاحبيْه له ، والذى نشره هؤلاء هو الجزء الأول والثانى من الكتاب السابق الذى ذكره ، وليس الجزء الأول فقط كما قال ، مما يدل على أن هذا الكتاب سمى (شمس الأدب فى استعمال العرب) و(فقه اللغة وسر العربية) ، وقد سمى أيضاً (سر الأدب) فقد اطلعت على نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية بهذا العنوان ، وهى تحت رقم (٦١٧ لغة) لأبى منصور الثعالبى ، وظهر لى أنها (فقه اللغة وسر العربية) بقسميه .

ولأبى منصور الثعالبى كتاب آخر تحت عنوان (لباب الآداب) حققه الدكتور قطان رشيد صالح ، ونشر ببغداد سنة ١٩٨٨م ، وهو قسمان :

القسم الأول منه هو بعينه كتاب (فقه اللغة) للثعالبى . إلا أنه لم يذكره بهذا العنوان ، بل قال فى مقدمته : «القسم الأول فى أسرار اللغة وجوامعها ، وطرائق العربية وخصائصها[١٣]» .

أما القسم الثانى من الكتاب فهو عبارة عن بعض الفصول التى تشتمل على رسائل أدبية فى تهنئة أو تعزية ونحو ذلك ، وقد وضع هذا القسم من الكتاب مكان القسم الخاص بسر العربية فى كتابه (فقه اللغة وسر العربية) .

قيمته العلمية

لهذا الكتاب أثره الذى لاينكر فى التأليف اللغوى بوجه عام ، وممن عرف له قدره من علماء اللغة السيوطى فى مزهره ، والزبيدى فى تاج العروس ، فقد نقل السيوطى منه فصولا كاملة فى كتابه (المزهر فى علوم اللغة وأنواعها[١٤]) وقال عنه : «وهو مجلد جمع (أى الثعالبى) فيه فأوعى[١٥]» .

وعده الزبيدى ضمن الكتب التى اعتمد عليها فى تأليف معجمه الجامع (تاج العروس من جواهر القاموس[١٦]) .

هذا ، وكتاب فقه اللغة وسر العربية قسمان :

القسم الأول منه تحت عنوان (فقه اللغة) .

والقسم الثانى تحت عنوان (سر العربية) .

والقسم الأول يقع فى ثلاثين بابا ، ويضم من الفصول مايناهز ستمائة فصل ، ويشغل معظم الكتاب ، وهو الذى يعد من معاجم المعانى وقد تميز بحسن التبويب والتقسيم ، وضم ماتناثر من ألفاظ اللغة فى كتب شتى فى مكان واحد يجمعها ، ومن أبرز أبوابه ذلك الباب الذى عقده الثعالبى لما

(١١ ، ١٢) تاريخ الأدب العربى لبروكلمان : ١٨٨/٥ .
(١٣) لباب الآداب : ١٩/١ .
(١٤) انظر المزهر : ١٢٣/١ ، ٢٦٨ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٥٠ .
(١٥) نفسه : ٤٣٧/١ .
(١٦) انظر تاج العروس : ٤/١ .

يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية ، وأورد فيه أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية مستعملة ، مثل : الكف والساق ، وأسماء قائمة فى لغتى العرب والفرس على لفظ واحد ، كالدينار والدرهم ، وأسماء تفردت بها الفرس دون العرب ، فاضطرت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هى ، كالكوز والابريق ، ومانسبه بعض الأئمة إلى اللغة الرومية كالفردوس[17] .

والقسم الثانى من الكتاب يقع فى تسعة وتسعين فصلاً ، ويستغرق جزءاً صغيراً من الكتاب ، ويتبع فيه الثعالبى خطو ابن فارس فى كتابه (الصاحبى فى فقه اللغة العربية وسنن العرب فى كلامها) ناقلا منه ، بادئاً بعض فصوله بقوله : «ومن سنن العرب» كما يفعل ابن فارس ، وإن كان لم يشر إليه عند النقل[18] .

وقد تناول فيه بعض المباحث اللغوية ، كالقلب ، والإبدال ، والنحت ، والتضاد والمشترك اللفظى ، إلى جانب بعض الموضوعات البلاغية ، كالتشبيه . والاستعارة ، والطباق ، والجناس ، والحشو ، الى غير ذلك من سنن العرب فى كلامها .

منهجه :

تميز منهج الثعالبى فى الكتاب بما يلى :

١ ـ الجمع مع الاهتمام فى الغالب بنسبة مايذكره إلى أصحابه من أئمة اللغة ، كقوله : «الوَهَمُ : الجمل الضخم ، عن الليث . العُلْكُوم : الناقة الضخمة ، عن الأصمعى . الجِحِنْبارة : الرجل الضخم ، عن ابن السُّكّيت عن الفراء . الجَأْبُ : الحمار الضخم ، عن ابن الأعرابى[19]» .

٢ ـ الاهتمام بتحقيق مايورده فى كتابه غير مكتف بالنقل ، كقوله : «فصل وجدته عن أبى الحسن أحمد بن فارس ثم عرضته على كتب اللغة فصح[20]» .

فإذا لم يقم بالتحقيق ألقى بعهدة مايذكره على من نقل عنه ، كقوله «فصل فى تعديد ساعات النهار والليل على أربع وعشرين لفظة عن حمزة بن الحسن وعليه عهدتها[21]» .

٣ ـ الإيجاز والاختصار ، وقد أدى به ذلك إلى حذف الشواهد فى الغالب ، فنجده يكتفى عند ذكر اللفظ بقوله : «وقد نطق به القرآن» أو «وهو فى شعر الأعشى» أو «فى شعر لبيد» أو «فى شعر الحطيئة» وهكذا[22] ، ولايذكر الشاهد .

٤ ـ العناية باللغات ، وقد عقد لها فصلا تحت عنوان (فصل فى حكاية العوارض التى تعرض لألسنة العرب) ، ومما جاء فيه قوله : «اللَّخْلَخانيّة تعرض فى لغات أعراب الشِّحر وعُمان ، كقولهم : مشا الله كان ، يريدون : ما شاء الله كان[23]» .

٥ ـ الإشارة إلى المولّد ، كقوله فى الفصل الذى عقده لترتيب القصاع : «فاما الغَضارة فإنها مولّدة ، لأنها من خزف ، وقصاع العرب كلها

(١٧) أنظر فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٠٤ وما بعدها .

(١٨) أنظر ـ على سبيل المثال ـ فقه اللغة وسر العربية : ص ٣٧١ ، ٣٧٣ والصاحبى ص ٣٢٩ ، ٣٤١ .

(١٩) فقه اللغة وسر العربية : ص ٦١ .

(٢٠ ، ٢١) نفسه : ص ٤٣ ، ٣١٥ .

(٢٢) انظر فقه اللغة وسر العربية : ص ٥٧ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ١٦٣ .

(٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥) نفسه ص ١٢٩ ، ٢٦٢ ، ٢٨٩ .

من خشب[٢٤]» .

٦ ـ التنبيه على الأصل فى الاستعمال أحيانا ، كقوله : «الوَرْطة : تقع فيها الغنم فلا تقدر على التخلص منها ، ثم صارت مثلا لكل شدة يقع فيها الإنسان[٢٥]» . وقوله : «الشَّوْبُ والمَـذْقُ : خلط اللبن بالماء ، والقطب كذلك ، ومن ذلك يقال : جاء القوم قاطبة ، أى : جميعا مختلطين بعضهم ببعض[٢٦]» .

وقد يذكر مايصلح معه التأريخ لاستعمال بعض الألفاظ فى معنى من المعانى ، كقوله : «فإذا كان (أى الفرس) لاينقطع جريه ، فهو بحر شبه البحر الذى لاينقطع ماؤه ، وأول من تكلم بذلك النبى ﷺ فى وصف فرس ركبه[٢٧]» . وقوله : «فإذا مات (أى الإنسان) عن غير قتل قيل : مات حتف أنفه ، وأول من تكلم بذلك النبى ﷺ[٢٨]» .

٧ ـ الاهتمام بالمعرّب ، وخير مثال لهذا ذلك الباب الذى عقده لما يجرى مجرى الموازنة بين العربية والفارسية ، وقد مرت الإشارة إليه آنفاً .

٨ ـ العناية باصطلاحات الأطباء ، كقوله : «الحَتْرُ عند أهل اللغة أن يخرج فى العين حبّ أحمر ، وأظنه الذى يقوله الأطباء الجرب[٢٩]» .

وقد أورد فصلا فى تفصيل أسماء الأمراض وألقاب العلل والأوجاع ، وقال : «جمعت فيها بين أقوال أئمة اللغة واصطلاحات الأطباء[٣٠]» .

٩ ـ الاهتمام بالاستعمال المجازى ، كقوله : فصل فى الاستعارة ، عين أخضر ، موت أحمر ، نعمة بيضاء ، يوم أسود ، عدو أزرق[٣١]» .

١٠ ـ عدم الاستقصاء ، وقد اعترف الثعالبى بذلك فى بعض فصول الكتاب ، وذلك قوله : «فصل فى تسميه المتضادين باسم واحد من غير استقصاء[٣٢]» . وقوله : «فصل فى تفصيل أوجاع الأعضاء وأدواتها على غير استقصاء[٣٣]» .

مآخذ

مما يؤخذ على الثعالبى فى كتابه مايلى :

١ ـ الاضطراب ، وذلك بوضع بعض الفصول فى غير أماكنها ، وقد اعترف الثعالبى بذلك ، إذ قال فى الفصل الذى عقده لتفصيل أوصاف السنة الشديدة المحل : «وماأنسانيها إلا الشيطان أن أذكرها فى باب الشدة والشديد من الأشياء ، فأوردتها هاهنا عند ذكر الفقر بكونها من أقوى أسبابه[٣٤]» .

وإذا كان الثعالبى وجد سبباً يسوّغ ذكر هذا الفصل فى الموضع الذى وضعه فيه ، فهو لم يجد سبباً فى فصل آخر وضعه فى غير مكانه ، وهو فصل تفصيل نصال السهام ، فقد قال : «وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره فى فصولها التى تقدمت فصول القسىّ[٣٥]» .

٢ ـ عدم الاستقصاء ، ولذا وجدت السيوطى فى كتابه «المزهر» يستدرك عليه بعض مافاته فى الفصل الذى عقده للعموم والخصوص[٣٦] بعد أن نقله كاملاً فى كتابه ، يقول السيوطى معقباً عليه : «ومما لم يذكره الثعالبى : قال ابن دريد : الصبابة : رقة الهوى ، والحب ،

(٢٦ ، ٢٧ ، ٢٨) نفسه ص ٢٦٦ ، ١٧٢ ، ١٥٢ .
(٢٩ ، ٣٠ ، ٣١) نفسه : ص ١٢٤ ، ١٤٥ ، ١٠٦
(٣٢ ، ٣٣) نفسه : ص ٣١٥ ، ١٤٣ .
(٣٤ ، ٣٥) نفسه : ص ٨٥ ، ٢٥٥
(٣٦) انظر هذا الفصل فى فقه اللغة وسر العربية : ص ٣١١ ، ٣١٢ .

وقال نفطويه : الصبابة : رقة الشوق ، والعشق : رقة الحب ، والرأفة : رقة الرحمة . وقال أبو عبيد فى الغريب المصنف : سمعت الأصمعى يقول : الرَّبْعُ هو الدار حيث كانت ، والمربَع : المنزل فى الربيع خاصة ، والعَقار : المنزل فى البلاد ، والضياع ، والمنتجع : المنزل فى طلب الكلأ . الفم : واحد الأفواه للبشر وكل حيوان ، وأفواه الأزقة خاصة ، واحدها فُوهة ، مثال حمرة ، ولايقال فم ، قاله الكسائى .

وفى الجمهرة : فُوّهة النهر : الموضوع الذى يخرج منه ماؤه ، وكذلك فُوّهة الوادى ، قال : وأفواه الطيب واحدها فوه .

وفى الجمهرة : الفحيح من كل حيّة ، وهو صوتها من فيها ، والكشيش للأفعى خاصة ، وهو صوت جلدها إذا حكت بعضه ببعض .

وفى مقاتل الفرسان لأبى عبيدة : السُّهر فى الخير والشر ، والأرق لايكون إلا فى المكروه وحده[٣٧] » .

ومما يخفف من هذا المأخذ أن الثعالبى نفسه صرح بعدم الاستقصاء فى بعض فصول كتابه كما ذكرنا آنفا فى منهجه .

٣ ـ ذكره اللفظ مع ما يفيد أنه مطلق ثم إعادة ذكره فى مكان آخر مع ما يفيد أنه مقيد ، كقوله : « حذر كل شىء : أصله ، ومثله الجذْم[٣٨] » .

وقوله بعد ذلك : « الشِّنْخُ : أصل السنّ ، وكذلك الجِذم[٣٩] » .

ولعل ذلك مردّه إلى نقله عن غير واحد من أئمة اللغة ، فالقول الأول ذكره من تعليقاته عن أبى بكر الخوارزمى أستاذه .

٤ ـ إشارته أحيانا إلى بعض الشواهد من القرآن الكريم والشعر دون ذكره ، كما مرّ فى حديثنا عن منهجه .

هذه بعض الملاحظات التى بدت لنا وهى لاتغض من قيمة الكتاب وجهد صاحبه فيه .

رحم الله أبا منصور الثعالبى وجزاه خير الجزاء جزاء ماقدم من خدمات للغة القرآن الكريم .

---

(٣٧) المزهر : ٤٣٤/١ .

(٣٨) فقه اللغة وسر العربية : ص ٤٤

(٣٩) نفسه : ١١٧ .

من المناظرات بين النحاة والفقهاء

بقلم
الدكتور
جمال عبد العزيز أحمد

الحمد لله وحده ، وصلاة وسلاماً على من لانبى بعده .. وبعد

فإنه من غير شك أن للنحو دوراً أساسياً وغير منكور فى كشف معانى النص الشرعى ، إذ النحو أصل من أصول الدين ، ومعتمد من معتمدات الشريعة ، وما كان لباحث يتصدى للنظر فى القرآن الكريم والكتابة عنه أن يستقيم له فيه رأى ، أو يصح له حكم إلا أن يكون فقيها فى العربية ، ذلك لأن منزلة النحو من العلوم اللسانية منزلة الدستور من القوانين الحديثة ، هو أصلها الذى تستمد عونه ، وتستلهم روحه ، وترجع إليه فى جليل مسائلها وفروع تشريعها ، فلن تجد علما من تلك العلوم يستقل بنفسه عن النحو ، أو يستغنى عن معونته ، أو يسترشد بغير نور هداه .

قال أبو هلال العسكرى : « ومما اختص به علم العربية من الفضل أن كل علم يفتقر إليه ، ولهذا تنافس فيه جلّة العلماء ، وأعاظم الفقهاء » .

(•) الكاتب : مدرس بكلية دار العلوم ـ جامعة القاهرة

واحتياج الفقيه للنحو ظاهر للمقلد فى عدة أبواب كالأقارير والطلاق والعتق ونحوه ، وللمجتهد فى كل باب ، لأن النحو من جملة شروط المجتهد المطلق .

وتعلم النحو ومعرفته ضرورى فى تعلم الشريعة — كما يقول ابن خلدون — لأن مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهى بلغة العرب ، ونقلتها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلابد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة .

هذا وقد سجلت لنا كتب التراجم والطبقات والأحاجى والألغاز بعض المناظرات التى دارت بين النحاة والفقهاء نورد بعضها حتى يتضح اهتمام سلف الأمة بعلم النحو تعلما وتعليما .

والمناظرة اصطلاحاً : تردد الكلام بين شخصين ، يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله ، وإبطال قول صاحبه ، مع رغبة كل منهما فى ظهور الحق. واللفظ مأخوذ من الرباعى « ناظر يناظر » مناظرة .

المناظرة الأولى :

بين الإمام أبى يوسف صاحب أبى حنيفة ، ورد فيها أن أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال : حدثنى سلمة عن الفراء قال :

كتب الرشيد فى ليلة من الليالى إلى أبى يوسف صاحب أبى حنيفة : أفتنا — حاطك الله — فى هذه الأبيات :

فإن ترفقى ياهندُ فالرفق أيمنُ ... وإن تخرقى ياهندُ فالخرق أشأمُ
فأنت طلاقٌ والطلاقُ عزيمةٌ ثلاثٌ ... ومن يَخْرِقْ أعقُّ وأظلمُ
فبينى بها إنْ كنتِ غير رفيقةٍ ... وما لامرىء بعد الثلاث مقدَّمُ

فقد أنشد البيت «عزيمة ثلاث» بالرفع ، « وعزيمة ثلاثا » بالنصب ، فكم تطلق بالرفع ، وكم تطلق بالنصب ؟ قال أبو يوسف : هذه مسألة فقهية نحوية ، إن قلت فيها بظنى لم آمن الخطأ ، وإن قلت : لاأعلم قيل لى : كيف تكون قاضى القضاة وأنت لاتعرف مثل هذا . قال أبو يوسف : ثم ذكرت أن أبا الحسن على بن حمزة الكسائى معى فى الشارع فقلت : ليكن رسول أمير المؤمنين بحيث يُكرم ، وقلت للجارية : خذى الشمعة بين يدى فدخلت على الكسائى وهو فى فراشه ، فأقرأته الرقعة . فقال لى : خذ الدواة واكتب : أما من أنشد البيت بالرفع ، فقال :

«عزيمة ثلاث» فإنما طلقها واحدة . وأنبأها أن الطلاق لايكون إلا بثلاثة ، ولاشيء عليه .

وأما من أنشد «عزيمة ثلاثاً» فقد طلقها وأبانها ؛ لأنه كأنه قال : أنت طالق ثلاثاً .

قال أبو يوسف : وأنفذت الجواب ، فحملت إلى آخر الليل جوائز وصلات ، فوجهت بالجميع إلى الكسائى .

تعقيب على المناظرة :

هنا ملاحظة على السؤال ، ذلك لو أن السائل اكتفى فى سؤاله بإيراد البيتين الأولين من قول الشاعر ، وترك البيت الأخير لكان أقوى فى توجيه السؤال لمعرفة مراد القائل عن طريق النحو وما يحمله الإعراب من دلالة فى توجيه المعنى ؛ لأن قوله فى البيت الأخير :

فبينى بها إن كنتِ غير رفيقة وما لامرىء بعد الثلاث مُقدَّم

نص فى مراده ، وأنه قصد وقوع الطلاق ثلاثا ، ولهذه النكتة أخر ابن هشام البيت الثالث بعد أن ناقش القضية فى البيتين قبله ؛ لأن ذكر البيت الأخير فى السؤال يجعل معرفة المتكلم واضحة .

هذه المناظرة وقف النحويون أمامها كثيراً ، وكانت لهم فيها آراء وتوجيهات متعددة ، وامتدت تخريجاتهم الى كل كلمة فيها ، ولم تقف عند قوله : «ثلاث» رفعا ونصبا ، حتى أفردها بعضهم ببحوث ورسائل :

● فابن هشام يستدرك على الكسائى بأن الصواب أن كلا من الرفع والنصب محتمل لوقوع الثلاث ، ولوقوع الواحدة ، وذلك إنما يكمن فى نوع «أل» فى قوله «والطلاق» أجنسية هى أم عهدية فإذا جعلناها لمجاز الجنس كانت رواية الرفع كما تقول : «زيد الرجل» ، أى هو الرجل المعتد به ، ولاتكون للجنس الحقيقى لئلا يلزم الإخبار عن العام بالخاص ، كما يقال : «الحيوان إنسان» ، وذلك باطل ؛ إذ ليس كل حيوان إنساناً ، ولا كل طلاق عزيمة ولاثلاثاً .

وإما أن يكون «أل» للعهد الذكرى ، مثلها قوله ـ عز وجل :﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ المزمل/١٦ ، أى الكلام المذكور عزيمة ثلاث .

● وأما النصب فعلى أنه مفعول مطلق ، وحينئذ يقتضى وقوع الطلاق الثلاث ؛ إذ المعنى فأنت طالق ثلاثاً ، ثم اعترض بقوله : والطلاق عزيمة ، أو أن يكون حالا من الضمير المستتر فى «عزيمة»

وحينئذ لايلزم وقوع الطلاق الثلاث ؛ لأن المعنى : والطلاق عزيمة إذا كان ثلاثا ، فإنما يقع مانواه . هذا مايقتضيه معنى اللفظ مع قطع النظر عن شيء آخر ، لكن الطلاق الذى أراده الشاعر هو الثلاث ، بدليل قوله : «فبينى بها» .

فابن هشام وافق الكسائى فيما ذهب اليه ، وأضاف توجيهات أخرى فى إعراب الكلمة أفادت فى زيادة المعنى ، وكل من الكسائى وابن هشام قد وجها المعنى وفق مقتضى الإعراب أو وجهوا الإعراب بمقتضى مايكون له من دلالة فى المعنى ، فأبو يوسف لاحظ منذ البداية أن المسألة نحوية فقهية كما أن جواب الكسائى كان على ذلك ، فهو يصدر حكماً فقهيا بما أدى اليه معرفته لموقع الكلمة وما هى عليه من حركة إعرابية . وما دام الأمر فى المسألة قائما على التوجيه فهو مقبول ؛ لأن التوجيه هو الآخر قائم على الاحتمال .

وفى «حاشية الشيخ محمد الأمير» على «مغنى اللبيب» نرى دفاعا عن أبى حنيفة ضد الكمال بن الهمام على ابن هشام بأنه قد جهل بمقام الاجتهاد الذى يستلزم التعاون بين العلماء خاصة إذا كان المقام يحتمل ، وكون أبى يوسف استفتى الكسائى فلا يدل على أن أبا يوسف يجهل الإجابة ، إنما يريد التأكد من صحة الفتوى ؛ لأنه يتوقف عليها حلال وحرام ، فلابد من المشاورة إذ مقام الاجتهاد والإفتاء يقتضى ذلك ، قال الشيخ الأمير :

قيل : الصواب أن السؤال من الكسائى لمحمد قلنا : تعدد الواقعة ممكن .

وشنع الكمال بن الهمام على المصنف (أى ابن هشام) بأنه جهل بمقام الاجتهاد ، فإنه يستلزم معرفة أساليب الكلام ، فلا يحتاج أبو يوسف إلى مراجعة الكسائى ، قلنا : هذا من تعاون العلماء ومشاركتهم خصوصا أهل دولة واحدة ، بل عين إمامه أبى يوسف وكماله ، حيث لم يستقل برأيه مع عدم احتياجه ، وهكذا شأن السلف ، ولعمرى الكسائى أحد القراء السبعة وإمام العربية يتكلم معه فى مثل هذا» .

ويبقى أنها مناظرة دارت بين النحاة والفقهاء ، وكان النحو هو الكاشف لمعنى النص الفقهى ، والذى وجه الفتاوى ، واستقرت به الفتيا .

الطبقة الثانية من المحققين الأعلام

الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقى

- رحمه الله -

هو العلامة المحقق الكبير محمد فؤاد عبد الباقى بن صالح بن محمد .

ولد هذا العبقرى فى شهر مارس (آذار) سنة ١٨٨٢ اثنتين وثمانين وثمانمائة وألف للميلاد ، الموافق سنة تسع وتسعين ومائتين وألف للهجرة المشرفة .

كان أبوه - رحمه الله - يقطن بلدة « ميت حلفا » من أعمال مديرية القليوبية بمصر المحروسة ، وأصله من بلدة « قمن العروس » من أعمال الواسطى بالصعيد الأوسط .

وكانت أمه - رحمها الله - من بلدة « برنبال » مركز دكرنس - بمحافظة الدقهلية ، وهى بلدة (على باشا مبارك) وزير المعارف ومنشىء دار الكتب المصرية ودار العلوم . ثم تحولت الأسرة عن ميت حلفا بعد ذلك إذ أخذت تضرب فى الأرض فى الأحياء الشعبية المصرية من حى « الماوردى » إلى حى « البغالة » إلى حى « شبرا » بالقاهرة .. هذه الأحياء التى كانت تحفل بأبناء المصريين الكادحين ، ويبدو المجتمع المصرى فيها بكل أصالته وعاداته المعروفة .

والأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى لم يستقر على دراسة مألوفة منتظمة ، بل كانت دراساته كلها حرة غير منتظمة ، فلم تلزم سمتا معروفاً ، لأنه لم يكن متقيداً فيها بمنهج مرسوم ، ولا بجدول محفوظ إنما كان يدرس ما يروق له من المعارف ، ويحصل ما يراه نافعاً مفيداً من العلوم .

والحقيقة التى يجب أن تكون جلية واضحة أن العبرة فى التلقى العلمى ليست أساساً بالدراسة المنظمة بقدر ما هى بالإقبال والنهم والشغف بالعلم ، إذ أن كثيراً من المنتظمين تقعد بهم المهمة ، ويقصر بهم الأمل ويتقاعس بهم الطموح فلا ينالون شيئاً ؛ فإذا اجتمعت الهمة مع النظام كان لهما نتاجاً مرموقاً ؛ فالرغبة فى العلم ــ هى أساساً ــ سبيل التفوق والازدهار والتبريز ، مهما توعرت الظــروف ، وتعقــدت الأمــور ، واحلولكت الليالى الدهماء .

أقبل محمد فؤاد عبدالباقى على العلم إقبالًا منقطع القرين والنظير ، ثم عمد إلى التدريس بإحدى المدارس الحرة ، ثم انتقل إلى بعض المدارس الأميرية فى ذلك الوقت ، وكان يرافقه فى رحلة التدريس هذه زميلان من أحب أصدقائه إليه هما : الأستاذ صادق عنبر الأديب المعروف ، والأستاذ اللغوى الثبت عبدالله أمين . رحمهم الله جميعاً .

ثم ضاق محمد فؤاد عبدالباقى بالتدريس ؛ إذ كان ملولا بطبعه ، لا يحب التقييد ، فانصرف عنه واشتغل بالبنك الزراعى المصرى سنة ١٩٠٥ خمس وتسعمائة وألف ، وظل يعمل به على مدى ثمان وعشرين سنة ، أى حتى سنة ١٩٣٣ ثلاث وثلاثين وتسعمائة وألف .

فلما تحول هذا البنك إلى الحكومة أخذ منه مكافأته فى نهاية هذه الخدمة ثم تركه ، وأشاح عن هذه الوظيفة ، ولم يعد إليها مرة أخرى .

إلا أن حبه للعلم والثقافة أبى إلا أن يكون موصولًا به على أية صورة من الصور ، وعلى أى وجه من الوجوه ، فعمد إلى فتح مكتبة للنشر ، وعمل هو نفسه مديراً لها فترة من الزمن ، وربما استغرق ذلك وقتاً طويلًا ، وقد كان هذا الصنيع خيراً وبركة عليه وعلى العلم إذ انطلق بهمة قوية مشحوذة وعزيمة فولاذية مطرورة إلى خدمة القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة بقوة وقدرة لا تعرف الملل ولا الكلال ولا السآمة .

وقد عاش طرفا من حياته فى الــروضة بالقاهرة ، ثم انتقل منها إلى الجيزة ، حيث أقام فى جزء من عمارة على شاطىء النيل ، وقد ظل فى هذا المكان إلى أن توفى ــ رحمه الله رحمة واسعة ــ فى الثانى والعشرين من شهر فبراير سنة ١٩٦٨ ثمان وستين وتسعمائة وألف للميلاد ، الموافق سنة ١٣٨٨ ثمان وثمانين وثلاثمائة وألف للهجرة .

تزوج المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى سنة ١٩١٠ عشر وتسعمائة وألف ، وقد رزقه الله بخمسة أبناء : ثلاثة رجال أكبرهم : « عز الدين » ، وهو يعمل موظفاً بالشهر العقارى ؛ والثانى : « جمال الدين » موظف بالأسلحة والمهمات ، والثالث : « عبدالباقى » وهو موظف بالشهر العقارى .

وله بنتان : إحداهما تعمل بالتفتيش العام للرياضة البدنية بوزارة التربية والتعليم ، والأخرى الأستاذة « عفاف » وهى مديرة كلية النصر بالمعادى (فكتوريا سابقاً) .

وقد حدث صديقه وخدينه وخليله المرحوم الدكتور أحمد الشرباصى عن أبنائه حديثاً طيباً فى لقاء تم بينهما فى بيته يوم ستة وعشرين من شهر مايو سنة ١٩٦٤ أربع وستين وتسعمائة وألف .

وفى الحديث الذى دار بينه وبين الدكتور أحمد الشرباصى ذكر له أنه كان تلميذاً للمرحوم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة « المنار » ، وصاحب تفسير « المنار » الذى أعده من دروسه المستفادة من الإمام الشيخ محمد عبده ـ رحمه الله ـ .

وذكر فؤاد أيضاً أنه كان تلميذاً للعلامة المحقق الكبير أحمد محمد شاكر .

وقد كانت صلته بالسيد محمد رشيد رضا قد بدأت سنة ١٩٢٢ اثنتين وعشرين وتسعمائة وألف ، وقد استمرت هذه الصداقة والأخوة حتى توفى رشيد رضا ـ رحمه الله ـ فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٩٣٥ خمس وثلاثين وتسعمائة وألف .

وعزا سبب هذه الصداقة كما ذكر للدكتور أحمد الشرباصى إلى أن مطبعة المنار كانت أصدرت رسالة عن الاحتفال بذكرى الإمام الشيخ محمد عبده ، فذهب الأستاذ محمد فؤاد لشراء هذه الرسالة من مكتبة المنار ، وكان وقتذاك موظفاً بالبنك الزراعى ، ولم يكن قد مارس النشاط التأليفى البحثى فى ذلك الوقت . وفى مكتبة المنار تعرف إلى الأستاذ عبد الرحمن عاصم ، وهو ابن عم السيد محمد رشيد رضا ، وكان تعارفاً طيباً كريماً .

وفى إحدى زياراته لمكتبة المنار التقى ـ عن قدر لله ـ تعالى ـ بالسيد محمد رشيد رضا ، فأعجب فؤاد بذكاء الرجل وسعة أفقه ، وغزارة علمه ، وقد أرشد رضا فؤاد إلى جملة من الكتب ليقرأها ... وكانت عرى المودة قد توثقت بينهما

وأصبح يوم الأحد من كل أسبوع ـ وهو يوم إجازة محمد فؤاد من البنك الزراعى ـ عيداً لكونه موعداً مضروباً للقاء السيد رشيد ، حتى ينهل من علمه وفقهه وإرشاده وتوجيهه .

ولعل السبب الذى جعل « محمد فؤاد » متمسكاً بصلته وصداقته وتلمذته للسيد رشيد ، وهو كونه امتداداً وصورة مكرورة من أستاذه المرحوم الشيخ محمد عبده ، وكان الناس يرونه خلفاً للإمام .

* * *

ثقّف الأستاذ محمّد فؤاد نفسه بنفسه ، وعلم نفسه بنفسه ، حتى أنه بَرَزَ وتفوق على كثير من أترابه وأضرابه الذين كانت أحوالهم وظروفهم أنسب من أحواله لكنهم لم يبلغوا شيئاً مما بلغ هو ، ولم يقدموا أثراً يوازى معشار ما قدم وأسدى للمكتبة الإسلامية .

وحسبه أنه درس وتعمق فى اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية ، وقد ظل ردحاً طويلًا من الزمان ينهل من معين الأدب العربى ، وقبل ذلك كله كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، ثم نهل من كتب التفسير الكبرى المعروفة ، وكذا كتب الحديث والفقه والأصول .

* * *

أما حياة الرجل فقد كانت شديدة العجب والغرابة كان يسمى : صائم الدهر . إذ كان يصوم العام كله لا يفطر فيه إلا يومين هما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى .

وكان غذاؤه نباتياً فلم يرغب فى الغذاء الحيوانى ، بل كان صادفاً عنه تماماً ، وقد كان يشترى أول كل شهر ثلاثين علبة من المحفوظات دفعة واحدة ، وهى تحتوى على جميع أنواع الخضروات المحفوظة .. ويصوم بغير سحور ، إذ كان يتناول وجبة واحدة كل أربع وعشرين ساعة ، ويبدأ فطوره بملعقتين من العسل الأبيض ، ثم علبة اليوم من البازلاء ، أو الفاصوليا ، أو اللوبيا ، ثم الزبادى ، ثم الفاكهة ، وفنجان القهوة كل ذلك بعد أذان المغرب . وهذا ما ذكرته ابنة أخيه الكاتبة الدكتورة نعمات أحمد فؤاد عبدالباقى بتصرف

ثم تقول د. نعمات : وفى الساعة العاشرة تماماً يشرب كوباً من الماء ، وبهذا تنتهى صلته بالطعام والشراب حتى مغرب اليوم التالى .

كان فؤاد عبد الباقى محافظاً على بزته وزيه الذى يتكون من حلة فرنجية كاملة صيفاً وشتاء ، وكما تذكر ابنة أخيه : كان لا يستطيع حَرَّ الصيف أن ينحى عنه رباط العنق الكرافت أو الدبوس ، كما لا تستطيع مواصفات العصر أن تمس المنديل الأبيض فى جيبه ، أو الطربوش القانى على رأسه ، أو العصا الأنيقة فى يده .

وكان من طيب عاداته ، ومبرور وفائه وجميل صنيعه أنه كان يخصص يوم الجمعة لزيارة أخته التى يذهب إليها فى الصباح ولا يعود إلى داره إلا فى العاشرة مساءً .

* * *

ولئن كان صيام الدهر أو الوصال فى الصوم ورد فيه ما يمكن أن يفهم منه النهى عنه لأن فيه من العنت والمشقة ما فيه ، ولاسيما مع تقلبات الأيام والفصول إلا أن أن الرجل كان متمسكا به طوال حياته حتى وفاته .

ولا أعتقد أن المرحوم محمد فؤاد عبد الباقى ـ وهو عالم السنة البحاثة ـ يغيب عنه ذلك لكنه كان فى اعتقادى متأولا (وهذا أغلب ظنى) .

كان محمد فؤاد ـ رحمه الله ـ حديد العزيمة ، صليب القدرة لما بدا من بنيانه الجسدى وتكوينه البدنى .. فضلا عن تكوينه النفسى المكين مما يجعل شعوره بالإرهاق محدودا للغاية إن لم يكن معدوما تماما .

ولئن كانت هذه الظاهرة طفرة غير معهودة ، فى عصرنا . لم نسمع بها ، ولست معتقدا أنَ أحدا يقدر عليها مهما كان جلدا قويا ، لكن هذه الطبيعة تدلنا على قدرة فائقة رهيبة على السيطرة التامة على النفس والوجدان ، كما أنها تدل على روحانية فائقة إذ إن الروح تتسامى وتبلغ غاية رقيها وصفائها بالصيام المبرور .

ولا شك فالصائم فى معية الله وكلاءته ورعايته فى كل روحاته وغدواته ، وهذا دليل على صفاء النفس ، وسلامة الصدر ، وطهارة الفؤاد ، ونقاء الدخيلة ، وحسن الطوية ، فالنفحات الإلهية تترسل وتتساتل من مجاديف الرضوان ، والله سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء من عباده .

● ● ●

أما الكتب المؤلفة والمحققة والفهارس التى عملها فهى جميعا شواهد عدل وصدق على إخلاص الرجل وقوة عزيمته ، ومضاء صريمته .

ولا أعتقد أن هناك باحثاً أو عالما يشتغل بعلوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ولا يوجد على مكتبه أمام ناظريه « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » و « مفتاح كنوز السنة » ، والفهارس التفصيلية المسماة بـ « تيسير المنفعة بكتابى : مفتاح كنوز السنة ، والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » .

ومهما كان الباحث العالم حافظاً لكتاب الله ، أو محيطا بسنة وأحاديث رسول الله ﷺ فإنه لا يمكن أن يستغنى عن هذه الكتب والفهارس المعجمية الدقيقة التى لم يكن ليتوفر عليها وليعدها غير فَارسها الأحوس ، وبطلها المغوار وابن بجدتها محمد فؤاد عبد الباقى الذى ذهب بصره بسبب عمله المتواصل المضنى الشاق ؛ حتى كف بصره تماما ومات وهو ضرير ، ولذلك فإنه مأجور إن شاء الله ــ تعالى ــ على قدر عمله الطيب واحتسابه المبرور .

مؤلفاته وتحقيقاته

ــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، وقد طبع لأول مرة سنة ١٣٦٤ هـ ، سنة أربع وستين وثلاثمائة وألف للهجرة بمطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ، وهذا الكتاب النفيس يجمع الألفاظ القرآنية ، مُرَتِّبا موادها حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها ، وهلم جرا . يضع الكلمة وأمامها الآية أو الآيات بأرقامها من السورة ، وكذا رقم السورة التى وردت فيها ، والتنبيه على المكى والمدنى منها .

كان هذا العمل جهداً خطيراً ، وليس عملاً فطيراً ، ولم يكن ليقوى عليه إنسانٌ من تلقاء نفسه لولا لطف الله ــ سبحانه وتعالى ــ ومعونته .

ولم يكن سهلًا ولا ميسوراً عمل فهرسة معجمية على هذا الجانب من الدقة والتحقيق ، إذ كان لابد من التوفر والتعمق فى دراسة محاولات السابقين فى هذا المجال ، ولذلك فقد كان عبد الباقى ــ رحمه الله ــ قد قرأ كل ما سبق فى هذا المضمار قراءة متأنية فاحصة ، وعلى سبيل الذكر كتاب « مفتاح كنوز القرآن » وكتاب « نجوم الفرقان فى أطراف القرآن » للمستشرق الألمانى « فلوجل » ، وكتاب : « فتح الرحمن » وغير ذلك من الكتب الموضوعة على هذا النسق .

ولعل كتاب فلوجل الألمانى ، كان رائدا له ، هادياً ومرشدا للطريق .

لكن عساك تقول أيها القارىء وأنت مأخوذ مندهش : وماذا ترك فلوجل من زيادة لمستزيد ؟ أفليس هو صاحب هذه الفكرة ومنفذها ، وصاحب الفضل الأول فى نشرها ؟ .

أقول : حقاً إن الأول لم يترك للآخر شيئاً ، وقد كان صعبا علينا أن يقدم ذلك الرجل الألمانى غير العربى غير المسلم كتابا مثل هذا الكتاب ، فما أحرانا وما أولانا نحن المسلمين والعرب بتحقيق هذه الصنائع لكن الأشد صعوبة ، والأكثر شكاية أن نكون نحن أنفسنا ساكتين تماماً لا نحرك ساكنا .

وليس ثَمَّ بشرٌ معصومٌ من خطأ ، فإن كتاب فلوجل لا يخلو من أخطاء ظاهرة ، أو مستورة أحياناً ، وفى هذه الحالة يكون السكوت عن هذه الملاحظات ، وعدم فحصها والاستدراك عليها بالتصحيح والتصويب ــ تقصيرا فاحشاً لا

مبرر له ، إذ إن مسايرته على أخطائه يعتبر إهمالا مرفوضاً لا يليق بعلماء المسلمين .

من ثم كان جهد العبقرى المتفتح بتوفيق الله محمد فؤاد عبدالباق ـ رحمه الله ـ فقد استدرك على فلوجـل ، وراجـــع مواده مادة مادة ، وعرضها جميعا على معاجم اللغة ، وتفاسير علماء التفسير واللغة ، ثم كر على دراسة مواده ، ثم وضع كل واحدة فى موضعها الصحيح بعد إعادة الترتيب الذى اقتضاه الوضع الصحيح ، وبموجب الإرشاد اللغوى والتفسيرى .

وكان أمراً عادياً أن يخطىء فلوجـل فى اشتقاق عشرا من المواد اللغوية ، أو الكلمات اللغوية عند ردها إلى موادها الأصلية ... فأخذ عبدالباق على عاتقه تصحيح هذه الأخطاء وعالجها علاجاً شافيا ..

كان عبد الباقى متأثرا بطريقة الزمخشرى فى معجمه « أساس البلاغة » ومعجم « المصباح المنير » للفيومى ، ومدارها فى الفهرسة والترتيب على طريقة ترتيب أصول الكلمات على حسب أوائلها ، فثوانيها ، فثوالثها .

ابتدأ المادة بالفعل المجرد المبنى للمعلوم ، فالماضى فالمضارع فالأمر ، ثم المبنى للمجهول من الماضى فالمضارع ، ثم المزيد المضعف ، فالمزيد بحرف فأكثر .... الخ ... ثم يتبع ذلك باقى المشتقات مبتدئا بالمصدر ، ثم اسم الفاعل ، فاسم المفعول ، ثم باقى الأسماء تباعا .... وهلم جرا ..

● ● ●

ـ ثم قام فؤاد عبد الباقى بترجمة كتاب : « تفصيل آيات القرآن الحكيم » وكان موضوعاً بالفرنسية لمؤلفه « جول لابوم » .

ـ ثم تجلت عبقرية الرجل فى خدمته للسنة النبوية المطهرة فى إعداده كتاب « مفتاح كنوز السنة » وهذا الكتاب بمثابة معجم مفهرس عام مفصل للكشف عن الأحاديث النبوية المدونة فى كتب الأئمة الأربعة عشر .

هذا المعجم كان موضوعاً باللغة الإنجليزية للمستشرق الهولندى الكبير « ا.ى.فنسنك » أستاذ اللغة العربية بجامعة ليدن .

وقد كان ولايزال العلماء والباحثون الدارسون فى مسيس الحاجة إلى هذا المفتاح تيسيراً لعملهم ؛ بل وتوفيراً للوقت والجهد والمشقة .

فرغ الأستاذ محمد فؤاد من صنع هذا الكتاب ـ بهذه الصورة التى نراها بين أيدينا ـ يوم الجمعة لخمس عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة وألف للهجرة ، الموافق السابع والعشرين من شهر يوليو سنة أربع وثلاثين وتسعمائة وألف للميلاد .

ـ ثم كان كتابه : « تيسير المنفعة بكتابى : مفتاح كنوز السنة والمعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى » .

ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، وهذا ليس نسخة مكررة من كتاب الشيخ حبيب الله الشنقيطى المسمى بـ « زاد المسلم فيما اتفق عليه البخارى ومسلم » لكن فؤاد عبد الباقى زاد زهاء خمسمائة حديث على ما فى « الزاد » كانت فاتت الشيخ الشنقيطى ـ رحمه الله ـ .

كذا نشر الأستاذ فؤاد « معجم غريب القرآن» ونشر موطأ مالك محققا مشروحاً مضبوطاً فى جزأين وسنن ابن ماجه فى جزأين أيضا ، وصحيح مسلم فى أربعة أجزاء ، وجعل الخامس خاصا بالفهارس العلمية الدقيقة .

كما أخرج : « شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح » .

فضلًا عن إشرافه على تصحيح وتحقيق تفسير : « محاسن التأويل » للقاسمى ، وهو يقع فى سبعة عشر جزءاً .

كذا خرج آيات وأحاديث كتاب « شواهد التوضيح » و « الأدب المفرد » .

وعلى أى حال فهذه جملة من مؤلفاته وتحقيقاته وتصحيحاته الظاهرة الفضل بين ظهرانينا : —

— قرة العينين فى أطراف الصحيحين « خمسة أجزاء » .

— جامع مسانيد صحيح البخارى « ستة أجزاء » .

— جامع الصحيحين .

— دستور المسلمات المؤمنات : مالهن وما عليهن من كتاب الله والحكمة .

— كما كانت له بعض المقالات والبحوث المنشورة فى بعض المجلات ، مدارها فى الغالب على القرآن الكريم ، وعلى السنة النبوية المطهرة .

لذلك كان محمد فؤاد عبد الباقى من أحق الناس ، وأجدرهم بالتقدير والإكبار ، ذلكم الرجل الذى لم يتخرج فى جامعة ، ولم يحصل على شهادة عالية ، لكن بإخلاصه وإتقانه ، وإصراره على النجاح والتفوق ، قدم للعلم والعلماء ما لم يستطع أحدٌ من الأعلام تقديمه سواء من الجامعة أو من خارج الجامعة .

رحم الله محمداً — رحمة دائمة موصولة — ، وجعله من المقربين الأطهار ، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة ، والحمد لله رب العالمين ..

شياطين الشعر في الأدبين العربي والغربي

٣

بقلم الأستاذ أحمد مصطفى حافظ

يُورِدُ أبو منصور الثعالبى فى الثمرة الرابعة والتسعين من كتابه : (ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب)[1] قول جرير :

إنى لَيُلْقَــى علــىَّ الشعــرَ مكتهلٌ   من الشيــاطين إبلــيسُ الأبالــيس

ثم يعقِّب الثعالبى على ذلك ، بقوله : « وبلغ من تحقيقهم وتصديقهم بهذا الشأن ـ يعنى الشعراء ـ أن ذكروا لهم ـ أى للشياطين ـ أسماء .. فقالوا : إن اسم شيطان الأعشى (مِسْحَل) ، واسم شَيطان الفرزدق (شِنِقْناق) .. وفى مسحل يقول الأعشى :

وما كنت ذا قول ، ولكن حَسِبْتُنــى   إذا (مسحل) يبرى لى القول أنطــقُ
خليــلان فيمــا بيننــا من مودة   شريكــان : جِنّــىٌّ وإنس مُوفَّــق

وقال يذكره :

حَبَانى أخى الجِنّىُّ ـ نفسى فداؤه ! بأفْيح جيَّاشٍ العشيات مُرْجم .

(والأفيح : الواسع .. أراد سعة خطوه ، والمُرجم : الذى يرجم الأرض بشدّة وقْع حوافره) .

وقال حسان بن ثابت (قبل إسلامه) :

إذا ما ترعــرع منــا الغــلامُ   فلــيس يُقــال له : من هُوَهْ
إذا لم يَسُدْ قبــل شَدِّ الإزارِ   فذلك فينــا الــذى لا هُوه
ولى صاحب من بنــى الشيصبــان   فحينــا أقــول ، وحينــا هُوَه

« وشيصبان » ، « شنِقْناق » : رئيسان عظيمان من الجن ـ بزعمهم ولما ادَّعى بشَّار أن شنِقناق يرغب فى مصاحبته ومعاونته ، قال :

(١) تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم رحمه الله ، ط دار المعارف سنة ١٩٨٥ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

دعـانى شِنِقنـاقٌ إلى خَلْـف بَكْـرة   فقـلت اتـركانى فالتفـرُّد أحمد[٢]

يقول : أحسن لى فى الشعر ألا يكون [لى] عليه مُعين .. فقال أعشى بنى سليم ، يرد عليه :

إذا أَلِـفَ الجنِّـىُّ قِرْدا مُشنَّفـا   فقُلْ لخنازيـر الجزيـرة .. أبْشِرِى ![٣]

فجزع بشار لذلك ، كجزعه من قول حمَّاد عجرد فيه :

ويـا أقبـح من قرد   إذا ما عَمِـىَ القـردُ !

لأنه ـ أى بشار ـ كان مع تغزُّله ـ قبيح الوجه كأنه وجه قرد .

* * *

وفى زعمهم أن مع كل شاعر شيطاناً ، يقول أعشى بنى سليم :

ومـا كان جِنِّـىُّ الفـرزدق قدوة   ومـا كان فيها مثـل فحـل المخبَّـل
ومـا فى الخوافى مثلُ عَمْـرو وشيخِـهِ   ولا بعد عمْرو شاعر مثـل مسحـل

ويقول آخر :

إنى وإنْ كنتُ صغيـرَ السِّنِّ   وكان فى العين نُبُـوٌّ عنـى
فإن شيطـانى أمير الجن   يذهب بى فى الشعـر كل فن

* * *

وقد تأثر شوقى فى العصر الحديث بهذا الزعم ، فأورد فى المنظر الأول من الفصل الرابع بمسرحيته (مجنون ليلى) التمهيد التالى : « حول ديار بنى ثقيف ، فى قرية من قُرى الجن ، حيث اجتمعت طائفة منهم فى شكلٍ إنسىٍّ جميل الثياب ، يرتدى الحرير من فرعه إلى قدمه ، وعلى رأسه عقالان من الحرير المُحلَّى بالذهب ، هو (الأموى) شيطان قيس ، الذى ينبرى قائلا :

بنـى الجن فى أرضكـم عابـرٌ   من الإنس يرسف فى ضُرِهِ
فغالـوا به واعلمـوا أنـه   فتـى نبَّـه الشعـرُ من قدْره

« عبيد »
وأين تُرى هو ؟.
(آخر) : ماذا يكون ؟
الأموى : وماذا يهمك من أمره ؟

ألم تعلمـوا أن لى صاحبـاً   من الإنس أحْكُـمُ فى شعـره

« عبيد »

أجـل أنت تُوحـى له ما يقـول   وَتعـذف ما شئت فى فكـره

* * *

(٢) والبكرة : الفتية من الإبل ، دعاه ليردفه خلفه .

(٣) مشنف : أى فى أذنه الشنف : وهو القرد .

ولعل كل ما قدمناه عن شياطين الشعراء ، لا يقاس بما كان للشاعر أبى نواس ، بصفة خاصة ، من بَوَاده عجيبة مع كبيرهم (إبليس) ، كأنه كان على صلة وثيقة مباشرة به ، لمعرفته بخصاله الشريرة ، التى توافق هواه .. حتى لا يستحى أن يذكر ذلك علانية ، فيقول متحببا له ، متجاوبا معه ، مشيدا به :

لم تُرْضِ إبلـيس الظريـفُ فِعالنـا حتـى أعـان فسادنـا بفساد

وكأنما كان الشاعر الذى قال :

وكنت فتًى من جُنْد إبليس ، فارْتقتْ بِىَ الحال ، حتى صار إبليس من جندى !

كأنما كان هذا الشاعر ينطق بلسان أبى نواس نفسه ، وكيف لا ؟ ، وقد بلغ الأمر بأبى نواس ، أن يتوعَّد إبليس ـ قرينه ومعينه على الفساد ، بأن إبليس إنْ لم يستجب لما يطلبه أبو نواس منه ، فسوف يندم إبليس على ذلك .. لأن أبا نواس يهدِّده بأنه سوف يقلب لإبليس ظهر المجن ، بالعودة إلى حظيرة الإيمان ، غير آبهٍ أو ملتفت لإغوائه ، ورغبته فى أن يظل أبو نواس ، من أتباعه ومريديه .. ويصور أبو نواس ذلك فى قصيدته ، أو قصته الماجنة ، التى يقول فيها :

لما جَفَانِـى الحبـيبُ وامتنـعتْ عنـى الـرسالات منـه والخبـرُ
واشتـد شوق فكـاد يقتلنـى ذِكـرُ الحبيب والحلـم والفكـر
.. دعـوتُ إبلـيس ، ثم قلت له فى خلـوة ـ والدمـوع تنحـدر :
أمـا ترى كيـف قد بُلِـيتُ وقـد أقْـرَحَ جفنـى البكـاءُ والسهـر
إنْ أنت لم تُلْـبِـقِ المودة فى قلب حبيبـى ـ وأنت تقتـدر !
لا قُلتُ شعـرا ولا سمعتُ غُنَـا ولا جرى فى مفـاصل السُّكـر
فمـا مضتْ بعـد ذاك ثالثـة حتـى أتـانى الحبـيب .. يعتـذرُ !

أى أن إبليس اللعين ، يُسارع إلى إنجاز ما يريده منه أبو نواس ، حتَّى لا ينفِّذ تهديده له ، ومن ثم (يخسره) إبليس ، كتابع أمين له !!

* * *

وهذا يذكِّرنا (بفاوست) للشاعر الإنجليزى كريستوفر مارلو (١٥٦٤م ـ ١٥٩٣م) المعاصر لشكسبير ، والأصل فى شخصية « فاوست » كما يقول الدكتور محمد غنيمى هلال[٤] . أسطورة شعبية ألمانيَّة ، مُوجزها أن عالما كيميائياً يسمى (فاوست) وُلد فى أواخر القرن الخامس عشر ، وكان سِكِّيرا كسولا ، حياته غامضة عجيبة .. وعلى الرغم من وجوده تاريخياً ، فقد حاكت الأساطير الشعبية حوله كثيراً من الأقاصيص ، فزعمت أنه كان له صلة قرابة بالشياطين ، وأنه كان ساحراً ، وله قدرة على مخاطبة الموتى . وقد وقَّع بدمه عقْدا مع الشيطان ، عاهده فيه أن يطيعه ، على أن يُرجع له الشيطان شبابه ، ويرْوِى ظمأه إلى العلم ، والعرفان .. وكما قال شاعرنا عبداللطيف النشار ـ رحمه الله :

---

(٤) انظر كتابه (النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة) ، ط سنة ١٩٦٤ ، ص ٧٧ .

ظمئـــى إلى العرفـــان لا يُرْوَى وإنْ   أُنْـزِفْتُ ماءَ الفكـر فى بحر الكـتبْ

وتحكى بعض الأساطير[٥] . أن (فاوست) مات طريداً من رحمة الله عِقَابًا له ، كما جاء فى مأساة فاوست لمارلو التى صدرت بعد وفاته فى سنة ١٦٠٤م ، فى حين تحكى أساطير أخرى ـ اعتمد عليها الشاعر الألمانى جوته ـ أنه إنما باع نفسه للشيطان ، ليرضى حسه بمعرفة الحقيقة ، وأنه عَصَى الشيطان بعد ذلك فغُفر له ، واهتدى إلى الحقيقة .. وصارت شخصية (فاوست) عالمية بفضل جوته ، وذلك بإصداره الجزء الأول من مأساة فاوست سنة ١٨٠٨م ، ثم نشر الجزء الثانى فى العام التالى لوفاة جوته فى الثانى والعشرين من مارس سنة ١٨٣٢م .

وأصبحت شخصية (فاوست) قالبا لتصوير الأفكار الفلسفية والمعانى الإنسانية فى الأدب ، ومن مشاهير من عالجوا الموضوع بعد ذلك : بول فاليرى ، ثم توماس مان[٦] . وقد أوحت شخصية الشيطان للشاعر الروسى ليرمونتوف (١٨١٤ ـ ١٨٤١) قصيدته الدرامية ذات الطابع الغنائى ، وهو فيها متأثر بالشاعر الإنجليزى بيرون ، فى تصويره للشيطان بمسرحيته : السمـاء والأرض Heaven and Earrh التى نشرت عام ١٨٢٤ ، وبالشاعر الفرنسى ألفريد دى فينى فى قطعته الشعرية التى عنوانها « إلْوَا » ..

ويتمثل الشيطان عند الشاعر الفرنسى فيكتور هيجو ، مخلوقاً معذباً لأن الله تعالى ـ يفيض ، على كل المخلوقات خيراً ورحمة ونوراً ، والشيطان يحسد بنى آدم لذلك ، لأن فى عيونهم الأمل فى الله . والخير فى الله ، وفى قلوبهم الحب فيما بينهم[٧] .

* * *

وكما عصى فاوست الشيطان ، فى مسرحية جوته ، وفاء إلى الإيمان واليقين عند هذا الشاعر فكذلك كان شأن أبى نواس ، فى أخرياته .. حتى قال (أبو العتاهية) :

« سبقنى أبو نواس إلى ثلاثة أبيات ، وددتُ أنى سبقته إليها بكل ما نظمته ، فإنه أشعر الناس فيها ، منها قوله :

يا كبير الـــذنب عفـــو   الله من ذنـــبك أكبـــرْ

وحينما تاب وأناب ، أنشد أبو نواس أثناء قيامه بأداء شعائر الحج :

إلَهنـــا ما أعـــدلك   ملـــيك كل من مَلَك

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر السابق ص ٧٧ .

(٧) راجع المصدر السابق ص ٧٤ ، وبول فاليرى شاعر فرنسى معاصر اشتهر بقصيدته (المقبرة البحرية) ، وتوماس مان قصصى ألمانى حصل على جائزة نوبل فى الأدب .

لبـــــيك قد لبَّـــــيْت لك ... لبـــــيك إن الحمـــــــد لك
والملك لا شريك لك ... ما خاب عبـــــــــد سألك

وقال فى ختام حياته :

دب فىّ الغنـــاء سُفْـــلا وعُلْـــوا ... وأرانى أمـــــوت عضوا فعضوا
ذهـــبت شرتى وجـــــدَّة نفسى ... وتذكـــرت طاعـــــة الله نضوا
لهف نفسى على ليـــــال وأيَّـــــا ... م سَلكْتُهـــــن لعبــــا ولهوا
قد أسأنـــــا كل الإساءَة يا رب ... فصفحــا عنــا .. إلهــىَ وعفـــوا

وقال :

أرانى مع الأحيـــــاء حيـــا ، وأكثر ... على الدهـــر ميْتٌ قد تخرَّمـــه الدهـــرُ
فيـــارب قد أحْسَنْتَ عَوْدًا وبـــدأةً ... إلىَّ ، فلـــم ينهض بإحسانك الشكـــر
فمـــن كان ذا عذرٍ لديك وحجـــة ... فعُـــذْرِى إقـــرارى بأنْ ليس عُذْرُ

* * *

ونجد فى (رسالة الغفران) لأبى العلاء المعرى حديثاً شائقا عن (جنَّة الجن) ، إذ يقول ـ على لسان ابن القارح : إنها مدائن ليست كمدائن الجنة الإنسانية ، ويسأل ابن القارح شيخ الجن عن اسمه ـ وكان يجلس على باب مغارة ـ فيجيبه شيخ الجن : أنا (الخيثغور) من بنى الشيطان ، ولسْنا من ولد إبليس ، ولكننا من الجن الذين سكنوا الأرض ، قبل بنى الإنسان وكنْيتى « أبو هَدْرشْ » ثم يثبت المعرى على لسان هدرش قصيدة يصفُ فيها كيف طُرد الجن من مكة بعد مبعث الرسول :

مكَّـــةُ أقْـــوتْ من بنـــى الـــدرديس ... فمـــــا لجنِّـــــىٌّ بها من حسيس
وقـــــام فى الصفـــــوة من هاشم ... أزهـــــر لا يُغفـــــل حق الجلـــــيس
ويرجـــم الـــــزانى ذا العُـــــرْس لا ... يقبـــل فيـــه سُؤْلـــةً من رئـــيس
يَجْلِـــدُ فى الخمـــر ويشتـــدُّ فى الـــ ... أمـــر ، ولا يُطلـــق شرب الـــكسيس[8]

والخمر عند البوذيين ، بل وعند أغلب الصينيين والهنود ، وسيلة الشيطان للإيقاع بالبشر وإلحاق الأذى بهم ، وتقول أسطورة صينية : إن الشيطان تقدم إلى رجل ، وقال له :

إنك توشك أن تموت ، ولكن فى استطاعتى أن أنقذك بأحد شروط ثلاثة : إما أن تقتل خادمك ، أو تضرب زوجتك ، أو تشرب الخمر !

فأجاب الرجل : دعنى أفكر فى الأمر .. إن خادمى رجل أمين ، وزوجتى امرأة كريمة طيبة ، ومن العبث أن أفكر فى ضرْبها .. إذن ، فاشرب الخمر !

وشرب الخمر ، وثمل .. فضرب زوجته ، ثم قتل الخادم حين حاول الدفاع عن الزوجة ![8] .

★ ★ ★

هذا ، وقد سبق أن ذكرنا فى مقالنا الأول عن شياطين الشعر[9] . رأى ابن الجوزى فى أن « الأنبياء جاءوا بالبيان الكافى ، وقابلوا الأمْراضَ بالدواء الشافى ، وتوافقوا على منهاج لم يختلف ، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شُبُها ، وبالدواء سمًّا » .

إلى أن يقول : « فرأيت أن أُحَذِّر من مكايده ، وأدل على مصايده » .

ويقول فى مقدمة كتابه (تلبيس إبليس) (ص ٣ ، ٤) محذراً من الشعر والشعراء : إلا أننا نجده يستثنى الغناء والإنشاد الدينى من تحريمه ، فيقول : « وقد تكلم الناس فى الغناء فأطالوا ، فمنهم من حرَّمه ومنهم من أباحه من غير كراهة ، ومنهم من كرهه مع الإباحة ، وفصل الخطاب أن نقول : ينبغى أن ينظر فى ماهية الشىء ، ثم يُطلق عليه التحريم أو الكراهة ، أو غير ذلك ، والغناء اسم يطلق على أشياء ، منها غناء الحجيج فى الطرقات ، فإن أقواما من الأعاجم يقدمون للحج فينشدون فى الطرقات أشعاراً يصفون فيها الكعبة وزمزم ، والمقام .. وربما ضربوا مع إنشادهم بطبل ؛ فسماع تلك الأشعار مباح ؛ وليس فى إنشادهم إياها مما يُطرب ويخرج عن الاعتدال[10] .

ـ وفى معنى هؤلاء : الغزاة ، فإنهم ينشدون أشعاراً يُحرِّضون بها على الغزو ، وفى معنى هذا إنشاد المبارزين للقتال للأشعار تفاخراً عند النزال .

ـ وفى معنى هذا أشعار الحُداة فى طريق مكةِ ، كقول قائلهم :

« بشَّرها دَلِيلُها وقالَا غداً ترَين الطَّلْحَ والجبالا »[11] .

---

(٨) انظر عدد مجلة الهلال الصادر فى مايو سنة ١٩٧٤ ، ص ٢٢ ، والكسيس : نوع من النبيذ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٣٧ .

(١٠) المنشور بعدد ربيع الثانى سنة ١٤١٧هـ من مجلة الأزهر الغراء .

(١١) انظر كتابه (تلبيس إبليس) ، ط سنة ١٣٦٨هـ ، ص ٢٢٣ .

دوحة الكتب

إعداد الأستاذ
محمود الفشنى

على الرغم من ثورة المعلومات وانتشار أجهزة استقبال البث الفضائى والتطور المتلاحق فى الشبكات العلمية وعلوم الكمبيوتر يظل الكتاب رافدا من أهم روافد الإشعاع الثقافى ، ولذا نقدم ـ دون نقد أو تعليق فى نبذة مختصرة ـ تعريفا بأحدث ما فى المكتبات من كتب إسلامية وثقافية وعلمية .

ـ المحرر ـ

القصة القصيرة والحكاية
«فى الأدب الفارسى»

تأليف الدكتور/ عبدالوهاب محمود علوُب

الناشر .. الهيئة المصرية

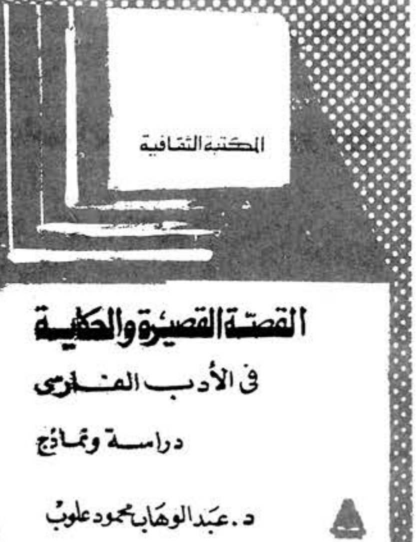

تعد القصة القصيرة من أخصب ميادين الأدب الفارسى المعاصر الذى يُعد من دعامات الثقافة الإسلامية على مر قرون عديدة ، وتحتل الحكاية فيه مكانة بارزة سواء فى الشعر أو فى النثر ويعد الكتاب خليفة أدبية وتاريخية لتطور فن القص الموجز فى تاريخ الأدب الفارسى .

وتحظى القصة القصيرة فى العقود الأخيرة بشعبية كبيرة سواء لدى كتاب القصة أو قرائها .

يقع المؤلف فى ٢٥٢ صفحة ، مقسم إلى سبعة أبواب :

فتحدث المؤلف عن القصة القصيرة والحكاية ، التى لم تكن تمثل فنا جديدا على الأدب المشرقى حين وردت صورتها الأدبية مع مطلع

القرن العشرين ، ثم تحدث عن المقامة فى الأدب الفارسى .

وأشار إلى تطور الحكاية فى أوائل القرن العشرين ، ثم تناول القصة القصيرة الحديثة فى الأدب الفارسى ثم انتقل إلى شرحها فى الفترة من ١٩٢١ إلى ١٩٤١ تحدث عن (فارس شكراست) كحكاية مقامية تحتوى كل العناصر الأساسية للمقامة من حيث الإطار القصصى والبنية العامة ثم انتقل إلى المقدمة الأدبية لمحمد على جمالزاده ، واختار لنا نماذج من القصة الإيرانية، وأخيرا كتب ملاحظات على بعض كتاب القصة القصيرة مثل : بهرام صادقى وفريدون تنكابنى ونسيم خاكسار وغيرهم .

والخلاصة : أن المؤلف ضم ترجمة لنماذج مختارة من القصة القصيرة الفارسية عبر مراحل تطورها فى العقود الستة الأخيرة ، كما تتباين هذه المختارات من حيث تطور الشكل ؛ فإنها تتباين أيضا من حيث الموضوعات وأسلوب التناول والأفكار .

إيدز

دراسة إسلامية طبية قانونية

تأليف د/ عماد حمدى حارس

الناشر : مطبعة زهران بحىّ الأزهر

هذه الدراسة عن الإيدز أصبحت لها خطورتها على الصعيد الدولى ، والكاتب يناقش فى ١٢٨ صفحة الأسباب والدوافع وراء مشكلة البقاء وموقف الشريعة الإسلامية منها ، ورأى الطب النفسى من الناحية السيكولوجية والاجتماعية .

وقد اشتمل المؤلف على خمسة مباحث مهمة :

● الأول : موقف الشريعة الإسلامية من البغاء متضمنا الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة ثم عذاب البرزخ فيه .

● ثم تناول فى المبحث الثانى بالشرح والتوضيح ، الأمراض التى تصيب الزانى والزانية وممارسى اللواط حيث إن هذه الأمراض تؤثر تأثيرا بالغا فى الأعصاب وتصيب فاعلها بإضعاف القوى النفسية والطبيعية ؛ فمن أمراض اللواط شرود الفكر والسويداء،ثم انتقل إلى العقاب فى القانون الوضعى مع تعريف عام للبغاء .

● وفى المبحث الثالث أشار إلى تاريخ ظهور الإيدز وتطوراته ، وهو ــ بالمفهوم العلمى ــ

ينتج من الإصابة بفيروس يقضى على المناعة البشرية ، وتناول الأعراض بعد العدوى مباشرة ، واكتشاف أول حالة مرضية ، ثم طرح : طرق انتقال الفيروس وعرض للاحصائيات فى العالم الغربى والعربى .وفى الكتاب شيء من خطأ المؤلف فى بحثه الميدانى لهذا المؤَّلف .

كيف نجعل أطفالنا علماء؟؟

تأليف : د. كمال زيتون

الطبعة الأولى ١٩٩٣

الناشر/ دار النشر الدولى

فى هذا الكتاب تقديم يشير إلى أهمية الكتاب وأهمية التربية فى حياة الشعوب كتبه د/ ياسين عبدالرحمن قنديل المشرف على السلسلة .

يحتوى هذا الكتاب على خمسة فصول :

تناول الأول : عمليات العلم ومكانتها فى التربية العلمية .

وفى الثانى : أشار إلى عمليات الملاحظة والتصنيف والاتصال والأسئلة الإجرائية وعلاقات العدد .

وفى الثالث : تحدث عن العمليات السببية ، وهى أولى العمليات العلمية .

وتناول فى الرابع العمليات التجريبية الفردية .

ثم شرح بتوسع ـ عن طريق الحروف والرسم البيانى ـ قياس عمليات العلم .

هذا المؤلف يعد من أحسن المؤلفات فى عالم الطفل والطرق التربوية للأطفال .

الأدب الإسلامى

تأليف الدكتور ـ أحمد محمد على

الطبعة الأولى سنة ١٩٩١

الناشر/ دار الصحوة رابطة الجامعات الإسلامية

يقع الكتاب فى ١٣٠ صفحة قدم له الدكتور/ عبدالقدوس أبو صالح نائب رئيس رابطة الأدب الإسلامى العالمية :

يضم الكتاب ثلاثة فصول :

● تناول المؤلف فى الفصل الأول الإسلام والإبداع الأدبى حيث تحدث عن الجمال فكشف لنا أن الجمال فى الإسلام روح سارية فى هذا الوجود كله ، يتناسق فيه الظاهر والباطن وينسجم فيه الجوهر والشكل .

وعالج الفصل الثانى قضية « الأدب الإسلامى »
وفى الفصل الأخير تحدث عن قضيتين :

الأولى : قضية الوضوح والغموض حيث إن الأدب الإسلامى يرفض الغموض . كما بين أن اللغة العربية : بصرفها ونحوها وبلاغتها تفرُّ من الغموض واللبس .

الثانية : قضية الإسلام والمذاهب والأدبية المعاصرة .

ومع أن هذا ليس أول كتاب فى هذا الباب ولن يكون الأخير ؛ إلا أن المؤلف له بصمته الخاصة ورؤيته المتميزة ، وهو على أى حال إضافة إلى مكتبة الأدب الإسلامى ولبنة فى صرحه الكبير .

الرحيق المختوم « فى السيرة النبوية »

تأليف : فضيلة الشيخ/ صفى الرحمن المباركفورى :

الطبعة الأولى ١٩٩٥

الناشر : دار المنار بالباب الأخضر بالحسين

لعل من دواعى الغبطة والسرور ما أعلنته رابطة العالم الإسلامى فى مؤتمر السيرة النبوية الذى انعقد فى باكستان عن إقامة مسابقة على مستوى العالم الإسلامى للبحث حول موضوع « السيرة النبوية » تنشيطا للكاتبين وتنسيقا لجهودهم الفكرية .

وقد حصل مؤلف هذا الكتاب على الجائزة الأولى ، وقد قسم هذا الباحث السيرة النبوية إلى أكثر من سبعين فصلا تناول فيها : موقع العرب وأقوامهم ومعنى العرب وتقسيمهم ، ثم الحكم والإمارة فى العرب ، ثم ديانات العرب حتى وصل إلى مولد ونسب النبى – صلى الله عليه وسلم – ثم تناول الدعوة بمراحلها السرية والجهرية وقصة الإسراء والمعراج حتى هجرة الرسول ﷺ

تناول أيضا الحياة فى المدينة والمرحلة الأولى من بناء المجتمع الجديد حتى وصل المؤلف إلى آخر البعوث ، ثم أشار إلى البيت النبوى بعد انتقال الرسول إلى الرفيق الأعلى ، ثم انتهى إلى الصفات والأخلاق كل ذلك فى مجلد بارع منظم فى أكثر من ٤٥٦ صفحة ، فصل فيها كل مرحلة فى حياة النبى – صلى الله عليه وسلم – بيسر وسهولة وإيجاز جلى .

بين المجلة والقارئ

إعداد وتقديم / عادل رفاعى خفاجة

الإسلام وكفالة اليتيم

فى كتاب الله العزيز آيات بينات تحض على الاهتمام بأمر الأيتام وآيات تحذر من يعتدى على أموالهم ظلماً ، وتنذر ذلك المعتدى بنار جهنم .

وحول هذا المعنى وردت رسالة القارىء محسن محمود محمد ـ تجارة الأزهر . تحمل كلمة بعنوان « الإسلام وكفالة اليتيم » يقول فيها :

(اليتيم) من فقد أحد أبويه ، وقالوا : واللطيم من فقد أمه ، وقيل اليتيم من فقد والديه أيضا واليتيم هو أكثر أفراد المجتمع حاجة إلى من يحنو عليه ويمسح رأسه ، ويغمره بحنانه وعطفه حتى لا يشعر بالحرمان والضياع والتشرد .

لذا أوجب الإسلام على الجماعة المسلمة رعاية اليتيم والعناية به ماديا ونفسيا .

فلقد ورد أن النبى ﷺ قال : « أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى »[1] .

وكفالة الأيتام والإحسان إليهم ، وتوفير ما يحتاجونه من ملبس ومشرب وإدخال السرور على قلوبهم من شأنه أن يزيل القسوة من القلوب ويمحو الغلظة من الصدور .

---

(١) رواه البخارى فى صحيحه عن أبى حازم عن أبيه عن سهل بن سعد .

فلقد أوصى الرسول ﷺ رجلا شكا إليه قسوة قلبه وغلظته بقوله : « امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين »(٢) .

الإمام النووى

أما القارىء/ محمد كمال الشامى ـ كلية التربية ـ أسيوط :

فقد أرسل هذه النبذة عن الإمام النووى يقول فيها :

ولد الإمام النووى الشافعى (شيخ الإسلام) فى المحرم سنة ٦٣١ هـ بإحدى قرى دمشق ، ونشأ ببلده وقرأ القرآن وتفقه فى الدين ، وتولى ـ رحمه الله ـ مهمة التدريس بدار الحديث الأشرفية بدمشق . وسعى الإمام النووى جاداً فى طلب العلم والتحصيل فى شبابه ، وأصبح يجدُ لذةً فى العلم والتحصيل له وقيل : إنه كان يقرأ كل يوم اثنى عشر درساً .

وعندما بلغ الإمام النووى الثلاثين من عمره بدأ يشتغل بالتأليف وكانت مؤلفاته تبلغ الخمسين كتاباً ، وله مؤلفات عظيمة وعلى درجة عالية من الأهمية ومن أشهر مؤلفاته :

« المناسك الكبرى » ، « المناسك الصغرى » ، « طبقات الفقهاء » ، « الفتاوى »، « شرح مسلم » ، « رياض الصالحين » .....ألخ.

ولقد أجمع أصحاب كتب التراجم بأن الإمام النووى كان ورعاً زاهداً ، وكان تقياً صالحاً وقدوة فى الورع ، وكان يُكثر من السهر والعبادة . وتوفى الإمام النووى ـ رحمه الله ـ فى شهر رجب سنة ٦٧٦ هـ ودفن ببلده . وكان يوم وفاته يوماً مشهوداً . ارتفع فيه بكاء المسلمين وتزاحم الناس على قبره وجاء الشعراء يرثونه .

رحم الله الإمام النووى ورضى عنه وجعلنا ممن يسيرون مسيرته ونقتدى بها .

الجدل

ومن الصديق خيرى محمد إبراهيم ـ خطيب مسجد الحداد ـ بلقاس ـ دقهلية .

وردت رسالة بعنوان « الجدل » نقتطف منها هذا الجزء :

الجدل والمجادلة والجدال ألفاظ تدور حول معنى واحد ، وجادله : ناقشه وخاصمه . (انظر المعجم الوجيز ـ مادة جدل .

وقد وردت هذه المادة فى نيف وعشرين موضع فى القرآن الكريم ، والجدل يختلف عن المراء ؛ لأن من يجادل ـ إن كان منصفا ـ فهو يهدف إلى أن يظهر الحق بالحجة والبيان ، وقد يكون بباطل وقد يكون بغير علم ، فأما إن كان الجدال بالحق وجب أن يكون بالحسنى.

قال ـ سبحانه :

﴿ وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ العنكبوت/٤٦

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة .

وأما إن كان الجدال بغير علم ، أو جدالا بالباطل ، فلا يكون هدفه إلا الرياء أو المداهنة أو التباهى والتفاخر والانتصار على الخصم ، ولذلك نجد الدافع لذلك هو الكبر الذى نهينا عنه ، فإن الكبرياء لله ــ وحده .

يقول الإمام أبو حنيفة النعمان : « **ما ناقشت أحداً فى مسألة إلا وتمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه** » . ولعل أنجح علاج للجدل: ألا يتكلم المرء إلا بالصدق ولا ينطق إلا حقا . فإن لم يكن على بينة من الأمر فليسعه الصمت .

العلم

ويرسل القارىء عماد ميزار عبدالعظيم جابر ــ من قرية الإعلام ــ محافظة الفيوم ــ هذه الكلمة عن العلم يقول فيها :

الإنسان مكلف بتعليم وتهذيب نفسه ؛ لرقى درجات العلم والإيمان إلى منازل الكرامة ؛ لأن العلم والإيمان هما ميزان التفاوت بين الناس كما بين تعالى فى قوله :

﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ المجادلة ــ آية ١١

وفى قوله : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ سورة يوسف ــ آية ٧٦

وقد أثنى الله ــ تعالى ــ على أولى العلم أطيب ثناء بأنهم أولوا الألباب الذين يؤمنون به لأنهم يرون آثار رحمته وجزيل نعمته وعظيم قدرته ، فيخشون شديد بطشه وعواقب غضبه ؛ ولذا قال ــ تعالى :

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟ ﴾ .

سورة فاطر ــ آية ٢٨

ويقول :

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ ﴾ سورة سبأ ــ آية ٦

ويقول ــ تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ ﴾

سورة العنكبوت ــ آية ٤٣

وقد كان الرسول ﷺ يتعلم القرآن ويعلمه للناس إلى ما بعد الستين من عمره ، وأمره ــ تعالى ــ بطلب العلم فى قوله :

﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾

سورة طه ــ آية ١١٤

والعاقل الحكيم لا يشبع من العلم مهما تعلم ولا يكف عن السعى لإنارة قلبه بنوره مهما تقدمت به السن فلقد قال أحد الحكماء : كفى بالعلم فخرا أن يدعيه من ليس فيه ، وكفى بالجهل عاراً أن يتبرأ منه من هو فيه .

ولن نصل إلى قمة العلم إلا عن طريق القرآن .

ولن نصل إلا عن طريق العلم إلى كمال الإيمان ، يقول ــ تعالى :

﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ .

سورة آل عمران ــ آية ٧

تمايز الطبقات

ويرسل القارىء : سالم مهنى عبدالعظيم هذه المساهمة بعنوان : تمايز الطبقات .

أفاض الله على بنى آدم النعمة وحباهم من الطيبات ، وسقاهم ماءً غدقا ، وسخر لهم ما فى الأرض جميعاً ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ؛ ليتكامل المجتمع فى نموه ولا يتم التكامل إلا بتفاوت أفراد البشر فى قدراتهم ، فأفانين الحياة تتطلب تبايناً فى القدرات ، ومن آياته أن وهب البشر مواهب يتمايز بها بعضهم عن بعض وهكذا .. ليحيوا حياة حسنة ، والحياة الحسنة لمجتمع صالح تقتضى أن يشتركوا فى التمتع بما أنعم الله عليهم اشتراكا عن تراحم بينهم مع تعاونٍ وتعاضد من غير أن يتعدى بعضهم على بعض أو يزاحم بعضهم بعضاً ، لكنهم لما تعدوا وتزاحموا ولم يتراحموا انقسم المجتمع إلى طائفتين : مستعلية مستكبرة ومستذلة مستعبدة .

وظن الأقوياء المستعلون أن ما أوتوا من قوة ومالٍ إنما أوتوه على علمٍ عندهم ، وأنهم أعلى درجة ممن لم يحظ بنصيب من المال وساقهم عالم المادة إلى قياس العالم الربانى بما ألفوا من عالم المادة ، فازداد الشقاء .

فلينظر الإنسان إلى ما فرط فى جنب الله حتى يستقيم أمره كى تتجدد له النعمة بعد النقمة وإلا فله الهلاك والفناء . وما إرسال الرسل إلا رحمة للعالمين لينقذهم من الهلاك والفناء ولينعموا ببركات من السماء والأرض .

من إبداعات القراء:

هى الدنيا

ومـا للمـرء فى الدنيـا إذا ما غابت الأصحـاب ؟
أيحيـا المـرء دنيـاه إذا ما أغلـق الأبـواب
صـديقـى إنمـا الدُنيـا صـديـق مخلـص وكتـاب
فكيـف تعيـش دنيـاك وتجفـو النـاس والأحبـاب

بقلم : السيد التحفة
شبراخيت/ بحيرة

أنباء مكتب الإمام الأكبر

تقديم الأستاذين / عمر البسطويسى

• مصطفى عبد المجيد

جولة الإمام الأكبر شيخ الأزهر

قام فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى بزيارة لمحافظتى دمياط وكفر الشيخ يومى ١٨ ،١٩/٩/٩٦ رافق فضيلته الأستاذ الدكتور / أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر ، وفضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية ، وفضيلة الشيخ عمر البسطويسى على المدير العام للإعلام والعلاقات العامة بناء على الدعوة الموجهة لفضيلته من السيد محافظ دمياط والسيد محافظ كفر الشيخ .

وقد التقى فضيلة الإمام الأكبر والوفد المرافق لفضيلته بمدير عام منطقة دمياط الأزهرية والعاملين بها بمبنى محافظة دمياط واطمأن فضيلته على سير العمل بالمنطقة والاستعداد لبدء العام الدراسى الجديد ١٩٩٧/٩٦ وقد وجههم فضيلة الإمام الأكبر إلى الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم والدراسة عامة والاستعانة بالمتقاعدين من مدرسى الأزهر الشريف للمشاركة فى العملية التعليمية وتحفيظ القرآن الكريم .

ثم قام فضيلته يرافقه محافظ دمياط والقيادات لشعبية والتنفيذية بالمحافظة بافتتاح مبنى جمعية دعوة الحق الخيرية المنشأة بالجهود الذاتية وافتتاح المسجد الملحق بها والعيادات الطبية والمستوصف الخيرى وأشغال (التريكو) والمعامل الطبية ، وقد أم فضيلته المصلين لأداء صلاة المغرب بمسجد الجمعية .

ألقى فضيلته محاضرة عن (أهمية المسجد فى الإسلام) ثم أجاب على أسئلة الشباب والحضور عقب صلاة المغرب .

ثم توجه فضيلته بعد ذلك إلى المجمع الرياضى الكبير ومركز التدريب بدمياط للقاء شباب

الرياضيين من محافظات الإسماعيلية وبورسعيد والشرقية والمنصورة وأسوان ودمياط حيث ألقى فضيلته محاضرة عن : « أهمية الرياضة والتربية البدنية وتربية النشىء فى الإسلام » ووجه الشباب إلى تربية العقول بالاستعانة بالقراءة والاطلاع والثقافة الدينية لتكون مواكبة لتربية الأجسام حتى يكتمل الجسم والعقل وليصبح الشاب مواطنا صالحاً يرتقى بمستوى وطنه ، كما وجههم إلى عدم التعصب والبعد عن الأخطار والتطرف وأخذ رأي أولي الأمر من العلماء فيما يعترضهم من المسائل الدينية ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ الأنبياء : ٧

كذلك قام فضيلته والوفد المرافق بزيارة مبانى كلية الطب ــ جامعة الأزهر ــ والوقوف على ما تم إنجازه تمهيدا لافتتاحها .

وفى زيارته لمحافظة كفر الشيخ التقى فضيلته بالعاملين بمنطقة كفر الشيخ الأزهرية حيث اطمأن منهم على الاستعداد للعام الدراسى ووجههم كما فعل بدمياط إلى الاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم لطلاب المعاهد الأزهرية بالمنطقة والاستعانة بأكفأ مدرسى هذه المعاهد لتحفيظ القرآن الكريم ، ثم قام فضيلته ومرافقوه بافتتاح عدة معاهد أزهرية أقيمت بالجهود الذاتية إبتدائية وإعدادية .

كما قام فضيلته بوضع حجر الأساس لكلية الدراسات الإسلامية والعربية كفرع لجامعة بكفر الشيخ .

★ شهد فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الجلسة الافتتاحية للندوة التى نظمتها كلية الطب ــ بنات ــ جامعة الأزهر تحت عنوان (الإدمان وأثره على المجتمع) كما شهد الجلسة الأستاذ الدكتور وزير الصحة والأستاذ الدكتور رئيس جامعة الأزهر ونواب رئيس الجامعة .

وقد أكد فضيلة الإمام شيخ الأزهر الشريف فى الكلمة التى ألقاها على أن الإدمان رذيلة من الرذائل التى إذا انتشرت فى أمة كان أمرها فرطا ، فالإدمان جريمة ونكبة لها آثارها الاقتصادية والصحية والاجتماعية السيئة ، مشيراً إلى أن الإدمان من الأمراض الخطيرة التى تدل على ضعف الدين ونقصان العقل .

وقال فضيلته : إن الإدمان سواء بشرب الخمر أو بتعاطي الحشيش أو الأفيون أو السموم البيضاء إذا انتشر بين الشباب دَمَّرَ أخلاقهم وذهب بقيمهم وتقواهم وورعهم وحولهم من طاقة معمرة منتجة إلى طاقة معطلة مخربة لاتجنى الأمة منهم إلا الخسران .

وطالب فضيلته ــ فى ختام كلمته ــ بأن يتكاتف الجميع ـ حكاما ومحكومين ـ ببذل الجهد من أجل القضاء على الإدمان وحماية المجتمع من خطره .

معاهد جديدة يضمها الأزهر

وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف على ضم المعاهد الآتى بيانها إلى الأزهر الشريف وصدر قرار الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بالموافقة على هذا الضم وهى :

ـ معهد حسين حماد الثانوى بنين محافظة الغربية

ـ معهد السعدية القبلية الابتدائية للبنين محافظة دمياط

ـ معهد فتيات البوصيرى الإعدادى النموذجي محافظة الشرقية

ـ معهد الخيس الإعدادى للبنين محافظة الشرقية

ـ معهد القنايات الإعدادى للبنين محافظة الشرقية

ـ معهد التجاريين الإبتدائى محافظة دمياط

ـ معهد ترسا الابتدائى محافظة الفيوم

ـ معهد دراجيل الإعدادى للفتيات محافظة المنوفية

هذا وقد وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إنشاء معهد باسم فضيلة الإمام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق الثانوى الأزهرى للبنين ببطرة ـ مركز طلخا ـ محافظة الدقهلية .

وقد صدر قرار السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء بإنشائه وذلك برقم ٢٠٨ لسنة ١٩٩٦

كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر على ضم المعاهد التالية للأزهر وقد صدر فى شأنها قرار الأستاذ الدكتور رئيس الوزراء رقم ٢٨٩ لسنة ٩٦ وهذه المعاهد هى :

ـ معهد لاصقير البلد محافظة كفر الشيخ

ـ معهد أبو عيسى الإبتدائى محافظة كفر الشيخ

ـ معهد الديسمى الإبتدائى محافظة الجيزة

ـ معهد فتيات بهنباى الثانوى محافظة الشرقية

ـ معهد بنوفر الإبتدائى محافظة الغربية

ـ معهد تكلا العنب محافظة البحيرة

ـ معهد العباسية الإبتدائى كفر سعد محافظة دمياط

ـ معهد المستشار سيد خالد محافظة بنى سويف

ـ معهد بنى عدى محافظة بنى سويف

ـ معهد الشيخ محمود عبد اللطيف الشافعى محافظة بنى سويف

ـ معهد الشيخ محمود عبد اللطيف الشافعى محافظة بنى سويف

ـ معهد نجع الشيخ حمد الابتدائى محافظة سوهاج

ـ معهد الحر الابتدائى الإعدادى محافظة الجيزة

كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على ضم معهد اسبيكو بمحافظة القاهرة حيث صدر قرار ضمه من السيد الأستاذ الدكتور رئيس مجلس الوزراء رقم ١٨٠ لسنة ١٩٩٦ كذلك وافق فضيلته على ضم معهد الجلاوية البلد الإبتدائى بمركز ساقلته بمحافظة سوهاج وصدر قرار السيد الدكتور رئيس الوزراء رقم ١٧٩ لسنة ١٩٩٦ بضمه .

شيخ الأزهر والتحدى الحضارى

نظمت رابطة الجامعات الإسلامية مع جامعة عين شمس ندوة : « العالم الإسلامى والتحدى الحضارى » التى رأسها فضيلة الإمام الأكبر وقد ندد المشاركون بالاعتداءات الوحشية التى تقوم بها إسرائيل على المقدسات الإسلامية والاعتداء على المصلين ، وقد دعا فضيلة الإمام الأكبر إلى توحيد الصفوف وشحذ الهمم ، ونبذ الفرقة لمواجهة كافة التحديات التى تهدد حاضر العالم الإسلامى ومستقبله بالإضافة إلى ضرورة وقف الحروب الأهلية التى تستنزف طاقات المسلمين وتعطى الفرصة لأعداء الإسلام ليتدخلوا فى أمورنا الداخلية بإذكاء نار الفتنة حتى تتحقق لهم مآربهم الدنيئة .

ودعا الدكتور عبد الوهاب عبد الحافظ رئيس جامعة عين شمس المسلمين إلى محاربة التيارات المغرضة التى تهدف إلى إثارة البلبلة والفتن فى صفوف المسلمين حتى تضعف قوتهم مثلما يحدث الآن وكذلك الأخذ بأساليب التقدم العلمى فى كافة المجالات لأن طلب العلم ووحدة الصف هى الفريضة الغائبة فى حياة المسلمين الآن .

وطالب الدكتور جعفر عبد السلام الأمين العام لرابطة الجامعات الإسلامية بتكوين جيش إسلامى يكون تابعا لمنظمة المؤتمر الإسلامى تكون مهمته الدفاع عن مصالح المسلمين وحماية أراضيهم ودمائهم وأعراضهم وأموالهم التى يعتدى عليها كل يوم من أعداء الأمة ، وكذلك لابد من تنفيذ توصية مؤتمر القمة الإسلامى بالكويت عام ٧٨ وخاصة فيما يتعلق بإنشاء محكمة عدل إسلامية دولية تكون مهمتها حل مشاكل المسلمين .

ترقيات بالندب

ـ أصدر فضيلة الإمام الأكبر قرارا بندب فضيلة الشيخ رفعت مجاهد متولى مديراً عاماً بالأمانة العامة للجنة العليا للدعوة الإسلامية بالأزهر الشريف .

ــ ندب السيد الأستاذ مصطفى هوارى عبد العال مديراً عاماً للتفتيش المالى والادارى بالأزهر الشريف .

ــ وندب السيد الأستاذ / سيد مكاوى السيد مديراً عاماً لشؤون العاملين بالأزهر الشريف .

اعتماد قرارات المجلس الأعلى للأزهر

ترأس فضيلة الإمام الأكبر اجتماع المجلس الأعلى للأزهر الشريف بقاعة الاجتماعات الكبرى بالأزهر .

وقد وافق المجلس فى هذا الاجتماع على الموضوعات التالية :

ــ اعتماد نتائج الحساب الختامى للحسابات الخاصة لمكتب فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر عن العام المالى ١٩٩٦/٩٥ .

ـ اعتماد معادلة درجة دكتوراه (الفلسفة) فى علوم الحاسب من جامعة ووترلو بكندا بدرجة دكتوراة (الفلسفة) فى العلوم التى تمنحها جامعة الأزهر فى التخصص المناظر .

ـ تطبيق اللائحة المالية والإدارية لمشروعات البحوث المشتركة مع جهات أجنبية أو دولية بالجامعات المصرية على جامعة الأزهر .

ـ اعتماد قواعد تحصيل قيمة الاستمارات المعدة للقبول بالمدن الجامعية لطلاب وطالبات جامعة الأزهر .

ـ فصل تخصص أصول التربية الإسلامية عن قسم (أصول التربية) ليصبح قسما مستقلا بكلية التربية جامعة الأزهر .

ـ فصل تخصص وحدة جراحة المخ والأعصاب عن قسم الجراحة العامة بكليتى الطب بنين وبنات بجامعة الأزهر لتصبح قسما مستقلا بكل كلية من الكليتين .

ـ اعتماد قواعد تشكيل اللجان العلمية الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين بجامعة الأزهر وكذلك اعتماد نظام العمل بهذه اللجان ، وكذا التشكيلات المقترحة العلمية الدائمة لترقية الأساتذة .

ـ تحويل مستشفى الطلبة إلى وحدة ذات طابع خاص باسم (مستشفى الطلبة بجامعة الأزهر) .

ـ تعديل نص المادة رقم (٣٠٩) من اللائحة التنفيذية للقانون ١٠٣ لسنة ٦١ وتعديل صياغة المادة (٦) مكرر المراد اضافتها للقانون حسبما ارتأى قسم التشريع بمجلس الدولة .

* كذلك وافق فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر على إقامة الدورة التدريبية الخامسة والثلاثين لتدريب الدعاة الوافدين من العالم الإسلامى إلى الأزهر وذلك لمدة ثلاثة أشهر فى الفترة من ١٩٩٦/١١/١ حتى ١٩٩٧/١/٣١

تشارك فى هذه الدورة دول : سنغافورة/ البرتغال/ جنوب أفريقيا/ بنين الشعبية/ موريتانيا/ ألبانيا/ بنجلاديش .

جدير بالذكر أن هذه الدورات تنظمها اللجنة العليا للدعوة الإسلامية على مدار العام حيث يتحمل الأزهر الشريف نفقات السفر والإقامة والإعاشة بمدينة البعوث الإسلامية .

استقبالات الإمام الأكبر

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه معالى الوزير أحمد مورافى وزير الشئون الدينية والإسلامية بدولة الجزائر يرافقه سعادة السفير الدكتور مصطفى الشريف سفير الجزائر بالقاهرة .

يتناول اللقاء الوضع فى الجزائر بصفة عامة كما تناول بحث سبل التعاون بين الأزهر الشريف ووزارة الشئون الدينية والإسلامية بدولة الجزائر بصفة خاصة وذلك من خلال دعم الأزهر الشريف لمؤسسات التعليم بالجزائر وإمدادها

بالمدرسين والعلماء والمناهج الدراسية والكتب والمراجع العلمية ، وتدريب الأئمة والوعاظ بالأزهر الشريف .

وقد وجه معالى الوزير الدعوة الرسمية لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف لزيارة الجمهورية الجزائرية .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر بمكتبه الحاج/ إسماعيل نور الدين نائب وزير الأوقاف بسيراليون والمندوب الشخصى لفخامة رئيس جمهورية سيراليون ، وفى بداية اللقاء وجه الضيف الدعوة لفضيلة الإمام الأكبر لزيارة دولة سيراليون ، وتناول الحديث الوضع الداخلى وأوضاع المسلمين بسيراليون .

كذلك تناول اللقاء بحث طلب سيراليون زيادة المنح الدراسيه ... ـا للالتحاق بالأزهر الشريف ، وزيادة عدد مدرسى بعثة الأزهر لسيراليون لما لذلك من أثر طيب فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية .

تناول اللقاء كذلك بحث إمداد المساجد والمكتبات بسيراليون بالكتب والمراجع العلمية والثقافية والدينية .

وفى نهاية اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر الضيف نقل تحياته لفخامة الرئيس السيراليونى . كما وعد فضيلته ببحث مطالب سيراليون مؤكداً على أن الأزهر الشريف لا يدخر وسعاً فى مساعدة أبناء هذا الشعب الكريم .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف بمكتبه معالى الوزير/ محمد موسى شحيم وزير خارجية جيبوتى والوفد المرافق لسيادته .
نقل الضيف لفضيلة الإمام الأكبر رسالة شفهية من الرئيس حسن جوليد رئيس جمهورية جيبوتى حملت شكره للأزهر الشريف على مايقوم به من دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية فى العالم أجمع .

وتناول اللقاء بحث طلب جيبوتى قيام الأزهر بإنشاء معهد أزهرى بجيبوتى نظراً للحاجة الماسة والتعطش الشديد لدى طلبة جيبوتى لتحصيل العلم الدينى القويم الذى يمثله الأزهر من اعتدال ووسطية .

وقد وعد فضيلة الإمام الأكبر بدراسة مشروع إنشاء المعهد على أن يكون متطوراً يشتمل على المراحل الدراسية الابتدائية والاعدادية والثانوية وأن تكون مناهجه مطابقة لمناهج الأزهر الشريف .

وفى ختام اللقاء حمل فضيلة الإمام الأكبر الضيف تحياته وشكره لفخامة الرئيس حسن جولير وحكومة وشعب جيبوتى الشقيق .
حضر اللقاء السفير/ محمد محمد كامل سفير جمهورية جيبوتى بالقاهرة والسفير/ مصطفى يحيى سفير مصر فى جيبوتى .

* استقبل فضيلة الإمام الأكبر سماحة الشيخ/ داتو عبد القادر بن طالب مفتى كوالالمبور بماليزيا والوفد المرافق لسماحته .

فى بداية اللقاء أشاد سماحة المفتى بدور الأزهر الشريف البارز فى نشر الدعوة والثقافة الإسلامية فى العالم أجمع من خلال البعثات الأزهرية التى يوفدها وبوجه خاص لدولة ماليزيا .

كذلك تناول اللقاء بحث بعض المسائل الفقهية حيث أجاب فضيلة الإمام الأكبر على أسئلة الوفد واستفساراته .

★ كذلك استقبل فضيلة الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الله محمد زين عميد كلية الدعوة الإسلامية بولاية (ترنجانو) بماليزيا والوفد المرافق لسيادته حيث أبلغ فضيلة الإمام الأكبر تحية وتهنئة سلطان الولاية لفضيلته بمناسبة تعيينه شيخاً للأزهر الشريف .

حضر اللقاء فضيلة الشيخ محمد بشير عبد العال رئيس قطاع المعاهد الأزهرية وفضيلة الشيخ سامى الشعراوى الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية وفضيلة مدير عام الإعلام والعلاقات العامة بالأزهر الشريف .

★ أدى فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر صلاة الجمعة الموافق ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٧ ١٩٩٦/٩/٢٧ بالجامع الأزهر الشريف حيث ألقى فضيلته خطبة الجمعة مطالباً جموع المصلين التى أدت الصلاة بأداء صلاة الغائب على أرواح شهداء الانتفاضة الفلسطينية ، وأكد فضيلته على ضرورة دعم المجاهدين فى فلسطين وطالب المسلمين بالتصدى للعدو بكل قوة وأن يقابل العدو بسلاح أفتك مما يستخدمه معنا كما قال ﷺ **« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف »** .

هذا وقد أدت جموع المصلين عقب صلاة الجمعة صلاة الغائب على أرواح شهداء الانتفاضة الفلسطينية بالجامع الأزهر الشريف .

الأزهر والقدس

د. محمد عبد الحكيم محمد

الإمام الأكبر شيخ الأزهر

• الأمة الإسلامية فى أمس الحاجة إلى موقف موحد من تهويد القدس.

شهدت مدينة القدس فى الأيام الأخيرة شرارة انتفاضة لم تشهدها المدينة منذ سنوات فى أعقاب فتح نفق يهودى أسفل المسجد الأقصى ثم امتدت شرارة الأحداث لمدن عديدة فى الضفة .

وقد قام جنود الاحتلال بضرب المتظاهرين والمحتجين بالرصاص ،وطاردوا بعضهم داخل هذه المناطق التابعة للحكم الذاتى .

الأمر الذى دعا رجال الشرطة الفلسطينية للرد ، وبذلك تحولت القدس والضفة الغربية وغزة إلى ساحة حرب حقيقية ، وأعلنت سلطات الاحتلال الإسرائيلى حالة الطوارىء فى القدس والضفة وغزة ، وأرسلت تعزيزات عسكرية كثيفة لحماية قواتها ، وقال وزير الدفاع الإسرائيلى : إنه سيستخدم طائرات الهليوكبتر والدبابات والمدفعية حتى الصواريخ إذا تطلب الأمر لقمع هذه الانتفاضة

• الكاتب : يعمل صحفيا بمجلة الأزهر .

● شيخ الأزهر يطالب المسلمين بحماية المسجد الأقصى بكل مال وسلاح .

ولم تكتف السلطات الصهيونية بذلك ، بل فتحت نيران أسلحتها على الفلسطينيين العزل ، مما أدى إلى استشهاد العشرات وجرح واعتقال الآلاف ، واقتحمت المسجد الأقصى وقتلت المصلين داخله إمعانا فى التحدى والغطرسة ، كما اخترقت إحدى طائراتها : الأراضى المصرية وأصابت ضابطا مصريا كان يؤدى واجبه حارسا على حدود وطنه .

وإسرائيل إنما تجنى على نفسها بخرق القوانين والأعراف الدولية ، وتحديها فى ذات الوقت مشاعر أكثر من مليار مسلم ترتبط عقيدتهم بالمسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين .

الأمر الذى يستدعى تحركا دوليا إسلاميا سريعا تتلقى به إسرائيل درسا تحترم – بعده – الإسلام والمسلمين ، ويتم الحفاظ على المسجد الأقصى وإحباط المخططات الصهيونية لتهويد القدس الإسلامية العربية وقطع الطريق على ضمها إلى إسرائيل .

لقد أثارت هذه الممارسات الإسرائيلية غضب واستكار العرب والمسلمين فى العالم كله ، وأكد علماء الإسلام على ضرورة التصدى لهذه المؤامرة بكل الوسائل المتاحة ، ودعم صمود الشعب الفلسطينى فى الدفاع عن أرضه ومقدساته .

وفى خطبة الجمعة للإمام الأكبر يوم ١٤ من جمادى الأولى ١٤١٧هـ – ١٩٩٦/٩/٢٧

● المساس بالقدس يستنهض المسلمين للدفاع عن عقائدهم

● شق النفق جزء من مخطط كبير يستهدف تهويد القدس

استنكر فضيلته المجازر الإجرامية الصهيونية التى جرت مؤخرا فى أعقاب التحرك الخطير لهدم المسجد الأقصى ، وأدان فضيلته العدوان الإسرائيلى على المسجد الأقصى ، وناشد المسلمين جميعا أن يقفوا صفا واحدا مع إخوانهم الفلسطينيين للدفاع عن المسجد الأقصى بكل الوسائل والسبل بما فيها : المال والسلاح .

كذلك أكد فضيلة الإمام الأكبر من فوق منبر الأزهر أن الدفاع عن المسجد الأقصى واجب مقدس باعتباره : أولى القبلتين وثالث الحرمين ومسرى رسول الله ﷺ .

وبيّن فضيلته : أن حفر النفق تحت المسجد الأقصى يعد انتهاكا لحرمته وقدسيته ، وأن كل الحفائر والأعمال التى تضر بالمسجد الأقصى تعدُّ تعديا وانتهاكا لمقدسات المسلمين ، وأكد على أن الدفاع عن المساجد : واجب على جميع المسلمين خاصة المسجد الحرام والمسجد الأقصى والمسجد النبوى ، وأن الذين قتلوا فى الأراضى الفلسطينية

• الحكومات الإسلامية مطالبة

بصدد مؤامرة هدم المسجد الأقصى

دفاعا عن مقدساتهم شهداء عند الله - تعالى - ثم أدى فضيلته بجموع المصلين صلاة الغائب على أرواح الشهداء الطاهرة بالجامع الأزهر .

• مفتى القدس :

لن نتهاون فى الدفاع

عن المسجد الأقصى .

وفى فلسطين : ناشد الشيخ عكرمة صبرى مفتى القدس والديار الفلسطينية القادة العرب والمسلمين سرعة التحرك لإنقاذ المسجد الأقصى بعد الممارسات القمعية الإسرائيلية الأخيرة وانتهاكات قواتها لحرمة المسجد الأقصى وقتل المصلين داخله يوم الجمعة الماضى .

وأضاف فضيلته : أن مسلمى القدس لم يفرطوا فى مقدساتهم ولن يسمحوا لليهود بالدخول إلى ساحات المسجد الأقصى مهما كان الثمن ، وأنهم على استعداد تام للدفاع عن هذه المقدسات حتى الموت ، فخير لهم أن يموتوا شهداء من أن يعيشوا أذلاء .

وقال فضيلته : إن إسرائيل تعلم أن المسجد الأقصى خط أحمر وأن القدس خط أحمر بالنسبة لأكثر من مليار مسلم فى العالم كله ، وأن العرب والمسلمين لن يتهاونوا إزاء عدوانها على أولى القبلتين وثالث الحرمين .

وأكد أن الأوضاع لن تهدأ حتى تغلق إسرائيل النفق الذى شقته تحت المسجد الأقصى ولن نرضى بأقل من ذلك . وكان الشيخ عكرمة قد أصيب فى المصادمات التى وقعت عندما حاول الجنود اليهود اقتحام المسجد الأقصى .

وحذر الشيخ عكرمة صبرى من أن إسرائيل تريد أن تفرض أمرا واقعا فى القدس قبل بدء مفاوضات المرحلة النهائية وذلك بسعيها الدءوب إلى تغيير المعالم والأوضاع السكانية فى القدس لصالحها عن طريق نزع ملكية الأراضى من الفلسطينيين والاستيلاء عليها لبناء مساكن عليها للمستوطنيين اليهود ، وطرد العرب من منازلهم وعدم السماح لهم ببناء ولو طوبة واحدة على أرضهم وفرض الضرائب الباهظة على التجار العرب حتى يغلقوا متاجرهم ويهجروها إلى خارج القدس ، وكل هذه أساليب ملتوية لتهويد المدينة وتفريغها من سكانها العرب المسلمين ، حتى لا يتبقى شىء يمكن التفاوض عليه فى المستقبل .

وشدد فضيلته على أن مسلمى القدس لن يفرطوا فى حبة رمل من مقدساتهم وأنهم على استعداد للموت فداء للأقصى المبارك ولمقدساتهم الأخرى بالمدينة ، وأنهم يناشدون العالم العربى والإسلامى والمجتمع الدولى سرعة التحرك للضغط على إسرائيل لإغلاق النفق ورفع يدها عن الأماكن

• قتل الضابط المصرى إرهاب دولى وانتهاك لحقوق الحدود.

المقدسة وترك المسلمين يؤدون شعائرهم بحرية ويمارسون حياتهم الطبيعية .

وفى ندوة التحدى الحضارى ، قال فضيلة الإمام الأكبر : إن المسلمين الآن فى تحدٍ مع إسرائيل وعليهم أن يقبلوا هذا التحدى .

وأوضح فضيلته فى هذه الندوة : أن الحياة كلها تقوم على التحدى ، وأن الانسان يظل يعيش فى تحد إلى أن يلقى الله ـ عز وجل ـ فيستريح ، لأن الحياة الأخروية خالية من أى تحد ، أما فى الدنيا فلا تخلو الحياة من التحدى أبداً ، بين العقلاء والسفهاء ، بين العلماء والجهلاء ، بين الأخيار والأشرار ، فهذه هى طبيعة الحياة .

وبيّن فضيلته أهمية امتلاك الأمة العربية والإسلامية لسلاح فتاك تستطيع أن ترد به على الأعداء وتواجه به التحديات ، ووصف فضيلته **«شق نفق القدس»** بأنه مؤامرة صهيونية كان يجب التصدى لها منذ بداية الحفر بالنفق .

وردا على سؤال مع فضيلة الامام الأكبر : السلام فى الإسلام ، وهل يقوم على الظلم والاستسلام ؟

قال فضيلته : إن الشريعة الإسلامية تطالب وتحث على السلام العادل الذى يعطى كل ذى حق حقه ، كما أن الشريعة الإسلامية ضد الاستسلام والظلم ، وأن الإسلام مستمد من السلام ، فإذا ما اتجهت إسرائيل إلينا انطلاقا من هذا الفهم نمدُّ لها أيدينا .

• لابد من الوقوف

مع إخواننا الفلسطينين

من أجل القدس .

وبعد :

فإنه عندما بدأت مسيرة السلام استبشر العرب والمسلمون خيرا ، ولكن مع هذه الانتهاكات للأعراف الدولية والمقدسات الإسلامية من جانب الحكومة الإسرائيلية ، فقد تأكد لنا موقف . حكومة الليكود من تدمير عملية التسوية السلمية والتخطيط لابتلاع الأراضى العربية وتهويد القدس فى تحد سافر لمشاعر أكثر من مليار عربى ومسلم فى العالم أجمع .

فقد آن أوان النظر فى وقف كل أشكال التطبيع مع العدو الصهيونى واستيقاظ الأمة العربية والإسلامية من غفوتها لاتخاذ موقف موحد ينقذ القدس الذى بات يستصرخ المسلمين .

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ .
٤٠ (سـورة الحج)

أنباء العالم الإسلامي

إعداد الأستاذ/ مجدى عبدالحميد بشير

القاهرة

عقد المجلس الأعلى للقوات المسلحة اجتماعا صباح السبت ٢٢ جمادى الأولى ١٤١٧ هجرية ٥ أكتوبر ١٩٩٦ برئاسة الرئيس حسنى مبارك رئيس الجمهورية والقائد الأعلى للقوات المسلحة وذلك بمقر وزارة الدفاع وقد استعرض الرئيس مبارك ـ خلال هذا الاجتماع ـ أهم القضايا على الساحتين : الداخلية والخارجية موضحا الجهود التى تقوم بها مصر فى سبيل دعم ودفع عملية السلام فى الشرق الأوسط فى ظل مبادئها الراسخة فى تحقيق سلام عادل وشامل لكافة دول المنطقة ، كما أشاد بما وصلت إليه قواتنا المسلحة من مستوى رفيع الأداء فى كافة أولوية الدفاع الحديث .

وكان الرئيس قد قام قبل ذلك بزيارة النصب التذكارى للجندى المجهول فى بداية الاحتفالات بالذكرى الثالثة والعشرين لانتصارات رمضان أكتوبر المجيدة حيث وضع سيادته أكاليل الزهور وقرأ الفاتحة على أرواح الشهداء كما قام بزيارة قبر الرئيسين الراحلين جمال عبدالناصر وأنور السادات .

تهانى

أكدت جماهير عمال مصر أنها ستظل مع جيشها الباسل جبهة صلبة تحمى أمن الوطن ومنجزات الشعب لتمضى باذن الله من نصر إلى نصر مع القيادة المخلصة الأمينة للرئيس مبارك جاء ذلك فى برقية تهنئة بعث بها رئيس الاتحاد العام لنقابات عمال مصر . كما بعث الأمين العام لجامعة الدول العربية ببرقيتى تهنئة لكل من الرئيس حسنى مبارك والرئيس السورى لنفس الغرض كما بعث المهندس مصطفى النتشة رئيس بلدية الخليل رسالة للرئيس مبارك شكره فيها على موقفه الشجاع إزاء اجراءات الحكومة الإسرائيلية وممارساتها التعسفية والمجازر البشعة التى اقترفتها ضد الشعب الفلسطينى فى الحرم القدسى الشريف .

طرابلس

طالب السيد نجم الدين أربكان رئيس الوزراء التركى بضرورة رفع الحصار الاقتصادى المفروض على ليبيا وأضاف سيادته أنه لمس الظلم الذى سببه هذا الحصار للشعب الليبى ، والمعروف أن أربكان سافر إلى ليبيا برا بسبب الحظر الجوى على

الرحلات الجوية إلى ليبيا منذ عام ١٩٩٢ بزعم دعمها للإرهاب ، وكان سيادته قد زار إيران فى وقت سابق من هذا العام . وجدير بالذكر أن وصول أربكان إلى السلطة قد أنهى أكثر من ٧٠ عام من الحكم المحلى العلمانى الموالى للغرب .

قطـــر

أكد وزير خارجية قطر أن بلاده ستوقف تطبيع علاقتها مع إسرائيل بسبب الأزمة الراهنة فى مسيرة السلام بالشرق الأوسط ، وقال : إنه أرجأ افتتاح مكتب تجارى لقطر فى إسرائيل كما أمر بوقف جميع الاتصالات المباشرة ــ والتى وصفت بالهرولة ــ مع المسئولين الإسرائيليين ، وندد سيادته تنديدا شديدا برئيس الوزراء الإسرائيلى واتهمه بأنه ليست لديه أى خطة للسلام .

فلسطين

عقد ياسر عرفات رئيس السلطة الوطنية الفلسطينية مباحثات فى القاهرة مع الرئيس المصرى حسنى مبارك أطلعه فيها على نتائج قمة واشنطن الفاشلة والتى رفض الرئيس حسنى مبارك المشاركة فيها .

كان عرفات قد قال قبل وصوله إلى القاهرة إن الفلسطينيين لن يقوموا بأى تنازلات عن حقوقهم المشروعة .

هذا ومن المتوقع أن يصل وزير خارجية أمريكا إلى منطقة الشرق الأوسط للمشاركة فى الإشراف على المؤتمر الذى سيعقده رئيس السلطة الفلسطينية مع رئيس وزراء إسرائيل عند معبر ايرتيز .

أكد الرئيس حسنى مبارك أنه لن يكون هناك سلام فى منطقة الشرق الأوسط ما لم يتح تنفيذ جميع اتفاقيات السلام المعقودة بشكل كامل .

وقال سيادته فى كلمة ألقاها فى الذكرى ٢٣ للاحتفال بانتصارات أكتوبر ، أن القوة وحدها مهما كبر حجمها لن تضمن تحقيق أمن شامل وأضاف أنه يأمل أن تكون حرب رمضان/ أكتوبر هى آخر الحروب كما أعرب عن أمله فى أن تتجاوز عملية السلام كل العراقيل ، وكان وزير الخارجية المصرى قد أكد أن مسيرة السلام ستنهار ما لم يغير رئيس وزراء إسرائيل موقفه المتشدد .

وقال سيادته أن العالم العربى يساوره التشاؤم من احتمال عدم تحقيق أى نجاح فى الاجتماع المرتقب عند حاجر ايرتيز . والمعروف ان افتتاح إسرائيل لنفق شقته تحت المسجد الأقصى بالإضافة إلى المراوغة الدائمة فى تنفيذ اتفاقيات أوسلو من جانب إسرائيل كان من الأسباب التى أدت إلى المواجهات الدامية بين إسرائيل والشعب الفلسطينى .

جروزنى

اندلع القتال من جديد فى جروزنى العاصمة الشيشانية التى ظلت هادئة نسبيا منذ التوصل إلى اتفاق لإنهاء الصراع منذ شهرين تقريبا ، وقالت وزارة الداخلية الروسية : إن جنديا روسيا قد قتل فى أثناء معركة قصيرة مع المقاتلين الشيشان فى مركز قيادى بجنوبى غربى العاصمة ، ووصف الروس المعركة بأنها فض لاتفاق السلام الذى عقده رئيس مجلس السان القومى الروسى مع القادة الشيشان وكان المقاتلون الشيشان يعمدون خلال الأسابيع الماضية إلى الالتزام بوقف إطلاق النار فى جروزنى بالمشاركة مع القوات الروسية .

وقد عزل الرئيس الروسى القائد الذى تسبب فى هذه الحوادث .

poussière? Alors les anges répondent: "Ô Allah Tu es l'Omniscient!" Allah leur dit alors: "Je vous prends à témoins, Ô mes anges, que celui qui le consolera et le satisfaira Je lui donnerai satisfaction le Jour du Jugement Dernier".

"Hadith rapporté par Al-Kurtuby."

Le Prophète -b.s.- a dit également: "Celui qui hébergera un orphelin et pouverra à ses besoins trouvera un refuge contre l'Enfer le Jour du Jugement Dernier. Et celui qui caressera la tête d'un orphelin, il lui sera accordé un bienfait pour chaque cheveu de sa tête".

"Hadith rapporté par Al-Kurtuby."

Le Prophète -b.s.- a dit aussi: "Celui qui pourvoit à sa charge à la nourriture et à la boisson d'un orphelin, tant qu'il en a besoin, il aura pour récompense le Paradis".

"Hadith rapporté par Ahmed."

On raconte que le Prophète -b.s.- dit un jour à ses compagnons: "Voulez-vous que je vous indique les plus graves péchés?". Volontiers dirent les compagnons. "C'est, dit-il, l'association d'un autre Dieu à Allah, la magie, l'homicide commis injustement, l'usure, le gaspillage des biens de l'orphelin, la fuite du champ de bataille, l'accusation des femmes mariées, chastes et croyantes".

Hadith rapporté par Al-Bokhary.

Il a dit également: "Celui qui 'heberge un orphelin de parents musulmans, jusqu'à ce qu'il en soit dispenser, il recevra certes en récompense le Paradis".

"Hadith rapporté par Ahmed et Al-Tabarany."

Il a dit aussi: "Celui qui caresse la chevelure d'un orphelin par compassion, recevra un bienfait pour chaque cheveu que sa main aura touché".

"Hadith rapporté par Ahmed et Al-Tabarany."

On raconte également que le Prophète -b.s.- dit un jour: "La meilleure maison des musulmans est celle où est hébergé un orphelin et où il est traité avec bonté, la pire des maisons des musulmans est où est hébergé un orphelin et où il est maltraité".

"Hadith rapporté par Abu-Horaïra."

orphelins. Dis "faire ce qui est bien pour eux est la meilleure des actions. Et si vous les mêlez à vous, après tout, ce sont vos frères" Allah sait distinguer celui qui sème la corruption de celui qui fait le bien].

"Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V.220."

Orphelins en ces termes: [Et donnez aux orphelins leurs biens, n'y substituez pas le mauvais au bon. Ne mangez pas leurs biens avec les vôtres: c'est un grand péché].

"Surate 4 - "Al-Nissa" Les Femmes V.2."

Allah - gloire à Lui - a ordonné aux tuteurs d'accorder aux orphelins la protection et de prendre soin de leur éducation physique, morale et spirituelle. Les tuteurs doivent faire fructifier l'argent des orphelins puis, lorsque ces derniers atteignent l'âge de la majorité, ils doivent leur remettre la totalité de leurs biens. Le tuteur doit mettre à l'épreuve la raison de l'orphelin et il doit aussi l'avertir contre ceux qui voudraient abuser de ses biens en profitant de son jeûne âge.

Mais que faire si le tuteur est dans le besoin? Dans ce cas, la loi lui permet de toucher un salaire en échange de sa gérance des biens et de leur fructification. Par contre, Allah - gloire à Lui - demande au tuteur riche de diriger les biens de l'orphelin bénévolement. Il dit: [Et éprouvez les orphelins. Lorsqu'ils atteignent la majorité et que vous sentez chez eux le bon sens alors remettez-leur leurs biens. Ne managez pas ceux-ci en gaspillage et dissipation à un point exorbitant. Quiconque est aisé, qu'il s'abstienne d'y toucher par charité! S'il est pauvre, alors qu'il en prenne modérément. Et, lorsque vous leur remettez leurs biens, prenez des témoins. Allah suffit pour évaluer cela].

"Surate 4 "Al-Nissa" Les Femmes V.6."

On raconte qu'un homme alla se plaindre au Prophète -b.s.- de la dureté de son coeur; le Prophète -b.s.- lui dit: "Si tu veux que ton coeur s'attendrisse, caresse la tête d'un orphelin et nourrit un pauvre".

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Le Prophète -b.s.- a dit: "Quand l'orphelin pleure le trône du Créateur frémit, alors Allah - gloire à Lui - dit à Ses anges: "Ô anges quel est celui qui a fait pleurer cet orphelin dont j'ai enseveli le père dans la

Il a dit également: "Celui qui subvient aux besoins de trois orphelins est semblable à celui qui passe la nuit en prière, jeûne le jour, et s'en va brandit son épée pour la cause d'Allah. Nous serons lui et moi au Paradis tels des frères tout comme ceux-ci". Et il joignit son index et son majeur.

"Hadith rapporté par Ibn Magah."

Le Coran nous montre le danger qu'on court à maltraiter l'orphelin. Il nous dit: [As-tu vu celui qui renie la religion?
Or, c'est celui qui rabroue l'orphelin,
et qui n'incite point à nourrir le nécessiteux].

"Surate 107 "Al-Ma'oum" les Ustensiles V.1 et 2"

Allah - gloire à Lui - fait une grâce à Son Prophète -b.s.- et lui recommande de bien traiter l'orphelin, Il lui dit: [Ne t'a-t-il pas trouvé orphelin? alors Il t'a donné asile?] [Quant à l'orphelin, ne l'opprime pas].

"Surate 93 "Al-Doha" Le Jour Montant V.6 et 9."

Allah - gloire à Lui - a interdit d'une manière générale de gaspiller l'argent des gens. Il a dit: [Ne dévorez pas à tort vos biens entre vous; n'en versez pas une part aux juges dans le but de manger injustement une part des biens d'autrui, alors que vous le savez].

"Surate 2 "Al-Baqara" La Vache V.188."

Malgré cet avertissement, Allah a expressément spécifié les biens de l'orphelin, en prohibant le gaspillage de ses biens, Il a dit: [Ceux qui mangent injustement les biens des orphelins en fait mangent du feu dans leurs ventres et ils brûleront en enfer].

"Surate 4 - "Al-Nissa" Les Femmes V.10."

Les compagnons du Prophète -b.s.- étaient si remplis de crainte qu'ils veillèrent à ne pas mélanger leur argent avec celui des orphelins qui étaient à leur charge. Ce qui leur causa beaucoup de peine tout en bloquant les capitaux des orphelins. Quelques uns d'entre eux demandèrent au Prophète -b.s.- s'ils pouvaient faire un commerce avec l'argent des orphelins pour faire fructifier le capital et le multiplier. Allah - gloire à Lui - révéla ceci: [Et ils t'interrogent au sujet des

La prise en charge des orphelins

par Hoda Hussein Chaâraoui

L'orphelin est celui qui a perdu son père avant d'atteindre l'âge de la puberté. L'orphelin pour l'espèce humaine est celui qui a perdu son père, tandis que dans l'espèce animale c'est celui qui a perdu sa mère. La prise en charge des orphelins est l'une des recommandations les plus importantes faites par le Prophète -b.s.- qui a annoncé les plus hauts degrés du Paradis à celui qui prend la charge de l'orphelin. Il a dit: "Moi et le tuteur de l'orphelin nous serons au Paradis, comme ceux-ci". Et il montra ses deux doigts: l'index et le majeur en les écartant.

"Hadith rapporté par Al-Bokhary."

Il a dit encore: "Celui qui fait partager à un orphelin musulman, sa nourriture et sa boisson, Allah le fera entrer au Paradis sauf s'il a commis un péché impardonnable".

"Hadith rapporté par Al-Tirmizy."

Or, l'on sait que l'association d'un autre Dieu à Allah est le seul péché impardonnable.

le comportement d'une nation toute entière dont l'action est commune.

L'histoire du Hadj nous ramène à celle du Prophète Ibrahim qui en songe qu'il tuait son fis Ismaîl et qui, au moment où il allait exécuter l'ordre d'Allah, reçut un mouton à sacrifier à la place de son fils.

Cette histoire que nous évoquons par le Hadj renferme beaucoup de leçons :

— Il faut vouer un culte sincère à Allah exclusivement.

— Il faut obéir sans discuter aux ordres d'Allah même si cela semble trop difficile car, après l'épreuve, Allah nous offre la solution.

— Tout en étant sûr qu'Allah dissipera ses tourments, l'homme doit fournir un effort et rechercher les moyens appropriés en vue de surmonter cette épreuve. Si ses efforts s'avèrent inutiles, qu'il sache qu'Allah est auprès de lui et qu'Il viendra à son secours.

— Enfin, ce grand congrès islamique qui regroupe les musulmans venues des quatre coins du monde symbolise l'unité de la nation islamique. C'est un appel aux musulmans afin qu'ils unifient non seulement leurs rangs mais aussi leur action en vue d'assurer leur bonheur et leur suprématie en ce monde; c'est là la voie menant à la félicité éternelle dans la vie future. Rappelons à ce sujet le hadith du Prophète -b.s.- qui dit: "Les musulmans, par leur amour et leur compassion mutuels, sont semblables à un corps unique: si l'un de ses membres souffre, tous les autres membres en sont affectés.

Le Hadj est donc un culte individuel mais accompli en collectivité. Les musulmans apprennent donc du Hadj l'action commune et l'effort collectif, tout comme ils ont appris par leur acquittement de l'aumône prescrite (Al Zak'at) à combattre leur parcimonie et leur amour de l'argent et des biens.

Après avoir vécu les jours du Hadj les musulmans doivent donc rentrer dans leur pays avec la ferme résolution d'appeler leurs compatriotes à appliquer les leçons du Hadj dans leur vie et leur comportement les uns envers les autres.

Telle doit être la mission de ceux qui ont accompli en toute dévotion le culte du Hadj.

ROKEYA GABR

Après le Pélerinage

par Dr. Rokeya GABR

Les gens ont tort de penser - comme le disent certains proverbes - qu'après la fête on ne fait plus de gâteaux.

Or, ce proverbe populaire ne peut en aucun cas s'appliquer aux cérémonies religieuses, car en Islam on commence à préparer les gâteaux aussitôt que la fête est terminée. Ce qui revient à dire que les fêtes en Islam ont lieu comme couronnement d'un grand effort fourni dans deux des cultes fondamentaux, soit le jeune et le pélerinage. Chacune de ces deux formes de culte doit avoir des effets visibles sur le comportement du musulman; c'est pourquoi les gens récoltent les fruits de leur efforts déployés dans l'accomplissement du culte après s'en être acquittés.

Ainsi une grande responsabilité incombe à tous les musulmans qui rentrent chez eux après avoir accompli tous les rites du "Hadj". En effet tous les cultes islamiques doivent être accomplis avec une sincérité du coeur afin que le musulman en tire un profit véritable dont les effets sont durables.

Ainsi la prière détourne des actes immoraux et répréhensibles comme le confirme le Coran. Si la prière ne détourne pas celui qui l'accomplit de tout libertinage et de toute corruption, elle devient une suite de gestes et de mouvements dénués de sens comme l'a montré un Hadith du Prophète -b.s.-

On retrouve la même idée au sujet du jeûne exprimée par la Sunna du Prophète -b.s.- où plusieurs hadiths affirment que le jeûne qui consiste à se priver de nourriture et de boisson est vide de sens et n'atteint en aucune façon l'objectif spirituel visé par ce culte.

Par ailleurs, si la prière et le jeûne visent en premier à réformer l'individu, c'est pour que ces pratiques du culte préparent les individus à remplir des missions plus nobles au niveau de la société et de la nation toute entière.

Quant au "Hadj" il présente cette particularité: C'est une action commune accomplie dans un même lieu et en même temps. Ce trois unités (de lieu, de temps et d'action) symbolisent dans leur ensemble

REVUE
AL-AZHAR

Vol. 69 Part VI

Jumada Al-Akhera 1417 H., Oct. Nov. 1996

Section Française

Comité de Rédaction :

Dr. Rokaya GABR, Professeur au Département de Langue Française et de Traduction
M. Mohammad OMAR Traducteur en chef au Centre de Recherches Islamiques

b. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾ (٦٤) سورة النساء

"We sent not a messenger but to be obeyed". 4 : 64
Muhammad (PBUH) the last messenger should be obeyed.

c. "Say: 'Obey Allah and His messenger', but if they turn back, Allah does not like the kafirs." - those who reject faith. There are other verses with the same meaning.

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (٧) سورة الحشر

d. "Take what the messenger assigns to you and deny yourselves that which he withholds from you." 59 : 7.

e. ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (١٥٣) سورة الأنعام

"This is My way leading straight: follow it: follow not other paths, they will scatter you from His path." 6:153

The Holy Qur'an, as we have seen guides Muslims in matters related to the religion and their daily life. The Qur'an tells them to hold fast to its guidance and the guidance of prophet Muhammad (PBUH).

Chronologically the following verse is the last verse revealed to the prophet while he was on his way back from his farewell pilgrimage.

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ (٣) سورة المائدة

"This day have I perfected your religion for you, completed My favour upon you, and have chosen for you Islam as your religion". 5:3.

On that occasion, the prophet (PBUH) said in a speech that he had left to Muslims two things, should they follow them they would not go astray: the book and his sunnah - hadith and traditions-.

This is a call to all Muslims everywhere to hold fast to the teachings of Islam. They should be aware of misleading calls.

﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ (٤٩) سورة المائدة

"Beware of them lest they beguile you from any of that (teaching) which Allah has sent down to you". 5:49. They should hold fast to Qur'anic teachings as well as to the sayings of the prophet (PBUH) actions and traditions. It is hoped that the so called anti hadith group should revise their stand and to hold fast to hadith.

Dr. Ahmed Shawky Arafa

One example of his good morals is mercy. He was kind and merciful to the young and the old, the males and females, the sick and the disabled, the servants, slaves and prisoners of war, the friends and neighbours, and to the poor and the destitute and even to the animals. Indeed Allah described Muhammad (PBUH) as a mercy for all the world. He is a mercy to all creaturfes Muslims and non-Muslims.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ١٠٧ سُورَةُ الأَنبِيَاءِ

"We sent you not, but as a mercy for all creatures." Sura 21:107

We can imagine what the world would loose should we reject the numerous hadith concerned with mercy and kindness.

6. The prophet (PBUH) collected zakah -alms- from the rich and distributed them to the poor and destitute ... etc.
   He also distributed the bounties of war.
7. He declared wars -struggles-, lead the armies or appointed the leaders of the armies. He held peace negotiations.
8. He taught Muslims how to perform pilgrimage.

These are very few duties and responsibilities of the prophet (PBUH) during his mission which lasted 23 years. In very few occasions did Allah change a rule or decision made by him, like for example, adoption and prisoners of war. This shows that Allah was pleased with the actions of His mesenger, speeches and decisions and that they were consistent with the religion.

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٌ يُوحَىٰ ٤ ﴾ سُورَةُ النَّجۡمِ

"Nor does he say of his own desire, it is no less than inspiration sent down to him." 53: 3-4

There are many verses in the Holy Qur'an that endorse the hadith and sunnah :-

a. The words

﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ﴾ ١٦٤ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ

"the book and the hikmah" are mentioned in the Holy Qur'an several times; ex, Sura 2 : 164.

The book means the Qur'an, and the hikmah means the sunnah and hadith.

Hold Fast to Sunna

By: Dr. Ahmed Shawky Arafa

Every now and then, there is a cry in the Muslim World from some people who consider themselves reformers. They also think that they are more enlightened than other Muslims.

Recently there is a group that aims at making changes in the religion of Islam. They do not want to rely on the Hadith or the traditions of Prophet Muhammad peace and blessings from Allah be upon him (PBUH). They want to depend solely on the Qur'an.

It seems that this group considers Muhammad (PBUH) was no more than a dispatch officer, whose duty was to convey the Holy Qur'an to the world. By scrutinizing the life history of the prophet, we will discover that he had many functions and will realize that he had many responsibilities. Some of these functions and responsibilities are enlisted below :-

1. **He taught Muslims the Qur'an, and made them learn it by heart. He edited it to the Qur'an writers. He explained the meanings of some verses and also conveyed the Hadith Qudsi.**
2. **He taught Muslims how to pray to Allah and lead them in congregational prayers. He also taught them how to perform extra prayers as nawafel, funeral prayers, asking Allah for rain ... etc.**
3. **He issued rulings regarding matters arising in the lives of Muslims.**
4. **He spread the word of Allah among non-believers to convince them to embrace Islam, sent delegations to neighbouring countries and negotiated with friends, foes and allies.**
5. **The actions and deeds of the prophet (PBUH) are considered by Allah good examples to Muslims to emulate.**

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ٢١ سورة الأحزاب

"You have indeed in the messenger of Allah an excellent exemplary". Sura 33:21

not give them except either their possessions on their captives. Thesefore, they agreed to take only their captives.

One year later, the Thaqeef had sent a delegation to the Prophet (PBUH) in order to declare their faith in Islam. The Prophet (PBUH), together with all the Muslims, rejoiced and wen extremely happy that Allah had fulfilled their wish and that the Thaqeef were now seeking to become true Muslims. The Thaqeef delegation asked the Prophet (PBUH) only one condition, i.e. that their idol (Allat) should not be demolished until after three years. The Prophet (PBUH) strongly refused this condition. In response to the prophet's (PBUH) stuborn refusal they earnestly begged him to exempt them from demolishing the idol with their own hand and to appoint whoever he chose to perform. that task.

Evaluating the cousequences of the battle of Hunayn, it can be said that it was the last major decisive battle between Islam and paganism. In effect, this battle had finally put an end to the pagan sovereignty over Mecca. This battle like the earlier ones had asserted but one important fact that the Muslims, who accompanied the Prophet (PBUH) in all these battles and fought fiercely and bravely, were faithful believers ready to die solely for the sake of Islam. the religion of Allah.

After the defeat of the first two groups of idolaters, the prophet (PBUH), accompanied by his followers, went in pursiut of those pagans who fled to Al Ta'ef. When the Muslims reached Al Ta'ef, the prophet (PBUH) discovered that the idolaters had secured themselves behind strong defensive positions with food supplies sufficient for one year. Therefore, the Prophet (PBUH) ordered the Muslim army to camp near the walls of Al-Ta'ef as a kind of siege. But being in the reach of the idolaters' arrows, the prophet (PBUH) changed his plan and ordered the Muslims to remove their camps at a distance which could not be reached by the pagan bowmen. The Muslim siege, in fact, remained for more them 20 days, during which the Muslims had been able to batter at the idolaters defences by using mangonel. Moreover, the Muslims, as another form of pressure, had cut down the idolater's palm trees and their grape vines hoping to comple them to surrender.

After the long siege of Al Ta'ef the prophet (PBUH), as he used to do in all the other battles, discussed with the Muslims the viability of the beseigment of Al Ta'ef. Hence, the Muslims decided amongst themselves to return to Mecca and, thus, raise the siege. Before leaving the place, the prophet (PBUH) prayed to Allah Almighty to give His guidance unto the Thaqeef so as to be converted to Islam. This event proves but only one impartant fact, vis that the prophet (PBUH) had never resorted to using force against the idolaters in order to compel them to declare their belief in Islam.

After ending the siege of Al Ta'ef, the Prophet (PBUH) began to distribute all the possessions captured in this battle among the Muslim army whether believers or non believers. The wisdom behind giving the non believers, who joined the Muslim army, a share in the booty was to strengthen in their hearts, their attitude towards Islam.

Later on, a delegation from Hawazin arrived to visit the Prophet (PBUH) in order to declare their faith in Islam in front of him. In the meantime, the delegation asked the prophet (PBUH) to give them back their possessions and captives for they had suffered heavy losses in this last battle. The Prophet (PBUH) told them that he could

distracted by the loot and the spoils of the battle thus causing the defeat of the Muslim army.

However, it is believed that the Muslims had not been totally defeated by the sudden attack of the enemies bowmen. Moreover, it is almost certain that the Muslims rapid withdrawal from the battlefield had been a strategic one, in order to give them time to regroup and formulate the strategy that would enable them to launch an effective counterattack against their enemies because, as it is known, the Muslim warriors never feared death. Therefore, in no time the Muslims were able to transform the apparent defeat into a major victory. This victory can be attributed to the wise strategic tactic of the prophet (PBUH) who, on seeing the Muslims fleeing from the battlefield, asked his Uncle Al-Abbas tocall for Al-Ansar and the other warriors to come back to the field. The Muslim warriors, at once responded to the prophet's call and all of them rejoined and waited for the prophet's order to launch their counterattack. The outcome of this battle resulted in complete and total defeat for the idolaters and the Muslims gathered together all the captives and all the other possessions of value.

Following the battle, the defeated idolaters had become divided into three groups. The first group managed to escape to a place called Nakhla. The second group had been able to make their camp in a place called Awtas and the third group had escaped to stronghold of Al Ta'ef.

Accordingly, the prophet (PBUH) gave his orders to the Muslims to pursue the idolaters who fled to the two weaker places of Nakhla and Awtas. Reaching these two places the Muslims launched their fierce attack aganist the idolaters thus, scattering them, taking as captives many of them and taking as well many of their possessions.

Accordingly, the prophet (PBUH) gave his orders to the Muslims to pursue the idolaters who fled to the two weaker places of Nakhla and Awtas. Reaching these two places the Muslims launched their fierce attack aganist the idolaters thus, scattering them, taking as captives many of them and taking as well many of their possessions.

The main front of the army was composed of Bani Saleem under the leadership of Khalid Ibn Al Waleed, while the vanguard of the army was composed of the horsemen, while the green squadron-which included the prophet — was composed of Emigrants (AL-Muhajrin) and the Helpers (Al-Ansar). The Muslims were extremely optimistic concerning victory especially after they had seen that they were much more numerous in comparison to their enemies.

After the idolaters had received information regarding the advance of the Muslim army, they made immediate preparations to confront them. They distributed their bowmen along the heights and the narrowest parts of the valley of Hunayn. As a military tactic, the idolaters believed that their bowmen from their positions could shoot their arrows down upon the Muslims so as to force them to scatter.

However, there are three separate historical accounts regarding the battle of Hunayn. Each account endeavours to provide us with the essential information appertaining to the encounter. The first account records that the Muslims had fought a fierce battle against the idolaters and had been able to defeat them. Later on, the idolaters managed to redeploy their forces and launch a counterattack, against the Muslims thereby defeating them.

The second account records that after the Muslim had entered the valley of Hunayn they were taken completely by susprise by the hidden bowmen, which routed the Muslims in complete disarray thus, they were defeated by the idolaters.

The third account records that the Muslim, at first, fought and defeated the idolaters but thereafter some of them began to claim possession of the spoils and loot left behind by the fleeing enemies. Unaware of the enemies bowmen who were lurking in wait along the heights of the valley, the Muslims were taken by surprise and were defeated by the idolaters.

These threé historical accounts may seem to be correct especially if we take into consideration that the Muslim army had been partially composed of idolaters and other warriors who had only recently adopted the Islamic faith. In addition, many of the warriors had been

notewatly, in order to attack the Muslims in a surprising assault. It is notewerthy to say that the leader of the pagan troops, Malek Ibn Auf, to say that the leader of the pagan troops, Malek Ibn Auf, had been an enthusiastic young man famous of his great courage. However, this young man's military experience had not yet been developed in war, so he had been overtaken by his violent exuberance and despotism. The pagan troops which consisted of some 4000 Idolaters from the Hawazin and the Thaqeef who had volunteered to take part in this pattle, marched on their way to fight the Muslims in their own land.

The Prophet (PBUH) had been informed about the troops of the idolaters, so he sent Abdullah Al Salamy in disguise to insinuate himself amongst the tribe of Hawazin in order to gather information about their military intensions. Abdullah had been able to fulfil his mission successfully, he had penetrated right into the tribe of Hawazin and was able to gather all the information required, and he thereupon returned to the prophet (PBUH).

After Abdullah had informed the Prophet (PBUH) of the pagans' preparations, the prophet (PBUH) decided to face the idolaters who were doing their utmost to destroy Islam and revive paganism. Hence, the prophet (PBUH) made up his mind to launch his attack against them in their own land so as to prevent them from attacking the Muslims in Mecca. After the Prophet (PBUH) had ordered the Muslims to make their preparations and they had done so, 12000 warriors were ready to march towards Hunayn, 2000 of these were from Mecca and the rest from Medina. Moreover, 80 idolaters had volunteered to accompany the Muslim army such as : Safwan Ibn Umayya and Suhail Ibn Amr.

The Muslim army, after completing its preparations, marched to Hunayn which was a vally beside Al-Ta'ef about 15 miles from Mecca. When the army had reached the positions of their enemies, the prophet (PBUH) deployed his warriors and distributed the flags among the leaders.

The Great Battles of Islam
8 The Day of Hunayn

By : Nahed Mohamed Wasfi Ph.p.

WHEN the Muslims emerged as a victorious power and had been able to enter Mecca, this had aroused the fear of the tribes which still remained pagans such as : the Hawazin and the Thaqeef. It should be noted that when the Muslims were about to enter Mecca, the leaders of Qureish had asked for the help of their allies, namely the two tribes of Hawazin and Thaqeef. Therefore, after the victorious Muslims had entered Mecca, the leaders of the two tribes, Hawazin and Thaqeef, agreed to meet in order to discuss the situation concerning the fall of Mecca and its serious consequences regarding the Arabion peninsula. Thus, the leaders of these tribes decided amangst themselves to attack the prophet (PBUH) In order to prevent the Muslims from attacking them in their own lands.

However, there is no shred evidence in the history of Islam that the prophet (PBUH) had had, at any time, the slightest intensian of attacking either or both of these two tribes because the Muslims had never been transgressors. On the contrary, it was known that the prophet (PBUH) was determined to return to Medina after he had entered Meca and destroyed the sovereignty of the idolaters. Not knowing the true character of the prophet. (PBUH), who had always been in favour of peace rather than war, the tribes of Hawazin and thaqeef had decided first to fight the Muslims, in an attempt to prevent the new religion from spreading throughout the Arabian peninsula.

The two tribes of Hawazin and Thaqeef had automatically been supported by the pagan tribes of S'ad Ibn Bakr, and some parts of Bani Hilal. The pagan troops assembled under the leadershipof Malek Ibn Auf in order to attack the Muslims in a surprising assult. It is

AL-AZHAR MAGAZINE

بسم الله الرحمن الرحيم

ENGLISH SECTION

Jumada Al-Akhera 1417 H

Vol. 69 Part VI

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله

الأعراف / ٤٣

"Praise be to Allah,
who hath guided us
to this (felicity) : never
could we have found
guidance, had it not been
for the guidance of Allah : .
Indeed it was the truth."

(Al A'raf 43)

EDITORS : Dr . TRANDIL H. EL RAKHAWY . PH.D.
Depf . of English Language and Translation
AL - Azhar University.

ADEL REFAI KHAFAGA . M. A.
Executive Secretary
Al Azhar Magazine .

الفهـرس

● الافتتاحية (سلوا أهل الذكر)
فضيلة د. على أحمد الخطيب ٧٨٥
● تفسير سورة البقرة
لفضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر ٧٨٨
● مع سورة يس
ا. د. ابراهيم خميس ٧٩٦
● حوار الإمام الأكبر
إعداد : الأستاذة سناء السعيد ٨٠٣
● من تراث المحقق محمد أبى الفضل إبراهيم ٨٠٧
● قبس من أنوار النبوة
لفضيلة الشيخ : على حامد عبد الرحيم ٨١١
● من رجال الحديث الشريف
تقديم الأستاذ أحمد تقى الدين ٨١٥
● الكفالة والأجر عنها
ا. د. محمد سيد غزلان ٨٢٢
● عقد التأمين (٨)
ا. د. عبد الله مبروك النجار ٨٢٨
● استفتاءات القراء
تقديم الشيخ السيد العراقى شمس الدين ٨٣٤
● من أعلام الأزهر
ا. د. محمد رجب البيومى ٨٣٧
● طرائف ومواقف
للأستاذ عبد الحفيظ محمد عبد الحليم ٨٤٤
● من روائع الماضى بمجلة الأزهر
للأستاذ عبد الفتاح حسين الزيات ٨٤٦

● الشعر والشعراء ●

● أيتها القيم العالية
للشاعر محمد عبد الرحمن صان الدين ٨٥٢
● خيوط العنكبوت
عقيد مهندس عبد العاطى موسى ٨٥٦

● العلوم الكونية ●

● البيئة ومشكلاتها من منظور إسلامى
ا. د. أحمد فؤاد باشا ٨٥٨
● الصحة الانجابية (٣)
للدكتور أحمد رجائى عبد الحميد ٨٦٢
● الرفاق والزملاء
للأستاذ عبد السلام ناصف ٨٦٥
● الجديد فى العلم والتقنية
للدكتورة نجوى السيد أحمد ٨٦٩

● اللغة والأدب والنقد ●

● عرض كتاب « خير القرون »
للدكتور عبد العزيز عزت عبد الجليل ٨٧٢
● الشواهد النحوية
للأستاذ عبد الحفيظ فرغلى على القرنى ٨٧٧

● أبو منصور الثعالبى وكتابه (فقه اللغة)
د. محمد رياض السيد كريم ٨٨٢
● من المناظرات بين النحاة والفقهاء
للدكتور جمال عبد العزيز أحمد ٨٨٩
● طبقات المحققين والمصححين
للأستاذ الدكتور السيد ابراهيم الجميلى ٨٩٣
● شياطين الشعر
للأستاذ أحمد مصطفى حافظ ٩٠٠
● دوحة الكتب
إعداد الأستاذ محمود الفشنى ٩٠٦
● بين المجلة والقارىء
إعداد الأستاذ : عادل رفاعى خفاجة ٩١٠
● أنباء مكتب الإمام الأكبر
إعداد الأستاذين عمر البسطويسى
ومصطفى عبد المجيد ٩١٤
● الأزهر والقدس
للدكتور محمد عبد الحكيم محمد ٩٢١
● أنباء العالم الاسلامى
للأستاذ مجدى عبد الحميد بشير ٩٢٥
● القسم الفرنسى ٩٣٣
● القسم الانجليزى ٩٤٣